# تجلية الراية

احمد بن حازم بن محمدبك توفيق المصري

بسم الله الرحمن الرحيم

عن جُنْدُب البَجَلِيِّ انه قال: قال رسولُ اللّه : مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رايةٍ عِمِّيَّةٍ فَقَتْلُهُ قِتْلَةٌ جاهِلِيَّةٌ . صحيح ابن حبان (٤٤٨٩)، (١٩/٢) .

عن ابراهيم التيمي عن ابيه قال: قال حذيفة لأبي موسى: أرأيت لو ان رجلا خرج بسيفه يبتغي وجه الله فضُرِب. فقلت:كان يدخل الجنة؟ فقال له ابو موسى: نعم، فقال حذيفة: لا، و لكن اذا خرج بسيفه يبتغي به وجه الله ثم اصاب امر الله فقتل دخل الجنة. سعيد بن منصور في سننه(٢١١/٢) و اسناده صحيح.

يقول المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي: "عقب احتلال الفرنسيين لمصر خرج من الحجاز رجل اسمه الشيخ الكيلانى المغربى كان مجاورا بمكة عندما ضج الناس بالحرم لغزو مصر وصار يعظ الناس بالحرم ويدعوهم للجهاد. فاجتمع نحو الستمائة من المجاهدين وركبوا البحر مع من انضم اليهم من اهل ينبع. "فلما وصلوا مصر انضم اليهم جملة من اهل الصعيد والاتراك والمغاربة وحاربوا الفرنسيين فانهزم الاتراك كعادتهم وتبعهم اهل الصعيد وثبت الحجازيون ثم انكفوا لقلتهم وذلك بناحية جرجا. ووقع بين اهل الحجاز والفرنسيين بعض حروب وينفصل الفريقان بدون طائل. ثم وردت في نفس العام اخبار بوفاة الشيخ الكيلانى وتفرقت "طائفته في البلاد حتى انه حضر جماعة منهم إلى مصر وكان اكثر من يخامر عليهم اهل الصعيد فيوهمونهم معاونتهم وعند الحرب يتخلون عنهم، وبعض البلاد يضيفهم ويسلط عليهم الفرنسيين فيقبضون عليهم"[1]. انتهى.

و فضلا عن اندفاع اولئك "المجاهدون" للقتال الى جانب العثمانيين و المماليك و فيهم الجند النصارى و الدروز و القبوريين و تاركو الصلاة اثبتت مراسلات شركة الهند الشرقية البريطانية ان استنفارهم للجهاد" كان نتيجة امر مشفوع "بالهدايا" من كابتن ويلسون قائد القوة البحرية البريطانية في البحر الاحمر لشريف مكة بغرض التصدي للفرنسيين في البحر الاحمر. كما تذكر المصادر البريطانية ان "الشيخ" الكيلاني كان يتراسل مع النقيب ويلسون قبل سفره من مكة صحبة "المجاهدين" و اثناء وجوده بمصر[2] وكان عينا للانكليز على الاحوال بمصر.[3] و تبين ان الشيخ الكيلاني المشار اليه هو التاجر الجداوي الحاج ابراهيم الجيلاني المقرب من شريف مكة و كان ينسق حملته مع البحرية البريطانية، و بعد وصول المتطوعين لمصر تركهم و فر عائدا لجدة حيث ظل على علاقة ودية بقيادة البحرية البريطانية في البحر الاحمر و بالحكومة البريطانية في الهند التي كافأته على خدماته لبريطانيا باعفاء صادراته من البن للهند من المكوس[4].

---

[1] الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم و الاخبار ج ٥ ص ٧٥
[2] يوميات بومباي، شركة الهند الشرقية البريطانية، مذكرة رقم ٨٠ لسنة ١٧٩٩، ١/ص٤١١٧ مجموعة جامعة اكسيتير.
[3] المرجع السابق، مذكرة رقم ٩٨ لسنة ١٨٠٠، ١٧/ص٥٢٠٠، مجموعة جامعة اكسيتير.
[4] المرجع السابق، مذكرة رقم ٩٨ لسنة ١٨٠٠، ١٧/ص٥١٩٩، مجموعة جامعة اكسيتير.

## المقدمة

ان الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نعوذ بالله من شرور انفسنا و سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له و اشهد ان محمدا عبده و رسوله.

لا شك ان هذا الكتاب سيقابل بردود افعال متباينة لدى القراء، و قد يتخذ اصحاب الهوى و القاعدين من بعض ما ورد فيه ذريعة اضافية للقعود و الحط من فريضة هي ذروة سنام الاسلام و ليس هذا مقصدي. و قد ينسب البعض الكتاب الى ادب المراجعات الفكرية المباحثي المعاصر و هو ليس منه. و لا اجد ما اقوله بعد قول الشاطبي في مقدمة الاعتصام:" فكنت على حالة تشبه حالة الإمام الشهير عبد الرحمن بن بطة الحافظ مع أهل زمانه إذ حكى عن نفسه فقال : عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين مني والأبعدين ، والعارفين والمنكرين ، فإني وجدت بمكة وخراسان وغيرهما من الأماكن أكثر من لقيت بها موافقاً أو مخالفاً ، دعاني إلى متابعته على ما يقوله ، وتصديق قوله والشهادة له ، فإن كنت صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك كما يفعله أهل هذا الزمان سماني موافقاً وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سماني مخالفاً ، وإن ذكرت في واحد منها أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد ، سماني خارجياً ، وإن قرأت عليه حديثاً في التوحيد سماني مشبهاً ، وإن كان في الرؤية سماني سالمياً ، وإن كان في الإيمان سماني مرجئياً ، وإن كان في الأعمال ، سماني قدرياً ، وإن كان في المعرفة سماني كرامياً ، وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر ، سماني ناصبياً ، وإن كان في فضائل أهل البيت سماني رافضياً ، وإن سكت عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما ، سماني ظاهرياً ، وإن أجبت بغيرهما ، سماني باطنياً ، وإن أجبت بتأويل ، سماني أشعرياً وإن جحدتهما ، سماني معتزلياً ، وإن كان في السنن مثل القراءة ، سماني شفعوياً ، وإن كان في القنوت ، سماني حنفياً ، وإن كان في القرآن ، سماني حنبلياً ، وإن ذكرت رجحان ما ذهب كل واحد إليه من الاخبار إذ ليس في الحكم والحديث محاباة قالوا : طعن في تزكيتهم ، ثم أعجب من ذلك أنهم يسمونني فيما يقرؤون علي من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشتهون من هذه الأسامي ، ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره ، وإن داهنت جماعتهم أسخطت الله تبارك وتعالى ، ولن يغنوا عني من الله شيئاً . وإني مستمسك بالكتاب والسنة وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو وهو الغفور الرحيم ."

تزخر المكتبة المعاصرة بمئات الكتب بشتى اللغات حول ظاهرة العمل الاسلامي المسلح. و لكن هذه الوفرة الكمية تلازمت حتى امد قريب مع رداءة نوعية في مصادر و استنتاجات البحث. يعود ذلك الى سببين اساسيين اولهما ان افضل مصادر لتغطية تلك الظاهرة هي الاشخاص الذين عايشوها من افراد الجماعات المسلحة و هم في اغلبهم بين قتيل و سجين و هارب او مستتر من الاضواء. و هناك مصدر اخر له اطلاع كبير على المعلومات المستقاة من الفئة الاولى الا و هو الاجهزة الاستخباراتية، الا ان طبيعة عمل تلك الجهات تمنعها من التصريح بكل ما تعلمه بامانة كما ان نزاعها مع الجماعات مصدر تلك الظاهرة يجعلها شاهدا مطعونا في عدالته.

اما المسبب الثاني لضعف نوعية الكتب المذكورة-بالاضافة لنقص المصادر الاصيلة- فهو المنطلق الاستشراقي الغالب على معظم من قاموا بتغطية الموضوع، و ان كانوا من اصول اسلامية، و يرجع ذلك الى غياب النظرية الاسلامية الاصيلة من الجامعات الكبرى ببلاد الاسلام و غلبة المناهج ذات الاصل الاستشراقي على مراكز البحث بتلك الجامعات فضلا عن ان معظم تلك الدراسات موجهة للاستهلاك الأكاديمي او الامني الغربي مما يلزم الكاتب بتبني ذوق و نظريات العميل المستهلك و يؤثر في قيمة العمل للقارئ المسلم. و هنا تبرز نقطة هامة وهي ضرورة توجيه العمل لما يلائم احتياج الباحث المحلي فلا يعقل ان يهتم العالم باكمله بظاهرة العمل الاسلامي الجهادي و و لا يعلم القارئ المسلم عنها الا من فتات ما ينشر بالغرب.

ان البداية في عمل موجه للقارئ المسلم بغرض دراسة تاريخه و فهم الواقع السياسي ينبغي ان تبدأ من نظرة اسلامية للتاريخ. ان اختيار الدافع الديني كمنطلق لدراسة التاريخ مقارنة بالمنطلق الاقتصادي او الاجتماعي مبرر بواقع ان الدين ظل لأغلب فترات التاريخ الانساني مرتكزا لانظمة الحكم و التشريعات و انماط التفكير السائدة. و بينما تنطلق الدراسات المتوافرة بشكل او باخر من المحورية الاوروبية/النصرانية و مشتقاتها الاقتصادية و الاجتماعية فان في النظرة الاسلامية ما يغني و يجعلها منطلقا اشمل لدراسة التاريخ العالمي. فالتغيرات المنطلقة من ديار الاسلام بموقعها المتوسط في العالم اشبه ما تكون بحجر القي وسط بركة مسببا موجات تطال الاطراف. فضلا عن ان النظرة الاسلامية للخليقة عادة ما تتعامل مع ما سبق الرسالة المحمدية على انه جزء من التاريخ الاسلامي، فكل ما حدث على الارض منذ وصول ادم هو لدى المسلم صراع بين الكفر و الاسلام على اختلاف الانبياء و الامم و هو شمول تقصر عنه اي نظره مبنية على منطلق قومي او ديني اخر.

من ناحية اخرى يرى بعض دارسو الاجتماع و التاريخ ان الصراعات العسكرية التي اندلعت بين امم الانسانية تصلح ان تكون موجزا لتاريخ تلك الامم و شرحا لكثير من معالم حضاراتها و اسباب نهوضها و افولها. فعلى سبيل المثال يرجع بعض اللغويين و التاريخيين المتاثرين بنظرية الارتقاء تطور اللغات البشرية من لغة الاشارة الى شكلها الحالي الى الحاجة لوسيلة تفاهم و تنسيق بين افراد القبائل اثناء حملات الصيد و الاغارة، و ان كان المنظور الاسلامي يختلف فيما يخص تطور اللغات من واقع

ان القـران يـذكر ان الله "علـم ادم الاسمـاء كلـها"،الا انـه مـن المقطـوع بـه ان تطـور اجهـزة الاتصـال الحديثـة وصـولا الى الاقمـار الصـناعية و الانترنـت- الـتي اشـرفت البحريـة الاميركيـة علـى تطويرهـا- وقـع تلبيـة لاحتياجـات عسـكرية. و مـا كـان للاقمـار الصـناعية الـتي تعتمـد عليهـا المجتمعـات الحديثـة في الاتصـالات و البـث التليفزيـوني و الرصـد الجـوي ان تقلـع لـولا صـواريخ في٢ التـى غنمهـا الاميركيـون مـن المانيـا عقـب هزيمتـها في الحـرب الكونيـة الثانيـة حيـث كانـت الاخـيرة تعـدها بـدورها لقصـف الولايـات المتحـدة بعـد بريطانيـا . كمـا ان الجيـوش المنتصـرة الحديثـة هـي بـاعتراف علمـاء الادارة المعاصـرين الجامعـة الفعليـة الـتي تم تطوير علوم الادارة و الامداد الحديثة بها .

يـؤدي الجمـع بـين التفسـير العسـكري للتـاريخ و المنطلـق الاسـلامي الى منظـور جديـد يمكـن تسـميته المنظـور الجهـادي للتـاريخ. فالجهـاد بـلا شـك احـد اهـم مكونـات حركـة التـاريخ الاسـلامي، و ان لم يكـن كـل الانبيـاء السـابقين للبعثـة المحمديـة قـد انخرطـوا في اعمـال عسـكرية الا ان دعـوتهم ادت في اغلـب الاحـوال الى صـراع بـين مـن تـابعوهم و مـن خـالفوهم. ان المطلـع علـى حركـة التـاريخ لـن يجـادل في اثـر ظهـور الاسـلام بـين القبائـل العربيـة في جزيـرة العـرب علـى تـدمير الامبراطـوريتين البيزنطيـة و الفارسـية اكـبر قـوى زمانهمـا و بالتـالي تغـيير خريطـة القـوى في العـالم، كمـا لـن يجـادل في اثـر الحمـلات العثمانيـة و اغـلاق المماليـك لطـرق التجـارة الهنديـة في وجـه اوروبـا علـى تحفيـز حمـلات اكتشـاف اميركـا و اسـتراليا . كمـا ان الـدولتان المملوكيـة و معهـا العثمانيـة الـتي ابتلعـت نصـف اوروبـا و الامبراطوريـة الرومانيـة الشـرقية همـا

بـدورهما نتـاج صـراع عسـكري عـالمي امتـد قـرنين عـرف بـالحروب الصـليبية و ادى بنهايتـه الى حالـة مـن الهـزال العسـكري للجـانبين شـجعت قبائـل المغـول علـى اجتيـاح المعمـورة مـن حـدود اليابـان الى المانيـا . و قبلـها كانـت غـارات الاتـراك السـلاجقة علـى القسـطنطينية و هزيمـة الجـيش البيزنطـي في ملاذكـرت هـي الحـافز لبـدء حملـة البابـا اوربـان الصـليبية الاولى الـتي اشـتركت فيهـا اغلـب الجيـوش الاوروبيـة باسـتثناء جيـوش ملـوك اسـبانيا و البرتغـال المنشـغلة بحـروب الاسـترداد ضـد مسـلمو الانـدلس و المغـرب. و قبـل ذلـك ادت غـارات العباسـيين المتواليـة علـى القسـطنطينية الى رحيـل طوائـف مـن الدولـة البيزنطيـة الى امـارة كييـف حيـث تم ارسـاء قواعـد الدولـة الروسـية. و ادى فـتح القسـطنطينية علـى ايـدي العثمـانيين الى هجـرة قساوسـة الكنيسـة البيزنطيـة و كـبراء الدولـة المهزومـة الى امـارة موسـكو الـتي قامـت بعـدها بثمانيـة عشـر عامـا فقـط في عهـد ايفـان الثالـث بـرد فعـل تمثـل في طـرد التتـار المسـلمين خـارج موسـكو بعـد حكمهـم المدينـة لأكثـر مـن مـائتين و خمسـين سـنة لينطلـق منـها احفـاده مبـتلعين عشـرات اضـعاف مسـاحتها مـن اراضـي المسـلمين فيمـا بعـد و تصـير نـواة الاتحـاد السـوفيتي ثانيـة القـوتين العظمـيين في العـالم في القـرن العشـرين و اكـبر دول العـالم مسـاحة قبـل تفكـك الاتحـاد . كمـا كـان اسـترقاق مسـلمو المغـرب و العثمـانيين و المماليـك لعـدة ملايـين مـن الاسـرى الاوروبـيين في القـرون الـتي تلـت فـتح القسـطنطينية سـببا في نمـو حركـة مكافحـة الـرق بأوروبـا التـى ارجـع الـبعض اليهـا ظـاهرا نشـوب الحـرب الاهليـة الاميركيـة (احـد اهـم الحـروب في تـاريخ البشـرية مـن ناحيـة اعـداد المقـاتلين و تطـورات الاسـلحة المسـتخدمة) و التـدخل المصـري في الحبشـة و الصـومال. امـا في العصـر الحـديث فقـد كانـت وراثـة الامبراطوريـة العثمانيـة

المتداعية سببا رئيسا من اسباب نشوب الحرب العالمية الاولى. و في معارك الحرب العالمية الثانية تارجح مصير الاتحاد السوفيتي و بقاءه على نتيجة معارك ستالينجراد و التي تاخر نصره فيها لمدة طويلة بسبب اندلاع انتفاضة عشائر الشيشان التي شغلت اسراب طيران قيادة القوقاز عن التصدي للالمان الذين كاد استيلاءهم على ستالينجراد و ما يتبعها من منابع البترول الروسي ان يحول مسار الحرب لصالح المانيا او يؤخر هزيمتها لعشرة سنوات على الاقل. يقول ليوبولد آميري ، وزير المستعمرات البريطاني بين الحربين العالميتين و احد صاغة وعد بلفور، معلقا على اهمية متابعة الوضع العسكري في جزء صغير من ديار الاسلام: "ان الحوادث التي قد تبدو تافهة في العراق و الجزيرة العربية كثيرا ما يكون لها عواقب خطيرة في اوروبا و الهند".[١]

من هذا المنطلق يمكن تفهم اهمية دراسة الحركات الاسلامية المسلحة الحديثة لما لنشاطها من اثر مستقبلي متوقع و في الحروب الناشئة عن غارة القاعدة على نيويورك برهان على اهمية دراسة تلك الحركات ووقعها على التاريخ البشري. يبقى بعد تبني تلك النظرة تفسير ما يقع من احداث على اطراف العالم و هي احداث يمكن تحليلها بالاستعانة بنظريات الازاحة و الدفع و موجات الهجرة البشرية.

---

[1] CAB/16/94, CID, PGSC, "Memorandum by the Secretary of State for the Colonies," P.G. 29, 16 Nov. 1928.

تنقسم الحركات الاسلامية المسلحة المعاصرة المكونة لحركة الجهاد العالمي الى قسمين من حيث الباعث على النشاة من حركات نشات ردا على غزو خارجي كالمجاهدين الافغان ضد السوفيت في الثمانينات و مجاهدو كشمير في الهند ، و القسم الاخر حركات ذاتية النشاة ذات دعوة اصلاحية كجماعة الجهاد المصرية و جماعة المسلمين المصرية و الجماعة الاسلامية المسلحة بالجزائر سابقا . و تتبدى اهمية هذا التصنيف لما للباعث على النشاة من اثر على التطور العقائدي للجماعة، فبينما تنضج القدرات العلمية و العقائدية على مهل لدى الجماعات الذاتية النشاة يؤدي الاحتلال الى نشاة جماعات مبتسرة النمو تحت ضغط التدخل العسكري بالاضافة الى ما يصاحبه من تدخل مخابراتي للدول الداعمة للحركة من الخارج و هو تدخل عادة ما لا يهدف لبلورة الهوية الاسلامية للحركة بقدر ما يهدف لتحقيق الاهداف السياسية للدولة الداعمة. و من الناحية العملية فان الجماعات التي تنشأ كرد فعل على احتلال عسكري لارض مسلمة عادة ما لا تنجح في انشاء دولة اسلامية كما تطمح معظم تلك الحركات، حيث يسلم الاحتلال الحكم قبل رحيله لاقل حركات المقاومة تمسكا بالاسلام و اقربها شبها به من ناحية العقيدة.

على الجانب الآخر تنقسم الحركات الاسلامية المسلحة المعاصرة المكونة لحركة الجهاد العالمي الى قسمين من حيث العقيدة الغالبة الى سلفية و خلفية .و تعتبر جماعات مثل الجهاد المصرية و القاعدة و الجماعة الاسلامية المسلحة الجزائرية نفسها جماعات سلفية بينما لا تتمسك حماس الفلسطينية او النهضة التونسية بهذه التسمية.

و السلفية كما هو معروف هي التمسك بمنهج السلف فيما يخص الاسماء و الذات و الصفات و اقتفاء النصوص و ترك التأويلات الشاذة و البدع و الاهتمام بمبدا الولاء و البراء و نبذ التقليد و التمذهب. و العمدة عند الاختلاف فهم النصوص طبقا للقرون الاولى ومن تابعهم باحسان. و في المراحل المتاخرة تبرز اسماء احمد بن حنبل و بن تيمية و ابن القيم و محمد بن عبد الوهاب على الاخص كمنارات للمدرسة السلفية. كما تستخدم تسمية اهل الحديث و اهل السنة و الجماعة كعنوان للسلفية و تعتبر كتب فقهاء الحنابلة اكثر المدارس الفقهية التزاما بتلك العقيدة.

و بينما تتمسك اكثر الجماعات المسلحة بالتسمية السلفية لما لها من احترام و قبول لدى الشباب و المتبرعين بالاموال يأتي التطبيق عادة بعيدا عن الشعارات خاصة في مجال الولاء و البراء و التطبيق العملي للعقيدة في السياسة و الحكم و الامور العسكرية حيث تبدأ اهمية الالتزام بالنصوص الشرعية لدى الجماعة في التداعي تحت اسماء فقه الواقع و فقه الدعوة و المصالح و المفاسد و فقه الموازنات و فقه التمكين و المرحلية. و يظهر مدى تباعد جماعة ما عن سلفيتها المعلنة عندما تبدأ بممارسات يترفع عنها اقل طلبة العلم السلفيين اخلاصا لمبادئه مثل اقامة تحالفات مع الرافضة او اي طوائف اخرى غير سلفية او الترشح الى البرلمانات اللادينية.

سيقتصر هذا البحث على الجماعات الاسلامية المسلحة و الساحات التي وقع بها الصراع فيما بين تلك الجماعات و اعدائها و لن يتم تغطية جماعات اخرى خرجت من ساحة العمل المسلح، كما

ستقتصر التغطية على الجماعات التي تنتسب للعقيدة السلفية و عالمية العمل الاسلامي المسلح على خلاف الجماعات القومية شبه العلمانية المتعاونة مع ايران الرافضية مثل حماس الفلسطينية او الجهاد الاسلامي الفلسطينية. فضلا عن ذلك فان العمل سيقتصر على الجماعات التي نتج عنها انتاجا فكريا او هيكل حكم سياسي ولو لفترة وجيزة. و بما ان اهم الحركات المسلحة المعاصرة تنسب نفسها الى العقيدة السلفية فقد كان منطقيا البدء بسرد الاحداث التي اعقبت ظهور احد اول الدول التي نسب اليها اعتماد العقيدة السلفية اساسا للحكم و هي الدولة السعودية الاولى.

# البدايات

لم يمض على فتح مكة و سيطرة الاسلام على جزيرة العرب اشهر قلائل حتى ارتد اهل وادي حنيفة بنجد[١] و اتبعوا مسيلمة الكذاب لانه نجدي و سيمكن لهم دولتهم الانفصالية الخاصة و يوفر عليهم دفع الزكاة و الخضوع للشريعة. كان اسلام كثيرا من اهل نجد على كره منهم خشية من الجيوش الاسلامية و يبدو ان بعضهم اضمر الردة و الخروج عندما تسنح الفرصة منذ البداية. و يروي البخاري ان مسيلمة الحنفي النجدي لقي الرسول عليه الصلاة و السلام عندما وفد مع قومه الى المدينة و قال له:" إن شئت خليت بينك وبين الأمر، ثمَّ جعلته لنا بعدك."[٢]و فيما كان القرآن يتساءل مستنكرا "و كيف تكفرون بالله و انتم تتلى عليكم ايت الله و فيكم رسوله"[٣]كان بنو حنيفة بعد اسلامهم بايام يبايعون واحدا منهم في حياة الرسول عليه الصلاة و السلام و يقول قائلهم "نعلم انه كذاب و ان محمدا صادق و لكن كذاب ربيعة احب الينا من صادق مضر"[٤].

انتشرت شرارة الردة في باقي انحاء الجزيرة و حوصرت المدينة بواسطة قبائل قطاع الطرق بغرض القضاء على الاسلام الا ان ابا بكر الصديق هزمهم و عزم على ابادة رجال بني حنيفة لولا ان خالدا بن الوليد كان قد صالحهم فامضى صلحه و فرض عليهم سلما مخزية منعوا فيها من حمل السلاح و

---

[١] الرياض الحالية
[٢] البخاري ٤١١٨
[٣] آل عمران ١٠١
[٤] كان شعار اتباع مسيلمة "كذاب ربيعة احب الينا من صادق مضر" حيث كان الرسول عليه الصلاة و السلام مضريا و كان عامة اهل نجد و فيهم مسيلمة من ربيعة.

سبيت فيها نساءهم و ذرياتهم. لم يستقم اهل الجزيرة و على الاخص اهل نجد الا لمدة يسيرة[1] كان كثير منهم ما زال يضمر فيها العداء للاسلام[2]، ثم تحولت الجزيرة العربية الى منطقة يسودها قبائل من قطاع الطرق تخصصوا في قتل بعضهم البعض و قتل الحجيج و نهبهم و فرض الاتاوات عليهم بعد ان انضم اهل نجد و شرق الجزيرة للخوارج النجدات بقيادة نجدة بن عامر الحنفي و مركزه في اليمامة[3]. اتاح انضمام تلك العشائر للخوارج النجدات مسوغا عقائديا لتكفير الصحابة و التابعين و العالم الاسلامي باسره و بالتالي استحلال اموالهم و قطع الطريق عليهم و الخروج على الخلافة الاموية. كما راجت فرق الازارقة و الصفرية في تلك المنطقة ثم ارتد اغلبهم فسيطر على نجد و شرق الجزيرة و قطر و البحرين حتى البصرة القرامطة الذين ذبحوا الحجيج و سرقوا الحجر الاسود و نقلوه الى القطيف، و من هناك انتقلوا الى مرحلة من الفوضى و الردة استمرت ما يقرب من عشرة قرون حكم فيها مشايخ المنسر بالتحالف مع روافض فارس احيانا و البرتغاليين طورا اخر ثم البريطانيين. و من

---

[1] حتى تلك الفترة اليسيرة التي اعقبت هزيمة اهل نجد لم تخلو من العثرات و ظل فيهم من يترحم على ايام مسيلمة بعد ان اعلنوا توبتهم و خرجوا في فتوح المسلمين للعراق طلبا للسلب و النهب وفي سنن أبي داود من طريق حارثة بن مضرب أنه أتى عبد الله، يعني ابن مسعود والي الكوفة فقال: ما بيني وبين أحد من العرب حنة (ضغينة)، وإني مررت بمسجد لبني حنيفة فإذا هم يؤمنون بمسيلمة، فأرسل إليهم عبد الله فجيء بهم فاستتابهم غير ابن النواحة (و كان رسول مسيلمة للمدينة قبلها بسنوات) قال له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لولا أنك رسول لضربت عنقك، فأنت اليوم لست برسول، فأمر قرظة بن كعب فضرب عنقه في السوق ثم قال: من أراد أن ينظر إلى ابن النواحة قتيلا في السوق."و عن قيس بن حازم ان رجلا اتى ابن مسعود بالكوفة فقال:" إني مررت ببعض مساجد بني حنيفة وهم يقرؤن قراءة ما أنزلها الله على محمد صلَّى الله عليه وسلَّم والطاحنات طحناً، والعاجنات عجناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً."
و قد اجمل الخليفة المأمون العباسي صاحب فتنة خلق القرآن امر نجد و ربيعة بقوله " وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط وأما قضاعة فساداتها تنتظر السفياني حتى تكون من أشياعه وأما ربيعة فساخطة على ربها مذ بعث الله نبيه من مضر."ابن الاثير"، ذكر مرض المأمون ووصيته، حوادث سنة ٢١٨ ،"الكامل في التاريخ".

[2] بل و يذهب الكابتن لويس بيلي المقيم البريطاني في الخليج و الجاسوس ذو الاطلاع الواسع على احوال و عقائد الاعراب في تقرير ارسله لقيادته في عهد فيصل بن تركي ابن حفيد محمد بن سعود ان كثيرا من اعراب نجد دخلوا الاسلام لاول مرة في عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر الميلادي. محمد جلال كشك "السعوديون و الحل الاسلامي." ص ١٠٦.

[3] الرياض الحالية.

ناحية اخرى تحالف اهل الغرب مع الحمدانيين الروافض ثم العبيديين و بعضهم مع الغزاة المغول و تقلبوا في اطوار القبورية و الاجرام .

لم تكن تلك القبائل تستأسد الا على المسلمين العزل اما عندما تواجههم قوة حقيقية فكانوا لا يثبتون لقتال، و من اشهر ما ورد في ذلك ما حدث ايام التتار عندما منع امراء مكة الحج و قطعوا الطريق اثنى عشرة سنة، فلما وصل حجاج مصر و الشام في ستمائة و ثمانية و خمسين تصدى لهم امير مكة و منعهم من كسوة الكعبة. فقال امير الحج لامير مكة: اما تخاف من الملك الظاهر بيبرس؟ فرد امير مكة قائلا: دعه يأتيني على الخيل البلق. فرجع امير الحج و اخبر السلطان فجمع له في السنة الثانية اربعة عشر الف فرس ابلق و جهزهم صحبة امير الحج و خرج بعدهم على ثلاث نوق عشاريات، فوافاهم عند دخولهم مكة و قد منعهم التتار و امير مكة، فحاربوهم فانهزموا و قتل والي التتار و امير مكة الذي طعنه السلطان بالرمح و قال له: انا الملك الظاهر جئتك بالخيل البلق، فوقع الى الارض ميتا و دخل السلطان الى مكة و كسا البيت و غسله و حج. و مع ذلك لم يعتبر امراء مكة و تآمر حميصة ابن ابي نمي امير مكة لاحقا مع خربندا حفيد هولاكو عندما اقتربت قواته من الشام و راسله طالبا جيشا مغوليا يساعد في اقامة دولة رافضية بالحجاز.[1] و قد نوه ابن تيمية عن سوء احوال اهل الحجاز بقوله "وأما سكان الحجاز فأكثرهم أو كثير منهم خارجون عن الشريعة، وفيهم من البدع

---

[1] لم تكن هذه اول مرة يستنجد شيوخ عصابات الحجاز باعداء الاسلام بل سبق ذلك ارسالهم البيعة بالخلافة لخلفاء "فسكات امزال" مؤسس الدولة الحفصية بتونس التابعة لدولة الدجال ابن تومرت الموحدي طلبا للشقاق و حبا في الفرقة.

والضلال والفجور ما لا يعلمه إلا الله. وأهل الإيمان والدين فيهم مستضعفون عاجزون، وإنما تكون القوة والعزة في هذا الوقت لغير أهل الإسلام بهذه البلاد. فلو ذلت هذه الطائفة (الدولة المملوكية) -والعياذ بالله تعالى- لكان المؤمنون بالحجاز من أذل الناس، لا سيما وقد غلب فيهم الرفض، وملك هؤلاء التتار المحاربون لله ورسوله الآن مرفوض، فلو غلبوا لفسد الحجاز بالكلية."[1]

و فيما تكثر الاشارة في كتابات الاسلاميين المتصدين لدراسة النوازل السياسية الى مذابح التتار في بغداد وهجمة الصليبي رينو دي شاتيون "ارناط" على قافلة الحجيج مما جعل صلاح الدين الايوبي يثور غاضبا و يندفع لاسترداد بيت المقدس الا انه لا يعلم ان احدا من المعاصرين تصدى لدراسة المذابح المتوالية التي قام بها اهل الجزيرة ضد الحجيج العزل طلبا للسلب و النهب عبر تاريخ الاسلام و التي قد يفوق مجموعها نتيجة مذابح التتار في بغداد حتى كاد يكون الخروج للحج في العصور القديمة اشبه بالعمليات الانتحارية. و في وصف احدى مذابح الحجيج التي كانت تتكرر احيانا مرة كل سنتين على ايدي اعراب الجزيرة في الاثنا عشر قرنا الاخيرة من تاريخ الاسلام يقول المؤرخ الشامي "و تبع ذلك الهجوم على قافلة الحاج في حوالي ١٠ صفر١١٧١/٢٤تشرين الاول١٧٥٧م في المنطقة بين تبوك و ذات حج حيث تعرضت قافلة الحج للنهب و السلب و القتل من قبل عرب بني صخر و حلفائهم من عرب

[1] مجموع الفتاوى(٥٣٢/٢٨-٥٣٤).

السردية و بني عقيل و بني كليب بقيادة شيخ القبيلة قعدان الفايز. و قبل الهجوم على القافلة تم محاصرتها في تبوك ما يقرب من اثنين و عشرين يوما. و قد قتل العربان معظم الحجاج[١] و "قتل عالم لا يعد من العسكر و الحجاج"[٢] بحيث لم يصل الى دمشق الا القليل و نهبوا جميع الحج. و قد ذكر البديري ما سمعه من اخبار مهاجمة القافلة "و اخبروا عن الاحوال و الاهوال التي حصلت للحجاج من النساء و الرجال من شر كفار العرب و لا شك، حيث ان هذه الافعال التي فعلت في الحجاج لا يفعلها عباد النيران؛ لانهم اخبروا انهم يشلحوا الرجل و يفتشوا تحت ابطيه و دبره و فمه و تحت خصيتيه، و ان وجدوا الرجل كبيرا بطنه او له قر اي قيلة شقوا بطنه و بقروا قره اي قيلته، و يدخلون ايديهم في دبر الرجال و في فروج النساء، و قد كانت المراة تضع الطين على قبلها و دبرها سترا لعورتها فيكشفونه. و حاصله صدرت من العرب امور ما سمعت من قديم الزمان و لا من عباد الاوثان و الصلبان."[٣]

كانت اللصوصية و السرقة و النهب حرفة شائعة لدى اهل نجد خاصة و الجزيرة عامة و من امثلة الحياة اليومية في نجد ما ورد في حوادث سنة ١٠٧٢هـ عندما "سار عبد الله ابن معمر امير العيينة الى القرية المعروفة بالبير في المحمل، و معه عسكر كثير و فيهم الشيخ القاضي سليمان بن علي (جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب) و غيره من الاعيان. و ذلك ان اهل البير اخذوا قافلة من اللباس لاهل

---

[١] "حسين باشا مكي"، خالد صافي، مجلة الجامعة الاسلامية بغزة (سلسلة الدراسات الانسانية)المجلد الثالث عشر-العدد الثاني، ص٣٥-٥٧- يونيو ٢٠٠٥.

[٢] نفس المصدر،بريك ص٥٨-٥٩

[٣] "حوادث دمشق اليومية ١١٥٤-١١٧٥هـ/١٧٤١-١٧٦٢م"، البديري الحلاق ، احمد(١٩٩٧)، تنقيح محمد سعيد القاسمي، تحقيق احمد عزت عبد الكريم، ط٢، دار سعد الدين للطباعة و النشر،دمشق.ص٢٤٨-٢٤٩

العيينة، لأن رئيس العيينة عبد الله المذكور اخذ لهم (بدوره) ابلا من سوانيهم، فاخذوا القافلة لاجلها . فسار اليهم ليسطوا عليهم. فلما وصل الى البير بجنوده جعل السطوة و اهل النجدة من قومه تحت جدار من جدران البير، فاراد الله سبحانه ان الجدار ينهدم على تلك السطوة، فمات منهم خلق كثير تحت الهدم."[١] او كما اجمل فيصل الدويش شيخ قبيلة مطير في القرن العشرين في رده على سيده عندما حاول منعه من الاغارة على العراق " و هكذا اصبحنا لا مسلمين نحارب الكفار و لا عربا بدوا يغير بعضنا على بعض و نعيش على ما ينهبه كل منا من الآخر فمنعتنا من ديننا و دنيانا"[٢] و كانوا لا يعرفون من دنياهم الا السرقة.

اجتاحت الدعوة السلفية البلاد بعد قرون من الضلال فهذبت اخلاق بعض اهلها الى حين و قمعت البعض الآخر. تعد الدولة السعودية الاولى منبع السلفية الحديثة و قد بدأت الدعوة تاخذ شكل دولة على يد الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب و الامير محمد بن سعود شيخ قرية الدرعية احدى قرى وادي حنيفة .لم يكن التحالف شرعيا خالصا فقد حاول محمد بن سعود ان يحظى بصفقة "مسيلمية" نجدية في بعض خصائصها مفادها "نستشيرك في الامر و يكون لنا الامر في حياتك و من بعدك"[٣] فوافق الشيخ ليصير بمعنى آخر مستشارا للشؤون الاسلامية و القضائية لدى شيخ القرية. كما طلب

---

[١] ابن بشر الحنبلي،"عنوان المجد في تاريخ نجد"، ج٢ ص ٣٢٩.

[٢] محمد جلال كشك، "السعوديون و الحل الاسلامي"، ص٦٥٢.

[٣] بحسب اقوال ابن بشر اشهر مؤرخو الامارة السعودية فان الشيخ محمد لم يعترض على توريث الحكم في العهد الذي اخذه على محمد بن سعود حيث قال:"ارجو ان تكون اماما يجتمع عليه المسلمون و ذريتك من بعدك." ابن بشر الحنبلي،"عنوان المجد في تاريخ نجد"،ج١ ص٤٢، حوادث سنة ١١٥٧هـ.

محمد بن سعود الابقاء على بعض المكوس و الاتاوات غير الشرعية المعروفة باسم "القانون"التي يفرضها على اهل الدرعية و لم يفعل الشيخ الا ان دعا له بان تغنيه الغنائم من الفتوحات عن تلك المكوس. و لا يعلم ان كان قد استغنى بالغنائم ام لا حيث تقول المصادر ان ابنه عبد العزيز و حفيده سعود بن عبد العزيز بن محمد كان لهما "قانون يسمى بيت المال والنكال"[1] و ان آل سعود كانوا "يقبضون من الاهالي الزكاة بالكمال، و يضربوا من تعدى او من تخلف عن الجهاد و ياخذون من ماله النكال[2]الكثير. . .من فرس او ذلول معروفة."[3]كضريبة بديلة عن التجنيد الاجباري.اعتزل الشيخ محمد بن عبد الوهاب المشاركة في الحكم او عزل فيما يشبه الاقامة الجبرية في السنوات التي تلت فتح الرياض.

في تلك المرحلة من تاريخ الامارة بدأ حكامها يفرضون مكوسا على حجاج العراق المارين بنجد و تبنوا خطا انتهازيا فيما يتعلق بطائفة اخرى منحرفة عقائديا من الطوائف التي استهدفتها تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب و هي الروافض؛ ففضلا عن اقرارهم على دينهم بصورة ما في تجمعاتهم بالاحساء -التي كانت الدولة قد بدات في الاستيلاء عليها- قامت الدولة مع توسعها شمالا و شرقا بالقضاء على قطاع الطرق النجديين المستقلين على طرق الحج البغدادي و العجمي الرافضي ثم قامت

---

[1] الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، "محمد علي وشبه الجزيرة العربية: تقرير خورشيد باشا حاكم نجد لمحمد علي" ، "محمد علي وشبه الجزيرة العربية" ، الجزء الثاني، ص ٥٥١- ٥٥٩

[2] ابن بشر الحنبلي "عنوان المجد في تاريخ نجد"، ج١ ص٢٨.

[3] ابن بشر الحنبلي "عنوان المجد في تاريخ نجد"، ج١ ص١٧١.

بقطع الطريق و فرضت اتاوة موحدة نظير تامين مسيرة حج الروافض[١] و السنة من و الى الحجاز بدلا من قطاع الطرق المتفرقين. و يبدو ان هذه الممارسات بدات منذ عهد عبد العزيز بن محمد بن سعود ثاني حكام الامارة الذي زكاه الشيخ بنفسه للحكم و توسعت حتى صارت في عهد ابنه سعود الكبير اهم حكام الدولة الاولى اكبر مصادر دخل الامارة السعودية. و يقول خورشيد باشا حاكم نجد من طرف والي مصر في رسالة الى محمد علي باشا بخصوص موارد نجد المالية "أمّا في عهد سعود فكان أكثر مكسبه من حجاج العجم، بقدومهم من طريق بغداد فلا يتعرض لهم احد بسبب سعود. فإذا حجوا وأرادوا العودة فإنهم يدفعون لسعود عن كل شخص عشرة أو خمسة عشر ذهب يلديز[٢]، وهي العوائد التي كانوا يدفعونها للبدو[٣] فكان يربح سعود من هذه العوائد شيئًا كثيرًا."[٤] و بالنظر الى ما سبق تكون الهجمات السعودية على مراقد الروافض بكربلاء مجرد غارات قطع طريق عشائرية مدفوعة في الاصل بطلب الغنائم و التوسع بدلا من ان تكون حربا عقائدية لاعلاء الدين و العقيدة الصحيحة كما تروج المصادر التاريخية السعودية.[٥] و يعضد ذلك الطرح مراسلات سعود مع باشا

---

[١] و قد لاحظ غرابة ذلك الامر كنج يوسف باشا والي دمشق حيث اورد في خطاب له لمحمد علي باشا ان "جنود الوهابية منعوا حجاج الشام من التقدم للحجاز و قرأوا عليهم "انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام في عامهم هذا"...بينما لم يمنعوا الايرانيين من متابعة السفر لمكة و المدينة لأداء فريضة الحج.وهو امر ناتج عن بغض خاص لحجاج الدولة العلية". الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم،"من تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث،الدولة السعودية الاولى"،الجزء الاول ص٣٧٩،الطبعة السادسة، دار الكتاب الجامعي.

[٢] ذهب يلديز: يلديز التوني، عملة عثمانية ذهبية تساوي وقتها ما يقرب من عشرة ريالات فرانسة ذهبية.

[٣] يقول ابن بشر الحنبلي ان زمان آل سعود الاوائل شهد سير "الظعينة من العراق و الشام و البحرين و البصرة و ما حولهم و ما دونهم لا تخشى احدا الا الله الواحد المنان و بطلت في زمانهم جوايز الاعراب على الدروب فلم يجسر احد من سراقهم و لا فسقتهم فضلا عن رؤسائهم ان ياخذ عقالا فما فوقه من الاثمان." ابن بشر الحنبلي، عنوان المجد في تاريخ نجد"ج١، ص٢٧. و يبدو ان ابن بشر اعتبر ان اخذ الاعراب السعوديون للمكوس و الجوايز عن مرور القوافل بدلا من الاعراب الآخرين علامة على استتباب الامن.

[٤] الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، "محمد علي وشبه الجزيرة العربية"، الجزء الثاني، ص ٥٥١- ٥٥٩.

[٥] و لا يمنع من ذلك الطرح قيام الامارة السعودية الاولى بهدم اضرحة و قباب الروافض في الاحساء حيث قامت الامارة الثالثة في بعد اكثر من مائة سنة في عهد عبد العزيز بن عبد الرحمن بهدمها ايضا و لكنها تركت الروافض على معتقدهم مما سبب خلافا مسلحا بين عبد العزيز و حلفاءه من الاخوان.

بغداد التي اصر فيها على ان مجال النفوذ الشرعي لقبائل نجد الخاضعة له هو جميع الاراضي الصحراوية وصولا الى الفرات مما يعني استهدافه مناطق العشائر السنية في الانبار و ليس فقط مراقد الروافض في كربلاء المجاورة.

صارت الدولة السعودية الاولى في آخر ايامها نظاما عشائريا اتهازيا جل همه اطالة امد الاسرة الحاكمة و ارتبطت باتفاقية تعاون غامضة مع الانكليز[١] الذين بداوا يوجدون نواة قوة عسكرية استعمارية في الخليج في هذا الوقت و كان الامير سعود بن عبد العزيز بن محمد ثالث حكامها الذي قيل ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب زكى وراثته للحكم قبل موته ارسل يهادن ملك الفرس الروافض في شيراز و البريطانيين في بوشهر[٢] و يبدي استعداده لاجابة طلباتهم متزلفا اليهم ليساعدوه عندما شرعت الدولة العثمانية في قتاله. بعد موت الشيخ محمد بن عبد الوهاب اتخذ ورثته في حرصهم على ادامة سلطتهم منحى منحرفا و قسموا شؤون المسلمين الى علم ظاهر يتعلق بالبطون و الفروج يمكن لعوام المسلمين السائمة الكلام فيها و علوم باطنية تختص بولاة الامور يديرونها بغير حساب و لا

---

[١] كان سعود بن عبد العزيز و ابوه عبد العزيز بن محمد قبله يتلقون الهدايا من الوفود البريطانية و كانت السفن البريطانية المسلحة المتجهة للبصرة مؤمنة من قبل عبد الله بن سعود في شمال الخليج، و لا يعلم تأثير تلك الهدايا او الرشاوى (التي ضمت اسلحة بريطانية) في تراخي الدولة الاولى في التصدي للوجود البريطاني في الكويت والبحرين الذي استفحل في زمان تلك الدولة، خاصة و ان ادارة الهند البريطانية التي كانت تتولى تسيير شؤون اعراب الجزيرة كانت تكتفي احيانا عند تعاملها مع شيوخ العشائر الصغيرة التافهة عسكريا بتعهدات شفهية من شيخ العشيرة اشبه ما تكون بمعاهدات التعاون الامني و مكافحة الارهاب الاسلامي التي يبرمها حكام العصر الحالي خفية مع الغرب و ان كانت آثارها تظهر على الواقع العسكري و السياسي. و لعل الدافع لسرية و شفهية تلك التعهدات هو عدم الدخول في مصادمة مع الدولة العثمانية التي كانت تعتبر تلك المناطق ضمن نطاق نفوذها.

[٢] مذكرات بومباي (سجلات المكتب السياسي بادارة شركة الهند الشرقية البريطانية)، مذكرة ٤٠٥/سنة ١٨١٤ ص ١٤٨-١٥٠، جامعة اكسيتر.

رقيب و يتهم من يتكلم فيها بانه من الخوارج[1] مثل عقد المعاهدات التآمرية مع الانكليز و الروافض و شؤون الحكم الاخرى التي لا يحق لاحد مناقشتها الا اهل الكشف والعلم بالباطن من آل سعود .

مرت العلاقات بين الامارة السعودية الاولى و بريطانيا بعدة مراحل؛ اولها مرحلة وصول قوات عبد العزيز بن محمد لسواحل الخليج و قيامه بغارات مسرحية على الكويت مقر الوكالة البريطانية و انسحابه بعد غارات يقتل فيها عشرين رجل و ثلاثين رجل و تسرق فيها بعض الاغنام كما حدث في غزوة ابن عفيصان(١٧٩٣) و غزوة مناع ابو رجلين(١٧٩٧) و ما تبع ذلك من تصدي حراس الوكالة البريطانية للغزاة الذين انسحبوا بسلاسة. تبع ذلك بسنة تقريبا زيارة الضابط رينود[2] مبعوث صمويل مانيستي مسؤول الوكالة البريطانية بالخليج للدرعية سنة ١٢١٤هـ/١٧٩٩م.كانت تلك الزيارة رد فعل من بريطانيا على قيام ثاني حكام الامارة السعودية عبدالعزيز بن محمد قبلها باشهر بارسال مندوب إلى استانبول محملاً بالهدايا ورسالة إلى السلطان العثماني[3]فارادت استمالته قبل ان يدخل في طاعة العثمانيين و لو اسميا او يرتبط معهم بمعاهدة.

---

[1] يقول احد كبار مشعبذي الامارة الثانية في رده على من انتقد التهاون في تطبيق الشرع و ابرام معاهدات مع الدولة المصرية التي اجمع مشايخ نجد على تكفيرها ان "الكلام في الموالاة والمعاداة، والمصالحة، والمكاتبات، وبذل الإموال والهدايا، ونحو ذلك ...لا يتكلم فيها إلا العلماء من ذوي الألباب، ومن رزق الفهم عن الله، وأوتي الحكمة وفصل الخطاب " و يقصد بهم نفسه و من سمح لهم الامير. عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ "مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الامام و نسبه الى تكفير اهل الايمان و الاسلام" ص١١

[2] "العلاقة السعودية البريطانية"، العلاقات الخارجية للدولة السعودية الاولى، موسوعة مقاتل من الصحراء.

[3] وثيقة رقم ٣٨٤١ تاريخ ٤ صفر ١٢١٣هـ الموجودة في خطي همايون بأرشيف مجلس الوزراء العثماني باستانبول. د. عبداللطيف بن محمد الحميد."مواجهة موضوعية مع طروحات هيكل".جريدة الرياض الجمعة ١٤ رجب ١٤٢٦هـ - ١٩ أغسطس ٢٠٠٥م - العدد ١٣٥٧٠

قام رينود بحمل هدايا لعبد العزيز بن محمد الذي استقبله استقبالا حسنا و ابرما اتفاقات شفهية و غيرها لم يعثر لها على اثر الا ان الحملات السعودية على الكويت توقفت لخمس سنوات بالتمام حتى ١٢١٩هـ/١٨٠٤م عندما قام الامير الجديد سعود بن عبد العزيز بعد موت اباه بسنة بغارة مسرحية على الجهراء الكويتية و اكتفى بالاستطلاع و الرحيل دون اشتباك. و مع ان قوات سعودية ضخمة تقدر بالالاف اغارت في السنوات التالية عدة مرات في ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م و ١٧٩٤م و ١٨٠١م و ١٨٠٨م على اهداف عراقية متعددة مثل الزبير و السماوة و سوق الشيوخ وصولا الى مئات الكيلومترات داخل العمق العراقي مثل غارة كربلاء بغرض معاقبة الكفار الخارجين عن الشرع الا ان الكويت القريبة الصغيرة الخارجة عن الشرع ايضا كانت دوما تحظى بفقاعة حماية غير مرئية[١] تجعل السرايا السعودية المغيرة تزاور عنها ذات اليمين في ايابها و تقرضها ذات اليسار في ذهابها . حظيت البحرين المشمولة بالعطف البريطاني بحماية مشابهة و لما استنجد احد حكامها بسعود ارسل اليه من ينصره ثم حاول ابن عفيصان قائد جيش سعود الاستيلاء على الجزيرة و ضمها لحكم الدرعية في ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م الا ان البحرانيون و معهم الفرس و اهل مسقط و الانكليز انقلبوا عليه و اسروا والي البحرين السعودي. لم يفعل سعود شيئا الا اطلاق رهائنه من آل خليفة ليعودوا لحكم البحرين بشرط ان يدفعوا له الزكاة و تركهم للبريطانيين و ذهب يغزو بادية الشام و لم ينظر للبحرين الصغيرة المجاورة مرة اخرى .و يبدو ان التعايش السلمي بين البحرية البريطانية و الامارة السعودية لفت انتباه

---

[١] تقول الفقرة السادسة من معاهدة دارين التي ابرمها عبد العزيز آل سعود مع بريطانيا في ١٩١٥ بعد قرن من تلك الاحداث:" يتعهد ابن سعود -كما تعهد آباءه من قبل – بأن يمتنع عن كل تجاوز أو تدخل في أرض الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ و رؤساء القبائل الآخرين الذين هم تحت حماية انجلترا والذين لهم معاهدات معها".

العثمانيين فحاول سليمان باشا والي الشام العثماني ان ينصح سعود و يتحداه و ارسل اليه رسالة صدرها باسمه كوالي تابع للدولة العثمانية "ايدها الله الى يوم القيامة و ثبتها على عقيدة اهل السنة و الجماعة" قال فيها:" فان كان شهواتكم في اعانة الاسلام بالمقاتلة و المعاندة فقاتلوا اعداء الدين الكفرة الفجرة لا الملة الاسلامية." الا ان سعود رد عليه بقوله ان المسلم الذي يعادي الاسلام و ينابذ اهله لا يصير مسلما و لا من اهل الجماعة."[1] و لا شك ان تقارير مماثلة عن تعاون آل سعود مع بريطانيا في الخليج كانت تصل الى اسطنبول من ولاة بغداد و البصرة لتبرير فشلهم في ردع التوغل البريطاني في الخليج.

يلفت النظر انه في نفس السنة التي جرى فيها اول لقاء معلن بين ممثل بريطاني و بين عبد العزيز بن محمد بن سعود شيخ الدرعية كانت بريطانيا تقضي على تيبو سلطان اقوى ملوك الهند الاسلامية الذي كال لها الهزائم لسنوات ثم انتهى قتيلا امام قصره و سيفه بيده بعد معارك استخدم فيها ما يعد اول النماذج المعروفة للصواريخ في التاريخ العسكري .و لا شك ان خبر تلك الحرب التي خاضتها بريطانيا لسنوات لاخضاع مسلمي الهند بلغ سواحل الخليج و الاحساء المرتبطة اقتصاديا و ملاحيا بالهند كما تدل مراسلات تيبو سلطان مع سلطان عمان. الا انه على خلاف دول الاسلام العظمى القديمة مثل الدولة المملوكية[2] و العثمانية في زمان قوتها و حميتها للاسلام عندما كانت تبعث النجدات

---

[1] محمد جلال كشك "السعوديون و الحل الاسلامي"، ص ١٢٧.

[2] سقطت الدولة المملوكية فيما كان احد اساطيلها في الطريق لنجدة سلاطين الكوجرات في الهند و بعض سفنها تقاتل ضمن اسطول امير البحر عروج برباروسا ضد ايطاليا البابوية و امبراطورية اسبانيا للتخفيف عن مسلمي الاندلس المضطهدين.

من الغرب لاهل الهند او على الاقل تتألم لمصابهم و تهدد الغزاة البرتغاليين فان شيخ اعراب نجد لم يعرف عنه انه -مع الاعتراف بعجزه عن ارسال اي مدد بحري للهند- احتج و لو بالقول على جرائم بريطانيا في حق مسلمي الهند و هم ربع مسلمو العالم تقريبا بل تقبل هداياها بسرور بالغ كالذي ينبع من اعتراف دولة عظمى بقاطع طريق عشائري مغمور. كانت بريطانيا قد بدأت قبل ذلك اللقاء باكثر من خمس عشرة سنة في ارسال هدايا لا يعرف كنها و لو انها بالتأكيد تضمنت اسلحة اثناء تولي وليم لاتوش[1] مقيمية البصرة قبل سقوط الرياض و سقوط امارة بني خالد بالاحساء و قبل موت محمد عبد الوهاب، الذي لابد انه علم بها، بعشر سنوات، و هي هدايا وصفها السير هارفورد بريدجز مساعد المقيم التالي بانها "كانت صغيرة و لكن سعود (يقصد عبد العزيز) كان يعبر عن رضاه لتلقيها."[2]

كانت ثمان سنوات قد مرت على موت الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب يوم جرى ذلك اللقاء. و يلفت النظر ايضا ان المكتب السياسي البريطاني في الهند كان قد رصد باهتمام قبل تلك الزيارة باثنتي عشر عاما سفارة بين تيبو سلطان و السلطان العثماني[3] طلب فيها تيبو سلطان من السلطان عبد الحميد الاول التحالف عسكريا ضد البريطانيين و دعا السلطان للقيام بحملة عسكرية ضد بريطانيا. كما طلب من السلطان العثماني السماح له بادارة مستودعات تجارية للبضائع الهندية

---

[1] وليم جورج ديجز لاتوش المقيم البريطاني في البصرة حتى سنة ١١٩٨هـ/١٧٨٤م

[2] Sir Harford Jones Brydges, Bart, "An account of the transactions of his majetsy's mission to the court of Persia in the years 1807-11, to which is appended a brief history of the Wahauby",Vol.2,p.15

[3] مذكرات بومباي ١٧٨٧/٣٥.

بالبصرة مقابل منح الدولة العثمانية مرافق مماثلة في ميسور جنوب الهند و طلب من الدولة العثمانية مده بخبراء في صناعة المدفعية. شهدت السنوات التي تلت تلك السفارة مباشرة تدهور قوة بني خالد حكام الاحساء و شاطئ الخليج (المتعاونين مع بريطانيا[١] و المعتمدين على السلاح الاوروبي المصدر للبقاء خارج دائرة نفوذ الدولة العثمانية) و حلول آل سعود مكانهم على سواحل الخليج.

بين تلك الاحداث تظهر في الوثائق البريطانية اشارات لطيفة لحقيقة العلاقة بين الطرفين، ففي مايو ١٨٠٧ كتب مانيستي مدير الوكالة البريطانية بالبصرة لرؤسائه ان "عبد الرحمن وكيل الشيخ الوهابي سعود بن عبد العزيز في القرين (الكويت) سلمني رسالة قال فيها ان سيده يرغب في تمتين اواصر الصداقة معي و ان يتعرف على اسباب خلافي مع الحكومة العثمانية ملمحا على ما يبدو الى تلهف الامير سعود للانضمام الى اي خطة هجومية حربية ضد باشا بغداد."[٢] و كان باشا بغداد قد امر مدير الوكالة في تلك الفترة بالرحيل عن الارضي العراقية لما كان من خلاف بين الدولة العثمانية و بريطانيا بسبب حملة فريزر على مصر و تعديات بريطانية اخرى على الاراضي العثمانية منها المعاهدات التي ابرمها الضابط ديفيد سيتون المقيم بعمان مع شيوخ عشائر ساحل عمان (الامارات العربية المتحدة حاليا).

---

[1] Captain G. Forester Sadlier"Diary of a Journey across Arabia",P. 27

[٢] مذكرات بومباي ١٨٠٧/٢١٠.

و يورد جيمس موريير عضو بعثة شركة الهند الشرقية البريطانية لدى شاه ايران نص رسالة مترجمة ارسلها سعود بن عبد العزيز الى البعثة البريطانية عقب حملتها على راس الخيمة في ١٨٠٩ و تحطيمها لاسطول القواسم قال فيها ما مفاده ان "سبب العداوة بيننا و بين قومنا انهم اعرضوا عن كتاب ربهم و سنة نبيهم، و نحن لم نعادي اي ملة اخرى و لا تدخلنا في اعمالها و غزواتها و لم نساعدها ضد اعدائها . مع اننا بحول الله و قوته على اعدائنا ظاهرين. . و لذا فاني اطمئنكم اننا لا نقترب من سواحلكم و منعت اهل ديننا و سفنهم من التعرض لسفنكم. و من يريد من تجاركم ان يمر بسواحلنا او ياتي لموانئنا يكون في امان و نطلب المثل لمن اتاكم من عندنا . و لا يفرحنكم احراق بعض السفن فلا قيمة لهم عندي و لا عند اصحابها و لا اهل تلك البلاد، و الحق ان الحرب مرة و الاحمق هو من يندفع اليها كما قال الشاعر."[1]

و كما كان سعود و ابوه من قبله حريصان على رضا بريطانيا كانت بريطانيا حريصة على رضاهما و لو على حساب حلفائها القدامى ففي مراسلة بتاريخ يوليو ١٨٠٩ تجازف بريطانيا باغضاب حليفها شاه فارس و بني كعب و روافض العراق و ترفض تسليم شحنة اسلحة لروافض النجف ليدافعوا بها عن انفسهم ضد غارات السعوديين و تبرر المراسلة ذلك الخذلان بعدم استفزاز "الوهابيين الذين كنا

[1] Morrier, J., A journey through Persia, Armenia and Asia Minor to Constantinople, London, 1816, P.362

نهدف الى البقاء دوما معهم على افضل صلة."[1]كما رفضت مساندة حليفها سلطان مسقط بعدما تعرض للهزيمة على يد جيش سعودي.

اما المرحلة التالية فتعبر عنها الاحداث و المراسلات التي وقعت في عهد سعود بن عبد العزيز بعد مضي عامين على دخول الجيش المصري الى الجزيرة واستيلاءه على الحجاز و مداخل نجد و قبل اسبوعين من وصول محمد علي باشا الى الحجاز ليفتتح المرحلة الثانية من الحرب. فقد ارسل سعود مبعوثا في صيف ١٨١٣ اسمه ابراهيم بن عبد الكريم الى فارس بغرض ابرام الصلح و معاهدات الصداقة مع شاه الروافض و ازالة اسباب غضب الشاه بخصوص الغارات السعودية على المراقد الرافضية بالعراق. و فيما ذكر المبعوث النجدي للضابط البريطاني ان الزيارة كانت تهدف لاثناء شاه الروافض عن القيام بالحملة عسكرية التي توعد بالقيام بها ضد الامارة السعودية انتقاما لتدمير المراقد فان الضابط البريطاني تشكك في صحة ذلك التبرير بالنظر الى ان الحكومة الفارسية كانت لا تسيطر على سواحل الخليج و ليس باستطاعتها القيام باي حملة ناجحة على ساحل الخليج الغربي فضلا عن التوغل في بيداء نجد. استقبل الشاه مبعوث سعود استقبالا حسنا و حمله بالهدايا لسيده. و فيما كانت البعثة تسعى ظاهرا لشراء حياد فارس و ضمان مرور الامدادات عبر فارس و الخليج مقابل التعهد بعدم التعدي على الروافض في الجزيرة و العراق و ربما السكوت عن ضم فارس لبعض المناطق

---

[1] مذكرات بومباي ١٨٠٩/٣٤٦.

التي تطمع فيها في الخليج مثل البحرين الا ان الهدف الاهم كان لقاء الضابط السياسي البريطاني في بوشهر.

ثم قام المبعوث اثناء زيارته لفارس بلقاء الضابط البريطاني بروس مدير الوكالة البريطانية ببوشهر على ساحل الخليج الفارسي و نقل اليه" تمنيات اميره سعود بالدخول في روابط مودة و صداقة متبادلة مع الحكومة البريطانية بما ينفع الطرفين. و يقول المبعوث انه بالنظر ليقين سيده التام بمدى قوة البريطانيين في البحر التي لا تقف امامها اي قوة اخرى فانه يامل في معاهدة تفتح بمقتضاها موانئ الدولتين[١] و تقوم تجارة حرة لا يقيدها قيد[٢] بين رعايا الدولتين." وافقت بريطانيا مع اشتراطها ان تتضمن المعاهدة ليس فقط مظاهر السلام السلبي من عدم اعتداء و حرية ملاحة فقط بل و تعداها الى قيام سعود بحماية السفن البريطانية التجارية المسلحة و الحربية التي ترسو لاي سبب طارئ او للتموين بالماء و الوقود و الحطب على شواطئ الخليج الغربية و ان يتعهد بمنع رعاياه من التعدي على السفن البريطانية المسلحة المارة في مياه الخليج و بالتالي يفسح لها المجال لتؤدي مهامها التجسسية بدون عوائق.[٣] و يبدو ان التنازلات التي كان سعود مستعدا لتقديمها كانت كبيرة لان بروس ارسل يقترح على رئيسه حاكم بومباي البريطاني ان يرسل سفنا و ضباطا بريطانيين لمسح السواحل الغربية للخليج الخاضعة

[١] بما ان سفن الامارة السعودية كانت بالكاد تبلغ البحرين المجاورة فلا شك ان فتح موانئ الدولتين لم يكن يعني السماح برسو السفن السعودية في مرفأي لندن و ليفربول و انما يقتصر الامر على رسو السفن البريطانية المسلحة على شواطئ الاحساء و القطيف.

[٢] بما ان الامارة السعودية القاحلة لم يكن لديها الكثير مما تنتجه و تبيعه لبريطانيا باستثناء التمر و جريد النخل و تموين سفن الاسطول البريطاني في الخليج فالمقصود من التجارة الحرة التي لا يقيدها قيد هو سماح بريطانيا بوصول شحنات الاسلحة و المدافع و الذخائر البريطانية و الاوروبية و المواد التموينية من الهند البريطانية لسعود لتعينه في التصدي لمحمد علي و العثمانيين.

[٣] مذكرات بومباي ١٨١٤/٤٠٥.

للامـارة السـعودية لرؤيـة مـا يمكـن الاسـتفادة منـها الا ان حـاكم بومبـاي بعـد ان ثمـن الفكـرة اعتـذر بعـدم تـوافر السـفن و الامكانـات اللازمـة في ذلـك الوقـت للقيـام بمهمـة المسـح. و قـد زكـى الوكيـل البريطـاني الفكـرة لرؤسـائه بـالقول ان "التعـاون مـع القـوة الوهابيـة لـه فوائـد اهمهـا السـيطرة التامـة علـى القرصـنة العربيـة في المسـتقبل و تحويـل هـذا الامـة الهمجيـة المتوحشـة (اهـل نجـد) مـن سـراق و قطـاع طـرق الى رعايـا صـالحين (لبريطانيا) فضلا عن فتح ساحل الخليج الغربي للانشطة التجارية."[1]

امـا المرحلـة الثالثـة فـيمكن الاسـتدلال علـى بعـض خفاياهـا[2] مـن خـلال رسـالة عبـد الله بـن سـعود رابـع و آخـر حكـام الامـارة السـعودية الاولي لـبروس مـدير الوكالـة البريطانيـة في بوشـهر جنـوب الخلـيج قبـل سـقوط الدرعيـة و القـبض عليـه بـثلاث سـنوات. و يقـول بـروس في مقدمـة ترجمتـه للرسـالة "مرفـق طيـه رسـالة وصـلتني مـن شـيخ الوهـابيين عبـد الله بـن سـعود و رسـالة منـه لحليفـه رحمـة بـن جـابر الجلاهمـة، و تـرون مـن رسـالة شـيخ الوهـابيين انـه محـدد للغايـة فيمـا يخـص قيامنـا بحمايـة اي مـن قبائـل تلـك المنطقـة او اعطائهـا تصـاريح سـفر بريطانيـة و اعتـبر ان ضـم اي قبائـل غـير المتفـق عليهـا للحمايـة البريطانيـة يعتـبر مخالفا للاتفاقية التي تربط بيننا."

---

[1] مذكرات بومباي ١٨١٤/٤٠٥.

[2] تـرفض بريطانيـا حتـى اليـوم بعـد ١٩٠ سـنة الكشـف عـن نـص المعاهـدات بـين سـعود بـن عبـد العزيـز و عبـد الله بـن سـعود و بريطانيـا فـي الامـارة السـعودية الاولـى و توجـد صـفحات كثيـرة فارغـة او منتزعـة فـي موضـع تلـك المعاهـدات فـي الجـزء المنشـور مـن السـجلات السياسـية لحكومـة الهنـد البريطانيـة الموكلـة بـادارة شـؤون امـارات الخلـيج العربـي. و يتكـرر الامـر فيمـا يخـص المعاهـدات بـين حكـام الامـارة السـعودية الثانيـة و بريطانيـا و ان كانـت الاشـارات تتكـرر فـي مراسـلات كثيـر مـن اولئـك الحكـام مـع بريطانيـا الـى"المعاهـدات التـي ابرمهـا ابـائي معكـم." و ظلـت بريطانيـا تبـرم اتفاقيـات سـرية مـع حكـام المنطقـة لتفـادي اغضـاب العثمـانيين حتـى قيـام الحـرب العالميـة الاولـى و مـن اشـهرها اتفاقيـة خضـوع حـاكم البحـرين فـي منتصـف القـرن التاسـع عشـر و اتفاقيـة حمايـة ١٨٩٩ السـرية مـع مبـارك الصـباح الكـويتي. و داومـت الدولـة العثمانيـة قبـل الحـرب العالميـة الاولـى علـى الاشـتراط فـي مفاوضـاتها مـع امـراء الريـاض ان يسلموها نصوص معاهداتهم السرية مع بريطانيا بلا جدوى.

يقول عبد الله بن سعود بن عبد العزيز في رسالته للضابط بروس "بعد التحية. . .ينبغي ان تعلموا انه مما لا يرضيني ان يقوم رحمة (بن جابر) او غيره بافساد الروابط التي تربطنا معكم، و لكن في الوقت نفسه عليكم الا تدخلوا بيننا اشخاصا لم تشملهم اتفاقيتنا . و انتم تعلمون جيدا ان اهل البصرة و الشيخ بن رزق و آخرين هم من رعايا الاتراك و ان الحرب بيننا لها زمان طويل، و لذلك لا نستطيع احتسابهم كتابعين لكم في ما يخص الاتفاقية المنعقدة بيننا و بينكم او نسمح لاخرين غير منصوص عليهم في المعاهدة بان ينعموا بالمزايا التي توفرها الاتفاقية المنعقدة بيني و الحكومة البريطانية. و لذلك فاني لا حق لي في ان اطلب من رحمة اعادة سفينة الشيخ بن رزق[١] التي استولى عليها الا في حالة واحدة؛ ان يكون رحمة بن جابر قد تعهد لك باتفاق منفصل شمل ضمن اطرافه الشيخ بن رزق، في تلك الحالة يحق لكم اجبار رحمة على دفع التعويضات. اما لو حاول التملص من اداء تلك التعويضات و الحقوق، على افتراض انه تعهد بذلك ابتداء، فعليكم ان تعلموني و سارغمه على تادية ما يتوجب عليه.

من ناحية اخرى اذا اتضح انه ليس بينكم و بينه من العهود غير ما يلزمه كتابع لي يشمله ما بيني و بينكم ففي هذه الحالة فان مطالباتكم له لا وجه لها، و ينبغي في هذا الموضع ان اكرر و اطالب ان لا تدخلوا بيننا اطرافا انا في حالة عداء معها و الا تعطوا تلك الاطراف تصاريح مرور بريطانية حيث

---

[١] تاجر كبير بالبصرة.

انـــني ســـوف لا اعتبرهـــا ملزمـــة لي في تلـــك الحالـــة. امـــا مـــا يخـــص اولئـــك الكـــلاب الاتـــراك[١] فـــانهم عـــدو لي و يسـعون في بـث الفـتن بـيني و بيـنكم. ان لكـم منـا ان تحـترم مـن يمـر بنـا مـن قبيلـتكم (القبيلـة البريطانيـة) و لا نسـمح لرعايانـا بـان يتعرضـوا لهـم بـادنى سـوء و لكـن لا تسـمحوا باندسـاس اعـدائي مـع قـومكم و لا تعطوهم تصاريح مرور."[٢]

و في رســالة اخــرى مؤرخــة فبرايــر ١٨١٧ يكتــب عبــد الله بــن ســعود لــبروس المقــيم البريطــاني في الخلــيج مكــررا تعهــده بعــدم التعــرض للســفن البريطانيــة و الاوربيــة المســلحة و التجاريــة الــتي تحمــل علــم بريطانيــا لكنــه حــذر مــن انــه سيســتمر في ســلب نهــب الســفن الاخــرى قــائلا:"و بالنســبة للســفن التابعــة لغــير الانكليــز فــانني حــر مــن اي قيــد في ذلــك.اذ كيــف تتصــورون اننــا نعيــد الــيكم الغنــائم الــتي اســتولينا عليهــا مــن اعــدائنا؟. . . .غــير انــني اعتــبر نفســي المســؤل عــن ســلوك جميــع المســلمين تجــاه الرعايــا الانكليــز و لعــى اي حــال فــإن اهــالي مصــر و الــيمن و الشــحر و المكــلا و مســقط و الــرعقين و الفــرس لخاضــعين لســعيد بــن ســلطان كلــهم اعــدائي و اننــا بحــول الله و قوتــه ســوف نقــوم بقتلــهم و الاســتيلاء علــى ممتلكــاتهم في اي مكــان نجدهم فيها، و في ذلك تنفيذ لاوامر الله الذي نحمده و نشكره."[٣]

---

[١] كـان التسـامح و المسـالمة مـع البحريـة البريطانيـة التـي تقضـم اطـراف الجزيـرة و سـائر بـلاد المسـلمين يقابلهمـا غـل "نجـدي" شـديد ضـد العثمـانيين و المصـريين حتـى قـال فيصـل بـن سـعود عنـدما دعـي لصـلح محمد علـي "لا اصـلح الله منـا مـن يصـالحكم***حتـى يصـالح ذئـب الغـنم راعيهـا" مـع انـه كـان يصـالح بريطانيـا و شـاه الفـرس الـروافض و ظـل شـاعر القبيلـة يسـجع حتـى قتـل لاحقـا قبـل ان يدركـه المدد البريطاني.

[٢] مذكرات بومباي ١٨١٥/٤٢٢.

[٣] مـذكرات بومبـاي السـرية، سـجلات بوشـهر ١٨١٧/٢/٢٥ مـن عبـد الله بـن سـعود الـى بـروس، "بريطانيـا و الخلـيج" (كيلـي، ١٩٧٩) ج ١، ص ٢٢٩

بـذلك يكـون آخـر حكـام الامـارة السـعودية قـد تحـول الى محصـل للـديون البريطانيـة و حاميـا لسـفنها الغازيـة و خفـرا لسـواحلها . و رغـم ان التـاريخ الاسـلامي يحفـل بالمعاهـدات الشـرعية بـين المسـلمين و غيرهـم الا ان معاهـدات نهايـة الامـارة السـعودية الاولى كانـت تحمـل طابعـا آخـر و هـو طـابع اقـرار قـوة نصـرانية مسـلحة علـى مـا اغتصـبته مـن اراضـي اسـلامية و التجـول داخـل البحـار الداخليـة لـديار الاسـلام والسـماح لهـا بالتنقـل بـين نقـاط سـيطرتها علـى سـواحل الجزيـرة بـل و انشـاء نقـاط جديـدة في المنـاطق الخارجـة عـن حـدود الامـارة السـعودية الصـغيرة كـل ذلـك مـع تمتعهـا بـالتمون مـن شـواطئ الامـارة السـعودية اثنـاء تنفيـذها لخططهـا في ظـل حمايـة آل سـعود لهـا مـن اي هجمـات عشـائرية. لا تعلـم مـدة سـريان المعاهـدة و لكـن السـجلات السـرية لحكومـة الهنـد البريطانيـة تـورد فحـوى رسـالة كتبـها فيصـل بـن تركـي بـن عبـد الله آل سـعود تاسـع حكـام آل سـعود للمقـيم البريطـاني في الخلـيج في ينـاير ١٨٥٤ م يـذكره فيهـا بوجـود اتفـاق بـين اسـلافه السـعوديين (في الامـارة السـعودية الاولى) و بـين بريطانيـا تعهـدوا فيـه بالمحافظـة علـى السـلام في الخلـيج (امـن سـفن بريطانيـا و محمياتهـا في الخلـيج) لمـدة مائـة عـام مقابـل ان تـترك لهـم بريطانيـا حكـم السـاحل المحصـور بـين عمـان و الكويـت[١] مـع مـا يتضـمنه ذلـك مـن عـدم اعاقـة وصـول امـدادات السـلاح و الـذخيرة البريطانيـة و الاوربيـة للامـارة السـعودية تحـت عنـوان حريـة التجـارة. و لا يـنقص مـن قيمـة ذلـك التعـاون قيـام القواسـم في راس الخيمـة بـبعض الغـارات علـى السـفن الهنديـة لان

---

[١] عبد الفتاح حسن ابو علية،" تاريخ الدولة السعودية الثانية"، ص١٦٥.

القواسم كانوا تابعين اسميا فقط للامارة السعودية التي لم تستطع ان تفرض عليهم حاكما من عندها بل ان حكام القواسم راسلوا بريطانيا سرا في ١٨١٤ قبل سقوط الدرعية بسنوات و عرضوا عليها التوقف عن القرصنة في الخليج لو حمتهم بريطانيا من سطوة آل سعود[١] . و لا يستبعد ان تكون الامارة السعودية قد حرضت القواسم في بعض الاحيان للاغارة على السفن الهندية كما كان يحدث مع الغارات المسرحية التي قامت بها القوات السعودية على الكويت و البحرين الواقعتين تحت السيطرة البريطانية بغرض ابتزاز بعض الامدادت من البحرية البريطانية و الحصول على شروط افضل في معاهدات التعاون و ما يعرف بمكافحة القرصنة التي كان حكام الدرعية يلحون في عقدها مع بريطانيا .

استطاعت الامارة السعودية التغلب على نجد و الاحساء ثم استغلت انشغال العثمانيين و ولاة مصر المشرفين على الحجاز[٢] بقتال الفرنسيين ثم الانكليز الذين دهموا مصر و تمددت غربا فاكتسحت الحجاز و بثت سراياها الى اطراف بوادي اليمن و العراق والشام. كان اتمام الاستيلاء على حصون مكة و المدينة و وقف الحج المصري و الشامي متزامنا مع اشتداد الحرب بين محمد علي و المماليك في مصر و مع انطلاق حملة فريزر البريطانية للاغارة على مصر. بعد الانتهاء من آثار الغزو الفرنسي و البريطاني و فرارهما من مصر تفرغ العثمانيون لاستعادة السيطرة على الجزيرة فارسل والي مصر محمد

---

[1] C.U.Aitchison," A Collection Of Treaties, Engagements And Sanads: Relating To India And Neighbouring Countries" Turkish Arabia, Persian Gulf, Arabia and Africa p.45

[٢] كانت منطقة الحجاز تابعة عسكريا لولاة مصر منذ العهد المملوكي و ادى الغزو الفرنسي لمصر الذي دام ثلاث سنوات الى انقطاع ورود المدد العسكري لحامية جدة. و قد انسحبت آخر حاميات عسكرية مصرية من قلاعها بشمال الحجاز في ١٨٩٢ و سلمتها للسلطات العثمانية.

علي باشا ابنه احمد طوسون الذي لم يبلغ العشرين في حملة مكونة من ثمانية آلاف راجل و فارس استولت على الحجاز و تم اسر غالب شريف مكة[١] و ترحيله مسجونا الى مصر ثم سالونيك باليونان حيث مات. كان الشريف غالب نموذجا للسياسي الاعرابي الفاسد و احد اول افراد اسرته تعاملا مع بريطانيا ففضلا عن الرشاوى التي كان يقبضها فقد عرف عنه ممالأة نابليون بونابرت ابان احتلاله لمصر ثم الانكليز عندما رجحت كفتهم ضد نابليون ثم السلطان العثماني ثم سعود بن عبد العزيز بعد ان فشلت مساعيه في الاستنجاد بالمقيم البريطاني باليمن ضد الغزو النجدي[٢] وصولا الى التآمر مع محمد علي باشا ضد سعود بن عبد العزيز ثم التآمر مع سعود ثم العودة لخدمة محمد علي باشا .

في ذاك الوقت كان سعود بن عبد العزيز قد مات و تولى بعده ابنه عبد الله الذي يأس من المدد البريطاني و الرافضي و زاد الوضع العسكري في عهده سوءا مما ادى به ان يعرض على طوسون باشا الخضوع لوالي المدينة المعين من قبل محمد علي باشا في نظير وقف التوغل في اتجاه الدرعية. و لما ايقن عبد الله بن سعود ان ملكه زائل ارسل ايضا رسالة محفوظة بدار الكتب المصرية للسلطان اعلن فيها خضوعه قال فيها :" بسم الله الرحمن الرحيم. . الحمد لله الذي جعل للداء العضال دواء، وحسم وألف نيات الأعداء السيئة بالصلح والصلاح، اللذين كانا أول مانع من الوقوع في المهالك المهلكة، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأصفيائه محمد خاتم أنبيائه الذي بلغ أحسن أنبائه وبعد: فإني

---

[١] كان غالب بن مساعد عميلا مزدوجا لسعود و محمد علي كما كان يتعاون مع نابليون و اعداءه الانكليز في نفس الوقت اثناء الاحتلال الفرنسي لمصر. و عرف عنه انه بعد دخوله في طاعة سعود كان يفرض المكوس الباهظة على التجار المسلمين الوافدين للحجاز من خارج الجزيرة و يقول "انا آخذ المكوس من (اولئك) الكفار فقط".

[2] Capt. J. G. Vashen (H.M.S. Fox) to Duncan, Mocha Road ,13th July 1804

أطوف حول الكعبة آمال العبيد التي هي أعتاب دولة مولانا قطب دائرة الوجود، وروح جسد العالم الموجود، وملاذ الحاجز والبادي، ومحط رحال آمال الرائح والغادي، علم الأعلام، إنسان عين أعيان الأنام، من نام في ظل عدله كل خائف، ولجأ إلى حماه كل عاقل عارف، ذي الأخلاق هي أرق من نسيم الصبا، مع الهيبة التي تحل من أجله الحبا، سلطان البرين، وخاقان البحرين، الذي برز بطلعته طالع السمو، السلطان ابن السلطان، سيدنا السلطان محمود الغازي، وأقدم عريضتي هذه المشتملة على الضراعة، وهي أنه لما كان عبدكم هذا من المسلمين الذين لا ينفكون عن أداء شروط الإسلام، التي هي إعلاء كلمة الشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام، ومنع الظلمة من الإضرار بالناس كف أيديهم" ا.هـ. ثم سرد الأمير عبدالله بن سعود بعد ذلك كيف افترى أشراف مكة عليه عند السلطان العثماني لقتاله، وأنهم كتبوا عرائض مزورة إلى السلطات باسم الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد تعلن العصيان، ورفض الحجاج الذين يأتون من الآفاق، ويتابع الأمير رسالته قائلا: "وعلى العموم فإن كل ما نسب إلى عبدكم هذا من أمور الطغيان والخروج كلها ناشئ عن دسيسة الشريف المشار إليه" ، ثم يقول في ختام رسالته: "قدمت عريضتي هذه التي هي أشهر من المثل السائر مصداقا لصداقتي على أن لا أنفك عن قيد الإطاعة، وأن أعد من عبيدكم القائمين بجميع خدمات الدولة العليا، فهي برهان قاطع يشهد بأني قائم بالدعوات في الأعياد والمحافل وعلى المنابر بدوام عمركم ودولتكم."[١]

---

[١] عبدالرحيم عبد الرحمن عبدالرحيم، " الدولة السعودية الأولى"، ص٣٩٢-٣٩٣.

و يحفظ التاريخ مراسلة طوسون لابيه عن نتيجة المحادثات التي افضت للهدنة مع ابن سعود و انسحب بمقتضاها طوسون من نجد حيث ابلغ طوسون باشا اباه والي مصر بان "عبد الله ندم على ما فات و قرر اتخاذ موقف الحياد و عدم التعرض بوجه من الوجوه لاي قبائل او عربان ما عدا عربان الدرعية، و اعلن قبوله بان تصبح البلاد كلها مستظلة بظل الدولة العلية و تحت جناح عدالتها، رافعة لواء الطاعة و الخضوع، و ان يذكر دائما اسم الذات العلية الشاهانية في كافة المحافل و المنابر و القراءات و الادعية، و ان يتمسك بهذه الطريقة في المستقبل فلا ينحرف عنها و انما يلتزم جادة الصلاح و الطاعة فلا تدور على الالسنة اي كلمات خلاف التي نص عليها الشرع الشريف و القرآن الحكيم، و ان تترك تماما تلك الالفاظ و العبارات التي يتلفظ بها العربان متحدين بها المخالفين لهم. . . و قد تعهد ببذل مساعيه الجدية في سبيل تنفيذ الاوامر العلية السلطانية و القيام بما تامر به من خدمات دون اهمال او تقصير."[١] وافق طوسون على الصلح و ارتحل من نجد عائدا الى مصر حيث مات في نفس السنة بالطاعون.

ظن عبد الله بن سعود ان حملة محمد علي باشا فورة ما تلبث ان تخبو مثل حملة والي بغداد[٢] و والي دمشق او لعله اطمأن الى توكيدات بريطانية بالحماية فنقض العهد[١] و شرع في الاغارة عبر القصيم

---

[١] محمد جلال كشك، "السعوديون و الحل الاسلامي"، ص ١٩٤.
[٢] لم يستطع والي بغداد القضاء على الدرعية مع انه اقرب الولاة العثمانيين لها لانشغاله الدائم بالتصدي لغزوات شاه الروافض و ثورات الاكراد فضلا عن ان معظم القوات المتوافرة لديه كانت ميليشيات عشائرية غير نظامية تقاتل الى جانب الدولة عندما يناسبها ذلك و تتمرد في الاوقات الاخرى.

بالمخالفة للهدنة و ارسل مكاتيب لقبائل غامد و زهران في عسير يحرضهم على نقض عهودهم مع محمد علي و الالتفاف على القوات المصرية فابلغوها لمحمد علي الذي غضب لذلك و اصر على استسلام الدرعية و استأنفت القوات المصرية الزحف على نجد . ارسل عبدالله بن سعود الشيخ صالح بن رشيد[٢] الحربي إلى ابراهيم باشا ليفاوضه على الصلح مرة ثانية فوافق الباشا على الصلح بخمسة شروط هي: أن يدفع له ابن سعود نفقات الحملة كاملة، وأن يدفع له المتأخر من رواتب الجنود، وأن يعطيه ألفي حصان وثلاثة آلاف جمل، وأن يعطيه مؤنة كاملة للجيش لمدة ستة شهور قادمة ، وأن يقدم له اثنين من أولاده رهينة لديه فرد عليه الشيخ صالح بقوله: "ما هذا؟ إنك تفاوض سلطان نجد ولا تخاطب فلاحا مصريا"، فاسرها الباشا في نفسه.لم يتطلب الامر اكثر من فتى من فتيان محمد علي باشا على راس فرقة صغيرة من فرق الجيش المصري قوامها سبعة آلاف فارس للقضاء على سلطنة نجد الاعرابية الوهمية العظمى. ظلت الدرعية ممتنعة لبضعة اشهر و المدد ياتيها من الاحساء و الكويت و ساحل الخليج حيث البحرية البريطانية الى ان احكم عليها الحصار فاستسلم الاعراب.و قد كان السلاح الذي سمحت بريطانيا بوصوله اليهم وفيرا حتى ان ابراهيم باشا ذكر في رسالة النصر لابيه انه غنم ستين مدفعا[٣] هذا بخلاف ما دمر في الحرب و ما اخفاه آل سعود ليستعمل لاحقا وكل هذا في بلاد لا تنتج بندقية و لا رصاصة. فلما دخل ابراهيم باشا

---

[١] عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، تحقيق "عنوان المجد في تاريخ نجد"لابن بشر، الطبعة الرابعة ١٤٠٢/١٩٨٢ الرياض، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ج١ ص٣٨٢ هامش. و ينقل المحقق عن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب في مقاماته المطبوعة في الجزء التاسع من الدرر السنية في الاجوبة النجدية ص٢٣٦.

[٢] كذا في عنوان المجد لابن بشر و يقال ان صحتها صالح بن راشد الحربي من اهل الرس.

[٣] اليكسي فاسيلييف،" تاريخ العربية السعودية"، الفصل الخامس ١٣١

الدرعية أمر بالقبض على بعض الزعماء والعلماء ونكل بهم تنكيلا شنيعا فمنهم من طرحوا مقيدين تحت سنابك الخيل ومنهم من وضعوا مكبلين عند فوهة المدفع فقطعهم إرباً و طير أوصالهم في الهواء و من اولئك الشيخ صالح الحربي[١] رسول "امبراطور نجد"، و كان بعض اهل الدرعية يشيرون الى آل سعود و آل الشيخ من بين الاسرى و يعينونهم لضباط ابراهيم باشا و يتهمونهم بانهم سبب البلاء .

كان "سلطان نجد"[٢] المذكور ضعيفا لدرجة ان اباه في ذروة قوة الدولة السعودية لم يستطع غزو قرية الكويت الصحراوية التي لم يبلغ سكانها الثلاثين الف نسمة و لا جزيرة البحرين القزمة، و ارتدت قواته خائبة امام قرية راس الخيمة كما عجزت لاحقا عن فتح جدة بعد غزو الحجاز و لم يعرف عنه من الانتصارات "السلطانية" الا الاغارة لبضعة ساعات[٣] على المزارات الرافضية في كربلاء التي لم يكن يحرسها الا مقاتلو عشائر الاعراب الروافض المسلحين باسلحة بدائية و سيوف و رماح[٤]، و الانتصار في بعض الوقائع التافهة الشبيهة بمباريات كرة القدم المباعة سلفا حيث يلتقي المقاتلون على الطريقة الاعرابية و يتصايحون و يعلو الغبار و ما ان يقتل بضعة افراد منهم حتى يولون الادبار . و يحلل ضابط مدفعية فرنسي عمل مع والي بغداد ابان الغارات السعودية الاولى على بوادي العراق اسلوب اعراب

---

[١] منير العجلاني،"تاريخ الدولة السعودية الاولى".
[٢] ظلت عقدة السلطنة تسري في دماء آل سعود حتى انعم بها البريطانيين على عبد العزيز آل سعود نظير تبعيته لهم في معاهدة دارين فصار في الحقيقة سلطانا بلا سلطان.
[٣] استمرت الغارة صبيحة نهار ثم فرت "الجيوش المنصورة و الخيل العتاق المشهورة" كما يسميها ابن بشر مؤرخ الحركة الاعرابية قبل ان تصل قوات والي بغداد.
[٤] يصف ضابط فرنسي عمل في خدمة باشا بغداد في تلك الفترة كربلاء بانها "بلدة ابنيتها تعيسة غير محصنة... و يقطنها حوالي ستة آلاف شخص." لويس دوكورانسي "الوهابيون تاريخ ما اهمله التاريخ"، ص٣٠، رياض الريس للنشر.

نجـد القتـالي بقولـه:" هـم لا يحـافظون علـى اي نظـام في القتـال و لا يباشـرونه الا اذا وجـدوا ان العـدو مستضـعف لدرجـة لا تـترك لديـه ارادة المقاومـة. . . .و اقـل مقاومـة تحـبط عـزائمهم فيبتعـدون سـريعا عـن اعـدائهم ثـم يعـودون فيلحقـون بهـا مـع البقـاء خـارج متنـاول اسـلحتهم. . .يهربـون عنـدما يتوجـه العـدو نحـوهم ثـم يعـودون لاقتفـاء اثـره حالمـا اسـتدار لمتابعـة طريقـه. . . و هـذه الطريقـة في القتـال كانـت طريقـة البـدو علـى مـر الزمـان و لـيس الوهـابيون اليـوم سـوى هـؤلاء البـدو انفسـهم و قـد جمعـوا قـواهم تحـت لـواء رئيس واحد بدلا من تجزئتها بين الف قبيلة مستقلة."[1]

و علـى نفـس المنـوال يصـف الرحالـة البريطـاني بيرتـون[2] معركـة اعرابيـة وقعـت اثنـاء زيارتـه للمدينـة في منتصـف القـرن التاسـع عشـر المـيلادي بعـد تلـك الاحـداث بقليـل بقولـه:"كـان القلـق العـام يـزداد بسـبب عـدم اسـتقرار الأوضـاع في المنـاطق المحيطـة بالمدينـة[3]، لقـد شـبت حـرب هائلـة مـابين قبـيلتي الحـوازم والأحامـدة[4] ، ويقـدر عـدد الأحامـدة مـابين ٣-٤ آلاف مقاتـل، والحـوازم ٧٠٠ مقاتـل وهـم انتحـاريون يقـاتلون قتـال المتـهور اليـائس.ولقـد انقضـوا علـى جنـاحي عـدوّهم المتفـوّق عـدداً تحـت قيـادة شـيخيهما الـدمويين عبـاس وأبـي علـي. وسـبب الحـرب يعـود إلى خـلاف بـين رجلـين أحـدهما حـازمي والآخـر أحمـدي.اسـتمرت الحـرب لبضـعة أيـام، وكـان صـوت إطـلاق النـار يُـدَوِّي في الجبـال ويُسـمع بوضـوح في

---

[1] المرجع السابق ص٧١.
[2] د / محمد بـن عبـد الهـادي الشـيباني "بيرتـون وصـورة المدينـة فـي رحلتـه عـام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م" (القسـم الثـاني) مجلـة مركـز بحـوث ودراسات المدينة المنورة.
[3] رحلة بيرتون الى المدينة ١٢١/٢.
[4] بطنان من قبيلة حرب. ومساكنهم وادي الصفراء حيث الطريق إلى مكة.

المدينة،لقـد رأيـت البـدو في المدينـة مُهتـاجين هياجـاً شـديداً، كـل واحـد يحمـل سـلاحه ويريـد أن يشـترك في هذه المعركة، توقّف القتال بعدما فقد الجانبان عشرة رجال!"[1]

امـا الجاسـوس الانكليـزي بلغريـف الـذي اقـام بالريـاض في فـترة لاحقـة فيقـيم العـادات القتاليـة لاهـل الجزيـرة بقولـه:" و معـارك البـدو و منازعـاتهم كـثيرة و لكنـها لا تزهـق الارواح؛ لان الهـدف الرئيسـي مـن الاغـارة هـو الغنـائم و لـيس القتـل؛ و بـرغم ان البـدوي متـبجح فظيـع الا انـه يحمـل في داخلـه قلبـا يمنعـه مـن ان يكـون قـاتلا او قتـيلا. و البـدو يـروون بالسـاعات الطـوال قصصـا عـن صـلابة الـراي و سـفك الـدماء في حـروبهم مـع هـذه القبيلـة او تلـك، و يـوردون بيانـا عـن المعـارك يضـعها في مصـاف معركـة بالأكلافـا او معركـة واترلـو[2]، الى ان يحـين الوقـت الـذي يتطـرق المسـتمع فيـه بهـدوء الى معرفـة عـدد الضـحايا، الـذي حـدده الـراوي مـرتجلا "بـالآلاف"، ليكتشـف ان ذلـك العـدد قـد انخفـض الى العـددين المتواضـعين "اثنـان" او "ثلاثـة". بـل ان هـذين العـددين لا يـدخلان ايضـا في عـداد الامـوات، لانهمـا يكونـا قـد اصـيبا بجـروح طفيفة، و يظهران احياءا من جديد في رواية اليوم التالي."[3]

كانـت القبائـل النجديـة لا تعـرف مـن القتـال الا "الهوشـات" و "العرضـات" و مـا اعتادتـه مـن الاغـارة علـى قوافـل الحجـيج العـزل علـى طريقـة الهنـود الحمـر مـع فـارق الشـجاعة بـين الهنـود الحمـر الـذين ارهقـوا الجيـوش

---

[1] المرجع السابق ١٦٢/٢.
[2] معركـة فـي ١٨١٥م بـين جـيش نـابليون مـن جهـة و قـوات بريطانيـة/المانيـة/هولنديـة متحـدة مـن جهـة اخـرى اسـفرت عـن مقتـل و اصابة ما يقرب من خمسين الف جندي من الطرفين.
[3] وليم جيفورد بالجريف،"وسط الجزيرة العربية و شرقها" ج١ ص٥٣

البريطانية و الاميركية لمائتي عام و قطاع الطرق النجديين الذين فر جيشهم من امام نفر قليل من حراس الوكالة البريطانية بالكويت و عدد مشابه بالبحرين. يمكن ادراك تفاهة تلك المواجهات الاعرابية التي تنتهي بمقتل عشرة رجال اذا علم انه بعد ثماني سنوات من الحوادث التي وصفها يرتون تواجهت اجناد دولة ناشئة تدعى الولايات المتحدة الاميركية في حرب اهلية استمرت ثلاث سنوات قتل فيها اكثر من خمسمائة الف من الطرفين و بلغ معدل القتلى في بعض الليالي ما يقرب من عشرين الف قتيل.

قام ابراهيم باشا بتدمير الدرعية و بعث اميرها مكبلا الى اسطنبول حيث قتله السلطان محمود بعد ان شهر به و عومل كلص وضيع و حقق معه و مع خازنه لايام بتهمة سرقة كنوز الكعبة و الحجرة النبوية ثم علقت جثته على باب قصر السلطان و اقيمت الاحتفالات بالنصر على "الخوارج". كما اقتيد آل سلطان نجد و سكان الدرعية الى حيث بيع بعضهم "للفلاحين المصريين" في القاهرة.[١] لم يكن الشيخ صالح الاعرابي الناطق باسم سليطين نجد الذي اقام امارته في غفلة من المسلمين يعلم ان الفلاح المصري[٢] كان يبيع و يشتري الضباط البريطانيين الاسرى[٣] و يزين شوارع رشيد و القاهرة برؤوس قادة بريطانيين ارفع مقاما من ضابط شركة الهند البريطانية الصغير في بوشهر (الذي وقف

---

[١] تم اسكان من لم يبع من سبايا آل سعود و آل الشيخ و اهل الدرعية و نجد في منطقة الحنفي و سوق مكة بين الناصرية بحي السيدة زينب و حي عابدين.

[٢] ظلت عقدة الفلاح المصري مسيطرة على اذهان حكام نجد و استخدمت لبث الكراهية ضد العرب السنة خارج الجزيرة لخدمة اغراض السياسات الغربية التفريقية. و يتربى الاطفال المسعودون في العصر الحديث على ان الدولة السعودية الاولى كانت احياءا للخلافة الراشدة حتى اتى "المصريون" و هدموها بدون ذكر تعاملات آخر حكام الدولة الاولى المشبوهة مع شاه الروافض العجم و البريطانيين. و يروي شهود عيان ان الملك سعود بن عبد العزيز الشهير "بسعود حبيب اليهود" كان يردد بفرح في مجالسه ابان الغزو الثلاثي البريطاني- الفرنسي- الاسرائيلي لمصر في حرب السويس "حانت ساعة البكباشي (جمال عبد الناصر رئيس مصر)".

[٣] كان من شروط الصلح عقب هزيمة حملة فريزر على مصر تحرير الجنود و الضباط البريطانيين الارقاء الذين تداولتهم الايدي بالبيع عقب اسرهم و استخدموا كمماليك و اسلم بعضهم.

سفراء "سلطان" البدو اياما طوالا ببابه طمعا في نظرة عطف و رضا) بعد ان هزم لتوه حملة انكليزية و طرد جيشا امبراطوريا فرنسيا ثم ثلث بهزيمة الوالي العثماني و الحامية الانكشارية في شوارع القاهرة و عين بقوة سلاح عوام القاهرة الضابط الالباني محمد علي حاكما تحت رقابة علماء مصر على شرط ان يحكم بالكتاب و السنة فيما كان سيده "سلطان نجد" يجتهد في طلب المدد من ضابط بريطاني صغير في الخليج . بالمقارنة كان "الاعرابي النجدي" يعيش في وهم الامبراطورية النجدية فيما لا يستطيع منع حاكمه من ابرام اتفاقيات مشبوهة مع النصارى و الروافض و لا منع القوات البريطانية القليلة العدد من التجول امامه على شواطئ الجزيرة من الكويت الى عمان و يطاطئ راسه في ذلة و صغار لمرآهم .لم يعلم الشيخ صالح الاعرابي[١] ايضا ان سليطين نجد قد ارسل رسلا للقاهرة يعلن خضوعه للسلطان العثماني و استعداده لاجابة طلبات الدولة نظير استخدامه كعامل على نجد تابعا لعامل المدينة المنورة التابع بدوره لوالي مصر من قبل السلطان فاقام الحجة على نفسه امام محمد علي باشا انه طالب ملك انفصالي و ليس مقاتلا عقائديا و هو ما شجع الباشا على رفض طلبه و استئناف الحرب. كان تركيز حكام الامارة السعودية الاولى على قتال العثمانيين مع التغاضي عن النفوذ العسكري البريطاني المتنامي في منطقة الخليج و شرق الجزيرة سيؤدي الى الاخلال بموازين

---

[١] كان شيوخ الاعراب و سلطانهم يعيشون حالة من الجهل المطبق في الفقاعة النجدية و يظنون ان شيخ قريتهم سعود الذي كان يخاطب السلطان سليم العثماني بقوله "من سعود الى سليم" ند للسلطان العثماني. اما عن معرفتهم بما يجري حولهم فلا ادل عليه من ان فخر مؤرخو الدولة السعودية ابن بشر كتب بعد سقوط الدرعية بعقود ان احد قادة الجيش الذي دخل الى الجزيرة هو "احمد بن نابرت"(عنوان المجد ج١ ص ٣٢٨) و وافقه في ذلك المؤرخين الفاخري و بن عيسى، وطفق يستطرد في الحديث عن "ابن نابرت" و لا يدري ان هذا الامير المملوكي المصري و اسمه بالكامل الامير احمد آغا الخازندار الملقب ببونابرته الخازندار المعروف بموقفه في هزيمة الحملة الانكليزية على رشيد سمي كذلك على اسم الامبراطور نابليون بونابرت الفرنسي اثناء غزو مصر لما كان بينهم من شبه و ليس لان اباه اسمه نابرت، و لا يظن ان احدا من كبار علماء نجد كان يعرف اسم الامبراطور الذي غزا الشام و مصر قلب ديار الاسلام و دانت له اوروبا من موسكو حتى اسبانيا فيما هم منشغلون بتمجيد امير رعاة الابل الصغير سلطان بيداء نجد.

القوى لصالح الانكليز مع اضعاف الدولة العثمانية في اقرب جبهات التماس مع بريطانيا في ولاية البصرة جنوب العراق، و يمكن القول ان سقوط الدولة السعودية الاولى مع ما كان له من نتائج مؤسفة على الصعيد العقائدي الا انه على الجانب العسكري و السياسي كانت له حسناته التي تمثلت في تأخير سقوط شمال الخليج و العراق و ما وراء ذلك في يد بريطانيا لمائة عام قادمة.

بسقوط الدولة السعودية عادت قبائل العرب لقطع الطريق و ذبح الحجيج و بعضهم بعضا بالاضافة للعمل مع البريطانيين علنا . لم تترك دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب اثرا اخلاقيا كبيرا في نفوس عامة اهل نجد و شرق الجزيرة، و في وصف حال تلك البلاد يقول ابن بشر النجدي الناطق باسم آل سعود "و اعلم رحمك الله ان هذه الجزيرة النجدية هي موضع الاختلاف و الفتن، و ماوى الشرور و المحن، و القتل و النهب، و العدوان بين اهل القرى و البلدان، و نخوة الجاهلية بين قبائل العربان، يتقاتلون في وسط البيوت و الاسواق، و الحرب بينهم قائمة على ساق، و تعذرت الاسفار فيها من قديم و حديث، و الطيب فيها مغلوب تحت يد الخبيث." [١]

اما الرحالة الغربيين فلم يكونوا افضل حالا في وصفهم لاهل نجد و الجزيرة عامة. و في ذلك يقول الجاسوس البريطاني كابتن سادلير -المبعوث من حكومة الهند لمراقبة تقدم ابراهيم باشا- في وصف مشاهداته بعد اسابيع من سقوط الامارة السعودية الاولى "ان مماطلة و مخادعة و كذب و غدر و

---

[١] ابن بشر الحنبلي النجدي"عنوان المجد في تاريخ نجد"، ج٢ ص٨.

غـش و احتيـال البـدوي لا يمكـن وصـفها لاوروبـي بـاي لغـة يمكـن ان تصـور لعقلـه الطبيعـة الحقيقيـة لتلـك الجحافـل مـن اللصـوص. ان محاولـة التفـاهم معهـم علـى اسـاس اي مبـدأ مـن مبـادئ العـدل او الحـق او الانصـاف و الضـمير هـي محاولـة مـثيرة للسـخرية، و ان محاولـة حملـهم علـى الالتـزام بوعـد او عقـد هـي امـر لا جـدوى منـه الا ان كـان لـديك مـن القـوة مـا يمكنـك مـن الـزامهم بـذلك[١] . . . و هـم جـنس همجـي غـير متحضـر و اغلـب الظـن انهـم اصـعب اهـل الارض انقيـادا لنظـام اوحكـم او سـيطرة"[٢] و لم يكـن تقييمـه لاهـل الحضـر و منـهم اهـل المدينـة افضـل بكثيرحيـث قـال فـيهم" انهـم يتعيشـون مـن الاعانـات الـتي تـرد مـن الخـارج و صـدقات الحجـيج و عطايـا السـلطان، و مـع ان العـالم المحمـدي (كـذا) يـدعم معيشـة اولئـك المتسـولين الكسـالى المتـبطلين فـانهم يعتقـدون ان ثـراءهم مـن تلـك الصـدقات يعطـيهم حـق التكـبر و التعامـل مع الحجاج المتصدقين عليهم بتعالي و غطرسة"[٣]

و يـرى سـادلير ان" الاعـراب تخلـوا عـن آل سـعود فـور ان زالـت قـوتهم حيـث ان اولئـك الاعـراب كـانوا اتباعـا للعقيـدة في السـراء فقـط عنـدما كانـت الامـارة قويـة و كانـت تسـمح لهـم بـالغزو معهـا و تقاسـم الغنـائم و هـي الخصـلة الـتي احسـن سـعود بـن عبـد العزيـز الاول اسـتغلالها و لم يسـمح لهـم بالبقـاء خـاملين، فيمـا كـان تجاهـل عبـد الله بـن سـعود لـذلك الامـر سـببا مـن اسـباب خسـارته و زاد الامـر فداحـة في اعـين الاعراب انعزاله في الحصون و القرى الكبيرة عقب هزيمته في الماويه."[٤]

---

[1] Captain G. Forester Sadlier"Diary of a Journey across Arabia",P. 40
[2] Captain G. Forester Sadlier"Diary of a Journey across Arabia",P. 45
[3] Captain G. Forester Sadlier"Diary of a Journey across Arabia",P. 93
[4] Captain G. Forester Sadlier"Diary of a Journey across Arabia",P. 122

بلغ جيش ابراهيم باشا الاحساء و راسله الانكليز-بعد تهنئته بالنصر- في التعاون لضمان امن الملاحة في الخليج لاختبار نواياه تجاههم و خططه التوسعية في الجزيرة فلم يبرم معهم امرا خاصة و قد كانت محاولة الانكليز غزو مصر بالتعاون مع بعض امراء المماليك المصريين اعداء ابيه و هزيمة الحملة الانكليزية على يد المصريين في معركة رشيد قريبة لم يمض عليها بضع سنين. و بالنظر الى ان بريطانيا علمت ان اول اوامر السلطان لمحمد علي عقيب توليه حكم مصر كانت تسيير جيش لاسترداد الحجاز و هو الامر الذي عطله لسنوات الغزو البريطاني لشمال مصر و مؤامرات بريطانيا المتكررة لاعادة المماليك للحكم و عزل محمد علي فيمكن القول ان تلك الحملات و المؤامرات البريطانية التي استمرت لاكثر من خمسة عشر سنة قبل سقوط الدرعية و عشرين سنة اخرى بعدها كانت دعما غير مباشر للامارة السعودية عن طريق اشغال الحاكم العثماني الوحيد القادر على القضاء عليها . كما يمكن رؤية ذلك في تزامن حملة البحرية البريطانية على رشيد و الاسكندرية مع حملة سعود على الحجاز. و لا شك ان محمد علي فطن بدهائه لذلك عندما طلب من بريطانيا بمكر السماح لفرقاطة مدرعة تابعة له بالابحار من الاسكندرية الى البحر الاحمر لدعم الحملة عن طريق ميناء راس الرجاء الصالح الخاضع لسلطة بريطانيا باقصى الجنوب الافريقي فرفضت بريطانيا[1] و لعلها لم تشأ ايضا ان تتفتح عيناه على الاراضي الاسلامية الواقعة على سواحل شرق افريقيا التي حاول ابناؤه التمدد اليها فيما بعد .

---

[1] Burkhardt, John Lewis, "Notes on the Bedouins and the Wahabys", p.252, Colburn and Bently, London, 1831.

ادى تقييم سادلير لسوء نوايا ابراهيم باشا الى اتخاذ البريطانيين قرارا فيما بعد بالتغاضي عن مساعي احياء الامارة السعودية لان ضعفها مقارنة بمحمد علي باشا يسمح بتمرير المخطط البريطانية في بلاد الاسلام و الخليج .اما قطاع الطرق النجديين فقد تعلموا درسا هاما من الحوادث السابقة و هو انه لا سبيل للخلاص من "الفلاح المصري " او التركي البغيض الى قلوبهم الا بالتحالف مع القوى العظمى من النصارى. و رغم ما قيل عن فظائع ابراهيم باشا و قسوته في التعامل مع اهل نجد الا انها كانت اجراءات رمزية موضعية لم تنجح في فرض حل نهائي لمشكلة اعراب الجزيرة و منعهم من التمرد و الاتصال بالنصارى مستقبلا. و قد حاول ابراهيم باشا البقاء في نجد و الاحساء لانهاء المهمة الا ان السلطان العثماني نهاه عن اكمال مهمته او التقدم شرقا الى مناطق النفوذ البريطاني في الخليج و امره بالانسحاب من نجد بعد ان حدث انزال بريطاني في القطيف لانذار الدولة العثمانية ان احتلال ساحل الخليج امر محظور .كان مغزى الاشارة البريطانية هو استعدادها لتمويل الخارجين عن الدولة في الاحساء و شرق نجد لحرب عصابات ضد جيش ابراهيم، كما كان تلويحها بالرحيل مقابل رحيل قوات ابراهيم باشا من نجد تهديدا او امرا غير مباشر للدولة العثمانية باخلاء الساحة لحلفائها القدامى من بقايا آل سعود للعودة للحكم .و قد انسحبت القوة البريطانية بالفعل عقب انسحاب ابراهيم باشا من نجد و تركت الساحة لعودة آل سعود في حماية بريطانيا .

كان محمد علي قائدا لفرقة من المتطوعين اليونانيين المقدونيين قاتلت الفرنسيين مع الجيش العثماني و المماليك و اهل مصر حتى اجلتهم، ثم قاتلت البريطانيين مع مسلمو رشيد و الدلتا و هزمت حملتهم

على مصر. ولاه عوام القاهرة على البلاد بمشورة علماء الازهر للتخلص من حالة الفوضى الناتجة عن تصارع عصابات الجند المملوكي و العثماني و الالباني بالمدفعية في الشوارع لثلاث سنوات و اشترطوا عليه الحكم بالكتاب و السنة و هو يتمنع و يدعي الزهد، الا ان محمد علي كان انتهازيا يطمع في حكم الدولة العثمانية كلها و ما وراءها، و رغم ان انتهازيته و فساد عقيدته و تجاهله للشرع اضعفوا المسلمين في النهاية مقابل اوروبا الا انه-خلافا للدعايات السعودية الحديثة- كان اكبر من ان يكون جاسوسا لاي دولة خاصة و قد كان يعتبر نفسه[1] امبراطورا ندا لملك انكلترا و فرنسا و السلطان العثماني و غيرهم معتمدا على اتساع مملكته و جيشه الحديث[2] الذي دعمه بضم الاسطول العثماني كما لم يكن الفارق المادي بين جيشه و الجيش الفرنسي يومها (مقارنة بالحاضر) بالذي يبرر تلك العمالة او الخضوع خاصة و ان فرنسا كانت دولة ممزقة بعد هزيمتها في الحروب النابليونية و حتى عندما واتتها بقية من قوة استخدمتها في تدمير الاسطول المصري في نفارين باليونان. و من المعروف انه رفض معاونة فرنسا في غزوها للجزائر او معاونة بريطانيا في الحملة على قواسم راس الخيمة المتهمين بالقرصنة مع ان بريطانيا عرضت عليه اعطاءه راس الخيمة ان قبل بالتعاون في الحملة بل و اصطدم معهم عسكريا عدة مرات اثناء حكمه و كان يزين مداخل قصوره في ١٨٠٧ برؤوس ضباطهم على اسنة الرماح و هو ما لا يمكن قوله عن حكام الامارة السعودية.

---

[1] و بشهادة احد اشد معارضيه و هو عبد الرحمن الجبرتي شيخ مؤرخو عصره ان محمد علي " لو وفق لشئ من العدالة على ما فيه من الرياسة و الشهامة و التدبير و المطاولة لكان اعجوبة زمانه و فريد قرانه." عبد الرحمن الجبرتي "عجائب الآثار في التراجم و الاخبار" ج٤ ص٢٥٨.

[2] يقول سفير الامبراطورية النمساوية المجرية باسطنبول معاصر محمد علي:"ان طموحا خارقا يتحكم به.و اعتقد انه بحاجة لعشر سنوات من السلام ليجعل من مصر قوة خامسة بعد روسيا و انكلترا وفرنسا و النمسا." جوزف حجار،اوروبا و مصير الشرق العربي؛حرب الاستعمار على محمد علي و النهضة العربية ص١٠

لم يكن محمد علي ليتهيب الفرنسيين و الانكليز لهذه الدرجة و قد طردهم لتوه من مصر ثم كون دولة تشمل جزيرة العرب باكملها تقريبا و مصر و الشام و نصف الاناضول و السودان و كريت اليونانية ليصبح احد القوى العظمى في زمانه. بل و يعرف عن محمد علي انه جمع القناصل الاوروبيين بالقاهرة في ايام اشتداد الازمة المحيطة بغزواته و اعلان الدول الاوروبية حمايتها للقسطنطينية و اعلمهم انه اذا ما حاولت روسيا دخول القسطنطينية فسيدفع بابنه ابراهيم باشا لغزو الاناضول "لحماية الاسلام و المسلمين" متحديا بذلك قوى اوروبا مجتمعة.[١] على الجانب الآخر كان الفارق بين شيخ عشائر قطاع الطرق النجدية الضعيف الصغير الذي يواجه الابادة و بريطانيا كبيرا بدرجة تسمح بدعم اي طرح عن خضوع آخر امراء الدولة السعودية الاولى لاهداف بريطانيا في الخليج و لعله كان ينظر الى التوسع البريطاني في مناطق النفوذ العثماني شمال الخليج و في الهند و ساحل فارس و عمان بموجب عقيدته على انه امر لا يعنيه بما ان بقية العالم الاسلامي من الكفار.

تظهر المراسلات البريطانية الهندية في تلك المرحلة ان دوائر الحكومة البريطانية كانت قلقة للغاية من عدم استجابة محمد على لطلبها بالتعاون الامني البحري في الخليج و من تحركاته العسكرية على سواحل اليمن و مراسلاته مع سلطان عمان و اطماعه في مسقط و البحرين وصول قواته الى القطيف و تساءلت تلك الدوائر وقتها عما اذا كانت تلك التحركات ينبغي اعتبارها خطرا يهدد المواصلات

---

[١] تصالح محمد علي في نهاية ايامه مع الدولة العثمانية و كان يزور القسطنطينية للحصول على مراسيم بتولية ابناءه، كما ظل احفاده في طاعة الدولة الى حد ما فكانت تطلب منهم ارسال قوات لاقرار الامن بالحجاز و اليمن بعد وفاة محمد علي و اشتركوا الى جانب الدولة في القتال بالقرم جنوب اوكرانيا.

البريطانيــة الى الهنــد و كيفيــة التعامــل معــه. و ارســلت الادارة البريطانيــة الهنديــة ضــابط اســتخباراتها الكـابتن ســادلير لمراقبـة ابـراهيم باشـا و اسـتجلاء نوايـاه فقـام بملاحقتـه لاسـابيع في ترحالـه بـالجزيرة بـزعم تهنئتـه بانتصـاره علـى الدولـة السـعودية و التفـاوض حـول التعـاون الامـني البحـري في الخلـيج بغـرض دراسـة القـدرات العسـكرية للجـيش المصـري و قيـاس مـدى الخطـر الـذي يمثلـه علـى التمـدد البريطـاني في الخلـيج. و تقـول تعليمـات الحكومـة البريطانيـة بوضـوح ان علـى سـادلير اثنـاء مرافقتـه للباشـا "ان يقـيم عـدد و نوعيـة قـوات ابـراهيم باشـا . . .و ان يجتهـد اثنـاء اقامتـه بالمعسـكر التركـي بمنتـهى اللطـف لاسـتجلاء نوايـا ابـراهيم باشـا فيمـا يخـص منتـهى فتوحاتـه علـى الخلـيج الفارسـي بـدون اظهـار اي اهتمـام ملمـوس بالموضوع."[1]

و قـد لاحـظ سـادلير، الـذي رفـض ابـراهيم باشـا لقـاءه في البدايـة في الاحسـاء و عنيـزة شـرق الجزيـرة و لم يوافـق علـى اسـتقباله الا في ابيـار علـي خـارج المدينـة -بخـلاف امـراء آل سـعود المتلـهفين دائمـا للقـاء اي ضـابط بريطـاني، في تقريـره لقيادتـه ان ابـراهيم باشـا كـان يسـتجوبه بـدوره للحصـول علـى معلومـات عـن حجـم الجـيش البريطـاني بالهنـد و ثـروات الهنـد .كمـا نفـى ابـراهيم باشـا علمـه بسـبب صـدور اوامـر السـلطان لـه بالتقـدم الى الدرعيـة كمـا لـو كـان يمـوه اهـداف السـلطان الـذي يحتمـل ان تكـون بريطانيـا قـد مارسـت ضـغطا ضـده في الاسـتانة لعـدم القضـاء علـى الدرعيـة.امـا عـن تقدمـه عسـكريا لشـاطئ الخلـيج فقـد تطـوع الباشـا بـالقول انـه لم يـذهب اليـه الا للتمـون في رد يشـي بمعرفتـه باطمـاع بريطانيـا في سـاحل

---

[1] Captain G. Forester Sadlier"Diary of a Journey across Arabia",P. 131

الخليج و ما كانت تتمتع به هناك من نفوذ و امن في عهد امارة آل سعود. و انتهى اللقاء بجادثة لافتة للنظر اذ ان ابراهيم باشا رد على رسالة حاكم الهند البريطانية[١] و سيف مهدى اليه برسالة اخرى و ارفق معها كهدية جواد بسرج خيل مهترئ لغرض في نفسه، فلما علق الكابتن سادلير ان الحاكم قد لا تروقه الهدية حيث ان ارسال سرج مستعمل يفهم منه ان ابراهيم باشا يعتبر حاكم الهند البريطاني خادما له او احد اتباعه سحب منه ابراهيم باشا الرسالة و السرج و اخبره انه سيكتب عقب عودته للقاهرة رسالة مناسبة لحاكم الهند و يعيد معها السيف المهدى.[٢]فضلا عن ذلك اشتكى سادلير ان الباشا لم يعين احد كبار موظفيه للتواصل معه ومرافقته مما اضطر سادلير للتواصل معظم الوقت من خلال القواسة و سياس خيل الباشا .

تقاطر على سادلير بعد رحيل الباشا من جدة بعض اكابر تجارالمدينة الذين اعتادوا التعامل مع البحرية البريطانية منهم الجيلاني[٣] كبير الاسرة التي تعاونت مع البحرية البريطانية اثناء غزو نابليون و برروا تاخرهم في زيارته بانهم اعتبروا صمت ابراهيم باشا و قلة احتفائه بالمبعوث البريطاني دليلا على حظر التعامل معه. لم يجد سادلير من اهل جدة من ينقل رسالة منه الى قنصل بريطانيا في القاهرة لخشيتهم من ان يؤدي التعامل معه لقطع رؤوسهم و علق سادلير بان "مسدس ابراهيم باشا و هراوته غلبا الذهب البريطاني" .[٤]و رغم الرسائل الودية في الظاهر التي تلت ذلك اللقاء بين محمد علي باشا و

---

[١] كان حاكم الهند البريطانية احد اهم رجال الامبراطورية و نائبا للملك في القرن الاخير ، و قد تولى اللورد مونتباتن خال الملكة اليزابث الثانية حكم الهند في الفترة التي سبقت استقلال الهند.

[2] Captain G. Forester sadlier"Diary of a Journey across Arabia",P. 107

[٣] وصفه سادلير بانه ينتمي الى اسرة قدمت خدمات فريدة للبحرية البريطانية. انظر ص٢.

[٤] المرجع السابق ص١١١

الحكومة البريطانية  الا ان ابراهيم باشا استمر في ايواء الجنود البريطانيين الفارين من سفن البحرية البريطانية الى جدة بعد اشهار اسلامهم رغم اعتراض الحكومة البريطانية على ذلك.[١] علق سادلير في نهاية رحلته خلال رسالة الى حاكم الهند بان العثور على من بقي من آل سعود الهاربين في نجد "امر هام للغاية" و اعرب عن انزعاجه للمذابح التي تعرض لها اهل نجد و الدرعية و وصف ابراهيم باشا بانه رجل قاسي سفاح.

و بعكس ما تدعيه الدراسات القومية السعودية المشبوهة فان ظهور عدو قوي مثل محمد علي باشا على ساحة الجزيرة ازعج البريطانيين الذين كانوا ينعمون بهدنة في ظل حكام الامارة السعودية الاولى بدءا من عهد عبد العزيز بن محمد بن سعود و ابنه سعود الى حفيده عبد الله بن سعود. و قد تاكدت النوايا البريطانية العدوانية تجاه محمد علي في مرحلة لاحقة عندما شارك الاسطول البريطاني مع الفرنسي و الروسي في تدمير الاسطول المصري في نفارين باليونان و عندما انقذت بريطانيا القائد التركي "تركجة بيلمز"  الخارج على سلطة محمد علي بالحجاز و اليمن بعدما حاصرته قوات محمد علي باشا في المخا .رد محمد علي لاحقا باحتلال سواحل اليمن و عينه على عدن و الطريق لحضرموت كما منع مرور السفن الاوروبية و البريطانية في البحر الاحمر شمال جدة بخلاف ما كان يفعله امراء آل سعود في منطقة نفوذهم شمال الخليج من تامين للسفن البريطانية. و تشهد وثائق محمد

---

[١] مذكرات بومباي ١٨٢٠/٤٢٠.

علـي السـرية انـه اصـدرا امـرا مشـددا لامـين جمـرك ميناء جـدة بـالا "يتغافـل عـن احـوال الانكليـزي و حركاتـه و ان يتجسـس و يحقـق احـوال الانكليـزي و حركاتـه و كيفيـة تلـك الاحـوال و يكتبـها لطرفنـا". [١] و رغـم بعـد محمـد علـي عـن الالتـزام بالعقيـدة الاسـلامية الصـحيحة الا انـه كـان يـبرر اصـطدامه لاحقـا بالسلطان محمود الثاني العثماني بخضوعه للقوى الارورية خاصة بريطانيا و روسيا .

بعـد انسـحاب ابـراهيم باشـا مـن نجـد [٢] تنفيـذا لاوامـر السـلطان العثمـاني اسـتعاد مشـاري بـن سـعود السـيطرة علـى وادي حنيفـة مـرة اخـرى فيمـا يعـد بدايـة لمـا عـرف بالدولـة السـعودية الثانيـة و اتخـذ الريـاض عاصـمة لحكمـه نظـرا لـدمار الدرعيـة.الح ابـراهيم باشـا مـن خـلال محمـد علـي باشـا علـى الدولـة العثمانيـة ان تسـمح لـه بارسـال "مفـرزة مـن الجنـد لـذلك المكـان بغيـة قهـر الشـقي المـذكور و استئصـاله. .مخافـة ان يشـتد سـاعد هـذا الشـقي. . .و يتوسـع نفـوذه. . .و قبـل ان تسـتقر نـواة هـذه الشـجرة. . .و تكثـر بـذورها اجـد ان الواجـب يحـتم علـي ان ابعـث بشـرذمة كافيـة مـن العسـاكر لكـبح جمـاح هـذا الشـقي الفـاجر و لاقـتلاع جـذور هـذا البـاغي و اتباعـه مـن تلـك الاراضـي، و ان اقـوم بالاضـافة الى ذلـك بحسـن تنظـيم و تنسـيق شـؤونها و تثبيـت دعـائم النظتـام فيهـا ." [٣] الا ان الصـدر الاعظـم العثمـاني المشـتبه في تلقيه رشاوى من بريطانيا لم يوافق.

---

[١] جمال زكريا قاسم،"تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر"،ج١ ص ٤٤٣

[٢] امـر السـلطان العثمـاني والـي مصـر ان يـدمر الدرعيـة تمامـا و ينسـحب مـن نجـد بحجـة ان دخـل الدولـة مـن تلـك المنطقـة القاحلـة لا يبرر نفقات حامية دائمة هناك فيما كان دافعه الحقيقي في الاغلب الخوف من مواجهة مع البحرية البريطانية.

[٣] د/منير العجلاني "تاريخ البلاد العربية السعودية"، ج٥ ص ٩٢.

ارسل ابراهيم باشا بعدها بفترة قوة صغيرة من مائة و خمسين رجل الى الرياض فاحتلتها و فر منها تركي بن عبد الله حاكمها فيما قام محمد بن مشاري بن معمر حليفهم الذي خرج على مشاري بن سعود و قبض عليه بتسليمه لتلك القوة ليثبت ولاءه. مات مشاري في الاسر اثناء ترحيله الى مصر الا ان السلطان لم يسمح لابراهيم باستعمال القوة الكافية للقضاء على المشكلة الاعرابية بتاثير الخوف من مواجهة بريطانيا و دسائس الصدر الاعظم ضد محمد علي، و كانت بريطانيا تؤجج تلك الدسائس احيانا عن طريق رشوة الصدور العظام في عصر انحطاط الدولة لتمرير اغراضها التوسعية. كان ارتباك السلطان في التعامل مع ذلك التمرد و القضاء على الاسرة السعودية (التي ستطلق بعد اقل من قرن اول رصاصات الانتفاضة الاعرابية/البريطانية التي ستقضي على الدولة العثمانية) اشارة لمحمد علي باشا بأن الدولة دخلت طورا من الاهتزاء السياسي و العسكري لا يجدي معه الترقيع مما كان احد دوافع محاولته في السنوات التي تلت لتغيير نظام الحكم في القسطنطينية.

خلف مشاري بعد اسره ابن عمه تركي بن عبد الله. حاول تركي فور وصول قواته للاحساء تجديد معاهدات الدولة الاولى مع بريطانيا و ارسل سنة ١٨٣١م/١٢٤٧هـ سفارة عن طريق راشد بن حميد النعيمي حاكم عجمان الموالي لبريطانيا الى المقيم البريطاني في الخليج يطلب فيها تجديد المعاهدة القديمة بين سعود و بريطانيا و تعهد بمنع الاعتداء على السفن البريطانية و معاقبة من يفعل ذلك من

المسلمين.[١] ردت عليه الحكومة البريطانية بالهند ردا وديا قالت فيه:"ان رسالتكم المؤرخة في ٢٥ جمادى الاولى و التي تبلغنا عن الوقائع التي انتهت الى توليكم الرئاسة قد وصلت الينا و احدثت في نفوسنا الاثر الجميل الذي تحدثه اخبار تصل من الاصدقاء. ان استعدادكم لتفاهم ودي بيننا نقابله بمثل شعور الصداقة التي كانت قائمة بين هذه الحكومة و سلفكم العظيم الامام سعود، و ستبقى قائمة بكل قوتها و لن تتصدع ابدا."[٢] كان تركي يراسل بريطانيا سرا بالحاح و يطلب حمايتها في نفس الوقت الذي كان يعترف فيه بتبعيته للسلطان العثماني و يرسل اموال الزكاة و الخراج لمحمد علي في مصر بصفته عامله و يدبج اليه الرسائل المعسولة التي يصف فيها نفسه بانه واحد من رجال محمد علي المخلصين. لم يكن كثيرا من اهل نجد يعلمون بما يحدث- او يهتمون بالامر ان علموا- طالما ان سياسة الامارة تسمح لهم بقطع الطريق على كل من حولهم الا من كان في حماية انكلترا.

لحق بخدمة تركي في تلك الفترة سجين ممن اطلق محمد علي باشا سراحهم هو عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب. فور وصول عبد الرحمن الى نجد اصدر فتوى كفر بها فيها العالم الاسلامي كله الا عشائر قطاع الطرق النجدية العاملة مع تركي بن عبد الله آل سعود و المتهادنة مع بريطانيا فقربه تركي و استعمله. كان عبد الرحمن بن حسن يفتي لتلك العشائر بان العالم كله قد كفر و لم يبق على الاسلام الا عشائر نجد و "ان الله لا يعني باسم المسلمين الا انتم".[٣] و طبقا لتلك العقيدة التي

---

[١] عايض بن خزام الروقي،"حروب محمد علي في الشام و اثرها في شبه الجزيرة العربية." ص ١٧٩.
[٢] د/ منير العجلاني "تاريخ البلاد العربية السعودية"، ج٥ ص ٢٠١.
[٣] ابن بشر الحنبلي،"عنوان المجد في تاريخ نجد"،ج٢ ص٤٨هـ، حوادث سنة ١٢٤١هـ. الطبعة الرابعة ١٤٠٢/١٩٨٢ الرياض، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز.

روج لها الجيل الثاني من آل الشيخ فقد كان العالم ينقسم الى دارين ديار اسلام بنجد و ديار كفر خارجها من الصين الى المغرب و بما ان جميع الشعوب الاسلامية خارج نجد كانت كافرة فقد اباح ذلك اموالها و دمائها و التحالف مع اهل الكتاب البريطانيين ضدها . كما كان الحال فيما سبق لم يتعدى الامر الدماء و الاموال الى الاعراض و السبي فلم يعرف عن الامارة الاولى او الثانية سبي خصومها خشية من انتفاض قبائل الجزيرة ضدهما كما تقاعس حكام الامارة عن هدم القبة المبنية على قبر الرسول صلى الله عليه و سلم لدواعي مشابهة. و على خلاف انشغال علماء المسلمين على مر القرون بدعوة اقوامهم للتوبة و التحذير من اسباب هلاك الدول اجتمع آل الشيخ بشكل تآمري غريب يشبه سلوك قيادات العصابات الاجرامية على كتمان تواطؤ حكام الامارة الاولى مع الجيش البريطاني و نكلوا عن توعية العوام باسباب سقوط الامارة الاولى حتى ان كبير مؤرخي نجد ابن بشر المشبوه[١] لا يذكر سببا لسقوط الامارة و ما تبعها من احداث تشبه فتنة سبي اسرائيل على يد نبوخذنصر الا ملحوظة مبهمة عابرة عن "الذنوب و انتهاء الامر المكتوب و كل دولة لابد ان تنتهي الى زوال." و مما ينبئ عن تآمر آل الشيخ بل و كل مشايخ تلك الامارة ان احدا منهم لم يصدر فتوى واحدة بقتال الانكليز المسيطرين على سواحلهم الشرقية مقارنة بالاف الفتاوى و الخطب التي دبجت في وجوب قتال العثمانيين و المصريين. و لم يشذ عن ذلك على مدار مائتي سنة الا واحدا منهم هو

---

[١] انخرط ابن بشر في حملة تزوير تاريخي مستهجنة لم يستحي في احدى حلقاتها من الادعاء بان قتلى الجيش السعودي البالغ عدده ثلاثين الف راجل و فارس المهزوم في معركة بسل الفاصلة التي انهت الوجود السعودي في الحجاز لم يتعدوا مائة قتيل فقط مع ان المؤرخ الغربي بوركهارت المتعاطف مع الدولة السعودية قدرهم باكثر من خمسة آلاف قتيل و قال انه راى اهرامات الجماجم و قتلى الجيش السعودي موزعة على ابواب مكة و جدة.
جوهان لودفيج بوركهارت،"مواد لتاريخ الوهابيين"، ص١٧٥.

عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ الذي اصدر فتوى[1] بوجوب قتال الانكليز عندما كان يقطن الرياض تحت سلطان آل الرشيد عمال الدولة العثمانية .

قتل تركي على يد احد اقاربه و بايع آل الشيخ القاتل على الفور. و بعد صراع وجيز تولى الحكم فيصل بن تركي الذي كان اسيرا في القاهرة بعد سقوط الدرعية ثم اطلق محمد علي سراحه على شرط ان يبقى على ولائه لمحمد علي. في ١٨٣٦ دعمت بريطانيا فيصل بن تركي للخروج على الحكم المصري فقام محمد علي باشا حاكم مصر بارسال حملتين. تكونت الحملة الاولى من الفي راجل و فارس[2] معهم خالد بن سعود الذي اطلقه محمد علي ليحكم نجد نيابة عنه. ما ان وطأت الحملة ارض الجزيرة حتى ارسل لهم فيصل المعروف باسم "صاحب الجيوش المنصورة و الخيل العتاق المشهورة" اخاه محملا بالهدايا الثمينة ليعرف خبرهم، فلما ادرك مقصدهم نهب المال من الرياض و فر هاربا الى الاحساء ليكون بجوار البحرية البريطانية في البحرين كما فر اكثر اهل نجد الى الاراضي المشمولة بالحماية البريطانية في الكويت و البحرين و عمان[3] و البصرة العثمانية الواقعة في دائرة النفوذ البريطاني. اما الحملة الثانية بقيادة خورشيد باشا فقبضت على فيصل في ١٨٣٩ م و بعثته سجينا الى القاهرة و احلت خالد بن سعود حاكما لنجد بدلا منه.

---

[1] سليمان بن صالح الخراشي،"تاريخ نجد من خلال كتاب "الدرر السنة في الاجوبة النجدية"، "رسالة للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في جهاد الدول النصرانية المتسلطة على الخليج"، ص٨٧

[2] ابن بشر الحنبلي "عنوان المجد في تاريخ نجد"، ج٢ ص١٤١.

[3] الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، "محمد علي وشبه الجزيرة العربية: تقرير خورشيد باشا حاكم نجد لمحمد علي" ، "محمد علي وشبه الجزيرة العربية" ، الجزء الثاني، ص ٥٥١- ٥٥٩

دعى وقتها مفتي الامارة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ اهل نجد الى جهاد المصريين المشركين فلما تخاذل اهل البلاد، كعادتهم عند مواجهة قوة اكبر منهم، و تعللوا بعد وجود امام يقودهم افتى بان القتال متعين على كل مسلم بلا قيادة[١] او امام لاعادة حكم آل سعود (و اعادة المفتي الى منصبه) .
كانت البحرين الواقعة تحت حماية و سلطان بريطانيا في ذلك الوقت تقدم الماوى و السند للقواد و المشايخ السعوديين الفارين من حملات الجيش المصري على الاحساء حتى اعلن حاكم البحرين خضوعه للحكم المصري خوفا من قوات خورشيد باشا التي تمركزت على الضفة المقابلة للخليج و شرعت في مراسلته بعد سيطرتها على نجد للمرة الثانية، كما استقبل اكثر مشايخ الساحل من الكويت الى راس الخيمة و ابو ظبي مبعوثو خورشيد باشا و اعلنوا موافقتهم على الدخول في طاعة محمد علي باشا اذا ما تقدم الى اماراتهم و لم يشذ عنهم الا قطاع الطرق من النعيم و الظواهر في امارة عجمان و البريمي الذين سلحهم المعتمد البريطاني و لاذوا بحماية بريطانيا[٢]الا ان حكام ابوظبي و دبي و الشارقة عادوا و تعهدوا بعدم الاتصال بمبعوث محمد علي بعد ان حذرهم المقيم البريطاني في الخليج ان "حضرة السركار بهادور ذو الاقتدار"[٣]"سيغضب منهم.[٤]

و فيما كان خورشيد باشا يقوم باستعداداته الاخيرة لفرض سيطرته على الساحل من راس الخيمة للبصرة و ما فوقها جاءته الاوامر من محمد علي بالانسحاب الى مصر استعدادا للتصدي لهجوم

---

[١] الدرر السنية ج٧ ص٩٧.
[٢] عبد الفتاح حسن ابو علية " تاريخ الدولة السعودية الثانية"، ص٧٠
[٣] لقب تفخيم لرئيس حكومة الهند البريطانية
[٤] جمال زكريا قاسم،"تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر" ج١ ص ٤١٤.

اساطيل اوروبا المتحالفة عليه. قامت البحرية البريطانية في اطار حربها على محمد على و ابنه ابراهيم باشا على الجبهة الممتدة من الاناضول و سواحل الشام و اليونان الى اليمن و الاحساء بمحاصرة الحاميات المصرية في القطيف و سيهات و العقير[1] و قضت على محاولة محمد علي باشا لتوحيد الجزيرة مع مصر و السودان و الشام و العراق[2] و بقية الدولة العثمانية وصولا الى مسقط راسه في مقدونيا في دولة واحدة بعد الاستيلاء على اسطنبول التي راسله كبار رجالها و انتظروا وصوله حتى ان قائد الاسطول العثماني ابحر به و سلمه لمحمد علي. في وقت معاصر للتحركات البريطانية قام ثنيان بن عبد الله آل سعود بعد انسحاب الجيش المصري من نجد نتيجة لمعاهدة لندن ١٨٤٠ بطرد خالد بن سعود من الرياض فلجأ خالد للاحساء الا ان بريطانيا البت عليه قبائل تلك المنطقة الواقعة ضمن النفوذ البريطاني فامتنعوا عن معاونته مما اضطره للجوء الى مكة حتى مات. يمكن اعتبار خالد بن سعود[3] الذي تشير اليه المراجع السعودية بازدراء باسم "الافندي" نسبة لتمدنه مقارنة ببقية افراد الاسرة من قطاع الطرق الاعراب الاجلاف آخر حاكم نجدي مستقل غير خاضع لسيطرة

---

[1] ناصر الفرج "قيام العرش السعودي، دراسة تاريخية للعلاقات السعودية البريطانية" ص٦، الصفا للنشر و التوزيع، لندن.

[2] كان الاستيلاء على العراق جزءا من مخططات محمد علي كما تواتر من الوثائق التاريخية و مراسلاته لقادته في الجزيرة و قد استولى حليفه يحيى الجليلي على الموصل باسم محمد علي و اعلن صفوق الجربا شيخ عشائر شمر بالعراق انحيازه لمحمد علي عندما كان نجم محمد علي صاعدا ثم انقلب عليه و عاد للعثمانيين في نفس السنة بتحريض بريطاني و ما لبث العثمانيون ان قتلوه في السنة التالية. عايض بن خزام الروقي،"حروب محمد علي في الشام و اثرها في شبه الجزيرة العربية." ص ٢٩٥.

[3] خالد بك ابن سعود بن عبد العزيز آل سعود اسير من اسرى الدرعية تعلم في مصر و التحق بالعمل في ديوان محمد علي باشا الذي بعثه لاحقا ليحكم نجد بالنيابة عنه. مات في مكة بعد ان تآمرت بريطانيا ضده في اطار سعيها لازالة الحكم المصري من الجزيرة و تقسيمها الى دويلات اعرابية عشائرية متخلفة يسهل السيطرة عليها. داخليا كان الخروج على خالد بن سعود جزءا من عملية انتزاع توارث الامارة من ابناء عبد العزيز بن محمد بن سعود الى ابناء عبد الله بن محمد بن سعود.

بريطانيا و ان لم يمنعه هذا من لقاء مندوب بريطاني في الاحساء و اعطائه وعدا بعدم غزو ساحل الامارات العربية [1] و لا يعلم ان كان هناك امورا اخرى لم تفصح عنها سجلات حكومة الهند .

و يصف خورشيد باشا آخر ولاة محمد علي باشا على نجد قبل رحيله حال اعراب نجد المتحالفين مع بريطانيا في تربصهم الدوائر بالحكم المصري بقوله "ان عرب نجد متفرقون اليوم، وكل واحد منهم في جهة ، لعدم اطمئنانهم إلينا وبالرغم من ادعائهم باللسان والتحذير أنهم خدم لنا ، إلا أنهم يقفون منا بعيدًا، فلذلك لم يدفعوا الزكاة بعد، ونحن لم نطلبها ."[2] و لعل خورشيد باشا لم يطلب منهم الزكاة حتى لا يرتدوا عن الاسلام كما فعل النجديون الاوائل عندما طلبها منهم ابو بكر الصديق. و يعرف عن خورشيد باشا[3] انه استعمل اثناء حكمه لنجد بعض قضاة الامارة السعودية للقضاء بين الاهالي.

بعد استيلاء ثنيان على البلاد تبنى خطا مهادنا لبريطانيا على ساحل الخليج و راسلها مبديا رغبته في مشاركة بريطانيا في مكافحة "القرصنة" الاسلامية ضد السفن البريطانية و دعا شيوخ قبائل ساحل عمان (الامارات العربية) لتأمين السفن البريطانية.[4] ادى خروج ثنيان على خالد بن

---

[1] C.U.Aitchison," A Collection Of Treaties, Engagements And Sanads: Relating To India And Neighbouring Countries" (Vol - vii) part 1, p.36

[2] الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، "محمد علي وشبه الجزيرة العربية"، الجزء الثاني، تقرير خورشيد باشا عن نجد٢٩ جمادى الأولى ١٢٥٥هـ الموافق ١٠ أغسطس ١٨٣٩م ص ٥٥١- ٥٥٩.

[3] رفض خورشيد باشا عرض علي رضا باشا والي بغداد بتولي قائمقامية نجد و الاحساء لصالح الدولة العثمانية تحت الحماية البريطانية و عاد الى مصر بعد خروج الجيش المصري من نجد حيث عمل و كيلا للجهادية ثم محافظا للدقهلية حتى موته بالمنصورة في عهد سعيد ابن محمد علي باشا.

[4] عبد الفتاح حسن ابو علية،" تاريخ الدولة السعودية الثانية"، ص١٠٠.

سعود الى قيام محمد علي باشا باطلاق سراح فيصل بن تركي بعد بضعة سنوات قضاها سجينا في مصر و عينه نائبا عنه على نجد ليقضي على حكم ثنيان بشرط ان يبقى على ولائه لحاكم مصر و لا يتعاون مع الانكليز، الا ان فيصل عاد لينسج علاقات ودية مع الانكليز فور وصوله الى الجزيرة "حيث ارسل فيصل بعد انتصاره على ابن ثنيان بشهر في ١٨٤٢م (١٢٥٩هـ) رسله الى عمان و البريمي يطلب منهم تأييد وكيله سعد بن مطلق، فاستنجد شيوخ النعيم بالبريمي بالمعتمد البريطاني في الخليج كما فعلوا ضد خورشيد باشا، الا ان بريطانيا خذلتهم و اجابت بان الحماية البريطانية ممتدة منذ خروج القوات المصرية من جزيرة العرب و لكنها لن تتدخل في الشؤون الداخلية لجزيرة العرب الا بقدر ما يضمن" السلام في الخليج". كان هذا هو نفس الموقف الذي اتخذته بريطانيا عندما استنجد بها حلفاؤها المخلصين سلطان عمان و امير البحرين و شيوخ ساحل عمان ضد تركي بن عبد الله ابو فيصل و تركتهم طعمة لتركي.

كان موقف بريطانيا من امتداد النفوذ السعودي محايدا مقارنة بموقفها ضد النفوذ المصري زمن حكومة محمد علي و اعلنت انها "تتخلى عن سياسة التدخل في شؤون الجزيرة الداخلية" مما حدا بفيصل ان يرد على هذا الموقف برسالة شكر الى المعتمد البريطاني يبين فيها انه يرغب في "تطوير العلاقات الودية مع بريطانيا و ان حكومته تشاطر بريطانيا موقفها من قمع عمليات السلب و القرصنة في الخليج."[1] و بذلك اعطت بريطانيا الضوء الاخضر لفيصل لتثبيت حكمه و اعلمت شيوخ القبائل

---

[1] عبد الفتاح حسن ابو علية،" تاريخ الدولة السعودية الثانية"، ص١٦٧.

ضمنا ان فيصل هو رجل المرحلة المدعوم من بريطانيا و انها لن تتعهد بحمايتهم منه كما تعهدت بحمايتهم من جيش محمد علي او السلطان العثماني. راسل فيصل الانكليز مرة اخرى في ١٨٥٤ و ١٨٥٥ بالحاح طالبا من بريطانيا تجديد المعاهدة التي ابرمها اسلافه و تعهدوا فيها بمحالفة بريطانيا لمائة سنة.[١] كان سبب هلع فيصل بن تركي هو وصول الحملة المصرية لانهاء تمرد قبائل عسير و التي اشيع انها ستتحول لغزو نجد و القبض عليه بعد الانتهاء من عسير حليفة فيصل و كان اهل عسير يعتقدون انهم مجاهدين و يرسلون لفيصل خمس غنائمهم.[٢] لم يكن الحاح فيصل في ابرام معاهدة يعني ان العلاقات الودية و التعاون العسكري منعدمان و لكن ما كان يسعى خلفه هو اتفاقية حماية او دفاع مشترك رسمية ايجابية تحميه بمقتضاها بريطانيا من مصر و الدولة العثمانية. كانت بريطانيا تحمي فيصل بالفعل من اي تدخل خارجي الا انه تساءل عما ان كان يمكن القيام بعمل منسق مع القوات البريطانية ضد القوات العثمانية في الخليج او السماح له بالاغارة على سواحل فارس فرفض بلي القيام بعمل ايجابي و طمأنه ان بوسع نجد استيراد حاجياتها (من السلاح) من المناطق الخاضعة للبحرية البريطانية على ساحل الخليج.[٣]

---

[١] عبد الفتاح حسن ابو علية،" تاريخ الدولة السعودية الثانية"، ص١٨٦.
[٢] د/سعد بدير الحلواني، "العلاقات بين مصر و الحجاز و نجد في القرن ١٩"، ط٢،ص٧٢.
[٣] لوتانتت كولونيل لويس بلي،"رحلة الى الرياض" ص٧٩.

توجت العلاقات السعودية- البريطانية باتفاقية في ١٨٦٥ بين فيصل و اللوتنانت كولونيل لويس بلي "تعهد فيها فيصل بمعاقبة كل من يمارس اعمال السلب و القرصنة في مينائي الدمام و العقير السعوديين. و طلب فيصل من الكولونيل بلي ان يتصل به مباشرة في حالة وقوع حوادث تؤدي الى "تعكير صفو السلام في المنطقة."[١] تعهد فيصل لبلي ان يوقع اشد العقوبات بمن يعتدي على اي سفن بريطانية او تابعة لمحميات بريطانيا و اصدر تعليمات مشددة بذلك الى عماله بالساحل كما ناشد لويس بلي بصفته ممثلا للبحرية البريطانية ان يهتم بصيانة "الامن" في الخليج[٢] (قطعا لحمايته من البحرية العثمانية) فيما يعد اعترافا منه بشرعية الوجود البريطاني على سواحل جزيرة العرب. و ينقل عن عبد العزيز آل سعود حفيد فيصل ان مدة سريان المعاهدة التي ظلت سرية كانت خمسة و ستون سنة.[٣] ثم ارسل عبد الله بن فيصل بعدها رسالة تمويهية الى الخديوي اسماعيل حاكم مصر يبسط فيها اسباب رحلة المقيم البريطاني في الخليج للرياض قال فيها ان الكولونيل بلي حضر "كي نعطيه مركزا في ساحل البحر، اما البحرين او الدمام او بعض القطع غيرها... و قد تعذرناه و رجعنا عليه هديته، حيث ان هذه الاماكن في يدنا من الممالك المحروسة الراجعة الى خليفة رسول الله السلطان نصره الله."[٤] و كان عبد الله بن فيصل و سعود اخوه قد اجتمعا ببلي اثناء زيارته.

---

[١] عبد الفتاح حسن ابو علية،" تاريخ الدولة السعودية الثانية"، ص١٤٩.
[٢] عبد الفتاح حسن ابو علية،" تاريخ الدولة السعودية الثانية"، ص١٥١.
[٣] عبد الفتاح حسن ابو علية،" تاريخ الدولة السعودية الثانية"، ص١٥٠.
[٤] عبد الفتاح حسن ابو علية،" تاريخ الدولة السعودية الثانية"، ص١٤٦.

و ينقل عن الكابتن وليم شكسبير مبعوث الاستخبارات البريطانية لعبد العزيز حفيد فيصل بعد تلك الوقائع بخمسين سنة ان عبد العزيز فيما كان يحاول الحصول على معاهدة حماية بريطانية علنية رسمية اوجز له تاريخ العلاقات السعودية البريطانية بعد حملة ابراهيم باشا بقوله "ان (ابا)جده تركي بن عبد الله اعاد احتلال المملكة الوهابية الاصلية. . . و ازال كل معالم السلطة التركية، ثم عقد معاهدة مع الحكومة البريطانية. . . ثم حكم بعده فيصل و قام ايضا بتجديد المعاهدة القديمة مع الحكومة البريطانية. . . و بموافقة الحكومة البريطانية تسلم اتاوة من سلطان مسقط قدرها ١٥٠٠٠ دولار سنويا. و مع ان فيصل كان في هذا الوقت كان على اتصال متكرر مع الحكومة البريطانية فإنه لم يسمح له بمساعدة محمد بن عبد الله على استرجاع حقوقه في البحرين، اذ ان المقيم البريطاني قد سبق له وضع احد ابناء آل خليفة على سدة الحكم. و لكن الحكومة البريطانية تاكيدا لصداقتها، عاقبت شيخ البحرين حين شرع بهجمات على اراضي القطيف و الاحساء الداخلية التي كانت آنذاك في يد الوهابيين. و قد ابدت الحكومة البريطانية في ذلك الوقت عمق صلاتها بنجد بارسال احد ضباطها (الكرنل لويس بلي) الى الرياض، فجدد المعاهدات القديمة و عهود الصداقة و لو ان ذلك لم يجر بوثيقة مكتوبة فعلا."[١]

و قد استمر فيصل بن تركي كاسلافه في تحصيل المكوس من الروافض نظير تأمين قوافل الحج التابعة لهم. و في ١٨٦٠ عندما اغار فلاح بن حثلين شيخ اعراب العجمان العاملين في قطع الطرق على

---

[١] نجدة فتحي صفوة،"الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، المجلد الاول، ص ١٥٨

قافلــة للــروافض العجــم و العــراقيين و البحــرانيين المســافرين مــن القطيــف للحجــاز عــبر نجــد، طــارده فيصــل حتى قتله.[١]

لم تــتمكن الدولــة العثمانيــة مــن مــلأ الفــراغ الــذي تركــه رحيــل الجــيش المصــري و تركــت الجزيــرة لمشــايخ قطــاع الطــرق الــذين ســلموها بــدورهم لبريطانيــا الــتي كانــت تشــجع نمــو الــدويلات الانفصــالية القزمــة. و قــد اوجــز الكولونيــل لــويس بلــي مؤســس قطــر و غيرهــا السياســة البريطانيــة في تلــك المرحلــة المحوريــة مــن تــاريخ الجزيــرة بقولــه : "ان حكومــة بريطانيــا تفضــل ان تــرى القبائــل العربيــة في الجزيــرة تعــيش بســلام و رخــاء في حــدود (مناطقهــا) و تحــت زعامــة حكامهــا (المحلــيين)"[٢] اي انهــا لا تفضــل ان تــراهم متحــدين في كيــان واحــد ضــمن ســلطة اكــبر مثــل الدولــة العثمانيــة. لم تغــب الاعيــب فيصــل عــن الدولــة العثمانيــة و ارســلت والي البصــرة مــدحت باشــا بعــدها بســت ســنوات لاحــتلال نجــد و الاحســاء الا انــه لم يســتطع تجــاوز ســاحل الاحساء لتآمر عبد الله بن فيصل و اخوه سعود و بريطانيا ضده.

يعــد فيصــل بــن تركــي اطــول حكــام الدولــة الثانيــة عهــدا و هــو جــد عبــد العزيــز بــن عبــد الــرحمن بــن فيصــل مؤســس الدولــة الثالثــة الحاليــة. بالاضــافة لعلاقاتــه الخاصــة مــع بريطانيــا وافــق فيصــل علــى دفــع الزكــاة للدولــة العثمانيــة بصــفته احــد عمــال شــريف مكــة. تــدخل العثمــانيون مــن خــلال والي بغــداد و الانكليــز مــن جهــة

[١] عبد الفتاح حسن ابو علية،" تاريخ الدولة السعودية الثانية"، ص١١٩.
[٢] عبد الفتاح حسن ابو علية،" تاريخ الدولة السعودية الثانية"، ص١٤٥.

اخرى في تنصيب اعقاب فيصل بن تركي المتنازعين. كان التدخل العثماني المصري في حكم نجد من خلال فيصل و غيره قبلها قد ادى الى نمو اول معارضة عقائدية داخل الدولة السعودية حيث قام بعض علماء الاحساء و منهم عبد العزيز الخطيب باتهام امراء آل سعود بموالاة العثمانيين و المصريين و ترك الشرائع فتصدى لهم عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ منافحا عن آل سعود و اتهم منتقديهم بالجهل و عدم اخذ العلم عن اهله و افتقادهم لشروط الاجتهاد و غير ذلك من الامور التي كان يرمى بها جده شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب مما ادى ببعض العلماء الى تكفير عبد اللطيف آل الشيخ ذاته و الامير فيصل.[١] و كان اللافت للنظر ان التكفير كان منصبا على التعامل مع مصر و العثمانيين و ليس على التحالف السعودي مع بريطانيا ضد من اسمتهم القراصنة المسلمين و لا ضد العلاقات الودية مع شاه الروافض و سياسة اخذ مال من الروافض نظير السماح لهم بالحج لمكة.

كان حكام الدولة الثانية يدينون اسميا بالولاء للدولة العثمانية و يرسلون لها الخراج على فترات متقطعة باستثناء حكم مشاري بن سعود بن عبد العزيز اخو آخر حكام الدولة الاولى عبد الله بن سعود المقتول باسطنبول. سعى عبد الرحمن بن تركي بن فيصل في ابرام اتفاقية تبعية لبريطانيا في

---

[١] ارسل عبد اللطيف ابن عبد الرحمن آل الشيخ إلى رجلين سمع منهما القول بتكفير آل الشيخ و آل سعود، وأنهما تعلقا في ذلك بما قاله شيخ الإسلام محمد - رحمه الله -: ( وقد رأيت رجلين من أشباهكم المارقين بالإحسان قد اعتزلا الجمعة والجماعة وكفرا من في تلك البلاد من المسلمين، وحجتهم من جنس حجتكم، ويقولون: أهل الإحسان يجالسون ابن فيروز ويخالطونه هو وأمثاله ممن لم يكفر بالطاغوت، ولم يصرح بتكفير جده، الذي لم يقبلها وعاداها. قال: ومن لم يصرح بكفره فهو كافر بالله، لم يكفر بالطاغوت، ومن جالسه فهو مثله. ورتبوا على هاتين المقدمتين الكاذبتين الضالتين ما يترتب على الردة الصريحة من الأحكام حتى تركوا رد السلام فرفع إلي أمرهم، فأحضرتهم وتهددتهم، وأغلظت لهم القول... فكشفت شبهتهم، وأدحضت ضلالتهم.. .... وقد أظهر الفارسيان التوبة والندم ثم لما لحقا بالساحل عادا إلى تلك المقالة، وبلغنا عنهم: تكفير أئمة المسلمين، بمكاتبة الملوك المصريين؛ بل كفروا من خالط من كاتبهم من مشايخ المسلمين، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى، والحور بعد الكور. وقد بلغنا عنكم نحو من هذا، وخضتم في مسائل من هذا الباب كالكلام في الموالاة والمعاداة، والمصالحة، والمكاتبات، وبذل الاموال والهدايا، ونحو ذلك من مقالة أهل الشرك بالله والضلالات والحكم بغير ما أنزل الله عند البوادي، لا يتكلم فيها إلا العلماء من ذوي الألباب، ومن رزق الفهم عن الله، وأوتي الحكمة وفصل الخطاب ). عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ " مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الامام و نسبه الى تكفير اهل الايمان و الاسلام" ص١١.

آخر ايامه و اعلن خروجه على الدولة العثمانية فطردته من الرياض سنة ١٨٩٠ على يد امراء ال الرشيد نواب العثمانيين و مقرهم حائل فيما فر عبد الرحمن بن فيصل و ابنه عبد العزيز الى البحرين تحت الحماية البريطانية محاولا استنفار البريطانيين ليعيدوه للحكم الا انهم خذلوه ثم انتقل منها الى قطر حيث نفد ماله و قلاه انصاره ثم استقروا بالكويت بعد ان استدعاهم متصرف الاحساء العثماني ليكونوا تحت نظره بدلا من التسكع على ابواب ممثلي بريطانيا في قطر و البحرين و صرفت لهم المتصرفية العثمانية بالكويت اعانة مالية.

استمر وجود الامارة السعودية الثانية اكثر من ستين سنة اتسمت مقارنة بالامارة الاولى بتراخي الوازع الديني و النزاعات بين افراد الاسرة الحاكمة و الاستعانة بالاتراك و الانكليز و المصريين و العثمانيين. كان آل الشيخ و علماء نجد قد تدنوا في الامارة الثانية الى مرحلة اقل من التي بلغوها في نهاية الامارة الاولى فصار همهم تصنيف المؤلفات في كفر الدولة العثمانية (و سائر مسلمو العالم) و تكفير من لم يكفرها و الحض على قتالها و كشف ما اعتراها من شركيات و خروج على الشرع و هو ما لم يكن به بأس لو لم يقترن بالتعامي عن البريطانيين الذين كانوا يسرحون و يمرحون على سواحل نجد و عن ابرام امراء الدولة السعودية معاهدات خضوع و تبعية مع بريطانيا كما لو كان الخضوع للنصارى و تمكينهم من السيطرة على الحرمين افضل من مجاورة العثمانيين القبوريين. و لا شك ان من قال ان قتال المرتد مقدم على جهاد الكافر الاصلي لم يكن يقصد تمكين الكافر الاصلي(البريطاني) من سواحل جزيرة العرب كما سيحدث لاحقا على يد حكام الامارة السعودية اثناء انشغالهم بقتال المرتد

الضعيف المجاور لهم. شارك علماء نجد في اخفاء حقيقة خضوع امراء نجد للنصارى و لو ان اهل تلك البلاد كانوا لا يبالون بالامر حيث كان همهم الأكبر قطع الطريق على المسلمين الضعفاء و الحجيج بغض النظر عمن يدفعهم او يجلب لهم السلاح اما مواجهة النصارى البريطانيين الاقوياء فلم تكن من شيم اهل نجد. اخر سقوط تلك الامارة الانفصالية القبلية للمرة الثانية سقوط العراق و الشام في يد النصارى لما يقرب من ثلاثين سنة اخرى.

في تلك السنوات كانت بريطانيا قد بسطت سلطانها على سواحل الخليج و اتبعت سياسة لامركزية وصفها الصدر الاعظم العثماني فاتح الاحساء و والي بغداد الاسبق مدحت باشا بقوله :"و من عوائد الانكليز التقرب من امراء العرب و استمالتهم، و ترك بلادهم على حالها، و حمايتهم باسم الانسانية لحفظ وطنهم من الغارات و اتباع البلاد بعد تدريب اهلها على الخضوع للعلم الانكليزي. . . . جرى الانكليز على هذا النحو في بلاد مسقط و عمان(الامارات العربية المتحدة) . . . و جزيرة البحرين، و وضعوا كل هذه البلاد تحت حمايتهم بهذه الطريقة، و كان مشايخ تلك القبائل يديرون بلادهم كما شاءوا و شاءت اهواءهم، و لكن كان القول الفصل في الامور الهامة فيها للانكليز."[١]

---

[١] يوسف حتاتة و آخرون،"مدحت باشا حياته،مذكراته،محاكمته." ص٢٤١

في عـام ١٩٠٠ شـرعت الدولـة العثمانيـة في توطيـد سـيطرتها علـى جزيـرة العـرب لـدرأ تهديـد عشـائر قطـاع الطـرق المتمـردة العاملـة تحـت قيـادة انكليزيـة للولايـات العثمانيـة بـالعراق و الشـام. نفـذت الخطـة علـى عـدة محـاور اهمهـا مـد خطـي سـكة حديـد متـوازيين احـدهما مـن الاناضـول لبغـداد و خطـط لـه ليصـل لاحقـا الى الكويـت ثـم الاحسـاء و ربمـا ابـو ظـبي الـتي طالـب بهـا العثمـانيون و خـط آخـر مـن الشـام الى المدينـة في طريقـه مسـتقبلا الى مكـة و مـا وراء ذلـك. كـان هـذا الخـط سيسـمح بتـأمين طـرق الحـج و ارسـال مـؤن و جنـود للحاميـات العسـكرية العثمانيـة الـتي ارهقتـها هجمـات القبائـل العربيـة المدعومـة مـن بريطانيـا في شـرق الجزيـرة و غربهـا ممـا كـان سـيؤدي في النهايـة لتوحيـد جزيـرة العـرب لاول مـرة منـذ العهـد الامـوي في كيـان واحـد مـع بـلاد الاسـلام بـدلا مـن انقسـامها لسـبعة عشـر قريـة يبلـغ عـدد سـكان بعـض منـها بضـعة آلاف رجـل و امـراة يتحـاكمون للانكليـز و يحتمـون بهـم كمـا كـان الحـال في القـرن التاسـع عشـر. كـان السـلطان عبـد الحميـد يطمـع في مرحلـة لاحقـة بعـزل مسـتعمرات بريطانيـا في الهنـد الـتي كـان يحظـى بشـعبية واسـعة وسـط مسـلميها في طريقـه لاسـتردادها مـن البريطـانيين تحـت شـعار" يـا مسـلمي العـالم اتحـدوا" الـذي عمـل علـى نشـره، كمـا تـبين مـن سـير العمليـات الـتي قادهـا آخـر وزراء حربيـة السـلطنة انـور باشـا و الخلايـا المتقدمـة الـتي بثهـا فيمـا عـرف بالحملـة الفارسـية و حملـة القوقـاز فـان المؤسسـة العسـكرية العثمانيـة حتـى في عهـد سـيطرة جمعيـة الاتحـاد و الترقـى كانـت تخطـط لـدخول الهنـد بعـد احـتلال فـارس بالاضـافة الى مـد اراضـي السـلطنة الى حـدود الصـين بعـد انتـزاع تركسـتان الشـرقية و الغربية من روسيا .

لم يكـن الانكليـز غـافلين عـن تبعـات مـد خـط السـكة الحديـد و لم يكـن مشـايخ المنسـر في الجزيـرة مسـتعدين للـدخول تحـت حكـم اي دولـة اسـلامية. و مـا ان بـدأ انشـاء الخـط حتـى خـرج مبـارك الصـباح امـير الكويـت في ١٩٠١ يصـحبه عـدد مـن شـيوخ العشـائر المتحالفـة مـع بريطانيـا بضـمنهم بعـض رجـال بـني كعـب الـروافض و الفتـى عبـد العزيـز بـن عبـد الـرحمن آل سـعود و فيصـل الـدويش و اخـلاط مـن مقـاتلي العشـائر في غـارات علـى قبيلـة شمـر حليفـة العثمـانيين و لكنـه هـزم. طـاردهم بـن الرشـيد في مـا عـرف بموقعـة الصـريف الى حـدود القاعـدة البريطانيـة العسـكرية بالكويـت و كـاد يأخـذها لـولا تصـدي المدفعيـة البريطانيـة لجـيش شمـر و صـدور امـر مـن الصـدر الاعظـم باسـطنبول يـأمره بعـدم التقـدم خوفـا مـن رد فعـل انكلترا على احتلال الكويت الواقعة تحت حمايتها .

ردت بريطانيـا في ١٩٠٢ بعـد واقعـة الصـريف بسـنة في اطـار تلـك الحـرب البـاردة بـين الدولـة العثمانيـة و بريطانيـا بـدفع عبـد العزيـز بـن عبـد الـرحمن ال سـعود ابـن اخـر حكـام الريـاض المنفـيين و الاذن لـه مـن الحـاكم العسـكري البريطـاني للكويـت في التـزود بالسـلاح عـبر مبـارك الصـباح و الخـروج صـحبة مجموعـة مـن فرسـان عشـيرته للاغـارة علـى نجـد و اسـتعادة الريـاض الواقعـة تحـت حكـم آل الرشـيد . غضـبت الدولـة العثمانيـة و قطعـت الاعانـة[١] الـتي كانـت تـدفعها لعبـد الـرحمن بـن فيصـل آل سـعود بالكويـت[٢] باعتبـار ان مـا يقـوم بـه ابنـه عمـل انفصـالي ضـد احـد عمالهـا و الولايـات التابعـة لهـا . نسـق ابـن سـعود خطواتـه و غاراتـه لتـزامن بدقـة مـع الغـارات الصـربية و البلغاريـة علـى الاراضـي العثمانيـة في البلقـان و الايطاليـة في طـرابلس

---

[١] كان مقدار الاعانة ستون ليرة تركية و هي قيمة ستة جمال.
[٢] "موسوعة مقاتل من الصحراء"، الدولة السعودية الثالثة.

الغـرب بليبيـا . كـان المكتـب السياسـي البريطـاني في الكويـت المتـابع لخريطـة النزاعـات الدوليـة يطلـع ابـن سـعود الجاهـل القـابع في فيـافي نجـد علـى آخـر تحركـات الجيـوش العثمانيـة و مـا يـوازي خلاصـة خـرائط الاقمـار الصـناعية العسـكرية في العصـر الحـالي. و ينقـل عـن الكـابتن شكسـبير مبعـوث الاسـتخبارات البريطانيـة لابـن سـعود تفاصـيل لقـاء مـع مشـايخ الريـاض و نجـد اثنـاء حـرب البلقـان قـال فيـه "كـان الامـير قلقـا علـى سمـاع انبـاء حـرب البلقـان، و قـال انـه لا يصـدق المصـادر التركيـة و لا الصـحف المصـرية الـتي تتحـدث عـن انتصـارات تركيـة، بينمـا يبـدو ان الاتـراك يتراجعـون علـى جميـع الجبـهات. و انـه قـد سمـع مـن الكويـت و البحـرين (مراكـز قيـادة البحريـة البريطانيـة في الخلـيج) ان الجـيش العثمـاني لا يسـيطر الا علـى العاصـمة و بعـض المـدن المنعزلـة و القـلاع الصـغيرة، بينمـا كـل تركيـا الاوروبيـة قـد ابتلعهـا حلفـاء البلقـان. فأعطيتـه الصـورة الحقيقيـة و اندهشـت لـرد الفعـل، فلـم يكـن هنـاك اي عطـف علـى الاتـراك بـل ان الامـير و اخوتـه و اعيـان نجـد لم يجـدوا في هـذا الموقـف الا فرصـة ممتـازة للـتخلص نهائيـا مـن كـل بقايـا النفـوذ العثمـاني، و طـرد قـوتهم مـن القطيـف و الاحسـاء."[١] و قـد قـام عبـد العزيـز فعـلا بـالهجوم علـى الاحسـاء بعـدها بسـنوات في توقيـت متـزامن مـع هجـوم جيـوش النصـارى علـى اطـراف العاصـمة العثمانيـة اسـطنبول كما انتهز اجداده من قبل الغزو الفرنسي لمصر و انشغال الجيش المصري لاحتلال مكة و المدينة.

و تلقـي رسـالة بعـث بهـا الجنـرال وولـتن المقـيم السياسـي بمسـتعمرة عـدن البريطانيـة بعـد ذلـك بسـنوات الى العميـل الادريسـي بعسـير ضـوءا علـى طريقـة ادارة بريطانيـا لرجالهـا في الجزيـرة اذ يقـول:"انـه لمـن المهـم جـدا

---

[١] محمد جلال كشك،" السعوديون و الحل الاسلامي"، ص ٤٥١.

ايها الصديق، قيامك بشن هجوم آني. و سترى ان في هذا فائدة لك للاسباب الآتية: اولا، ان العدو (العثماني) عند تعرضه للهجوم في عدة اماكن مختلفة في وقت واحد لا يستطيع تحريك القوات من مكان الى آخر، مما سيجعل مركزه اكثر صعوبة. ثانيا، ان اهتمام الاتراك في هذه اللحظة منصب تماما على القوقاز و العراق و قواتهم منشغلة هناك و ليس في استطاعتهم ارسال تعزيزات الى قواتهم المحلية (جنوب عسير) التي يمكن معالجة امرها بسهولة الى ابعد حد. باختصار، اذا كنت لا تستطيع التخلص من النير التركي الآن، فإن الوقت قد حان ايها الصديق، ان ترمي السلاح و تترك اي ادعاء بالقتال، لان فرصة كهذه قد لا تحين ثانية ابدا. ثالثا، بقيامك بالثورة في هذا الوقت، ستكسب حسن نية الحكومة البريطانية التي لن تنسى بالتأكيد سلوكك في فترة الاختبار هذه"، ثم توجهه الرسالة الى تجنيد و رشوة القبائل المجاورة للعمل مع الجيش البريطاني فتقول:"اذا كان الامام(اليمني) غير قادر على التحرك بدافع من اتفاقيته ( الصلح مع العثمانيين)، فمن المعروف جيدا ان رجال قبائله ليسوا مثله. و اذا جعلنا انضمامهم الى هذه الثورة مريحا لهم فانهم سيلحقون بقضيتك فيما بعد و يعززون مركزك عند التخلص نهائيا من الاتراك، و لو تلطفت بابلاغي عن احتياجاتك المالية في هذه الناحية، فليس لدي شك ابدا في امكان التوصل الى ترتيب لهذه القضية."[1]

في ١٩٠٤ بعد ما يقرب من عامين من وصوله للرياض اشيع ان حملة عثمانية كبيرة على وشك القيام لدعم ابن رشيد و القضاء على عبد العزيز فطار فؤاده هلعا من ملاقاة مصير اجداده و ابرق

---

[1] نجدة فتحي صفوة،"الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، المجلد الثاني، ص ٥١٣-٥١٤

لبريطانيا بالحاح طالبا منها ارسال بوارج بحرية و سلاحا لحمايته. فلما تلكأت بريطانيا ظاهريا لحرصها على المحافظة على مظاهر الحياد الودية الزائفة تجاه الدولة العثمانية (فيما كانت تعمل سرا على حل الامر من داخل قصر السلطان) هدد عبد العزيز انه سيبرم اتفاقية مع الروس اعداء الدولة العثمانية لحمايته، و صرح انه التقى اثناء وجوده بالكويت بزائر روسي كبير هو المندوب الروسي في الخليج و عرض عليه تحويل ولائه من بريطانيا لروسيا . كانت روسيا القيصرية في هذا الوقت قد ابتلعت القوقاز و امارات وسط اسيا و قامت في السنوات التي تلت ذلك بتنصير الالاف من مسلمي الفولجا و تتارستان، و لكن عبد العزيز لم يبالي بالتحالف مع الشيطان للحصول على دويلة صغيرة يحكمها كما لم يبالي عبد العزيز بن محمد و ابنه سعود عندما حالفا بريطانيا فيما كانت تقضي على مسلمي الهند .و لعل عبد العزيز كان يحاكي في ذلك واقعة حدثت ابان لجوؤه لدى مبارك الصباح حينما طلب مبارك من بريطانيا ابرام اتفاقية حماية رسمية ضد العثمانيين فتلكأت فارسل يطلب حماية روسيا فعجلت بريطانيا بتوقيع الاتفاق معه.[1]

تمكنت بريطانيا بالوعد و الوعيد من اثناء السلطان عبد الحميد عن ارسال الحملة فيما كان عبد العزيز يكتب رسائل للدولة العثمانية يؤكد فيها انه خادم السلطان و خير من يحكم نجد باسم الدولة العثمانية و ليس ابن الرشيد .و في المراسلات التي تبودلت في تلك الايام من يونيو ١٩٠٤ عقب معركة البكيرية بين قوات ابن الرشيد مدعومة بعدة سرايا عثمانية و قوات عبد العزيز كتب الاميرالاي

[1] خلف بن صغير الشمري،"المستودع و المستحضر في اسباب النزاع بين مبارك الصباح و يوسف الابراهيم"، ص١٨٠

حسن شكري القائد العثماني ان "الخليفة ارسلني لتقصي خبر الفتن التي تثيرونها في نجد لصالح جهات اجنبية و يعاونكم عليها الخائن الخارج على الدولة و الخلافة مبارك الصباح امير الكويت فان رجعت احسنا اليك، و ان تماديت لقيت عقابك." فرد عليه عبد العزيز "بان مبارك الصباح لم يلجأ للانكليز الا بسبب ظلم محسن باشا والي البصرة العثماني ، و اني مختار لنفسي ما اختاره مبارك آل الصباح لانكم تريدون غدر امارتي و امارة آبائي و تعطونها لمن لا حق له فيها ."[1]

مع توجس بريطانيا من مشروع خطي سكة حديد البصرة و الحجاز وشعورها باهمية عبد العزيز كقائد عشائري يمكن استخدامه ضد الدولة العثمانية قررت التعامل معه مباشرة و ليس من خلال مبارك الصباح و اوفدت له في ١٩٠٦ الكابتن وليم ارثر شكسبير ليرى طلباته و ما يمكن ان تقدمه له بريطانيا و يقدمه لها عبد العزيز. و التقى عبد العزيز الذي كانت بريطانيا تعتبره حتى ذلك الوقت عميلا صغيرا مع الكابتن شكسبير و بثه مكنون قلبه و تشوقه الى الدعم البريطاني المباشر كما طلب من بريطانيا التعامل معه من الان فصاعدا و ليس من خلال مبارك الصباح "لانه من المحتمل ان يستنتج استدلالات خاطئة و ربما يفشيها للموظفين الاتراك".[2] كانت معاهدة الحماية التي يطمح عبد العزيز اليها تشبه معاهدات اخرى ابرمتها بريطانيا مع عمان و امارات الساحل و البحرين و الكويت ويسلم بمقتضاها سياسته الخارجية و شؤون الحرب و كثيرا من امور الادارة لبريطانيا حتى ان مبارك الصباح

---

[1] محمد جلال كشك،" السعوديون و الحل الاسلامي"، ص ٤٣٧.
[2] نجدة فتحي صفوة، "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، ج١ ص١٦٤

امير الكويت كان لا يملك السماح لاجنبي بتاجير بيت في الكويت بدون اذن من المقيم الانكليزي بالخليج.[١]

فضلا عن السلاح المدعم من الكويت و بريطانيا و الاتاوات التي كان عبد العزيز يفرضها على من وقع تحت يده من قبائل نجد كان جزءا هاما من تمويل الخزينة النجدية يأتي كما كان الحال مع ابائه و اجداده من خوات قطع الطريق او "الحماية" التي تجبى من الحجيج الروافض و غيرهم. و تقول مصادر معاصرة "اما الحجاج المجتمعون في الرياض من نجد و الحسا و سواحل خليج البصرة فيقوم ابن سعود بترحيلهم. و يتم اخذ ستة ريالات من الحجاج العرب المجتمعين فيها، و من الحجاج الفرس اثنى عشر ريالا (ما يوازي الف ريال بعملة ٢٠١٠) و ذلك "تأمينا" للطريق".[٢]

قام ابن سعود في السنوات التالية المفضية الى الحرب العالمية الاولى اثناء انشغال الدولة العثمانية برد العدوان على اراضي المسلمين الاخرى برشوة قبائل قطاع الطريق العجمان على ساحل الاحساء فساعدوه في غزوها و طرد الحاميات العثمانية، كان العجمان يقاتلون مع عبد العزيز فاذا احسوا ان الدائرة كانت عليه نهبوا خيامه و فروا. حاول مدحت باشا الوالي العثماني استعادة المنطقة و الخروج بحملة قوية من البصرة لاستعادة نجد و الاحساء فحذرت بريطانيا العثمانيين من التعدي على ابن سعود لما لذلك من اثر سلبي على "الاستقرار في المنطقة". فهم العثمانيون التهديد المبطن الذي لم

---

[١] أ.د. عبد الله يوسف الغنيم،"اخبار الكويت:رسائل علي بن غلوم رضا.الوكيل الاخباري لبريطانيا في الكويت ١٨٩٩-١٩٠٤"، ص٤٧

[٢] حسين حسني،"مذكرات ضابط عثماني في نجد"، ص٥٦

يكونوا قادرون على ردعه لانشغال قواتهم في طرابلس و البلقان وتوصلوا الى حل وسط يقضي بلقاء بن سعود في الصبيحية بين الزبير و الكويت في حماية المدفعية البريطانية حيث اعلن ولاءه الاسمي للسلطان العثماني بصفته واليا للاحساء فيما كثف الانكليز دعمهم له بالسلاح و الذهب لتمكينه من التصدي لمحاولات العثمانيين استعادة السيطرة على شرق الجزيرة حتى ان شحنات السلاح المارة بالكويت في طريقها له بلغت في اسبوع واحد من ١٩٠٧ رقما ضخما بمقاييس ذلك الزمان هو ستة الاف بندقية و هو رقم لم تكن الكويت و سكانها البالغون ثمانين الفا يحتاجونه[١]. لم تتطلب المهمة بطولة من عبد العزيز لان شيوخ قبائل الاعراب النجدية كانوا يسارعون بالانضمام اليه بانتهازيتهم المعروفة عقب تسلم اكياس الذهب رغبة في الانضمام للجانب الرابح و محالفة "عبد العزيز رجل الانكليز".

في ١٩١٤ قام مبعوث المخابرات البريطانية في الكويت النقيب شكسبير برحلة ذات اثر بعيد في ما تلاها من حوادث. ارسلت المخابرات البريطانية مسبقا تسال شيوخ قبائل الجزيرة عمن يستطيع ضمان امن بعثة استكشاف تجسسية يقودها النقيب شكسبير من الكويت الى القاهرة اثناء اجتيازه الجزيرة فنفى الشريف حسين امير الحجاز قدرته على ذلك فيما اعلن ابن سعود انه قادر على ضمان امن شكسبير الى "معان" الاردنية و وفى بوعده مما رفع من اسهمه لدى الادارة الامبراطورية في لندن. بعد عودته داوم الكابتن شكسبير على الاتصال بصديقه ابن سعود و و تزكيته لدى الادارة البريطانية.

---

[١] الدكتور رحيم كاظم محمد الهاشمي،" تجارة الاسلحة في الخليج العربي ١٨٨١-١٩١٤"، ص٤٤

في ١٩١٢ ظهرت نواة جماعة سلفية تسمى الاخوان نجحت في اقناع افراد من عربان عتيبة[١] و مطير[٢] و حرب و العجمان و غيرهم بوجوب الالتزام بالسمت الاسلامي و الهجرة الى ديار الاسلام ممثلة في مستوطنات يحكمها الشرع سميت بالهجر. كانت اول هذه الهجر هجرة الارطاوية التي كان احد مؤسسيها الداعية عبد الكريم الدرويش[٣] الخراساني القندهاري الاصل الكابلي المولد على احدى الاقوال. كان عبد الكريم درويش قد وفد من الاهواز بعد ان فشلت جهوده لدعوة قبائل المنتفق و استقر حول بئر بالارطاوية ثم اقنع افراد من قبيلة حرب و مطير ارتادوا البئر بالتوطن حولها. اعجبت التجربة الكابتن شكسبير مبعوث الاستخبارات البريطانية للرياض و شجع الملك عبد العزيز على الدعوة لتوطين البدو في الهجر و تعاون معه عبد الكريم الدرويش و تلى ذلك تاسيس هجرة الغطغط لعتيبة. و ينقل عن الامير عبد الرحمن بن مساعد آل سعود ان نقاشا دار في بداية تبني تلك التجربة من قبل عبد العزيز "جرى فيه بحث هذه الحركة و امكانية تطويرها، و قد اقترح عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ مفتي عبد العزيز الا يترك هؤلاء في "هجر" خاصة معزولة في البادية، بل ان يشجعوا على سكنى القرى و المدن. . .اذ خشى ان تصبح لهم عصبية خاصة، و لكن المجتمعين لم ياخذوا بوجهة نظره."[٤]

---

[١] الاسم الجديد لهوازن.
[٢] الاسم الجديد لغطفان.
[٣] عبد الرحمن بن محمد بن علي الهرفي "اخبار الشيخ الزاهد عبد الكريم الدرويش."
[٤] محمد جلال كشك،" السعوديون و الحل الاسلامي"، ص٦٨٨.

شاع بين رجال قبائل اللصوص بنجد و شرق الجزيرة ان عبد العزيز ظهر مثقلا بالذهب و السلاح الانكليزي و قد اسس معسكرات و جيوشا يعد من ينضم اليها بالذهب الانكليزي و الغنائم من العرب المشركين في الدنيا و الحور العين و الجنة في الآخرة. اثمرت تلك الجهود في الاشهر التالية عن تجييش عشرات الالاف من مقاتلي القبائل الذين خرجوا بدعوى اعادة مجد الاسلام و رفع رايته على الآفاق. كان فيصل الدويش امير مطير على رأس اكبر تلك الجماعات و صارت الاخوان القوة الضاربة لجيش عبد العزيز. لم تكن راية عبد العزيز في بدايتها اصولية و لكنه قرر بعد مراقبة نمو جماعة الاخوان ان يستثمر ارث الدولة السعودية الاولى في اجتذاب المتطوعين للقتال في صفه. بعد التحالف مع الاخوان تخلى عبد العزيز عن القاب الامارة و تسمى بالامام. اخلص الاخوان لعبد العزيز و جعلوا شعارهم "انا خيال التوحيد اخو من طاع الله. . من عادى آل سعود يعادي الله." من ناحية اخرى بدأ عبد العزيز يفرض التوطين على الاعراب بالقوة او تحت تهديد التكفير من القبائل المتوطنة كي يتمكن من السيطرة عليهم و على موارد رزقهم ثم يجبرهم على القتال في صفوفه.

كانت تجربة الهجر التي تمت بتمويل و تسليح بريطاني تخضع لاشراف المكتب السياسي البريطاني بالخليج التابع لحكومة بريطانيا في الهند و كان مسؤولو الجيش البريطاني يقومون برحلات في العمق النجدي لزيارة تلك الهجر و قضاء وقت بين الاخوان للحكم على تطور الظاهرة كما في زيارة الكولونل هاملتون[١] (لورد بلهافن) المقيم السياسي البريطاني بالكويت سنة ١٩١٧ لهجرة مطير بالارطاوية حيث

---

[١] محمد جلال كشك،" السعوديون و الحل الاسلامي"، ص ٥٦٦.

يتاح للمفتش البريطاني رؤية الاخوان عن قرب فيما يشبه عرض حدائق حيوانات السفاري المفتوحة فيما يزمجر الاخوان و يبصقون في اتجاهه بصورة مسرحية على الطريقة الاعرابية تعبيرا عن تعصبهم و استنكارهم لوجود الكفار وسطهم، و يقوم وقتها مرافق الزائر من آل سعود بالتفاخر بان تلك الكائنات الخطيرة المتوحشة في الظاهر التي تتقن العرضات و الهوشات و الأكروبات و اللعب بالسيوف اليفة لا خطر منها الا على اعداء التاج البريطاني.

استعان الكابتن شكسبير سليل الادارة الانكليزية ذات الخبرات التاريخية في توطين الهنود الحمر و قبائل غابات افريقيا في مخططه لتوطين البدو و تطويعهم لاهدافه بالقراء من آل الشيخ الذين اضناهم الجوع في بوادي نجد و خرائب الرياض خلال سنوات حكم آل الرشيد فخرجوا يبشرون البدو بظهور عبد العزيز آل سعود القادم من الكويت الذي لم يتعدى علمه الشرعي مستوى طفل في الصف الثالث الابتدائي[1] في العصر الحديث كما لو كان مخلص الدين و الدنيا المهدي المنتظر الذي يخرج على الناس و باحدى يديه ذهبا انكليزيا و بيده الاخرى بنادق انكليزية. و وُعِد آل الشيخ[2] بان لهم اجرا و نصيبا من الحكم ان كان قوم شكسبير هم الغالبون. و كما يفعل الحكام المعاصرين من اهداء الدروع و الاوسمة لكبار رجال الدولة و الوزراء فيقوم اولئك بدورهم باقامة الحفلات التكريمية للحاكم و اهداءه دروع و اوسمة التميز بصفته بطل الامة و حامي الحمى و باني النهضة الحديثة جعل آل الشيخ من

---

[1] كما يبدو من بعض رسائله الشخصية التي كتبت بلغة عامية انه كان شبه امي و لم يطلع على الكثير او حتى القليل من العلوم الشرعية و كذا كان الحال مع رفيق دربه الدويش.

[2] كان وعاظ آل الشيخ من اول الطوائف التي نثر عليها ابن سعود الذهب البريطاني عقب عودته من الكويت و قد عملت شبكة وكلاءهم من ائمة القرى في القصيم و حائل و غيرها كجهاز استخبارات على الارض ينقل الاخبار لابن سعود عن البلاد المستهدفة بالغزو و يبث الدعايات المبشرة بقرب وصوله و المثبطة لمناوئيه.

اسس التوحيد الاسلامي عندهم طاعة ابن سعود و اعتبروا الخروج عليه كفرا فكافأهم عبد العزيز على ولائهم بمنحهم الحقوق الحصرية للافتاء و ادارة الشؤون الدينية في الامارة. كان آل الشيخ معتادين على ركوب الموجة الرائجة فقد قاتل ابناء كبيرهم عبد اللطيف آل الشيخ لسنوات بحماس تحت راية آل الرشيد ضد عبد العزيز و منعوه من دخول الرياض[1].

لدعم الحركة لدى السذج دبج القصاصون اساطير وهمية في شجاعة عبد العزيز و المدد الالهي الذي يحيط به و تغنوا بها في المحافل. كان عبد العزيز معروفا لدى بعض جنوده باسم "ابو الدربيل" لانه كان يختبئ بدربيله (النظارة المعظمة) خلف الأكمة لمراقبة ميدان القتال و لا يرى فيه الا بعد ان تحسم الامور لصالحه. و في حادثة مشهورة اثناء احدى المعارك دعاه خصمه عبد العزيز الرشيد الشمري المعروف بعبد العزيز الجنازة لتحديد مصير المعركة عن طريق المبارزة بين القائدين فابى قائلا "انت ميت و انا حي و الحي لا يبارز الميت" مشيرا الى مقولة ابن الرشيد عن نفسه انه يخرج من داره للقتال و في حسابه انه مات بالفعل كي لا يهاب الموت. على العكس من ذلك كان عبد العزيز الذي اشتهر بذبح اعداءه بلا رحمة عندما يقدر عليهم رجلا رومانسيا رقيقا كما ينقل عنه صديقه المؤرخ اليهودي الاصل المشبوه ليوبولد فايس محمد اسد اثناء حصار الحامية العثمانية في الهفوف في مقدمة لطرد الدولة العثمانية من الخليج و الجزيرة العربية و ازالة آخر حاجز في وجه التمدد البريطاني باتجاه العراق حيث يقول: "كنا على مرأى من الهفوف. و من الرابية التي كنت جالسا عليها،

---

[1] محمد جلال كشك "السعوديون و الحل الاسلامي" ص ٢٧٤.

استطعت ان ارى بوضوح اسوار القلعة الحصينة التي كانت تشرف على البلدة. كان فؤادي مثقلا بالحيرة، كنت اوازن بين فوائد هذا العمل و اخطاره. لقد شعرت بالملل و بالشوق الى السلام و الحنين الى البيت. و عندما فكرت في البيت رايت وجه زوجتي جوهرة ماثلا امام عيني. . .و بدات افكر في بعض الابيات التي يمكن ان اقولها لو كانت حينذاك الى جانبي. و دون ان اشعر وجدتني منشغلا بتنظيم قصيدة لها، ناسيا بالكلية اين كنت، و مبلغ الخطورة في القرار الذي كان علي ان اتخذه. و حالما اصبحت القصيدة جاهزة في فكري كتبتها على ورقة و وضعتها في مظروف ختمته و ناديت واحدا من سعاتي و امرته قائلا: خذ اسرع ذلولين و سلم هذا الى ام محمد ."[1] كان هذا الشاعر الرومنسي الرقيق يكتب الرسائل مطمئنا لأم محمد الجوهرة بعد ان اكد له الكابتن شكسبير ان الجيش الصربي البلغاري الروسي اليوناني المتحد اكتسح البلقان و مدينة ادرنة مفتاح العاصمة العثمانية اسطنبول و ان العثمانيين الذين خسروا ما يقرب من ربع مليون جندي بين قتيل و جريح و اسير في تلك المعارك لن يستطيعوا التصدي لغارته في القطيف و ان بريطانيا لن تسمح لهم بالمرور في الخليج ان استطاعوا. و فيما كان قاطع الطريق النجدي الرومنسي يرى وجه ام محمد الجوهرة ماثلا امام عينيه كانت الامة خارج نجد تضج بالصياح على ضياع البلقان و يقول الشاعر المصري احمد شوقي في رثاء ادرنة و اندلس جديدة:

يا اخت اندلس عليك سلام ... هوت الخلافة عنك و الاسلام

---

[1] محمد جلال كشك "السعوديون و الحل الاسلامي" ص ٦٠.

نزل الهلا ل[١] عن السماء        فليتها طويت و عم العالمين ظلام[٢]

لم يكن لعبد العزيز دافع للقلق و موارد الامبراطورية البريطانية و سلاحها يدعمانه في وجه حامية عثمانية صغيرة من المجندين الجوعى الذين انهكهم الحصار.[٣] و لا شك ان شعوره كان مشابها لشعور قادة ميليشيات تحالف الشمال الافغانية بعدها بتسعين سنة عندما انطلقوا في ظل حماية مئات الطائرات و الصواريخ الاميركية العملاقة للقضاء على حاميات طالبان المعزولة المكونة من جنود حفاة جائعين مسلحين ببنادق روسية قديمة. لم تكن هذه اول مرة يحاول فيها آل سعود طرد العثمانيين من الاحساء فقد حاول اباه و اعمامه سعود و عبد الله و قبائل العجمان و المرة[٤] العاملة لدى الجيش البريطاني طرد الحامية العثمانية قبلها باربعين سنة و لكنهم هزموا على يد قوة من الاتراك و الأكراد و عرب المنتفق قادها ناصر باشا السعدون والي البصرة.

كررت بريطانيا تجربة ابن سعود بعدها في السنوات التالية في شرق الجزيرة و غربها عن طريق دفع آل ثان في الشرق و الادريسي في جنوب عسير و عنزة و الرولة في الشمال و عشائر الحجاز و شرق الاردن في الغرب لقتال الدولة العثمانية تحت قيادة بريطانية. كانت منطلقات هذه العشائر تمت اكثر

---

[١] العلم العثماني المكون من هلال و نجمة

[٢] احمد شوقي،"ديوان الاندلس الجديدة"

[٣] و ينقل عن الكابتن شكسبير ضابط الاستخبارات البريطانية بالكويت ان عبد العزيز اسر له قبل عمليته ضد الاحساء بسبع سنوات ان" آل سعود راودتهم دائما فكرة اعلان القتال(ضد العثمانيين في الاحساء) و ازاحتهم، لكنهم ارتأوا دائما ان الحملة العسكرية تكون عديمة الجدوى الى ان تحد مقدرة الاتراك على جلب الجنود بحرا، و لا يتم ذلك الا بواسطة الانكليز."
نجدة فتحي صفوة،"الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، ج١ ص ١٦١

[٤] قبائل اعرابية شبيهة بالغجر كانت تعمل في السرقة و قطع الطرق و القتال لحساب من يدفع و تنهب من جلبها عند الهزيمة و تفر.

للرغبة بالاستئثار بحكم قرية او اثنين و قطع الطريق[١] على غيرهم من المسلمين اكثر مما كانت تحمل مشروعا حضاريا يتحاكم للاسلام الذي يفترض به ان يكون المرجع الاول في جزيرة العرب. بدلا من ذلك خرج قطاع الطرق المذكورين باخابيل تشبه ما خرج به مسيلمة الكذاب ليحاكي به القران، فقد تبنت قيادة الثورة العربية[٢] الكبرى في الحجاز علما للثورة العربية مكون بحسب تفسير المؤطرين السياسيين لتلك الفرقة من اربعة الوان هي الابيض كناية عن الدولة الاموية و الاسود للعباسية و الاخضر للفاطمية العبيدية الباطنية و الاحمر للثورة التي قد تكون لينينية خاصة و قد كانت احداثها معاصرة. [٣]

على الجانب الاخر من الجزيرة ابرمت قرية قطر معاهدة دفاع مشترك مع الامبراطورية البريطانية التي لا تغرب عنها الشمس فيما كان تعداد سكان قطر لا يزيد في مجموعه عن خمس عشر الف بين قاطع طريق اعرابي و راعي غنم حافي القدم و غواص لؤلؤ عاري البدن و امراة و طفل ينتظر منهم ان يدافعوا عن الامبراطورية البريطانية اذا ما هوجمت بموجب المعاهدة التي رابطت بمقتضاها البوارج

---

[١] ثار اعراب الحجاز و اهل مكة في ١٩١٣ ثورة عارمة قبل بداية ثورة لورانس عندما حاول العثمانيون مد خط سكة حديد الحجاز من مكة الى المدينة مما كان سيحرم قطاع الطرق الحجازيين من ارباح قطع الطريق على الحجيج.

[٢] و الاصح بدلا من تسمية الثورة العربية الكبرى التي روجتها المخابرات البريطانية ان تسمى بالخيانة الاعرابية الكبرى حيث اقتصر التمرد المذكور على قبائل جزيرة العرب العاملة في خدمة الجيش البريطاني فيما لم يعرف عن العرب الحضر خارج الجزيرة الاشتراك في ذلك التمرد باستثناء افراد من اهل الشام جندتهم القنصليات الاوروبية و عملوا لاحقا مع الشريف حسين ثم انتقلوا لخدمة عبد العزيز بعد القضاء على الحكم الهاشمي في الحجاز. و قد بدات شرارة الثورة من مكة عندما تم رشوة القائمقام عي خلقي الشرايري الاربدي الاردني احد كبار ضباط حامية مكة العثمانية للمساعدة في تسليمها للشريف و ثورته البريطانية. و قد كوفئ الشرايري بتعيينه عمدة لقرية اربد الصغيرة شمال الاردن.

[٣] مع ان المصادر التاريخية الغربية ، و هو القول الاصح فقد كانوا حكام البلاد، تنسب تصميم العلم الى الكولونيل مارك سايكس (احد اطراف اتفاقية سايكس بيكو لتقسيم البلاد العربية) مسؤول المكتب العربي بالخارجية البريطانية فلم تكن الخارجية البريطانية التي استخرجت من بطون كتب التاريخ الاسماء التاريخية للدويلات التي استقطعتها من الدولة العثمانية مثل فلسطين و سوريا و الاردن و لبنان لتترك حتى تحديد لون العلم لرجال الشريف الجهلة الذين اقتصر دورهم على قتال الاتراك و حمل المؤن. ويكيبيديا، سير مارك سايكس.

البريطانية امام دار شيخ القرية و راحت تقطع الطريق على المسلمين[١] .و كانت قطر في الاصل محمية صحراوية انشاتها شركة الهند البريطانية بمرسوم سنة ١٨٦٧ لعشائر قطاع الطرق الاعراب المتعاونين مع البحرية البريطانية و العاملين في خدمة و حراسة السفن و القوافل البحرية البريطانية ضد مجاهدو البحر المسلمين او قطاع الطرق الاخرين و كمحطة لتهريب السلاح البريطاني للانفصاليين النجديين بدون استفزاز الدولة العثمانية.

اما ضحالة عقائد مؤسسو تلك الدويلات الانفصالية فيمثلها افضل تمثيل نشيد علم الثورة العربية الكبرى و نصه:

يا علمي يا علمي

يا علم العرب اشفق و اخفق

في الافق الازرق يا علم

لبنيهن الاباة كيف لا نفديك كل خيط فيك

---

[١] اختارت قطر التي اعلنها الانكليز في منتصف القرن التاسع عشر مشيخة مستقلة مشمولة بحمايتهم و سكان عاصمتهم الدوحة يومئذ خمسة آلاف رجل و امراة و طفل لها فيما بعد علما من لونين فلما سئل حاكمها عن اللونين قال ان احدهما يرمز للدماء التي سفكت في الحروب السابقة و لم يعلم ان اهل هذه القرية قاتلوا في اي حرب معروفة الا ان كان في صفوف القرامطة سارقو الحجر الاسود او لاحقا ضد الدعوة السلفية كجزء من جيش بني خالد او تحت راية انكلترا ضد الحامية التركية او في مشاجرات تافهة ضد قرية البحرين المجاورة اثناء الصراع على مرعى للغنم.و لم يذكر شيخ القرية التي صارت دولة بأمر انكلترا ان اللون الاخر الموجود على العلم و هو الابيض كان شرطا فرضته بريطانيا على جميع اعلام مشيخات الخليج للدلالة على استسلامها و خضوعها لبريطانيا طبقا لمعاهدة الاستسلام المعروفة باتفاقية" امارات الساحل المتصالح". و كان اهل تلك القرية قد هاجموا الحامية العثمانية لانها "تتدخل في شؤونهم" و طردوها بمساعدة بريطانية ثم طلبوا حماية بريطانيا و خضعوا للحكم البريطاني. و هناك تبرير آخر للون العلم المشابه لعلم البحرين هو ان اللون الاحمر في العلم المعلق امام داره بهت بتاثير الشمس الحارقة فلما سال الحاكم اقر اللون الجديد.

دمعة من جفنهن خفقة من صدورهن قبلة من ثغرهن يا علم

يا علمي يا علم[١]

و لم يبق الا ان يقول "خصورهن يا علم "و "نهودهن يا علم" فيما كان اللوطي[٢] الشهير لورنس[٣] العرب ضابط المخابرات البريطاني قائد الثورة و ملك الجزيرة غير المتوج يتقلب بين احضان مقاتلي الثورة و يصحو ليأمر رفاق الليل بذبح اسراهم العثمانيين[٤]. كان "اورنس" كما درج رفاقه العرب من مقاتلي الجزيرة على مناداته واحدا من "المستشارين" البريطانيين الكثر في اروقة حكم ذلك الزمان في جزيرة الاسلام و ان لم يكن النفوذ الانكليزي سافرا في حالة عبد العزيز. تمثل هذا النفوذ في امداد مخازن الجيش البريطاني في الكويت عبد العزيز باحتياجاته من السلاح و المؤن. فضلا عن ذلك عين النقيب و ليم شكسبير مدير مكتب استخبارات الادارة البريطانية في الكويت لخمس سنوات سابقة مستشارا عسكريا للملك و مشرفا على ادارة مدفعية عبد العزيز حتى معركة جراب ١٩١٥ عندما قتل شكسبير اثناء القتال الى جانب الملك ضد آل الرشيد و العثمانيين. كان شكسبير قد اوفد قبلها بشهرين في رحلته الاخيرة لنجد على عجل من قبل مكتب الخارجية البريطانية بالهند في مهمة

---

[١] "بيان العلم العربي"، جريدة القبلة الناطقة باسم الثورة الاعرابية ١٩١٧.

[٢] نشرت سير تاريخية بريطانية عديدة عن حياة لورنس تحدثت عن حبه لغلمان البدو و وصفه لرشاقة سيقانهم و قوامهم السمهري.

[٣] قام "اورنس" حبيب الاعراب عند دخوله دمشق بنهب اكليل برونزي من الزهور وضعه قيصر المانيا فيلهلم الثاني حليف العثمانيين على قبر صلاح الدين الايوبي ثم اهداه الى متحف الحرب الامبراطوري البريطاني قائلا:"لم يعد صلاح الدين بحاجة اليه بعد الآن."

[٤] قام اعراب لورانس في حادثة واحدة قرب درعا على الحدود الاردنية السوري بقتل اكثر من خمسة الاف اسير و جريح عثماني من المدافعين عن دمشق.

لتنسيق عمل ابن سعود مع القوات البريطانية التي وصلت لتوها الى البصرة كمقدمة لغزو العراق عن طريق مشاغلة فرسان شمر كي لا يمدوا المدافعين عن البصرة وولايات العراق العثمانية او يهددوا مخطط لورنس/ الشريف في الحجاز او يساهموا في الحملة العثمانية على مصر.

كانت تلك الخطوات جزءا من المهمة الشاملة التي كلف بها شكسبير في نجد من قبل نائب ملك بريطانيا في الهند و هي استخدام نفوذه لدى عبد العزيز آل سعود و مبارك الصباح لحضهم على قمع اي اضطرابات تنتج عن العمليات الحربية لغزو العراق و الشام و اي استجابة و لو ضئيلة لفتوى السلطان باعلان الجهاد و منع وصول اي مساعدات عن طريق اراضي و موانئ الجزيرة للشام او العراق. و كان تقييم وزير الدولة البريطاني لشؤون الهند ان "الشيخ مبارك و ابن سعود يمكنهما حفظ السلام باستخدام نفوذهما على قبائلهما، و ايضا من خلال اصدقائهما الاقوياء مثل شريف مكة و ابن شعلان شيخ الرولة[١]. و نعتمد على مشايخ الساحل و ابن سعود في منع البدو من اتخاذ اي موقف. و قد حدد نائب الملك التفاصيل العملية لمهمة شكسبير في رسالة قال فيها: " احب ان اشير هنا الى انني بعثت بكابتن شكسبير الى ابن سعود مع تعليمات بدعوته الى القدوم للشمال و بالبقاء معه في حالة ما اذا ما اردناه ان يساعدنا بقبائله خلف البصرة"[٢]اثناء غزو العراق.

---

[١] الرولة: احد عشائر عنزة في الجوف شمال الجزيرة و بادية الشام حلفاء عبد العزيز آل سعود و شيوخهم اصهاره و رجال بريطانيا المخلصين. قاتلوا الى جانب بريطانيا في معاركها لاحتلال الشام و العراق. غير شيخهم طراد الشعلان اسم ابنه من "حمد" الى "اورانس" اكراما لصديقه لورانس مسؤول المخابرات البريطانية في شمال الحجاز.

[٢] محمد جلال كشك "السعوديون و الحل الاسلامي"، ص ٣٨٧.

كانت الايام التي سبقت تلك الحوادث مليئة بالتطورات على صعيد الامة الاسلامية كلها، فقد اعلن السلطان العثماني قبل شهرين في ١٣ نوفمبر ١٩١٤ ان الجهاد فرض عين على الامة الاسلامية كلها و ان مصير ثلاثمائة مليون مسلم على المحك. كانت فتوى الجهاد التي وقعها خيري افندي مفتي الدولة العثمانية مكونة من خمسة اسئلة رد عليها بالايجاب و هي : "هل يجب على المسلمين النفير خفافا و ثقالا لقتال الحلفاء الاحزاب اعداء الاسلام اجابة لدعوة سلطان المسلمين ؟ هل يجب على مسلمي روسيا و فرنسا و بريطانيا و دول الحلفاء القتال ضد دولهم؟ هل يتعرض من يتخلفون عن القتال لعذاب اليم من الله؟ هل يكون مصير الرعايا المسلمين لدول الحلفاء نار جهنم اذا قاتلوا الدولة الاسلامية مهما كانت التهديدات التي تعرضوا لها لكي يقاتلوا الى جانب الحلفاء؟ اذا شارك المسلمون المقيمون تحت سلطان بريطانيا و فرنسا و روسيا و الصرب و الجبل الاسود في المجهود الحربي ضد الدولة العثمانية بما يسبب الضرر لدولة الاسلام الكبرى و الخلافة الاسلامية هل يكون ذلك ذنبا عظيما يودي بصاحبه للنار؟"[1]

حاول العثمانيون إثناء ابن سعود عن التعاون مع بريطانيا و الكفار و ارسلوا اليه وفدا ضم اثنين من علماء بغداد ذوي التصانيف السلفية هما الشيخ نعمان الاعظمي[2] و العالم السلفي العراقي ذو الميول النجدية محمود شكري الالوسي[3] مزودا بعشرة آلاف ليرة عثمانية[4] لابن سعود يستعين بها على قضاء

---

[1] Philip Stoddard,"The Ottoman government and the Arabs", P.26, Princeton press.
[2] نعمان الاعظمي: عالم بغدادي قاتل ضد الانكليز في صفوف المتطوعين في الحرب العالمية الاولى.
[3] الالوسي: عالم عراقي عاش في بداية القرن العشرين، اصطدم بالصوفية في بلاده و سعى لنشر عقيدة اهل السنة و الجماعة.
[4] موسوعة مقاتل في الصحراء، الموضوعات التاريخية، معركة جراب.

حوائجـه اذا ادعـى ان الحاجـة الجأتـه لخدمـة النصـارى و لكنـه رفضـها بمحضـر مـن الكـابتن ولـيم شكسـبير و امـر الموفـد العثمـاني بالرحيـل فيمـا اسـتبقى شكسـبير الى جانبـه.و اثباتـا لولائـه لبريطانيـا سـجن عبـد العزيـز ضـابطا عثمانيـا ارسـلته الدولـة لتـدريب قواتـه علـى الحـرب و منـع اربعـة علمـاء سـلفيين ارسـلتهم السـلطات العثمانيـة مـن بغـداد الى بريـدة بالقصـيم[1] مـن لقـاء النـاس و الطـواف علـى المسـاجد لحـض اهلـها على الجهاد.

كانـت دوافـع بريطانيـا لـدعم عبـد العزيـز هـي نفـس الـدوافع الـتي حركتـها لـدعم الشـريف حسـين لاحقـا و قـد لخصـها مـدير اسـتخبارات الجـيش البريطـاني بالقـاهرة في تقريـره المعـروف باسـم "سياسـات مكـة" عنـدما قـال: "ان الشـريف لا يعمـل في مصـلحة بريطانيـا الا بقـدر مـا يخـدم آمالـه. ان هدفـه هـو تاسـيس خلافـة لنفسـه و تحقيـق اسـتقلال الشـعوب الناطقـة بالعربيـة مـن خضـوعها المـزعج الحـالي للشـعوب الناطقـة بالتركيـة. و هكـذا فـإن اهدافـه معارضـة بصـورة قاطعـة لحـزب الجامعـة الاسـلامية الـذي هـو عقبـة قويـة امامـه. . .ان نشـاطه يبـدو مفيـدا لنـا لانـه يتماشـى مـع اهـدافنا الآنيـة، و هـي تفتيـت الكتلـة الاسـلامية و دحـر الامبراطوريـة العثمانيـة و تمزيقهـا ، و لأن الدولـة الـتي سيؤسسـها لتخلـف الاتـراك سـتكون عديمـة الضـرر لنـا . . . .ان العـرب هـم اقـل اسـتقرارا مـن الاتـراك، و اذا عـولج امـرهم بصـورة صـحيحة فـانهم يبقـون في حالـة مـن الفسيفسـاء السياسـية، مجموعـة دويـلات صـغيرة يغـار بعضـا مـن بعـض، غـير قـادرة علـى التماسـك. . . .ان فعاليـات الشـريف حسـين كانـت مفيـدة لنـا ، فقـد اوقـف الامـام عـن مهاجمـة عـدن

---

[1] محمد جلال كشك،"السعوديون و الحل الاسلامي" ص٤٦٣.

و هدأ الملا[١] في الصومال، و شتت خطط ابن الرشيد. كما انه رفض الدعوة للجهاد، او السماح باعلان الجهاد رسميا. و صد، و لا يزال يصد، النفوذ التركي في الحجاز. و حال دون جمع المتطوعين، و منع الصاق الاخبار المعادية لبريطانيا في الاماكن العامة بمكة. و من الواضح ان هدفه من وراء هذا كله بطبيعة الحال ان يحل هو محل الحكومة التركية في الحجاز يوما ما، و اذا تمكنا فقط ان ندبر جعل هذا التغيير السياسي عنيفا، فسنكون قد الغينا خطر الاسلام بجعله منقسما على نفسه في داخله. و عندئذ سيكون هنالك خليفة في تركيا، و خليفة في الجزيرة العربية، و سيكونان في حرب دينية، و الاسلام سيكون قليل الخطر."[٢]

كان عبد العزيز مرتبطا بالعثمانيين بمعاهدة ولاء فلما طالبه انور باشا وزير الحرب العثماني[٣] بالوفاء بعهده الذي اقره بموجبه العثمانيون حاكما على نجد رد عليهم معتذرا بانشغاله بقتال آل الرشيد مع ان الرشيد لم يبدأه بالقتال وقتها و كان يستعد حسب المصادر العسكرية العثمانية للتوجه لسيناء للمشاركة في الحملة العثمانية لتحرير مصر.[٤] فضلا عن ذلك حاول ابن سعود تجنيد عجمي باشا السعدون[٥] امير المنتفق بجنوب العراق للعمل مع البريطانيين، و كان عجمي باشا قد نصح ابن سعود ان

---

[١] الملا سيد محمد حسن الصومالي او "الملا المجنون" حسب المصادر البريطانية، بدأ شيخا لطريقة صوفية ثم هاجم البريطانيين و قتل من قواتهم و هاجم القبائل الصومالية المتعاونة مع بريطانيا و تصدى للاحباش. تعاون مع العثمانيين و ليج عيصو حاكم الحبشة ذو الاصل المسلم الذي دعمه بالسلاح حتى تم عزله. استخدم البريطانيون الطائرات ضده الا انهم لم ينجحوا في قتله او اسره و مات لاحقا وسط رجاله على فراشه. رفض رفضا قاطعا عروض بريطانيا ان يتولى حكم البلاد تحت الحماية البريطانية.

[٢] نجدة فتحي صفوة،"الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، المجلد الثاني، ص ١١٩

[٣] اعلن وزير الحرب العثماني انور باشا في جلسة ٢٣ فبراير ١٩١٤ امام كبار قادة وزارة الحرب العثمانية ان الحل لمنع تفكك الدولة هو العمل على توحيد مكوناتها الاسلامية من عرب و ترك و غيرهم و التصدي للاقليات المخربة غير الاسلامية.

[4] Philip Stoddard,"The Ottoman government and the Arabs", P.125, Princeton University 1963.

[٥] ظل عجمي باشا على ولاءه للدولة العثمانية و انسحب بعد غزو البصرة مع رجاله الى ان استقر في منطقة ماردين التركية مقابل حلب حيث اقطعته الحكومة التركية اراضي زراعية و حاول اشعال ثورات ضد البريطانيين في الرمادي و مناطق الحدود السورية العراقية بالتعاون مع آل الرشيد قبل ان يقضى عليهم ابن سعود.

يسعى فيما ينفع العرب و المسلمين و لا يتولى عدوهم ان كان حقا من اهل الدين و ذكره بانه مازال على بيعته للسلطان العثماني[1] الا ان ابن سعود نصحه بالتشاور مع ولاة الامور البريطانيين الذين "بيدهم[2] كل شئ".

و كما سعى ابن سعود في تجنيد شيخ قبائل المنتفق للعمل مع بريطانيا فعل الامر ذاته مع ابن الرشيد امير شمر الذي راسله في ١٩١٧ في طلب الصلح ليتفرغ لنجدة العراق. الا ان عبد العزيز رفض و رد على ابن الرشيد بالقول :"لو كان الامر بيني و بينك لما كان احب الي من حقن دماء المسلمين و جمع شمل العرب لكن الامر اليوم يا اخي ليس في يدي. فان شئت الخير لك و للعرب فان السلام يمكن ان يتحقق بثلاثة شروط :١) ان تقطع كل صلة لك بتلك الحكومة الوضيعة التي سببت الخسارة لديننا و دنيانا، و اعني بها الحكومة التركية التي لم تترك اثما لم ترتكبه. ٢) ان تصبح صديقا مع الحكومة التي نحن حلفاؤها (بريطانيا)، و اخوانك العرب و نحن متعاهدون على توحيد العرب. ٣) ان تكون صديقا مع الشريف و تساعده، فاي عربي لا يساعده يجب ان تتجنبه لان الشريف هو عضو في تحالفنا .فان كنت تقبل هذه الشروط فلك ما تشاء، فانا اريد السلام و لكن لن اتنازل عن هذه الشروط حتى و

---

[1] كان عبد العزيز قد راسل العثمانيين بعد استئذان بريطانيا في ١٩١٣ ليعترفوا به واليا على نجد فوافقت الدولة العثمانية و منحته لقب الباشاوية و ولاية نجد.و كان بداية المراسلات ان عبد العزيز اراد ان يستبق قيام اي حملات عسكرية عثمانية ضده قد تقوم بها حكومة انور باشا ذات النظرة التوسعية و في نفس الوقت ان يستثير غيرة البريطانيين الذين ماطلوا في رفع راتبه الشهري و لكنهم سمحوا له بجمع ما يمكنه من مال و القاب و اوسمة من العثمانيين مقابل ولاءه الصوري لهم، و لم يلبث عبد العزيز ان خرج على العثمانيين في ١٩١٤ مع بداية الحرب الاولى عندما امرته بريطانيا. نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الاول، ص ٢٥٠

[2] كان عبدالعزيز و شيوخ عشائر الاعراب بساحل الخليج يشيرون الى البريطانيين في كثير من مراسلاتهم "بهم" او "من بيدهم الامر" بدون مزيد من الايضاح اجلالا لهم و رهبة منهم كما يشير الصوفية الى الله بلفظ "هو هو هو".و لا ادل على انسحاق اعراب الجزيرة امام القوة البريطانية و انبهارهم بها مما كتبه الجاسوس القطري قاسم بن محمد بن ثاني في ختام مراسلة سرية الى"روث" المقيم البريطاني بالخليج بتاريخ مايو ١٨٨١ قال فيها "اطلب اليكم تحذير اهل عمان (يقصد ابو ظبي المعروفة تاريخيا بساحل عمان) من ارتكاب اعمال في البحرضد رجالنا الذين يرغبون في سكنى "العديد"، و نحن نعلم سلفا ان امور البحر لله يحكم فيها ثم لكم".

لو كلفني ذلك عمري و السبب انني اولا اعطيت كلمتي و كلمتي لا تتبدل، و ثانيا انني و الله لم اعرف ابدا عدوا الد عداوة لديننا و للجنس العربي من الترك و كل من له غيرة على الدين و الشرف العربي لا بد ان يحاربهم."[١]

و كما فعل عجمي باشا السعدون قبلها رد ابن رشيد برسالة قال فيها "لقد تلقيت رسالتك ٢٢رجب ١٣٣٥–١٤ مايو ١٩١٧ و فهمت ما بها . ان الشروط التي ذكرتها غير مقبولة، لا لصالح ديننا و لا دنيانا، و لذا فالامر على ما هو عليه: فلزم تعريفك." و قد سرت ادارة المخابرات البريطانية بالبصرة المسؤولة عن العراق و الخليج و نجد سرورا بالغا بتلك الرسائل لما يظهر منها من اخلاص ابن سعود و قامت جرترود بل مسؤلة المخابرات البريطانية في العراق بتوزيع نسخ منها على ذوي الشأن.[٢]

لم تكن محاولات عبد العزيز مع عجمي السعدون و ابن الرشيد اول المحاولات بل يمكن القول انه ابو الثورة الاعرابية الكبرى الحقيقي و ليس الشريف حسين؛فقد كتب نائب ملك بريطانيا بالهند المسؤول عن ادارة الخليج في ١٩١٤ قبل خروج الشريف حسين على العثمانيين بسنة ان "الكثير سيعتمد على موقف ابن سعود، و اذا كانت الثورة العربية تحت زعامته تبدو لابد منها و تلقائية، اعتقد اننا يجب

---

[١] وقد انشد احد مشعبذيه المدعو سليمان بن سحمان في هذا المعنى :
وما قال في الأتراك في وصف كفرهم ** فحقٌّ فهم من أكفر الناس في النحل
وإعداهم للمسلمين وشرهم ** ينوف ويربوا في الضلال على الملل
و كان يرى ان العثمانيين اخطر على الاسلام من اليهود و النصارى و لذلك استدعوا بريطانيا لتسيطر على الجزيرة و ديار الاسلام المجاورة.
[٢] محمد جلال كشك، "السعوديون و الحل الاسلامي" ص٢٤٧

ان نساعدها بالمال."[1]اما الزركلي[2] مؤرخ الدولة السعودية و معاون عبد العزيز المقرب فقد نقل انه قام فور اعلان بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية في ١٩١٤ بالكتابة لمبارك الصباح و ابن الرشيد و الشريف حسين رسالة قال فيها "ارى و قد وقعت الحرب ان نجتمع للمذاكرة عسى ان نتفق على ما ينقذ العرب من اهوالها، او نتحالف مع دولة من الدول لصون حقوقنا و تعزيز مصالحنا."[3]و عضد ذلك برسالة قال فيها ان مصلحة الدولة العثمانية و الاسلام في التحالف مع الذين نعرفهم (الانكليز)." يومها رد عليه ابن الرشيد بقوله: "انا مع الدولة (العثمانية) احارب من حاربت و صالح من صالحت." اما الشريف حسين، و كان لم ينضم الى الجانب البريطاني بعد، فقد ارسل ابنه الامير عبد الله يتوعد عبد العزيز و يذكره بعهده عدم الخروج على الدولة العثمانية و قيل انه كاد يرسل حملة لقتال عبد العزيز لصالح الدولة العثمانية. [4]فقامت بريطانيا التي كانت قيادة قواتها في مصر في حالة هلع من سقوط البلاد بيد العثمانيين و انقياد المسلمون لفتوى الجهاد العثمانية بدفع عبد العزيز لتهديد الشريف حسين انه اذا لم يطرد العثمانيين من الحجاز فسيسير عبد العزيز بنفسه على راس جيش كبير الى الحجاز لطردهم[5] مما عجل بقيام الشريف الخائف المتردد بانتفاضته بعد مماطلة من جانبه استمرت ما يقرب من عامين.

---

[1] نجدة فتحي صفوة، "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الاول، ص ٤٧٤

[2] خير الدين الزركلي مؤرخ سوري بدا حياته عضوا في جمعية العربية الفتاة احد التنظيمات السرية التي تعاونت مع الانكليز في بداية القرن العشرين.

[3] محمد جلال كشك "السعوديون و الحل الاسلامي" ص٤٥٤

[4] محمد جلال كشك "السعوديون و الحل الاسلامي" ص٤٥٥

[5] نجدة فتحي صفوة، "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الاول، ص ٥١٧

ارسل عبد العزيز فور اعلان الحرب رسالة الى ضابط الاستخبارات الانكليزي المسؤول عنه قال فيها "ذكرتم في رسالة سابقة ان الحكومة البريطانية البهية قد اعلنت الحرب على الحكومة العثمانية او انكم تلقيتم من الحكومة البهية تعليمات لدعوتنا الى التعاون مع صديقينا الكريمين و حليفينا المخلصين شيخ المحمرة (خزعل الرافضي) و حاكم الكويت على مهاجمة البصرة و تحريرها من الحكومة العثمانية و منع وصول اي تعزيزات اليها او الى القرنة الى ان تصل القوات البريطانية للاستيلاء على المنطقة و تذكرون ايضا تحرير البصرة و عزلها عن السيادة العثمانية، مما هو من اهدافنا الرئيسية في هذا الشأن و تطلبون الينا منع نهب البضائع التي تعود للتجار البريطانيين في مدينة البصرة و ما جاورها ، و حمايتهم من الاذى و صد القوات التركية عن الاحساء و القطيف و اجلاءها عن مدينتنا .ان التعاون مع الصديقين المذكورين اعلاه هو واجب علينا ، و كذلك علينا ان نبذل مساعينا الحميدة لدى اصدقائنا لاجل الحكومة البهية. . . . . انني واحد من اكبر اعوان حكومة بريطانيا العظمى و انها ستحصل بعون الله على نتائج مرضية كما ذكرنا لصديق الطرفين الكابتن شكسبير. اما بخصوص الجنود العثمانيين فاننا لم نسمح لجندي واحد منهم بالبقاء في هذه الاقسام بعد احتلالنا لها و ازحناهم جميعا خارجا .

اما فيما يتعلق بالامور الثلاثة من قبلكم اي وعد الحكومة البهية البريطانية بحمايتنا ضد الحكومة العثمانية بمنحنا معونتها و حمايتها لنا في المستقبل ضد اي هجوم او عدوان قد ياتي من البحر و اعترافها باستقلال مشيختي في جميع انحاء نجد و الاحساء و القطيف و ان عقد المعاهدات بيننا سيعتمد على وصولنا للكويت فانني مغادرمقري في هذا التاريخ و متوجه للكويت و اننا سنجرى

المفاوضــات الشــفوية اللازمــة لنحصــل علــى موافقــة صــديقتنا حكومــة بريطانيــا العظمــى. آمــل ان تواصــلوا دعم الصداقة المخلصة بيننا باسعاد ذهني باخبار راحتكم و خيركم و احوال الحكومة البريطانية."[١]

مــا ان اعلــن الســلطان العثمــاني الــنفير العــام حتــى انضــم عبــد العزيــز آل ســعود و اهــل نجــد الى الحلــف البريطــاني بعــد ان اعترفــت بريطانيــا بــه حاكمــا تحــت الرعايــة البريطانيــة لنجــد و الاحســاء في اتفاقيــة داريــن (القطيــف) الموقعــة بتــاريخ الثالــث مــن ينــاير ١٩١٥ بعــد ســقوط البصــرة بــاربعين يومــا و رفعــت بمقتضــاها راتبــه الشــهري مــن خمســمائة جنيــه انكليــزي ذهــبي الى خمســة آلاف جنيــه.كــان عبــد العزيــز قــد ارســل بعــد ســقوط البصــرة رســالة تهنئــة لمــدير الاســتخبارات البريطــاني في الخلــيج الكولونيــل برســي كــوكس قــال فيهــا:"في ســاعة مباركــة قــرأت مــع اعظــم الســرور رســائلكم و حمــدت الله علــى ســلامتكم و ســررت بنجــاحكم (في احــتلال البصــرة). و كــذلك ســررت بــان اقــرا مــا كتبتمــوه الي حــول نجــاحكم في القرنــة ( صــد الهجــوم المضــاد العثمــاني لتحريــر البصــرة) و القــبض علــى صــبحي بــك(قائــد الحاميــة العثمانيــة بالبصــرة) و رفاقــه، ارجــو لكــم التوفيــق الــدائم...امــا فيمــا يتعلــق بــي فقــد بعثــتم في نفســي الامــل انــه نتيجــة مــا تم مــن امــر احــتلاكم هــذه الــبلاد فســيكون لــدينا ســبب اعظــم مــن الســابق للرضــا و ان بلادنــا ســتكون بمــأمن مــن اســتبداد الحكومــة التركيــة الــتي عانينــا منــها في الماضــي. انــي شــاكر لهــذا و لــيس هنالــك شــك بــانكم اعــدل النــاس و اكثــرهم تقــديرا لحقوقنــا و حقــوق النــاس المحترمــين، و انــي كنــت معتــزا دائمــا بمشــاعر

---

[١] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الاول، ص٣٨٣ FO371/2479(21633)

الصداقة و الاحترام نحوكم و لا افكر باي امر يكون معارضا لرغباتكم."[1] في اقل من عشرين يوما عقب توقيع معاهدة دارين انتقل عبد العزيز من القطيف الى جراب للقاء سعود العبد العزيز الرشيد امير شمر.

كان سليمان بك العسكري قائد القوات العثمانية في العراق قد ارسل رسائل الى العشائر العربية في شمال الجزيرة و جنوب العراق يناشدها الانضمام لمحاولة استعادة البصرة و شط العرب. اعلن الرشيد امير شمر الحرب على بريطانيا تجاوبا مع فتوى الجهاد العثمانية فامرت بريطانيا عبد العزيز بالهجوم فورا على شمر لمنعها من معاونة القوات العثمانية في قطع خطوط الامداد القادمة من شط العرب و الكويت او المساعدة في الحملة العثمانية على مصر [2]. اندفع عبد العزيز و الاخوان يشاركون في افتتاح اكبر حملة صليبية[3] شنت على العالم الاسلامي و على رأسهم قراء آل الشيخ يحمسونهم و يطلقون شعارات التوحيد و جهاد المشركين و الصوفية القبوريين و "هبت هبوب الجنة . .وين انت يا باغيها !" "و ابراهيم يا عمود الدين، محمد رسول الله. . .اياك نعبد و اياك نستعين . . .و ياويل عدو الشريعة منا"و الكابتن وليم شكسبير بكامل زيه الرسمي البريطاني[4] الى جانب ابن سعود يوجه لهم المدفع الذي اهدته لهم بريطانيا طاعنا العثمانيين في ظهورهم في منتصف يناير ١٩١٥ لينقذوا بريطانيا

---

[1] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الاول، ص٣٨٤ IOR R/15/5/25

[2] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الاول، ص٣٨٨ IOR R/15/5/25

[3] من مظاهر التجييش الصليبي في حوادث الحرب العالمية الثانية القرار الذي اصدره بابا الفاتيكان بعد سقوط القدس في يد الانكليز بتكفير كل من يحاول استرداد القدس من ايديهم، و المعني بذلك الالمان حلفاء الدولة العثمانية.
Ronald Storrs, “Orientations”,p.299

[4] في الاغلب برر آل الشيخ "لمجاهدو" الاخوان وجود مدير مكتب الاستخبارات البريطاني في الخليج وسط المعركة على يمين الامير بانه عبد بريطاني من عبيد "السلطان" عبد العزيز.

من كارثة عظمى توشك ان تحل بها اذا فشل غزو العراق او نجحت حملة سيناء .التقى السعوديون بآل الرشيد في منطقة جراب بين الرياض و حائل على بعد خمسمائة كيلومتر من جراب الى البصرة ليكونوا سدا بين آل الرشيد و الكويت و البصرة في المشرق و يمنعوهم من مد يد المساعدة للجيش الرابع العثماني بالشام الذي بدأ حملة على البريطانيين في مصر . على المدى القصير فشلت المحاولة و فر عبد العزيز بعد ان نهب اللصوص العجمان الذين جلبهم معه خيمته و قتل شكسبير. على المدى الطويل انقذ هجوم عبد العزيز آل سعود الجيش البريطاني في العراق باسره من الهلاك بين مطرقة العثمانيين و سندان المنتفق وشمر و اعطى القوات البريطانية بالبصرة[١] فرصة اخرى للتقدم الى بغداد بعد سنة و نصف في صيف ١٩١٦ و احبط خطة تحرير مصر . كان تطويق الجيش البريطاني بالعراق سيؤدي لافشال خطة البريطانيين لاحتلال الشام و فلسطين و تسليمها لليهود لاحقا ؛ و تمكين العثمانيين من اعادة محاولة تحرير مصر[٢] و ليبيا و منها للجزائر[٣] و تونس و التقدم على جبهة القوقاز

---

[١] في ١٩١٥/١١/٢٨ قبل سقوط بغداد و اثناء زحف القوات البريطانية عليها من الجنوب حضر عبد العزيز آل سعود الى الكويت على متن الباخرة الحربية البريطانية جونو بدعوة من بيرسي كوكس المندوب السامي البريطاني في الخليج و العراق للاحتفال بتولى الشيخ جابر الثاني ابن مبارك الصباح الحكم في الكويت و حضر الاحتفال الشيخ خزعل الكعبي الرافضي امير الاهواز و المحمرة (عربستان) الذي دعم الحملة البريطانية على البصرة و العراق و قدم لها خدمات جليلة وتعهد الحكام الثلاثة بالتعاون مع بريطانيا وخرجوا من الحفل بعد ان قلدوا أوسمة فرسان الأمبراطورية البريطانية الهندية كما هو مثبت في الوثائق الرسمية البريطانية. و في ٢٧ نوفمبر ١٩١٦ حضر عبد العزيز مؤتمر الكويت الذي رعاه المكتب السياسي البريطاني في الهند المشرف على منطقة الخليج حيث التقى بامير الكويت و الشيخ خزعل الكعبي و تعاهدوا على المحبة و الاخلاص و اعلنوا تاييدهم للثورة "العربية الكبرى" التي يقوم بها لورنس و الشريف حسين ضد العثمانيين في الحجاز و فلسطين. ثم انتقل عبد العزيز في زيارة رسمية شهيرة للقوات البريطانية في البصرة عقب المؤتمر بدعوة من بيرسي كوكس للتهنئة باحتلال العراق و لم يكن مضى على سقوط بغداد ستة اشهر فيما لم تكن الموصل قد سقطت في يد الجيش البريطاني بعد.

[٢] في وقت مقارب لمعركة جراب كانت فرق تركية قوامها خمس و عشرين الف جندي تعبر سيناء على اطراف جزيرة العرب على بعد سبعمائة ميل من جراب و اربعمائة ميل من حائل في طريقها للاغارة على السويس و تحرير مصر و نجح بعض افرادها في عبور قناة السويس لفترة ثم انسحبت، كما قام ضباط عثمانيين لاحقا بالتعاون مع السنوسيين بالاغارة من ليبيا على البريطانيين بمصر.

[٣] اغارت القوات السنوسية العاملة مع فرق المخابرات العثمانية على اطراف تونس و الجزائر انطلاقا من طرابلس الغرب اثناء الحرب العالمية الاولى.

التي احتل الجيش العثماني فيها داغستان؛ و استكمال غزو ايران[١] التي بلغ الجيش العثماني فيها منتصف المسافة بين ديالى و طهران و حرمان بريطانيا من امدادات النفط الفارسي[٢] و بالتالي اعاقة المجهود الحربي البريطاني الى حد كبير. كانت حظوظ الدولة العثمانية في الانتصار قد تحسنت بصورة ملحوظة بعد بدء الحرب بسبب قيام الثورة الشيوعية في روسيا و انسحاب الامبراطورية القيصرية بمواردها الضخمة من الحرب و بدا كما لو كانت الاراضي الاسلامية الممتدة من الصين الى المغرب اصبحت على وشك التحرر و لكن احتلال العراق و الشام وصولا الى الموصل و دياربكر على اطراف الاناضول بمعونة اعراب الجزيرة كان طعنة في قلب و ظهر الدولة العثمانية لم تتعاف منها .

اصطدم الزحف البريطاني من الكويت و البصرة لبغداد بمقاومة عنيفة و اندحر متراجعا عند المدائن و العثمانيون في اعقابه يثخنونه قتلا حتى ابادوا من القوة البريطانية ما يقرب من عشرة آلاف. انهزم الجنرال تاونشند جنوبا في اتجاه البصرة ولكن العثمانيون كادوا يدركونه فاضطر للتحصن بالكوت حيث حوصر و معه ثلاثين الف جنديا بريطانيا . اصاب بريطانيا الهلع لما انكشف من ضعف خطوط امدادها من الكويت و البصرة الى الفرات الوسط و احتمال قطع تلك الخطوط لو تمالأت خيالة شمر مع العثمانيين على ميسرة القوات البريطانية عن طريق دخول الزبير العراقية او اجتياح الكويت التي اصبحت بريطانيا في شغل عن نجدتها . كان الهلع طاغيا في قيادة القوات البريطانية بين

---

[١] احتل الجيش العثماني مدينة همدان في ايران على بعد ١٨٠ ميل من طهران(الري) بعد ان هزم الجيش الروسي في اغسطس ١٩١٦ و طارد الجيش الروسي حتى محج قلعة (بورت بتروفسك/ماخاشكالا) عاصمة داغستان و دخلها لفترة وجيزة في ١٩١٨.

[٢] لم يكن البترول قد استخرج من الجزيرة العربية بكميات تجارية في هذا الوقت الا ما كان من استكشافات في البحرين بينما كانت عبدان الايرانية اهم مراكز انتاج النفط في منطقة الخليج.

البصرة و الكويت لدرجة ان مبارك الصباح حاكم الكويت خر ميتا اثر سماعه نبأ هزيمة حلفاؤه البريطانيين و فرار قواتهم جنوبا في طريقها الى البصرة و الكويت و العثمانيون يتعقبونهم. كان مصير الوجود البريطاني في الشرق الاوسط باكمله معلقا بخيط رفيع في تلك اللحظات الحرجة و لو انتصرالعثمانيون على البريطانيين وقتها لكانوا في الاغلب ابادوا آل سعود و مشايخ الخليج[١] و كثيرا من رعاياهم كما فعلوا باهل الكوت الذين تعاونوا مع الجيش البريطاني[٢]. و ينقل الضابط البريطاني اوبري هيربرت مقولة انتشرت في تلك الايام في البصرة مفادها ان القادة الاتراك طلبوا ابرام هدنة مع بريطانيا حتى يتفرغوا لذبح الاعراب الخونة ثم يعودوا للقتال مرة اخرى.[٣]

استسلم الجيش البريطاني الموجود بالكوت باكمله بقيادة الجنرال تاونشند فيما عده بعض المؤرخون العسكريون "اكثر الاستسلامات خزيا في تاريخ العسكرية البريطانية" رغم انهم عرضوا في آخر ايام الحصار مليوني جنيه ذهبا[٤] رشوة للقائد العثماني خليل بك[٥] بالاضافة الى توقيع ميثاق توبة من افراد

---

[١] تظهر المراسلات العثمانية ان الحكومة العثمانية ظلت تتربص لسنوات بابن سعود و مبارك الصباح و قاسم آل ثاني للقبض عليهم الا انهم كانوا في غاية الحذر و لم يجازفوا بالخروج خارج نطاق الحماية العسكرية البريطانية.كما قيل ان انور باشا اعد حملة لاكتساح الكويت و نجد و سواحل الاحساء في ١٩١٤ و لكن قيام الحرب العالمية الاولى ادى به لتوجيه موارد الحملة للدفاع عن البصرة.

[٢] قام اهل الكوت و اغلبهم من الروافض بالتعاون مع البريطانيين و رحبوا بهم عند وصولهم من البصرة و شاركوا في قتل الجرحى الذين خلفهم العثمانيون في المستشفيات العسكرية في العمارة فلما اشتد الحصار على البريطانيين في الهجمة العثمانية المضادة لم يجد اهل الكوت ما ياكلونه و بداوا يفرون من الكوت في طوافات على النهر باتجاه الجانب العثماني الا ان العثمانيين كانوا يقتلونهم و يعيدونهم باتجاه الانكليز مرة اخرى على نفس الطوافات.

[3] Aubrey Herbert“ Mons, Anzac & Kut", Basra, April10th, 1916.

[٤] كان هذا مبلغا ضخما من المال لشراء ذمة رجل واحد اذا قورن براتب عبد العزيز من البريطانيين الذي كان خمسمائة جنيه ذهبي شهريا حتى بداية سنة ١٩١٥ و اشتروا بموجبه ولاء اهل نجد. و من جانب آخر يقول رونالد ستورز مدير المكتب الشرقي بسلطة الانتداب البريطاني بمصر و الضابط السياسي (الاستخبارات) للحملة البريطانية على الشام اثناء الحرب العالمية الاولى رئيس لورانس العرب و لاحقا حاكم القدس و جنوب فلسطين و قبرص ان ما تسلمه الشريف حسين امير مكة نظير الخروج على العثمانيين و وضع الحجاز تحت سلطة بريطانيا و المساعدة في غزو الشام في وقت معاصر لاحداث الكوت بلغ مليون جنيه بريطاني.

Storrs, Ronald, “Orientations”, 2nd Ed, London 1943. PP.148ff.

[٥] خليل باشا (كوت): خال وزير الحربية العثماني انور باشا.

القوة البريطانية المحاصرة باكملها يتعهدوا فيه الا يقاتلوا العثمانيين مرة اخرى. اجبر عشرة آلاف من اسرى الجيش البريطاني المهزوم في الكوت على السير على الاقدام الى اسطنبول عبر صحراء الانبار و سوريا مما ادى الى موت نصفهم بالطريق حسب الاحصاءات البريطانية.

بعد سقوط جنوب العراق في المرحلة الاولى من الغزو البريطاني حضر عبد العزيز في ٢٠ نوفمبر ١٩١٦ بالكويت مؤتمرا عشائريا بريطانيا (دربار)[١] تراسه بيرسي كوكس و مسؤولو الادارة البريطانية بالهند كالذي اعتادت الادارة البريطانية في الهند اقامته لشيوخ القبائل الخاضعة لها و خطب ابن سعود وقتها مؤكدا على بغضه الشديد للاتراك و انه لو كان في جسده قطرة دم تركية لسعى في اخراجها و ان العثمانيين اعداء الامة العربية لانهم سعوا لتفكيكها و اضعافها بينما الانكليز اصدقاء الامة لانهم يسعون في وحدتها و تقوية قادة الامة،[٢] و بعث للشريف حسين يدعوه لقتال العثمانيين قائلا :"تعلم انه ليس اضر من الترك اليوم على الاسلام و العرب."[٣] مطمئنا الشريف حسين على ميمنته من جهة نجد حتى ينطلق في تمرده ضد العثمانيين و هو خال البال مما كان مثار سرور الانكليز الذين انعموا على عبد العزيز بوسام فارس الهند البريطانية و اصطحبوه في ٢٧ نوفمبر ١٩١٦لزيارة الجيش البريطاني الهندوسي في البصرة حيث تجول في المعسكرات البريطانية برفقة مسؤولة المخابرات جرترود بل[٤]

---

[١] دربار(هندية) مجلس عشائري اعلى للتنسيق مع الادارة البريطانية و تقديم البيعة و فروض الولاء لملك بريطانيا من قبل مهراجات الهند حسب اتقاليد الهند البريطانية.

[٢] غيرترود بل،"اوراق منسية من تاريخ الجزيرة العربية"،ص٣٥

[٣] كانت هذه النظرة امتدادا لعقيدة اجداده سعود الكبير و عبد الله بن سعود في نهاية الدولة الاولى عندما كانوا يسمحون للانكليز بالتواجد العسكري الآمن على اطراف نجد من الكويت للبحرين و يحاربون العثمانيين.

[٤] رحالة و جاسوسة و سياسية بريطانية مشهورة ذات سيرة مشبوهة جابت الجزيرة و حكمت العراق من وراء الستار ايام الملك فيصل بن الشريف حسين و عرفها العوام باسم "ابو ناجي". تلقاها اهل نجد و جنوب العراق بالترحاب اثناء رحلاتها في بداية القرن العشرين و لم يشذ عن ذلك الا محاولة فاطمة السبهان اميرة بيت الرشيد من شمر الوصية على حفيدها احتجازها.

صديقة الاعراب و لفيف من قيادات المخابرات البريطانية في الخليج ليرفع من معنويات الجنود الهنود المسلمين في القوة البريطانية الذين كانت الدعايات العثمانية تدعوهم لترك الجيش البريطاني الكافر و الفرار للجانب العثماني. كان اكثر من ثلث الجيش العثماني الذي يبغضه ابن سعود كل هذا البغض و يود ان يراه مهزوما بيد النصارى و الهندوس مكونا من العرب السنة العراقيين و الشوام و الليبيين و بعض المصريين و يضم حسب بعض تقديرات المخابرات البريطانية ما يقرب من عشرة آلاف ضابط عربي. لا يعلم المدى الذي ذهب اليه عبد العزيز في اثبات ولاءه لبريطانيا و براءته من الدولة العثمانية الا ان قبطان البارجة البريطانية جونو التي اقلت عبد العزيز روى ان عبد العزيز حضر في احدى المرات قداس الاحد النصراني الذي قام القبطان بإلقاءه على متن البارجة و ابدى اعجابه بقدرات القبطان كقائد بحري و خطيب نصراني مفوه في نفس الوقت.[1]

كما انه فيما لا يعلم مدى صحة حضور عبد العزيز للشعائر النصرانية و تاثيرها الا ان مراسلاته مع وكيل بريطانيا في المراحل التالية من الحرب مع ازدياد عدد العملاء المنافسين له و ارتفاع فرص زوال الدولة العثمانية تظهر اخلاصا متزايدا لبريطانيا و تمنيا لها و لحلفائها بان يسيطروا على ما بقي خارج ايديهم من بلاد الاسلام، و في سلسلة من تلك المراسلات يكتب لمسؤوله الكولونل بيرسي كوكس معتمد بريطانيا في الخليج: "بخصوص قضية تركية، انها تلح و تزعج العشائر و تحثهم على التعاون بدفع مبالغ جسيمة. و لكن بلا شك و بعون الله لا يفيد ذلك الاتراك ابدا . ان الرجال العقلاء

---

[1] Ronald storrs,"Orientations: memoirs of Sir Ronald storrs", p. 227

يرتبطون بي و يتبعون سياستي، اما اولئك الذين يعارضوننا فان النتائج السيئة لاعمالهم سوف تلحق بهم العار. و بالنظر الى ثقتي بالحكومة الجليلة(البريطانية) و صداقتي لها فإني اشرح لهم كل شؤوني، و انا مرتبط بهم بصورة وثيقة ضد جميع اعدائهم[1]. . . .ان سعادتكم تعرفون ان مصالحي مرتبطة مع مصالح صديقتي الحكومة البريطانية ضد جميع الدول المحاربة عموما و ضد تركية و حلفائها خصوصا لأنهم اعداؤنا . ان العرب غيري قد تكون لهم بعض الحجج(لاتخاذ موقف مختلف)، و لكنني لا امل لي الا في الله و فيكم لانكم مخلصون و صادقون فلا اراء لي سوى آراء اصدقائي.[2] و انني نظرا لاحترامي و صداقتي لسعادتكم فإنني لا افعل شيئا دون الاتصال بكم. . .و انني لا اشك في انكم احرص مني على مصالحي،[3] و انني اعتمد عليكم في هذا الامر، و اطلب العون من الله و بعده منكم.[4]انني حين اتسلم كثيرا من الاخبار منكم يهدأ بالي و اكون قادرا على حماية نفسي من كثير من المغرضين، و لذلك ارجو ان تجعلوا رسائلكم طويلة لانها مصدر متعة و فائدة لي.[5]

اخبرتموني عن سير القتال على الساحة الاوروبية و ذكرتم ما يعاني منه الالمان من نقص العتاد و المؤن و انهم يتكبدون خسائر فادحة. ندعو الله ان يخيب آمالهم. ان صديقتنا بريطانية العظمى و حلفاءها ، بعون الله و حمايته سينتصرون عليهم. . . .ثم تحدثتم عن الوضع على دجلة و في بغداد، و ذكرتم ان الخيالة الروس(حلفاء بريطانيا )يتحركون في تلك المناطق في حين ان جيوشكم المنتصرة على

---

[1] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الثاني، ص٧٢٦
[2] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الثاني، ص٧٢٧
[3] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الثاني، ص٧٣٦
[4] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الثاني، ص٧٥٥
[5] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الثاني، ص٧٣٦

دجلة كانت على تماس بالاتراك على بعد ١٥ ميلا من الكويت و انكم بانتظار موسم افضل و هذا سيأتي قريبا ان شاء الله و ستصلنا اخبار انتصاركم عليهم حسبما تتمنى.[١]

سررت بتسلم اخبار شريف مكة. . .و انني في الحقيقة مسرور جدا لما حدث، اولا لأنه ضربة قاضية للاتراك، و ثانيا، لانني لا اريد ان يبقى اي تركي في الجزيرة العربية. و عسى ان يكون هذا الحادث فاتحة خير لصديقتي بريطانية العظمى ان شاء الله.[٢] و آمل ان تكون صداقتي معكم ابدية و ارجو ان اتسلم اخبار صحتكم بدون انقطاع و ان شاء الله ستزودني بالاخبار الجيدة و المرضية لانتصارات الحكومة العظيمة البريطانية في العراق و غيره. . .حفظكم الله."[٣]

كان النقيب شكسبير برأي دهاقنة المخابرات البريطانية امثال هاري سنت جون فيلبي مؤهلا اكثر من لورنس لقيادة ثورة عربية تنبع من نجد الا ان القدر لم يمهله فدخل لورنس التاريخ بدلا منه، فيما احتز آل الرشيد رأس شكسبير عقب فرار عبد العزيز من موقعة جراب و سلموها للعثمانيين اللذين علقوها و فوقها خوذة الجيش البريطاني التي كان يعتمرها على ابواب المدينة المنورة للتدليل على عمالة عبد العزيز لبريطانيا .كانت القوات البريطانية يومها قد اخترقت الجزيرة من اتجاهين، حيث نزلت كتيبة بريطانية في الوجه على ساحل البحر الاحمر الحجازي مع رجال الشريف[٤] و عودة ابو تايه

---

[١] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الثاني، ص٧٣٥
[٢] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الثاني، ص٧٣٦
[٣] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الثاني، ص٧٥٨
[٤] كان الشريف حسين يخشى ان يؤدي اكتمال خط سكة حديد الحجاز التي انشاها الاتراك الى تقوية الحاميات التركية بالحجاز و الجزيرة و ربط المنطقة بالسلطة المركزية و بالتالي انقطاع الاتاوات التي كانت تدفعها الدولة لقطاع الطرق بالجزيرة و هو على رأسهم لتامين الحجيج بل و ربما تنزع امارة مكة من اسرته فاتفق غرضه مع اقتراح الانكليز بتدمير الخط الحديدية لمنع التواصل بين الولايات العثمانية.

الحـويطي[١] و نزلـت قـوات علـى سـواحل قطـر و الكويـت و مستشـارين مـع عبـد العزيـز الى نجـد ممـا يعـد اول غـزو نصـراني لجزيـرة العـرب في اربعـة عشـر قرنـا . و يمكـن القـول ان اهـل نجـد و اشـياعهم شـرق الجزيـرة حـازوا قصـبة السـبق في خدمـة بريطانيـا لهـدم الدولـة العثمانيـة و التمهيـد لغـزو فلسـطين و الشـام فلـم يكـن ممكنـا ان يخـرج لـورنس و الشـريف لـولا تحييـد الوضـع العسـكري علـى ميمنتـهم في نجـد و الاحسـاء و جبل شمر لصالح بريطانيا .

و تضـرب مراسـلات بريطانيـا مـع الشـريف بخصـوص نـزاع مسـلح نشـب بينـه و بـين عميلـها الاخـر الادريسـي العسـيري مـثلا واضـحا للسياسـات و الجهـود التوفيقيـة الـتي اتبعتـها بريطانيـا لحـث عملاءهـا علـى الانخـراط في التمـرد و تهدئـة مخـاوفهم تجـاه جيرانهـم الـذين ظلـوا في حالـة حـرب و نـزاع عشـائري معهـم لقـرون و هـي بـلا شـك نفـس السياسـات الـتي الزمـت بهـا عبـد العزيـز المتربـص بالحجـاز و المتطلـع للتوسـع، اذ تقـول رسـالة وزيـر الهنـد البريطانيـة "يجـب ان يشـار للشـريف حسـين بوضـوح للاسترشـاد في المسـتقبل بـأن الادريسـي حليفنـا و ان الفضـل يعـود الينـا في تايـيـده للشـريف بصـورة فعالـة بـدلا مـن تهديـد جناحـه. و لـذلك فـان علـى الشـريف الـذي هـو مـدين لحكومـة صـاحبة الجلالـة الـتي يعتمـد علـى تأييـدها العـام الى درجـة قصـوى، ان يمتنـع حتـى بصـورة وقتيـة، عـن فـرض ادعـاءات ابعـد مـا تكـون عـن تعزيـز

---

[١] كـان يفتـرض بـاعراب الحويطـات طبقـا للخطـة العثمانيـة التقـدم لسـيناء للمشـاركة فـي حملـة تحريـر مصـر و لكـنهم بـدلا مـن ذلـك انضموا لبريطانيا و شاركوا في تسليم فلسطين و الاردن و سوريا للنصارى.

الوحـــدة العربيـــة، و لـــيس مـــن شـــانها الا ان تـــؤثر في احبـــاط الغـــرض الوحيـــد الـــذي نســـاعده مـــن اجلـــه. يجب تركيز الجهود على دحر الاتراك."[1]

فضـلا عـن فتـوى فـرض الجهـاد و الـنفير العـام الـتي لم يكـن لهـا صـدى في الجزيـرة نظـرا لـتكفير العربـان للدولـة العثمانيـــة ارســـلت اســـطنبول وعاظـــا و دعـــاة عـــرب الى شمـــال الحجـــاز و الشـــام و العـــراق و مصـــر و غيرهـــا يوضـــحون للعـــوام تفاصـــيل و عواقـــب وعـــد بلفـــور و اتفاقيـــة ســـايكس بيكـــو الـــتي كشـــف الســـتار عنـــها في منتصـــف الحـــرب، و حـــذروا ان الهزيمـــة ســـتؤدي لتفتيـــت الامـــة الى عشـــرات الـــدويلات الـــتي ســـتعيش ذليلـــة تحـــت رحمـــة بريطانيـــا و شـــركائها اليهـــود الى الابـــد، الا ان تلـــك التنبيهـــات لم تـــنقص مـــن حماســـة اهـــل الجزيـــرة لخدمـــة الجـــيش البريطـــاني. و قـــد قـــيم الســـير بيرســـي كـــوكس رئـــيس الخلـــيج و العـــراق موقـــف اهـــل شـــرق الجزيـــرة مـــن فكـــرة الوحـــدة و الخلافـــة يومهـــا بقولـــه:"فيمـــا يتعلـــق بقضـــية الخلافـــة عمومـــا في حالـــة تمـــزق تركيـــة يقـــول ابـــن ســـعود انـــه لـــيس هنـــاك بـــين الرؤســـاء الحـــاكمين (في الجزيـــرة) مـــن يهـــتم اقـــل اهتمـــام بمـــن يســـمي نفســـه خليفـــــة، و ذكرنـــــي ان الوهـــــابيين (يقصـــــد اهـــــل نجـــــد) لم يعترفـــــوا بـــــاي خليفـــــة بعـــــد الخلفـــــاء الاربعـــــة الاولـــين[2]. . . كمـــا ان الشـــيخ جـــابر بـــن مبـــارك الصـــباح اكـــد لي بشـــدة انـــه لا هـــو و لا رعايـــاه يعـــيرون قضـــية الخلافة اي اهمية. . و هذا هو الانطباع العام السائد بين جميع العشائر في هذا الجانب من الجزيرة."[3]

---

[1] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الثاني، ص ٥٣٠
[2] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الثاني، ص ٧٤٦
[3] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الثاني، ص ٧٤٤

تولى الضابط سنت جون فيلبي مدير مكتب مخابرات الانتداب البريطاني في فلسطين و جنوب الشام ادارة العلاقات البريطانية النجدية بعد شكسبير. اخذ فيلبي بنصيحة عبد العزيز و تزيا بالزي العربي الا انه لم يدعي الاسلام[١] الا بعدها بثلاث عشرة سنة بعد تردد تحت اسم الحاج او الشيخ عبد الله فيلبي كي يتفادى مصير سابقه و صار اكبر مستشارو عبد العزيز و الحاكم الفعلي للبلاد بالنيابة عن ملك بريطانيا[٢]. ظل آل الرشيد اوفياء لحلفهم مع العثمانيين و فشلت محاولات الانكليز لرشوتهم و لم يكن منطقيا الابقاء على شمر القوية[٣] في جوار القوات البريطانية بالكويت و البصرة و على ميسرة خط تقدمها في اتجاه بغداد و لا على الحدود الشرقية لمؤامرة لورنس و الاشراف في الحجاز و الاردن فمولت حملات سعودية لابتلاع امارة آل الرشيد[٤]. و قد طلب عبد العزيز من بريطانيا اربعة مدافع ميدان و عشرة آلاف بندقية و ذخيرة كافية، و عشرون الف جنيه دفعة عاجلة لشراء طعام و جمال للركوب و خمسون الف جنيه شهريا طوال مدة الحملة لدفع مرتبات عشرة آلاف رجل بالاضافة لانتداب مستشار عسكري بريطاني او اكثر بالزي العربي[٥] للتخطيط و ادارة المدفعية للهجوم على

---

[١] تزيا الحاج فيلبي بالزي الاعرابي اثناء عمله مع ابن سعود لمدة ١٣ سنة ثم اعلن اسلامه في الكعبة سنة ١٩٣٠ بعدما كثرت مطاعن الاخوان و غيرهم في دين ابن سعود بسببه و بسبب نفوذه. و يقول المؤرخ السعودي عبد الله العثيمين ان فيلبي اسلم بعد الحاح من الملك كي يستطيع اصطحابه في رحلاته الى مكة و الحجاز بعد سقوطهما في يد آل سعود.

[٢] الا ان المصادر السعودية المعاصرة تقول ان عبد العزيز الذي كان قبلها بسنوات لاجئا فقيرا يعيش من الاعانة العثمانية ثم البريطانية لم يتخذ فيلبي ابدا مستشارا رسميا و انما كان فيلبي "صديقا يستأنس به عبد العزيز و يعطف عليه" (كالمتسول المسكين) على خلاف ما توثقه الاوراق البريطانية التي حددت مهمة فيلبي. موسوعه "مقاتل في الصحراء" شبه الحكومية، مادة هاري سنت جون فيلبي

[٣] دعم الامير سعود بن رشيد امير شمر القوات العثمانية بالمدينة بالمؤن (المدفوعة الثمن) و قام تلبية لقائد حامية المدينة بالاغارة على قوات الشريف حسين عدة مرات الا ان خشيته من طعنات عبد العزيز آل سعود في ظهره منعته من الهجوم بقوات كافية لتحقيق الغرض المطلوب.

[٤] كانت بريطانيا تدرك اهمية عمل ابن سعود التخريبي وراء خطوط الدولة العثمانية و كانت تحرص على ابقاءه متفوقا على ابن الرشيد الشمري كما يحرص الغرب على ابقاء اسرائيل متفوقة عسكريا على جميع جيرانها و لو انفقت الخزانة العثمانية المفلسة طنا من الذهب على ابن الرشيد لانفقت بريطانيا اضعاف ذلك.

[٥] محمد جلال كشك،"السعوديون و الحل الاسلامي"، ص ٣٨٩.

حائل و آل الرشيد الذين كان يخافهم اشد الخوف بعدما اذاقوه الهزائم و كادوا يقتلونه في معارك سابقة.

كانت الاموال تصرف لعبد العزيز مباشرة من الانكليز او من خلال حلفائه في الثورة الاعرابية الكبرى[١] و كان يهدى سلاحا مما غنمته بريطانيا من الجيش العثماني اثناء توغلها في العراق[٢]. و عندما ناداه حليفه في الثورة وقتها الشريف حسين للتقدم لقتال العثمانيين ضمن ما اسماه "الجهاد الديني الذي لم يسبق له مثيل" ارسل عبد العزيز رسالة قال فيها: "ان عرباننا كثير و شرهم بينهم كثير ايضا و لا بد من قوة تقابل ابن الرشيد باطراف القصيم، و اخيكم مجد و مجتهد في جهاد رعيته! و لا تحسب جوابي هذا دورة عذر او طمع، لا و رب البيت و الذي بعث محمدا بالحق، انما هو عجز و هو الحقيقية. . .اما اذا ترون مساعدة لنا سواء من سيادتكم او من المعلومين (الانكليز) نضبط بها داخليتنا و نتقوى بها على "الجهاد" فذلك هو المطلوب"[٣] فارسل له الشريف صرة فيها الف جنيه انكليزي.

بعد ذلك اطبق اعراب نجدمن الشرق بقيادة ابو كيم اللوطي و تلاهم من الغرب عرب الحجاز بقيادة لورنس اللوطي على القوات العثمانية بجنوب الشام و العراق و اوباش قحطان و شهران و غامد و

---

[١] كانت الاموال التي تصرفها بريطانيا لعبد العزيز في ١٩١٧ اكبر موارد دخل الامارة النجدية.
[٢] نجدة فتحي صفوة "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الاول، ص٤١٦ FO371/2479 (150910)
[٣] محمد جلال كشك،"السعوديون و الحل الاسلامي"، ص ٤٨٦.

زهران جنوبا بقيادة العميل الادريسي[١] على الجيش العثماني باليمن و عسير فيما تقدم الجيش البريطاني من سيناء المحتلة لينهي الحكم العثماني في ديار العرب و يفتت قلب ديار الاسلام الى دويلات تحت الاحتلال.

وفرت الاستخبارات البريطانية الخليط المناسب من الدعاية الاسلامية لكل منطقة و على خلاف اعراب نجد بميراثهم العقائدي الانفصالي و اعتمادهم على السرقة و النهب كانت بريطانيا تخاطب الميول الوحدوية لعرب جنوب الشام و فلسطين و رغبتهم في التخلص من الفساد الاداري العثماني و ما وصفته الدعاية بالقمع العثماني و تحقيق نهضة تاريخية شاملة عن طريق القاء مناشير بواسطة الطائرات البريطانية تدعوهم للثورة و الانضمام للشريف حسين بقولها " هلموا للانضمام إلينا نحن الذين نجاهد لأجل الدين وحرية العرب حتى تصبح المملكة العربية كما كانت في عهد أسلافكم".[٢]

بعد سقوط الحامية العثمانية في المدينة وشى[٣] الشريف حسين للبريطانيين كذبا بان منافسه في حب بريطانيا عبد العزيز آل سعود ساعد في تموين الحامية المحاصرة مما مكنها من الصمود[٤] فقام مبعوثو مكتب الانتداب البريطاني في القاهرة بالتحقيقي في تلك الادعاءات و خلصوا الى عدم وجود دليل

---

[١] كان الجاسوس الادريسي الصوفي يقود قبائل الجنوب بقيادة ضباط بريطانيين بدعوى الجهاد لطرد العثمانيين "الكفرة" فيما كان في الواقع يشاغل حامية اليمن التركية عن تحرير عدن المحتلة بريطانيا او نجدة الحجاز.

[٢] ملف وثائق فلسطين،القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، وزارة الإرشاد القومي، ١٩٦٩، ج ١، ص ١٦٧.

[٣] في احدى تلك الرسائل قال الشريف:" سوقيات الجمال لم يسبق بيع جمل واحد من نواحينا، و انما ذلك ياتيهم من القصيم من نواحي ابن سعود..لولا ما بلغنا من انتمائه اليكم. و عليه ان تحقق ما ذكر له من الانتساب فاطلبوا منه لزوم تلك الممنوعية، و ان كان غير مقيد اليكم فانبئونا، و لا يهمنا ارغامه."

[٤] نجدة فتحي صفوة،"الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، المجلد الاول، ص ٦٤٢

عليهـا بشـهادة المنـدوب البريطـاني في الريـاض الحـاج جـون فـيلبي[1] الـذي قـرر ان عبـد العزيـز كـان يطلعـه علـى جميـع رسـائل اسـتنجاد فخـري باشـا قائـد الحاميـة بـه و طلبـه للسـماح بعبـور المـؤن مـن نجـد اولا بـاول. فضـلا عـن ذلـك وشـى عبـد العزيـز بـدوره بسـالم المبـارك الصـباح و ادلى بمـا مفـاده ان الصـباح سـاعد في تهريـب مـؤن مـن الكويـت الى باديـة الشـام و شمـال الحجـاز عـبر اراضـي شمـر. في محضـر اسـتجواب اللوتنانـت كولونيـل باسـيت البريطـاني لفخـري باشـا( عمـر فخـر الـدين) قائـد الحاميـة العثمانيـة المهزومـة في المدينـة المنـورة قـال فخـري باشـا انـه حـاول فيمـا كـان يحـارب شـريف الحجـاز ان يجلـب امـدادات غذائيـة و دواب مـن القصـيم و اطـراف شمـر و لكـن ابـن سـعود كـان يصـادر الامـوال المرسـلة و صـادر ابـاعر اشـتراها قائـد الحاميـة المحاصـرة مـن نجـد و افشـل جميـع محاولاتـه لشـراء عشـرة الاف مـن الابـل تحتاجهـا قواتـه لاسـتعادة مكـة مـن الشـريف حسـين و الانكليـز .لـيس ذلـك و حسـب بـل و تخلـى عبـد العزيـز عـن نزعـة النـهب و السـلب السـائدة و تصـرف كمـا لـو كـان عـاملا لـدى حكومـة مركزيـة اذ قـبض علـى التـاجر محمـد بـن توفيـق بـن فرعـون المتـهم بانـه منـدوب العثمـانيين ثـم سـلم ٧٠٠ مـن تلـك الابـاعر الى وكيـل الحكومـة البريطانيـة كعربـون اخـلاص.[2] و لمـا اشـتد الحصـار علـى حاميـة المدينـة ارسـل فخـري باشـا يناشـد عبـد العزيـز ابـن سـعود بالاسـلام ان يسـمح بمـرور مـائتي بعـير محملـة بـالحبوب اشـتراها لنجـدة الحاميـة الـتي حاصـرتها قـوات الشـريف بقيـادة ضـباط انكليـز قبـل ان تسـقط في يـد النصـارى و لكـن

---

[1] سنت جون فيلبي،"بعثة الى نجد"،ص٢٠٩، العبيكان.
[2] نجدة فتحي صفوة،"الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، المجلد الثاني، ص ٧٨٧

عبد العزيز رفض[١] و قطع الطريق على محاولات الحامية للتموين حتى استسلمت الحامية التي انقلب كثير ممن بقى من ضباطها على قائدها الباشا بعد مفاوضات مع الكابتن غارلاند[٢] و بعد ان اكل الجنود الجراد و الحيوانات النافقة التي كانت تقتات بالرمال في آخر ايامها[٣]. لم تكن تلك اول مرة يقوم فيها عبد العزيز بذلك فقد سبق له قبلها بسنوات ان احبط جهود العثمانيين بسيناء لشراء ابل تحتاجها حملة تحرير مصر من تجار الابل بنجد و القصيم بعد دفع ثمنها و ابلغ بريطانيا بما يقوم به من جهود في افساد تلك الصفقات علها تكافاه نظير عمله مع انه وقتها لم يكن قد ناصب الدولة العثمانية العداء صراحة و لا ابرز اتفاقية خضوعه لبريطانيا للعلن. ليس ذلك فحسب بل ان فخري باشا الذي كان يعلم حقيقة امر ابن سعود سمح بغرض تهدئة جنوده المحاصرين على شفا الموت جوعا بترويج اخبار عن وجود طائفة مؤمنة ذات شوكة من اهل الدين في جيش ابن سعود تدعى "الاخوان" تبغض الشريف حسين و بريطانيا و ان تلك الطائفة لن تسمح بترك المدينة تسقط في يد عميل بريطاني. لم يكن عوام الجنود المحاصرين يعلمون ان تلك الطائفة هي مطية اخرى من مطايا بريطانيا و لكن فخري باشا تركهم يتعلقون بحبال الامل.

---

[١] كان عبد العزيز بعد خروجه على العثمانيين و ارتباطه بمعاهدة دارين البريطانية قد تعهد لهم مع الشيخ مبارك شيخ الكويت و خزعل خان الرافضي امير المحمرة بمنع تسرب اي مؤن من موانئ الخليج للعثمانيين في جنوب العراق و الحجاز و شمال الجزيرة و لكن سالم بن مبارك الصباح لم يلتزم بالتعهد طمعا في الربح الناتج عن التهريب و خشية من انتصار الاتراك و كانت بغداد لم تسقط بعد، ثم وشى عبد العزيز بسالم بن مبارك للكولونيل هاملتون المندوب البريطاني في الكويت الذي قضى ما يقرب من شهر في الرياض سنة ١٩١٧ لاحكام خطة احتلال بغداد و منع مرور اي مؤن الى المدينة و بادية الشام عبر نجد و بناء على تلك الوشاية فرضت بريطانيا رقابة مشددة و حصارا على ميناء الكويت.

[٢] نقيب بريطاني كان يدرب رجال الشريف حسين على نسف خط سكة الحديد الحجازية. مريم فريح المهوس، "حامية المدينة المنورة و ثورة الشريف حسين" ص٣٩.

[٣] "فخري باشا و الدفاع عن المدينة"، ص٩٧،ناجي كاشف كجمان، ترجمة اديب عبد المنان.مجلة مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة.

يروى ان عمر فخر الدين باشا الذي رفض سحب قواته شمالا بعد سقوط فلسطين[١] و دمشق و خروج الجيش العثماني من الشام صعد ذات جمعة على منبر المسجد النبوي بعد سنتين من الحصار و حول وجهه تلقاء قبر الرسول صلى الله عليه و سلم قائلا:"يا رسول الله! لن اخذلك." و ذكر انه راى الرسول صلى الله عليه و سلم في رؤياه مما زاده اصرارا على عدم الاستسلام مع ان قواته كانت قد صارت حامية منقطعة بلا ذخائر وسط بحر من قبائل العرب [٢]و سادتهم الانكليز. رفض الباشا كافة عروض الشريف حسين و العروض البريطانية للاستسلام حتى بعد استسلام الدولة العثمانية رسميا في خريف ١٩١٨ قائلا انه لا يسلم الا بناء على امر خطي من خليفة المسلمين. اعتبر الحلفاء هذا العصيان خرقا لشروط وقف اطلاق النار مع الدولة العثمانية و هددوا بتدمير قلاع الدردنيل التي تحمي مدخل اسطنبول في ظرف ثلاثة ايام ان لم يلقي فخري باشا سلاحه مما اضطر وزير الحربية العثماني الى ارسال اشارة تأمره بتسليم سيفه و لكنه أبى مشككا في صحة الامر[٣] فاصدر السلطان محمد الخامس المحاصر بواسطة القوات البريطانية في القسطنطينية امرا بعزله. انهكت المجاعة و وباء الانفلونزا[٤] ضباط و جنود الحامية فتسلل بعض الضباط الى خارج المدينة و فاوضوا على الاستسلام

---

[١] طلب من فخري باشا سحب قواته الى غزة في بداية الحرب لصد العدوان على جنوب الشام و منع سقوطه و بالتالي منع عزل شمال الحجاز و المدينة عن باقي الاراضي العثمانية و لكنه رفض ترك المدينة و ارسل يخاطب اسطنبول في الغاء القرار فوافق جمال باشا بعد معارضة حادة. كان قرار البقاء خطأ عسكريا و لكن السياسة و النخوة و العاطفة الدينية لم تسمح لسياسيو اسطنبول بالتخلي عن المدينة لخدم انكلترا من عرب الجزيرة خاصة بعد ضياع مكة. رندال بيكر "الملك حسين و مملكة الحجاز"(انكليزي)، ص ١٣٤.

[٢] تعاون كل مشايخ الجزيرة مع الانكليز باستثناء سليمان باشا ابن رفادة البلوي والامير ابن الرشيد الشمري و حسين باشا بن مبيريك الغانمي الحربي صاحب رابغ و ان كانت معظم قبائلهم تخلت عنهم في النهاية.كما رفض التكارنة من اهل المدينة اخلاءها و صمموا على البقاء الى جانب العثمانيين.

[٣] و في رواية اخرى انه قال ما مفاده:"ان كانت اسطنبول قد سقطت في يد النصارى فلا تلزمني الاوامر الصادرة منها." او "اذا كان الخليفة اسيرا في يد الانكليز فلا قيمة لاوامره."

[٤] كان الانفلونزا وباءا قاتلا حتى القرن الماضي.

ثم دخلت مجموعة منهم الى حيث كان معتصما بالمسجد النبوي مهددا بتفجير الذخائر الحربية الموجودة به ان حاولوا اخراجه و يقال انهم تمالأوا عليه و هو نائم و اقتادوه لتوقيع عقد الاستسلام للشريف و الانكليز في بير درويش بعد ان كانت سفينة حربية بريطانية قد وصلت الى السويس حاملة وزير العدل العثماني ليسلم فخري باشا امرا خطيا مكتوبا من السلطان بتسليم المدينة. كانت حامية المدينة بقيادته آخر[١] وحدات الجيش العثماني خارج الاناضول استسلاما حيث انزل العلم العثماني عن اسوار المدينة المنورة بعد سقوط اسطنبول بسبعين يوما. و في تعليق فخر الدين باشا على سلوك ابن سعود قال للكولونيل باسيت "لا ادري ما هي المعاهدة التي حررت بينكم و بينه و لكنه اعاقني كثيرا، و لو سمح لي بالتمون من الشرق لكان وضع حاميتي اسهل كثيرا... هذه هي الحقيقة سيدي العقيد، لقد استطعتم ايقاع مسلمينا في حبائلكم بالنقود."[٢] من جانب آخر كان احد اهم اسباب صمود حامية المدينة بخلاف مواقع عثمانية اخرى هو اجراء امني بعيد النظر قام به فخري باشا[٣] في بداية الحرب الا و هو طرد العرب و الاعراب منها لتوقي شر خياناتهم عند اشتداد الحصار.

بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وضعت البلاد التي قاومت الغزو تحت حكم بريطاني و فرنسي مباشر فيما كوفئت القبائل العربية المتعاونة التي قاتلت الى جانب الجيش البريطاني بوضعها في

---

[١] كانت الحامية الاخرى التي تأخر استسلامها خارج منطقة الاناضول العسكرية المركزية و جنوب القوقاز هي الحامية العثمانية باليمن بقيادة الميرلواء محيي الدين باشا قائد لواء عسير سابقا و استسلمت فعليا بعد سقوط اسطنبول بشهر.
[٢] نجدة فتحي صفوة،"الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، المجلد الرابع، سنة ١٩١٩، ص ٨٤
[٣] كرمت الحكومة التركية في عهد اردوغان فخر الدين التاي باشا باطلاق اسمه على اول دبابة مصنوعة محليا.

محميات[١] اعرابية في الصحراء تحت سلطات حكم ذاتي محدود. كوفئ عبد العزيز على المشاركة في تدمير الدولة العثمانية بتنصيبه "سلطانا" على خرائب صحراء نجد التي رفض الرسول عليه الصلاة و السلام الدعاء لها بالبركة و لم يبلغ سكانها المليون نسمة يومها نصفهم حفاة كما تم منحه امتياز قطع الطريق على المسلمين في شرق الجزيرة تحت الحماية البريطانية، و بذلك تساوى عبد العزيز في لقب السلطنة مع السلطان العثماني الذي حكم اجداده يوم كانوا اقوى ملوك الارض من بولندا و اطراف النمسا و حدود ولاية موسكو بوسط اوروبا الى اليمن و الصومال و خطب له ما بين تشاد و آتشيه باندونيسيا و لم يبق في سلك الالقاب الا منح ابن سعود رتبة امبراطور. كان توزيع القاب السلطنة و الخلافة على شيوخ القبائل متسقا مع سياسة بريطانيا في الحط من مقام الخلافة و السلطنة الاسلامية الموحدة. في غرب الجزيرة تم طرد رجال الشريف من دمشق بعد ان دخلوها و سمح لهم لاحقا بوظائف شكلية تحت الاحتلال البريطاني في صحراء الاردن ثم في العراق لتهدئة ثورة العشرين.

في ١٩٢٠ و في اطار تسويات ما بعد الحرب و تقسيم التركة العثمانية بين الدول المنتصرة وقع حادث فاصل في تاريخ الجزيرة اذ انطلق جيش من الاخوان يقوده فيصل الدويش بغرض غزو الكويت. كان امير الكويت سالم بن مبارك الصباح وقتها يحتج على تمدد نفوذ ابن سعود في مناطق شمال الاحساء و شرق نجد التي ظن الصباح انها ستؤول اليه. و اسفرت تحقيقات اجراها مكتب الانتداب البريطاني ان سالم قام اثناء فترة حكمه في منتصف الحرب بدءا من ١٩١٧ بالسماح

---

[١] محميات: نظام اداري استحدثته الادارة الاميركية لتوطين الهنود الحمر في القرن التاسع عشر بعد مصادرة اراضيهم يحظر بموجبه عليهم الاقامة خارج المناطق التي تحددها الحكومة الاميركية و يتمتعون بداخلها بسلطات حكم ذاتي محدود.

بتسرب تجارات قليلة للقوات العثمانية المحاصرة في المدينة و بادية الشام عبر موانئ الكويت بغرض التربح و تأمين مستقبله اذا فشل الغزو البريطاني للعراق العثماني [1] فهددته بريطانيا التي فرضت حصارا على العثمانيين بأنها لن تفي بوعودها بالمحافظة على سلامة الكويت إذا تعرضت لخطر غزو خارجي إن لم يكف عن سياسته المنحازة تجاه الدولة العثمانية [2]. كما فرضت بريطانيا حصارا بريا و بحريا على مدينة الكويت لمنع تهريب سلع الى العثمانيين مما اغضب سالم و عندما حاول الاعتراض فوجئ انه لم يعد يحظى بنفس المعاملة التي كان يحظى بها والده "السير" مبارك الصباح الحاصل على وسام فارس الامبراطورية البريطانية عندما كانت بريطانيا تحتاج لعونه في التمهيد لاحتلال البصرة و تعامله كعميد مشايخ الخليج.

عندما حاول سالم التصدي لغارة اعراب تابعين لابن سعود على اراضيه فوجئ بان بريطانيا قد وقفت موقفا محايدا مما اغرى الدويش بالاغارة على الكويت لاحتلالها نهائيا فيما عرف بمعركة الجهرة. انطلقت جموع الاخوان المكونة من بضعة آلاف مقاتل و هي تصيح "هبت هبوب الجنة وين انت يا باغيها" و هزمت القوة الكويتية [3] هزيمة شديدة و حوصر الامير في قلة من اتباعه في حصن

---

[1] كانت معركة الكوت و مسيرة القوات البريطانية المتعثرة من البصرة الى بغداد التي استغرقت قرابة سنتين قد اثمرت شكوكا حول قدرة بريطانيا على الانتصار.

[2] تسبب الحصار البريطاني البحري و البري للشام و غرب العراق و بادية الشام في مجاعة كبيرة ، و كان تجار الخليج يهربون بعض المؤن عبر الكويت الى شمال الجزيرة و بادية الشام نظير ارباح كبيرة اثرت تجار الكويت. كانت بريطانيا تريد قتل اهل الشام و حامية المدينة جوعا و اعتبرت ان مجرد التجارة معهم بغرض الربح و تامين مستقبل الكويت اذا ما هزمت بريطانيا و انسحبت من العراق "ميول عثمانية" تستحق العقاب مع انه لم يعرف تاريخيا عن حكام الكويت اي ميول تجاه العثمانيين بل كان العكس هو الصحيح. بلغ ضحايا المجاعة في متصرفية جبل لبنان وحدها بحسب مصادر غربية لا يمكن اتهامها بالتعاطف مع العثمانيين مئات الالاف من القتلى جوعا، و رفضت بريطانيا محاولات ملك اسبانيا الفونسو ارسال قمح للبنان مضحية بالنصارى حتى لا يتسرب شئ منها للمسلمين و الجيش العثماني مع ان ملك اسبانيا عرض توزيعها تحت اشراف مندوبين عن بابا الفاتيكان.

[3] رفضت الاقلية الرافضية بالكويت الاشتراك في القتال و فرت الى المندوب السامي البريطاني مستغيثة به ليرحلها الى خارج البلاد خوفا من الاكتساح الاخواني و كان مبررهم بانهم من رعايا شاه العجم و لا شان لهم بصراعات الاعراب من آل الصباح و اخوان مطير.

القصر الاحمر و كادت الكويت تسقط، فارسل الامير يطلب التفاوض مع الدويش الذي ارسل له عثمان بن سليمان ليسلمه شروط الاخوان و هي: رجوع أهل الكويت إلى الدين الإسلامي الصحيح و ابعاد جميع الشيعة الموجودين في الكويت و ترك شرب الدخان و تكفير الاتراك (مع انهم كانوا قد انسحبوا من بلاد العرب الا ان الدويش اصر على ان يعاقب سالم الصباح على ما كان منه زمان الحرب من تيسير وصول تجارات و مؤن قليلة لاهل المدينة و الشام و العراق الذين عانوا المجاعة فيما كان ابن سعود و الاخوان يحكمون طرفي الكماشة مع القوات البريطانية و الشريف اخو لورانس في الحجاز) .كان حقد بريطانيا شديدا على العثمانيين و اهل الشام بسبب مشاركة الجنود السوريون و الشوام المجندين في الوية الفرقة ١٩ بقيادة مصطفى كمال بدور هام في احباط هجوم الحلفاء على غاليبولي[١] مدخل الدردنيل الى اسطنبول في بدايته مما كبد الانكليز و الاستراليين و النيوزلانديين و الفرنسيين لاحقا خسائر قاربت حوالي ربع مليون بين قتيل و جريح و كاد يتسبب في تراجع التايد الشعبي للحرب. و فيما كان غل بريطانيا مفهوما الا ان الغل الذي كان يضمره الدويش و ابن سعود لمسلمو الشام و العراق لم يكن له مبرر واضح.

[١] ترجح بعض الدراسات التاريخية الحديثة ان عدد الجنود الشوام في الفرقة ١٩ التي بنى عليها مصطفى كمال اتاتورك مجده بصفته بطل غاليبولي و المدافع الاول عن اسطنبول بلغوا اكثر من ثلث تعداد الفرقة و كانت الكتابات التاريخية العسكرية ذات الصبغة القومية في جمهورية تركيا بعد سقوط الدولة العثمانية قد دابت على التعتيم على ذلك الدور ونسبة كل الانتصارات الى الجنود الاتراك و تعميم وصف الخيانة الذي نشا عن ثورة اعراب الجزيرة على جميع الشعوب العربية الاخرى خارج الجزيرة.

فلما اعلن سالم الصباح موافقته المبدئية ارسل الدويش مندوبا آخر اضاف شروطا جديدة هي اغلاق سوق القحاب بالرميلة و هدم المستشفى الاميركي التابع للهيئة التنصيرية الاميركية[١] و طرد اطباءه و اخراج القنصل البريطاني من الكويت، و كان الشرطين الاخيرين تمويهات يقصد بها الرد على ما سمعه مندوب الدويش من الكويتيين المحاصرين بانه مدفوع الى غارته على الكويت من بريطانيا عقابا لسالم الصباح. اعلن سالم الصباح مبايعته على شروط الاخوان و طلب منهم فك الحصار عن القصر ليتمكن من العودة للكويت و تنفيذ المطالب.فك الدويش الحصار بناء على اوامر من رسل ابن سعود فيما عاد سالم الصباح الى المدينة و استنجد بالحاكم البريطاني الذي كان قابعا في الميناء على بعد عدة كيلومترات من المعركة لا يحرك ساكنا لوقف الدويش. فلما تعهد سالم الصباح بالتزام اوامر بريطانيا وعده الحاكم البريطاني بالنصرة.

ارسل الدويش يستعجل دخول الاخوان للمدينة لتنفيذ الطلبات و الاحتفال بالفتح المبين و لكن امير الكويت رفض مقابلة رسل الدويش و امرهم ان يرحلوا . ارتحل الدويش الى الصبيحية شمال الكويت في انتظار مدد ابن سعود الذي لم ياتي في حين بدات بريطانيا تفي بوعدها لسالم الصباح و ارسلت سفينتان من البصرة و طائرتان بدائيتان القت احداهما منشورات تدعو الدويش للرحيل من الكويت

---

[١] كان هذا المستوصف المنشأ في ١٩١٠ بدعوة من مبارك الصباح امير الكويت يقوم بتنصير الكويتيين و كان ملحقا به مكتبة لتوزيع الاناجيل و الروايات الغربية المترجمة للعربية مجانا و هي اول مكتبة بالكويت. و كان الاطباء العاملين فيه يحضرون لقاءات لجان الاحتلال العسكرية و قد كتب اشهر اطباء المستوصف دكتور مايلريا كتابا وصف فيه دوره في ارشاد الطيارين البريطانيين الى معسكر ابن الدويش في الصبيحية و القاءه منشورات من الطائرة تدعوا اعراب الدويش للانسحاب من الكويت تحت طائلة التهديد بالتدخل العسكري البريطاني. "الكويت قبل عصر النفط"، مذكرات دكتور ستانلي مايلريا. و قد كافأ الشيخ سالم ادارة المستوصف على علاجها لمقاتليه المصابين في المعركة بمنحها قطعة ارض اضافية في مدينة الكويت صارت كنيسة فيما بعد و ارسل ابنه فهد الذي صار وزير صحة لاحقا للدراسة في مدرسة الارسالية.و مازال الشارع الرئيس الواصل للكنيسة بوسط الكويت يحمل اسم فهد السالم الامير الذي تربى في الكنيسة. "قصة بعثة التنصير العربية" لويس ر. سكادار.

و تحذره من انها اتصلت بابن سعود فنفى معرفته بغارة الدويش فيما اصر الدويش على ان ابن سعود هو من ارسله.

بدون ان تطلق الطائرة البدائية طلقة واحدة قرأ الدويش التعليمات التي اتته من السماء و حزم امتعته و رحل و لم تجد الطائرة البريطانية في اليوم التالي واحدا من الاخوان فيما اتخذ عشرات الجنود البريطانيين مواقعهم حول سور الكويت. كانت طاعة الدويش و اخوانه لولاة الامور البريطانيين لا يدانيها الا طاعة اشد ضباط الجيش البريطاني المخلصين انضباطا.[١] لم يعرف ان الاخوان قتلوا جنديا بريطانيا واحدا من الذين يجاورونهم من الشرق و الغرب و الشمال و الجنوب و يرونهم راي العين على مدى ثمانية عشر عاما من الغارات و لو بالخطأ فيما قتل عشرات الآلاف من جنود بريطانيا بايدي الاتراك و العرب السنة اعداء الاخوان و ابن سعود على حدود الجزيرة و دفاعا عن الجزيرة. على العكس من ذلك كان جل ما يفعله قادة الاخوان و مشايخ نجد عند رؤيتهم لضابط انكليزي من الذين اشتركوا في احتلال الشام و العراق و سواحل الخليج هو "ان يغطوا وجوههم بايديهم و يتمتمون سرا بلعن الضابط ثم ينصرفوا من المجلس."[٢]

ترك الدويش في اثره رسالة عتاب رقيق لسالم الصباح ثم ارتحل عائدا و لم ينسى ان ينهب ضواحي قرية الزبير العراقية في طريق عودته لتغطية نفقات الرحلة ثم انصرف غربا الى غزو الحجاز الذي تركه

---

[١] و يروي ديكسون المعتمد البريطاني في الكويت ان الدويش في آخر ايامه بعدها بعشر سنوات سأله مستفهما عما اذا ما كانت بريطانيا ستغضب اذا ما استطاع اسقاط احدى طائرات ابن سعود الاربعة التي يقودها طيارون بريطانيون. "الكويت و جاراتها"، هارولد ديكسون.

[٢] هـ.ر.ب. ديكسون،"الكويت و جاراتها"، الجزء الاول، ص١٥١

البريطانيين لمصيره و لم تر الكويت الاخوان مرة اخرى الا بعد سنوات طوال. لم تكن الغارة التي هلك فيها المئات من مقاتلي مطير في المحصلة الا مسرحية عبثية مشابهة لغارات مناع ابو رجلين و ابن عفيصان قبلها بمائة و عشرين سنة ايام عبد العزيز الكبير و ابنه سعود. عقب معركة الجهرا اتفق عبد العزيز و ملك العراق و امير الكويت على التحاكم للسير بيرسي كوكس المندوب السامي البريطاني في العراق و الخليج و التقوا في العقير سنة ١٩٢٢ حيث رسم بيرسي كوكس الحدود بقلمه و وهب ثلثي الاراضي التي تطالب بها الكويت لعبد العزيز رغم اعتراضات امير الكويت.

بعد استيلاء الملك عبد العزيز على الرياض و توسعه في نجد باتجاه الحجاز اتفق مع الانكليز على عدم التدخل في شؤون امارات ساحل الخليج و عمان و اليمن و العراق و الاردن و الشام نظير اقراره على ما بيده تحت اسم "سلطان نجد و الحجاز و ملحقاتهم". كانت بريطانيا تنفيذا لتلك الاتفاقات و لجانبها من الصفقة قد امرت قواتها المحتلة لمصر بمنع مرور السلاح و الذخيرة عبر قناة السويس لقوات الشريف في الحجاز اثناء تصديه لغارات عبد العزيز بحجة "وأد الفتنة في المنطقة" كما سجلتها وثائق الخارجية المصرية و البريطانية. انضم لجيش الشريف في تصديه لزحف عبد العزيز و الاخوان و جاك فيلبي دفاعا عن الحرمين كثير من العراقيين و الشوام و بقايا الجيش العثماني و بعض المصريين منهم وزير حربية الشريف حسين الا ان الحصار البريطاني كان خانقا عليه و الدعم ممدودا لخصمه و كان لورنس قد ترك الحجاز لمصيره بعد ان ادى مهمته في اسقاط الدولة العثمانية و تفتيتها الى ثلاثين دويلة. بعد سقوط الطائف في يد قوات عبد العزيز ابرق الشريف حسين للمندوب السامي البريطاني

بالقاهرة متهما بريطانيا بدعم عبد العزيز و طالبا منها اثباتا لحسن نواياها بارسال اربعة طائرات لقصف الاخوان من الجو الا ان البريطاني تجاهله فيما تدافع وجهاء جدة في اللحظات الاخيرة يوم ٢٤ سبتمبر[1] لمقر بولارد القنصل البريطاني لطلب وضع الحجاز و الحرمين تحت الحماية و الانتداب البريطاني الا انه رفض. كانت المعركة في آخر ايامها صراعا بين العرب السنة من الحجاز[2] و عدة اقطار اخرى من جهة و الانكليز و احابيشهم النجديين من جهة اخرى كما كانت المعركة اثناء الحرب العالمية قبلها بسنوات صراعا بين بريطانيا النصرانية و جيشها الهندوسي و عرب الجزيرة ضد الامة الاسلامية باكملها على الطرف الآخر.

كان الشريف حسين في آخر ايام حكمه للحجاز بعد ان خدعته بريطانيا و اخلت بوعدها تعيينه حاكما للولايات العربية العثمانية السابقة بما فيها فلسطين و الشام قد اعلن نفسه خليفة[3] للمسلمين و اتهم حكام المسلمين الآخرين بالكفر و التخلي عن تطبيق الشرع و اعلن رفضه لوعد بلفور و تسليم

---

[1] Randall Baker,”King Hussein and the kingdom of Hijaz”, P.204

[2] كما ضم جيش الشريف عددا من المرتزقة الدروز السوريين الذين استوعب ابن سعود بعضهم في حكومته لاحقا.

[3] سمى الشريف حسين نفسه في اول امره بعد خروج العثمانيين من بلاد العرب "ملك بلاد العرب" بناء على ما وعده به عملاء مكتب الانتداب البريطاني في القاهرة ثم اعلن الخلافة في آخر ايامه بعد ان الغاها اتاتورك. لم يلبث الشريف حسين في الحكم اكثر من ثمانية اشهر بعد تصريحات علنية القاها في عمان اعلن فيها رفضه لوعد بلفور و اي تقسيم لفلسطين و اصراره على دولة عربية موحدة تشمل الجزيرة و الشام و العراق و مبايعة وفود من الشام و العراق و الحجاز له على الخلافة، و ما ان عاد حتى كان ابن سعود قد احتل الطائف و صار الحجاز على شفا السقوط. و فيما اوقفت طائرتين بريطانيتين فقط جيش الدويش امام اسوار الكويت قبلها بثلاث سنوات، لم تتدخل طائرة واحدة لانقاذ حليفها اخو لورانس بل و فرضت عليه حصارا بحريا "لمنع الفتن" في الجزيرة و تركت ابن سعود يتقدم لاحتلال ولاية اكبر من الكويت بثلاثين مرة بدون ان تطلق عليه رصاصة.

فلسطين لليهود[١] و استعداده للقتال دفاعا عنها كما يدافع عن الحرمين. قامت بريطانيا بقطع الاعانات المالية عن الشريف بعد ثلاثة اسابيع من اعلانه للخلافة[٢]. كان حسين رغم عمالته للانكليز لفترة معتدا بنفسه من جهة اصله النبوي العريق و كامير سليل اسرة حكمت مكة و لو اسميا لقرون عديدة و باشا من باشاوات الدولة العثمانية يخاطبه السلطان العثماني بالقاب الامارة و التكريم مراعاة لاصله حتى قال بعض المؤرخين "كنا لا نكاد نعرف من هو السلطان و من الوالي في مراسلات السلطان العثماني لامير مكة لفرط ما يستخدم من الفاظ التكريم و التفخيم لشريف مكة". فضلا عن ذلك كان الشريف الذي امضى شطرا من عمره في اسطنبول و قصورها و كان صديقا مقربا من السلطان عبد الحميد الثاني يعلم مقدار الخدمة التي اسداها لبريطانيا و لم يكن الشريف لينطلق في مغامرته الا طمعا في حكم دولة كبيرة تشمل الاراضي الواقعة بين انطاكية و اضنه على اطراف الاناضول وصولا الى اليمن جنوبا بما في ذلك الشام كله و الجزيرة كلها و العراق كما وعده لورنس و الانكليز و ليس من منطلق خادم جائع جلبته بريطانيا يبحث عن اقطاعية صغيرة او فتات امارة انفصالية يلقيها له اولياء نعمته خاصة و قد كان الحجاز ملكا له بالفعل بلا منة من بريطانيا يوم ان بدأ مسيرته في العمل مع الانكليز.

[١] رفض الشريف حسين بشدة خطط تسليم فلسطين لليهود لانه كان يطمع فيها لنفسه اما ابناءه فلم يمانعوا و رضوا بما اعطي لهم مما ادى به الى رفض قراءة خطاب ارسله له ابنه عبد الله ملك الاردن يشرح له فيه اسباب موافقته على الانتداب البريطاني على فلسطين و وعد بلفور و اعاد الرسالة بدون فتحها و كان يعتبر بعض اولاده عملاءا لبريطانيا.

[٢] اعلن الشريف حسين نفسه خليفة في ٧ مارس ١٩٢٤ و قطعت عنه بريطانيا الاعانات المالية في ٣١ مارس ١٩٢٤. محمد جلال كشك، "السعوديون و الحل الاسلامي"، ص ٥١١.

كان انطباق شرط القرشية[١] على الشريف سيعطي لاعلانه الخلافة وجاهة بعد سقوط العثمانيين لتكوين دولة اسلامية بديلة و راية يلتف حولها ايتام الدولة العثمانية و لكن هذا لم يلائم الخطط البريطانية للمنطقة فيما يخص تقسيمها الى دويلات قطرية انفصالية فسمحت لابن سعود باخراجه من الحجاز -حيث لم تكن بريطانيا تجرؤ على غزو الحجاز بقواتها حتى لا تثور المستعمرات الاسلامية خاصة و ان ربع جيوشها تقريبا من مسلمي الهند و لم يستطع حتى ابنه عبد الله امير الاردن الصوري استضافته ثم نفته بريطانيا الى جزيرة قبرص على سواحل تركيا العثمانية التي اسهم في تدميرها .[٢]

بعد انتهاء مشكلة الشريف حان اوان التعامل مع مشكلة الاخوان. في تلك الفترة كانت غارات الاخوان على الكويت و العراق الواقعتين تحت الاحتلال البريطاني قد اغضبت بريطانيا التي دعت الملك للجم اتباعه. فضلا عن ذلك كانت تلك القوة الصاعدة التي بلغت اطراف فلسطين ستصطدم بلا شك مستقبلا مع المشروع اليهودي الذي بيته بلفور البريطاني منذ ١٩١٧ .كان عوام الاخوان اطرافا في لعبة لم يدركوا ابعادها حيث صاروا قوة ضاربة بريطانية لتاديب المسلمين في الدول المجاورة بدءا من الشريف حسين الذي رفض التنازل عن فلسطين و اصر على دولة عربية موحدة، الى سالم

---

[١] كان للادارة البريطانية اهتمام بالخلفيات الشرعية لافعالها و خططها يعضدها في مراقبتها للوضع مجموعة من المستشرقين و الجواسيس منهم مترجم بهائي يعمل مع مكتب الاستخبارات البريطاني في القاهرة يدعى حسين روحي قريب لمؤسس البهائية لعب دورا هاما في تنسيق تمرد الشريف حسين ثم الاطاحة به. لمتابعة دوره يراجع "نجد و الحجاز في الوثائق البريطانية" نجدة فتحي صفوة، المجلد الرابع ١٩١٩. كما لا يستبعد ان يكون رشيد رضا المقرب من آل سعود واحدا من اولئك المستشارين بصورة مباشرة او من خلال حسين افندي روحي.

[٢] سمحت بريطانيا بعودته للاردن قبل موته بعامين و كان عقله قد اختلط و قيل انه لم يكن يتذكر من ماضيه الا ايام ولايته لمكة تحت الحكم العثماني.

بـــن مبـــارك الكـــويتي الـــذي تـــربح مـــن تهريـــب بضـــائع للعثمـــانيين، ثـــم اســـتخدموا في ضـــرب العـــراق بعـــد ثـــورة العشـــرين و طلـــب العـــراقيين للاســـتقلال ، و ضـــرب الحجـــاج المصـــريين عنـــدما فكـــر ملـــك مصـــر في اعـــلان الخلافـــة واعترضـــت حكومتـــها علـــى تعـــيين بريطانيـــا لحكـــام الحجـــاز. بلغـــت ســـرايا الاخـــوان اطـــراف العقبـــة غربـــا و باديـــة الســـماوة بـــالعراق شمـــالا وحـــدود الـــيمن جنوبـــا، و علـــى ذلـــك كـــان المقـــاتلين يســـتهينون بمـــا بلغـــوه اعتقـــادا منـــهم ان جهـــادهم ماضـــي الى ان يظهـــر امـــرهم علـــى العـــالم كلـــه.و عنـــدما كانـــت الحمـــلات الكـــبرى بقيـــادة الملـــك تتباطـــأ كـــان الاخـــوان يقومـــون بغـــارات صـــغيرة علـــى العـــراق و اطـــراف الشـــام لتمـــوين احتياجاتهم ثم يعودون طائعين بخمس غنائمهم لامامهم عبد العزيز بحسب التقسيم الشرعي للغنائم.

بعـــد اســـتيلاءهم علـــى مكـــة حـــاول الاخـــوان فـــرض الاحكـــام الشـــرعية في الحجـــاز. مـــن ضـــمن مـــا حـــاولوا التصـــدي لـــه عـــادة التـــدخين حيـــث قـــام الشـــريف خالـــد بـــن لـــؤي حـــاكم مكـــة الاخـــواني بـــاتلاف بعـــض شـــحنات الـــدخان و تعزيـــر المـــدخنين. الا ان مســـتوردي الـــدخان الحجـــازيين الاثريـــاء تـــدخلوا لـــدى الملـــك و قـــاموا بـــاللازم فـــالغى امـــر اتـــلاف و مَنـــع اســـتيراد الـــدخان الصـــادر عـــن خالـــد بـــن لـــؤي و صـــارت المكـــوس الـــتي تجبـــى عـــن الـــدخان احـــد اهـــم مـــوارد دخـــل الدولـــة الســـعودية وقتـــها.[1] بعـــد ســـقوط جـــدة و طـــرد الاشـــراف بفضـــل جـــيش الاخـــوان تخلـــص الملـــك ســـريعا مـــن الشـــريف خالـــد بـــن لـــؤي[2] "المتـــأخون" الـــذي كـــان مـــن اول مـــن انقلبـــوا علـــى الشـــريف حســـين و فتحـــوا لعبـــد العزيـــز طريـــق غـــزو الحجـــاز ثـــم عـــين فيصـــلا ابنـــه

---

[1] لـــيس ذلـــك فحســـب بـــل قـــام الملـــك بعـــدها بســـنوات عقـــب الـــتخلص مـــن خطـــر الاخـــوان بتخفـــيض المكـــوس التـــي تحصـــلها الخزانـــة الســـعودية على منتجات التبغ تيسيرا على المدخنين. جريدة ام القرى ١٧ صفر ١٣٥٤.

[2] احـــد عمـــلاء ثـــورة لـــورانس، كـــان يراســـل عبـــد العزيـــز ال ســـعود و لمـــا احـــس بقـــرب زوال دولـــة الشـــريف حســـين نقـــل ولاءه الـــى عبـــد العزيز.

حاكما للحجاز. قبل ذلك كان الملك قد اصدر قرارا بمنع حمل السلاح بمكة لغرض كبح الاخوان الذين حاول بعضهم قتل المسلمين العاملين بالقنصليات الاجنبية[١] مما دفع تلك القنصليات للشكوى لعبد العزيز. في سنة ١٩٢٦ اصطدم الاخوان مع قافلة المحمل المصري التي دخلت الى مكة يصحبها المعازف الموسيقية و حاولوا منع الموكب من التقدم فتصدى لهم حرس الحملة المسلح و قتل من الطرفين بضعا و عشرين شخصا، بعث الملك ولديه فيصل و سعود فاحتجزا الضابط المصري صاحب امر اطلاق النار و لكنهما لم يتخذا اجراءا عقابيا بحقه مما اعتبره الاخوان تفريطا في دمائهم.

اخذ الاخوان على الملك ايضا ارساله ابنه سعود لمصر و فيصل للندن لتأسيس علاقات دبلوماسية دائمة و اعتبروها علامات على ميوعة المنهج تجاه المشركين. كما اعترضوا على فرض مكوس على اهل نجد و منح قبائل الاردن و العراق المشركة حق الرعي في شمال الجزيرة تطبيقا للمعاهدات مع الانكليز. فضلا عن ذلك اعترض الاخوان على قرار الملك بحظر التجارة مع الكويت[٢] من منطلق انه اذا كان الكويتيون كفارا فقد وجب جهادهم و ان كانوا مسلمين فلا معنى لمنع الاتجار معهم، كما اعترضوا على اقرار خط للحدود بين نجد و العراق. اما آخر مآخذهم فكانت مشكلة روافض الاحساء و القطيف حيث رأى الاخوان ان يستتابوا او يقتلوا فيما لم ير الملك اي من ذلك بل و عرف

---

[١] قصر الاخوان هجماتهم على المسلمين العاملين بتلك القنصليات بدون التجاوز الى الاجانب العاملين بالقنصليات و لو كانوا من اشد دول العالم عداء للمسلمين لانهم كانوا يعتبرونهم في امان صاحب الزمان عبد العزيز آل سعود، كما ان اعتداءات الدول صاحبة تلك القنصليات على بلاد اسلامية اخرى لم يكن امرا يعني الاخوان لان سكان كل البلاد الاسلامية الاخرى كانوا كفارا في نظر الاخوان السعوديين. كان الاخوان منضبطين باوامر سيدهم و لا تحركهم العواطف الجياشة العمياء على عكس ما اشيع عنهم.

[٢] كان سبب قرار الحظر ان عبد العزيز طلب حصة كبيرة من المكوس التي تفرضها الكويت على البضائع المستوردة لنجد عبر ميناء الكويت و هو ما رفضه امير الكويت و كان الغرض من المطالبة في الاصل التوطئة لفرض حظر على الاتجار مع الكويت لتنشيط موانئ الهفوف على ساحل الاحساء حيث يؤول حاصل المكوس باكمله الى عبد العزيز.

عن ابن جلوي السعودي عامل الملك انه كان "يحمي الروافض بمنع الاخوان من ممارسة اي نشاط في امارته، بل كان يجبرهم على خلع عمائمهم، و هي رمزهم، اذا دخلوا الاحساء لاي سبب."[١]

ادت سياسة التوطين في الهجر الى تمايز الاخوان عن محيطهم العام و ترسخ في ذهنهم ان كل مسلمي العالم الذين لا يسكنون تحت سلطان امام الزمان الملك عبد العزيز آل سعود كفار بمقتضى فتوى سليمان بن سحمان التي قال فيها "وأما من لم يكن في ولاية إمام المسلمين(عبد العزيز) فلا ندري بجميع أحوالهم و ما هم عليه ، لكن الغالب على أكثرهم ما ذكرناه أولا ، من عدم الإسلام."[٢] كان سليمان بن سحمان من اشد انصار عبد العزيز و سيفتي لاحقا بان الاخوان خوارج عندما سيصطدم بهم عبد العزيز. تلى ذلك اتهام الاخوان للبدو غير المتوطنين ممن لم يهاجروا بالكفر. بل ان الاخوان لشدة التزامهم بالسمت الاسلامي بما فيه العمائم اتهموا بقية سكان المملكة من لابسو العقال بالكفر و التشبه بالكفار قائلين " انا اخو من طاع الله و انت يا لابس العقال اخو الشيطان" و قد ظلت آثار تلك المقولة في اذهان علماء الدولة بالمملكة حتى التسعينات عندما سئل ابن العثيمين عن مشروعية لبس العمامة في المملكة فافتى بتحريمها واصفا اياها بأنها لباس شهرة ليدرأ عن نفسه شبهة التعاطف مع الاخوان بعد اندثار حركتهم بسبعين سنة، مع العلم ان حكام آل سعود الى ما بعد عهد تركي بن فيصل بزمن كانوا يعتمرون العمائم.[٣]

---

[١] محمد جلال كشك،" السعوديون و الحل الاسلامي"، ص٦٢٥.
[٢] ابن سحمان ، منهاج أهل الحق ، ص ٧٩ ـ ٨٠
[٣] وصفه اللوتاننت لويس بلي في رحلته للرياض بانه كان يلبس عمامة من الكشمير الاخضر.

من ناحيته اعلن الملك ان "من أفتى أو تكلم بكلام مخالف لما عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده: عبد الله وعبد الرحمن وعبد اللطيف وعبد الله بن عبد اللطيف ، فهو متعرض للخطر في دينه و دنياه ، لأنا نعرف أنه لا يخالفهم إلا إنسان يريد الشر والفتنة بين المسلمين. فأنتم جميعا – علماء المسلمين – التزموا بذلك وقوموا على من خالفه وسمعتم منه مخالفة في قليل أو كثير ، ما قدرتم عليه نفذوه ، وما لم تقدروا عليه ارفعوه إلينا . إلا إن كان هناك إنسان عنده في مخالفتهم دليل من الكتاب والسنة فلا يتكلم حتى يعرض أمره على علماء المسلمين ونعرف حقيقته ، أما المعترض من غير ذلك فذمتنا وذمة المسلمين بريئة منه ويكون معلوما عنده أنه على خطر".[١] و في موضع اخر ان المخالف الذي يسمع رأيا آخر يعرض نفسه "للبطش به و بجلاله (اهله و ماله)" .

و قد دعمه اولئك النفر (الشَّيْخُ: محمد بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، والشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف) بالفتاوى بدورهم و قالوا فيه :" ثـمَّ لَمَّا وَقَعَ الخلل من كثير من الناس، من عدم القيام بشكر هذه النعمة ورعايتها ، ابتلوا بوقوع التفرق والاختلاف، وتسلط الأعداء، والرجوع إلى كثير من عوائدهم السالفة، حَتَّى مَنَّ اللهُ في آخر هذا الزمان، بظهور الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل، أيده الله ووفقه، وما من الله به في ولايته، من انتشار هذه الدعوة الإسلامية، والملة الحنيفية، وقمع من خالفها ، وإقبال كثير من البادية والحاضرة على هذا الدين، وترك عوائدهم الباطلة. وكذلك

---

[١] التويجري ، عبد العزيز ، "لسراة الليل هتف الصباح" ، ص ٥٢٠

ما حصل بسببه، من هدم القباب، ومحو معاهد الشرك والبدع، وردع أهل المعاصي والمخالفات، وإقامة دين الله في الحرمين الشريفين، زادهما الله تعالى تشريفا وتكريما، وكذلك ما من الله به على قبائل العرب، من الاجتماع بعد الفرقة، والائتلاف بعد العداوة التي كانت بينهم، والأمن والطمأنينة بعد الخوف، حتى صار الراكب يسير من الشام إلى اليمن، لا يخشى إلا الله. وهذه النعم يجب شكرها على جميع المسلمين، والحذر من الأسباب التي توجب زوالها، أعاذنا الله وإخواننا المسلمين من ذَلِكَ."[1]

وكان ابن سعود قد منع الهجر من استقبال أي عالم غير من يعينهم الملك لوعظ الهجر خوفا من نزوع عدد من مشايخ الهجر لاتهامه بموالاة الانكليز وهدد الذين يخالفون بأشد العقاب.[2] وحذر الإخوان من أن البعض يحاول إخراجهم من الدين و يضللهم، ونهاهم عن سؤال أحد من العلماء الا الذين يعينهم هو من أمثال: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، والشيخ سعد بن عتيق ، والشيخ محمد بن عبد اللطيف ، والشيخ عبد الله العنقري ، والشيخ عبد الله بن سليم ، والشيخ عبد الرحمن بن سالم. وقال لهم: " من حط عنده طالب علم أو سأل غير هؤلاء المذكورين أو أحدا يجيزونه من طلبة العلم فأنا بري الذمة منه ولا يأمن العتب أيضا".[3] كان هناك اشاعات ان بعض

---

[1] الدرر السنية (١٠٧/٩-١٠٩)
[2] التويجري ، عبد العزيز ، "لسراة الليل هتف الصباح" ، ص ٣٨٨
[3] المرجع السابق ، ص ٤٧٦

"العناصر المندسة" من طلبة العلم من حضر نجد و آخرين لا يعلمهم يحرضون الاخوان ضده بصفته عبد الانكليز، و في الاغلب انه قتل من عثر عليه من تلك العناصر المندسة باعتبارها من "الفئات الظالة المارقة" .

لم يقتصر التقييد على الاخوان بل تعداه الى فرض وصايته على الامة الاسلامية باسرها فقد دعا الملك بعد فتحه لمكة الحجاج و رؤساء الوفود الى ما اسماه المؤتمر الاسلامي الاول و حذرهم و نهاهم تحت طائلة التهديد عن الكلام في "السياسة الدولية" او "الخلافات بين الشعوب الاسلامية و حكوماتها لأن ذلك من المصالح الموضعية الخاصة بتلك الشعوب"[1] الا انه لم يذكر انه "سيبطش بهم و بجلالهم" بدورهم اذا تفوهوا بكلمة لان "حلالهم" كان في بلاد اخرى لا يطالها .كان منع الكلام في شؤون الدويلات المستقلة امرا جديدا على المسلمين الذين كانوا قريبي عهد بدولة اسلامية جامعة تجعل الكلام في شأن مسلمي بلغاريا فيها من اهتمامات مسلمي اليمن و العراق و يتجاور النائب عن ولاية طرابلس الغرب فيها في مجلس" المبعوثان"[2] العثماني مع النائب عن ولاية اذربيجان.جاء النهي عن الكلام في "السياسة الدولية"[3] ردا على طلب بعض الوفود و منها الهندي و المصري مناقشة مشكلة فلسطين و تحريرها من الاحتلال البريطاني. امر الملك بطرد الوفد الهندي من الجزيرة بعدما

---

[1] جريدة ام القرى، العدد ٧٥، ٣٠ ذي القعدة ١٣٤٤، ١١ يونيو ١٩٢٦، ص ١

[2] المبعوثان: مجلس الشورى العثماني.

[3] و قد تعدى عبد العزيز في المؤتمر الاسلامي الثاني في السنة التالية ١٩٢٧ الى منع الوفود المشاركة "من الخوض في الشؤون السياسية على الاطلاق" مما يجعله رائدا من رواد العلمانية و فصل الدين عن الدولة في ديار الاسلام. محمد جلال كشك،"السعوديون و الحل الاسلامي"، ص ٥٣٥.

استمر في مناقشة "المحظورات" . كان عبد العزيز شديد الهلع من اي قول او فعل يغضب البريطانيين لدرجة انه كان مستعدا لإلغاء الحج كله اذا اقتضى الامر لانه تولى الحكم الذاتي لبلاده بموجب اتفاقية توجب عليه السلوك الودي في السر و العلن تجاه بريطانيا .

على النقيض من تلك الذلة في التعامل مع بريطانيا كان عبد العزيز جبارا في تعامله مع المسلمين و العرب الآخرين الذين دأب في خطاباته معهم على تذكيرهم بانهم "لاشئ و انه اخذ حكم البلاد بسيفه و سيوف اباءه"[١] في خطاب يذكر برسالة السلطان سليمان القانوني العثماني الذي امتدت ممالكه من روسيا و اطراف بولندا و النمسا شمالا الى اريتريا و حدود الصومال جنوبا و من اذربيجان الى اطراف فاس بالمغرب الاقصى غربا الى تابعه ملك فرنسا المستنجد به يوم ان كان للبحرية العثمانية قاعدة في مرسيليا جنوب فرنساو دعاه فيها "فرنسيس ملك ولاية فرنسا" قائلا في صدرها "من سليمان بن . . . .خاقان البرين و البحرين سلطان السلاطين وبرهان الخواقين ، أنا متوج الملوك ظلّ الله في الأرضين ، أنا سلطان البحر الأبيض والبحر الأسود والبحر الأحمر والأناضول والروملّي وقرمان الروم ، وولاية ذي القدرية ، وديار بكر وكردستان وأذربيجان والعجم والشام ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب والعجم وبلاد المجر والقيصر وبلاد أخرى كثيرة افتتحتها يد جلالتي بسيف الظفر ولله الحمد ."

---

[١] انظر رسائله للاخوان قبل و بعد موقعة السبلة.

القـى الملـك في افتتاحيـة المـؤتمر خطبـة قـال فيهـا "اننـا لا نقبـل اي تـدخل اجـنبي في هـذه الـبلاد الطـاهرة" ايمـاءا الى مناقشـات قـادة الوفـود الاسـلامية و العربيـة بخصـوص الاشـراف الاسـلامي الـدولي علـى المشـاعر في الحجـاز الـذي كـان قـد وعـدهم بـه لاول عهـده بفـتح الحجـاز عنـدما كـان موقفـه السياسـي الـدولي و العسـكري المحلـي مهتـزا و و كانـت بريطانيـا تنصـحه بالتهدئـة حتـى لا يتسـبب اسـتيلائها علـى الحجـاز مـن خلالـه لثـورات في مسـتعمراتها بالهنـد و مصـر . انـبرى وقتـها شـيخ الازهـر الاحمـدي الظـواهري[1] مبعـوث مصـر و قـال "ان كلمـة أجـنبي هـذه مجملـة فـإذا كـان المـراد بهـا مـن يـدين بالإسـلام فـذلك مايؤيـده فيـه كـل العـالم إلا أن تطبيـق ذلـك مـع الجمـع بـين سـلطنة نجـد ومملكـة الحجـاز يحتـاج إلى دراسـة المعاهـدات الـتي عقـدتها نجـد مـع الـدول الأجنبيـة خشـية أن يكـون فيهـا مـا يحمـل إقـرار الجميـع بوجـه مـن وجـوه التـدخل الـذي نهـى عنـه الملـك، وضـرب مـثلا لـذلك بأنـه إذا فـرض أن لدولـة أجنبيـة حـق التـدخل في تعـيين سـلطان نجـد مـن بـين آل سـعود (مومئـا الى معاهـدة داريـن بـين بريطانيـا و ابـن سـعود) كـان معنـى ذلـك أن لهـذه الدولـة حـق التـدخل في تعـيين ملـك الحجـاز مـا دام سـلطان نجـد هـو ملـك الحجـاز."وقـد سـببت هـذه الاستفسـارات مـن الشـيخ الظـواهري إحراجـا لابـن سـعود فوسـط مستشـاريه لـدى الشـيخ الظـواهري لسـحب مذكرتـه مقابـل سـحب الملـك خطبتـه الافتتاحيـة .فهـم الظـواهري ان ابـن سـعود يقصـد التـدخل"الاجـنبي" المصـري و السـني العربـي او الاسـلامي و لـيس التـدخل الانكليـزي. اوعـز الملـك بعـد ذلـك المـؤتمر بايـام للاخـوان بمهاجمـة الحجـاج المصـريين المشـركين بالسـلاح ممـا

---

[1] الشيخ الاحمدي الظواهري جد ايمن الظواهري.

نتج عنه حادثة المحمل المشهورة و انقطاع العلاقات بين البلدين لعشر سنوات حاول اثناءها الملك فؤاد[1] دعم بعض القبائل الحجازية[2] المناوئة لعبد العزيز و تسليحها و لكن قوات الاحتلال البريطاني في سيناء[3] و السويس افسدت جهوده و نبهت ابن سعود ثم فرضت حصارا بريا و بحريا على سيناء و موانئ البحر الاحمر المصرية و منعت افراد عشائر سيناء من اجتياز الحدود المصرية في اتجاه الاردن او الحجاز و فرضت عليهم حظر تجوال محدود بمناطق عشائرهم و نزعت سلاحهم الفردي و ظل الحظر ساريا حتى سلمت بريطانيا مسؤولية حراسة حدود الاردن و شمال الحجاز الى الجيش الاسرائيلي.

منذ ذلك الوقت دأبت الحكومات السعودية المتوالية على اعتبار موسم الحج خطرا على الامن القومي للبلاد و منفذا لتسرب الافكار "الهدامة". و ظل الملك بعد حادثة الظواهري لأكثر من عشرين سنة يتشكى من جرأة الحجاج المصريون عليه و على ما يبدو نصح بعقد حلقات توعية للحجاج المصريين الوافدين للمملكة، و في مراسلة اوعز بها لقنصل مصر في جدة سنة ١٩٤٤م يقول القنصل "ان كثيرا من الحجاج المصريون تضيق صدورهم عندما يقابلون المشاق في طريق الحج و الزيارة، و لا يضبطون

---

[1] ظل الملك فؤاد رافضا للاعتراف بابن سعود ملكا على الحجاز و كان يصفه بقاطع الطريق البدوي.

[2] حادثة ابن رفادة من قبائل بلي في ١٩٣٢.

[3] لم تخرج القوات البريطانية من سيناء و السويس الا بعد ان رسخت اقدام الدولة اليهودية كحاجز بين مصر و الجزيرة و اضطلع الجيش الاسرائيلي بمهمة حراسة الحدود الشمالية للجزيرة وحماية الامارة السعودية الانفصالية من اي اختراق عسكري مصري. و فيما تنسب اغلب المصادر العسكرية اهمية قاعدة قناة السويس البريطانية التي كانت آخر نقاط تمركز الجيش البريطاني بمصر الى قيامها بحراسة خطوط الملاحة بالقناة الا ان ذلك الطرح يغفل دور تلك القاعدة في مراقبة و التصدي لاي تمدد عسكري مصري شرقا في اتجاه دويلتي الاردن و الحجاز الضعيفتين. و قد اعلنت بريطانيا مرار في الخمسينيات انها لا تستطيع الانسحاب من السويس لانها تقوم "بحماية حلفائها" في المنطقة من المصريين، و بما ان الجيش الاسرائيلي كان قد هزم الجيش المصري قبلها بسنوات مما ينفي حاجته لحماية فلابد ان هناك على حدود مصر الشرقية "حلفاء" آخرين بحاجة لتلك الحماية و هو ما لا ينطبق الا على دويلتي الاردن و السعودية.

اعصابهم عندما ينظرون مظاهر البؤس و المرض تخيم على كثير من السائلين من اهالي البلاد و هم يستجدونهم في الطريق فتتدفق السنتهم امام سائقي السيارات و غيرهم من اهالي البلاد في التنديد بجلالة الملك و انجاله و اعضاء حكومته بينما الحجاج الفلسطينيون و السوريون و غيرهم يقابلون ذلك كله بالصبر و الهدوء، و لا يخفى على رفعتكم ان ذلك كله يصل الى آذان الملك و حكومته. . .و ذلك بفضل عيونه المنبثة في كل مكان و طبقة. . .لذلك فانه يحسن ان يطلب في الموسم القادم من وعاظ بواخر الحج بان ينصحوا الحجاج جميعا بان يتواصوا بالصبر و الا يمسوا الحكومة السعودية بالتقريع او التنديد."[١]

فضلا عن ذلك اصدر عبد العزيز قانون الجنسية المعروف "بالتابعية الحجازية" ليقيد دخول مواطنو الدولة العثمانية السابقين للحجاز بدون تاشيرة كما كان يحدث تحت الحكم العثماني و حكم الشريف حسين و ليفرق بين العاكف بالبيت و الباد .و فيما كان عبد العزيز قد اعلن ان احد اهداف غزوه للحجاز هي تامين الحجيج من كافة ديار الاسلام ضد قطاع الطرق الحجازيين و النجديين الذين كانت الدولة العثمانية تدفع لهم بعض الصدقات سنويا نظير عدم سرقة الحجيج، صارت الدولة السعودية تفرض على الحجاج و المعتمرين الوافدين ضريبة بلغ حاصلها مئات الملايين من الدولارات سنويا[٢] تحت اسم الكوشان[٣] و رسوم التاشيرات و المطوفين يمنع من لا يدفعها من الحج و لو كان من الاشراف اهل

---

[١] د/خالد بن عبد الرحمن الجريسي،"من وثائق العلاقات المصرية السعودية في عهد الملك عبد العزيز" ص١٢٧٥.

[٢] تطبل الصحف القومية السعودية في مواسم الحج لتجديد الحرم و رصفه بالرخام بوصفه مكرمة من جيب حاكم السعودية و ماله الخاص حتى يلهج بعض الحجاج بالدعاء للملك الذي جعل الطواف بردا و سلاما عليهم مع ان تلك التجديدات ماهي الا حصيلة اعوام قليلة من المكوس المتحصلة من الحجاج.

[٣] الكوشان: مكس امر بفرضه الملك عبد العزيز على الحجاج بعد استيلاءه على الحجاز في العشرينيات و الثلاثينيات نظير السماح لهم بالمرور من جدة لمكة.

البيت ، و لا يعفى من تلك الضريبة الا من يثبت انه ينتمي لاحد قبائل قطع الطريق و اللصوصية التي تسكن الجزيرة من ضِئْضِئي الذين قاتلوا قبل الفتح و انفقوا مع ابو كيم اللوطي و لورانس اللوطي[١] ضد الامة الاسلامية اثناء الحرب العالمية الاولى و لم يبدلوا تبديلا. و فيما كانت الدول الاسلامية العظمى في السابق تعاقب شيوخ قبائل قطاع الطرق في الجزيرة على اعتراضهم لطريق الحجاج صار قطع طريق الحجاج في المملكة و فرض الجزية عليهم محميا بالجيش البريطاني و بعده الاميركي اللذان يضمنان امن المملكة الانفصالية ضد تدخل الدول الاسلامية المجاورة.

و بينما اعتاد المسلمون لثلاثة عشر قرنا شد الرحال لمكة لمجاورة الحرم و الاعتكاف به حرم عبد العزيز ذلك تلبية لشروط المعاهدات البريطانية التي تمنع توطين اي اغراب في الاراضي التي تمنحها بريطانيا لشيوخ القبائل المتعاونين معها خاصة ان كان هؤلاء الاغراب من المسلمين السنة كما وضعت قوانين للجوازات و الجنسية مستوردة من بريطانيا تمنع المسلم الشامي و اليمني من المجاورة بالحرم ثم زيد على الطنبور نغمة بعد اكتشاف البترول مقولة ان المسلمين الوافدين متسولون يأتون للحرم طمعا في خيرات بلاد التوحيد البترولية مع ان اسلاف اولئك المتسولين ظلوا ينفقون من صدقاتهم[٢] على كثير من اهل الجزيرة[٣] على مر التاريخ الاسلامي لمدة ثلاثة عشر قرنا و نصف تقريبا حتى خمسينيات القرن

---

[١] و الاحق بالبيت من اعقاب ابن تيمية و ابن القيم (الذان يعتبران مواطنين سوريين بحاجة لتاشيرة حج الاصل فيها المنع) بحسب العقيدة القومية النجدية لقانون التابعية و الجوازات و الجنسية من استطاع وصل نسبه بذي الخويصرة التميمي والقرامطة و بسجاح و مسيلمة من وادي حنيفة مسقط راس عبد العزيز او كما قال النجدي المرتد القديم :"كذاب ربيعة احب الينا من صادق مضر."

[٢] كان من اول ما سال عنه عبد العزيز في المؤتمر الاسلامي الاول لادارة الحجاز مصير ادارة اوقاف اهل مصر المخصصة للحرمين و صدقاتهم و المعونة المالية التي كانت ترسل سنويا للحجاز تحت اسم "الصرة" و هدد باللجوء للقضاء ان لم تعاود مصر ارسال الصدقات.

[٣] كان بعض عربان الجزيرة (و اكثر اهل الجزيرة قبل عصر البترول من العربان) يقومون بتقديم الجمال التي يحتاجها الحجيج نظير اجور بالاضافة الى تقديم بعض الخدمات السريعة مثل المياه و بعض الطعام احيانا و يحافظون على الحجاج متى غمروهم

الماضي قبل اكتشاف البترول بلا غرض الا ابتغاء رضوان الله وحسن جوار بيته. و فيما كان مسلمو شرق الجزيرة ينتقلون من القطيف الى تلمسان بالمغرب العربي بدون جواز سفر او من يخيفهم الا قطاع الطرق من دعار جزيرة العرب ايام حكم محمد علي باشا "الكافر" و ابراهيم باشا "الكافر" صار الاعرابي في العقبة الاردنية لا يستطيع رعي غنمه على بعد اميال قليلة في تبوك "السعودية" التي فتحها الرسول عليه الصلاة و السلام الا بعد حيازة جواز سفر معتمد دوليا من الامم المتحدة في نيويورك النصرانية في عهد ورثة ابن سعود و آل شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب.

نبه الملك عبد العزيز قيادات الاخوان الى غضب بريطانيا من فعالهم فاتهموه بالتخلي عن الجهاد و موالاة النصارى. تصاعدت حدة الشقاق و بدأت مناوشات عسكرية بين عامة الاخوان و طوائف اختارت جانب الملك. تحاكم الطرفان للشرع فاتهمهم الملك بالخروج على امام الزمان فيما اتهمه الاخوان بالتخلي عن الجهاد و موالاة الانكليز و النصارى و نقض ما اتفقوا عليه من ترك الحكومات الملكية الوراثية و الحكم بالشريعة خالصة. اقيم مؤتمر عام و اثيرت المآخذ ثم اعلن الملك استعداده للتنحي عن الحكم و طلب من الحاضرين اختيار من يرونه غيره من ابنائه و اخوانه فتعالت الهتافات تنهاه عن التنحي. كما اصدر كبار آل الشيخ مثل ابن عبد اللطيف و معهم ابن سحمان و العنقري و ابن عتيق و آخرين بيانا قالوا فيه انهم لم يروا منه الا الحرص على الشرع و لم يعلموا منه الا اتباع

---

بعطاياهم من مأكولات و مشروبات خاصة الشاي الذي كان يسعد هؤلاء العربان كثيرا، و تزداد عناية هؤلاء العربان بالحجاج متى وعدوهم بالكساوي و هي ثوب قطني و عقال لكل اعرابي و كانوا ينقلبون الى قطاع طرق عندما يبخل عليهم الحجاج بمالهم و عطاياهم فيذيقونهم العذاب الوانا. د/سعد بدير الحلواني "العلاقات بين مصر و الحجاز و نجد في القرن ١٩"، ص٢٢٦،ط٢.

السنة فانخذل اكثر الحاضرون عن الاخوان خاصة بعد ان اثقل الملك شيوخ القبائل و العلماء بالعطايا .[١] كان للاخوان مآخذ مشروعة ثبت صحتها فيما بعد كما كانت لهم مطالب غوغائية تتعارض مع بناء دولة حديثة قوية مثل التوقف عن استخدام الهاتف و البرق و الراديو بزعم انها من اعمال الجن. كانت تلك المخترعات قد دخلت الجزيرة حديثا و كان استخدام الملك لها ضمن نظام اتصالاته العسكري قد مكنه من احباط غاراتهم المفاجئة على حامياته المعزولة مما اغاظ قيادات الاخوان بشدة فدفعوا اتباعهم الجهلة لضمها الى مآخذهم على عبد العزيز. رضخ عبد العزيز لبعض مطالب الاخوان ريثما يتمكن من القضاء عليهم حتى انه منع استعمال السيارات و البرق اللاسلكي في الرياض و بعض المناطق القريبة من تجمعاتهم و ان كان يحتمل انه اقر ذلك المنع لاغراض عسكرية وقائية في نفسه .و بدأ عبد العزيز في تلك الفترة سلسلة من المؤتمرات الشعبية مع شيوخ القبائل و قيادات الاخوان لاستمالتهم و اشيعت اخبار عن لقاءات بين "الامام" عبد العزيز كما كان يسمى و "الشيخ الزاهد" فيصل الدويش و كيف قص الدويش بيده ذيل ثوب الامام لان طوله زاد عن الكعبين في اشارة لخضوع عبد العزيز لحكم الشرع.[٢]

---

[١] محمد جلال كشك،"السعوديون و الحل الاسلامي"، ص٦٤٩.
[٢] محمد جلال كشك،" السعوديون و الحل الاسلامي"، ص٦٢٩.

كان التعاون مع الانكليز ذو اوجه عدة فقد كانت مخازن الجيش الانكليزي في الكويت المحتلة و قطر و البحرين هي مصدر امداده الرئيس بالسلاح في سنوات البداية حتى القضاء على آل الرشيد . كانت الدوريات البحرية البريطانية المسيطرة على الخليج تصادر اي شحنات اسلحة عثمانية و تسمح فقط بدخول سفن السلاح المتوجهة لحلفائها . و بما ان نجد لم يوجد بها مصانع سلاح حتى اليوم بعد قرن من تلك الوقائع فقد كان اعتماد مقاتلي بن سعود على بنادق الماوزر و المارتيني المستوردة من اوروبا كليا . كانت قرارات السماح بمرور الاسلحة في البداية تتخذ من مكتب القنصل البريطاني في بوشهر بالتعاون مع المكتب السياسي في الكويت ثم انتقل مركز القرار الى البصرة. و في حديث اذاعته قناة الجزيرة اعلن الامير طلال بن عبد العزيز ال سعود بان الحكومة البريطانية كانت تدفع لعبد العزيز في بداية امره راتبا شهريا قدره خمسة الاف جنيهات ذهبية و اقر بان المال لم يكن يدفع "لوجه الله" . سلم الانكليز الملك قبل معركة السبلة مدافع جاتلنج رشاشة و نتائج استطلاع جوي لمواقع الاخوان كما ابرم الملك اتفاقية مع السلطات البريطانية في الاردن و الكويت و العراق تقضي بمنع لجوء قبائل الاخوان او ذراريهم الى اي من هذه البلاد او السماح لهم بشراء اغذية ريثما يستطيع حصارهم و تجويعهم و القضاء عليهم. كما اخذت بريطانيا على عاتقها منع وصول السلاح و الذخيرة لأي اطراف مناوئة لعبد العزيز في الجزيرة عبر الخليج او البحر الاحمر .

كما كان متوقعا لم تصمد قبائل الاخوان في المناوشات التي نشبت بينها و بين الموالين لعبد العزيز في غياب صناديق السلاح و الذهب البريطاني التي بنوا عليها اسطورتهم. و يقول جون غلوب[1] قائد القوة الجوية البريطانية المرابطة بالكويت في وصف احد معارك مطير الاخوانية في ديسمبر ١٩٢٩ "هاجمت حرب الموالية لابن سعود قبيلة مطير ففر هؤلاء بدون قتال، تماما كما كان الرعاة العراقيون يفعلون في الماضي، ما اروع سقوط الجبار. . .وضعت شروطا لمنح حق اللجوء و هو استسلام شيوخ القبائل، و نزع سلاح قبائلهم و تجميعهم في مكان واحد (مثل الهجر او محميات الهنود الحمر) و وافقت القيادة البريطانية في بغداد على الشروط. . .و في يوم اول يناير ١٩٣٠-رجب ١٣٤٨ جاء الى معسكرنا فيصل الدويش و نايف بن حثلين فابلغا بالشروط. فطلبا مهلة ١٢ ساعة حتى يستشيرا قبائلهما في هذه الشروط، و ذهبا فلم يعودا[2]. . .و في الخامس من يناير دب الذعر فجأة في جموع الثائرين، و انطلقوا هائمين في الصحراء تاركين خلفهم متاعهم و ماشيتهم، و كم رايت مثل هذا الذعر يجتاح قبائل العراق على يد هؤلاء الاخوان الذين لا رحمة في قلوبهم. . .حتى دار الزمان."[3]

لم يزد الاخوان الذين قاتلوا في السبلة عن ثلث او ربع جموع الاخوان الاصلية حيث كان اكثرهم قد انضم لابن سعود خوفا و طمعا . هزم الاخوان بعد حوالي ساعة من القتال و فر سلطان بن بجاد فاتح

---

[1] صار الكولونيل غلوب لاحقا قائدا للجيش الاردني اثناء حرب فلسطين حتى ١٩٥٦ و كان مثالا للضابط البريطاني المتأعرب (كان يقود لسنوات قوة من الاعراب على حدود العراق اسماها حرس البادية) على غرار لورنس و جاك فيلبي. و رغم ولاءه لبريطانيا و سياستها الشرق اوسطية التي شارك في وضعها الا انه اشتهر عنه مقولة كان يرددها لضباطه العرب هي:"لعنة الله على الانكليز الكفار، لا يعرفون الا مصلحتهم!"و كان اعراب الجزيرة يسمونه الشيخ "ابو حنيك". انجب ولدا اسماه غودفري على اسم اول حكام بيت المقدس الصليبيين و تبنى طفلة بدوية و صبي و فتاة من لاجئي فلسطين. مات غلوب نصرانيا في بريطانيا، فيما اعلن ابنه غودفري اسلامه و تسمى باسم فارس غلوب و عمل بوزارة الاعلام الكويتية.(ويكيبيديا، مادة جون باغوت جلوب)

[2] محمد جلال كشك،" السعوديون و الحل الاسلامي"،ص٧٠٦.

[3] محمد جلال كشك،" السعوديون و الحل الاسلامي"،ص٧٠٧.

الحجاز بصعوبة. بعد مدة وافق سلطان على لقاء الملك و اخذ منه العهود و عند وصوله لبلدة شقرا قبض عليه الملك و ارسله للرياض حيث قتل من معه و اودع هو السجن ثم امر الملك بتدمير هجرة غطغط التابعة لاخوان عتيبة. كما استسلم الدويش بعد اصابته اصابة بالغة ثم عفا عنه الملك عبد العزيز و عاد الى مضاربه. اما شريكهم الثالث شيخ العجمان ضيدان بن حثلين فقد استدرجه مبعوث بن جلوي والي الاحساء السعودي للتفاوض ثم غدر به و قتله فاشتعلت الحرب مرة ثانية. عاود الدويش القتال بعد سنة وحوصر مرة اخرى مع مقاتلوه على الحدود العراقية فمنعتهم بريطانيا من دخول العراق برغم موافقة الملك فيصل بن الشريف الحاكم الصوري للعراق على استقباله. حاول الدويش الحصول على حق اللجوء الى الكويت لنساء و اطفال قبيلته الا ان الكولونيل غلوب منعه و قامت الطائرات البريطانية الموجودة بقاعدة الكويت بقصف مضاربه. حاصر الطيران البريطاني الاخوان من كافة الجهات فمنعوهم من التحرك شرقا الى الكويت او شمالا الى العراق او غربا الى الاردن فيما كان جيش عبد العزيز يتقدم اليهم من الجنوب حتى احيط بهم و نفقت ابلهم و اجهد اهلهم الجوع و العطش. وقف الدويش يتوسل لضابط مغمور يدعى الكولونيل ديكسون يدير قرية الكويت الصحراوية -في زاوية من زوايا الامبراطورية التي ضاعفت جهود الدويش مساحتها اضعافا مضاعفة و جعلت منها امبراطورية لا تغيب عنها الشمس- ان يؤويه و ان يأوي اهله في اي ركن بعد ان ضاقت به جزيرة العرب الا ان ديكسون امره بالرحيل فورا الى احضان مدافع ابن سعود حتى لا يأتي الطيران البريطاني و يقصفه كما لو كان متسولا لحوحا طال انتظاره على باب احد الملوك او كلبا

اجربا مل اهل البيت الكرام سماع عواءه. و لو انصفت بريطانيا لاسمت اكبر ميادينها باسم الدويش كما اسمتها باسم دوق ويلينغتون صاحب الطرف الاغر الذي انقذ بريطانيا من الهزيمة على يد اسبانيا؛ فلولا الدويش و ابن بجاد و عرب الجزيرة و دورهم الحاسم في هزيمة العثمانيين[1] لكان واردا ان تهزم بريطانيا في الحرب و يحكمها الالمان من برلين، و لكنها القته مكبلا لابن سعود و لم تمنحه حتى وساما معدنيا من التي كانت تغدقها على سيده او حتى مسكنا صغيرا في الريف البريطاني يتقاعد فيه و يرتل مع احفاده اناشيد الاخوان و يتذكر ايام كانوا فرسانا تحت راية الملك جورج.

استسلم الدويش بغير شرط للقوات البريطانية التي نقلته الى البصرة الواقعة تحت الاحتلال البريطاني حيث سجن لفترة ثم سلمته و رفاقه لعبد العزيز بشرط عدم قتله فوافق و اودعه السجن. بعد بضعة اشهر قضى الدويش في السجن و قيل ان الرجل الذي كان اسمه يملأ الجزيرة رعبا مات جوعا[2] لان السجناء الجنائيين من لصوص الدجاج و الماعز كانوا يسرقون طعامه، ثم اعقبه بسنتين موت جاسر بن لامي المطيري و نايف بن حثلين العجمي و سلطان بن بجاد العتيبي في سنة واحدة في السجن لتنتهي حقبة و تبدأ حقبة. بعد مقتل الدويش باقل من سنة اعلن عبد العزيز في ١٩٣٢

---

[1] بعد نهاية الحرب العالمية الاولى التي استمرت ما يقرب خمس سنوات صرح رئيس الوزراء البريطاني وينستون تشرشل ان "دخول العثمانيين الحرب اطال امد الحرب بسنتين كاملتين" و لو انصف لقال "و لولا خيانة اعراب نجد و الجزيرة لطالت الحرب لعشر سنوات اخرى او لسقطت الامبراطورية البريطانية و لربما تغير وجه العالم." و يروى ان تشرشل اهم ساسة بريطانيا في القرن العشرين التقى بعد خمس و عشرين سنة اثناء الحرب العالمية الثانية بنقيب طيار بريطاني من اصل تركي فتفرس فيه ثم قال :"لقد اضاع اباك من مستقبلي السياسي عشرين سنة (قضاها تشرشل في محو آثار غضب الراي العام البريطاني عليه بعد عزله من منصبه بسبب الخسائر التي كبدها له العثمانيون في غاليبولي و العراق عندما كان وزير حرب بريطانيا اثناء الحرب العالمية الاولى)". كان الطيار علي انور الذي التقاه تشرشل من احفاد السلاطين العثمانيين و نفاه اتاتورك طفلا الى اوروبا مع الاسرة العثمانية الحاكمة، و قد تربى الطفل يتيما بعد ان قتل اباه وزير الحرب العثماني السابق انور باشا و هو يحارب الشيوعية في طاجكستان.

[2] محمد جلال كشك،" السعوديون و الحل الاسلامي"، ص٦٨٤، نقلا عن محمد المانع "Arabia Unified".

تغـيير اسـم الـبلاد الى المملكـة العربيـة السـعودية و تعـيين ابنـه سـعود و ليـا للعهـد و هـو مـا كـان محـط اعـتراض الاخـوان في الاصـل. بعـد خمسـة و عشـرين سـنة مـن دعـوة اهـل الهجـر للجهـاد ضـد الكفـار و اوليـاء النصـارى، تحـول الحـال بعـد معركـة السـبلة و صـار الملـك يتحـدث عـن افضـال الانكليـز و ان مـن لا يشـكر النـاس لا يشـكر الله، امـا الكـلام عـن النصـارى و الكفـار فقـد صـار جـزءا مـن الماضـي حتـى ان إمـام الملـك صـلى بـه يومـا في حضـرة بعـض الانكليـز وقـرأ في صـلاته آيـة "و لا تركنـوا الى الـذين ظلمـوا فتمسـكم النـار"[١] فتصـدى لـه الملـك قـائلا:"مالـك و لهـذا يـا الخبيـث!" و نحـاه عـن الامامـة و في روايـة اخرى انه امسك بعنقه و كاد يخنقه.

وخلافـا لتصـريحات عبـد العزيـز الوهميـة عـن الملـك الـذي اسسـه بسـيوفه و سـيوف اجـداده فـرض الانكليـز سـلطانهم علـى الامـارة الانفصـالية و دأبـوا علـى تـذكيره بـالقوة الحقيقيـة في الـبلاد حيـث اعتـاد القنصـل البريطـاني في جـدة التطـاول علـى الملـك المسـن و نهـره و توبيخـه علـى المـلأ في المجـالس العامـة ممـا اضـطر فيصـل ابـن الملـك الى التشـكي للخارجيـة البريطانيـة لاسـتبداله، و هـو مـا لم تفعلـه و ردت عليـه بـأن القنصـل يتصـرف بنـاء علـى اوامـر صـريحة مـن وكيـل وزارة الخارجيـة البريطـاني. و بخـلاف تصـريحات عبـد العزيـز عـن عـدم قبولـه لأي تـدخل اجـنبي تـدخلت بريطانيـا في الشـؤون الشـرعية و القضـائية و فرضـت عليـه ضـمن مـا فرضـت مـن قـوانين غلفـت باسمـاء شـرعية الالتـزام بتحـريم جلـب الرقيـق الى الامـارة و حفظـت لنفسـها حـق تحريـر العبيـد و الامـاء الآبقـين الـذين يلجـأون الى مكاتبـها في نجـد و

---

[١] هود ١١٣

الحجاز رغبة في التنصر و الفرار حتى بلغ الامر ان عبدا لفيصل ابن عبد العزيز امير الحجاز يدعى بخيت فر الى القنصلية البريطانية في جدة و لم يستطع فيصل استرداده برغم شكاواه العديدة للخارجية البريطانية بل و ارسلت بريطانيا زورقا حربيا الى شاطئ جدة و بقى العبد في القنصلية حتى خرج من البلاد امام سيده.

و كما يوجد في الشعر العربي شعر الغزل و الفخر و الهجاء و البكاء على الاطلال فان من اشهر اغراض التدوين التاريخي الجهادي الحديث ادب المؤامرة. و فيها يستغل احد الامراء او الرؤساء مجموعة من المقاتلين البسطاء لاغراضه فيقاتلون اعداءه لسنوات و يهزمونهم و قبل ان يبلغوا العاصمة و الحكم يقتل شيخهم و يشردهم و يسلم زمام الامور لليهود او النصارى و غيرهم نظير ان يتركوه يحكم البلاد بمفرده؛ و الامثلة كثيرة في الكتابات الجهادية الحديثة كحكاية باتشا سقاو الطاجكي مع نادر شاه و حكاية الاخوان المسلمين في فلسطين مع الزعماء العرب و الاخوان المسلمين بمصر مع جمال عبد الناصر و غيرهم. و على غرار ذلك لفقت رواية ظاهرة البطلان عرفت باسطورة الاخوان و عبد العزيز. كان واضحا قبل معركة السبلة باكثر من خمسة عشر سنة ان عبد العزيز لا يشاطر الاخوان عقيدتهم و توجهاتهم. فقد اختاروا ان يتناسوا انه عقب استيلائه على الرياض في اول غاراته على نجد اعلن ولاءه للدولة العثمانية و طمأن باشا البصرة انه احد عماله. كما تناسوا انه عقب استيلائه على الاحساء اعلن مرة اخرى انه من رعايا الدولة العلية المخلصين. ثم اعقب هذا

بسنة بعد بداية الحرب العالمية الاولى و انسحاب العثمانيون توقيع معاهدة دارين مع الانكليز و تنص على اتباع نصائح بريطانيا و حقها في الإشراف على علاقاته الخارجية و اختيار ورثته من حكام نجد و عدم إقامة علاقات مع أية دولة الا بعد الحصول على موافقة الحكومة البريطانية ، و الاعتراف بسيادة بريطانيا على الامارات المحتلة في الخليج ، في مقابل الاعتراف به من قبل بريطانيا وضمان الحكم له ولذريته من بعده.

وقد جاء في الفقرة الأولى من المعاهدة: "ان الحكومة البريطانية تعترف وتقبل بأن نجدا والأحساء والقطيف وجبيل وملحقاتها التي تعين هنا والمرافيء التابعة لها على سواحل خليج العجم ، كل هذه المقاطعات هي تابعة للأمير ابن سعود وآبائه من قبل ، وهي تعترف بابن سعود حاكما مستقلا على هذه الأراضي ، و رئيسا مطلقا على جميع القبائل الموجودة فيها ، وتعترف لأولاده وأعقابه الوارثين من بعده على ان يكون خليفته منتخباً من الأمير الحاكم ، وان لا يكون مخاصما لانجلترا بوجه من الوجوه".

و في الفقرة الثانية:" إذا حدث اعتداء من قبل إحدى الدول الأجنبية على أراضي الأقطار التابعة لابن سعود وخلفائه بدون مراجعة الحكومة البريطانية وبدون إعطائها الفرصة للمخابرة مع ابن سعود وتسوية المسألة، فالحكومة البريطانية تعين ابن سعود بعد استشارته، إلى ذلك القدر، وعلى تلك الصورة اللذين تعتبرهما الحكومة البريطانية فعالتين لحماية بلدانه ومصالحه.

وجاء في الفقرة الثالثة منها: " يتعهد ابن سعود ان يمتنع عن كل مخابرة او اتفاق او معاهدة مع اية حكومة أو دولة أجنبية ، وعلاوة على ذلك فانه يتعهد بإعلام الحكومة البريطانية عن كل تعرض أو تجاوز يقع من قبل حكومة أخرى على أراضيه" .

وجاء في الفقرة الرابعة: " يتعهد ابن سعود بصورة قطعية ان لا يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ، ولا بصورة من الصور يقبل بترك قطعة أو التخلي عن الأراضي التي ذكرت آنفا ، ولا يمنح امتيازا في تلك الأراضي لدولة أجنبية أو لتبعة دولة أجنبية دون رضا الحكومة البريطانية ، وانه يتبع نصائحها التي لا تضر بمصالحه" .

وجاء في الفقرة السادسة: " يتعهد ابن سعود -كما تعهد آباءه[1] من قبل -بأن يمتنع عن كل تجاوز أو تدخل في أرض الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ و رؤساء القبائل الآخرين الذين هم تحت حماية انجلترا والذين لهم معاهدات معها" .[2]

اجمالا كانت تلك المعاهدة تعطي بريطانيا السيطرة على الشؤون العسكرية و العلاقات الدبلوماسية لدولة ابن سعود فضلا عن الادارة الداخلية بما فيها اختيار الحاكم. كما كانت تلك المعاهدة تمنع ابن سعود من التمدد شرقا و جنوبا حتى ١٩١٥ مما عنى انه ليس امامه خيار الا التوسع في الاراضي

---

[1] محمد جلال كشك،" السعوديون و الحل الاسلامي"، ص٣٧١هـ.
[2] أمين سعيد، "تاريخ الدولة السعودية"، ج٢، ص ٧٥ ـ ٧٦. موسوعة مقاتل من الصحراء، ملحق ٧٩

العثمانية شمالا او غربا ، و بعد سقوط الدولة العثمانية و وراثة بريطانيا لمناطق نفوذها شمال نجد لم يعد باستطاعته التمدد في اي اتجاه آخر غير الحجاز طبقا للاتفاقية و الا اعتبر متعديا على دول حليفة لبريطانيا . كانت هذه المعاهدات علنية و على رؤوس الاشهاد اما ان قيادات الاخوان و عوامهم تعاموا عن هذا كله لخمسة عشر سنة فإن ذلك لا يمكن اعتباره خداعا من عبد العزيز لهم اكثر ما كان خداعا منهم لانفسهم. بل ان ادعاء وقوع الاخوان ضحية لخدعة من عبد العزيز هو بذاته ادعاء مفضوح لما عرف عن حضور ضباط استخبارات بريطانيين نصارى مثل فيلبي لجلسات التخطيط للحرب ضد شمر و ادلاءه برايه[١] (و راي الامبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس و تنفق على الاخوان و اميرهم) في وجهة غارات الاخوان و قبول الاخوان و علماؤهم لتلك الوجهة مع علمهم ان فيلبي يمثل وزارة الحرب البريطانية هو امر يتناقض تماما مع اي ادعاء للسلفية او اتباع السنة. و في رواية مشهورة ان قادة الاخوان اصطدموا مع جاك فيلبي في ١٩١٨ بخصوص الهجوم على خرمة التابعة للشريف حسين حليف بريطانيا للدفاع عن اخوانهم هناك فيما كان عبد العزيز و جاك يحبذان الهجوم على حائل آخر معاقل الدولة العثمانية. يومها اعلنهم عبد العزيز بان هذا الامر ليس من شأنهم و انه من علوم ولاة الامور و وافقه علماء الوشم على ذلك و افتوا بان ابن الرشيد هو عدو الله الاولى بالجهاد "عندها اجهش الاخوان بالبكاء على عادتهم عندما يتبينون خطأهم و استغفروا الله على شكهم في الامام"[٢] و رضوا بحكم فيلبي.

---

[١] محمد جلال كشك،"السعوديون و الحل الاسلامي" ص ٥٩١
[٢] المرجع السابق.

و في الاغلب ان الاعتراضات التي جاءت متاخرة بعد عشرين سنة من العمل مع بريطانيا كانت نابعة من طمع فيصل الدويش ان يوليه ابن سعود جبل شمر او فتوحات العراق فيما كان ابن بجاد يطمع في ولاية الحجاز التي فتحها و لعل شيخ العجمان ابن حثلين كان يطمع في امارة الاحساء التي منحها ابن سعود لقريبه ابن جلوي و لكنهم فوجئوا جميعا أن لا مكان لاحد في هيكل السلطة من خارج آل سعود فتمردوا .و يرد في ذلك ان اول الخلاف كان اثناء حصار جدة عندما طالب الدويش و ابن بجاد من عبد العزيز ان يوليهما مكة و المدينة فرفض فانسحبا بقواتهما الى نجد بعد ان طنطنا بكلام عن انهم جند الله و خدم دينه و لا مطلب لهم الا ان تكون كلمة الله هي العليا و دينه هو الظاهر و لا يريدا ان الا رفع المظالم و ازالة البدع و المنكرات و ان سيوفهم و جندهم سيعملون هذا العمل في كل من يعيد سيرة الشريف و يعمل عمله" غامزين من قناة عبد العزيز الذي بدات تتوافد عليه الوفود البريطانية و الاجنبية من جدة و بدأ يشيع انه سيدول حكم الحجاز تحت اشراف الدول الاسلامية الاخرى و سيبقي على القوانين الحجازية و يعين مجلس شورى من اهل الحجاز الكفار لحكم بلادهم كما تلقى مالا من تجار التبغ بجدة للسماح بالتدخين و اصدار فتوى بان التدخين مكروه و ليس محرم.[١]

ان التعمق في دراسة حالة اخوان ابن سعود يذكر بنادرة مشهورة في اوساط الاسلاميين المعاصرين عن لص تاب و حسن اسلامه ثم دعاه بعض اعضاء الجماعات المسلحة الى الغنائم و السطو على

---

[١] المرجع السابق ص٦٢٢.

امـوال الكفـار لتمويـل عمليـات التنظـيم فسُـر للغايـة قـائلا "هـذا مـا كنـت افعلـه قبـل إسـلامي و لكـن كـان ينقصـني الـدليل (الشـرعي)" . كـان الاخـوان ورثـة القبائـل الـتي اعتـادت قطـع الطريـق علـى المسـلمين حينمـا كانـت قبائـل نجـد و سـاحل الخلـيج تقطـع الطريـق علـى حجـاج العـراق و المشـرق و قبائـل الغـرب و الحجـاز تقطـع الطريـق علـى حجـاج مصـر و الشـام و المغـرب لاثنـى عشـر قرنـا و لكـن كـان ينقصـهم "الـدليل" حتـى اتـاهم بـه كـابتن ولـيم شيكسـبير و الحـاج عبـد الله فـيلبي ابـو كـيم. فلمـا دعـاهم ابـن سـعود انضـموا اليـه طمعـا في المغـنم و الـذهب الانكليـزي و قـامروا علـى ذلـك ببيـع ابلـهم و اغنـامهم، و لم يـدركوا ان اوهـامهم تحـدها اطـر رسمهـا الحـاج عبـد الله فـيلبي. كانـت الخدعـة الـتي عاشـوا فيهـا تعطـي لاطمـاع قطـع الطريـق القبليـة الـتي اعتادوهـا سـتارا شـرعيا يمكنـهم مـن سـلب "المشـركين" العـراقيين و "المشـركين" المصـريين و "المشـركين" الشـوام و الاتـراك و اليمنـيين مـع غـض الطـرف دائمـا عـن "المعاهـدين" البريطـانيين اصـهار الشـيخ فـيلبي و الشيكسـبير الـذين كـانوا يحيطـون بهـم شـرقا و غربـا و شمـالا و جنوبـا . لم يختلـف فيصـل الـدويش الـذي انقذتـه المدفعيـة البريطانيـة في موقعـة الصـريف في ذلـك عـن فيصـل دويـش آخـر(جـده) غـدر بالدولـة السـعودية الاولى و انضـم الى جـيش ابـراهيم باشـا اثنـاء زحفـه علـى نجـد قبلـها بمائـة عـام[١] طمعـا في الريـالات الذهبيـة الـتي كـان الباشـا ينثرهـا علـى شـيوخ عشـائر حـرب و مطـير و غيرها في طريقه لتدمير الدرعية و استرقاق اهلها .

---

[١] كـان فيصـل الـدويش الجـد قـد تباطـأ فـي دفـع الزكـاة لعبـد الله ابـن سـعود و لمـا ارسـل وفـدا مـن وجـوه مطيـر ليتفاوضـوا حـول ذلـك الامـر قتلهم عبد الله بن سعود فانتهزها الدويش فرصة للخروج على الحكم المركزي و التخلص من دفع ما عليه.

كان الشيخ عبد الله فيلبي ابو كيم اللوطي كبير مستشارو الملك عبد العزيز[1] اول السلسلة الذهبية لسند الشيخ الكبير في علم ادارة الدراويش السلفية الموهومين بالجهاد حيث اخذ العلم عنه الامير فيصل بن عبد العزيز و صهره كمال ادهم و منهم الى ابن اخت الاخير الشيخ تركي بن فيصل الكبير شيخ شيوخ المجاهدين السعوديين في العصر الحديث .تولى الحاج فيلبي[2] ادارة الشؤون الخارجية للملك منتدبا من المخابرات البريطانية بعد مقتل النقيب شكسبير. اتهم الحاج فيلبي بعد ثلاثة و عشرين سنة من عمله مع ابن سعود بالتخابر مع المانيا النازية اثناء الحرب العالمية الثانية ففصلته المخابرات الانكليزية و قطعت راتبه[3] و امرت عبد العزيز بطرده من المملكة فخرج منها الى البحرين فالهند حيث قبضت عليه السلطات البريطانية و سجنته لبضعة اشهر. نصح الحاج ابو كيم الملك عبد العزيز في تلك الفترة بالاتجاه نحو الولايات المتحدة و وضح له انها القوى العظمى الاولى الصاعدة و اثمرت النصيحة عن قيام عبد العزيز بالسفر على متن مدمرة اميركية للقاء الرئيس الاميركي روزفلت فيما عرف بلقاء ابن سعود/ روزفلت الشهير[4] على على متن المدمرة كوينسي بقناة السويس.نتج عن اللقاء

---

[1] يقول ابو كيم: "كانت خيمتي دائما الى جوار خيمة عبد العزيز في الغزوات، و كانت ملتقى القادة و الامراء حيث كانوا يدخنون و يخططون و يتحدثون".

[2] تلقى الحاج فيلبي العلم بدوره عن السير بيرسي كوكس حاكم العراق و الخليج و جرترود بل الشهيرة"بابو ناجي" و شيوخها اللورد كرومر وآرثر مكماهون.

[3] فصل الحاج فيلبي من المخابرات البريطانية في سنة ١٩٤٠ بعد اتهامه بالاتصال بالمانيا و قد تزامن الاتصال المزعوم مع ورود شحنة سلاح الماني لعبد العزيز عبر ميناء جده و اعقب ذلك باشهر غارة لطائرة ايطالية في نفس السنة على خط انابيب الظهران تسبب في دمار جزئي بالاضافة لغارة على البحرين و غارات عدة على اليمن، و لا يستبعد ان يكون عبد العزيز الذي عرف عنه اللعب على جميع الحبال و مغازلة القوى العظمى التي يحتمل انتصارها قد اوفده في مهمة خاصة للاتصال بالالمان لتأمين مستقبله في حالة هزيمة بريطانيا بعد ان افزعته الغارة على المنطقة الشرقية و اطراف الجزيرة و سير العمليات لصالح المانيا في بداية الحرب. كما لا يستبعد ان يكون اتهام التخابر مع المانيا ستارا لغيظ بريطانيا من مساعي فيلبي ذو الصلات الوطيدة باميركا لربط عبد العزيز بالقوة الاميركية الناشئة و هو ما لم تكن بريطانيا تستطيع اتهامه به صراحة بسبب اعتمادها الكلي على الدعم الاميركي في الحرب العالمية الثانية.

[4] قيل ان هذا اللقاء تم بدون استئذان بريطانيا التي كانت الحرب انهكتها و جعلتها مثقلة بالديون للولايات المتحدة مما اعتبر اشارة على انتقال حكم المملكة من بريطانيا الى وريثتها الاميركية و انتقال السلطة داخل المملكة من المندوب البريطاني كيم فيلبي الى المندوب السامي الاميركي الكولونيل بيل ايدي.

تسليم احتكار بترول الامارة الى الشركات الاميركية و الارتباط بعقود امداد بالبترول لاميركا لعشرات السنين و اعلان شيخ اعراب نجد الحرب[1] على المانيا الهتلرية و الامبراطورية اليابانية فور وصوله للرياض عائدا من رحلته كبادرة طاعة و ولاء للقوة العظمى الجديدة، و ان كان يشك ان انضمام مقاتلو مطير و عتيبة و العجمان- الذين كان كثير منهم يخافون الكهرباء باعتبارها من عمل الجن- للحلفاء ازعج[2] هتلر او امبراطور اليابان[3]. جرى اللقاء الودي بين ابن سعود و روزفلت فيما كان امين الحسيني مفتي فلسطين يفتي بقتال الشيوعيين الروس و البريطانيين و الاميركيين و اليهود و يحذر في خطاباته من الاذاعة الالمانية انه "اذا انتصرت اميركا و بريطانيا في الحرب فسيحكم اليهود العالم و ان نوايا اميركا العدائية تجاه المسلمين صارت واضحة من جهة نيتها لاقامة دولة يهودية كبرى في ديار العرب". يومها قال الرئيس روزفلت "لقد فهمت في عشرة دقائق مع الملك عبد العزيز عن القضية الفلسطينية اكثر مما فهمته في رئاستي حتى الان." و يبدو ان ما فهمه عجل بقرار الولايات المتحدة دعم العصابات اليهودية و الاعتراف بدولة اسرائيل المستقلة.

ظل الحاج ابو كيم على مودته تجاه بريطانيا و توسط لدى زملاءه القدامى لتعيين ابنه كيم فيلبي في المخابرات البريطانية حيث صار احد اقطابها و تولى مناصب منها مدير مكتب اسبانيا و البرتغال و

---

[1] كانت بريطانيا قد امرت عبد العزيز في بداية الحرب بطرد القنصل الايطالي و رفض طلب القنصل الالماني ببغداد بانشاء علاقات قنصلية و طرد ممثل حكومة فيشي الفرنسية المتعاونة مع هتلر (فيما ابقى بجدة على مندوب الحكومة الفرنسية في المنفى بلندن) فامتثل عبد العزيز فورا لكل اوامر بريطانيا و لكنه لم يعلن الحرب على المحور و لم يطلب منه ذلك.

[2] سخر راديو برلين من الحكومة المصرية (التي كانت قوة عظمى بالنسبة لصحراء نجد وقتئذ )عندما اعلنت الحرب على المانيا و اعلن عن رفع ميزانية وزارة الحرب الالمانية بمقدار مارك الماني واحد.

[3] لم يلغي امبراطور رعاة الابل حالة الحرب الا في ١٩٥١ بعد سقوط برلين بست سنوات و لعل ذلك كان مبالغة في اظهار عداءه لالمانيا و اثباتا لولاءه لاميركا. و لعله لم يلغ حالة الحرب الا بعد ان نبهه المندوب السامي الامريكي بان الحرب انتهت و صارت المانيا تحت الادارة الاميركية.(جريدة ام القرى الحكومية الرسمية ، بلاغ رسمي ١٤٨، ٢٠ يوليو ١٩٥١، ١٦ شوال ١٣٧٠هـ). بريطانيا و ابن سعود ص ٨٦.

ايطاليا و افريقيا اثناء الحرب العالمية الثانية و مندوب بيروت و الشرق الاوسط و مدير مكتب مكافحة التجسس ضد السوفييت احد اخطر مناصب الاستخبارات البريطانية كما تولى منصب المنسق في واشنطون مع وكالة المخابرات الاميركية. بعد ٢٢ سنة من العمل مع ابن سعود عاد الشيخ عبد الله ابو كيم الى لندن لفترة ليترشح لمجلس العموم البريطاني الا انه سقط في الانتخابات فعاد للجزيرة العربية مرة اخرى. صار ابنه كيم لاحقا بطلا لاشهر فضيحة تجسس خلال الحرب الباردة عندما تبين انه كون شبكة "الكامبردجيون الخمسة" التي اخترقت المخابرات البريطانية و منظومة حلف الاطلنطي الاستخبارية و نقلت اسرار القنبلة النووية الاميركية لروسيا التي قلدته بدورها وسام الراية الحمراء اعلى الاوسمة الشيوعية بعد افتضاح امره. ظل الحاج عبد الله ابو كيم على علاقة حسنة بولده حتى عندما تبين تجسسه لروسيا و مات بين يدي ابنه في بيروت سنة ١٩٦٠ و كانت آخر كلماته "ربي، يا للملل" ثم فطس و الكاس في يده[١] كما يقال. فضلا عن الاشتراك في تحكيم مسابقة ملكة جمال لبنان في كازينو لبنان الشهير للقمار[٢] نسق الحاج فيلبي و ابنه كيم اثناء وجودهما ببيروت في الخمسينات العمل الاستخباري البريطاني لصالح الهجوم البريطاني/الفرنسي/الاسرائيلي على مصر.

كان سعود بن عبد العزيز قد طرد كيم فيلبي البريطاني بعد ان صارت اميركا هي القوة العظمى المسيطرة فانتقل للعيش في لبنان في ضيافة صديقه الرئيس اللبناني كميل شمعون و بدأ يكتب كتبا

---

[١] محمد جلال كشك،" السعوديون و الحل الاسلامي"، ص٧٣١.
[٢] محمد جلال كشك،" السعوديون و الحل الاسلامي"، ص٧٣٧.

يذكر فيها اسرار بداياته مع عبد العزيز فطلب منه سعود العودة فعاد الا انه داب على الترحال بين جدة و بيروت لحين موته. قامت الحكومة السعودية بعد موته بشراء المذكرات الشخصية للحاج فيلبي من ورثته و اخفتها[1]. يقول الامام الحاج الشيخ فيلبي ابو كيم مؤسس الدولة السعودية الثالثة و العقيدة القومية النجدية الحديثة واصفا الرياض في نهاية عهد عبد العزيز"باسم الانضباط العسكري صارت موسيقا حرس الشرف المحرمة سابقا تعزف في القصر الملكي في وجه الضيوف المنزعجين. صارت السينما الممنوعة تطل براسها في قصور الامراء و الميسورين لكي تعرض منتجات هوليود الاقل احتشاما . . .دخلت الخمور و المخدرات الى اماكن كان يقتل فيها الناس لاعوام خلت بتهمة التدخين و يسرت السيارة الانتقال للصحراء و الشواطئ المنعزلة حيث ترقص النساء مرتديات احدث ازياء باريس الصيفية. هذه بعض احداث الثورة الاجتماعية التي وقعت في المملكة في العقد الماضي و هناك اشياء لا يمكن البوح بها و لو همسا . قد لا تكون هذه الممارسات مستغربة في اوروبا و اميركا، و في نظري ليس هناك ما يشين في تلك الممارسات، الا ان المرء يعجب ان يحدث هذا في المملكة السعودية العربية التي بنيت على الوهابية" .[2]

---

[1] انشات السعودية جهازا يسمى "دارة عبد العزيز" يقوم بنشر تاريخا محسنا للدولة السعودية و شراء المخطوطات وحقوق نشر اصول الكتب التي تتحدث عن الدور البريطاني في نشأة الدولة الثالثة و ممارسات مؤسسها و بعض اسلافه لحجبها عن التداول او "تحقيقها" بما يلائم اهداف الدولة. و تقوم الدولة السعودية بمجهودات ضخمة لاخفاء كل ما يخالف النسخة الرسمية المسموح بها لتاريخها من مصادرة للكتب و رشوة الناشرين و تهديدهم بمنع نشر كتبهم. و يقول حمد الجاسر احد كبار مزوري التاريخ النجدي في مقدمة احد الكتب: "و يظهر ان المجموع نقل مع كتب الشيخ ابراهيم بعد وفاته الى الرياض، اذ جرت العادة بأن العالم في نجد اذا توفي تنقل كتبه الى الرياض اذ هي مقر العلماء الذين يعرفون قيمتها و يقدرونها، و قد يكون من بينها ما لا يصلح للتداول مما يؤثر في العقيدة او الاخلاق فيجري منعه."

حمد الجاسر، مقدمة"تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لابراهيم بن صالح بن عيسى"، ص١٦، دارة الملك عبد العزيز ١٤١٩هـ/١٩٩٩.

* يوجد في بعض المكتبات الجامعية السعودية قسم للكتب و المخطوطات الشرعية و التاريخية "الممنوعة" لا يطلع عليه حتى طلبة الدراسات العليا الا بتصريح و تحت رقابة.

[2] هاري سنت جون فيلبي، "السعودية العربية"، المقدمة ص ٢، الناشر ارنست بن، لندن ١٩٥٥.

ضـمت حاشـية عبـد العزيـز شخصـيات في غايـة العـداء للاسـلام ففضـلا عـن الكـابتن شكسـبير و الكـابتن فـيلبي كـان هنـاك عـدد مـن الشخصـيات غـير المسـلمة منـهم يوسـف ياسـين النصـيري اللاذقـي[١] احـد اكـبر مستشـاري الملـك الـذي قاتـل في صـفوف بريطانيـا الى جانـب لـورنس ضـد العثمـانيين و قـد ارسـله الملـك عبـد العزيـز منـدوبا عـن المملكـة في مفاوضـات جامعـة الـدول العربيـة المعروفـة بمفاوضـات الوحـدة العربيـة اسـتهزاءا منـه بالـدعوة خاصـة ان الطائفـة النصـيرية الـتي ينتمـي اليهـا يوسـف ياسـين كانـت وقتـها تـرفض حتـى وجـود سـوريا موحـدة و تـدعو لجمهوريـة انفصـالية مسـتقلة في جبـل النصـيريين فضـلا عـن ان تقبـل باتحـاد العـالم العربـي باكملـه تحـت قيـادة الاغلبيـة السـنية. و هنـاك ايضـا فـؤاد حمـزة الـدرزي اللبنـاني نائـب وزيـر الخارجيـة ثـم سـفير المملكـة العربيـة السـعودية في بـاريس الـذي ارسـله الملـك ضـمن الوفـد السـعودي لمـؤتمر فلسـطين[٢] سـنة ١٩٣٩ ليطالـب بمقدسـات المسـلمين اسـتهزاءا منـه بالقضـية و هـو الـذي تناصـب طائفتـه الدرزيـة المسـلمين العـداء، و اسـعد الفقيـه الـدرزي اللبنـاني سـفير المملكـة في بغـداد ثـم في واشـنطن،[٣] ومؤرخـه امـين الريحـاني الجاسـوس المـاروني الاميركـي، و مستشـاره السياسـي و العسـكري خالـد الحكـيم[٤] المهنـدس العسـكري السـوري احـد اول الضـباط العثمـانيين الـذين انضـموا للـورانس ايـام الخيانـة الاعرابيـة الكـبرى و رشـاد فرعـون السـوري مستشـاره المقـرب و طبيـب العائلـة الـذي

---

[١] كـان نصـيريا خبيثـا يكـره الاسـلام و المسـلمين عـرف عنـه انـه انضـم الـى القـوات البريطانيـة فـي القـدس بعـد احتلالهـا سـنة ١٩١٨ و كان يجند الشباب المقدسي "للجهاد" في صفوف لورانس و بريطانيا ضد الدولة العثمانية.

[٢] محمد جلال كشك،"السعوديون و الحل الاسلامي"، ص٧٢٧.

[٣] "شخصيات عربية حول عبد العزيز"، نجدة فتحي صفوة، الشرق الاوسط عدد ٩٠٦٨، ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٣.

[٤] فـر مـن الجـيش الرابـع العثمـاني فيمـا كـان يسـتعد للخـروج فـي حملـة علـى القـوات الانكليزيـة فـي مصـر و انتقـل فـورا للحجـاز حيـث انضـم للشـريف حسـين و الانكليـز. و يشـتبه فـي خيانتـه للجـيش السـوري اثنـاء معركـة ميسـلون فيمـا يـروى عـن عمليـة ابطـال الالغـام المزروعة على طريق تقدم الجيش الفرنسي الى دمشق.

خدم في الجيش الفرنسي اثناء احتلاله لسوريا و صار وزيرا لصحة المملكة فيما بعد و طبيبه الخاص ووزير خارجيته ثم وزير خارجية العراق البريطاني فيما بعد العميل البريطاني الثقة عبد الله الدملوجي[1]. و هي شخصيات برغم مرتبتها العالية في ادارة دولة يفترض انها احياء للخلافة الاسلامية يصعب الادعاء باعتناقها العقيدة السلفية النجدية تحت اي تاويل.

في ١٩٤٨ قام بعض الاسلاميين اليمنيين المتاثرين بالاخوان المسلمين بقلب نظام الحكم الامامي الانفصالي و حاولوا اقامة نظام اسلامي فوقف الملك عبد العزيز بكل ثقله خلف القبائل الامامية الموالية للنظام المهزوم حتى تمكنت من دخول صنعاء و ذبح الاسلاميين. في نفس السنة عند قيام حرب فلسطين و قيام الولايات المتحدة بالاعتراف بدولة اسرائيل رفض عبد العزيز نداءات الرؤساء العرب بقطع البترول عن الولايات المتحدة لانه احد مصادر دخل المملكة[2] و ان الاميركيين هم من ينتجونه و لا يعرف كيف يقطعه فضلا عن انه ملتزم بعقده معهم لانهم "اهل ذمة". و ينقل عن عبد العزيز انه انتفض عندما نقل اليه محسن البرازي رسول رئيس سوريا شكري القوتلي اقتراح قطع البترول عن الولايات المتحدة و قال:" يا الله! البترول منحة من الله! كانت امي حين تدعو لي تقول: اللهم ملكه ما فوق الارض و تحتها، و هل تحتها الا البترول؟ قل لشكري لا تعلم عبد العزيز الوطنية؛ نضالنا في سبيل القضية و نحن اغنياء خير لها من نضالنا في سبيلها و نحن فقراء"[3]. و لم يبخل عبد العزيز بالمساعدة الرمزية على

[1] نجدة فتحي صفوة"الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية" المجلد الاول ص٤٢١ (FO371/2479(198451

[2] ظل عبد العزيز و من بعده سعود و فيصل حتى قبل موته بعامين لمدة خمسين سنة يرفضون قطع البترول عن الجيوش البريطانية و الاميركية بحجة ان قطع الامدادات عن جيوش النصارى سيحرم المملكة من مصدر هام للدخل و يعطل مشاريع التنمية فيما لم يكن هناك مانع من ان ينفق اهل مصر و الشام على الحرب الممتدة.

[3] محمد جلال كشك "السعوديون و الحل الاسلامي"، ص٨٢، ط٣، ١٩٨٢.

الحرب الدائرة قرب الحدود السعودية ذرا للرماد في العيون فسمح بتطوع مئات من ابناء القبائل المشكوك في ولائها نصفهم من شمر و الباقي من قبائل الشمال الغربي لا يكمل عددهم ربع كتيبة نظامية املا في التخلص منهم فيما ارسلت جماعة غير حكومية مثل الاخوان المصرية اضعاف هذا العدد كما ارسل عبد العزيز ايضا بعض البنادق الصدئة ذات الفتيل من بقايا اسلحة جيش محمد علي باشا استهزاءا منه مع ان بريطانيا و الولايات المتحدة كانتا تمدانه باحدث البنادق الاوروبية و الاميركية .و قد اتهم الضابط سعيد الكردي قائد الكتيبة السعودية و هو من بقايا جيش الشريف الذي قاتل تحت امرة لورانس العرب بالتجسس لحساب اسرائيل و تسريب تقارير سرية عن الجيش المصري و منع من دخول سيناء .[١]في اعقاب تلك الحادثة كوفئ سعيد الكردي من قبل الملك عبد العزيز بترفيعه في نفس السنة رئيسا لاركان الجيش السعودي ثم عين لاحقا في عهد الملك سعود رئيسا للاستخبارات السعودية مما يعني ان افعاله تمت بناء على اوامر عبد العزيز .

كان عبد العزيز في السنوات التي سبقت اعلان دولة اسرائيل قد استفرغ وسعه في طمأنة بريطانيا بخصوص عدم ورود معونات او اسلحة من الجزيرة الى مسلمو فلسطين و انه يقوم بالقبض على كل من يشتبه في بيعه السلاح للفلسطينيين في محافظة الجوف الشمالية، كما منع لجنة فلسطين العسكرية التي يديرها امين الحسيني من مزاولة اعمالها في السعودية او حتى توزيع منشورات تطلب دعم اهل الجزيرة

---

[١] د/خالد بن عبد الرحمن الجريسي،"من وثائق العلاقات المصرية السعودية في عهد الملك عبد العزيز" ص٢٠٠٠. كان بحوزة سعيد الكردي جهاز اتصال عسكري للمملكة و من ثم الى الملك بالرياض. و ان صحت الاتهامات فقد كان يسرب الاسرار مباشرة لليهود المقابلين له او للجيش البريطاني(الذي عمل تحت قيادته سابقا) في سيناء او لعبدالعزيز في الرياض و يقوم عبد العزيز بدوره بتوجيه المعلومات .

و انشا بدلا منها لجنة مدجنة في الرياض تدعى لجنة فلسطين لا تضر بريطانيا و لا تنفع المسلمين و لم ينس في مراسلاته السرية مع بريطانيا ان يؤكد لها ان لجنة فلسطين بالرياض غير لجنة فلسطين الثورية بدمشق و على خلاف منهجها و لا تسعى في دعم اي عمل عسكري ضد بريطانيا او اليهود[١] .

و على غرار خذلانه للفلسطينيين و اليمنيين و غيرهم منع عبد العزيز حجاج الصين من دخول الجزيرة من ١٩٤٩ لحين موته لانهم اسسوا دولة مستقلة تحارب الصين في تركستان الشرقية و ظل الحظر ساريا حتى لا يتسرب افراد من الثوار المنهزمين او المهاجرين الفارين بدينهم الى الحجاز في موسم الحج و لم يرفع الحظر الا بعد سنوات في عهد خليفته سعود بن عبد العزيز بعد انتهاء انتفاضة التركستانيين و القضاء على كثير من العناصر الفارة.

لم يفطس عبد العزيز الا بعد ان استبدل الحامية العثمانية بالقطيف بحامية اميركية نصرانية في قاعدة الظهران المجاورة نظير بعض العطايا و مبلغ من المال . ثم وقعت في ١٩٥١ معاهدة "دفاع مشترك" مع الولايات المتحدة يدافع بموجبها الجيش السعودي المكون من خمسة عشر الف اعرابي شبه عاري و حافي[٢] مسلحين ببنادق انكليزية عن مصالح الولايات المتحدة التي كانت مصانعها تنتج سنويا مائة الف طائرة حربية و خمسة ملايين سيارة اذا تعرضت تلك المصالح لاعتداء . كان الشئ الوحيد المشترك في اتفاقية الدفاع المشترك هو استعمال الطرفين لاراضي الجزيرة. اما مئات الالاف من قطاع الطرق

---

[١] محمد علي سعيد"بريطانيا و ابن سعود، العلاقات السياسية و تاثيرها على المشكلة الفلسطينية" ص٦٠، دار الجزيرة للنشر ط١ - ١٩٨٢.

[٢] كان بعض حرس قصر عبد العزيز في الرياض -فضلا عن باقي جيش المملكة- حفاة حتى سنة ١٩٣٩. ايجيرو ناكانو، "الرحلة اليابانية الى الجزيرة العربية"، ص١٠٨،ترجمة ساره تاكاهشي،طبعة دارة الملك عبد العزيز ١٤١٩هـ، الرياض.

الاخـوان السـابقين الـذين انضـموا لعبـد العزيـز فقـد اختفـت صـيحاتهم الـتي كانـت تمـلأ الآفـاق ايـام قتـال العثمـانيين و صـار لسـان حـالهم يقـول بـدلا مـن "انـا خيـال التوحيـد اخـو مـن طـاع الله. . . مـن عـادى آل سـعود يعـادي الله" "مـن عـادى هـاري ترومـان [1] يعـادي الله." و في المجمـل فانـه ان كـان عمـر بـن الخطـاب قـد فـتح العـراق و الشـام و مصـر و فـارس فقـد مهـد عبـد العزيـز بمؤامرتـه لضـياع العـراق و الشـام و منـع تحرير مصر و فارس.

تمكـن آل سـعود و آل الشـيخ علـى مـدار قـرنين مـن الزمـان تقريبـا بعـد بدايـة مبشـرة انتـهت سـريعا في عهـد الشـيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب مـن تخـدير اهـل نجـد و الاراضـي الخاضـعة لهـم بـالجزيرة عـن الخطـر البريطـاني و النصـراني الجـاثم علـى شـواطئهم وصـولا الى تحويـل اهـل الجزيـرة الى ميليشـيا اعرابيـة تابعـة للبحريـة البريطانيـة. تـزامن صـعود عبـد العزيـز آل سـعود و آل الشـيخ في الدولـة الثالثـة مـع نمـو حركـة مشـابهة في الهنـد اكـبر مسـتعمرات بريطانيـا . كانـت الحركـة القاديانيـة الـتي رعتـها بريطانيـا في نفـس الوقـت الـذي كانـت ترعـى فيـه عبـد العزيـز تتفـق مـع حركـة عبـد العزيـز و الاخـوان في عـاملين اساسـيين همـا تحـريم الجهـاد ضـد بريطانيـا و الـدعوة لاعطـاء البيعـة و الـولاء لملـك بريطانيـا بصـفته ولي الامـر( و ان كـان في الحالـة السـعودية مـن خـلال ولي امـر نجـدي و هـو بـدوره يفـوض الامـر الى "مـن بيـدهم الامـر"كمـا كـان يطيـب لعبـد العزيـز تسـمية البريطـانيين) . و فيمـا كـان عبـد العزيـز يحظـر علـى جنـده التعـدي علـى الحاميـات

---

[1] هاري ترومان: الرئيس الاميركي الموقع على اتفاقية بناء قاعدة الظهران و اول من اعترف بدولة اسرائيل.

البريطانية المجاورة و يسمح لهم بذبح آلاف من المسلمين كان آل الشيخ يدعون اهل الجزيرة لمبايعة عبد العزيز فيما يقوم هو بتوريد تلك البيعة جملة لملك بريطانيا بصفته ولي الامر كون عبد العزيز مسؤولا خاضعا لادارة الهند البريطانية برتبة وسام فارس الامبراطورية البريطانية. و تتضمن العقيدة النجدية المستحدثة ما يشبه ادعاء النصارى بأن لهم ان يفعلوا ماشاءوا بما ان السيد المسيح مات و اخذ لهم صك غفران لما تقدم من ذنوبهم و ما تأخر. و يكمن التشابه مع عقيدة الخلاص النصرانية في ما يفتي به كهنة "العغيدة" النجدية من انه لا يصيب الرعية النجدية تثريب اذا ما خضعوا و قاتلوا تحت امرة حاكم يعمل لصالح النصارى جهارا نهارا و اثمه وقتها على نفسه و لا يطالهم من ذلك شئ. اما اكبر الكبائر في تلك العقيدة فهو الخروج على السلطان و يبالغون في ذلك حتى المح بعضهم الى ان الحسين بن علي كان من الخوارج، و يسعى منظرو تلك العقيدة في تحريمهم للخروج على الحكام الى ترسيخ فكرة ان حكام الدولة السعودية الاولى لم يخرجوا على السلطان العثماني بحجة ان نجد لم تكن خاضعة للعثمانيين و يغفلون ان الدولة الاولى اغارت على الحجاز و العراق و حامياتهما العثمانية.

لم يكن اهل نجد بطبعهم المعادي للاسلام الذي اثبتوه على امتداد اربعمائة عشر قرنا منذ حروب الردة و انضواءهم تحت لواء مسيلمة و الخوارج النجدات و الاخيضريين و القرامطة يحتاجون الى كثير من الاستنفار للانخراط في اي حركة معادية لوحدة الامة الاسلامية و لكنها كانت المرة الاولى التي يعملون فيها بدون اي شبهة شرعية لصالح قوة نصرانية. و بينما فارت شعوب الامة الاسلامية من الصين الى المغرب بثورات عارمة اسفرت عن قتل ملايين من جنود اوروبا النصرانية كانت جيوش اهل

الجزيرة الواقعة تحت تاثير العقيدة السعودية تسير جنبا الى جنب القوات البريطانية فلا يتماسا و يطأطأ النجدي الذي طالما ارتوت سيوفه و سيوف آباءه من دماء الصحابة و آلاف الحجاج العزل راسه لمرأى النصارى المسلحين بطول سواحل الخليج من قطر للكويت. ليس ذلك فحسب بل انه فيما كانت جموع الامة الاسلامية تتداعى مستغيثة مطالبة بالوحدة للتصدي للغزاة الذين تكالبوا عليها كان النجدي يعمل بدأب في وسط الجزيرة لشق ثوب الامة الاسلامية من منتصفه في سلوك تخريبي عدائي مريب لم يسبقه اليه في العصر الحديث الا الروافض[١] ( و لا عجب فهما امتان متجاورتان و النجدي جار الرافضي) .

ان مقارنة سلوك جيوش الاخوان النجدية المتعاونة مع بريطانيا بسلوك المقاتل العشائري البشتوني في ١٩١٩ كما يورده المسؤول السياسي البريطاني لمنطقة خيبر البشتونية في تقاريره لرؤسائه ليلقي ضوءا ساطعا على تاثير المخدر العقائدي النيو سلفي على الاعراب؛ ففي تقرير قدمه المسؤول السياسي لرئاسة حكومة الهند البريطانية يقول الكاتب شاكيا من تكرار حالات خطف جنود حراسة الجيش الهندي البريطاني بسلاحهم من قبل البشتون الافريدي (المشابه في كثير من العوامل الاجتماعية لساكن شرق الجزيرة باستثناء العقيدة) ان: "الخفير حامل البندقية لم يعد ينظر اليه (من قبل البشتون) كجندي كما كان الحال سابقا، بل صار ينظر اليه كحمال يحمل صرة بها آلاف الروبيات فوق راسه

---

[١] قد يكون في تلك المقارنة بعض الاجحاف بحق الروافض حيث ان بعض روافض فارس مثل قبائل القشقاي على الجهة المقابلة لقطر و عمان قاتلوا الى جانب الدولة العثمانية ضد بريطانيا كما قاتلت بعض القبائل الرافضية العراقية لايام قلائل ضد البريطانيين في بداية غزوهم للعراق و بعد سقوط البلاد.

(ثمن بندقيته التي ينتزعها منه البشتوني)"[١]. لم تكن هذه هي المرة الاولى التي يظهر فيها هذا التباين بين سلوك النجدي و غيره من المسلمين فضلا عن مقارنة سلوك الجندي التركي في نفس مسرح العمليات بالجزيرة بسلوك العرب المحيطين به في نفس الحقبة، فقد كان الداء متأصلا من بداية القرن التاسع عشر عندما كانت السفن البريطانية (التي يقودها بريطانيون و ليس هنود مشمولين برعاية بريطانية) تمر بامان في مياه شمال الخليج و ترسو على سواحله و يلقى اصغر بحارتها و ضباطها منتهى التبجيل من عمال آل سعود فيما كان مثل هؤلاء البحارة و الضباط يؤسرون بالآلاف و يجبرون على كنس شوارع طرابلس الغرب و جزائر بني مزغنة حتى يموتوا او يسلموا او يفتديهم اهلهم بمال عظيم. ان تربص اهل نجد و شرق الجزيرة الدوائر بالامة الاسلامية على امتداد تاريخهم و شراستهم المبالغ فيها تجاه غيرهم من المسلمين مقارنة بهلعهم و سلوكهم الخانع الذليل تجاه الاحتلال و التواجد المسلح النصراني باراضيهم على خلاف رد فعل اهل جميع بلاد الاسلام الاخرى تقريبا هو ظاهرة فريدة جديرة بدراسة و اهتمام الدارسين الاسلاميين حتى يستطيعوا تحييد خطرها او الاستفادة منها كما فعل النصارى و لكي لا تظل الجزيرة اسفينا بين شطري الامة كما خطط لها مهندسو الاستعمار.[٢]

---

[1] R.O. Christiansen, “Conflict and Change among the Khyber Afridis” a study of British policy and Tribal Society on the North-West Frontier 1839-1947, (University of Leicester, Ph.D., 1987),p.340.

[٢] يقول السياسي البريطاني آرثر هيرتزل في تقرير سري للخارجية البريطانية ابان الحرب العالمية الاولى و ثورة اعراب لورانس و فيلبي "لقد اظهرت الحرب الحاضرة كيف يمكن استعمال الاسلام ضدنا، و الجزيرة العربية ذات اهمية كبيرة للعالم الاسلامي، ليس فقط كمهد الاسلام و مركز المدن المقدسة، بل ايضا بالنظر الى ان موقعها الجغرافي يجعلها اسفينا بين مسلمي افريقية و مسلمي الهند و الاقطار المجاورة." ص ٤٨.

# مصر

في نهاية يناير ١٩١٥ بالتزامن مع معركة جراب بين الانكليز و شمر قامت كتائب عثمانية قوامها خمس و عشرون الف جندي مع سرايا من عشائر سيناء و جنوب الشام باجتياح سيناء و الاغارة على المواقع البريطانية غرب قناة السويس فيما تخلف الالاف من فرسان و ابل شمر[١] بعدما افتعل ابن سعود معركة لاعاقتهم عن الاشتراك في الغارة. اضفت الادارة العثمانية صبغة اسلامية قوية على تلك الحملة التي لخص جمال باشا قائد الجيش الرابع العثماني بالشام تقييم الدولة العثمانية لاهميتها بقوله:" ان مستقبل الامة الاسلامية مرتبط بعبورنا قناة السويس لمصر"[٢] و رفعت في مقدمة الكتائب المغيرة الوية الخلافة و اعلام تحمل آيات القرآن و الاحاديث المحرضة على الجهاد.[٣] اما السلطات البريطانية

---

[١] كانت الابل اداة ضرورية لنقل مؤن الحملة في صحراء سيناء للجانبين العثماني و البريطاني حيث كانت القوات البريطانية تنقل مؤنها على الابل و يقاتل جنودها على الخيل في ما يعد آخر معارك الفرسان في العصر الحديث. و كان ابن الرشيد قد وعد بجلب آلاف من الابل الاضافية التي تحتاجها الحملة صحبته لولا ان عاجله ابن سعود. وقد انتبهت المخابرات البريطانية لاهمية الابل لنجاح الحملة و عملت بالتعاون مع شيوخ اعراب الجزيرة على حرمان الجيش العثماني من القطعان اللازمة. Storrs, Ronald "orientations", P.162

[2] "Cemal Pasa's letter to Esref Bey P.3" Philip Stoddard, "The Ottoman government and the Arabs, P.212.

[٣] لم تكن الحملة اسلامية خالصة و لو حتى من جهة المقاتلين اذ ضمت مستشارين المان و جنودا متخصصين و ان كان القادة الاتراك ذوي سلطة و حلفاء مشاركين يخالفون الالمان و ينفذون سياساتهم الخاصة كما حدث عندما خالفوا الالمان و اندفعوا لغزو القوقاز بخلاف امراء البدو العاملين تحت امرة لورانس و شكسبير و فيلبي الذين كانوا لا يستطيعون مخالفة بريطانيا.

فقد نظرت الى تلك الحملة على انها محاولة لقطع عنق امبراطوريتهم[١] كما وصفها رونالد ستورز اللوطي السكرتير الشرقي للسفارة الانكليزية بمصر شيخ لورانس العرب، الصديق المقرب للامير عبد الله بن الحسين و أحد اهم مهندسي الثورة الاعرابية.

اثناء المناوشات التي اعقبت وصول العثمانيين الى شاطئ مدينة الاسماعيلية تمكن افراد من خلايا سرية تابعة للجيش العثماني من اختراق الدفاعات البريطانية ليلا و التسلل لوادي النيل. كانت الخلايا المذكورة تابعة لجهاز مخابراتي عثماني يدعى "تشكيلاتي مخصوصة" يعمل بتوجيه من انور باشا في اعلى دوائر الحكم باسطنبول للتصدي للمخربين الارمن المتحالفين مع روسيا في القوقاز و العناصر العربية الانفصالية المتعاونة مع بريطانيا و فرنسا في الجزيرة و الشام و امثالهم في البلقان و تنمية الشعور الاسلامي و التضامن بين مكونات السلطنة. حمل التنظيم[٢] مهمة نشر اعلان السلطان للجهاد في انحاء ديار الاسلام خلال الحرب العالمية الاولى و تكوين وتسليح و تمويل خلايا تحركها فكرة الامة الاسلامية الجامعة تعمل ضد بريطانيا و فرنسا و روسيا. ضمت تلك الخلايا في الاساس ضباطا عثمانيين و علماءا مسلمين و اطباءا و مهندسين و صحفيين.

[1] Storrs, Ronald “orientations”, P.162

[٢] استفادت الولايات المتحدة من خلال دراسات اعدها فيليب ستودارد احد مؤسسي وكالة المخابرات المركزية الاميركية من تجربة التشكيلات المخصوصة العثمانية في انشاء وكالة مخابراتها بعد الحرب العالمية الثانية و في تاسيس فرق المهام الخاصة التي يرتكز عليها عمل الوكالة..

ضمت "تشكيلات مخصوصة" نخبة من ضباط الجيش العثماني مثل انور بك الذي صار لاحقا وزيرا للحربية و صهرا للسلطان و اقوى رجال الدولة العثمانية و زميله المقدم مصطفى كمال رئيس جمهورية تركيا لاحقا المعروف باتاتورك[١] ، و الضابط اشرف كوشتشاباشي احد قادة التنظيم و قائد الخيالة البدو في حملة سيناء الذي اسره رجال الشريف عبد الله ابن امير مكة في ١٩١٧ اثناء سفره لتنظيم غارات ضد الجيش البريطاني في عدن و اسلموه للانجليز و ينسب اليه و لاخيه[٢] محاولات لاغتيال اتاتورك، و الضابط محمد عاكف ارسوي [٣] و جلال بايار ثالث رؤساء تركيا الذي الغي في عهده العمل ببعض قوانين اتاتورك المعادية للاسلام، و الشريف احمد السنوسي الليبي[٤]، و عبد الكريم الخطابي[٥] زعيم ثورة الريف بالمغرب، والشيخ صالح الشريف التونسي و شريف بورقيبة ابو الحبيب بورقيبة اول رئيس لجمهورية تونس، و الامير علي بن عبد القادر الجزائري و ابن الرشيد امير شمر، و الشيخ عبد العزيز جاويش المصري[٦]، و الفريق عزيز باشا المصري[٧] و سليمان باشا الباروني

---

[١] ضابط تركي ابلى بلاء حسنا في قتال اعداء الدولة العثمانية لسنوات ثم استسلم بعد سقوط الدولة و طلب منصبا رسميا من الجيش البريطاني الذي احتل اسطنبول فارسله السلطان بموافقة الحلفاء في مهمة لحماية النصارى شرق الاناضول ظاهريا، و للسيطرة على حركة التحرير الوليدة و منع انور باشا قائد الجيش العثماني من العودة لقيادة حرب التحرير و استعادة الخلافة باطنيا. تمكن من خداع رجال التشكيلات المخصوصة و ما تبقى من قيادات الجيش التركي حتي استولى على مستودعات السلاح التي اعدها انور لاستئناف الحرب و ثبت زعامته لجيش التحرير ثم غدر بمن لم يوافقه من رفاقه و سيطر على البلاد بدعم اوروبي امريكي.

[٢] حاجي سامي كوشتاباشي مسؤول التشكيلات المخصوصة في تركستان و افغانستان. بعد سقوط اسطنبول شارك مع انور باشا في القتال ضد البلاشفة في طاجكستان و اوزبكستان بغرض تحويل المنطقة كقاعدة لتحرير العالم الاسلامي.

[٣] سياسي تركي شهير لاحقا و معارض لسياسات اتاتورك الالحادية هاجر على اثرها لمصر لمدة طويلة.

[٤] شيخ طريقة صوفية بليبيا قاد عمليات كبرى ضد الايطاليين ثم انتقل الى تركيا حيث دعم اتاتورك لفترة في بعض اجراءاته ضد الخلافة ثم انتقل للحجاز حيث عاش تحت الحماية البريطانية في دولة عبد العزيز آل سعود.

[٥] زعيم مغربي قاتل ضد الاسبان و هزمهم في معارك كبيرة الا انه اتخذ مواقف مشبوهة من استعادة مدينة مليلية المحتلة اسبانيا كما رفض الدعوة لاعادة الخلافة عندما ارسل مندوبه لمؤتمر اعادة الخلافة بمصر ١٩٢٤.

[٦] قائد خلايا تشكيلات مخصوصة بمصر، ازهري و استاذ سابق بجامعة كامبردج البريطانية هاجر الى تركيا حتى سقوط الدولة العثمانية ثم اختلف مع توجهات اتاتورك المعادية للاسلام و عاد بعدها الى مصر حتى وفاته في ١٩٢٩ بعدما شارك في تاسيس جمعية الشبان المسلمين.

[٧] عسكري ذو سيرة مضطربة قاد وحدات عثمانية قاتلت في البوسنة و الهرسك و الجبل الاسود قبل الحرب العالمية الاولى و شارك بقوة تابعة لجمعية الاتحاد و الترقي اقتحمت اسطنبول للقضاء على انتفاضة العلماء و حلفاءهم الالايلية في الجيش و عزل السلطان عبد الحميد الثاني. كما قاتل في اليمن ضد القبائل الشيعية ثم استدعاه الجيش العثماني الى ليبيا وعين لاحقا قائدا للمقاومة

الاباضي نائب طرابلس الغرب. ضمت التشكيلات ايضا الجراح عبد الرحمن عزام باشا مؤسس جامعة الدول العربية اخو جد ايمن الظواهري لامه، و الشيخ بديع الزمان النورسي[1] و الداعية عبد الرشيد ابراهيم التتري[2] و الشيخ صالح الشريف التونسي و شيخ الازهر محمد الخضر حسين التونسي و آخرين تم اخفاء هوياتهم قد يكون من بينهم مفتي فلسطين امين الحسيني[3] .كما قام التنظيم في بداية عمله بتدريب و تسليح شخصيات اشتهرت لاحقا مثل عمر المختار الليبي[4] و امتدت انشطته الى مسلمو الهند و اندونيسيا و افغانستان و تركستان الشرقية و الغربية و الصومال.

ساعد افراد تلك الخلايا على تاسيس تنظيم سري شبه عسكري تابع للحزب الوطني[5] بقيادة محمد فريد بك للقيام بعمليات خلف خطوط الانكليز فيما يحاول العثمانيون الهجوم مرة اخرى من سيناء

---

ضد الايطاليين. غضب لتعيينه قائدا لفرقة عسكرية بولاية قونية الاناضولية بدلا من ترقيته رتبة عسكرية كان يطلبها فاسس جمعية سرية مشبوهة تدعو لحكم ذاتي عربي في اطار الدولة العثمانية ضمت كثيرا من الضباط العرب في الجيش العثماني مما ادى للحكم عليه بالاعدام الذي خفض للنفي الى مصر. اسس لاحقا جيش الشريف حسين ثم نحته بريطانيا للاشتباه في تآمره مع فخري باشا قائد حامية المدينة لايقاع جيش الشريف علي في كمين و اعادة الحجاز للحكم العثماني. سافر بعد الحرب الاولى الى المانيا حيث عمل معلما في كلية اركان الحرب الالمانية ثم مشرفا على تعليم ولي العهد الامير فاروق ثم رئيسا لاركان الجيش المصري. و قبض عليه في بداية الحرب العالمية الثانية عقب سقوط طائرته فيما كان متجها للالتحاق بروميل الالماني لتكوين فرقة تسعى لطرد الانكليز من مصر او للاشتراك في ثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الجيش الانكليزي بالعراق. شارك في العديد من الجمعيات السرية المصرية المناهضة للوجود البريطاني و صار له تأثير كبير بعد سنوات على تنظيم الضباط الاحرار صاحب انقلاب يوليو في مصر و كان احد اصحاب فكرة جلب سلاح من روسيا لكسر الاحتكار الاميركي و عمل بتلك الصفة سفيرا لمصر بروسيا سنوات عقب انقلاب الضباط الاحرار حيث ابعده جمال عبد الناصر خوفا من نفوذه وسط الضباط و كان اسمه مقترحا لرئاسة الجمهورية قبل اللواء محمد نجيب.

[1] شيخ صوفي مقرب من انور باشا دعا لاعادة احياء الشريعة و حارب ضد الروس و اسر الا انه بعد عشر سنوات تخاذل و اتخذ موقفا سلبيا من الثورة التي قام بها الشيخ سعيد بيران الكردي ضد اتاتورك لاستعادة الشريعة و الخلافة .

[2] داعية من اصل سيبيري تتري سعى في نشر دعوة الخلافة و الجهاد في تركستان و روسيا و اندونيسيا و الملايو. شارك مع انور باشا في القتال ضد الاحتلال الايطالي لطرابلس الغرب و عمل بعد سقوط اسطنبول على نشر الاسلام في اليابان.

[3] انتقل امين الحسيني بعد الغزو البريطاني لفلسطين للعمل لسنوات كضابط دعاية للجيش البريطاني و حلفائه الاعراب بقيادة فيصل بن الحسين.

[4] مجاهد من برقة بدا حياته مقاتلا ضد الاحتلال الفرنسي لتشاد و السودان الغربي ثم قاد العمليات في برقة بعد انسحاب السنوسي و الاتراك لما يقرب من عشر سنوات حتى اسر و اعدم في شيخوخته بعد ان كبد ايطاليا آلاف القتلى.

[5] الحزب الوطني: غير الحزب الوطني الحاكم بمصر حاليا و هو وطني بمعنى "محلي" مقابل الاحتلال البريطاني "الاجنبي" و ليس من منظور الفكر القومي القطري الحديث. دعا الى افكار خليطة من الديمقراطية و الجامعة الاسلامية اسسه مصطفى كامل

لتحرير مصر. كانت الخطة الاصلية تعتمد على قيام الخديوي عباس حلمي بتفعيل خلايا موالية له في الجيش و الادارة المصرية للاشتباك مع القوات البريطانية المرابطة في وادي النيل فيما تتقدم القوات العثمانية من سيناء الا ان البريطانيين فطنوا لخطورته و عزلوه في بداية الحرب و ولوا بدلا منه السلطان حسين كامل[١]. لم تكن تلك اول مرة تحاول التشكيلات المخصوصة التسلل الى مصر فقد سبق لانور بك و مصطفى كمال بك و ضباط عثمانيين آخرين المرور سرا عبر شمال مصر للقتال في ليبيا قبلها بسنوات قليلة.[٢] فضلا عن ضعف الجيش العثماني اعاق وجود قناة السويس تسلل خلايا التشكيلات لوادي النيل حتى قيل ان الدولة العثمانية تفكر في ردم القناة.[٣] كما نقل ان كل الضباط و الجنود المصريين تقريبا على القناة رفضوا فتح النار على القوات العثمانية المغيرة.[٤]

من الجانب الغربي انطلقت قوة من الجنود و الضباط المصريين المنشقين على ادارة الاحتلال البريطاني لمصر و ضباط التشكيلات المخصوصة العثمانية و مجاهدو العشائر الغربية الليبية من برقة في غارات على الواحات المصرية و غرب مصر بقيادة ضابط مصري اسمه محمد صالح حرب[٥] و معه عبد

---

في بدايات القرن العشرين و تولى قيادته بعد موته محمد فريد بك. طالب الحزب بطرد الانكليز عن طريق الثورة و العمليات المسلحة بالتعاون مع الدولة العثمانية. مات محمد فريد مقهورا في المنفى بعد هزيمة الدولة العثمانية و خيبة امله في عودتها لتحرير مصر من الانكليز و انحل الحزب بعدها.

[١] ظل السلطان حسين كامل الذي تولى الحكم بعد اباء و تمنع منبوذا من المصريين الذين حاولوا اغتياله و رفض طلبة المدارس تحية موكبه، بعد موته ابى ابنه تولي الحكم تحت الاحتلال البريطاني فاضطر البريطانيين للبحث عن امير آخر من اسرة محمد علي يقبل بالحكم.

[٢] تولى انور بك القيادة العامة لجبهة ليبيا و تولى مصطفى كمال قيادة منطقة درنة.

[٣] احمد شفيق باشا،"مذكراتي في نصف قرن"،ج٣ ص٤١٥

[٤] احمد شفيق باشا،"مذكراتي في نصف قرن"،ج٤ ص٣٦

[٥] محمد صالح باشا حرب: قائد حامية مرسى مطروح غرب الاسكندرية، انشق بحاميته عن الادارة العسكرية البريطانية المحتلة بمصر و انضم الى فرق التشكيلات المخصوصة العثمانية المتواجدة ببرقة الليبية و قاد معارك السيطرة على اجزاء من غرب مصر كما ارسل خلايا لدارفور للعمل على احداث ثورة ضد الوجود البريطاني في السودان. بعد وقف العمليات ببرقة رحل الى تركيا حيث شارك في قيادة حرب الاستقلال التركية ضد اليونانيون و الحلفاء الى جانب الجنرال عصمت اينونو ثاني رؤساء الجمهورية التركية ثم عاد بعد الغاء الدولة العثمانية الى مصر بموجب اجراءات العفو البريطانية عن المصريين المشاركين في

الـرحمن عـزام[١] تحـت اشـراف نـوري باشـا[٢] قائـد التشـكيلات المخصوصـة علـى الجبهـة الليبيـة و والي ليبيـا العثمـاني الشـريف احمـد السنوسـي. كـان راي محمـد صـالح حـرب ان احـتلال الواحـات الغربيـة المصـرية سيمكن التشكيلات من الالتحام بصعيد مصر و تشجيع اهله على الثورة ضد الانكليز.[٣]

استطاعت القـوة المغـيرة احـتلال الواحـات الغربيـة لمصـر في ١٩١٥ و انضـمت الـيهم الادارة المدنيـة و اهـالي تلـك المنـاطق و حاولـت الالتحـام باهـالي الصـعيد في وادي النيـل الا ان مشـايخ العـرب المحـيطين بالمنيـا و بـني سـويف و اسـيوط و الفيـوم و هـي المحافظـات الاقـرب للمنـاطق المحـررة لم يتجـاوبوا مـع المغيرين بعـد ان اجـزل لهـم البريطـانيون العطـاء، كمـا لم يبـدي اهـالي الصـعيد حماسـا كـبيرا او ينضـموا باعـداد كـبيرة بعكـس مـا كانـت القيـادة العثمانيـة تأمـل علـى خـلاف عشـائر سـيناء و اهـالي القـاهرة و الوجـه البحـري و الاسـكندرية الـذين تعـاونوا بشـكل واسـع مـع جهـود العثمـانيين بـالنفس و المـال حتـى فرضـت علـيهم بريطانيـا التجنيـد الاجبـاري و نشـرت وحـدات هجانـة مـن النوبـة و السـودانيين في الصـحراء لمنـع تلـك المسـاعدات. مـا لبثـت القـوات البريطانيـة ان انتبـهت للخطـر و جـردت حمـلات اسـتخدمت فيهـا

---

الحـرب الاولـى الـى جانـب الدولـة العثمانيـة. ترقـى فـي الجـيش المصـري بعـد عودتـه و عـين وزيـرا للحربيـة فـي ١٩٣٩ بعـد توقيـع معاهدة الاستقلال. صار رئيسا لجمعية الشبان المسلمين في بداية الستينيات.

Philip Stoddard, "The Ottoman government and the Arabs", P.207, Princeton press.

[١] طبيـب جـراح قاتـل فـي شـبابه مـع التشـكيلات المخصوصـة فـي البلقـان ضـد الصـرب و فـي ليبيـا ضـد الايطـاليين و فـي غـرب مصـر ضـد الجـيش البريطـاني. بعـد سـقوط الدولـة العثمانيـة عـاد للعمـل السياسـي فـي مصـر و تـدرج فـي المناصـب كسـفير و وزيـر اوقـاف مصـري فـي العهـد الملكـي و مؤسـس جامعـة الـدول العربيـة. نفـر مـن جمـال عبـد الناصـر فـي العهـد الجمهـوري و سـافر للمملكـة العربيـة السـعودية حيـث عمـل مستشـارا لهـا فـي نـزاع البريمـي مـع بريطانيـا و عمـل مستشـارا سياسـيا لصـهره فيصـل بـن عبـد العزيـز. اثيـرت شـائعات فـي تلـك المرحلـة مـن حياتـه حـول تحولـه عمـيلا للمخـابرات الاميركيـة ضـد جمـال عبـد الناصـر و مصـر.(محمد جـلال كشـك"السـعوديون و الحل الاسلامي")

[٢] اخو انور باشا وزير الحرب العثماني.

[٣] د/علي الصلابي،"العالم العابد المجاهد: احمد الشريف السنوسي، الزعيم الثالث للحركة السنوسية."

الطائرات طاردت العثمانيين الى برقة بليبيا[١] و البت ابن عم الشريف احمد السنوسي عليه مما ادى بالشريف احمد للتنازل عن قيادة السنوسيين و الرحيل الى اسطنبول.

اضطرت بريطانيا الى ربط ما يقرب من ربع مليون جندي بريطاني بمصر كانت بحاجة اليهم على مسرح العمليات الاوروبي في التصدي لالمانيا كما بلغت كلفة تامين مصر ضد التسلل العثماني على الخزينة البريطانية ٨٠ مليون دولار اميركي حتى ١٩١٦ او ١٥ مليار دولار بمستويات ٢٠٠٥ فيما لم يكلفها تامين شرق الجزيرة العربية اكثر بكثير من خمسة الاف جنيه ذهبي كانت تدفعها لعبد العزيز آل سعود الذي وفر عليها ايضا الحاجة لمرابطة جنود بريطانيين بسواحل الخليج العربي.[٢]كانت عمليات التشكيلات المخصوصة برغم قلة نجاحاتها العسكرية بحسب بعض المراقبين العسكريين على جانب الحلفاء "احد انجح الخطوات الاستراتيجية السياسية التي اتخذها عدونا العثماني اثناء الحرب حيث اضطرنا بضعة الاف من الحشرات (كذا) العرب لربط عدد كبير من قواتنا المطلوبة بشدة في اوروبا على الجبهة المصرية الليبية و بناء سكك الحديد و الطرق الصحراوية بتكاليف بالغة سيتم اقتضاءها على مدة حياة دافعي الضرائب البريطانيين في السنوات القادمة"[٣].

فرضت قوات الاحتلال البريطاني رقابة شديدة على مصر لمنع اندلاع ثورة مؤيدة للعثمانيين و الغيت تصاريح الصحف التي يملكها اصحاب الاتجاه العثماني و دعاة الرابطة الاسلامية فيما تركت الصحف

---

[١] د/علي محمد الصلابي،" صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الأفريقي، الحركة السنوسية" الجزء الثاني ص١٠٧.

[٢] كان ابن سعود مدركا لقيمة الدور الذي لعبه في خدمة اهداف بريطانيا قبل و اثناء الحرب العالمية الاولى و كان يكرر علانية"ان بريطانيا لا تعطينا و لو مقدارا يسيرا مما تدين لنا به نظير خدماتنا لها".(محمد جلال كشك"السعوديون و الحل الاسلامي")

[3] C.S. Jarvis, “Three deserts”, p.4, London 1936.

المملوكة لنصارى الشام و بعض المسلمين الفارين من هناك[١] تدعو للفرعونية و القومية العربية، كما صودرت دواب الاهالي و الاسلحة و وضعت قوانين صارمة ضد حيازة السلاح و فرض التجنيد الاجباري لمنع الاهالي من التسرب للعمل مع العثمانيين و حبسهم ان اقتضى الامر الا ان الجيش البريطاني لم يكن شديد الثقة بالمجندين المصريين فاستخدمهم غالبا في فرق السخرة و البناء . فضلا عن ذلك اسس البريطانيون اول جهاز سري متخصص في مكافحة الاسلام و الحركات الاسلامية و هو المكتب المخصوص او القلم السياسي ليتصدى لخلايا التشكيلات و الحركات الاسلامية. تولى ادارة الجهاز نصراني من مواليد صيدا العثمانية يدعى جورج بك فلبيدس تحت اشراف هيرفي باشا البريطاني حكمدار بوليس القاهرة .اعطي الجهاز صلاحيات واسعة تفوق صلاحيات الملك و سلطة للتعذيب و القتل.

فشلت محاولات العثمانيين لاستعادة مصر و لكن بعض الخلايا التي تسربت للوادي ظلت تعمل من خلال الحزب الوطني في التمهيد لثورة كبرى ضد الانكليز لم تتحقق الا في ١٩١٩ بعدهزيمة الدولة العثمانية.[٢] كان جزء كبير من دوافع[٣] تلك الثورة عند عوام المصريين اسلاميا غضبا لسقوط اسطنبول

---

[١] مثل رشيد رضا صاحب المنار و محب الدين الخطيب رئيس تحرير صحيفة القبلة الناطقة باسم الشريف حسين و الثورة الاعرابية البريطانية الكبرى.

[٢] مع سقوط النظام العثماني بايدي الحلفاء عقيب الحرب العالمية الاولى امر انور باشا في آخر ساعات حكمه ضابط التشكيلات المخصوصة لمنطقة اسطنبول حسام الدين ارتورك بحل التشكيلات علنا و العمل على استمرارها سرا تحت اسم "عموم عالم اسلامي احتلال تشكيلات" او خلايا تحرير العالم الاسلامي و ارتأي القيام بانشطة تحريرية بدءا من القوقاز او افغانستان لبعث الدولة الاسلامية الموحدة فيما عده المرحلة الثانية من الحرب. كان حل التشكيلات المخصوصة و القضاء على افرادها احد اهم مطالب قوات الحلفاء بعد دخولهم اسطنبول. لعبت خلايا التشكيلات المخصوصة في الاناضول دورا هاما في اشعال حرب تحرير تركيا من الاحتلال و منع سقوط انقرة بعد سقوط اسطنبول.

[٣] كان لطلبة الازهر المتعاطفين مع الدولة العثمانية دورا هاما في اشعال الثورة و لم تنطفئ نيرانها الا بعد ان قابل المندوب السامي البريطاني كبار مشايخ الازهر و دعاهم لاصدار بيان تهدئة مقابل وعود بنظر طلباتهم.

و المدينة المنورة[١] و نتيجة متاخرة لجهود خلايا التشكيلات العثمانية و رد فعل على الاجراءات القمعية التي اتخذتها السلطات البريطانية طيلة السنوات الخمس الماضية و لكن بعض الساسة الانتهازيين مثل العميل الانكليزي سعد زغلول[٢] و صحافتهم غطوا على ذلك الجانب و صوروها عن طريق الدعاية الصحفية المكثفة المحمية من المنافسة بقوانين الرقابة الصحفية البريطانية على انها ثورة قومية انفصالية لا هدف لها الا طلب الاستقلال تحت قيادة حزب الوفد الليبرالي اللاديني الوطني.

بخلاف اعراب الجزيرة العاملين مع الجيش البريطاني و بعض الخلايا السرية المتعاونة مع السفارات الغربية ببيروت و فلسطين الذين اسعدهم نجاح الحملة الصليبية و سقوط العراق و الشام في يد النصارى كان الشعور العام في انحاء العالم الاسلامي و المناطق الحضرية بشكل خاص متعاطفا مع الدولة العثمانية و كانت مصر مثالا لعمق ذلك الارتباط حيث ظل ائمة المساجد يدعون للسلطان العثماني بالنصر في خطب الجمعة لاربعين سنة بعد الاحتلال البريطاني وصولا الى الحرب العالمية الاولى و ظل اهل البلاد يأملون في انتصار بقايا الجيش العثماني حتى صدمهم اعلان اتاتورك الغاء الخلافة و وقف القتال لاستعادة الولايات العثمانية المحتلة نظير اقراره على حكم ولاية الاناضول. و بخلاف الاعراب الذين

---

[١] الدكتور/ محمد محمد حسين، "الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر".

[٢] كان تولي سعد زغلول لكثيرا من المناصب ياتي بتزكية من المندوب السامي البريطاني لورد كرومر المشهور بفظائعه ضد المصريين، و كان اخوه فتحي بك زغلول احد اكثر المصريين اخلاصا لبريطانيا حتى قيل انه كان لا تمر ليلة عليه بدون زيارة السفارة البريطانية و اصدر احكاما باعدام فلاحين مصريين تسببوا في موت ضابط بريطاني. و كان سعد زغلول صهرا لمصطفى باشا فهمي احد اول رؤساء الوزراء المتعاونين مع الاحتلال البريطاني و تزوج ابنته التي تسمت بصفية زغلول و خرجت على راس مظاهرة مع صديقتها هدى شعراوي خلعت فيها حجابها امام الجنود الانكليز و نادت نساء مصر بمحاكاتها. احمد شفيق باشا،"مذكراتي في نصف قرن" ج٣، ص١٠١، و محمد محمد حسين "الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر"

سمى بعضهم ابنه لورانس على اسم القائد البريطاني لجيش الحجاز انتشرت بين مواليد مصر في تلك الفترة اسماء القادة العثمانيين مثل انور و جمال و طلعت نكاية في الانكليز.

لم يكن اشد ساسة مصر زندقة يجرؤ على تحدي عاطفة الرابطة الاسلامية لدى المصريين ليقف على ظهر بارجة بريطانية و يخطب في النصارى قائلا "لو كان في جسدي قطرة دم تركي لارقتها" كما فعل "ابو تركي" بن سعود عندما اشترك هو و الشريف حسين في الحملة الصليبية على الشام و العراق. على العكس من ذلك كتب رجل لا يعرف عنه اي انتماء فعلي لدين او خلافة مثل جمال عبد الناصر في تقديمه لكتاب باسم "تركيا و السياسة العربية من خلفاء آل عثمان الى خلفاء اتاتورك" بعدها باربعين سنة : "مهما يكن الامر بيننا و بين تركيا في الماضي او في الحاضر فهي منا و نحن منها. كان ابونا و ابوها اخوين في التاريخ، تشاركا في سراء الحياة و ضرائها، و تقلبا معا في نعمائها و في بؤسها، و حاربا جنبا الى جنب في ميدان واحد قرونا عدة لنصرة المثل العليا. و حين تكالبت قوى البغي و العدوان لتزحزحنا عن مكاننا في التاريخ كانت تركيا هي الهدف الاول لكل من رام من اهل البغي و العدوان. و كنا نحن من ورائها...وطننا و وطنها قطعتان من هذا الشرق العربي فهي دولة من آسيا و ان كان وجهها لاوروبا. لغتنا و لغتها لفظان في قاموس مشترك فكلامها من كلامنا و ان كتبت باللاتينية. و قرآننا و قرآنها واحد نزل به الوحي الامين على محمد في مكة و المدينة و فسره مفسره في بغداد و الشام و مصر. و كتبه كاتبه بقلم النسخ في استنبول. و ما زال يتلوه بلساننا او بلسان غير لساننا قراء مسلمون في اضنة و في انقرة و في ديار بكر و في ازمير. و ماضينا و ماضيها فصلان في

كتاب واحد في تاريخ العرب و الاسلام، بدأ و بدانا معه في بخارى و سار و سايرناه الى بغداد و الموصل، و اوى و اوينا جواره في سهول الاناضول. و تفيأ ظل اسوار القسطنطينية. و تفيأنا معه ظلها ضيوفا على ابي ايوب. و يوم وطئت اقدام الترك ارض اوروبا لتقيم امبراطورية عثمانية على انقاض امبراطورية قسطنطين كان شعار المحاربين من الترك و العرب يومئذ واحد على كل لسان هو "الله اكبر"يهتف به المصلون في اياصوفيا فيتردد صداه على مآذن المسجد الاموي بدمشق، و الجامع الازهر بالقاهرة، و جامع الزيتونة في القيروان و مساجد اخرى في بغداد و الكوفة و صنعاء و في غرناطة و فاس و على شاطئ المحيط الاطلسي. ثم كانت محنتنا العربية و محنة تركيا على يد عدو واحد نظر الينا نظرة العدو فلم يفرق بين عربي و تركي،فإذا جيوشه تطأ بلادنا و بلاد الترك، و اذا احتلاله يجثم على صدورنا و صدور الترك. و اذا المستعمر في ازمير و المستعمر في القاهرة يتواعدون جميعا الى مائدة مشتركة من طعامنا و شرابنا، و العرب و الترك واقفون جميعا وراء الابواب لا يؤذن لهم بالدخول.

و نحن الى كل ذلك انسباء و اقرباء و اصهار. . . .في كل دار من دور العرب على اتساع بلادهم، عربي يمت الى الترك بخؤولة. و في كل دار من دور الترك- برغم اعتزالهم في ديارهم- تركي ينسب الى العرب بعمومة. فقد اختلطنا نسبا و صهرا و مواريث ثابتة و منقولة، و ان قامت بيننا الحدود و

الاسـلاك الشـائكة، و نحـن اليـوم مـن تركيـا كمـا كنـا في الماضـي. اخـوة مخلصـون لاخـت خالصـة العـرق و النسب فرقت بينها و بينهم الايام."[1]

عـم مصـر و العـالم الاسـلامي باسـتثناء جزيـرة العـرب بنهايـة تلـك الحملـة الصـليبية حـزن شـديد علـى مـا آلت اليه الرابطة العثمانية صوره الشاعر احمد شوقي في ابيات تقول:

ضجت عليك مآذن و معابد　　　و بكت عليك ممالك و نواح

الهند والهة و مصر حزينة　　　تبكي عليها بمدمع سحاح

و الشام تسأل و العراق و فارس　　　امحا من الارض الخلافة ماح

مـع قيـام اتـاتورك بالغـاء الخلافـة و حـل الدولـة العثمانيـة تنفيـذا لاتفـاق لـوزان قـام بموجـب الاتفاقيـة بتسـريح الضـباط المصـريين الـذين قـاتلوا معـه في حـرب الاسـتقلال التركيـة و مـن ثـم عـادوا لمصـر حيـث كـان لهـم دور بارز لاحقا في الحركة الاسلامية المسلحة.

بعـد تلـك الاحـداث ببضـعة سـنوات بينمـا كـان الملـك عبـد العزيـز آل سـعود يقضـي علـى مجموعـات الاخـوان المسـلمين بـالجزيرة العربيـة في موقعـة السـبلة ظهـرت بمدينـة الاسماعيليـة المصـرية في عـام ١٩٢٩

[1] صبري ابو المجد"عزيز علي المصري و صحبه: بناة الوحدة العربية و الاسلامية."، ص ١٧٢.

مجموعـة اخـرى ذات عقيـدة مختلفـة بـنفس الاسـم و ان كـان حسـن البنـا مؤسسـها يعلـم بـلا شـك بالصـراع الـدائر في الجزيـرة. الى حـد كـبير تعتـبر الجماعـة الـتي يقـال ان مؤسسـها شـارك في صـباه في مظـاهرات طلبـة المـدارس اثنـاء ثـورة ١٩١٩ نتيجـة متـاخرة لنشـاط خلايـا التشـكيلات المخصوصـة العثمانيـة. فقـد قـام في ١٩٢٧ قبـل اعـلان تاسـيس جماعـة الاخـوان بالمشـاركة في تاسـيس جمعيـة الشـبان المسـلمين الـتي كـان اول رؤسـائها الـدكتور عبـد الحميـد بـك سـعيد رئـيس خليـة دمشـق و خلايـا اخـرى للتشـكيلات المخصوصـة في مصـر في بدايـة الحـرب العالميـة الاولى. وفي الاشـهر التاليـة لتاسـيس الجمعيـة حـاول ناشـر الكتـب السـلفية الشـهير العميـل البريطـاني محـب الـدين الخطيـب تجنيـد حسـن البنـا الانتقـال للتـدريس في مكـة و العمـل مـع عبـد العزيـز آل سـعود فوافـق حسـن البنـا، الا ان الحكومـة المصـرية لم توافـق علـى انتدابـه مـع حفـظ درجتـه الوظيفيـة لعـدم اعترافهـا بحكـم عبـد العزيـز للحجـاز ممـا ادى بـه الى التراجـع عـن الفكـرة. ثـم قـام حسـن البنـا بتاسـيس جماعتـه في الاسماعيليـة بعـدها ببضـعة اشـهر في وقـت معاصـر لمواجهـات الاخـوان مـع عبـد العزيـز. و مـن المفارقـات انـه بعـد مـا يقـرب مـن عشـرين سـنة عنـدما صـارت جماعـة الاخـوان اكـبر جماعـة اسـلامية في ديـار العـرب التقـى حسـن البنـا مـع الملـك عبـد العزيـز اثنـاء موسـم الحـج و طلـب منـه السـماح بتأسـيس شـعبة للاخـوان رفـض عبـد العزيـز قـائلا: "يـا طويـل العمـر أنـا شـعبي كلـهم مسلمون أين تحط جماعتك؟،ما لهم مكان، خليهم هناك في مصر."[١]

[١] سمحت الحكومة السعودية للاخوان بالتوافد اليها و العمل سرا عندما اشتد خلافها مع جمال عبد الناصر.

كانت نشأة الجماعة علنية و تم تسجيلها كجمعية خيرية دينية تتلقى اعانات من الحكومة. تعامل حسن البنا في طور نمو الجماعة مع الملك الشاب فاروق الذي تولى الحكم في ١٩٣٦ و كان يعفي لحيته و يتردد على المساجد . سمح الملك الذي كان يخضع لضغط بريطاني بسبب نزعاته الاستقلالية و تعرض قصره في احدى المرات لحصار الدبابات البريطانية بنمو الجماعة و امدها باعانات. ردت الجماعة بترديد هتافات التايد للملك في مظاهراتها و السماح لكبار مسؤلي القصر الملكي و وزارة الداخلية بحضور اجتماعاتها و مجالسها و ان لم يستمر هذا الامر عندما اشتد عود الجماعة و غير الملك من اتجاهاته الاخلاقية و مال في اتجاه بريطانيا .

ضم مؤسس الجماعة اليها بعض افراد الحزب الوطني القديم و اعضاء خلاياه السرية المسلحة[١] السابقين بمن فيهم الصاغ محمود لبيب[٢] وكيل جماعة الاخوان للشؤون العسكرية الذي اسند اليه

---

[١] اشهرها جماعة التضامن الاخوي ذات الطابع المغرق في السرية و المسؤولة عن تفجيرات و اغتيالات لسياسيين متعاونين مع الاحتلال البريطاني مثل رئيس الوزراء بطرس غالي باشا. اشتركت الجماعة في دعم التشكيلات المخصوصة في حرب طرابلس ١٩١٠ و يسرت نقل المؤن من مصر و نسب اليها عمليات مسلحة ضد الاحتلال البريطاني اثناء الحرب العالمية الاولى و اثناء ثورة ١٩١٩ و اغتيال الجنرال لي ستاك قائد الجيش البريطاني في السودان سنة ١٩٢٤ رميا بالرصاص في احد شوارع القاهرة. بعد سقوط الدولة العثمانية و حل التنظيم الذي كان يتلقى الدعم من التشكيلات المخصوصة اختفى كثير من اعضاء الجماعة بهدوء في زوايا المجتمع المصري ليتبوأ بعضهم مراكز عليا في السياسة المصرية لاحقا مثل رؤساء الوزراء النقراشي و احمد ماهر و مرشد الاخوان حسن الهضيبي. و يدلل البعض على تاثر جماعة الاخوان و جهازها الخاص بجماعة التضامن الاخوي من خلال تشابه طقوس الانضمام الى الجهاز الخاص الاخواني و طقوس الانضمام الى جماعة التضامن الاخوي و هي قسم العضو المستجد على مصحف و مسدس في غرفة شبه مظلمة.

[٢] ابن علي بك أمين قومندان طوابي أبي قير(الدفاعات البحرية للاسكندرية ضد قوة الغزو البريطاني) في عهد أحمد عرابي. قاد في عام ١٩١٠م اثناء عمله بالجيش مظاهرة احتجاج على تصريحات الرئيس الأمريكي تيودور روزفلت الذي كان يزور القاهرة وأثنى على الاحتلال الإنجليزي لمصر والسودان، وخطب في هذه المظاهرة أمام فندق شبرد حيث يقيم روزفلت مطالبًا بإخراجه من مصر. وعلى إثرها نُقل إلى سيدي براني بالصحراء الغربية وهناك تصدى ورجاله لمحاولة احتلال السلوم من قبل القوات الإيطالية قبل احتلالها ليبيا، ثم تصدى لمحاولة الإنجليز رفع العلم الإنجليزي عليها واعتبارها منطقة خارجة عن السيادة المصرية. وفي عام ١٩١٥م شارك وزميله اللواء صالح حرب مع التشكيلات المخصوصة في الحملة السنوسية على القوات الإنجليزية في السلوم، ولكن فشلت هذه الحملة، وأصدرت محكمة إنكليزية عليه وعلى زميله صالح حرب حكمًا بالإعدام لانضمامهم وجنودهما إلى مجاهدي ليبيا ضد الطليان والإنجليز.فخرج من مصر إلى تركيا حيث شارك في حرب الاستقلال، وبقى هناك فترة، ثم انتقل إلى ألمانيا بعد اعلان الغاء الخلافة العثمانية، وكانت له حركة ونشاط في تركيا ثم ألمانيا، وقاد في ألمانيا مظاهرة ضد الإنجليز كان أحد أفرادها هتلر قبل أن يصبح زعيمَ ألمانيا.ترك الجيش عام ١٩٣٦و انضم إلى الإخوان المسلمين عام ١٩٣٨م. (موقع اخوان اون لاين).

قيادة متطوعو الاخوان في فلسطين فيما بعد و المستشار حسن بك الهضيبي و آخرين مما اثرى ثقافة الجماعة السياسية و العسكرية في مجال العمل السري المسلح وصولا الى تاسيس جهاز عسكري سري تابع مباشرة لحسن البنا داخل الجماعة يعرف بالنظام الخاص. فضلا عن ذلك كان لمؤسس الجماعة روابط شخصية قوية بشخصيات عسكرية من اعمدة التشكيلات المخصوصة مثل عزيز باشا المصري و محمدصالح حرب باشا .

بعد تاسيس الجماعة بعشر سنوات تولى رئاسة الوزراء في مصر سنة ١٩٣٩ علي ماهر باشا القيادي السابق في خلايا الحزب الوطني و الف وزارة ضمت عددا من رفاقه ضباط التشكيلات المخصوصة السابقين مثل عبد الرحمن عزام في الاوقاف و محمد صالح حرب في الحربية و الفريق عزيز المصري قائدا لاركان الجيش و هي وزارة رأت بريطانيا انها خطر على مصالحها مع نشوب الحرب ضد المانيا فامرت الملك فاروق باقالتها و اعتقال رئيس الوزراء و رئيس اركان الجيش. شجعت تلك الوزارة اثناء حكمها القصير نمو جماعة الحزب الوطني الوطني الاسلامي (مصر الفتاة) ذات التنظيم شبه العسكري بقيادة احمد حسين و طردت عددا كبيرا من الموظفين المصريين المتعاونين مع بريطانيا .

سطع نجم جماعة الاخوان المسلمين في تلك الفترة من اربعينيات القرن العشرين و قامت اجهزتها بعمليات مسلحة في مصر و خارجها ووصل الامر ابان حرب فلسطين الى اعلان حسن البنا مؤسس الجماعة استعداده لإرسال عشرة الاف مسلح من جماعته لتحرير فلسطين. كان متطوعو الاخوان في ١٩٤٧ يتلقون تدريباتهم العسكرية قبل ارسالهم في معسكرات الجيش المصري بالهاكستب شمال

القاهرة الى جانب معسكرات اليهود المصريين[1] الذاهبين للقتال في فلسطين لاقامة الدولة اليهودية. عمل متطوعو الاخوان الى جانب القوات الحكومية المصرية و لم يكن لهم خطة مستقلة لاقامة دولة اسلامية او حكم اسلامي في فلسطين و كانوا يسلمون الاراضي التي يستخلصونها من اليهود للجيش المصري. و اشتركوا في عمليات الفالوجا لفك الحصار عن وحدات محاصرة من الجيش المصري ضمت رئيس مصر مستقبلا جمال عبد الناصر و عددا من رفاقه. و قد قام نفس اولئك الضباط بنزع سلاح المتطوعين الاخوان في فلسطين و ايداعهم في سجون الوحدات العسكرية عندما صدرت الاوامر من الامم المتحدة بوقف اطلاق النار و الانسحاب.

علمت الاجهزة المصرية و من فوقها في بريطانيا و الولايات المتحدة بعد واقعة الانقلاب المدعوم اخوانيا في اليمن و قتل الجماعة لعدوها رئيس الوزراء المصري مصطفى النقراشي[2] و قبله رئيس وزراء آخر هو احمد ماهر باشا ان عوام الإخوان لن يلبثوا ان يدركوا ان مفتاح مشكلة فلسطين في مصر[3] و ليس في ارسال مزيد من المتطوعين عبر سيناء بعد استئذان الانكليز المتمركزين في القناة ليسجنوا بعد عودتهم من فلسطين فتبع قرار حل الجماعة اغتيال حسن البنا على ايدي مجهولين في اكبر شوارع مصر عقب لقاء مع صديقه محمد صالح باشا حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين و

---

[1] سمح الجيش الاميركي و البريطاني لليهود المتجهين لفلسطين بالتدرب في المعسكرات التابعة لهما من بقايا الحرب العالمية الثانية الموجودة شرق القاهرة.

[2] رئيس وزراء مصري عمل في شبابه الى جانب زميله احمد ماهر باشا كقيادي بتنظيم اليد السوداء السري المسلح المتعاون مع التشكيلات المخصوصة. رفض اشتراك الجيش المصري في حرب فلسطين لان وجود الجيش البريطاني المتعاطف مع اليهود في السويس بين مصر و فلسطين يعرض الجيش المصري و خطوط امداده للخطر. صدر باسمه قرار حل جماعة الاخوان المسلمين بعد حرب فلسطين.

[3] حدثت انشقاقات بسيطة في صفوف الجماعة منها انشقاق مجموعة "شباب محمد" التي رات القيام بعمليات عسكرية ضد المحتلين و الحكومة المصرية و بؤر الفساد الاخلاقي اعتبرها حسن البنا سابقة لاوانها لعدم استعداد الجماعة و كانت مجموعة شباب محمد ترى ان قتال العدو المسيطر على مصر هو مفتاح الحل و اولى من الخروج لقتال عدو بعيد .

اتهمت الجماعة الملك و البوليس (القلم) السياسي بالمسؤولية عن اغتياله. كان القلم السياسي الوريث المصري للقلم المخصوص الذي اسسه الانكليز لمكافحة الاسلام و عمليات التشكيلات المخصوصة قبل اكثر من ثلاثين سنة. كما لم تكن مصادفة ان يكون آخر من التقاه حسن البنا و طلب دعمه في احرج لحظاته اكبر ضباط التشكيلات المخصوصة السابقين بمصر.

في نوفمبر ١٩٥٠ تصاعدت غارات المصريين في القناة على قاعدة قناة السويس البريطانية و المصالح الغربية بالمدن المصرية الكبرى فاستبق ملك مصر و رئيس وزراءها مصطفى باشا النحاس غضب اهل مصر و طلبا من الجيش البريطاني اخلاء قاعدته بقناة السويس و الرحيل بعد احتلال طال سبعون عاما. رفض الانكليز و اشتبكوا مع بعض المقاومين في منطقة القناة بضمنهم خلايا من الاخوان المسلمين و حزب مصر الفتاة[١]. تصاعد الغضب ضد اعتداءات الانكليز على افراد الشرطة المصرية مما دعا فؤاد باشا سراج الدين وزير الداخلية المصري الى الوقوف امام البرلمان طالبا الغاء تصاريح السلاح و تسليح الشعب المصري و اعلن النحاس باشا موافقة الحكومة على تدريب خلايا مسلحة لقتال الانكليز في معسكرات الجيش المصري.

---

[١] مصر الفتاة: الاسم الاصلي للحزب الوطني القومي الاسلامي ضمن مسمياته المتغيرة. اسسه احمد حسين في ثلاثينات القرن العشرين و هو حزب متعاطف مع الشأن الاسلامي (على طريقته) ينادي برنامجه بتطبيق الشريعة و توحيد الدول العربية و اعادة الخلافة الاسلامية. اسس الحزب فرقا شبه عسكرية قامت بعمليات تخريب للخمارات و الملاهي الليلية و اغتيالات للجنود الانكليز و الحلفاء اثناء الحرب العالمية الثانية. نسب الى فرق الحزب مسؤولية جزء كبير من احداث هبة اهل القاهرة المعروفة بحريق القاهرة.

كـان سـقوط النظـام في ايـدي الاخـوان المسـلمين واردا اذا مـا اتـيح لهـم التسـليح الكـافي حيـث شـرعت الجماعـة بعـد هزيمتـها في فلسـطين في اعـداد خلايـا مسـلحة مركزهـا غـرب قنـاة السـويس للقتـال ضـد قاعـدة قنـاة السـويس البريطانيـة و بـدأت تجنـد الاتبـاع مـن ضـباط الجـيش و تخـزن السـلاح علـى اطـراف الـدلتا في خطـوة مرحليـة نحـو النهايـة المحتومـة و هـي الزحـف علـى القـاهرة الـتي نفـذوا فيهـا تفجـيرات ضـد المصـالح الغربيـة و الاجهـزة الحكوميـة المعاديـة للاخـوان. ظهـرت بـوادر لهـذا الاتجـاه في هبـة اهـل القـاهرة ضـد المصـالح الغربيـة و الملاهـي الليليـة بنهايـة ينـاير ١٩٥٢ الـتي لم يكبحهـا الا نـزول الجـيش للشـوارع فتنبـهت قـوى خارجيـة الى مركـز الاخـوان و حـزب مصـر الفتـاة و المتعـاطفين معهـم كـأكبر قـوة مسـلحة خـارج الحكـم فضـلا عمـا لجماعـة الاخـوان مـن خلايـا منظمـة منبثـة بـالجيش و الشـرطة فكـان هـذا عـاملا- بالاضـافة لتسـويات القـوى بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة-ادى الى سـكوت[١] الولايـات المتحـدة عـن استيلاء مجموعة من الضباط المنشقين عن الاخوان المسلمين على الحكم.

كـان اكثـر مـن نصـف اعضـاء مجلـس قيـادة الثـورة مـن اعضـاء التنظـيم الخـاص السـري التـابع للاخـوان المسـلمين الى مـا قبـل الانقـلاب بقليـل و ينسـب تاسـيس[٢] تنظـيم الضـباط الاحـرار الى الصـاغ محمـود لبيـب وكيـل الاخـوان للشـؤون العسـكرية و لكـن ضـعف الانتمـاء الاسـلامي لتلـك المجموعـة مـن الضـباط بسـبب ضـوابط السـرية الـتي كانـت تمـنعهم مـن الانـدماج في انشـطة الجماعـة في بدايـة انضـمامهم لهـا و

---

[١] هنـاك دلائـل علـى ان جمـال عبـد الناصـر اعلـم المخـابرات الامريكيـة بتـاريخ الانقـلاب قبـل ليلـة مـن وقوعـه و ان هنـاك اتصـالات جرت بالسفارة الاميركية في الايام السابقة للانقلاب.
[٢] و يقـال ان انشـاء تنظـيم الضـباط الاحـرار كتنظـيم مسـتقل عـن الاخـوان كـان عمـلا حركيـا قامـت بـه قيـادة الاخـوان بقصـد ابعـاد شـبهة انتماءه الى الحركة الاسلامية عن اعين الدوائر السياسية الغربية المتربصة باي حركة عسكرية ذات خلفية اسلامية.

رغبتهم في الاستئثار بالحكم بدون التقيد بضوابط الجماعة او بفكرة اسلامية جعلتهم[١] يتخذون مسارا بعيدا عن الفكر الاسلامي و الجماعة و ان لم يجاهروها بالعداوة[٢] الا بعد توطد اقدامهم. ساهم الضباط الاخوانيون بادوار حاسمة في الحركة حيث قام عبد المنعم عبد الرؤوف اكثر ضباط الثورة اخلاصا لجماعة الاخوان بمحاصرة قصر راس التين الملكي بالاسكندرية و مواجهة الحرس الملكي و اجبار الملك على الاستسلام. كما قامت خلايا من الجهاز الخاص للاخوان بتامين طريق القاهرة-السويس لمنع اي تدخل ضد الحركة من قبل القوات البريطانية المتمركزة في قاعدة قناة السويس و عديدها ثمانون الف جندي بريطاني.

في خلال اسابيع كان سراج الدين باشا يحاكم امام محاكم الضباط الثوريين عقابا له على دعوته لتسليح الشعب المصري و حكم عليه بالسجن خمسة عشر عاما. في السنوات التي اعقبت الانقلاب استمرت غارات المصريين على معسكرات الجيش الانكليزي بقناة السويس. اضطلع الاخوان بالجزء الأكبر من العمليات العنيفة و يبدو ان قيادتهم كانت قد اتخذت قرارا في تلك السنوات الحاسمة بين ١٩٥١ و ١٩٥٤ بقصر الجهد العسكري للجماعة على التصدي للقوات البريطانية في القناة و عدم القيام بعمل داخل وادي النيل ضد تهديد حكومة جمال عبد الناصر المتنامي فيما شارك الجيش المصري بعمليات مسرحية الطابع تتوقي احداث خسائر بشرية كبيرة في جنود بريطانيا ثم انقلب

---

[١] باستثناء عبد المنعم عبد الرؤوف من قيادات الضباط الاحرار الذي بقى على عضويته في الاخوان و لاقى اضطهادا من جمال عبد الناصر بسبب ذلك.

[٢] ظل عبد الناصر على وفاق ظاهري مع الاخوان في اول حكمه و استقطب بعض قياداتهم مثل الباقوري و الغزالي لاحداث اختراق في صفوفهم، و يروى انه زار بعد توليه الحكم قبر حسن البنا في ذكرى وفاته مع جمال سالم عضو مجلس قيادة الثورة و الباقوري القيادي الاخواني وزير اوقاف جمال عبد الناصر و قال مخاطبا حسن البنا في قبره "أشهد الله اننا ننفذ ما كنت تؤمن به." رفعت سيد احمد، "ممنوعون: حلقة سيد قطب"برنامج قناة الجزيرة ، ٢٠٠٤/٥/٢٠.

لاثبات سيطرته على الوضع مع بدء التفاوض لاستلام السلطة على كامل ارض مصر من بريطانيا و اخذ في اعتقال المقاومين من الاخوان الى ان اعدم الشيخ محمد فرغلي اكبر قادتهم في القناة الذي كان مطلوبا للانكليز نظير مكافأة و اعدم معه مساعده يوسف طلعت بعد سنوات قضياها في قتال اليهود في فلسطين و الانكليز في القناة . كان الاخوان في تلك الفترة من العمليات يعملون بقيادة منفصلة عن الجيش و المخابرات المصرية بخلاف حرب فلسطين و ان كان هناك نوع من التعاون الضئيل في حالات قليلة و احيانا من طرف افراد من الاخوان الا ان محصلة المجهود القتالي للاخوان كانت تصب في مصلحة جمال عبد الناصر اثناء مفاوضاته مع الانكليز و الامريكان.

لم يرحل الانكليز الا بعد ان اصدر جمال عبد الناصر[1] قانونا يجرم حمل السلاح و يحكم بالسجن مدى الحياة على من يحوز بندقية و خمسة عشر سنة لمن يحوز رصاصة[2] كما اعطى الغرب ضمانات بعدم تطبيق الشريعة شملت الغاء المحاكم الشرعية و قمع حركة الاخوان و وضعهم بالسجون لمدد اقتربت من عشرين عاما مورس فيها ضدهم تعذيب شرس ادى الى تخلي معظمهم عن قناعاتهم و تحولهم الى دعاة ينبذون العنف لا قضاة [3] بالاضافة لتعهدات اخرى من قبيل عدم الهجوم على الحدود

---

[1] البكباشي(المقدم) جمال عبد الناصر: قائد حركة الضباط الاحرار. عضو سابق في خلايا الاخوان المسلمون السرية. تقلب بعدها بين اطوار الشيوعية و غيرها من العقائد الكفرية و كان اسمه الحركي "موريس" في الحزب الشيوعي المصري بقيادة هنري كورييل اليهودي. انتهى الى معاداة الاسلام رغم اخفاءه هذا العداء حتى تمكنه من زمام الامور يقال ان زوجته تحية كاظم كانت رافضية ايرانية الاصل.

[2] يقضي قانون رقم ٣٩٤ لسنة ٥٤ الذي اقره جمال عبد الناصر بصفته وزير داخلية في ذاك الوقت بعقوبة الاشغال الشاقة المؤقتة (١٥ عشر سنة) كحد اقصى لمن يحوز ذخيرة مسدس (رصاصة).

[3] الف القاضي السابق حسن الهضيبي مرشد الاخوان كتابا بعد بضعة عشر سنة في السجن اسماه "دعاة لا قضاة".

الدولية لاسرائيل[١] و اخلاء الادارة المصرية بالسودان و تسليم البلاد للانفصاليين القوميين السودانيين. فيما يخص جماعة الاخوان ساعد استقطاب جمال عبد الناصر لعبد الرحمن السندي قائد النظام الخاص و بعض قياداتها العلمية مثل الشيوخ الغزالي و الباقوري و سيد سابق على شق صف الجماعة و اضعافها في مرحلة المواجهة. و تذكر بعض كتابات الاخوان ان جمال عبد الناصر عرض على الجماعة تكوين وزارة تحكم البلاد الا ان المرشد العام للجماعة رفض لعلمه انها لن تحكم حقيقة في ظل وجود عبد الناصر كما نصح المرشد لجمال بالا يظهر الاخوان للعالم بصورة من يحكم مصر حتى لا تنقلب الدول العظمى على الثورة و طلب منه ان يضع مبادئ الجماعة موضع التنفيذ تدليلا على صدقه.[٢]

في ١٩٥٦ قامت قوات بريطانية/فرنسية/اسرائيلية بغزو شرق البلاد لابعاد تهديد جمال عبد الناصر للاردن و السعودية فقام جمال الذي كان يدرك ما يزعج الغرب بالقاء خطاب ركيك في الجامع الازهر اعلن فيه ان الشعب مستعد للجهاد و بدأ توزيع السلاح بصورة محدودة على العوام. في خلال ساعات من الخطبة كانت الولايات المتحدة التي خشيت من خروج الامر عن سيطرة جمال عبد الناصر و تطورها الى حرب جهادية يقودها الاخوان قد هددت الحلفاء بالانسحاب تحت طائلة العقوبات الشديدة فانسحبوا. شهد العقد التالي لتلك الاحداث مدا شيوعيا مضادا للاسلام في مصر

---

[١] لم يكن الغرب مطمئنا تماما لتوجهات مجموعة الانقلاب و مما يدل على ذلك قيام الولايات المتحدة برفع مساعداتها العسكرية لاسرائيل من ١٠٠ الف دولار في ١٩٥١ قبل انقلاب يوليو الى ٨٥ مليون دولار في ١٩٥٢ عقب الانقلاب، كما رفضت الولايات المتحدة امداد مصر بالسلاح الا بعد اخضاع الجيش للاشراف الاميركي من خلال الانضمام لحلف بغداد و هو ما رفضه قادة الانقلاب و جمال عبد الناصر.

[٢] د/ محمود جامع،"عرفت السادات"، ص٣١

و بروز المفكر سيد قطب كالمع مراجع جماعة الاخوان. رفض سيد التعاون مع حكومة الثورة التي عرضت عليه مناصب عديدة فسجن. في اول مرات سجنه تشفع فيه عبد السلام عارف الرئيس العراقي و اطلقه من حكم بالسجن المؤبد و عرض عليه عبد السلام أن يصحبه إلى العراق ويكون مستشاره ، ولكن الأستاذ سيد استماحه عذرا ، متعللا بصحته التي تشرف على الرحيل وتؤذن بالوداع ، ولكن السبب الحقيقي وراء اعتذاره هو الذي وضحه قائلا :"إننا بإسنادنا ولو بالآراء لوضع جاهلي ، فإننا نحكم بالإعدام على كل كتاباتنا ضد الطواغيت ، وتصبح كلماتنا حبرا على أوراق"[١] .

اثناء وجود الاخوان بالسجون حاول سيد قطب اعادة احياء الجماعة و توجيهها في اتجاه فكري اكثر صداما و مفاصلة مع المجتمع الجاهلي و لكنه قبض عليه و اعدم و حكم على اخته حميدة قطب بالسجن عشر سنوات .كان رئيس المحكمة اللواء الدجوي ضابطا مصريا تولى حكم قطاع غزة قبل حرب ١٩٦٧و اسرته اسرائيل في حرب السويس ١٩٥٦ و كان يلقي خطبا ضد النظام المصري من اذاعة اسرائيل اثناء فترة اسره.[٢] مع الحكم باعدام سيد و تنفيذه خرجت مظاهرات عديدة في ديار الاسلام تطالب بالعفو عن سيد و تسب جمال عبد الناصر من ماليزيا و باكستان شرقا حيث احرقت السفارة المصرية الى نيجيريا التي توسط رئيسها احمدو بللو ضمن من توسطوا لدى جمال عبد

---

[١] الشيخ عبد الله عزام، "عملاق الفكر الاسلامي:الشهيد سيد قطب"
[٢] المرجع السابق.

الناصر من رؤساء و ملوك المسلمين للعفو عن سيد . لم يكن الاساس الفكري لسيد قطب سلفيا و لكن كتاباته تظهر تطورا ذاتيا -نتيجة عزلته في السجن- و ان كان بطيئا في هذا الاتجاه مقارنة بمطبوعات الجماعة الاولى التي كانت تركز على الجانب الوعظي الدعوي و الكم على حساب الكيف و النقاء العقائدي. اسفرت مؤلفات سيد قطب و مداولاته مع الاعضاء الاخرين اثناء فترة حبسه عن انشقاق الجماعة الى قسمين احدهما يفضل العمل البطئ لتغيير المجتمع و الاخر يؤثر التحرك المسلح شبه الانقلابي او على الاقل يتخذ موقفا صداميا تجاه المجتمع الجاهلي.

قام اغلب سجناء الاخوان ايامها تحت ضغط الوعد و الوعيد بارسال رسائل تأييد لجمال عبد الناصر و اشادة بحكمه. شذ عن هذه القاعدة افراد انفصلوا عن زملائهم و برز منهم لاحقا عبد المجيد الشاذلي و الشيخ محمود عيد و شكري مصطفى و السماوي. كان الانشقاق عنيفا و المحنة شديدة، و فيما ينقل عبد الله عزام احد مؤرخي تلك المرحلة ان الجماهير خرجت في مظاهرات تسب سيد قطب و تنادي بقول "الى جهنم يا سيد" ردا على ما نسبته اليه الشرطة من تخطيط لقتل المطرب عبد الحليم حافظ و ام كلثوم و ضرب اذاعة القرآن الكريم و تدمير الجسور المقامة على النيل في الدلتا فان ما لم ينقله هو ان هذا النداء تردد على السنة بعض سجناء الاخوان المسلمين و هم يودعون سيد قطب في طريقه لتنفيذ حكم الاعدام احتجاجا منهم على نهجه الصدامي و ما اعتبروه توريطا منه للجماعة في حلقة جديدة من الصراع مع الحكم الناصري و بالتالي تأخير اطلاق سراحهم.

المح جمال عبد الناصر في حينها الى انه اشتد في التعامل مع سيد قطب باعتباره طرفا في مؤامرة مدعومة سعوديا لوجود عدد كبير من الاخوان بالمملكة حينئذ و سماح فيصل لهم بالعمل التنظيمي كما افادت زينب الغزالي مسؤولة القسم النسائي في مذكراتها اللاحقة بخصوص ملابسات الاتفاق على اعادة احياء التنظيم السري في لقاء بمكة بمكتب تاجر جداوي شهير. و رغم تلك التقاطعات الا انه لا شك ان سيد قطب كان ابعد ما يكون عن العمالة لفيصل.

لم تكد ذات حمل يوم اعدام سيد قطب تضع حملها حتى وقعت هزيمة ١٩٦٧ مفضية الى تحطيم صنم عبد الناصر و دولته اللادينية الشيوعية. كما ادى انكشاف سوأة الجيش المصري و تحطمه في ساعات الى حالة من الصدمة لدى البعض ممن هالهم انعدام المناعة تجاه قوة اسرائيل، وبلغ الامر ان احد ضباط المدرعات قاد دبابته من طريق السويس خارج القاهرة حتى الجامع الازهر حيث وقف على متنها خطيبا مناديا بالجهاد. كما قاد وكيل نيابة شاب يدعى يحيى هاشم مظاهرة ضخمة في قلب القاهرة دعت للجهاد الى ان قبض عليه. كان يحيى هاشم ايام دراسته الثانوية عضوا في خلية سرية صغيرة مهتمة بالشأن الاسلامي و الاصلاح اسسها مجموعة من طلبة الثانوية القاهريين و هي الخلية التي ستضم لاحقا المهندس محمد الظواهري و الدكتور ايمن الظواهري و المهندس محمد الشرقاوي و الرائد عصام القمري و بعدهم الدكتور سيد امام ثم رفاعي سرور و محمد اسماعيل المقدم في نهاية الستينيات.

على خلاف من يصورون الخلية على انها اول خلية انقلابية جهادية في الستينات يبدو ان الاساس العقائدي للتنظيم لم يكن قد اكتمل نموه حتى بعد مضي اكثر من خمس سنوات على تاريخ ظهوره على العكس من تنظيمات مصرية اخرى معاصرة له مثل جماعة السماوي و جماعة المسلمين، حيث ظل موقف الخلية من الدولة المصرية ملتبسا لسنوات و ظل النقاش دائرا حول شرعية الدولة و مؤسساتها مما ادى الى انقسام المؤسسين لاحقا حول حكم من قاتل مع الجيش المصري في ١٩٧٣ و قتل خاصة ان بعض افراد الجماعة انتقلوا للعمل في الخلايا الفدائية حول السويس المحاصرة اثناء عملية الثغرة بالتعاون مع فلول الجيش المصري بالمنطقة. يومها رأى علوي مصطفى احد مؤسسي التنظيم (الى جانب اسماعيل طنطاوي و نبيل البرعي) ان قتلى الجيش المصري - بمن فيهم من قاتل تحت امرة اللواء فؤاد غالي النصراني قائد الجيش الثاني لاحقا - من الشهداء و مآلهم الجنة بغير حساب و لعل مقتل اخاه اثناء تلك الحرب زاده اصرار على رايه. ادى النقاش في النهاية الى تركه الجماعة.

تاثر اسماعيل طنطاوي المؤسس و ايمن الظواهري و بعض افراد الخلية بمؤثرات سلفية بحكم ارتيادهم مساجد جمعية انصار السنة المحمدية التي اسسها الشيخ حامد الفقي قبلها بحوالي ثلاث عقود. لم يكن النظام الناصري الشيوعي غافلا عن تلك الجمعية السلفية العلمية المسالمة حيث قام في اواخر ايامه باغلاق صحيفتها و دمج "انصار السنة" تحت ادارة "الجمعية الشرعية"[١] الأكثر مسالمة و انعزالا

[١] لم تكن الجمعية الشرعية منذ تاسيسها في ١٩١٢ جماعة منعزلة عن السياسة بل ان مؤسسها الشيخ محمود خطاب السبكي دعا للجامعة الاسلامية و تعاون مع ممثلين عن التشكيلات المخصوصة العثمانية مما تسبب في اعتقاله على يد الجيش البريطاني في مصر سنة ١٩١٦. كما انخرط اعضاء من الجمعية الشرعية في جمعية التضامن الاخوي السياسية السرية المسلحة.اسس الشيخ ايضا محاكم اهلية و لجان تحكيم اسلامية تابعة لجمعيته لتفصل بين المصريين في قضاياهم حتى لا يضطروا للجوء للقضاء الوضعي اللاديني. "تنظيم الجهاد، الفكر .. الجذور .. السياسة "، دكتور محمد مورو، ص١٤.

و لــو ان عــداء النظــام الناصــري لانصــار الســنة قــد يكــون راجعــا في الاغلــب لارتبــاط مؤسســها[1] و قياداتهــا المفضــوح بالحكومــة الســعودية و مخابراتهــا . و فيمــا ينســب بعــض المؤرخــون الابــوة العقائديــة و الفكريــة لتلــك الخليــة لجماعــة الاخــوان المســلمون فــان الاصــح ان تلــك ان الخليــة الــتي غلــب علــى منتســبيها الاصــل الحضــري القــاهري هــي اخ اصــغر لجماعــة الاخــوان ولــد متــاخرا بــاربعين ســنة لاب واحــد هــو الــدعوات الجهاديــة للتشــكيلات المخصوصــة الــتي كانــت القــاهرة احــد اهــم ميــادين نشــاطها في زمــن مضى.[2]

قبــل مــوت جمــال عبــد الناصــر الــذي جعلــت منــه هزيمــة يونيــو اضــحوكة وســط العــالم قــرر الســماح بعــودة الــدعاة الاســلاميين للوحــدات العســكرية في صــدى لمــا فعلــه ايــام حــرب الســويس ١٩٥٦ عنــدما دعــا للجهــاد في الازهــر فقامــت اميركــا فــورا يومهــا بلجــم اســرائيل و بريطانيــا و فرنســا عــن مواصــلة الحــرب. بمــوت جمــال عبــد الناصــر بــدا الســادات بــاطلاق ســجناء الاخــوان الــذين اقــترب بعضــهم مــن قضــاء عقــدين مــن الزمــان خلــف الاســوار. يمكــن تلخــيص الوضــع الاســلامي في تلــك الفــترة بملحوظــة عبــد الله عــزام الــذي كــان يــدرس بــالأزهر ايامهــا بــأن "فتــاة واحــدة فقــط في جامعــة القــاهرة كانــت ترتــدي الــزي الاســلامي هــي

---

[1] راجع كتاب "أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيـــــرة العرب وغيرها" الذي كتبه حامد الفقي في ١٩٣٥ ابان زيارته للامارة السعودية و اطرى فيه على عبد العزيز آل سعود و جعل منه "صقر الجزيرة" و بطل الاسلام مع ان ملابسات استيلائه على الحكم كانت وقتها اشهر من ان تخفى على عالم كبير مثل الفقي و الغالب ان عبد العزيز رشاه.

[2] فضـلا عـن تـاثر عـدد كبيـر مـن عناصـر النخـب الدينيـة و العسـكرية القاهريـة لعقـود بعـد مـوت الدولـة العثمانيـة بـالميراث الفكـري و الحركـي للتشـكيلات المخصوصـة فـي العمـل الاسـلامي السـري المسـلح فـان هنـاك روابـط شخصـية مباشـرة بـين قيـادات نمـت تحـت رايـة التشـكيلات المخصوصـة و قيـادات جماعـة الجهـاد و مـن امثلـة ذلـك مـا يعـرف عـن تـاثر القيـادي المؤسـس لجماعـة الجهـاد ايمـن الظـواهري بسيرة اخو جده قيادي التشكيلات المخصوصة عبد الرحمن عزام باشا.

امينة قطب اخت سيد قطب" .لم يضيع بعضهم افراد الاخوان المفرج عنهم وقتهم حيث قامت زينب الغزالي مسؤولة القسم النسائي بالجماعة و نائبة المرشد العام الفعلية اثناء غيبته على سبيل المثال بتكوين خلايا نائمة بالتعاون مع طلال الانصاري بغرض التصدي لاحقا للنظام. كما بدأ السماوي بتكوين جماعة بايعه افرادها نادت بالتصدي لجاهلية المجتمع و تكوين مجتمع بديل. اما شكري مصطفى احد اشد السجناء صلابة في التعامل مع مسؤولي السجون الناصرية فقد خرج ليؤسس جماعة المسلمين التي اسمتها المباحث لاحقا جماعة التكفير و الهجرة. دعت الجماعة لمفاصلة المجتمع المصري الجاهلي و الاستعداد للهجرة لتكوين مجتمع اسلامي حقيقي .يمكن القول ان كثيرا من العناصر الشابة التي احضنتها جماعتي السماوي و شكري مصطفى انتقلت لاحقا بعد تفكك هاتين الجماعتين الى تنظيمات اخرى لتمثل ما يقرب من نصف القيادات الجهادية المصرية فيما بعد .

كانت جماعة المسلمين احد اسبق الجماعات للحركة في عهد السادات و لم تكن قيادة الدولة غافلة عنها و تذكر سجلات الشرطة انه اثناء انشغال العالم كله و مصر على الاخص بمجريات حرب اكتوبر و فيما كان حوالي مليون جندي مصري يقاتلون على بعد ٧٠ ميل من العاصمة المصرية خرجت قوات ميليشيا الداخلية في العاشر من اكتوبر لتداهم مغارات جبلية بالمنيا – البعيدة عن الجبهة و العاصمة – تحصن بها افراد الجماعة و لم يضبط لديهم الا بعض السيوف و الالات الحادة و ربما بضعة قطع من الاسلحة الفردية التي اتهموا بالتدرب على استخدامها . و مع ان الاقتحام كان يمكن ان ينتج

عنه صدام مسلح خاصة مع وفرة السلاح في صعيد مصر يومها ، الا ان الشرطة لم تأبه بأي رد فعل اعلامي قد يسفر عنه مثل هذا الصدام على الصعيد المحلي ،و ما كان للشرطة ان تقوم بعمل مماثل في خضم حرب طاحنة الا باذن من رئيس الدولة الذي وجد وقتا متسعا ليفكر في الامر بينما كانت دفاعات عاصمته تخترق و احد جيوشه محاصرا و على وشك ان يباد . و لعل تلك الغارة كانت اشارة من السادات لاميركا انه رغم انتشار الشعارات الاسلامية في جيشه الذي كان يهتف بصيحات التكبير اثناء القتال فإن الامر كان تحت السيطرة من جهة تصدي نظام الحكم لاي محاولة جدية لتطبيق الشريعة او الدعوة لذلك. دعم السادات ذلك التصور باختياره اللواء فؤاد غالي النصراني قائدا للجيش الثاني الميداني قبل اقرار اتفاقية الفصل بين القوات المتحاربة.

كادت الحرب تنتهي بكارثة بعد تمكن قوات اسرائيلية من عبور قناة السويس و محاولة احتلال مدينة السويس التي فرت عنها القوات النظامية لولا قيام المخابرات بتوزيع السلاح على ابناء الحركة الاسلامية مرتادي المساجد الذين تنادوا بالجهاد من فوق المآذن و شكلوا خلايا انضمت اليها فلول الجيش النظامي و احبطت الغزو فيما كانت قيادة المدينة على وشك تسليمها و فيما كان السادات يطلب من مجلس الامن نزول قوات اميركية و سوفيتية للسويس لوقف الغزو الاسرائيلي و اجبار اسرائيل على الالتزام بالهدنة.[١] و تسجل اضابير الحرب ان محافظ المدينة و بعض رجال الشرطة فيها كانوا كعادة اجهزة الشرطة على وشك الاستسلام و العمل مع القوات الاسرائيلية لولا ان نهاهم الشيخ حافظ

---

[١] اللواء جمال حماد،" المعارك الحربية على الجبهة المصرية في حرب اكتوبر ١٩٧٣"، ص٥١١

سلامة امام احد اكبر مساجد المدينة و كون مجموعات مسلحة من شباب مسجده هبت لوقف ارتال الدبابات الاسرائيلية المتقدمة حتى ان القيادة المصرية ردت على استفسار المحافظ و مدير الامن بخصوص التسليم بان امرتهم بالالتحاق بالمقاومة الشعبية التي كان يديرها الشيخ حافظ من مسجد الشهداء. و كان الشيخ في شبابه احد رجال مجموعة شباب محمد التي انشقت عن الاخوان المسلمين و ارتأت قتال النظام المصري و القوات البريطانية بقناة السويس لحين حلها في عهد جمال عبد الناصر بعد ان اعترضت على تنحية الشريعة و العلاقات الوثيقة مع روسيا الشيوعية، ثم اعتقل حافظ سلامة مع الاخوان المسلمين في العهد الناصري و بقى في السجن الى ما بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧.

بعد اطلاق سراح الشيخ اقترح على قيادة الجيش العمل فيما عرف بالقوافل الدعوية التي تطوف على وحدات الجيش لبث الروح الجهادية في الجنود فوافق جمال عبد الناصر على خروج مجموعات انضم لها الاخواني السابق الشيخ الغزالي و شيخ الازهر الصوفي عبد الحليم محمود و آخرون سيكون لهم دور هام فيما بعد حيث لعب المشايخ المنتسبين لتلك القوافل- و الذين سيصير كثير منهم نجوما بارزة- دورا هاما في التصدي للافكار و العمليات المسلحة المناوءة للدولة في بداية السبعينيات و الثمانينيات التسعينيات تحت اشراف الادارة العامة لمكافحة النشاط المتطرف بمباحث امن الدولة.[1] اما الشيخ حافظ الذي منعت وقفته بالسويس الجيش الاسرائيلي من سرقة نصر السادات و

[1] كانت ادارة مكافحة النشاط المتطرف بمباحث امن الدولة وريثة لتاريخ طويل في مكافحة الاسلام في مسيرة امتدت منذ القلم المخصوص او البوليس السياسي الذي اسسه الانكليز للتصدي للاسلاميين العثمانيين و الاخوان بعدهم ثم تحول بعد الثورة الى

احتلال مدينة مصرية كبرى على طريق مؤدي للقاهرة فقد سجنه السادات في نهاية عهده لانه جاهر برفض اتفاقية كامب ديفيد للصلح مع اسرائيل.

بعكس الصورة التي اشاعها الكتاب الشيوعيين و اللادينيين عن انور السادات لم يكن الرجل صديقا للاسلاميين و لم يكن تعاطفه مع الشأن الاسلامي هو ما دفعه للسماح لبعضهم بالعمل العلني في الجامعات. على العكس من ذلك تعرض انور السادات –الوافد من خارج الضباط الاحرار و تم ضمه بصورة شرفية نظرا لتاريخه السياسي في العمل ضد الانكليز– لاختبار في بداية الثورة لكشف مدى ولائه لتوجهات مجلس قيادة الثورة المعادي للاسلام خاصة و انه كان محسوبا على النفر "شبه المتدين" من الضباط الاحرار الذين عرف عنهم الالتزام بالصلاة و كان لأفراد منهم صلات جيدة بالاخوان. تلخص الاختبار في تعيينه عضوا بمحكمة الثورة العسكرية التي قامت باصدار احكام بالاعدام على اكبر قيادات الاخوان فلم يتردد مع ان الاخوان دعموا اسرته ماديا اثناء سنوات سجنه في عهد الاحتلال البريطاني لقيامه باغتيال سياسيين موالين للانكليز رغم انه لم يكن اخوانيا بل لمجرد انه محسوب على المقاومة فيما تحاشاه وقتها المقربون اليه. فضلا عن ذلك لم يطلق السادات جميع سجناء الاخوان فور توليه الحكم كما اشيع و لكنه استبقى بعضهم لسنوات حتى اكملوا عقدين في تهم ملفقة فيما كان باستطاعته العفو عنهم كما عفا عن رئيس شبكة جواسيس اسرائيل الكبرى في الطيران المصري الطيار ايهاب نافع المتهم بتسريب معلومات ساعدت في تدمير القوات الجوية المصرية

---

المباحث العامة بنفس ضباطه بعد استبدال قياداته بضباط جيش الى ان تغير اسمه الى امن الدولة في عهد السادات بنفس الضباط تقريبا.

في ١٩٦٧ و جواسيس آخرين غيره في الطيران و خارج الطيران. و كل ما في الامر ان ضعف و تهافت و قلة حيلة الدولة و استهتار الغرب بها اديا بالسادات الى استخدام السلاح الذي يلفت انتباه الغرب له و هو تخويفهم بالاسلاميين كما هدد عبد الناصر قبلها بالجهاد ايام حرب ١٩٥٦.

في الاشهر التي تلت الحرب ظهر الى الوجود تنظيم الفنية العسكرية الانقلابي. اسس التنظيم الدكتور صالح سرية و هو فلسطيني هاجر بعد سقوط الضفة الغربية الى الاردن ثم العراق و عمل في مراحل مختلفة مع الاخوان ثم حزب التحرير و انخرط في خطة انقلابية قام بها بعض الضباط المتاثرين بفكر الاخوان في الجيش العراقي و من ثم انتقل الى مصر للعمل في جامعة الدول العربية بعد انكشاف خطة الانقلاب. في مصر عرفته زينب الغزالي على خلايا اخوانية داخل الكليات العسكرية تحت اشراف طلال الانصاري يعاونه قائد خلية الكلية الفنية العسكرية الطالب كارم الاناضولي. كتب صالح سرية في تلك الفترة كتيبا سماه رسالة الايمان و دراسة اسمها "الحركة الاسلامية في ربع القرن الاخير". خطط صالح سرية تحت ضغط رفاقه لعملية انقلابية متعجلة تبدا باستيلاء رفاقه على احد الكليات العسكرية و تنطلق منها عبر القاهرة لتلقي القبض على الرئيس المصري و وزرائه اثناء انعقاد جلسة موسعة لمجلس الشعب و الاتحاد الاشتراكي الحاكم. فشلت العملية لعدم قدرة الخلية على التغلب على قوات حراسة الكلية الفنية العسكرية.

قبض على كثير من افراد التنظيم و حكم على صالح سرية و كارم الاناضولي و طلال الانصاري بالاعدام. خفف الحكم على الانصاري لاحقا الى السجن المؤبد و استبعد مهندس شاب اسمه محمد عبد السلام فرج من قرار الاتهام لعدم ثبوت تهمة بحقه. حاول يحيى هاشم الذي صار له خليته المسلحة وقتها انقاذ صالح سرية و رفاقه عن طريق تزييف اوامر ترحيل سجناء الا ان المحاولة اكتشفت. نفذ الحكم في صالح سرية و الاناضولي و لوحق يحيى هاشم و خليته الى مغارة صحراوية بسوهاج حيث قتل اثناء الهجوم. تفكك من بقي من تنظيم الفنية العسكرية و خلية يحيى هاشم الى خلايا اصغر. قامت احدى تلك الخلايا بقيادة محمد ياسر في الاسكندرية بعمليات بسيطة عام ١٩٧٧ ضد الشرطة و مباحث امن الدولة و الملاهي الليلية و احدى الكنائس فيما اتجهت خلايا القاهرة للاعداد.

انتبه النظام المصري عبر تلك الحوادث الى تزايد الخلايا الاسلامية المسلحة و الى وجود مشكلة امنية بمحافظات الصعيد بعد واقعتي تحصن شكري مصطفى ثم يحيى هاشم هناك. تم تبني مزيج من الحلول الشرطية و الاعلامية. على الصعيد الشرطي تم فتح المجال امام الجماعات المهادنة كالجماعة الاسلامية في المنيا و اسيوط. اعلاميا استنفر موظفي المؤسسة الدينية الحكومية و شيوخ القوافل الدعوية للرد على حجج تلك الجماعات. اتهمت الجماعات بتبني عقيدة الخوارج و الخروج على السادات الذي كان يروج له الاعلام الرسمي تحت اسم "الرئيس المؤمن" و يدعو في خطاباته لدولة

"العلم و الايمان" التي تحولت الى الدعوة لفصل الدين و السياسة في اخر ايامه. كان من اشد رجال السلطة هجوما على الجماعات الجديدة وزير الاوقاف الشيخ الذهبي.

ادت الجهود المكثفة من مشايخ الازهر الى ابطاء حركة الانضمام للجماعات الجديدة بصورة ملحوظة. حاولت جماعة المسلمين ايجاد مهجر تقيم فيه دولتها او ملجا تاوي اليه في فترة استضعافها بعد ان تزايدت مضايقات الشرطة لافرادها. نوقش اليمن كاحد الاختيارات و توجهت مجموعة من افراد الجماعة الى لبنان حيث استقرت في احد المخيمات الفلسطينية لفترة في بداية الحرب الاهلية اللبنانية و لكن افرادها تسربوا عائدين لمصر بعد قليل لشظف العيش و اعتبارات اخرى. كما ينقل عن احد خواص شكري مصطفى مقولة لا يعلم مدى صحتها انه حاول في اوج انتشار دعوته مساومة الولايات المتحدة على التنازل لها عن حكم مصر بما انها تملكها بالفعل في تقديره مقابل ان تسمح له باقامة دولة اسلامية في جزء من الصحراء الغربية و حدث اتصال بينه و بين السفارة الاميركية في هذا الشان.

في حادثة مشهورة فر عضوان من جماعة المسلمين، ارسلت الجماعة من يعيدهما فقاوما و تدخلت الشرطة. دعا شكري مصطفى زوجة احدهما لمفارقة زوجها[١] الا انها رفضت فسمح لها باللحاق به. قرر شكري مصطفى التصدي للحملة الدعائية الموجهة من مشايخ السلطة ضده باستخدام

[١] انضم الزوج لاحقا لجماعة الجهاد ثم اصبح مسؤولا شرعيا للقاعدة ثم تركها و التحق بالجماعة الاسلامية المصرية.

الجهاز العسكري للجماعة المعروف باسم الكتيبة الخضراء. اختطفت جماعته الشيخ الذهبي و ارسلت لائحة مطالب للحكومة. تضمنت المطالب اذاعة بيان الجماعة في التلفاز الرسمي و اطلاق سراح معتقلي الجماعة و مائتي الف جنيه. اذاعت الشرطة بيان الجماعة و ماطلت في تنفيذ المطالب الاخرى. اعتقلت الشرطة مراسل الجماعة فقتلت الجماعة الشيخ الذهبي برصاصة في الرأس. قبضت الشرطة على شكري مصطفى و اعضاء تنظيمه. ظل مساعده احمد طارق عبد العليم ضابط الشرطة السابق فارا لاسابيع بعدها قام اثناءها بتفجيرات بسيطة في الحافلات و دور الخيالة حتى تم القبض عليه. حكم على شكري و احمد طارق و آخرين بالاعدام في ١٩٧٧ و نفذ و سجن عدد آخر من افراد الجماعة لفترات متفاوته. ظل شكري مصطفى حتى لحظة شنقه يتحدى حراسه و يقول لهم بان الله لن يمكنهم من قتله.

بينما كان علماء المؤسسة الدينية الازهرية يعتقدون ان الصحوة الاسلامية ستصب في مصلحتهم من جهة الحصول على نصيب اكبر من السلطة في نظام لا يقيم للمشايخ وزنا فعليا، فوجئوا بان الشباب في التنظيمات الجديدة لا يعترف لهم بأي فضل ايضا. ازعج الكثير منهم اغتيال الذهبي مما يسر مهمة مباحث امن الدولة في حثهم على التعاون لمواجهة التهديد الفكري الدعائي الذي تمثله الجماعات المسلحة الجديدة. نبشت عقيدة الارجاء من قبرها و بدأ العمل لنشرها على اوسع نطاق لتنتهي مرحلة و تبدأ مراحل في تاريخ الحركة. ليس هذا فحسب بل سمحت الدولة لفرط انزعاجها -بداية

من تلك المرحلة- لدعاة العقيدة النيوسلفية[1] السعودية بمزاولة نشاطهم في البلاد عسى ان تلطف تلك العقيدة -الشبيهة في اهم مرتكزاتها مع القاديانية- من غلواء الشباب و تسهل انقيادهم للدولة كما يسرت من قبل انقياد اعراب الجزيرة لبريطانيا .

## الجماعة الاسلامية

على خلاف الجماعات الاخرى التي نشأت نشاة سرية او على يد افراد مضطهدين من النظام المصري حظيت الجماعة الاسلامية بنشأة شبه رسمية. ظهرت الجماعة للوجود في جامعتي المنيا و اسيوط على يد اعضاء في منتدى "الاسرة الدينية" المصرح به بالجامعة. مارس المؤسسون دعوتهم بتصريح و تنسيق و اشراف علني من الحرس الجامعي الخاضع للمباحث العامة او مباحث امن الدولة لاحقا . ضم جيل المؤسسين صلاح هاشم و محمود شعيب و اخرين. تحورت الاسرة الدينية بنهاية فترة التأسيس الى مسمى الجماعة الاسلامية كجزء من التنظيم العام على مستوى الجامعات المصرية و الذي ترأسه حلمي الجزار و عصام العريان و ابو العلا ماضي و عبد المنعم ابو الفتوح. ادى تخرج جيل المؤسسين من الجامعة في منتصف السبعينيات الى ظهور الجيل التالي الاكثر شهرة الذي ضم

---

[1] المعروفة حاليا بالجامية المدخلية.

الطالب بمعهد التعاون الزراعي كرم زهدي و طالب الطب ناجح ابراهيم و طلعت فؤاد قاسم و علي الشريف.

كان النظام منزعجا من تنامي شعبية جماعة المسلمين بقيادة شكري مصطفى بالصعيد فسمح للجماعة الاسلامية بالتوسع. و على خلاف ما يردده الماركسيون من ان الدولة شجعت نمو الجماعة لضرب تيارهم كانت قيادة الجماعة واعية بالاهداف الحقيقية المطلوبة منها. فقد صرح ناجح ابراهيم في يونيو ٢٠٠٧ لجريدة المصري اليوم بعد ثلاثين عاما من تاسيس الجماعة بان "الجماعة انجزت الكثير و على راس ذلك التصدى لنمو تيار "التكفير و الهجرة"[١] (جماعة المسلمين) بالصعيد."[٢] فضلا عن ذلك تصدت الجماعة بحزم لتمدد تيار الاخوان المسلمين الى مناطقها و قتلت عضوا في جماعة الاخوان اثناء احدى المواجهات التي نتجت عن رغبة الجماعة في السيطرة على احد المساجد. لم يكن هناك جماعة اسلامية اخرى في تلك الفترة تقوم بمسيرات علنية و مظاهرات و يلتقي قادتها علنا بقيادات الشرطة لتنسيق المواقف الا الجماعة الاسلامية.

اثرت ظروف نشأة الجماعة في عقيدتها فبينما تبنت بعض الجماعات الاخرى فكر تكفير عوام المصريين او موظفي الحكومة فقط او كلاهما نأت الجماعة بنفسها عن ذلك و كانت عقيدة الجماعة

---

[١] انظر ملحق ٦

[٢] لم تكن الجماعة الاسلامية الصعيدية وحدها التي ركبت موجة "مكافحة التكفير" بل ان جماعة الجهاد عقدت في ١٩٨٠ مؤتمرا شبه علني ببني سويف استضافه محمد سعد تحت مسمى التصدي للتكفير. عبد المنعم جمال الدين،"دليل الحركات الاسلامية المصرية".

تعتـبر ان الاصـل في ضـباط الشـرطة و مباحـث امـن الدولـة الاسـلام علـى خـلاف الجماعـات الاخـرى. و يلقـي خطـاب ارسـله رفـاعي طـه احـد اهـم قـادة الجماعـة و مسـؤولها العسـكري الشـهير الى كـرم زهـدي في سـجنه مـن خـلال المحـامي منتصـر الزيـات[١] باضـواء سـاطعة علـى عقيـدة الجماعـة حيـث ذكـر كـرم بقـراره في السـبعينات بمنـع الشـيخ السـيد العربـي مـن محاضـرة منسـوبي الجماعـة لأن معلومـات وردت بـأن ميولـه تكفيريـة مـع ان الشـيخ المـذكور متـهم عنـد كـثير مـن خصـومه بالارجـاء و لا يعـرف عنـه تكفـير عـوام المصريين و تلهج مقالاته بالثناء على علماء الحكومة السعودية.[٢]

امـا النقطـة الأخـرى الـتي ذكرهـا رفـاعي في خطابـه فتعلقـت بمـا كـان افـراد الجماعـة يقومـون بـه مـن اعـتراض لمتعـاطي المخـدرات و مـرتكبي الفـواحش و تسـليمهم للشـرطة ممـا عـد اعترافـا بسـلطة الدولـة و الداخليـة بينمـا كانـت الجماعـات المسـلحة الأخـرى تجمـع علـى تكفـير نظـام الحكـم و الحـاكم و علـى الأخـص رجـال الشـرطة. يقـال ان رحلـة عمـرة جماعيـة لقيـادات الجماعـة بعـد منتصـف السـبعينات و لقـائهم اثناءهـا بمسـؤولي الهيئـة الدينيـة الرسميـة السـعودية اقنعتـهم بتـبني نهـج هيئـة الأمـر بـالمعروف و النـهي عـن المنكـر و التعـاون مـع المباحـث. و قـد فسـر احـد قـادة طلعـت فـؤاد قاسـم(ابـو طـلال) الأمـر في بحثـه مـن داخـل سـجن ليمـان طـرة الـذي اسمـاه "الرسـالة الليمانيـة" و اعتـبر فيـه الحكـم المصـري طائفـة مسـلمة ممتنعـة ممـا

---

[١] منتصر الزيات، " الجماعات الاسلامية رؤية من الداخل"

[٢] فـي تقديمـه لكتـاب "٢٠٠ سـؤال و جـواب فـي العقيـدة" يزكـي الكتـاب الـذي يجعـل مـن امـارات الانتمـاء الـى اهـل السـنة و الجماعـة فـي عصرنا ان يقول الرجل "انا احب ابن باز و ابن العثيمين(اثنان من العلماء الرسميين بالسعودية) و ابن تيمية و ابن القيم".

دعا سيد امام امير تنظيم الجهاد يومها الى تكفيره و الدعوة لاستتابته. كما نشرت الجماعة لاحقا كتاب "حكم الطائفة الممتنعة" الذي سيعتبر دستورها في التعامل مع النظام.

كان تأثر الجماعة بنهج هيئة الامر بالمعروف و النهي عن المنكر جزءا من اختراق واسع قامت به المخابرات السعودية للحركة الاسلامية المصرية المسلحة الوليدة، حيث تم تبني عناصر من المصريين العاملين بالخليج و بعض الكتاب و شيوخ الازهر المبتعثين المتطلعين للمال اثناء وجودهم بالسعودية ليعودوا دعاة لمملكة" الخير و التوحيد" بقية السلف الصالح و دولة الخلافة الراشدة و اصبح كل رأي او عمل لا يدعمه سند من ذكر علماء المملكة و هيئة كبار العلماء[1] خارجا عن السلفية و العقيدة القويمة فيما وصم كل فكر محلي المنبت بالبدعية و الانحراف العقائدي حتى وصل الامر ان بعض "السلفيين" المصريين في بني سويف طلبوا موافقة مفتي السعودية للخروج على السادات و قتله.

كان اعتبار الدولة السعودية الثالثة منبتا للسلفية مخالفا للحقيقية، فلم تكن عقيدة اهل السنة و الجماعة بداية مقتصرة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب بنجد بل كان اشهر مفكريها في العصور المتأخرة الشيخان ابن تيمية و ابن القيم و غيرهما من رعايا الدولة المملوكية بالشام و مصر و ان خلت الديار المصرية لفترة اثناء الحكم العثماني من حملة لواء تلك الدعوة الا ان الشام لم يخلو و قد

---

[1] ذكر قيادي الجماعة محمد خليل الحكايمة "ابو جهاد الاعلامي" في شريط الثابتون على العهد ان للجماعة الاسلامية الصعيدية "ادبيات و ابحاث" حددت اصولها الشرعية و عرضت تلك الابحاث على بعض اعضاء هيئة كبار العلماء الحكومية بمكة سنة ١٩٨٨ و اقروها.

ادت قلاقل الشام في بداية القرن العشرين الى هجرة علماء من حملة ذلك الفكر الى مصر.[١] و كان الشيخ محمد حامد الفقي الشبراخيتي الحنبلي[٢] مؤسس جماعة انصار السنة المحمدية بمصر داعية سلفيا في الازهر قبل ان تظهر دعوة اخوان نجد للعالمية و يروى عنه انه كان يأخذ العهد على زملائه من طلبة الازهر ان يعاونوه في نشر العقيدة السلفية الصحيحة بعد تخرجهم، و يقال ان شيخا الازهر عبد المجيد سليم و الشيخ شلتوت (الذي صار لاحقا مفتي جمال عبد الناصر) كانا يشاطراه العقيدة السلفية في بداية امرهما قبل التحاقهما بخدمة الحكومات. كما لم يكن الشيخ محمد خليل الهراس باني المعاهد العلمية بالمملكة المتخرج برسالة دكتوراه من الازهر في ١٩٤٠ عنوانها "ابن تيمية السلفي" نجديا و لم يتلقى العلم باسانيده عن الحاج عبد الله فيلبي ابو كيم. فضلا عن المذكورين كان من سلفيو مصر في تلك الفترة المحدث احمد شاكر[٣] اكبر علماء الحديث في زمانه و عبد الرزاق عفيفي المنوفي[٤] الازهري شيخ معظم اعضاء هيئة كبار العلماء السعودية و لو لم يكن لخليل هراس و احمد شاكر علم لما دعاهما عبد العزيز ليعلما علماء نجد الاعراب الحديث و السنة الا ان كان له غرض آخر غير معلن.

[١] تم استبعاد محب الدين الخطيب و محمد رشيد رضا من مجموع العلماء السلفيين لوجود وثائق تدل على تعاونهما في مجال العمل الاعلامي مع المخابرات البريطانية ورجالها في نجد و الحجاز و البصرة و التمهيد "للثورة الاعرابية" و يبدو ان كثيرا من العلماء الذين انتقلوا من الشام العثماني الى مصر البريطانية و حملوا لواء عقيدة اهل السنة و الجماعة كانوا عملاء لبريطانيا.

[٢] حماد الانصاري ،"المجموع"، ج١ ص ٢٩٤-٢٩٧ ذكر الشيخ ان اول اهتمامه بالدعوة السلفية كان في بدايات القرن العشرين الميلادي عند مروره بالطريق يوما في بلده البحيرة على فلاح في حقله يقرأ "اجتماع الجيوش الاسلامية" لابن القيم فضلا عن ان والده قسم ابناءه بين المذاهب الفقهية لدى التحاقهم بالدراسة الازهرية فكان نصيب الفقي دراسة الفقه الحنبلي.

[٣] دبج في مطلع تحقيقه لمسند احمد مدحا كثيرا لعبد العزيز آل سعود و سماه ا"الامام العادل"لانه اشترى نسخا كثيرة من كتابه.

[٤] بايع الملك فيصل بن عبد العزيز و منح الجنسية السعودية نظير خدماته.

تبنت الجماعة اسميا العقيدة السلفية كما فسرها كرم زهدي الا ان هذا لم ينطبق على بداياتها فقد خرج كرم زهدي في ١٩٧٩مع قيادات الجماعة على رأس مظاهرة ضخمة بجامعة المنيا لتأييد الثورة الرافضية في ايران. تشابكت العلاقات الايرانية مع الجماعة لاحقا حيث وجد كثير من قياداتها ملجأً و سنداً لدى طهران التي سمحت بفتح مكتب تمثيلي للجماعة اداره آخر قادة جناحها العسكري مصطفى حمزة "ابو حازم" في التسعينات و عمل فيه الى جانبه" ابو جهاد الاعلامي" الحكايمة بعد اغلاق مكتب الجماعة الاعلامي ببيشاور في بداية التسعينيات و رحيل مدير المكتب طلعت فواد قاسم الى الدنمارك.

في الواقع ان العقيدة و سياسة الجماعة بدأت تخضع لرؤى حلقة صغيرة من طلبة الجامعة المتعاونين مع مباحث امن الدولة على رأسهم كرم زهدي- ممثل مجموعة مدينة المنيا الأقوى داخل الجماعة –و تابعه ناجح ابراهيم ممثل مجموعة اسيوط و معهم اسامة حافظ و طلعت فؤاد قاسم و علي الشريف و رفاعي طه و محمود شعيب و حمدي عبد الرحمن السوهاجي. امتازت تلك المجموعة و خصوصا كرم بالعنف الشديد مع مخالفيها داخل و خارج الجماعة. و يروى الكثير عن عمليات القوى الضاربة للجماعة ضد معارضيها داخل السجون و ان لم يعرف عنها نفس الشراسة تجاه الشرطة. كانت شراستهم ضد خصومهم الاضعف تظهر احيانا فيما اشتهر عن كرم و علي الشريف من

استمتاع بصعق و تغريق القطط الضالة التي كانت تتسلل الى زنزانات سجنهم وسط صيحات التكبير.

و على خلاف الجماعات الأصولية الأخرى التي عادة ما تنادي بعالمية الانتماء الاسلامي ووحدة الأمة و نبذ العصبيات القومية الجاهلية بدأت الجماعة تحت قيادة تلك الحلقة في تبني عقيدة شعوبية تعلي من شأن "الإنتماء الصعيدي" . و ترتكز تلك العقيدة على ان الشعب الصعيدي سليل بناة الأهرام الفراعنة و القبائل العربية الفاتحة هو منبع الاسلام و النخوة و الأحق باستلام القيادة و الحكم من القاهريين و اهل الوجه البحري المسيطرين الذين جعلوا ابناء الصعيد العظام مادة للنكت و السخرية و حصروهم في ادوار بوابي العمارات و بائعو الفاكهة المتجولين و ماسحو الأحذية. و لعل تبني هذه العقيدة القبلية كان احد اسباب الإستغناء عن دروس السيد العربي الشبراوي القاهري. لم يجاهر كرم و صحبه بشعوبيتهم في البداية و لكنها توطدت في الثمانينات و التسعينات اثناء مدة سجنهم. طبقا لتلك العقيدة غير المعلنة يأتي ابناء مدينة المنيا على رأس الشعب المختار يليهم اهل مدن المنيا الاخرى ثم اسيوط ثم اهل الصعيد "الدواني" الممتد من سوهاج و قنا الى اسوان وصولا الى اسفل الهرم حيث يوجد اشباه الصعايده من بني سويف و الفيوم و الصعايدة المستوطنين حديثا بالقاهرة. تم تبني هذه الفكرة القومية لترسيخ سيطرة كرم و مجوعته الذين كانت تنقصهم كثير من المؤهلات و الكفاءات مقابل قيادات اسلامية اخرى اكثر علما و اقدم تاريخا .في هذه المرحلة قطعت قيادة

الجماعة الاسلامية الصلات التنظيمية التي ربطتها بالجماعة الاسلامية الام في الجامعات المصرية بقيادة حلمي الجزار و بدأت تتبنى نهجا جديدا .

كان اختيار قيادة الجماعة لتنمية التوجه القومي الصعيدي يهدف لضمان احتكار كرم و مجموعته للقيادة في وجه بدائل مكونة من شخصيات قيادية اسلامية تملك مؤهلات لا تتوافر لدى مجموعة من الطلبة الجامعيين. عدا ذلك لم يكن للصعيد ما يميزه عن باقي انحاء مصر سوى وجود اكبر و اعنف اقلية قبطية في البلاد نظرا لتأخر كثير من اهل الصعيد في اعتناق الاسلام الى ما قبل العصر العثماني بقليل. كما تميز الصعيد بعشائرية لم تفقد كثيرا الا في نزاعات الفلاحين على الاراضي و المحاصيل حيث يحدث كثيرا ان يقتتل بعضهم بسبب حبات من الذرة او حمار اكل نبتة من حقل جاره و لكن نادرا ما تحركت هذه العصبية لغرض اسلامي، اما القيم الاجتماعية الشائعة فما زال كثير من اهل الصعيد يعيشون طبقا للعادات الفرعونية الوثنية مع اختلاف يسير في الملبس و اللغة. كانت بدعة كرم و رفاقه هي اول سابقة لفرقة اسلامية ذات توجهات قومية في مصر المعروفة بتجانس شعبها و خلوه من العصبيات القبلية باستثناء سكان البوادي.

بعد الاستغناء عن خدمات السيد العربي واجهت قيادات الجماعة مشكلة الواجهة الاعلامية العلمية حيث كانوا جميعهم طلبة جامعيين حداث الاسنان لم يحظوا الا بقسط ضئيل من التعليم الحكومي الرديئ. تم جلب عميد كلية ازهري عرف بمواقفه السياسية الشجاعة هو الشيخ عمر عبد الرحمن

ليتولى قيادة الجماعة صوريا . لم يكن عمر عبد الرحمن يملك مخالفة كرم زهدي، في احدى المناسبات احتاج كرم للمال فقرر سرقة متجر ذهب لنصراني و طلب فتوى بجواز العمل من عمر عبد الرحمن فوافق بشرط ان يكون النصراني ممن يمدون الكنيسة بالسلاح مع ان هذا امر لا يمكن معرفته. قام علي الشريف بسرق المتجر و وزع المال و اصبح كرم زهدي يومها مالكا لسيارة في مدينته التي كان معظم اهلها ينتقلون بالحمير.

على صعيد آخر بدأت الخلايا الجهادية بالقاهرة تنشط و تستعد لعمل انقلابي ضد النظام. تولى سالم رحال الاردني توحيد الخلايا الا ان الادارة العامة لمكافحة النشاط المتطرف اشتبهت في امره و قامت بترحيله خارج مصر فتولى القيادة المهندس محمد عبد السلام فرج و ضم عددا من ضباط و جنود الجيش. لم يكن العدد كافيا لاحداث انقلاب من داخل الجيش فتقرر ان يقوم الاعضاء العسكريين بتدريب الاعضاء المدنيين. تم استنفار الخلايا لجلب العتاد و الافراد و اشيع مع كثير من المبالغة المعتادة ان للتنظيم وجود داخل الجيش و الاجهزة الامنية مع ان اعلى رتبة انضمت للتنظيم لم تتجاوز مقدم مخابرات حربية،كما اشيع ان التنظيم على وشك الاستيلاء على الحكم. علم كرم زهدي و رجاله بالامر فخشوا ان يتم قلب النظام بدون ان ينالوا نصيبا من مناصب القيادة. هرع كرم زهدي في سيارته الجديدة الى القاهرة حيث انضم الى تنظيم الجهاد في مجلس شورى موحد اميره محمد عبد السلام فرج و عرض تقديم الرجال لدعم خطة محمد عبد السلام. بادر محمد عبد السلام

بارسال ضابط متقاعد من التنظيم هو نبيل المغربي لتدريب افراد الجماعة الاسلامية كما اشترك عبود الزمر و عباس شنن من الجيزة في تدريب من يفد من الاعضاء من الصعيد .

بعد تدريب بعض قيادات الجماعة و خواصهم اكتشف كرم ان تفاؤل قياديي القاهرة فيما يخص قدرتهم على قلب النظام و تعاطف افراد من الجيش معهم مبالغ فيه و بالتالي فان الخضوع لقيادتهم صار امرا غير مبرر. كان عدد اعضاء الجماعة الاسلامية العاملين يومها لا يتعدى الاربعمائة عضو بشهادة ناجح ابراهيم و لم يتعد اعضاء تنظيم الجهاد القاهري الف عضو، و بالتالي لم يكن التنظيم الجديد الموحد يملك الافراد او الكفاءات اللازمة لادارة دولة عدد سكانها يومئذ خمسون مليون فضلا عن ادارة محافظة مصرية واحدة من ست و عشرين. كان بديهيا ان الحكم سيسلم للاخوان المسلمين.[١] لم يمانع كرم الا بعد ان اكتشف ضعف التنظيم القاهري فبدأ يتخذ من الامر ذريعة للتنصل من التزامه تجاه قيادة التنظيم الموحد . و بما انه رأى عدم جدوى العمل مع الجهاد فقد رأى عدم اخضاع افراد جماعته لقيادة محمد عبد السلام. و حفظا لماء الوجه على ما يبدو فقد تقرر تبني خطة هزلية تكتيكيا تقضي بان يبقى رجال كرم تحت قيادته في اسيوط انتظارا لساعة الصفر حين يقومون ب"زحف شعبي" الى القاهرة .

---

[١] من ضمن الترتيبات التي اشيع ان الحركة وافقت عليها في حالة نجاح الانقلاب تسليم الحكم للجنة شورى من كبار علماء المسلمين و اقترحت اسماء الشيوخ الغزالي(قيادي اخواني قديم) و الشعراوي(صوفي) و عمر التلمساني(المرشد العام للاخوان) و عمر عبد الرحمن. "تنظيم الجهاد، الفكر .. الجذور .. السياسة "، دكتور محمد مورو، ص٥٣.

نجح محمد عبد السلام في قتل السادات و خشي كرم ان يتبع ذلك استيلاء جماعة القاهرة على الحكم منفردة او لعله ظن انه يستطيع الاستقلال باسيوط ، لم تكن الفكرة غريبة فقد ناقش الرأي العام المصري وقتها لسنوات مطلب بعض اقباط الصعيد بجمهورية قبطية مستقلة في اسيوط. قامت خلية من الجماعة بالهجوم على مديرية شرطة اسيوط و قتلوا عشرات من جنودها و ذبحوا نائب مدير الامن النصراني. حلقت طائرة مقاتلة فوق المدينة ففر رجال كرم و اختبئوا حتى قبض عليهم بعدها بساعات. انتهت تلك المرحلة بعد مقتل السادات في اكتوبر ٨١ لتبدأ مرحلة اخرى استمرت عشرين سنة امضاها كرم و كثير من قيادات جماعته داخل السجون.

كان من اول ما فعله افراد الجماعة بعد دخولهم السجن هو الصيام شهرين تكفيرا عن قتل جنود الشرطة بناء على فتوى عمر عبد الرحمن. انقسم افراد تنظيم الجهاد/الجماعة الموحد داخل السجن الى قسمين. التف احداهم حول كرم زهدي و زمرته و برز في القسم الاخر الرائد عصام القمري و عبود الزمر و ايمن الظواهري. اشيع ان سبب الانقسام هو الخلاف على قيادة التنظيم الموحد و عما اذا كانت تسند للشيخ عمر عبد الرحمن الذي برئ و اطلق سراحه ام للمقدم عبد الزمر. دفع البعض بعدم جواز تولية امارة الجماعة للشيخ عمر كونه ضريرا فرد "الكرميون" بعدم جواز تولية عبود الزمر كونه اسيرا، عرف الخلاف اعلاميا بخلاف الضرير و الاسير. لم يكن الامر كذلك، كان الامر ببساطة

نزاعا بين كرم و منافسيه و لم يكن كرم مستعدا للتخلي عن منصبه كامير لاي كان ضريرا او اسير، حرا او بصير. كانت هذه نهاية التحالف الهش بين جماعة كرم و تنظيم الجهاد .

في منتصف الثمانينات بدأت الشرطة تطلق سراح سجناء الجماعة ممن قضوا احكامهم. على الصعيد العام لم تمنع الجماعة من ممارسة نشاطها في المساجد بالقاهرة و الصعيد لحاجة الشرطة لفكر الجماعة لمقاومة تيارات اخرى. اتجه بعض المطلق سراحهم الى خارج مصر و بقي البعض بالداخل و بذلك تشعبت الجماعة الى ثلاث مكونات، الجماعة الاسلامية بالسجون و تضم معظم القيادات، و الجماعة بمصر و الجماعة خارج مصر. اتجه من تركوا مصر الى السعودية غالبا و من هناك تم ارسال البعض لافغانستان. بعد وصولهم عملوا تحت لواء مكتب الخدمات بقيادة عبد الله عزام لفترة ثم اختاروا الاستقلال عنه و العمل لصالحهم طمعا في الربح الناتج عن العمل كمقاولي انفار مستقلين. ارسلوا بعض الرجال ليقاتلوا في صفوف حكمتيار ثم عملوا الى جانب سياف وادارو معسكر تدريب خاص بهم بجوار احد مراكزه.

كانت الوجوه الابرز في جماعة الخارج هي طلعت فؤاد قاسم المكنى ابو طلال القاسمي و معه رفاعي طه ابو ياسر و مساعده مصطفى حمزة ابو حازم و بصفة شرفية محمد شوقي الاسلامبولي اخو الملازم خالد الاسلامبولي منفذ عملية قتل السادات للاستفادة من سمعته بصفته "اخو الشهيد" و للتدليل على ان الجماعة الصعيدية هي التي قتلت الساداتّ و هو ما لم يكن صحيحا من جهة ان

خالد الاسلامبولي كان يعمل ضمن مجموعة محمد عبد السلام فرج و عبود الزمر بالقاهرة و كانت دروس عبد الله السماوي بالقاهرة من اكبر المؤثرات على توجهاته مقارنة بمجرد مولده في المنيا كما لم يكن اي من شركائه الثلاثة الآخرين في عملية قتل السادات صعيديا او منتميا للجماعة الصعيدية التي كان يغلب على افرادها و قياداتها صفات عصابات الشوارع ذوي الخلفية الريفية الذين يحطمون واجهات المقاهي و يضربون الخصوم بالعصي اكثر منهم افراد اطقم العمليات السرية العسكرية و فرق الاغتيال المحترفة و قد تجلى ذلك عندما ارسل لهم عبد السلام فرج ملازم الاحتياط نبيل المغربي ليدرب قيادات الجماعة الصعيدية على استعمال السلاح الفردي. فضلا عن ذلك اضطلع عبد السلام فرج و ايمن الظواهري و عبود الزمر و عصام القمري و كلهم من مجموعة القاهرة بالدور الرئيس في اعداد و اخفاء الاسلحة و الذخائر و القنابل اللازمة للعملية و الحصول على خرائط المواقع العسكرية الحيوية بالقاهرة للسيطرة عليها بعد نجاح العملية. و لا شك ان من استحوذ على كل تلك الاركان المادية هو من قام بالتخطيط.

برز في نهاية الثمانينات دور مجموعة الخارج حيث تأسس مكتب اعلامي للجماعة ببيشاور اداره طلعت فؤاد و ابو جهاد الاعلامي الحكايمة احد مندوبي الجماعة بايران و اصدر المكتب جريدة المرابطون الناطقة باسم الجماعة. كما رفع من اسهم مجموعة الخارج حصولها على تمويل للجماعة من

بعض الجهات الاغاثية بتزكية بن لادن. في مصر استمرت شعبة الجماعة بالسجون في حث الشعب الاخرى العمل لاطلاقها مع التمسك بمؤلفات الجماعة ذات الموقف شبه المهادن مع نظام الحكم. اما اعضاء الجماعة بمصر خارج السجون فقد استمروا بدعوتهم العلنية في مساجدهم و شهدت عضوية الجماعة نموا مع الامتداد لتجمعات النازحين الصعايدة في القاهرة و المدن الكبرى كما شهدت مساجد الجماعة تجنيدا عمليا للذهاب لافغانستان. لم تتعد المواجهات مع الشرطة حملات اعتقال منتظمة للاعضاء المشاركين في معسكرات الكاراتيه و دروس المساجد، كان الاعتقال عادة لبضعة ايام بغرض توثيق هويات الاعضاء الجدد في قاعدة بيانات الادارة العامة لمكافحة النشاط المتطرف ثم يطلق سراحهم، اثمرت هذه القاعدة نجاحات باهرة للشرطة عندما حان اوان المواجهة مع الجماعة في السنوات التالية.

الا ان هذا الهدوء عكره في نهاية الثمانينات امرين، اولهما قيام خلايا من جماعة السماوي[1] بالقاهرة بهجمات على دور الخيالة و نوادي الفيديو و المسارح بالاضافة لقيام خلايا من تنظيم اسمته الادارة العامة لمكافحة النشاط المتطرف بامن الدولة "الناجون من النار" بهجمات على وزراء داخلية و رؤساء صحف لا دينيين. اما ثاني العوامل التي استجدت فكان حدوث انشقاق في الجماعة فرع الفيوم حيث قام احد قيادييها و اسمه شوقي الشيخ باتهام قيادة الجماعة بالارجاء و التعاون مع النظام

[1] اعتقل السماوي بسبب تلك العمليات و سلط عليه صبية الجماعة الاسلامية الصعيدية لضربه داخل السجن بصفته خارجيا تكفيريا مبتدعا، ثم اعتزل بعد خروجه الى ان اعتقل في العقد الثامن من عمره قبل موته في ٢٠٠٩ بسنة واحدة.

و بالتالي تكفيرها و التف حوله كثير من اعضاء الجماعة و غيرها بالفيوم و خارجها فيما بعد و حدثت بينهم و بين الجماعة اشتباكات مسلحة اسفرت عن اضعاف ان لم يكن انهاء اي وجود ذي قيمة للجماعة بتلك المحافظة. ردت امن الدولة على تلك التطورات على مسارين؛ اولهما موجه لعوام المصريين لتنفيرهم من الانضمام للتيار الاسلامي المسلح و قد تجلى ذلك الجهد فيما عرف بالبيان الثلاثي سنة ١٩٨٩ حيث استعانت الدولة ببعض مشاهير دعاة الاخوان و الصوفية مثل الغزالي و القرضاوي و الشعراوي لاصدار بيان عام للشعب المصري يدرأ عن الدولة و رئيسها تهمة الخروج عن الاسلام و تهمة تعطيل الشريعة و اكد اصحاب البيان للشعب المصري ان الشريعة مطبقة في مصر باستثناء "بعض الحدود". اما المسار الثاني اللاحق –و كان موجها لاعضاء الحركات الاسلامية نفسها– فقد شمل اطلاق حرية الدعاة المشهورين لدى الشباب لنهيهم عن الخروج على الدولة و التفرغ بدلا من ذلك لاعداد انفسهم لما اسموه المواجهة الوشيكة مع اسرائيل و الولايات المتحدة. من ناحية اخرى سمح للجماعة الصعيدية بصفتها اخف الضررين بالنشاط الدعوي التنظيمي العلني لكبح جماح تيارات فكرية اكثر ازعاجا للنظام مثل ما يعرف امنيا بالتيار التكفيري المسلح و التيار الانقلابي الساعي لاختراق الجيش الذي تمثله جماعة الجهاد .

خشيت قيادة الجماعة من شيوع تهم عمالتها لاجهزة الامن و انحراف عقيدتها مما قد يؤدي لانصراف الاعضاء الجدد عنها فسمحت على استحياء بمحاولة تفجير فاشلة ضد وزير الداخلية زكي بدر و

بدأت تمد يدها لبعض قادة الخلايا القاهريين من غير الصعايدة ليسمحوا لها باعلان مسؤوليتها عن بعض الاعمال التي يقومون بها و الاستعانة بهم في تأسيس جناح عسكري في المدن لحين اعداد كوادرها، كما ارسلت اشارات لجناح افغانستان لارسال عناصر مدربة. ردت الشرطة على ما اعتبرته خروجا من الجماعة عن النص و على طلبات الجماعة باطلاق سجناءها بعنف اسفر تصاعده من الجانبين عن قيام الجماعة بمحاولة قتل وزير الداخلية و لكنها اخطأت سيارته و قتلت رئيس مجلس الشعب بدلا منه . بررت الجماعة العملية بانها رد على اغتيال الدكتور علاء محيي الدين الناطق باسمها على يد مجهولين قالت انهم من امن الدولة دافعة بذلك عن نفسها تهمة الخروج على ولاة الامور و بدئهم بالقتال.

في ذلك الوقت كان التمويل متوافرا و دعايات الاسلاميين بخصوص انتصارهم على الروس ووجود كتائب مدربة في افغانستان مستعدة لتحرير بلاد الاسلام قد ادار رؤوس قيادات الجماعة الذين مر على وجودهم بالسجن حوالي عشر سنوات و الحسد ياكلهم على ما يصلهم بخصوص ما ينعم به اخوانهم خارج مصر من مال و سلطة فاتخذ قرار بتفعيل العمليات العسكرية و الرد على استفزازات الشرطة، ولعل تلك القيادات ظنت ان الفرصة قد حانت لاول مرة منذ اغتيال السادات لقلب النظام او الخروج من السجون. في هذا الوقت بدأت تنتشر الاساطير عن بطولات ابناء "الدَماعة" (باللهجة الصعيدية) و ان رئيس الولايات المتحدة لا ينام الليل بعد كل بيان يصدره ناجح ابراهيم من محبسه، و

انتشرت مقولة "النظام بيترنح يا مولانا" على لسان الاعضاء كوصف لنتيجة الصراع مع الحكومة، بالاضافة لذلك انشأت الجماعة لجانا اسلامية في بعض المناطق التي يتواجد فيها اعضاءها بكثافة كبعض احياء القاهرة العشوائية التي استوطنها نازحو الصعيد مثل عين شمس و امبابة و بدأت هذه اللجان بتقديم بعض الخدمات البسيطة ثم تطورت الى القيام بحملات امر بالمعروف و نهي عن المنكر. وطد ذلك لصدور مقولات روجتها الصحف الغربية عن جمهوريات اسلامية مستقلة في القاهرة.

شملت عمليات الجماعة محاولات اغتيال فاشلة لبعض الوزراء و اشتباكات مع الشرطة في الصعيد. ردت الشرطة بعنف شمل اغتيال بعض ناشطي الجماعة و اعتقالات في اوساط قراهم و اسرهم و حملات تعذيب للمعتقلين طاولت مئات الالاف. كما اعتقل كثير من اعضاء و متعاطفو الجماعة من سكان عشوائيات القاهرة. كانت اشاعات ان "الصعايدة قادمون(للحكم)" و "النظام بيترنح" قد جذبت للجماعة الاف الوصوليين في العقد الثاني من حياتها. انتقل هؤلاء الى السجون حيث وضعتهم الشرطة تحت سلطة قادة الجماعة السجناء القدامى. و نظرا لخبرة الآخرين التنظيمية داخل السجون فقد تمكنوا من توفير خدمات بسيطة للسجناء بموافقة الادارة العامة لمكافحة النشاط المتطرف بامن الدولة و في المقابل طلب منهم اعلان الولاء الكامل للقيادات السجينة التي كونت منهم "فرقا ضاربة" لتأديب المخالفين من اعضاء الجماعة و من خارجها و فرض عقيدة الجماعة المهادنة نسبيا في جوهرها لنظام الحكم على السجناء.

بلغت نتيجة عمليات الجماعة و رد الشرطة عليها اقل من الف قتيل من الجماعة و الشرطة و المدنيين على مدى عمر الجماعة كله و هي حصيلة بسيطة في بلد تعداده سبعين مليون وقتها كما انها لا تقارن بمئات الالاف من القتلى في الجزائر او نتائج احداث حماه بسوريا ، الا ان النظام المصري احسن استغلال تلك الاحداث لاستدرار الدعم الخارجي ثم شن حملة قمع نجح من خلالها في وضع حد للعمليات تقريبا و بمنتصف التسعينات لم يبق على الساحة الا افراد من الجماعة بحقول القصب و الذرة بالصعيد و بعض الخلايا المدينية الصغيرة تحت قيادة طلعت ياسين همام بالقاهرة. اما بالخارج فقد انصاعت قيادة الجماعة لاوامر الشيخ تركي الكبير باخلاء افغانستان و انصرف القياديون كل لوجهته فمنهم من ذهب لايران و منهم من انتقل لليمن او للسودان يستظل بكفالة[1] بن لادن و الترابي ترقبا لمرحلة اخرى و انتقل طلعت فؤاد قاسم للدنمارك كلاجئ سياسي و بذلك نضب سيل اعضاء الجماعة المدربين عسكريا في المعسكرات الافغانية. قام طلعت ياسين في نهاية تلك المرحلة بتفجير بعض السيارات امام البنوك غير الحكومية بالقاهرة، ثم تمكنت الشرطة من خلال احد اعضاء الجماعة العاملين مع الشرطة من الوصول لمكانه و اعدمته بعد القبض عليه انتقاما لمقتل اللواء رؤوف خيرت رئيس الادارة العامة لمكافحة النشاط المتطرف بامن الدولة و احد الحكام الفعليين للبلاد على يد خلية من خلايا الجماعة التي اعلنت وقتها انها قتلته بالخطأ بدون معرفة حقيقة منصبه. من ناحية

---

[1] كان بن لادن ينفق على من تبعوه الى السودان و اكثرهم من جماعة الجهاد المصرية راتبا شهريا بلغ حوالي مائة دولار للفرد و مائتين للمتزوج، سمي الراتب "كفالة".

اخرى قامت خلية يقودها مصطفى حمزة مسؤول الجناح العسكري الصاعد بالخارج بمحاولة لاغتيال حسني مبارك اثناء حضوره مؤتمرا للقمة الافريقية بالحبشة. قيل ان المحاولة مولها بن لادن و رافق انطلاقها مندوبه المقرن و شارك في تسليحها المخابرات السودانية الا ان كل ذلك اسفر عن عملية مشبوهة تعطلت فيها كل الاسلحة المستخدمة تقريبا من شاحنة مفخخة و قاذفات صواريخ و لم يبق الا السلاح الفردي الذي استخدمه افراد خلية الجماعة المترجلين لاحداث خدوش في طلاء سيارة الرئيس المصفحة ريثما يستطيع افراد حراسته المتفوقين تدريبيا بمراحل من قتلهم بمسدساتهم، و قد ظل حسني مبارك يتندر على الحادث بقوله"العيال كانوا بينقروا على القزاز، فاكرينها لعبة!".

لا يعلم سر الفشل المشبوه للعملية و لكن الشرطة في هذا الوقت كان قد نفد صبرها و اتخمتها المعونات الخارجية لمواجهة الارهاب الذي سينفجر و يودي بمستقبل العالم كما صوروه للمانحين، فبدأت حملة منظمة قامت فيها بعزل اعضاء الجماعة بالسجون عن الخارج و شقت الطرق بين حقول الصعيد و قراه ففر ابطال "الدماعة" الى الجحور و توقفت العمليات بشكل شبه نهائي. نتج عن اعداد المعتقلين الكبيرة و غلبة اعضاء الجماعة العددية تبنيهم لحملة قمع ضد اعضاء الجماعات الاخرى داخل السجون، كانت اوامر قادة ٨١[١] دستورا مقدسا تقوم على حراسته القوى الضاربة للجماعة تحت اعين فرع الادارة العامة لمكافحة النشاط المتطرف بامن الدولة. في احدى الحالات

---

[١] القياديون من دفعة سجناء قضية قتل السادات في ١٩٨١

المعروفة قررت ادارة النشاط منع دخول و حيازة المصاحف للسجناء فامرت قيادة الجماعة باخفاء المصاحف بأي ثمن، و بما ان الزنزانات كانت خالية من المتاع بامر امن الدولة فقد تفتقت قريحة جهاز امن الجماعة عن تغليف المصاحف باكياس بلاستيكية و اخفاءها تحت الغائط في دورات المياه، عندما اعترض بعض اعضاء الجماعات الاخرى على هذا العمل بصفته خروجا عن الاسلام سلطت عليه الجماعة القوة الضاربة و هددته بالقتل.

مرت الجماعة عقب مقتل طلعت ياسين همام و تدمير جناحها العسكري بالداخل بحالة انعدام وزن و تخبط فاقم منها تسلط كوادر متدنية لا مؤهل لها الا طاعتها لكرم زهدي. قامت خلية للجماعة في احد الحالات بقتل مجموعة من السياح اليونانيين ثم اعلنت فيما بعد انها اخطأت و ظنتهم من الاسرائيليين. و في واقعة اخرى اصدرت الجماعة بيانا نشرته صحيفة الحياة السعودية الحكومية ابان ثورة نصارى البانيا على حكم مسلمو الشمال تثمن فيه "ثورة شعب البانيا الأبي الذي انتفض ضد الظلم" و تحذر مبارك من ان "الشعب المصري الأبي و ابناء الجماعة ليسوا بأقل من الشعب الألباني الجسور" و فات مدبج البيان رؤية الصور التي نشرتها صحف العالم للثوار و هم يحملون الصلبان الأرثوذوكسية و يناشدون اخوانهم الصرب و اليونان و الروس مساندتهم في التخلص من حكم مسلمو شمال البانيا الذين يمثلهم الرئيس صالح بريشا .

بينما كان صغار اعضاء الجماعة يعيشون في وهم استمرار القتال بالخارج و احتمال تحقيق النصر كان الاعضاء القدامى قد بدأوا بمراسلة السلطات مرة اخرى للخروج من السجن، جرت قبل ذلك بسنوات محاولة من كرم زهدي راسل فيها رئاسة الجمهورية و تكلم فيها عن"العمل سويا لخدمة مصر و الاسلام" فارسلت الرئاسة سكرتير مبارك للمعلومات الدكتور الفقي و لكن حضوره لسجن ليمان طرة للقاء القيادات قوبل باستهجان من بعض من وصفوا بمتشددي الجماعة فانصرف الفقي بدون اتمام اللقاء و ان لم تفت المبادرة عن ملاحظة الادارة العامة لمكافحة النشاط المتطرف بمباحث امن الدولة. مع تزايد اعداد اعضاء الجماعة الجدد المعتقلين و اغلبهم فلاحين من اوساط شديدة الفقر بالصعيد كان لابد من الخضوع للهيكل الفكري و التنظيمي الذي يديره قيادات ١٩٨١ لتجنب الموت جوعا في السجون مما ساهم في تأطير اجيال جديدة لم تكن اصلا في عضوية الجماعة و انما قبضت عليها الشرطة كجزء من حملة تجفيف منابع المتعاطفين في قرى الصعيد، و صار الاستمرار على قيد الحياة في السجون لالاف السجناء حسب المفهوم الشائع متوقفا على طاعة كرم و رفيقه ناجح، بل و قد ينتج عن تلك الطاعة راتبا ضئيلا يتعيش منه اسرة المسجون خارج السجن. و بذلك صنع فرع مكافحة النشاط اسطورة كرم و ناجح و اصبح اتباعهم و اسرهم يتعدون بنهاية التسعينيات عشرات الالاف و هم الذين لم يتعد عضوية جماعتهم يوم القبض عليهم في ١٩٨١ اكثر من ٤٠٠ عضو و متعاطف على احسن الاحوال بحسب اقوال ناجح ابراهيم و صارت الاف الاسر بالصعيد تدين بالفضل لكرم الذي يعول ابنائهم المعتقلين طبقا لدعايات الجماعة.

بنهاية التسعينات كانت الجماعة قد انقسمت الى قسمين غير متساويين بعد اختفاء اعضاء الجماعة خارج السجون بمصر و تحولهم الى معتقلين. تكون القسم الأكبر من اعضاء الجماعة بالسجون فيما ضم القسم الثاني عشرات الفارين خارج مصر بعد خروجهم من افغانستان. فعلى سبيل المثال فر مصطفى حمزة للبرازيل عقب محاولة قتل مبارك ثم عاد لإيران، و قتل طلعت فؤاد قاسم بعد اختفاؤه في كرواتيا، بينما هدد عبد الاخر حماد احد منظري الجماعة بالانتحار في مطار فرانكفورت ان لم تمنحه المانيا اللجوء السياسي، و ظل رفاعي طه على رأس خلية صغيرة يعيش قريبا من اعضاء جماعة الجهاد الملتحقين بن لادن.

اسفرت الاخبار المتسربة للخارج عن ما يلقاه اعضاء الجماعة في السجون عن اخر عمليات الجماعة المعلنة عندما قامت خلية مسلحة للجماعة بعد حوالي سنتين تقريبا من انقطاع العمليات- عدا بعض حوادث اطلاق النار على القطارات المارة بلا خسائر- بالهجوم على السياح الاوروبيين في احد معابد الاقصر الفرعونية و قتلوا بضعا و ستين سائحا . ادى الحادث الى اصداء واسعة و تمت اقالة وزير الداخلية. اعلن رفاعي طه مسؤولية الجماعة عن الحادث الا ان قيادات الجماعة بالسجون نفت ذلك. لم تعلم حقيقة الامر لان منفذو العملية عثر عليهم قتلى بصورة غامضة في احد الكهوف الصحراوية. قيل وقتها انهم انتحروا، كما قيل ان قيادة الجماعة بالسجون وشت بموقعهم و اشيع ان

اميركا سلمت صور اقمار صناعية بموقعهم للشرطة المصرية التي فاجأتهم و اعدمتهم. لم تعلن الحقيقة و ان كان الامر تكرر مع خلية اخرى فارة للجماعة وجد اعضاءها في ما بعد قتلى في احد الكهوف عقب السطو على احد المصارف بدون سبب معلوم.

بعدها بفترة اعلن بن لادن قيام الجبهة العالمية لقتال اليهود و الصليبيين ووقع على عريضة تأسيسها معه ممثلو جماعات اخرى من ضمنهم رفاعي طه. كان الاعلان موجها ضد اميركا. استشاطت قيادات الجماعة بالسجون غضبا من ذلك الاعلان خاصة وهي تفاوض الحكومة المصرية المتحالفة مع الامن الاميركي، نفت قيادات السجون موافقتها على الوثيقة و دفع رفاعي طه للاستقالة. في الاشهر التي تلت ذلك وقع حدث تاريخي اذ اعلن امير الجماعة باسوان اثناء محاكمته في بيان باسم الجماعة تخليه عن العنف و بايع الرئيس حسني مبارك رئيسا للدولة. حكم عليه بالسجن المؤبد بعد اعلان البيان. عقب ذلك عرضت قيادات الجماعة بالسجون على الحكومة هدنة من طرف واحد الا ان الحكومة تمنعت لعلمها بضعف الجماعة بعد القضاء على خلية طلعت ياسين و اغلب الخلايا الاخرى. مع ذلك كان تمكن العرب من استعادة مواقعهم في افغانستان مع نظام طالبان و في الشيشان يهدد بظهور خلايا اخرى فوافقت الحكومة على بدء الافراج عن اعضاء الجماعة بعد اعلانهم عن تخليهم عن فكر الجماعة و تقديم ضمانات بعدم العودة اليه. لم يكن المطلوب هو التخلي عن العمل العسكري فقد تخلت الجماعة عنه فعليا قبلها بسنوات و لكن المطلوب كان التخلي عن افكار الحاكمية و مبدأ جواز

الخروج على الحاكم المبدل للشريعة و امور اخرى كانت الجماعة تعدها من ثوابتها . ضمت شروط استسلام الجماعة اعلان ندمها على الافعال و الافكار السابقة على لسان قياداتها في محاضرات و كتب، و ان تعلن الجماعة ان المؤسسة الدينية الحكومية التي يمثلها الازهر هي مرجعها في الامور الشرعية، كما تلتزم الجماعة بحل ما تبقى من جناحها العسكري و ان تقوم تحت عنوان الشفافية التامة في التعاون مع نظام الحكم بابلاغ المباحث عمن تبقى مختبئا من افراد الجماعة و اقناعهم بتسليم انفسهم بالاضافة الى الزام افراد الجماعة المسجونين بالتعاون مع المباحث لمراقبة تصرفات اعضاء الجماعة و اعضاء الجماعات الاخرى المعتقلين في السجون لحين اطلاق سراحهم مهما طال الامر فيما لا يلتزم جهاز مكافحة النشاط المتطرف باي تاريخ لاطلاق سجناء الجماعة.

حدثت مناقشات شكلية بين اعضاء الجماعة تغلب عليها كرم و ناجح بسرعة. تم اقصاء بعض المعترضين الى سجون اخرى بعيدة عن مركز القيادة بسجن ليمان طره. سمح لضابط امن الدولة بالسجن بحضور الاجتماعات السرية لمجلس شورى الجماعة تنفيذا لشرط الشفافية. في منتصف عام ٢٠٠٠ سرب امير الجماعة الاسلامية الصوري الشيخ عمر عبد الرحمن المسجون بنيويورك رسالة الى ابنائه بافغانستان و رفاعي طه القيادي بالجماعة قال فيها انه يسحب تاييده للهدنة فتم احالة محاميته

النصـــرانية و مترجمـــه الى المحاكمـــة و حكـــم علـــيهم بالســـجن و حظـــر عليـــه الاتصـــال بالعـــالم الخـــارجي لسنوات الا باشراف ادارة السجن.[١]

اعطيـت مميـزات لقيـادات الجماعـة و المتعـاونين معهـا مثـل الزيـارات الزوجيـة و سمـح لـبعض اتبـاعهم بـادارة اعمـال تجاريـة و ورش منتجـة في السـجون، كمـا وعـدوا بـاطلاق سـراحهم بحسـب جـدول زمـني تحـدده المباحـث. تم اصـطحاب قيـادات الجماعـة في جـولات الى السـجون الاخـرى حيـث القـوا محاضـرات علـى اتبـاعهم عـن التوجهـات الجديـدة، كمـا تم نشـر كتـب تحمـل اسـم تلـك القيـادات تحـت عنـوان المراجعـات الفكريـة ضـمت عناصـر فكريـة منـها توبـة الجماعـة عـن الخـروج علـى الحكـام و اعـتراف بـان السـادات قتـل مظلوما .

في ٢٠٠٦ اعلـن ايمـن الظـواهري اسـتنكاره لتنـازلات الجماعـة بيـان مسـجل و ذكـر ان هنـاك قيـاديين في الجماعـة مـا يزالـون ثـابتين علـى العهـد و مبـادئ الجماعـة الاصـلية و متحـالفين مـع القاعـدة منـهم منـدوب الجماعـة الاعلامـي السـابق بـايران ابـو جهـاد الحكايمـة و محمـد شـوقي الاسـلامبولي و المقـري و عبـد الاخـر حمـاد مـن مفكـري الجماعـة. لم يصـدر رد مؤيـد مـن اي مـن الشخصـيات الـتي ذكرهـا الظـواهري باسـتثناء الحكايمـة. امـرت الحكومـة المصـرية كـرم زهـدي و نـاجح ابـراهيم بـالرد علـى الظـواهري و سمحـت لهمـا بـالظهور علـى القنـاة الاولى للتليفزيـون الحكـومي المصـري حيـث هاجمـا القاعـدة و بـن لادن و

[١] الولايات المتحدة ضد لين ستيورات، امر احالة ٢٠٠٦، فقرة ٢٠.

اتهماه باضاعة افغانستان و انتقدا استهداف الرافضة بالعراق. نفى كرم و ناجح معرفتهما بالحكايمة ووصفاه بأنه احد "صبية" الجماعة النكرات، كما صرحا نهاية اللقاء بأن الوسيلة الوحيدة الشرعية للتصدي للحكام الحاليين هي "الصبر و الصبر فقط."

كان التلاسن بين قيادات الجماعة و الظواهري الحلقة الاخيرة من حلقات صراع استمر لأكثر من عشر سنوات بهدف توحيد الجماعة و الجهاد و ضم الجماعة للقاعدة وصفه الظواهري بقوله:"وكانت تجربتنا مع الجماعة الإسلامية مريرة، فقد تحطمت محاولات الوحدة بسبب تمسك الجماعة بقيادة الأسرى، وتبجيلهم الزائد لإخوة الصف الأول، أو من كانوا يسمونهم (بالإخوة الكبار)، وابتلع الصف الثاني هذا التبجيل، وسوقه لمن بعدهم، وقامت الجماعة على ذلك، بل لقد أعطوا لهؤلاء الإخوة الكبار في لائحة الجماعة حق اتخاذ القرارات المصيرية في الجماعة، ولم يبق للذين في الخارج إلا تنفيذ الخطوط العامة التي يرسلها لهم الإخوة الكبار .

وقد كانت هذه مشكلة بيننا وبين إخواننا في الجماعة الإسلامية، وتحطمت عليها العديد من محاولات الوحدة، فكان علينا أن نعرض كل ما سنتوصل إليه من اتفاق على الإخوة الكبار، فيقروا منه ما يشاءون، وكان علينا أن نقبل بقيادتهم الحقيقية، ولما كان هذا التصور منافياً للعقل فقد تحطمت على صخرته العديد من محاولات الوحدة. تلك الوحدة التي لو قدر لها أن تقوم، فما يدري أحد كيف كانت ستسير الأمور؟ وسامح الله الإخوة الكبار .

ورغم اقتناع الكثير من القيادات في الخارج بمنطقنا إلا أنهم كانوا يصرحون لنا أن هذا أمر قد بنيت عليه الجماعة، ولا يمكن نقضه، لأن الجماعة قد بنيت على هذا الأساس، ولا نريد أن نهز كيانها، وأن علينا أن نتعامل معه كأمر واقع، وأن نجد من الحلول العملية ما نتكيف به معه، وكان ردنا أن هذا غير جائز وغير ممكن.

وكنت أحذرهم من ذلك أيما تحذير، وكانوا يقرون معي بصحة قولي، ووقع ما حذرتهم منه للأسف الشديد .

وكانت نتيجة تبجيل إخوة الجماعة الإسلامية الزائد لقيادة السجن، التي كانت تفرض نفسها على قيادات الخارج، أن دفعوهم مبكراً للمواجهة، حتى يخففوا من ضغط الحكومة عليهم في السجون، ثم كانت الطامة حينما قتلوا الجماعة باستسلامهم في السجون من أجل الإفراج عنهم، حتى وإن أدى بهم ذلك للاعتراف بحسني مبارك رئيساً وبالسادات شهيداً، فخنقوا الجماعة وأزهقوا روحها.

المهم تلاعبت قوى الشر والمباحث بالإخوة الكبار، وبدأوا في إصدار مبادراتهم، وأصيب من في الخارج بالارتباك والاختلاط، ولكنهم كانوا يحرصون -رغم كل ما صدر عن إخوة السجن- على وحدة الجماعة، ولم يدركوا أن هذه الوحدة ستجرهم مع الإخوة الكبار لهوة المباحث .

وكنا إذا طالبناهم بالتصدي لهذه التنازلات يتذرعون بحجج ضعيفة، مثل أننا لا ندري حقيقة ما يجري، وأننا لا نريد أن نصعد المواجهة معهم، حتى لا يوغلوا أكثر في التنازل، وأننا أرسلنا لهم عبر وسطاء، وننتظر الرد، وأننا نحاول أن نصل معهم لحل وسط. . . إلى آخر هذه التعلات، وللأسف

كان الوسطاء جزءاً من مؤامرة المباحث، واستمر المخطط المباحثي في النخر في عظام الجماعة الإسلامية مستغلين تلهف من بالداخل على الخروج من السجن وارتباك من بالخارج، واستمرارهم في العيش في وهم (الإخوة الكبار) ، الذين يعلمون أكثر مما نعلم، والذين لا يمكن أن يتنازلوا . وفي محاولة لاحتواء الموقف أصدر من بالخارج بياناً للموافقة على المبادرة باعتبارها هدنة مع الحكومة، وكانت تلك خطوة على طريق تمزيق الجماعة وخنقها . فبينما وافق من بالخارج على وقف العمل العسكري والتحريض عليه، استمر الإخوة الكبار في التنازل حتى وصلوا للاعتراف بشرعية حسني مبارك بل والثناء عليه لحرصه على قضية فلسطين. . (تأمل) واعتبار السادات شهيداً، وأن الطالبان حمقى لأنهم لم يقبلوا عرض أمريكا بتسليم بن لادن، وأننا نحن الذين استفززنا أمريكا، التي لم تكن تسعى لعداء المسلمين، وأنهم سيتطوعون للإبلاغ عن أي شخص يشتبهون في عمله ضد الحكومة .

وهنا صرخ بعض من قيادات الخارج؛ بأننا لم نوافق على ذلك ولم نقر به ، ولكن كان الوقت قد فات، وتم القضاء على الجماعة .

ولما جاءت أحداث سبتمبر انطلق الإخوة الكبار ضد القاعدة، ليجنوا المكاسب الحقيقية !!

كل هذا لأن إخواننا في الجماعة أسلموا قيادهم لإخوتهم الكبار الذين تتحكم بهم المباحث حتى اليوم، ولا زالوا بعد الإفراج عنهم تحت مراقبتها الدقيقة، ولا يسمح لهم بلقاء وسائل الإعلام ولا حضور اللقاءات العامة إلا بموافقة الباشوات والبكوات في أمن الدولة، بل ويعاقبون على أي خروج عن

الطاعـة أو تمـرد عليهـا ، ومـا حـدث لصـلاح هاشـم مـن تعـذيب واعتقـال لقرابـة عـام –رغـم أنـه أحـد آبـاء التنازلات– دليل صارخ على ذلك .

المهـم أن الـذي يعنينـا في هـذا السـياق؛ هـو الحـذر كـل الحـذر مـن قيـادة الأسـرى، وأن مـا يصـدر عنـهم يجـب أن يراجـع بميـزان الشـرع، وبميـزان الواقـع ومصـلحة الجهـاد، وأن آراءهـم وتوجيهـاتهم يشـوبها مـا يشوبها، وأن الانزلاق الأعمى وراءها يؤدي لكوارث وخيمة ."[١]

اعلنـت الجماعـة استسـلامها في ١٩٩٩ و اسـتغرق الافـراج عـن اعضـائها المعـتقلين عشـر سـنوات باسـتثناء حـوالي مائـة عضـو بقـوا بالسـجون. رتبـت اتفاقـات استسـلم بموجبـها بعـض اعضـاء الجنـاح العسـكري المختبـئين في الحقـول و الكهـوف الصـحراوية يفـرج عنـهم بموجبـها بعـد فـترة سـجن قصـيرة في احـد السـجون المريحـة بشـرط الادلاء بمعلومـات عمـن لم يستسـلموا ليـتم تصـفيتهم. و يـروى انـه في اجتمـاع حاشـد لافـراد الجماعـة بسـجن دمنـهور سـنة ٢٠٠٤ وقـف مسـؤول ادارة مكافحـة النشـاط و الارهـاب و الارهـاب في مباحـث امـن الدولـة اللـواء احمـد رافـت (الظـواهري ا.، ٢٠٠٢) (الحـاج مصـطفى رفعـت) الى جانـب نـاجح ابـراهيم قيـادي الجماعـة و اعلـن ان مشـايخ الجماعـة اتفقـوا علـى الاستسـلام و التعـاون و انـه بموجـب ذلـك صـار اللـلواء المسـؤول هـو اميرهـم و صـار ضـباط مباحـث امـن الدولـة اخوانهم فانشد اعضاء الجماعة الحاضرون "مددنا اليك كفنا بجب ليس يفنى" .

---

[١] ايمن الظواهري،"فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه و سلم"

في ٢٠٠٥ اعلنت قيادات الجماعة المفرج عنها من السجون انها تلقت وعدا من رئيس ادارة مكافحة النشاط المتطرف و الارهاب في مباحث امن الدولة بعودة الجماعة للساحة و القيام بدور "فعال و كبير". و في ٢٠٠٦ اعلن جمال زكي مسؤول منطقة ديروط احد اهم معاقل الجماعة عقب صلاة الجمعة في سجن استقبال طره امام حشد ضم مئات من سجناء الجماعة و الجهاد في معرض رده على منتقدي ناجح ابراهيم ان هناك اجتهاد يشاب قائله يبيح الحكم بغير ما انزل الله .يتم حاليا استخدام كثير من افراد الجماعة المفرج عنهم من طرف مباحث امن الدولة لمراقبة النشاط الديني في المساجد الموجودة بمناطق سكنهم. في نهاية الامر لم يكن ذلك تحولا كبيرا بالنسبة لجماعة نشأت بموافقة الشرطة للعب دور شبيه بالذي تلعبه ميليشيات الصحوات المدعومة اميركيا في العراق.[١]

## جماعة الجهاد

مر تنظيم الجهاد بعدة مراحل يمكن تسميتها بالتنظيم الاول و الثاني. في التنظيم الاول الذي اسسه اسماعيل طنطاوي قبل ١٩٦٥ كانت القيادة لاسماعيل على خلية ضمت مصطفى علوي و ايمن الظواهري و البرعي ثم انفصل علوي.و هناك رواية اخرى ان ايمن الظواهري كان قائد تلك الخلية و

[١] ميليشيات الصحوات: فرق عشائرية سنية من المقاتلين السابقين ضد الاحتلال يقاتلون باجر لحساب الجيش الاميركي ضد الحركات الاسلامية العراقية المسلحة.

هو طالب بالمدرسة الثانوية بالمعادي و ان تاريخ تاسيسها كان ١٩٦٨ . و يمكن الجمع بين الروايتين بالقول ان مجموعة من الافراد ذوي الاهتمام بالشان الاسلامي ابرزهم اسماعيل طنطاوي تجمعوا منذ ١٩٦٥ و لكنهم لم يضبطوا جهودهم في شكل خلية تنظيمية الا في ١٩٦٨ و وكلوا ايمن الظواهري ادارتها . انضم للتنظيم يحيى هاشم ثم انفصل مع خلية كونها لاحقا . كما انضم للتنظيم مجموعة الدكتور يسري مصطفى و الهلاوي من الجيزة في السبعينات ثم انشقت لتنضم لتنظيم الفنية العسكرية بقيادة صالح سرية. ادى كشف تنظيم الفنية العسكرية في ١٩٧٤ الى حملة اعتقالات تفاداها اسماعيل طنطاوي قائد التنظيم بالفرار الى اوروبا .[١] تفككت قيادة التنظيم الى ان استطاع ايمن الظواهري و عصام القمري و سيد امام اعادة تشكيله لتبدأ مرحلة التنظيم الثاني.

كان السؤال الذي يطرحه بعض افراد جماعة الجهاد في اوقات الشدة سؤالا منطقيا يتعلق بحقيقة وجود جماعة موحدة باسم الجهاد . بالفعل لم تتحد الخلايا المكونة لما يعرف بجماعة الجهاد الا لفترات بسيطة في كيان شديد اللامركزية مقارنة بالجماعة الاسلامية و جماعات اخرى. تجلت اقوى صور هذا الاتحاد ابان التحالف الذي نسقه سالم رحال الاردني في اواخر السبعينات و قاده محمد عبد السلام فرج لاحقا بعد ابعاد سالم رحال من مصر، كما وجد في التسعينات جو من التنسيق بين المجموعات لاغراض ميدانية على الاخص خارج مصر.

---

[١] عبد المنعم جمال الدين، موقع نحو التجديد.

في نهاية السبعينات كان جزءا هاما من خلايا الجهاد يتكون من افراد ممن تركوا تنظيم السماوي واخرين من بقايا جماعة المسلمين بعد تفكيكها . تولى القيادة بقايا خلايا الستينات و الفنية العسكرية. بنهاية السبعينات بدات تظهر ملامح الهيكل الاداري للتنظيم. كان من الواضح ان هناك اربع مكونات اساسية تستند الى اساس جغرافي. المكون الاول و الاقدم كان مجموعة الجيزة و ضمت منسوبي بولاق الدكرور و الهرم و العياط و كرداسة و برز فيها امين الدميري و محمد عبد السلام و طارق و عبود الزمر و ثروت صلاح شحاته و احمد سلامه مبروك و مجدي سالم. و المجموعة الاهم في التسعينات و هي مجموعة شبرا و تشمل شبرا الخيمة و قليوب و القناطر و برز فيها عبد الرؤوف الجيوشي و سالم مرجان و نبيل نعيم ومحمد سعد و هاني السباعي. ثم مجموعة الشرقية و مجموعة بني سويف شبه المستقلة و على راسها احمد يوسف و مجدي كمال. على المستوى القطري كان ايمن الظواهري و سيد امام و عصام القمري و عبود الزمر ابرز الشخصيات القيادية. برز ايمن الظواهري في التأطير السياسي العام و تخصص سيد امام في الجانب الشرعي العقائدي و كان عصام القمري هو المخطط العسكري الاول للجماعة. كان نموذج عصام القمري فريدا حيث عرف عنه لاحقا انه التحق بالكلية الحربية بعد الدراسة الثانوية بغرض التمكن لاحقا من قلب نظام الحكم و اقامة دولة اسلامية مما اوجد لديه افقا تخطيطيا واسعا و لكن اجله لم يمهله.

كان المؤسسون متأثرين بتجربة سيد قطب و الفنية العسكرية مع بعض المؤثرات السلفية. تفاوت التكوين العقائدي على مستوى المجموعات بل و الخلايا المكونة مع احتفاظ الجميع بالشعارات السلفية. على سبيل المثال فيما يخص الموقف من موظفي الدولة ضمت مجموعة بني سويف المتأثرة بالتيار السروري افرادا يعتقدون بكفر جنود و ضباط الشرطة كأغلب منتسبي الجهاد، كما ضمت افرادا يعتقدون بكفر الضباط دون الجنود، و اخرين يعتقدون بكفر الضباط فقط من رتبة رائد فما فوق. بل ان بعض افراد هذه المجموعة[١] طالبوا المهندس محمد عبد السلام فرج عندما حاول توحيدهم بغرض الخروج على السادات بأن يحضر فتوى من مفتي الدولة السعودية ابن باز او من ناصر الدين الالباني الذي طلب بدوره من مبعوثهم اليه احضار القادة القائمين على محاولة الانقلاب الى المملكة ليناقشهم. في احد الحالات الدالة على تخبط منهج و اداء الجماعة احضرت القيادة معلما شرعيا ليقوم برفع المستوى العلمي لاعضاء الجماعة في اليمن في التسعينيات. اراد احد الاعضاء اختبار المعلم الجديد فسأله عن الحكم الشرعي لضباط مباحث امن الدولة فافتى المعلم انهم "كفار حال ارتدائهم الزي الرسمي و تنتفي عنهم تلك الصفة عندما يخلعون الزي" و فاته ماهو معلوم لكثير من الاطفال و هو ان رجال المباحث بطبيعة عملهم لا يرتدون زيا محددا. بعدها اشتكى الأعضاء لسيد امام الذي اتخذ الاجراءات اللازمة.

---

[١] كانت هذه المجموعة واحدة من عشرات متأثرة بمشايخ السلفية الحكومية السعودية الذين سمحت لهم ادارة النشاط الديني بامن الدولة بالعمل علنا في البلاد لما لتلك العقيدة من تاثير "مفتر" على الجماعات ذات الميول الجهادية .

و بينما كانت الجماعة تؤكد تبنيها للعقيدة السلفية كان موقف بعض مكوناتها من الرافضة يفضح هشاشة ذلك الادعاء. كان نجاح الثورة الرافضية نموذجا اثار اعجاب القيادات العسكرية للجماعة و على راسها عصام القمري و كان يرى ضرورة ارسال مجموعات تتدرب هناك ثم تعود لقلب النظام و لو انه لم يعرف عنه او عن اي من كبار قيادات الجماعة ميلا للعقيدة الرافضية. تعدى التشابه الاعجاب بخطة الانقلاب او التعاون التدريبي[١] بل سيصل الامر لاحقا في اول التسعينات الى لقاءات في بيشاور مع مندوبي الحرس الثوري و الاستخبارات الرافضية طلبت فيها الجماعة عشرين مليونا من الدولارات تحتاجها لتسيير شؤونها و القيام بعمليات في مصر الا ان ايران لم تدفع. تمت هذه اللقاءات في عهد سيد امام الذي كان يرى ان عوام الرافضة مثل عوام السنة في ميزان الشرع. كان هذا من رواسب نشأتهم العقائدية بمصر[٢] و تأثرهم بالاخوان حيث كان حسن البنا احد اول من نادوا بالتقريب بين الروافض و السنة. ظل هذا منهج الجماعة تجاه الروافض في ظل قيادة ايمن الظواهري الذي لازمه ذلك الاعتقاد[٣] و اقره عليه بن لادن بعد تأسيس القاعدة مما اخر انضمام ابو مصعب الزرقاوي للقاعدة التي كانت ترفض استهداف الروافض. كما وفرت ايران ملاجئ لبعض قيادات الجهاد و القاعدة الفارين من افغانستان و اسرهم . لاحقا عندما انضوى الجهاد تحت لواء القاعدة

---

[١] كانت الجماعة تنظر باعجاب دائما الى قدرات حزب الله اللبناني العسكرية و ارسلت انفارا لتلقي "العلوم المتقدمة" لدى الحزب مثل مهارات تفخيخ المتطوعين.

[٢] مع ان الموروث العقائدي الشعبي المصري الناتج عن احتكاك قديم بالروافض يرفض مثل ذلك التقارب حتى ان هناك لفظ سب مشهور يقال للرجل "ابن الرفضي" و هي في الاغلب تحريف "ابن الرافضي"

[٣] فيما يرى الظواهري ان عوام الرافضة معذورون بجهلهم في اعتناق العقائد الشركية من عصمة الائمة الاثنى عشر و طلاعهم على الغيب و ما شابه "ومن كان جاهلاً، واعتقد هذه الأصول الفاسدة بناء على أحاديث ظنها صحيحة، ولم يبلغه الحق فيها، أو كان عامياً جاهلاً فهو معذور بجهله".

كـان بعـض المصـريين المـرتبطين بـايران و المحسـوبين علـى الجهـاد مثـل ابـو الوليـد المصـري صـهر سـيف العـدل همزة وصل بين ايران و القاعدة.

تبنـت الجماعـة تكفـير النظـام و اعضـاء اجهزتـه الامنيـة و التشـريعية كمـا تبنـت بدايـة الحـل الانقلابـي مـن داخـل الجـيش لتغـييره. اتخـذ النظـام اجـراءات ناجحـة لمنـع اخـتراق الجـيش فحولـت الجماعـة جهودهـا الى تـدريب مجموعـات بالخـارج و اعادتهـا لمصـر في انتظـار اللحظـة المناسـبة. يعتـبر كتيـب "الفريضـة الغائبـة" لمحمـد عبـد السـلام احـد اول نتاجـات الجماعـة الفكريـة. جعـل الكتـاب الـذي لاقـى قبـولا واسـعا وسـط شـباب الاسـلاميين الجهـاديين وقتـها مـن فتـاوى ابـن تيميـة في الجهـاد و مشـكلة مـاردين[١] و حكـم الياسـق و اسـلام التتـار مـادة للمناقشـات اليوميـة و هـو مـا كـان يمكـن اعتبـاره نقلـة الى الاصـدار او الجيـل الثـاني مـن الفكـر الجهـادي في التـاريخ المعاصـر. اصـدرت الجماعـة بعـدها بـاكثر مـن عشـر سـنوات كتـب "الاخـوان المسـلمون: الحصـاد المـر" و "العمـدة" و"الجـامع في طلـب العلـم الشـريف" لسـيد امـام و هـي كتـب صـارت مـن الاسـس العقائديـة للجماعـة و حظـي الكتـاب الاخـير بقبـول بـين الجماعـات الاسـلامية المسـلحة خـارج مصر و يعتبر نقلة الى الجيل الثالث من الفكر الجهادي.

---

[١] فتـوى شـهيرة لابـن تيميـة بخصـوص حكـام امـارة مـاردين باقصـى شـمال الشـام و عمـا اذا كـان يصـح ادعـاءهم الاسـلام مـع تنحيـتهم للشريعة.

في بداية الثمانينات استجاب الظواهري لنداءات مساعدة الشعب الافغاني و سافر في زيارة لبيشاور. عقب عودته في ١٩٨٠ علم بوجود نية لدى القيادة الموحدة لتنظيم الجهاد و التي تضم خلايا اخرى للقيام بعمليات ضد النظام. سعى احد اعضاء تنظيم ايمن و كان على صلة بخلية الجيزة الجهادية هو الصيدلي امين الدميري الى اقناع خلية الظواهري بالانضمام للتنظيم الموحد و عموده مجموعة الجيزة بما فيها عبود الزمر. التقى الظواهري و القمري و سيد امام بعبود الزمر الذي عرض عليهم تفعيل حرب عصابات ضد النظام. قيل ايضا ان عبود الزمر كان يرى تأجيل قتل السادات الى حين اعداد التنظيم اعدادا عسكريا جيدا و لكن محمد عبد السلام و خالد الاسلامبولي رأيا القيام بالعملية اعتقادا منهم بان المنفذين سيقتلون فور تنفيذها و تنقطع اي خيوط تربطهم بالجماعة (هاني السباعي). رفض سيد امام العرض لعدم جدواه و هدد الظواهري و القمري بالمقاطعة ان عادا للاتصال بمجموعة عبود الزمر. خالف الظواهري و القمري تعليمات سيد فقاطعهما الى ان قبض عليهم في اعقاب اغتيال السادات ليسجن الظواهري ثلاث سنوات و معه القمري. تمكن سيد امام من الاختفاء ثم فر لاحقا الى باكستان و انفرط عقد التنظيم الثاني .في السجون تبلورت افكار الظواهري و القمري و عبود الزمر ثم افرج عن الظواهري الذي توجه الى السعودية ثم افغانستان. مر التنظيم في الثمانينات بمصر بحالة ركود الا من تجنيد اعضاء جدد في الجيش و هروب عصام القمري اهم منظري التنظيم العسكريين الاستراتيجيين من سجن ليمان طره ثم مقتله لاحقا . كما انفصمت نهائيا عرى التحالف المؤقت مع الجماعة الاسلامية.

في نهاية الثمانينات انتقلت كثير من قيادات التنظيم الى افغانستان تحت أعين السلطات المصرية التي اسعدها التخلص منهم. في افغانستان عمل بعضهم كمدربين في معسكرات بن لادن بينما عمل آخرون في معسكرات خاصة بالتنظيم. توثقت الروابط بين الجماعة و بن لادن و اسهمت الرواتب المسماة كفالات التي كان يدفعها للعاملين معه منهم في تمتين تلك الروابط. لم يكن بن لادن يشاطر الجماعة فكرها انذاك و لكن الجماعة لم تبالي. لاقى عمل افراد الجماعة بالتدريب في معسكرات القاعدة موافقة سيد امام امير الجماعة.

في التسعينات انتقل تنظيم الجهاد الى السودان تنفيذا لتعليمات بن لادن و تعقبا للراتب الذي يدفعه لأفراد التنظيم بحجة عدم التدخل في النزاعات الداخلية للافغان، كما لو كان الاسلام السياسي الذي تعتنقه جماعة الجهاد يعترف بسيادة الدول الاعضاء في الامم المتحدة و ينأى بنفسه عن كسر القواعد الدبلوماسية و البروتوكولية التي تنهى عن التدخل في النزاعات الداخلية في الدول المستقلة. كان بن لادن الذي ترك افغانستان بعد خروج الروس قد امر العاملين معه من تنظيم الجهاد بترك سلاحهم و الانسحاب من افغانستان و اعلن انه لن يدفع رواتب لمن لا يترك افغانستان الى السودان التي اتفق فيها مع نظام البشير/الترابي على قبول الجماعة بصفة لاجئين عزل من السلاح و تعهد بعدم الانخراط في اي عمل مسلح.

من ناحية اخرى المح قياديون آخرون من ذوي الحكمة في التنظيم انهم اكتشفوا(بالتزامن مع رحيل بن لادن و رواتبه) ان افغانستان لن تصلح كساحة للمشروع الاسلامي من جهة اقامة دولة او كساحة اعداد و تدريب. لم يكن هذا صحيحا بالنظر لوجهتهم التالية، فلم يكن نظام البشير/الترابي حليف ايران اسلاميا و كانت كتيبات "الصارم المسلول في الرد على الترابي شاتم الرسول" التي تتهم الترابي بالزندقة تملأ مضافات بيشاور. فعليا كان يأس قيادة الجهاد من اي مستقبل لمشروع اسلامي بافغانستان استنتاجا ضمنيا غير معلن منذ زمن بعيد، و ان لم يتردد التنظيم في تدريب آخرين من غيره في معسكرات بن لادن ليقاتلوا في تلك الجبهة الميؤوس منها او المشاركة في عملية جلال اباد ١٩٨٩ عندما كان رضا بن لادن مرهونا بتلك المشاركة. و بينما كان الافغان منشغلين بنزاعاتهم عن اغلاق ما بقي من معسكرات التدريب لم يسمح نظام الترابي لضيوفه من الجهاد بفتح معسكرات او حمل سلاح او الاشتراك في القتال الى جانب النظام ضد قوات الجنوبيين المدعومة اميركيا التي اذلت الجيش السوداني و كادت تطأ الخرطوم مراعاة لمواثيق الأمم المتحدة و القوانين الدولية فلم يكن "المفكر الاسلامي الكبير" حسن الترابي لينسى انه بروفيسور في القانون الدولي و انه شارك في وضع الدساتير العلمانية ببعض الدول الاسلامية. لم يهتم بن لادن و اتباعه من اعضاء الجهاد لهذه "التفاصيل" و تحولت المجموعة الى شركة انخرطت في عمليات بناء الطرق و الزراعة.

في ١٩٩٢ حدث انشقاق في الجماعة نسب ظاهريا لتبعات محاولة مجموعة احمد حسين عجيزة تسريع القيام بعمليات مسلحة ضد النظام ردا على اعتقاله لاعداد كبيرة من افراد الجماعة و طول امد انتظار تكامل مقومات العمل الانقلابي. كان انتقال اغلب افراد الجماعة الى السودان لحاقا بين لادن و بقاء سيد امام بباكستان ايضا سببا في تعميق الهوة خاصة مع تزايد المشاكل المالية التي واجهت افراد الجماعة في السودان القاحلة. بذلت جهود للوساطة بين سيد امام و منتقديه بالسودان و اوكلت ادارة تلك الجهود الى ابو عبيدة البنشيري الذي اعلن فشلها . لم يكن متوقعا ان يساهم ابو عبيدة رجل بن لادن المخلص في تثبيت طبقة قيادية اخرى على راس التنظيم الذي يطمع بن لادن في احكام سيطرته عليه تنظيميا بعد ان سيطر عليه ماديا . اعقب ذلك اعلان سيد امام ترك الجماعة التي بادرت بمصادرة حاسوبه و عليه نسخة من كتابه الجامع في طلب العلم الشريف و قامت بتعديل الكتاب بما يتلائم مع توجهات بن لادن و نشرته تحت اسم جديد و نسبت تأليفه الى اللجنة الشرعية لجماعة الجهاد . كان احد اهم التعديلات و نقاط الخلاف هو ما اورده سيد امام من اعتبار الجماعة الاسلامية الصعيدية فصيل من غلاة المرجئة و هو ما رفضه ايمن الظواهري الذي كان يعتبرهم "اخوة مجاهدين" كما كان يعتبر ناشطو عز الدين القسام و غيرهم .رد سيد امام الذي انتقل الى اليمن بغضب على تلك الإجراءات و اصدر فتوى بانحراف الجماعة عن جادة الحق و اعتبر انها لا تختلف كثيرا عن النظام المصري و ان التصدي لها واجب.

لعب اسامة بن لادن الدور الأكبر في تغيير قيادة الجماعة و عقيدتها المعلنة منذ المرحلة الافغانية. فقد كان يسمح لبعض قيادات الجهاد الفكرية بالقاء دروس بمعسكراته في المرحلة الاولى من علاقته بالجماعة في مسعاه لاستقطابها الا ان شكاوى وصلته من الحكومة السعودية و علمائها الرسميين ادت به الى منع تلك القيادات من المحاضرة للمتدربين في معسكراته لما اخذ عليهم من كلام في مواضيع محظورة في دول مجلس التعاون مثل الحاكمية و تكفير ملك السعودية و كبار العلماء الرسميين الذين افتوا باستدعاء القوات الاميركية للجزيرة ابان حرب الكويت. ثم قام بعد ذلك بقطع المعونات عن بعض منتسبي التنظيم لاصدارهم نشرات اعلامية تحوي الافكار المذكورة. و بعد اعلانه ان من لا يتخلى عن سلاحه و يترك افغانستان لن يحظى باي راتب عاد الى افغانستان مرة اخرى ليقنع حكمتيار بالانضواء تحت لواء حكومة مسعود الشيوعية. التقى بن لادن في تلك الزيارة بسيد امام الذي رفض مغادرة افغانستان و تجادلا بخصوص موقف سيد امام العقائدي و ما اعتبره بن لادن غلوا عقائديا بدءا من تكفيره لمفتي السعودية و الاخوان المسلمين و قيادات السعودية. لم يكن الهجوم على الاخوان هو المحك بقدر ما كان تكفير قيادات المملكة و علماؤها الرسميين. كان بن لادن رافضا لموقف علماء المملكة الذين افتوا باستدعاء الجيش الاميركي و لكن ليس الى حد تكفيرهم. اصر سيد امام على موقفه فاعلن اسامة ابن لادن قطع المرتبات عن التنظيم باكمله. ادى ذلك الى ازمة مالية لدى التنظيم الذي لم تكن ادارته قد خططت لمثل هذا اليوم و لا اعدت برنامج تمويل و انتاج فعال. بمرور الوقت و اشتداد الازمة المالية على اعضاء التظيم و اسرهم بدات الاصوات ترتفع

بانتقاد سيد امام و تطالب بتغييره و محاسبته. تشفع ايمن الظواهري و احمد عجيزة لدى بن لادن لاعادة دفع الرواتب و تم عزل او دفع سيد امام للتقاعد في نفس السنة.

على الصعيد العسكري انحاز بعض خلايا الجهاد الى احمد حسين عجيزة و كونوا مجموعات عملياتية اطلقت عليها امن الدولة اسم طلائع الفتح. كان لاحمد عجيزة اتصالات و موارد اراد استخدامها لاعداد مجموعاته للقيام بعمل مسلح في مصر الا ان تلك المجموعات كشفت و اعتقل افرادها قبل القيام بعمل و نسب الفشل لسوء ادارة المهندس اسماعيل نصر المسؤول الميداني بالقاهرة. كما قرر افراد ممن عملوا الى جانب الجماعة لفترة النزول لمصر و القيام بعمليات مسلحة ضد النظام، كان من اهم تلك المجموعات خلايا عادل السوداني و عادل عوض و نزيه نصحي راشد. كان لنزيه و عادل حالة من العداء الشخصي الشديد و المتبادل بينهم و بين جهاز امن الدولة المصري لحدة توجهاتهم الفكرية و جرأتهم في تنفيذ العمليات فقد عرف عن عادل التنكر في شخصية ضابط مخابرات للعمل و الترصد في اماكن حساسة امنيا بالعاصمة و في مرات اخرى شوهد يتجول مسلحا مع مجموعته من المسلحين في اماكن عامة بصفتهم ضباط شرطة. اما نزيه نصحي فقد اشتهر عنه انه كان في بداية امره يؤجر بندقيتين آليتين يمتلكهما لمن يطلبهما من أفراد الجماعة للقيام بعمليات ضد النظام. لم تكن تلك الأعمال الفردية البسيطة ستهزم نظاما مسلحا جيدا و مدعوم من الشعب المصري و العالم، و لكنها كانت تحمل استهزاءا شديدة و سخرية بالنظام، و تصوره كما لو كان غير قادر على حفظ

الأمـن، و تشـجع آخـرين علـى تكـرار نفـس الأعمـال مما كـان يحتمـل ان يـؤدي في النهايـة لـدفع اميركـا لتغـيير النظام كما فعلت في ١٩٥٢.

كـان نزيـه و عـادل مـدركان لصـغر حجـم خليتيهمـا فركـزا جهودهمـا علـى عمليـات ذات مـردود اعلامـي تسـتهدف كبـار المسـؤولين. بالنسـبة لنزيـه فقـد خطـط لأول عمليـة انتحاريـة في تـاريخ مصـر ضـد وزيـر الداخليـة حسـن الألفـي عـن طريـق دراجـة ناريـة متفجـرة يركبـها احـد اعضـاء التنظـيم. ادى خطـأ فـني او تـاثير جهـاز تفجـير العبـوات اللاسـلكية المصـاحب للموكـب الى تفجـير الدراجـة و راكبـها قبـل ان يـتمكن نزيـه مـن الابتعـاد مما اسـفر عـن مقتلـه ايضـا و اصـابة الـوزير باصـابات طفيفـة. فيمـا يخـص عـادل عـوض فقـد قـام بقتـل شـاهد تحـت حمايـة الشـرطة في قضـية محاولـة افـراد مـن طلائـع الفـتح تفجـير موكـب رئـيس الـوزراء و لكـن السـيارة المصـفحة لم تتـأثر بالانفجـار. كـان الغـرض مـن العمليـة الاخـيرة اعلاميـا بحتـا فلـم يكـن لـرئيس الـوزراء اي سـلطة في النظـام الرئاسـي المصـري. خطـط عـادل عـوض لعمليـة ضـد حسـني مبـارك الا انهـا لم تنفـذ و قتـل في الاسـابيع اللاحقـة و بمقتلـه انتـهت عمليـات الجهـاد القليلـة بمصـر كمـا اعلـن ايمن الظواهري في ١٩٩٥ وقف العمل المسلح في مصر لعدم المقدرة.[١]

[١] هاني السباعي-مركز المقريزي للدراسات التاريخية.

في هـذا الوقـت كـان التنظـيم قـد تشـتت بـين الـيمن و دول عربيـة اخـرى و سـجون مصـر و السـودان و قلـة طلبـت اللجـوء السياسـي بـالغرب. كانـت الاقامـة بالسـودان متقشـفة و باسـتثناء القيـادات كـان افـراد التنظـيم يتلقـون مـن بـن لادن مـائتي دولار شـهريا للفـرد. لم يكـن لمعظمهـم مهـارات حرفيـة او اداريـة تمكنـهم مـن التكسـب. ضـاقت صـدور كـثير منـهم بـالفقر و بـدأوا يبحثـون عـن منفـذ لمعيشـة انعـم باوروبـا. في هـذا الوقـت كـان قـد صـار واضـحا ان بـن لادن اشـترى التنظـيم. كانـت تلـك الايـام تشـهد تفكـك الكتلـة الشـيوعية و تحـول الـدول المكونـة لهـا الى امـارات فوضـوية. بـدأت تختمـر فكـرة في عقـل بعـض اعضـاء التنظـيم السـذج سياسـيا مفادهـا امكانيـة نقـل الجماعـة الى احـد الـدول الشـيوعية السـابقة و السـيطرة علـى حكـم تلـك الدولـة ان امكـن. وافـق هـذا الحلـم هـوى القيـادة الـتي فقـدت سـلطتها الحقيقيـة بتبعيتـها لـبن لادن، و الافـراد الـذين اضـناهم العـيش في ادنـى السـلم الاقتصـادي لـدول العـالم الثالـث و صـار حلـم اسـتيلاءهم علـى حكـم مصـر و تـولي وزاراتهـا شـيئا مـن الماضـي. و علـى مـا يبـدو فقـد نبـهت القيـادة الى ان الجماعـة الصـعيدية وجـدت لهـا مـوطئ قـدم في البوسـنة و ضـخم حجـم نفوذهـا و مـا اسـتحوذت عليـه من امكانيات.

تم التحـرك في اتجـاهين اولهمـا البانيـا حيـث ارسـل قيـادي الجماعـة احمـد النجـار كموظـف في احـد هيئـات الاغاثـة للمشـاركة في دعـوة الالبـان الـذين فقـد معظمهـم دينـهم تمامـا و بـنفس الوقـت ايجـاد مـوطئ قـدم للجماعـة. كـان الالبـان في حالـة يرثـى لهـا مـن الناحيـة الدينيـة ارجعهـا المفكـرون الاسـلاميون الى سـبعين

سنة من الشيوعية و اعلان انور خوجة البانيا الدولة الوحيدة في العالم التي تعتنق الالحاد دينا و هو ما لم يكن صحيحا بالكلية. دأب انور خوجه خلال فترة حكمه التي فاقت اربعين سنة على اتهام حكام روسيا بخيانة مبادئ لينين معتبرا نفسه الشيوعي الحقيقي الوحيد في العالم و دولته الأكثر تخلفا على مستوى اوروبا بل و بالنسبة لبعض دول افريقيا التجسيد الحقيقي لجنة العمال و الشعوب الشيوعية. الا ان انور خوجة لم يكن يحكم البلاد وحده، فقد كان وراءه شعب لم يعرف عنه تاريخيا الدخول في اي دين بشكل عميق و جل ما حدث عندما احتل العثمانيون بلادهم انهم اعتنقوا طريقة صوفية باطنية متأثرة بالرافضة تسمى البكتاشية. كانت تلك الطريقة بعيدة عن الاسلام بشكل دعا العثمانيون المنحرفون عقائديا ذاتهم الى اتهامها بالزندقة. و ما ان سقط النظام الشيوعي حتى هرع المنصرون الى البلاد و لجهل الالبان بدينهم بدأوا يعلقون الصلبان التي توزع مجانا في اعناقهم على انها صيحة من صيحات مغنو الروك اند رول الاوروبيون. كان الالبان مستعدين للإنصات لأي دعوة دينية بسطحيتهم الشهيرة الا الدين الاسلامي الذي ظلوا لعقود يعتبرونه سبب تخلفهم مع ان اجدادهم لم يدخلوا فيه الا بالاسم. كان الالبان الذين يعيشون في العصر شبه الحجري و تعد بلدهم افقر دولة في اوروبا يظنون ان المسلمين في الرياض و اسلام اباد و القاهرة مازالوا يركبون النوق و يقاتلون بالسيوف فكان الحل في اتباع اوروبا واميركا[١]، لذلك لم يعترض كثير منهم عندما سمح الرئيس صالح بريشا للمخابرات الاميركية باختطاف بعض الشيوخ العرب العاملين في ادارة المدارس الاسلامية و ملاجئ

---

[١] لم يكن الشطر الآخر من الشعب الالباني المقيم في قوصوه (كوسوفا) اكثر اسلاما بكثير اذ ما ان تحرر من حكم الصرب حتى تبنت حكومته بقيادة العميل الاميركي هاشم تاتشي قوانين تمنع ارتداء الحجاب في المدارس و تضطهد المسلمين، و الغريب ان بعض دراويش الحركات الاسلامية ذهبوا للقتال بجانبهم في فترة ما.

الايتـام و نقلـهم لمصـر حيـث تم اعـدامهم بمناسـبة زيـارة بابـا الفاتيكـان للقـاهرة. اعـترف بعـض مسـؤلي المخـابرات الاميركيـة لاحقـا باختطـاف المصـريين في اطـار تنظيـف محـيط المنطقـة اسـتعدادا لوصـول القـوات الاميركيـة للبوسـنة المجـاورة كمـا انـه لم يكـن منطقيـا ان تسـمح اميركـا بامـارة تقودهـا جماعـة الجهـاد علـى بعـد خمسـون كيلـومترا مـن قواعـد حلـف الاطلنطـي بايطاليـا .لم ينفـع الحكومـة الالبانيـة تعاونهـا مـع المخـابرات الاميركيـة اذ مـا لبـث ان نظـم انقـلاب لصـالح الاقليـة النصـرانية الجنوبيـة ايـده الغـرب و ادى الى تـولي نصـراني لحكـم الـبلاد مـن خـلال منصـب رئاسـة الـوزراء. صـارت البانيـا بعـدها اهـم نقـاط تصـدير المخدرات و الاطفال والعاهرات الالبانيات و غيرهن من شرق اوروبا الى اوروبا الغربية.

كـان الاتجـاه الثـاني في سـبيل تحقيـق الحلـم الاوروبـي لجماعـة الجهـاد هـو السـاحة الشيشـانية عـبر اذربيجـان و داغسـتان. ادت اخطـاء في اجـراءات تـأمين التنقـل الى القـبض علـى بعـض الشخصـيات الهامـة علـى الحـدود بضـمنها ايمـن الظـواهري الـذي اشـيع انـه حـبس في سـجن داغسـتاني تحـت اسـم مسـتعار بتهمـة عبـور الحـدود بصـورة غـير مشـروعة، و بقـي في السـجن شـهورا الى ان اسـتطاع بـن لادن دفـع المـال الـلازم لمسـؤول داغسـتاني لاطـلاق سـراحه. يـروى ان هـذه الفـترة شـهدت تزايـد النزاعـات بـين اجنحـة الجماعـة مما دعا لإقامة محكمة شرعية ثلاثية ترأسها ابو عبيدة البنشيري قضت بحل جماعة الجهاد.

كـان هـذا في ١٩٩٦ و كانـت الحكومـة السـودانية في هلـع مـن رد الفعـل المصـري علـى مـا اشـيع مـن تورطهـا في محاولـة قتـل مبـارك في اديـس ابابـا . ادى حشـد القـوات المصـرية علـى الحـدود الى طلـب السـودان مـن بـن لادن و رجالـه الرحيـل الى خـارج اراضـيها .كـان السـودان قـد افتعـل قبلـها بسـنوات قليلـة ازمـة بخصـوص مثلـث صـغير مـن الارض علـى حـدوده الشـمالية يسـمى مثلـث حلايـب، كـان سـعي السـودان للسـيطرة علـى اقلـيم حلايـب فيمـا كـان فاقـدا للسـيطرة علـى ثلاثـة اربـاع اراضـيه مشـبوها في توقيتـه مـن حيـث ان السـودان ربمـا كـان مـدفوعا مـن السـعودية او الولايـات المتحـدة لابعـاد الوجـود المصـري لابعـد مسافة عن جدة على الساحل المقابل لتأمين الحجاز .

ضـيقت الحكومـة السـودانية الخنـاق علـى ضـيوفها ، وفيمـا كانـت تسـمح لاجهـزة المخـابرات الاجنبيـة بالعمـل بحريـة في الـبلاد لم تسـمح للاجئـي القاعـدة و الجهـاد بالـدفاع عـن انفسـهم. و في حالـة معروفـة اسـتطاع احـد ضـباط المخـابرات المصـرية العـاملين علنـا في الخرطـوم تجنيـد صـبيين مـن ابنـاء قيـادات الجماعـة و ابتزازهمـا فقامـا بالتجسـس علـى الجماعـة لحسـابه و سـلماه قـوائم باسمـاء العشـرات و قيـل المئـات مـن اعضـاء التنظـيم الـذين كـان يـتم ارسـالهم عـبر الحـدود الى مصـر لتنفيـذ عمليـات بعـد تدريبـهم في الخـارج حيـث تم القـبض علـيهم و اعـدام بعضـهم و سـجن اخـرين لمـدد طويلـة. بحكـم الفسـاد الاداري المتفشـي في التنظـيم كـان الصـبية مـن ابنـاء القيـادات يسـمح لهـم بـالاطلاع علـى ادق اسـرار التنظـيم فيمـا تحجـب ابسـط المعلومـات عـن اعضـاء التنظـيم "الغربـاء" و لـو مـر علـى انخـراطهم في التنظـيم عـدة سـنوات

سجنوا فيها و دافعوا عن التنظيم بحياتهم. كانت المخابرات المصرية على علم بهذا النمط من الفساد العائلي عندما استهدفت هذين الصبيين. بعد اكتشاف الجماعة للأمر و اعتراف الصبية قررت الجماعة اعدامهم و نفذت الحكم، فيما يخص ضابط المخابرات المصري الذي كان مازال يتجول علنا نوقشت افضل لطريقه لعقابه فيما بين مقترح لقتله و مقترح لفعل فاحشة اللواط معه! علمت الحكومة السودانية بما وقع ووبخت الجماعة على تنفيذ الاحكام في الصبية و حذرت الجماعة من المساس بالضابط المصري فسمعت جماعة الجهاد و اطاعت لحين طردها من السودان.

لم يجد رجال القاعدة امامهم الا استقلال طائرة انتقلت بهم عبر الامارات بعلم الاجهزة الامنية الغربية الى افغانستان. لم تكن العداوة بين اميركا و بن لادن يومها قد بلغت مبلغا كبيرا فلم يكن قد قام بعمل يهدد المصالح الاميركية باستثناء بعض البيانات العنترية ضد "الصليبيين". على الصعيد العملي اصبحت قيادة بن لادن للجزء الأكبر من التنظيم امرا واقعا تم توثيقه لاحقا بعد اعلان جماعة الجهاد عضوا مؤسسا للجبهة العالمية لقتال الصليبيين و اليهود تحت قيادة بن لادن. كان الظواهري قد انضم لتلك الجبهة بصورة شبه فردية و تبعه في ذلك باختيارهم اكثر اعضاء تنظيم الجهاد المرافقون له و ان قيل ان بعض مكونات التنظيم و على رأسها القيادي "ثروت صلاح شحاته" رفضت الانضمام للجبهة في البداية و اصرت على التركيز على استهداف النظام المصري بدلا من الولايات المتحدة. و قد برر الظواهري تحوله لاحقا بانه اخذ بنصيحة المفكر الحركي الشيوعي السابق الذي تحول الى التحالف مع

الاخـوان المسـلمين "عـادل حسـين" الـذي نصـحه بـالتركيز علـى اليهـود و الاميركـيين.[1] و كمـا يحـدث احيانـا عنـدما تشـتري شـركة تجاريـة شـركة اخـرى و تحـول الطاقـة الانتاجيـة لمـا يناسـب الشـركة المسـتحوذة، فقـد حـول بـن لادن انتـاج اعضـاء الجهـاد مـن قتـال الحكومـة المصـرية[2] و محاولـة قلبـها الى اهـداف خياليـة دعائيـة مثـل قتـال اميركـا و اسـرائيل و الغـرب. و قـد يكـون المثـال الاقـرب منطقـا مـن مثـال الشـركات التجاريـة المسـتحوذة هـو مثـال الفـيروس الـذي يصـيب الكـائن او العضـو البشـري فيحرفـه عـن وظيفتـه الى شـئ اخـر او يعطله كلية.

كـان تغـيير اهـداف التنظـيم نصـرا كـبيرا للمخـابرات السـعودية بقيـادة الشـيخ تركـي الفيصـل الـتي سمحـت لـبن لادن بتـبني قيـادات التنظـيم في المهجـر بدايـة لسـنوات طويلـة و الانفـاق عليـه علنـا مـن امـوال التبرعـات السـعودية المصـدر كمـا سمحـت لقيـادات التنظـيم مثـل محمـد سـلامة مـبروك و المهنـدس محمـد الظـواهري بوجـود تمثيلـي بالمملكـة حتـى سـنة ١٩٩٤. كـان احتـواء التنظـيم -علـى مـا فيـه مـن ضـعف- يخـدم هـدفين؛ اولهمـا اسـتخدام التنظـيم الـذي قتـل السـادات علـى مـرأى مـن مبـارك سـلاحا تهديـديا لتطويـع مبـارك تطويعـا تامـا للسياسـات الاميركيـة حتـى لا تسـاوره اي اوهـام اسـتقلالية او توسـعية علـى الطريقـة الناصـرية.[3] كـان الهـدف الثـاني هـو تعطيـل التنظـيم عـن تحقيـق اي نجـاح في اخـتراق الجـيش المصـري و

---

[1] الشيخ ايمن الظواهري، "التبرئة" ص٩٥

[2] كمـا لـو كـان مـن لا يسـتطيع قتـال دولـة مـن دول العـالم الثالـث كمصـر يسـتطيع قتـال اميركـا و روسـيا و دول حلـف الاطلنطـي مجتمعين.

[3] كان مبارك احد قيادات الطيران المصري باليمن الذي كان يقصف اراضي الدويلة الانفصالية السعودية في الستينيات.

تحويلــه لاتجــاه اســلامي يهــدد امــن الامــارة الانفصــالية الســعودية علــى المــدى الطويــل و هــو خطــر تجلــى تاريخيــا اثنــاء الالــف ســنة الماضــية اكثــر مــن مــرة في قيــام الجــيش المصــري بحمــلات لتحطــيم اي دويــلات انفصــالية تنشــأ في الحجــاز[١]. لم يكــن الشــيخ تركــي الكــبير لينســى اجــداده الــذين امضــوا ســنوات طــوال في ســجون القــاهرة و لم يكــن ينســى ابــاه فيصــل و عمــه ســعود و مــا اصــابهما مــن هلــع بســبب غــارات الطــيران و البحريــة المصــرية علــى عســير في الســتينات و بحثهمــا عــن ارض تاويهمــا في حالــة تخلــى الولايــات المتحــدة عنــهما -كمــا تخلــت بريطانيــا عــن جــده و ابــن عــم جــد جــده مــن قبــل- و طــردت الاســرة الســعودية مــن نجــد للمــرة الثالثــة. كمــا لم ينســى تركــي ان المــرة الوحيــدة الــتي اعلنــت فيهــا التعبئــة العامــة في بــلاده كانــت خوفا من الجيش المصري سنة ١٩٦٢.

في ٢٠٠٧ اطلقــت ادارة مكافحــة النشــاط المتطــرف ســجينها الســري الــدكتور ســيد امــام [٢]امــير التنظــيم الســابق بعــد خمــس ســنوات قضــاها تحــت الارض في احــد اقبيــة التعــذيب الســرية المظلمــة بمدينــة نصــر الى ســجن علــني مــريح .فــور خروجــه قامــت الاجهــزة بتيســير نشــره لكتــاب ضــمنه انتقاداتــه لتنظيمــه الســابق و العمليــات المســلحة. تتابعــت نشــراته و ســاهم بجهــود لحــل مــا تبقــى مــن التظــيم و تحويــل افــراده الى العمــل الســلمي علــى نمــط الجماعــة الصــعيدية. لاقــى عملــه حتــى ٢٠١٠ معارضــة عنيفــة مــن اعضــاء التنظــيم السجناء.

---

[١] كانــت مصــر آخــر دول العــالم اعترافــا بالمملكــة العربيــة الســعودية و تــأخر اعترافهــا بعبــد العزيــز آل ســعود ملكــا علــى الحجــاز لمــا يقرب من عشر سنوات بعد احتلاله لمكة و المدينة.

[٢] كــان ســيد امــام يعــيش بــاليمن بعــد تركــه للتنظــيم فــي حمايــة قبيلــة يمنيــة كبــرى قامــت بتســليمه الــى مصــر بعــد حــوادث ١١ســبتمبر فــي نيويورك.

## جماعات مصرية اخرى

ظهرت في الثمانينات جماعات صغيرة سمت المباحث احداها بالناجون من النار و هي مجموعة خلايا متفرقة اكثرها بالقاهرة يجمعها اعتقاد بفساد المجتمع المصري و جاهليته و ضرورة مفاصلته و فساد الجماعات المسلحة الاخرى الموجودة بمصر و تكفيرها و على الاخص الجماعة الاسلامية الصعيدية. و تعتقد هذه الجماعة بجاهلية الشعب المصري و كفر جميع العاملين بالحكومة المصرية و كفر من لم يعتقد ذلك. كانت عمليات تلك الخلايا بالقاهرة في نهاية الثمانينات سببا في احراج الجماعة الاسلامية و دفعها لتصعيد لهجة بياناتها ضد الحكومة المصرية حتى لا تثبت عليها تهمة التنسيق مع المباحث. ترأس تلك الجماعة الطبيب مجدي الصفتي لحين القبض عليه في ١٩٩٣.

و تتشابه مع اعتقادات الجماعة المذكورة مجموعة خلايا بمحافظة الفيوم اسمتها المباحث الشوقيون نسبة الى المهندس شوقي الشيخ الذي تصدى للجماعة الاسلامية لتعاونها مع الامن و تبنيها لعقيدة الارجاء. شنت الجماعة عدة عمليات ضد مصالح الشرطة بالفيوم و القاهرة و خلايا الجماعة الاسلامية الصعيدية. وقع بعض اعضاء الجماعة بعد اكثر من عشر سنوات من السجن معاهدة مع الحكومة المصرية يترك لهم بموجبها حرية الاحتفاظ بفكرهم و عدم اعلان توبتهم عنه على خلاف مراجعات الجماعة الصعيدية و لكن يتعهدون بعدم الدعوة له نظير اطلاق سراحهم. اهتم اعضاء الجماعتين المذكورتين بالنقاء العقائدي و توضيح المثالب العقدية للجماعات المسلحة الاخرى مما اورثهم

عـداء تلـك الجماعـات. توقفـت الانشـطة المسـلحة للجمـاعتين المـذكورتين اعـلاه منـذ منتصـف التسـعينات بحكم شيخوخة كثير من اعضائهما داخل السجون.

عـدا ذلـك تكونـت بعـد سـبتمبر ٢٠٠١ جماعـة بسـيناء قيـل انهـا بـدات سـلفية ثـم اتخـذت منحـى قاعـديا و تسـمت بالتوحيـد و الجهـاد تيمنـا بجماعـة الزرقـاوي و لم تنخـرط في اي عمليـات ضـد نظـام الحكـم المصـري حتـى وصـلتها اشـارة بحسـب الروايـة مـن اطـراف غـير معلومـة بالسـعودية امرتهـا بالقيـام بـتفجيرات ضـد السـياح اليهـود و وعـدتها بالـدعم المـالي. اصـدرت الجماعـة بيانـات تعلـن مسـؤليتها عـن عـدة تفجـيرات انتحاريـة ضـخمة بشـرم الشـيخ و طابـا تحـت اسـم كتائـب التوحيـد و الجهـاد و كتائـب عبـد الله عـزام. شـنت الشـرطة المصـرية حملـة ضـخمة لمطـاردة اعضـاء الجماعـة فقتـل مـن الشـرطة و الجماعـة العشـرات و انضـم بعـض مشـايخ العشـائر بسـيناء في حمـلات لتقفـي اثـر و مطـاردة افـراد الجماعـة فيمـا يشـبه ظـاهرة الصـحوات بـالعراق نظـير اصـدار الحكومـة المصـرية عفـوا عامـا عـن تجـار المخـدرات مـن ابنـاء تلـك العشـائر كمـا تفعـل المخـابرات الاميركيـة مـع العشـائر المتعاونـة معهـا ضـد طالبـان بافغانسـتان. اسـفرت حمـلات المطـاردة عـن وقـف عمليـات التنظـيم بحلـول ٢٠٠٦ .لا ينتظـر ان تتسـبب تلـك الجماعـة في اي حركـة عميقـة الاثـر بمصـر بسـبب قصـر الانتمـاء اليهـا علـى ابنـاء عشـائر سـيناء و وجـود تيـار مـؤثر داخلـها ينفـر مـن التعامـل مـع بقيـة مكونـات الحركـات المسـلحة المصـرية و احتمـال اختراقهـا مـن طـرف المخـابرات السـعودية لتـأثر كـثير مـن افـراد الجماعـة بالروايـات الوهميـة عـن العقيـدة النجديـة و علمـاء الجزيـرة

و آل الشـيخ. كـان ولـع كـثير مـن افـراد تلـك الجماعـة باسـاطير نجـد و العقيـدة النجديـة مفارقـة غريبـة بـالنظر لكـونهم ابنـاء العشـائر الـتي قاتلـت في بدايـة القـرن العشـرين الى جانـب التشـكيلات المخصوصـة العثمانية ضد بريطانيا سيدة اعراب نجد .

## افغانستان

افغانستان دولة جبلية فقيرة في وسط اسيا تمتد على مساحة ٦٠٠ الف كيلومتر من الاراضي القاحلة و يسكنها ما يقرب من ٢٥ مليون نسمة. تكونت افغانستان الحديثة من اجزاء من امارات خراسان و سجستان التاريخية. نشأت فيها تاريخيا دول قوية استطاعت غزو الهند و المناطق المحيطة مرات عديدة خاصة في عهد الدولتين الغزنوية و الغورية اللتان اتخذتا من غزني و الغور قاعدة لحكمهما على التوالي. استطاع احد حكام قندهار في ١٧١٩م اكتساح ايران و القضاء على الدولة الرافضية و لكن عدم تعاون السلطان العثماني ادى الى عودتها لاحقا و طرد الافغان. نشات في شمال افغانستان و غربها قبل الغزو المغولي مراكز علمية كبيرة مثل بلخ و هيرات. ادى الغزو المغولي الى تدمير مراكز افغانستان الحضرية تدميرا لم تتعافى منه لمئات السنين. خلف المغول دولة رافضية معادية غرب افغانستان قطعت تواصل الافغان مع باقي ديار الاسلام، ثم ادى صعود امارة موسكو الى حصار افغانستان من جهة الشمال و قطع صلاتها بتركستان، و في النهاية احكم الاحتلال الانكليزي للهند الطوق حول البلاد .

يتكون الشعب الافغاني من جماعات عديدة اهمها البشتون الذين يسكنون الشرق و الجنوب و يمثلون الاغلبية و قد حكموا افغانستان معظم تاريخها الحديث، و لغتهم الباشتو التي تعتبر خليطا من الفارسية و العربية و التركية و الاوردية. يليهم في العدد الطاجك الذين يسكنون الشمال و الغرب و لهم عداوة تجاه الاسلام و العرب. بعدها تأتي الاقلية الاوزبكية و هم من السنة ذوي الاصول التركستانية. يليهم الهزارة الروافض الذين يسكنون وسط البلاد. يتكلم الطاجك و الهزارة الفارسية بلهجة "داري". ما خلا الهزارة و بعض الباطنية الاسماعيلية بشمال البلاد يدعي اغلب الافغان اتباع المذهب الحنفي في الفقه و خليط من العقائد البدعية و الشركية و القبوريات في الاصول. لا يشذ عن القاعدة الا سكان ولاية كونر الشرقية الحدودية و بعض اهل نورستان المجاورة الذين يسمون باهل الحديث و يتبعون عقيدة اهل السنة و الجماعة.

في القرن التاسع عشر هاجرت جماعات تركستانية الى شمال افغانستان و اتخذت منه قاعدة لقتال الروس ، كما لجأ بعض مسلمي الهند و باكستان الحالية الى المناطق البشتونية الجنوبية. حاولت بريطانيا سد هذا الخلل في حدودها فغزت افغانستان مرتين. في اول مرة انسحبت الحامية البريطانية بعد احتلال كابل لمدة ثلاث سنوات و لكنها ابيدت اثناء انسحابها .كان معظم الجنود هنود مسلمين و هندوس و معهم الكتيبة ٤٤ من الجيش البريطاني. لم تكن الهزيمة نهائية و قاصمة للقوة البريطانية في

الهند حيث استطاعت بعدها بشهرين الانطلاق من قندهار و بيشاور و اقتحام كابل و تحرير الاسرى البريطانيين المسجونين بها ثم انسحبت. في الحرب البريطانية الثانية بعد اربعين سنة ١٨٧٨ لم تنسحب انكلترا الا بعد تنصيب حاكم متعاون. بغض النظر عن الاساطير الوهمية الرائجة عن الشعب الافغاني الذي لا يقهر و افغانستان مقبرة الغزاة تمكنت بريطانيا في اعقاب تلك الهزائم العسكرية من تنصيب حكام مثل عبد الرحمن خان يحكمون لصالحها و ياتمرون بامرها بما لا يكلف الجيوش البريطانية اي خسائر في الارواح. في السنوات التالية حكم افغانستان حبيب الله بن عبد الرحمن العلماني. حاول السلطان العثماني اقناع حبيب الله خان بالانضمام لنداء الجهاد و السماح للافغان بالقتال ضد بريطانيا في الهند ان لم يقم باعلان الحرب ضدها الا ان حبيب الله خان قبل رشاوى انكليزية و اعلن الحياد و ان كانت التشكيلات المخصوصة نجحت في تجييش قبائل مهمند و محسود[١] في منطقة القبائل و وزيرستان الحالية لمناوشة الجيش البريطاني في شمال الهند.

بعد مقتل حبيب الله خان تولى ابنه امان الله خان الذي بدأ حكمه بمهاجمة الحامية البريطانية في شمال الهند باكستان الحالية ثم ولى جمال باشا احد قادة الدولة العثمانية الثلاثة و معه عدد من الضباط الاتراك ذوي التوجه الوحدوي الاسلامي مهمة انشاء جيش افغاني عصري و سمح لانور باشا وزير الحرب العثماني آخر الحكام الفعليين للدولة العثمانية باستخدام شمال افغانستان كقاعدة عمليات ضد روسيا فيما كان جمال باشا يخطط لتحرير البنجاب و شمال باكستان الحالية من

---

[١] نفس القبائل المضطلعة بقتال الجيشان الباكستاني و الاميركي حاليا.

الاحتلال البريطاني[١] و بدا لبعض رجال الدولة العثمانية السابقين كما لو كانت افغانستان ستصبح منطلقا لحرب تحرير العالم الاسلامي الا ان روسيا[٢] و بريطانيا قاما برشوته فتوقف عن دعم انور باشا و منعه من الانطلاق من افغانستان ثم تحول في اتجاه محو الشريعة الاسلامية.

ادرك حكام افغانستان حجم التخلف المادي الذي تعيشه بلادهم و بحثوا في اسبابه ثم قدروا ان سببه هو الاسلام. لم يكن ذلك حقيقيا من جهة ان الشعب الافغاني لا علاقة لاغلبه بالاسلام الا اسميا، و باستثناء طائفة اهل الحديث في كونر لم يكن لعوام و لا حتى خواص الافغان ادنى معرفة بالعقيدة الاسلامية و لم يكن ما لديهم يتجاوز بعض الموروثات الشكلية في الزي. كان الانتماء القبلي العشائري هو المحرك الاول لشؤون الافغان و ان لم يخلو الامر من تعاطف عام مع الشأن الاسلامي لا توجهه عقيدة منضبطة. قام الملك امان الله خان بجولة اوروبية زار خلالها تركيا الاتاتوركية و اعجب بما رآه. عقب عودته استورد احدث الازياء الالمانية لجنوده الحفاة و خلعت زوجته الحجاب و ارتدت الزي الاوروبي و سن تشريعا يحرم الحجاب. هبت ثورة انتهت بخلعه على يد قوات حبيب الله غازي/ باتشا سقاو الطاجيكي. نادى باتشا سقاو بتطبيق الشريعة الاسلامية و تسليم الحكم

---

[1] H.B. Paksoy," Basmachi Movement From Within: Account of Zeki Velidi Togan", *Nationalities Papers*, Vol. 23, No 2. June 1995. Pp. 373-399

[٢] اهدته روسيا بعض الطائرات البالية البدائية ليستخدمها في توطيد حكمه ضد اعداءه القبائل او المجاهدين.

للعلماء . اقسم رؤساء القبائل البشتونية الشرقية على المصاحف ثم غدروا به و سلموا الحكم لنادر شاه العلماني الذي اعطى امانا لباتشا سقاو ثم قتله .

استمرت مسيرة التغريب و نشر اللادينية و استمرت معها القلاقل و الانتفاضات. قتل نادر شاه بعدها بسنوات على يد طالب كابلي. تولى بعده ابنه ظاهر شاه العلماني الحكم من ١٩٣٣-١٩٧٣. في عهد ظاهر شاه صارت افغانستان منتجعا مفضلا للهيبز و مدمنو الهيروين الرخيص و هواة الغلمان من انحاء اوروبا و اميركا .

في السبعينات استولى محمد داوود على الحكم من ابن عمه ظاهر شاه و قرن التغريب القسري بالشيوعية ووطد علاقته بروسيا . انتفضت خلايا من اهل كونر اولا تحت قيادة جمعية الدعوة للقرآن و السنة بينما رفضت الجمعية الاسلامية بقيادة استاذ العلوم الشرعية برهان الدين رباني ذلك حتى منتصف السبعينات عندما خرجت انتفاضة صغيرة في وادي بانشير. في ١٩٧٨ قام نور طراقي قائد الحزب الشيوعي بقتل محمد داوود خان و اسرته و استولى على الحكم و بدأ حملة عنيفة لتطبيق القوانين الشيوعية في ارجاء افغانستان بما فيها منع تعدد الزوجات و المساواة في المواريث و الغاء الحجاب فخرجت انتفاضة عارمة في نورستان و كونر قادها جميل الرحمن و ما لبثت ان امتدت لباقي البلاد . رد النظام باعدام الالاف من ائمة القرى و الاسلاميين في السجون و بالقصف الجوي لمدينة هيرات التي تم فيها قتل بعض افراد الشرطة.

بحلول عام ١٩٧٩ كانت الانتفاضة ضد النظام الشيوعي قد دخلت طورا جديدا بانضمام حركيو الحزب الاسلامي بقيادة غلبدين حكمتيار و الجمعية الاسلامية بقيادة رباني اليها على نطاق واسع. في نفس الوقت كانت الشيوعيون قد احكموا قبضتهم على الجهاز الحكومي. و فجأة في ديسمبر من ١٩٧٩ خرجت القوات الروسية المتمركزة في ثكنة بضواحي كابل لتنضم الى مجموعات من قوات الاسبتسناز (قوات النخبة الروسية) وصلت عبر مطار كابل متجهة الى القصر الجمهوري. في نفس الوقت كانت قوات روسية اخرى تعبر جسر ترمذ الى الاراضي الافغانية. وقعت معركة طاحنة في محيط القصر الجمهوري بين سرايا الاسبتسناز الروسي و الحرس الجمهوري الافغاني. انتهت المعركة باحتلال القصر الجمهوري و مقتل نور طراقي بالاضافة الى اكثر من نصف مجموعة الاسبتسناز التي كان اغلب جنودها من مسلمي الاتحاد السوفييتي. تولى حفيظ الله امين قائد الحزب الشيوعي الحكم كأول رئيس تحت الاحتلال الروسي. في الايام التالية تتابعت الامدادات العسكرية عبر الحدود و في خلال اسبوع سيطر الجيش الاحمر على المراكز الحضرية بالبلاد.

لمدة ٢٥ سنة ظلت ملابسات التدخل الروسي امرا منتهيا لا جدال فيه، فبحسب الاسباب الشهيرة المعلنة لتداول العوام على المقاهي و امام التلفاز كان الغزو الروسي محاولة من الدب الاحمر البغيض للتسلل الى مياة الخليج الدافئة ليملأ بطنه بترولا، و بالنسبة للاسلاميين كان يمكن اضافة العامل الديني

متلخصا في رغبة الدب الشيوعي في القضاء على الاسلام في منابعه بجزيرة العرب و نشر دين لينين بل و تدمير الكعبة ان امكن. و لا شك ان كثير من مسيري الكرملين كانوا كارهين للاسلام و لكن الأمور لم تكن بهذه البساطة و ما كان لنزاع تقوم فيه المخابرات الأميركية بتدريب و تسليح جماعات اصولية اسلامية مسلحة- على كرهها للمسلمين- ان يكون تفسيره بهذه البساطة. بالاضافة الى ذلك روج العالمون ببواطن الأمور سببا اخر لحماس المخابرات الاميركية في دعم المجاهدين الا و هو الانتقام لما فعله بهم الروس من خلال مساعدتهم للفيتناميين في حرب فيتنام .

لم يكن الاتحاد السوفيتي بحاجة ماسة لبترول و هو احد اكبر منتجي الغاز و البترول في العالم . كما كان حلفاؤه الشيوعيين في اليمن الجنوبي و الحبشة و سوريا يوفرون له كافة التسهيلات العسكرية و القواعد في الشرق الاوسط و البحر الاحمر و القرن الافريقي. كذلك لم تكن افغانستان الفقيرة المعدمة التي تعيش في العصر العباسي تقريبا تمثل خطرا على دولة نووية عظمى.

لقد بح صوت الساسة الروس و هم ينكرون وجود مطامع توسعية لهم في افغانستان و ظلوا يرددون المقالات التي مل الناس سماعها من النظام الشيوعي عن المؤامرات الامبريالية التي تحيكها اميركا و مخابراتها و عن دخولهم افغانستان ليحبطوا تلك المؤامرات. كان التبرير اشبه ما يكون بقصة الذئب الذي اتهم الحمل بتعكير مشربه.

تبين بعد انقضاء الحرب صحة ادعاءات الروس. فقد ادى تصاعدت حركة الجهاد في كنر الى تداعي الجماعات الاخرى لقطف الثمار. كان هناك ثلاث تيارات رئيسة اولها التيار السلفي في محيط كنر بقيادة جميل الرحمن، و ثانيها التيار الحركي المتأثر بالاخوان المسلمين و معقله الفكري جامعة كابل و برز فيه رباني و حكمتيار و عبد الرسول سياف ،و ثالثها التيار الصوفي القبوري و برز فيه نبي محمدي و ملا نصر الله منصور و جيلاني و مجددي و يعملون في قندهار و ما حولها وصولا الى قارديز. استطاعت بعض هذه التيارات و خاصة تيار حكمتيار تكوين خلايا داخل الجيش الافغاني. اعترف حكمتيار في مقابلة مع جريدة الحياة في ٢٠٠٢ ان جماعته كانت على وشك القيام بانقلاب في ١٩٧٩ و انه لم يبق على تاريخ الانقلاب الا اسبوع عندما غزا الروس البلاد. كما ذكر انه كالكثير من انقلابيو عصرنا المحنكين ارسل يستطلع رد فعل السفارة الامريكية و تم الاتصال بمسؤول المخابرات الاميركية في المنطقة.

سواء سرب الاميركيون الخبر للروس ليورطوهم في الغزو و يمنعوا قيام حكم شبه اسلامي او علم الروس من خلال جواسيسهم فقد اضطرت روسيا للتحرك حتى لا تجد دولة اصولية تابعة لاميركا على حدودها الجنوبية. على خلاف ما قيل عن انزعاج اميركا من التدخل الروسي فان هناك ما يدل على ان الامر بخلاف ذلك. فقد كانت اجهزة الامن القومي الاميركي واعية لحقيقة خطيرة تتعلق بالاتحاد السوفيتي حيث صار معدل نمو السكان الروس و الاوكرانيين سالبا فيما اخذ تعداد الشعوب

الاسلامية في التزايد بحيث كان يتوقع وصول نسبة المسلمين في الاتحاد السوفيتي الى ما قبل النصف بقليل بحلول عام ٢٠٠٠ . كانت هذه النسبة مع ما يستتبعها من تواجد مسلم كثيف في صفوف الجيش السوفيتي و الاجهزة الامنية لدولة تملك الاف الرؤوس النووية امرا مفزعا لدوائر القرار في اميركا التي تحتوي اروقة وزارة خارجيتها على بعض اشد طوائف البشرية عداء للاسلام.

لقد وصل عدد السكان المسلمين وقت انهيار الاتحاد السوفيتي الى ما يقرب من خمس سكان جمهورية روسيا الأم و ثلث سكان الاتحاد، ووصل رسلان حسب الله توف الشيشاني الى منصب رئيس البرلمان و بعده وصل جيورجي محمدوف الى منصب عضو مجلس الامن القومي كما خدم الجنرال جوهر دودايف اول رئيس للشيشان المستقلة في صفوف الطيران السوفيتي كقائد اسراب جوية استراتيجية وصولا الى رشيد نورجاليف التاري وزير الداخلية. برغم ان كثير من الاسماء السابقة لم يكن لها علاقة بالاسلام كعقيدة الا ان اميركا لم تكن لتغامر في الحاضر او المستقبل. فضلا عما سبق كان ارتفاع نسبة المواليد يجعل متوسط اعمار الجمهوريات المسلمة اقل من متوسط اعمار الروس و غيرهم من الشعوب النصرانية مما كان يعني وجود عدد من الشباب المسلم في صفوف الجيش السوفيتي يفوق النسبة العددية لسكان جمهورياته مقارنة بالجمهوريات النصرانية. كان لابد من ان يتولى بعض من هؤلاء الجنود و الضباط مناصب في قيادة الاتحاد ان عاجلا او اجلا.

من ناحية الخطر الروسي الفعلي على الخليج كانت اميركا تعلم بان سوء الادارة الشيوعي جعل من روسيا نمرا من ورق. و على خلاف ما كان السياسيون العرب من جيل الخمسينيات و الستينيات امثال جمال عبد الناصر يوهمون به شعوبهم عن ضرب قوى عظمى بالاخرى فالحقيقية ان الاتحاد السوفييتي كان منافسا هزيلا للولايات المتحدة. و بينما كان الرئيس الروسي خروتشيف يضرب بحذاؤه الطاولة في الامم المتحدة في الستينات محتجا على اميركا و مهددا اياها بالويل و الثبور و عظائم الامور كانت يده الاخرى ممدودة سرا تتسول القمح من اميركا ليطعم شعبه الذي اوصله سوء ادارة الاقتصاد و المزارع الجماعية الى شفير المجاعة.

بعد عشرين سنة من الغزو في ١٩٩٨ ادلى زبيغنيو بريجينسكي مستشار الامن القومي الاميركي في عهد كارتر و مهندس خطة دعم الافغان بالسلاح بحديث لصحيفة نوفيل ابزرفاتوار الفرنسية قال فيه:" لم ندفع الروس للتدخل و لكننا عملنا على زيادة احتمالات تدخلهم. كانت العملية السرية التي قمنا بها فكرة ممتازة استدرجت السوفييت الى الفخ الافغاني." بلغت سرية هذه العملية ان اعضاء الكونغرس الاميركي نفسهم تفاجئوا و ظنوا انها محاولة من السوفييت للاستيلاء على بترول الشرق الاوسط و احتلال ايران خوفا من تصدير الثورة الرافضية الى الجمهوريات المسلمة في روسيا . اذكى الرئيس الاميركي كارتر تلك الظنون باعلان مبدأ كارتر و مفاده ان اميركا لن تسمح لأي قوة غيرها بالسيطرة على الخليج العربي. تبين لاحقا ان المخابرات الاميركية كانت تدعم بعض الجماعات التي

تقاتل الحكومة الافغانية قبل الغزو الروسي بستة اشهر من خلال عملية سرية اسمها سيكلون "الزوبعة" و هو ما استفز الروس و دعا الحكومة الشيوعية الافغانية الى الالحاح في طلب نجدات عسكرية روسية.

بدأ مئات الألاف ثم الملايين من اللاجئين الافغان بالتدفق الى باكستان و من ضمنهم قيادات الجماعات الاسلامية كحكمتيار و رباني و محمد نبي محمدي و احمد شاه مسعود. اعتبرت باكستان ان الغزو الروسي مؤامرة لتطويقها مع الهند عدو باكستان الاول و حليف روسيا التقليدي. اتخذ قرار اميركي/ باكستاني بمساعدة المقاومة ضد الاحتلال السوفييتي. بدأ مستشارين اميركيون بالتعاون مع الجيش الباكستاني في تدريب ابناء القبائل الافغانية من اللاجئين كما تم انشاء مستودعات سلاح و ذخيرة في مناطق الحدود الباكستانية. احتجت باكستان بقلة مواردها فتم الاستعانة بالسعودية لتغطية النفقات التي قامت في السنوات التالية بناء على طلب المخابرات الاميركية بتمويل صفقات سلاح خفيف من مصر لصالح الافغان. انشات بعض المؤسسات الخيرية الحكومية الخليجية عيادات طبية و مدارس للاجئين. استنفر اسلاميو باكستان اخوانهم في بقية العالم. كان من اول التيارات استجابة تنظيم الاخوان المسلمين المصري و ممثلوه في نقابة الاطباء المصرية. في بداية الثمانينات كان اثنان من الجراحين المصريين قد زارا بيشاور احدهما ايمن الظواهري الذي عاد بعدها الى مصر ليسجن في قضية مقتل السادات و الثاني هو سيد امام/الدكتور فضل/ عبد القادر عبد العزيز الذي استقر في

عمله مديرا لمستشفى الهلال الاحمر الكويتي و سبقهم في ذلك بضعة مقاتلين مصريين مثل الصحفي ابو الوليد المصري[١] الذي صار لاحقا من قيادات القاعدة حيث كان الشاب الذي تطوع سابقا مع فتح ضد اسرائيل في جنوب لبنان قد زار افغانستان بصفة مجاهد/مراسل صحفي مع عناصر شبه اخوانية قبل الغزو السوفييتي بستة اشهر في يونيو ١٩٧٩ ابان الثورة على نظام نور الدين تراقي الشيوعي. كما قام كمال السنانيري احد الشخصيات الاخوانية البارزة و صهر سيد قطب بزيارة لتقييم الوضع الا ان ادارة مكافحة النشاط المتطرف بمباحث امن الدولة المصرية قامت بقتله تحت التعذيب سنة ١٩٨١ في بداية عهد مبارك.

على الصعيد الأفغاني بدأ شكل المجموعات المكونة للمقاومة تتبلور. كان هناك مجموعة جماعة الدعوة للقرآن السلفية بقيادة الشيخ جميل الرحمن في كونر و نورستان، كما كان هناك المجموعات المنبثقة من الحركة الطلابية الاسلامية بجامعة كابل ذات الميول الاخوانية و اهمها الحزب الاسلامي بقيادة حكمتيار و الجمعية الاسلامية بقيادة بروفيسور رباني و قائده العسكري الشاب احمد شاه مسعود كما كانت هناك خلية صغيرة تابعة لعبد الرسول سياف. كان حكمتيار اهمهم و "اكثرهم" وفاء للشأن الاسلامي في حدود عقيدته الحركية/الخلفية. اما جمعية رباني و قائدها الحقيقي احمد شاه فقد كانت ذات صبغة شعوبية لا دينية معادية لحكمتيار و العرب و قريبة الصلة بالمخابرات

---

[١] مصطفى حامد "ابو الوليد المصري"، "١٥ طلقة في سبيل الله"، ص ٣٦

الفرنسية. بالنسبة لسياف فقد دخل الحلبة متأخرا بعد اطلاق سراحه من السجن في الثمانينات بطريقة مشبوهة[١] و هو اخواني ازهري و لكنه لا يتقيد بمنهج في سبيل الاستئثار باكبر حجم من التبرعات.

من ناحية اخرى انتشرت في الجنوب و الشرق جماعات اخرى ذات توجه صوفي/مذهبي/قبوري معادي للسلفية مثل جماعة انقلاب اسلامي بقيادة محمد نبي محمدي و مركزها قندهار و هي اصل الطالبان فيما بعد. كما كانت هناك جماعات سيد جيلاني( مهازملي) و مجددي (جازملي) في نفس التصنيف العقائدي و مناطق العمليات. فيما بين الحركيين الاخوانيين و القبوريين الصوفية جغرافيا و عقائديا كانت توجد جماعة الحزب الاسلامي بقيادة يونس خالص و تعمل انطلاقا من جلال اباد و الشرق و جنوبا منها جماعة مولوي نصر الله منصور التي كانت فرعا لحزب محمدي ثم انشقت عنه و ارتبط بعلاقات وثيقة مع ايران.

استجابت حكومات الدول الاسلامية للنداء الاميركي باستنفار المؤسسات الدينية الرسمية عبر العالم الاسلامي التي دعت الناس بدورها لمساعدة الشعب الافغاني بكل غالى و رخيص. بدأت المساعدات المالية و العينية بالتدفق على افغانستان. كما عبر نفر من اطباء الهيئات الاغاثية العرب

---

[١] كان سياف الذي قبض عليه في مطار كابل اثناء سفره لدراسة القانون في الولايات المتحدة ابن خالة الرئيس الشيوعي حفيظ الله امين الذي اغتالته القوات السوفيتية ليلة اقتحامها لكابل. و رغم ان سياف بصفته ابن خالة الرئيس كان مسجونا في موقع مميز بالسجن لاهميته الا انه ادعى انهم اطلقوه بالخطا و هو الامر الذي كان يلمزه بشانه بعض قادة الاحزاب الاخرى و يلمحون انه اطلق في اطار صفقة ما لتخريب الجهاد. مصطفى حامد "ابوالوليد المصري"، "١٥ طلقة في سبيل الله"، ص١٢٣

الى الجانب الافغاني لادارة مستشفيات ميدانية لعلاج الجرحى. تعرضت بعض القوافل الاغاثية و شحنات النقد للاختلاس و النهب اثناء نقلها الى داخل افغانستان مما ادى ببعض موظفي الاغاثة العرب الى مرافقة الشحنات للاشراف عليها ثم تطور الامر الى حمل السلاح الفردي اثناء الرحلات الشاقة في الجبال و مناطق القبائل المتمردة و قطاع الطرق. كان هؤلاء النفر بذور التواجد العربي الاسلامي المسلح في افغانستان.

بعد زيارة السنانيري لافغانستان في ١٩٨١ و قبل مقتله التقى في المدينة باستاذ في العلوم الشرعية من اصل فلسطيني و خلفية اخوانية يدعى عبد الله عزام سأله عن افغانستان و راقه ما سمع. كان لعبد الله عزام خبرة في ميدان العمل الاسلامي العسكري حيث قاد كتيبة قواعد الشيوخ شبه الاخوانية في الاردن ابان معركة الكرامة، ضمت هذه الكتيبة عددا من الشخصيات الفكرية من انحاء العالم الاسلامي من بينها الشيخ مروان حديد السوري و الكاتب جلال كشك من مصر. كان لعبد الله عزام علاقات بحركة الاخوان المسلحة في سوريا و قبلها بالحركة في مصر، الا انه انفصل او فصل من الحركة لاحقا و ظلت تتردد اشاعات حتى مقتله عن عودته لاخذ البيعة للمرشد العام و هو ما لم يثبت. كما لا يعلم السبب الذي ادى لانفصاله عنها و ان قيل ان التنظيم فصل مجموعته لعدم موافقة

الاخوان على تعاونه مع منظمة التحرير في الاردن و انشاء سرايا جهادية تحت رعاية المنظمة.[١] انتقل بعدها للتدريس في جدة و مع اعطاء الحكومة السعودية للضوء الاخضر لدعم افغانستان قام في ١٩٨٣ بالمحاضرة في وفود العلماء بمنى عن اهمية الجهاد الافغاني و استحضر فتوى من بن باز مفتي الحكومة السعودية بان الجهاد في افغانستان فرض على المسلمين. استقر عبد الله عزام اولا في الجامعة الاسلامية باسلام اباد حيث وطد علاقته بقيادات اسلاميو باكستان و منهم الى القيادات الافغانية بدءا من عبد الرسول سياف. تكررت لقاءاته بهم و تردده على بيشاور لعقد تلك اللقاءات ثم انتهى به المطاف بترك عقد عمله بالجامعة السعودية و تفرغه للشأن الافغاني. في تلك المرحلة قام بتأسيس مكتب خدمات المجاهدين لتوجيه الموارد الوافدة الى الساحة و رفع كفاءة استخدامها.

ضم ممولي المكتب شاب من جدة اسمه اسامة بن لادن له سبق له في سنوات خلت ارسال اموال لدعم عمليات ضد اليمن الجنوبي الشيوعي و مساعدة الاخوان المسلمين بسوريا[٢] عندما كانت سياسة السعودية معادية لتلك الدول. و رغم ان تلك المساعدات كانت تتم بعلم الاستخبارات السعودية الا انه ظل لمدة طويلة متهيبا من دخول افغانستان و يتردد على لاهور الباكستانية بجد اقصى لايداع التبرعات و العودة. و قد برر هذا بخوفه من ان تستريب فيه الاستخبارات السعودية حتى اقنعه عبد الله عزام الذي كان صديقا شخصيا لابو مازن الملحق العسكري السعودي بان الامر

---

[١] و قد لمح هو نفسه لهذا في كتبه بقوله: "لقد قلنا لهم هيا إلى القتال في فلسطين سنة ٧٠\٦٩ فقالوا:" لا نقاتل تحت راية جاهلية ، فقلنا لهم ارفعوا انتم راية لا اله إلا الله وقاتلوا تحتهما، فقالوا لم تتكون القاعدة الصلبة بعد." صالح الهامي أبوقدامة الاردني "فرسان الفريضة الغائبة، الزرقاوي و الجهاد الافغاني" الجزء الاول، ص ٧٩٤.

[٢] مصطفى حامد"ابو الوليد المصري"، "١٥ طلقة في سبيل الله"، ص٢٤٢

لا ضـــرر منــه فــدخل بـــن لادن الى بيشـــاور الباكســـتانية الحدوديـــة في ١٩٨٤.[1] و قــد عـــاد بـــن لادن بعـــد ذلــك بســنوات في لقــاء مصــور مــع قنــاة الجزيــرة القطريــة في اكتــوبر ٢٠٠١ و قــال ان الســلطات الســعودية هــي الــتي كانــت تنــهاه عــن دخــول افغانســتان حتــى لا يــؤدي اســره مــن قبــل الــروس الى تثبيــت الاتهــام علــى السعودية بدعم الحرب ضد الاتحاد السوفيتي لما لاسرته من صلات قوية بالاسرة المالكة السعودية.[2]

تكــررت زيــارات هــذا الشــاب كمــا جلــب معــدات بنــاء مملوكــة لشــركة المقــاولات العائــدة لاســرته لتســتخدم في بنــاء مخيمــات للاجــئين و خنــادق للمجاهــدين. يعتــبر بــن لادن مؤســس ظــاهرة "مشــايخ الحقيبــة" نســبة الى الحقيبــة الكــبيرة حمولــة عــدة ملايــين دولار الــتي يحملــها الشــيخ معــه في تجوالــه ليــوزع منــها. لــيس لشــيوخ الحقيبــة اي قيمــة عســكرية حقيقيــة كمــا انهــم بطبيعــة وضــعهم كــأغراب عــن الــبلاد الــتي يقــاتلون فيهــا لا يتمتعــون بــدعم سياســي في تلــك المجتمعــات ذات التقاليــد القبليــة العصــبية، و مــع ذلــك يحظــى شــيخ الحقيبــة عــادة باســتقبالات حافلــة و احضــان مفتوحــة مــن مضــيفيه حتــى تنفــذ حقائبــه و مــن حقــه حتــى ذلــك الحــين ان يــتكلم بمــا يشــاء عــن رؤيتــه للحاضــر و المســتقبل و انشــاء دولــة خلافــة و مــا شــابه و عــادة مــا يــتم طــرده او قتلــه عقــب اســتنفاذ اموالــه و قدرتــه علــى جلــب المزيــد. وقــع شــيئ قريــب مــن هــذا عنــدما طالــب الافغــان عبــد الله عــزام بتســليم مــا لديــه مــن تبرعــات فــرفض حتــى هــدد بالقتــل. يومهــا فــر عبــدالله عــزام الى الشــمال الافغــاني لــدى احمــد شــاه مســعود الشــعوبي اللاديــني و عــاد ليــدبج كتــاب رحلــة الشــمال الــذي مــدح فيــه اســد بانشــير. عــودة الى شــيخ الحقيبــة الأكــبر، فعلــى خــلاف مــا ينشــر لم يكــن كــل مــا ينفقــه

---

[1] المرجع السابق، ص٢٣٨
[2] تيسير علوني،مقابلة مراسل قناة الجزيرة القطرية مع اسامة بن لادن، اكتوبر ٢٠٠١

مصدره ثروته الشخصية التي لم تتعد الخمسين مليون دولار يومها في حين انه انفق ضعفي ذلك اثناء مسيرته. كان الجزء الأكبر من ميزانيته مصدره متبرعين من ميسوري المملكة و الخليج يثقون باماتته خلافا لبعض المشرفين الرسميين على التبرعات الاغاثية الذين لاكت سمعتهم الالسنة، كما كانت هيئات الاغاثة الرسمية الكبرى تأخذ بمشورته فيما يخص مصارفها .في المجمل كان بن لادن احدى واجهات الانفاق المعتمدة من المخابرات السعودية على الساحة الافغانية الى جانب الهلال الاحمر السعودي و مؤسسة الحرمين و غيرها بل و يروى ان ابا مازن الملحق العسكري السعودي كان يشرف على وصول طائرات المتطوعين من المملكة الى باكستان في طريقها الى معسكرات بن لادن و يستقبلهم بنفسه في المطار[١] و يقوم افراد من جهاز المخابرات السعودية بزيارات علنية لمواقع بن لادن في الجبهة مثل الموقع المعروف بالماسدة حيث يستقبلون بالترحاب.

على الجانب الفكري كان للشاب عاطفة اسلامية جياشة في اطار المسموح به حكوميا و كان يحلم بان يكون صلاح الدين جديد ينقذ الأمة و لذا سمى احد ابناؤه باسم القائد الايوبي الشهير.كما كان لأسامة معرفة ببعض القادة الأفغان الذين كانوا يفدون على المملكة للحج و العمرة و قد يقضي بعضهم وقتا في مضافته. كان بن لادن عادة ما يستهل لقاءه بالقادة الافغان بتوزيع الهدية الاحب الى قلب كل "قومندان" و هي السيارات اللاند كروزر لكبار المسؤولين و البيك اب للقادة الاصغر. فيما بعد صار توزيع سيارات الدفع الرباعي من علامات الوصول لمرتبة شيخ حقيبة.

---

[١] ابو زياد المكي، "من مذكراتي في الجهاد" ، الجزء الثاني.

بحلول ١٩٨٥ كانت همم الافغان قد خارت برغم الدعم الذي كان يفد عليهم عبر الحدود . كانت منطقة القبائل الباكستانية قد صارت قاعدة خلفية للمقاتلين الافغان. لم يكن هذا راجعا للاوامر الرسمية فقط بمساعدة الافغان و انما عاد للروابط القبلية بين بشتون افغانستان و بشتون باكستان حيث قسم خط ديوراند البريطاني للحدود القبيلة الى قسمين تقريبا . كما كانت القبائل على الجانب الباكستاني دوما مشبعة بالعاطفة الاسلامية الجهادية .انهكت السيطرة الجوية الروسية المقاتلين الأفغان و بدأت صفوفهم تتشظى تحت وطأة الخلافات القومية و الرغبة في جمع اكبر كم من الاموال. لم يكف فساد قادة الاحزاب المعروفة حتى ظهرت قيادات جهوية اكثر فسادا لتزيد الوضع سوءا . كان هناك حاجي قدير المشهور بتجارة المخدرات بالشرق في جلال اباد و اسماعيل خان بالغرب في هيرات. كما دعمت ايران حزب الوحدة الرافضي في الوسط حول باميان و نشطت ميليشيات قطاع طرق اسماعيلية باطنية شمال غرب كابل .في تلك السنة التقى الرئيس الاميركي رونالد ريغان في نيويورك وفدا بقيادة برهان الدين رباني امير الجمعية الاسلامية.

لا يعلم السبب الذي ادى باميركا الى رفع مستوى دعمها للأفغان في تلك الفترة الحرجة و قد يكون انفجار مفاعل تشيرنوبل في ١٩٨٦ وطد الاعتقاد بضعف اجراءات حماية المنشآت النووية السوفيتية مما يعرضها للوقوع في ايد معادية. ادت الكارثة يومها الى تلوث اجزاء من اوروبا الغربية و تم رصد

الاشعاع على الشاطئ الشرقي للولايات المتحدة. على ما يبدو فقد اتخذ قرار باضعاف الاتحاد السوفييتي كخطوة نحو تفكيكه ثم نزع سلاحه النووي. لقد تغاضى الغرب عن وجود الاتحاد السوفيتي لمساهماته في قمع مسلمي المشرق و مساعدته ضد المانيا حيث قامت الجيوش الروسية بالدور الأكبر في هزيمة المانيا و اقتحام برلين و تكلفت خلال ذلك اكثر من عشرة مليون قتيل، و لكن صبر الغرب كان قد بدأ ينفد خاصة و ان الشعور الاسلامي كان يطل برأسه مرة أخرى وسط مسلمي الاتحاد.

وصل الدعم الأميركي النوعي في ثلاث اشكال. الشكل الأول كان امداد الافغان بصواريخ ستنجر المحمولة على الكتف المضادة للطيران و هي افضل ما انتج يومها. و قد رد عبد الله عزام وقتها على من اكثروا من الحديث عن "اعطاء اميركا السلاح المتقدم للمجاهدين" قائلا ان "اميركا تقاضت ثمنه كاملا سبعين الف دولار عن القطعة" و لكنه لم يشرح لماذا اعتبرت السي اي ايه جماعات المجاهدين ضمن "الدول الحليفة" التي لا تسمح ضوابط تصدير السلاح الاميركي ببيع الستنجر الا لها. لم تكن اميركا في حاجة لسبعين الف دولار فقد بلغ انفاقها العسكري السنوي يومها اكثر من مائتي مليار دولار. و بالفعل فقد عرضت اميركا بعد انتهاء الحرب مليون دولار لاستعادة الصاروخ الواحد و هو ثمنه في السوق السوداء لزبائن الميليشيات -ان وجد- و الثمن الذي كان يفترض بالافغان ان يدفعوه لو لم تشتريه لهم الحكومة السعودية. قدر الله ان يكون هذا السلاح الفعال -الذي يحاول تجار السلاح

الان شـراؤه بمليـون دولار للقطعـة فـلا يجدونـه- نجـم المعركـة ضـد الجـيش الاحمـر كمـا كـان الصـاروخ الروسـي سـام-٦ المضـاد للطـيران نجـم معركـة العـرب ضـد اسـرائيل في ١٩٧٣. في حالـة مصـر كـان تخلـي جمـال عبـد الناصـر عـن تطـوير الصـناعة النووية و الصـاروخية الناشـئة ثمنـا لاسـتلام صـواريخ سـام ٦ مـن الـروس قبـل موتـه في نهايـة السـتينات. في الاشـهر التاليـة لاسـتلام السـتنجر سـيقوم الصـاروخ باسـقاط مئـات الطـائرات الروسـية مكلفـا الخزانـة الروسـية المفلسـة مليـارات الـدولارات. بـدأ الطـيران الروسـي يتحاشـى الطـيران فـوق افغانسـتان الى ان تم تحييـد فعاليتـه و صـارت المعركـة ارضـية. تسـلم الافغـان السـتنجر في ١٩٨٧ فانسحب الروس في بداية ١٩٨٩.

تجلـى المظهـر الثـاني مـن مظـاهر الـدعم النـوعي الاميركـي الثـاني مـن خـلال امـر اميركـا للـدول الاسـلامية بتجيـيش مواردهـا لتقـديم الـدعم للافغـان. قامـت الحكومـات بـدفع مؤسسـاتها الدينيـة الرسميـة للقيـام بحملـة شـعبية واسـعة النطـاق لـدعم الافغـان ماليـا. صـدرت الفتـاوى مـن الازهـر و هيئـة كبـار العلمـاء السـعودية و غيرهمـا و مشـايخ الصـحوة و الغفـوة بوجـوب التـبرع للجهـاد الافغـاني ضـد العـدو الاحمـر. سمحـت الحكومـات بجمـع تبرعـات بمئـات الملايـين مـن الشـوارع و المسـاجد و كبـار التجـار. افتـى علمـاء دول عربيـة -تطلـق النـار علـى رعايـا الـدول المجـاورة اذا حـاولوا دخـول اراضـيها هربـا مـن الفقـر او طلبـا للامـن- بـان ايـواء الافغـان الواقعـة ديـارهم علـى حـدود الصـين و دعمهـم بالمـال مـن اقـرب القربـات[١]. كـان

---

[١] كمـا يحـدث احيانـا فـي الحمـلات الرسـمية لاعانـة غـزة او جنـوب لبنـان بعـد سـقوط خمسـمائة قتيـل فيمـا لا تتحـرك تلـك الـدول عنـدما يقتل خمسين الف عراقي.

الافغـان مـن افقـر شـعوب العـالم و زادتهـم الحـرب فقـرا و لكـن تلـك الفتـاوى صـدرت عـن شخصـيات لم يعـرف عنـها سـابقا ذلـك الحمـاس للتضـامن الاسـلامي. و لـرأب الصـدع بـين فئـات المقـاتلين فتحـت ابـواب الكعبـة في ١٩٨١ و دخلـها الرافضـي(زعـيم حـزب وحـدت) و القبـوري الصـوفي و الاخـواني و حضـرهم ابـن بـاز وكبـار العلمـاء و الامـراء و عبـد الله عـزام و اقسـموا جميعـا علـى الوحـدة فيمـا عـرف باتفاقيـة الاتحـاد الاسـلامي حيـث تم انشـاء مجلـس مجاهـدين موحـد و اسـندت رئاسـته الى اضـعفهم و اقلـهم جندا عبد الرسول سياف لضمان عدم استئثار احد الاقوياء برئاسة المجلس الصوري.

كانـت الصـورة الثالثـة مـن صـور الـدعم المـادي الـتي نفـذها زبيجينـو بريجنسـكي مستشـار الامـن القـومي الاميركـي هـي السـماح بـدخول الـدعاة و الشـباب العـرب للجبهـة لالهـاب حماسـة الافغـان الـذين تـدافع الملايـين منـهم للـهجرة خـارج بلادهـم و لـو لمسـح الاحذيـة في باكسـتان او الغـرب. كـان هـذا الاقـتراح يخـدم غرضـين، اولهمـا مـد الجبهـة بمتطـوعين عقائـديين و ثانيهمـا علـى المسـتوى الـدولي ايجـاد منفـذ للغضـب المكبـوت لـدى شـباب الـدول العربيـة الاسـلامية. لم يكـن رجـال الامـن القـومي الاميركـي غـافلين عـن الثـورات المكبوحـة في بـلاد العـرب بـدءا مـن احـداث السـبعينات بمصـر و اضـطرابات ١٩٧٨ و مقتـل السـادات و ظهـور بـويعلى بـالجزائر و انتفاضـة الخبـز عنـدما خـرج الشـباب الجزائـري يهتـف تحـت قيـادة علـي بلحـاج "ضـايعين ضـايعين دزونـا (ارسـلونا) فلسـطين". كمـا لم يكونـوا غـافلين عـن احـداث حمـاة و لبنـان وواقعـة جهيمـان بمكـة و اشـتباكات النهضـة و انتفاضـة الخبـز بتـونس. علـى الفـور خرجـت الفتـاوى

بوجـوب دعـم الافغـان بالسـلاح و الرجـال و ان المتخلـف عـن الجهـاد في افغانسـتان آثـم. كـان دعـم الأفغـان واجبـا بـلا شـك و لكـن اغلـب مـن افتـوا سـحبوا فتـواهم لاحقـا عنـدما امـرت اميركـا بسـحب المقـاتلين العـرب. كمـا ذكـر اكثـر مـن مسـؤول امـن قـومي غربـي لاحقـا كانـت الحـرب فرصـة للـتخلص مـن مـثيري الشغب الاصوليين في الشرق الاوسط عن طرق ضربهم بروسيا و مسلمي روسيا .

فتحـت الـدول الاسـلامية حـدودها لعبـور المتطـوعين. كانـت المملكـة السـعودية تـوفر بطاقـات السـفر للـراغبين في الجهـاد و تسـمح للجرحـى العـرب و بعـض الافغـان بـالعلاج في السـعودية. كمـا سمحـت مصـر و الجزائـر و غيرهـم بسـفر المتطـوعين علنـا . و سمحـت الـدول الخليجيـة لضـباط الجـيش و الشـرطة باخـذ اجـازات تفـرغ للسـفر للجهـاد .في البدايـة كـان المتطوعـون يتـدربون مـع الافغـان ثـم يرسـلون للجبـهات.في مرحلـة لاحقـة اسـس عبـد الله عـزام معسـكر تـدريب منفصـل للوافـدين. انقسـم العـرب الموجـودين بالسـاحة الباكسـتانية الافغانيـة الى قسـمين عـرب الـداخل و عـرب بيشـاور الباكسـتانية. كـان المتطوعـون الراغبـون في القتـال يرسـلون الى جبـهات داخـل افغانسـتان ويفـترض بقـاءهم هنـاك لحـين رحيلـهم الا ان كـثيرا منـهم كـان يتسـرب بعـد اسـابيع او ايـام عائـدا الى بيشـاور. امـا عـرب بيشـاور فكـانوا طـائفتين خـلاف العائـدون مـن الجبـهات.الطائفـة الاولى كانـت موظفـو الاغاثـة و اسـرهم و عـادة لم يشـترك هـؤلاء في اي قتـال و كـان عـدد منـهم عـاملا مـع مخـابرات بـلاده. كمـا كـان هنـاك المهـاجرين الاسـلاميين مـن بـلاد اخـرى.انقسـم اولئـك بـدورهم الى قسـمين، قسـم اسـتقر في باكسـتان كمحطـة نهائيـة و قسـم آخـر تـابع

التخطيط لاعمال عسكرية و اعلامية في بلاده الاصلية. قام الاخيرون بانشاء معسكرات تدريب على الحدود الافغانية بغرض تأهيل افراد جماعاتهم للعمل في بلادهم.

كانت ساحة بيشاور تموج بالتيارات الفكرية و الاشاعات و الاتهامات الصحيحة و الباطلة مما كان يستفز عبد الله عزام كثيرا و جعله يذكر اهل بيشاور في خطبه محذرا المتطوعين الجدد من النزول لبيشاور و حضور المنتديات البيشاورية و يسميها "محرقة الحسنات". لم يكن بعض اولئك يبادلونه ودا فقد دأب كثير منهم على اتهامه بالعمالة لأجهزة المخابرات و قيل ان ايمن الظواهري كان يرفض الصلاة خلفه. كان ايمن و زملاؤه يصلون الجمعة في مسجد مستشفى الهلال الأحمر الكويتي حيث عمل سيد امام امير جماعة الجهاد بينما كان عبد الله عزام يصلي في مسجد سبع الليل و قد حاول عزام مصالحتهم و لكنه لم يفلح.

في الداخل الافغاني كان الوافدين يخضعون لتدريب عسكري و الى حد ضئيل من التعليم العقائدي الذي كان يتفاوت من مكان لآخر بعد تزايد المعسكرات و الجبهات التي بتواجد فيها العرب. كان معسكر مكتب الخدمات عموما منفتحا لكل التيارات سلفية و صوفية و اخوانية و غيرها حسب منهاج عبد الله عزام. و برغم عدم تمسكه بتقصي المنهج السلفي الا انه كان شديد الحماس للجهاد بصفته مخرج الأمة من كبوتها و برغم ما قيل عن كونه مقاول انفار مقاتلين لحساب اميركا و غيرها الا

ان كتبه و خطاباته كانت تدعو الشباب المسلم للحضور لافغانستان لتلقي التدريب العسكري ان لم يروا القتال، و تظهر خطبه انه كان يعد برنامجا ضخما لمحو الامية العسكرية لدى منتسبي الحركات الاسلامية و الشباب المسلم على مستوى العالم، كما عرف عنه طهارة اليد في التعامل مع التبرعات الضخمة التي كانت ترد للجهاد. كان عبد الله عزام يدعو لبناء قواعد لدعم الجهاد كما ورد في كتيبه عن قواعد محمد بن مسلمة و قد اسس مع بن لادن اول تلك القواعد التي اشتهرت لاحقا باسم القاعدة او قاعدة الجهاد.

مع تزايد اعداد الوافدين الخليجيين و السعوديين خاصة نشأت الحاجة لمعسكر خاص بهم يبتعدون فيه عن التيارات "الغير سلفية و التكفيرية" الشائعة في اماكن اخرى. كان كثير من الشباب السعودي الوافد جنودا في الجيش و الشرطة السعودية في اجازة بدون راتب "للجهاد" بعلم الدولة و وبتذكرة سفر على نفقتها[1] احيانا. و بالطبع كانت اخبار التيارات الفكرية التي تنتقص من الحكام العرب و الخليجيين تصل لاسماع الاجهزة الاستخبارية عقب عودة المتطوعين. قام بن لادن بانشاء مضافة سميت ببيت الانصار و وضع على راسها بعد فترة مجموعة من القوميين السعوديين[2] اقرب ما يكونوا الى الطائفة المعروفة بالجامية. قامت تلك الادارة بمرور الوقت بقصر دخول المضافة على مواطني دول

---

[1] كانت الحكومة السعودية تخصم ثلاثة ارباع قيمة تذكرة الطائرة للراغبين في السفر لافغانستان.عبد الله انس،"ولادة الافغان العرب"، ص٣٦.

[2] كان القائم على المضافة في اول امرها رجل يدعى الجارود كان يمنع الكلام عن حاكم السعودية مما دفع بعض اعضاء الجماعات الموجودة ببيشاور لاتهامه بالعمل مع الامن السعودي و الف بشانه كتيب سمي "البارود في تكفير الجارود".

مجلس التعاون الخليجي . كما اقام بن لادن معسكرا لايواء اولئك و وضع على ادارته امين شرطة مصري سابق من سجناء قضية تنظيم الجهاد في ١٩٨١ كنى نفسه ابو عبيدة البنشيري اعتزازا منه بقتاله لايام تحت راية احمد شاه مسعود يعاونه مساعد يدعى ابو حفص المصري[١] قاتل معه تحت راية مسعود . في ذلك المعسكر بدأ يتضح مؤشرين على منهج و عقيدة بن لادن. الاول يتعلق بمنهجه في التعامل مع البيئة المحيطة و هدفه من الوجود بافغانستان، ففيما كان عبد الله عزام بطبيعة خلفيته العلمية و الدعوية مهتما بدعوة الافغان و يدعو العرب الى الاختلاط بهم و التجاوز عن مخالفاتهم العقائدية من قبور و تمائم و ما شابه برغم ما كان يسببه ذلك الاختلاط من مشاكل، كانت معسكرات بن لادن اشبه بنظام المماليك البرجية حيث يحبس الجند في الثكنات بغرض التدريب المستمر و لا يخرجوا منها الا الى رؤوس الجبال للقتال و منها الى القبر او المعسكر او الى بلادهم. و فيما يحفظ لنا التاريخ حالات كثيرة في العصر المملوكي حرم فيها السلطان على الجيش باكمله الزواج لفترات طالت او قصرت، فان نظام الحجز بالمعسكر كان بالتاكيد مانعا لهذا التزاوج و الاختلاط و هو ما يمكن اعتباره خيرا من احد الاوجه لما سبق ان وقع قبل تطبيق نظام الحجز من قيام كثير من الخليجيين و على الاخص السعوديين بالزواج من افغانيات لاسابيع ثم تركهم و العودة بما ان القانون السعودي لا يسمح بالزواج من مسلمة غير سعودية الا بعد موافقة وزارة الداخلية التي تمنح بصعوبة (بمفهوم ضمني ان الاصل في مسلمو البلاد الاخرى خارج مملكة السعودية الكفر و البغاء) مما ادى

---

[١] مهندس زراعي قضى فترة تجنيده الاجباري بمصر كملازم اول احتياط. عبد المنعم جمال الدين،"المصريون في القاعدة، من هم؟ و اين هم؟"، مدونة "نحو التجديد" ٢٠٠٨/١١/١١.

لنفور الافغان من العرب بالاضافة لرفضهم في احيان كثيرة الصلاة خلف الائمة العرب لأنهم "وهابيون" . فيما بعد عندما قتل عزام اصبح نموذج بن لادن في عزل المقاتلين عن المجتمع الذي يقاتلون فيه هو النمط المتبع في الجبهات الافغانية و غيرها .و فيما كان المماليك يعزلون عن المجتمع في صباهم الا انهم يحكمونه لاحقا ، كان المجاهدون العرب يعزلون عن محيطهم ثم يطردون و يشحنون بالطائرات الى بلادهم او سجونها بعد انتهاء مهمتهم مما يجعل التجربة اقرب شبها بهجر"الاخوان النجدية" (و قتلهم بعد انتهاء مهمتهم) من نظام الابراج المملوكية.

ادت سياسة العزل بحجة "الأمنيات" الى انتشار حالة من الجهل الفاحش بين المتطوعين لدرجة ان كثيرا منهم كان يجهل اسم المحافظة الافغانية التي يعيشون و يقاتلون فيها فيما كانت اغلب اجهزة الاستخبارات العالمية المعنية تعرف الموقع بالتحديد على الاقل عن طريق المخابرات الباكستانية. كانت ادارة المتطوعين تحرص على ابقاءهم في الظلام قدر الامكان كما تفعل الحكومات العربية بمواطنيها عندما تمنعهم عن الخوض فيما يخص الشؤون العسكرية تحت طائلة قوانين التخابر و الاتهام بمحاولة قلب النظام. و فيما كانت تلك الانظمة تخفي ابسط الأمور مثل عدد الطائرات المقاتلة التي يمتلكها جيشها كانت الدولة التي باعتها السلاح تنشر تفاصيله على الانترنت و في الصحف حيث يراها الاطفال. اتضح لاحقا انه لم يكن هناك سبب واضح لاخفاء مثل تلك الامور خاصة و ان اميركا كانت تسلم اسرائيل تفاصيل جميع تلك الصفقات كما اتضح لبعض الناس ان كثيرا من

الصواريخ العملاقة التي كانت تعرض في المواكب و العروض العسكرية كانت هياكل مملوءة بالاسمنت سميت بالظافر و القاهر بكامل علم اميركا و الغرب كما اتضح ان الطائرات المعروضة لا تجدي نفعا الا في الاستعراضات و ضرب المظاهرات و ربما التصدي للدولة العربية القزمة المجاورة لسويعات حتى تساومهم اميركا على مدهم بسلاح اكثر فعالية. و مع ذلك كانت هذه الامور معروفة لضباط تلك الجيوش على خلاف متطوعو افغانستان الذين حرصت ادارتهم على ابقاءهم في الظلام بينما كان يسمح لضباط المخابرات السعودية بالتجول في المكان بحرية مع ان اولئك المتطوعين نبذوا الغالي و الرخيص و حضروا بلا مقابل ليقاتلوا و يقتلوا الى جانب حلفاء ناكري الجميل مستعدين لقتلهم و سحلهم اذا ما كان الاجر مناسبا . كان تشابه نمط تعامل ادارة المتطوعين معهم و تعامل الحكومات العربية مع مواطنيها طبيعيا بالنظر الى ان تلك الادارة كانت ربيبة تلك الحكومات مع الفارق في الكفاءة، و كما ظلت الجماعة الصعيدية المصرية تعلن لمدة عشرين سنة انها لا تضمر عداوة اصيلة للنظام المصري و ستهادنه اذا ما اعاد لها مساجدها و سمح لها بالدعوة فقد ظل بن لادن لمدة عشر سنوات يعرض خدماته و خدمات المتطوعين على الحكومة السعودية في جبهات شتى و لم يتوقف الا بعد ان لفظته تلك الحكومة بناء على الاوامر الاميركية بوقف التجربة.

اما المؤشر الثاني على منهج و عقيدة بن لادن فكان موقفه و موقف ادارة معسكراته من الدولة. فبينما كانت التجمعات العربية الاسلامية تعج بالساخطين على الحكام العرب و الخارجين

لتوهم من سجونهم كان تناول الحكام و على الاخص الخليجيين و السعوديين بالذات مسوغا للطرد من معسكر الفاروق التابع لبن لادن. و بما ان كثيرا من مرتادي تلك المعسكرات كانوا من عناصر الجيش و الشرطة الخليجية المجاهرين بحقيقة عملهم بالاضافة لافراد المخابرات السعودية المستترين فلم يكن هناك مجال لانتقاد المباحثيون و مخبريهم فضلا عن تكفيرهم كما كان شائعا في تجمعات اخرى. كان جمع و تدفق سيل التبرعات المليونية من الجزيرة لبن لادن عبر التحويلات البنكية العلنية و المطارات مراقبا من مخابرات مجلس التعاون و كان احتفاظه بمركزه كشيخ حقيبة و اميرا شرفيا للمجاهدين العرب مشروطا بالتعاون مع الاجهزة الرسمية الخليجية و هو نفس الخيار الذي واجهه خطاب و قادة "سعوديون" آخرون و لم يترددوا كثيرا فيما ينبغي فعله. كانت السيطرة الاستخباراتية السعودية على بن لادن تمر عبر عدة قنوات احدها ارسال شيوخ دين حكوميين للاشراف على التزامه و التزام رواد معسكراته بعقيدة "اهل السنة و الجماعة" كما حددتها الاستخبارات السعودية. كان اولئك المشايخ و منهم اسماء لامعة مثل الفوزان يقومون بمهمة ضابط التحكم الذي يدير العملاء في شبكة استخبارية، و كان اخفاق بن لادن في ارضاء اولئك المشايخ يعني انقطاع تدفق الاموال اليه و بالتالي سقوطه.

كان منهج معسكرات بن لادن يتبع العقيدة السلفية على مذهب الشيخ الكبير. و هنا تبرز اهمية التعرف على اهم شخصية اثرت في الجهاد الافغاني و غيره من ساحات السلفية الجهادية الحديثة. لم تكن تلك الشخصية عبد الله عزام و لا سيد قطب و لا بن لادن بالطبع. كانت تلك الشخصية و

التي سيرمز لها بعد ذلك بالشيخ الكبير لما له من دور في ارساء قواعد العمل الجهادي للاصوليين هي شخصية الرجل الذي تولى قيادة جهاز المخابرات السعودية بعد كمال ادهم. تولى تركي الفيصل ادارة دفة جهاز المخابرات السعودي لمدة خمس و عشرين سنة انتهت قبل الحادي عشر من سبتمبر بايام. ارسى تركي الفيصل عقيدة العمل الجهادي المعبأ سلفا حيث كانت الطائرة تأخذ "المجاهد" من جدة او الرياض الى بيشاور حيث يستقل حافلة الى المعسكر ثم سيارة الى الجبهة. كان اول القواعد التي ارساها عدم انتقاد اي حاكم خليجي و خاصة ملك السعودية فيما كان يسمح بذلك فقط بالنسبة للحكام الذين في حالة عداء مع المملكة كصدام و القذافي و الاسد و مبارك احيانا، و ان كان الموقف من الاخيرين يتغير بحسب متطلبات السياسة الخارجية على مر الايام. كانت القاعدة الثانية عدم الحكم بالكفر على اي حكومة عضو في مجلس التعاون الخليجي او موظفيها. كما كان يمنع تعميم الحكم بالكفر على سكان اي دولة عضو في منظمة المؤتمر الاسلامي حيث تحرص المملكة على الاستئثار باستخدام ذلك السلاح العقائدي. كما كان يمنع الكلام عن قتال حكومات تلك الدول تحت طائلة الاتهام باتباع مذهب الخوارج. فضلا عن ذلك شملت عقيدة الجهاد المعبأ سلفا مقولة ان لحوم علماء دول مجلس التعاون الخليجي و خاصة السعوديين مسمومة للتنفير من انتقادهم خاصة فيما يتعلق بفتوى استدعاء جيوش النصارى ابان حرب الخليج التي كثر الجدال بشأنها بين اتباع السلفية الحكومية و غيرهم في آخر ايام الجبهة الافغانية. ". كانت ضوابط الشيخ الكبير تمنع بشدة تصل الى الطرد من المعسكرات و الجبهات انتقاد علماء الدولة السعودية و مفتيها و كبار اعضاء مؤسستها

الدينية الرسمية و لم يكن انتقاد احد الائمة الاربعة يلاقي مثل ذلك الاستنكار. لم يحظ علماء الدول الاخرى بنفس الحصانة حيث كانت لحومهم احيانا اشهى من لحم الطير المشوي خاصة اذا كانت دولهم في شقاق مع "مملكة الخير و التوحيد" او كانوا من الذين يتدخلون في السياسة و "اختصاصات اولياء الخمور".

كان الجهاد على مذهب الشيخ الكبير جهادا بلا سبي[١] "كموقعة الجمل" مع اختلاف الدوافع او على الاصح انه كان كذلك كما كان الحال مع كل "جهادات" الامارات السعودية المتعاقبة. ادى هذا الأمر الى حوادث مشينة خاصة و ان كثيرا من المقاتلين كانوا يصلون للجبهات و في حسبانهم اعادة احياء سنن الجهاد الماضية من سبي و مغنم ؛ ففي احد الحالات الشهيرة قام مجموعة من المجاهدين المستجدين باغتصاب ممرضة عسكرية روسية اغتصابا جماعيا متتاليا بدون اتباع شروط استبراء الارحام في السبي بعد الاستيلاء على موقع روسي قريب من الحدود الجورجية. فيما كانت اجهزة الدول العربية الاخرى مثل مصر تتوجس من التعامل مع الاسلاميين بحكم انتمائها اللاديني الشيوعي، كان الشيخ الكبير يتعامل مع جماعات المتطوعين بثقة ذات اصول موروثة منذ ايام الهجر النجدية و

---

[١] حرم عبد الله عزام السبي بقوله:" هذا كمن يأتي للشيخ عبد العزيز (بن باز) يقول له: شيخ عبد العزيز, هل يجوز سبي النساء الشيوعيات -اتخاذهن جواري- طبعا الجواب النظري.. نعم يجوز اتخاذهن جواري, لو جاء وسألني لقلت: يحرم اتخاذ هذه النساء جواري.. لماذا؟! لأني أعرف مالا يعرفه الشيخ عبد العزيز, أعرف لو اتخذوا واحدة من نساء جلال آباد من نساء الشيوعيين اتخذها واحد عربي جارية, لذبح العرب جميعا .. لماذا؟! لأن المرأة زوجة الشيوعي من القبيلة الفلانية التي معظم أبناؤها مجاهدين, فكيف يراد من ابنتهم, قد سرقها عربي واتخذها جارية؟!! الحكم النظري يجوز هو مجاهد, لكن الشيخ ما يعرف طبيعتهم.. طبيعة هذه الأمور, هذه قليلة والأعراض أيضا غالية جدا , والمصلحة هنا تقدم وترجح الحرمان, والمنع للمصلحة الشرعية.
ثم لو يستفتون شباب العرب المتحمسين الذين وصلوا بيشاور ودرسوا الفقه, وفلان في الحديث, هل يجوز اتخاذ النساء الروسيات اللواتي في المعركة يقاتلهم المسلمين وأخذهن.. هل يمكن اتخاذهن جواري؟! طبعا الجواب: نعم عند الشيخ.. أنا أقول له: لا يجوز لك, كذلك يحرم عليك.. لماذا؟! لأنه لو أخذنا الروسية يأخذون مائة مسلمة, وينتهكون أعراضهن.. نفتي بالجواز أم بالحرمة عند ذلك؟! إذا كان اتخاذ واحدة جارية يؤدي إلى انتهاك أعراض مائة مسلمة, نفتي بالجواز أم بالحرمة!?.
ويأتوني ليحرجوني يقولون: الشيخ عبد العزيز يفتي بغير ما تفتي(في قضايا اخرى حيث ان عبد العزيز لم يفتي ابدا بجواز السبي), والله الشيخ عبد العزيز على الرأس وأحبه أكثر من أمي وأبي ومن نفسي, لكن لو علم الشيخ عبد العزيز ما أعلم لأفتى بما أفتينا به.

التي تحولت بعد القضاء على الاخوان السعوديون الى كتائب باسم المجاهدين ما زالت تعمل ضمن منظومة الحرس الوطني السعودي.

مع تعدد مجموعات المتطوعين من عرب و غيرهم بدأت تظهر ولاءات و تحالفات بينهم و بين القادة الافغان. لم تتعد العلاقات مستوى القادة من الجانبين لخوف القادة من ان يؤدي الاحتكاك العقائدي بين الجنود من الطرفين الى نتائج غير محمودة و كشف الخدعة المدبرة للمتطوعين فلم يكن كثيرا من جماعات الافغان اكثر من مجموعات من الحشاشين القبورية المبغضين للاسلام. كما لم تكن هناك اي خلفية لغوية او اجتماعية مشتركة بين الطائفتين، و باستثناء عبد الله عزام لم يعمل اي من القائمين على شؤون المتطوعين على تسهيل دمجهم بالواقع الافغاني الا في المجال العسكري. و مما يذكر انه بينما كان المنصرون و اعضاء هيئات الاغاثة الغربية يتعلمون الفارسية و البشتو للتخاطب مع الافغان كان مسؤلو المتطوعين العرب لا يعيرون هذا الموضوع انتباها و يعتبرون تعلم اللغات الافغانية امرا يستلزم تصريحا "امنيا" من "القيادة" التي غالبا ما كانت تبذل جهودا حثيثة لمنع المتطوعين من الاختلاط بالافغان على عكس هيئات التنصير و الاغاثة الغربية التي كونت من خلال اختلاطها بالافغان ولاءات على المستوى الشعبي اثمرت في مراحل لاحقة. عدا ذلك اتخذت الروابط و التحالفات بين المتطوعين و الاحزاب الافغانية شكل يشبه التعصب السطحي الرياضي الكروي لتلك الجماعة او ذلك القائد فضلا عن قيام اغلب القادة الافغان بضم بعض العرب الانتفاعيين لحاشياتهم و دفع مرتبات للمتطلعين

منهم نظير قيام اولئك الموظفين بجملة علاقات عامة و تمثيل للقائد لدى المتطوعين و من ورائهم المتصدقين للجهاد. اقتصر التحالف بين المتطوعين و الافغان على المجموعات الافغانية السلفية و الاخوانية الحركية باقسامها و ان لم يمنع ذلك قيام بعض المتطوعين بالقتال الى جانب مجموعات محمد نبي محمدي القبوري في قندهار.

التف السلفيون الحكوميون و غير الحكوميون وخاصة الخليجيون حول جميل الرحمن الكونري السلفي مما ولد غيرة تجاهه من بعض القادة الافغان الآخرين الذين اعتبروه مستأثرا باكثر من نصيبه من المساعدات الخليجية. كان جميل الرحمن اقدم القادة جهادا و اكثرهم التزاما بالعقيدة السلفية. التفت مجموعات اخرى حول غلبدين حكمتيار و حزبه الاسلامي نظرا لما عرف عنه من شجاعة و اهتمام بالعمل الاسلامي المسلح الدولي و مبدأ وحدة الامة. على جانب اخر التف اخرون بقيادة عبد الله انس الجزائري صهر عبد الله عزام حول احمد شاه مسعود وواجهته الشرعية برهان الدين رباني. كان احمد شاه شعوبيا لا دينيا يكره العرب كما كانت بطولاته في التصدي للروس مبالغا فيها اذ اكتشف لاحقا انه كان يدفع لكبار القادة الروس امثال الجنرال الكسندر ليبيد لكي يسلموه خط سير الفرق الافغانية كما كان يعقد اتفاقات وقف اطلاق نار منفصلة مع الجيش الاحمر مخففا الضغط عنه كي يتفرغ للجبهات الاخرى. تعلم مسعود في صباه الفرنسية في ثانوية ليسيه كابل مما يسر له فيما بعد التعامل مع ضباط اجهزة المخابرات الفرنسية و الاوروبية و المنصرين/الاطباء الاوروبيين الذين

كانوا يعملون بلا قيود في مناطقه و قيل ان بعض المتطوعين العرب واجهوه بسلوك البعثات الطبية الغربية التي تستغل عملها في التنصير فرد عليهم قائلا: "احضروا بديل مسلم او اصمتوا" . اثير هذا الأمر في اوساط المتطوعين و بدأت الشائعات تنتشر مما حدا بعبد الله عزام لتكوين لجنة تقصي حقائق اثبتت خلصت الى عدم وجود اي من هذه المزاعم. لم يكن هذا صحيحا و لابد ان تدخل عبد الله انس لدى صهره كان سببا في صدور تلك النتيجة المستغربة التي ادت الى هز الثقة في عبد الله عزام.

ظل احمد شاه عميلا غربيا مخلصا حتى اخر ايامه عندما كان الجيش الروسي يمده بالسلاح عبر الحدود الطاجيكية ليحارب الطالبان و عندما قدمته رئيسة البرلمان الاوروبي خطيبا امام البرلمان الاوروبي ببروكسل ليقف معلنا حاجته لمساعدات عسكرية و مالية بصفته خط الدفاع الاخير للعالم المتحضر في وجه" التطرف الاسلامي" الذي يمثله مشروع امارة طالبان. كشفت تفاصيل اخرى عن عمالة مسعود عندما استجوب الكونجرس الاميركي عقب هجمات سبتمبر قيادات المخابرات الاميركية بشأن احتياطاتهم للتصدي لارهاب بن لادن قبل الهجمات فدافع اولئك عن انفسهم بتفصيل المبالغ التي دفعوها لاحمد شاه لينفذ عمليات اغتيال ضد بن لادن. لم تكن علمانية مسعود الواضحة تعني عبد الله انس مبعوث عزام –الذي سيتحول لاحقا الى عميل للاستخبارات الفرنسية و الانكليزية التي تقوم بحراسته في لندن– عندما اقنع عزام ببراءة مسعود .

التفت مجموعات اخرى حول الخطيب شبه الاخواني ذو النكهة السلفية عبد الرسول سياف. لم يكن لسياف قوة عسكرية تذكر و كان جل اهتمامه بجمع مال التبرعات، و كان متعاونا مع السلطات

السعودية التي منحته جواز سفر سعوديا في اول رحلة زارها فيها .[١] ارسلت الجماعة الصعيدية افرادا يقاتلون في صفوفه فسمح لهم بفتح معسكر تدريب. قام سياف باصدار مجلة البنيان المرصوص و ضم اليها بعض المتطوعين العرب ليقوموا بالدعاية له في اوساط المتصدقين. بنهاية الحرب انضم الى طاقم المجلة شاب اردني غير معروف يكنى ابو مصعب الزرقاوي.

لتثبيت ولاء المتطوعين لقيادات الجبهة الجديدة احيا عبد الله عزام اسطورة الشيخ الناصح و السلطان الطائع. تسقط هذه الاسطورة قصص مشاهير العلماء مع حكامهم في التاريخ الاسلامي على الواقع المعاصر، فعلى غرار تحالف العز بن عبد السلام مع السلطان نجم الدين ايوب و المظفر قطز و بعدهم الامام محمد بن عبد الوهاب و الامير محمد بن سعود فقد روج عزام للرئيس الباكستاني ضياء الحق الذي اقسم على تطبيق الشريعة و دعم الجهاد و اشياء من قبيل انه ما اتصل به ليلا الا و قيل له ان الرئيس قائم الليل يصلي.كان عبد الله عزام ناشطا جهاديا اضنته حياة الاستضعاف و ظمأ سنوات طويلة لدولة تدعم الجهاد بالسلاح و المال و المأوى فلما رأى ما راى من دعم ضياء الحق انطلق في مدحه مما جلب له اللوم من بعض العاملين على الساحة. و في واقعة مشهورة "دعى الشيخ عبد الله عزام الشيخ عمر عبد الرحمن أمير الجماعة الإسلامية بمصر لإلقاء محاضرة في مكتب الخدمات في بيشاور سنة (١٩٨٨) وتطرقا فيها للحديث عن ضياء الحق، لم ينكر الشيخ عمر

---

[١] مصطفى حامد "ابو الوليد المصري"،"١٥ طلقة في سبيل الله" ص١٢٩

عبـد الـرحمن فضـل ضـياء الحـق وخدماتـه للجهـاد الأفغـاني، لكنـه تطـرق لموضـوع حكـم ضـياء الحـق وموقـف الشـريعة الإسـلامية منـه. قـال الشـيخ عمـر عبـد الـرحمن:" إن الحكـم الشـرعي في ضـياء الحـق واضـح"، واصـفا إيـاه بـالكفر مـع تقـديره لمواقفـه البطلـة وتضـحياته الجسـام. أجابـه الشـيخ عبـد الله عـزام يومهـا:" إن ضـياء كـان في طريقـه للحكـم بالإسـلام وقـد صـرح مـرارا أنـه يريـد القيـام بتطبيـق الشـريعة،وكانت لـه ثمـة خطـوات بهـذا الشـأن". لم يقبـل الشـيخ عمـر عبـد الـرحمن هـذا الطـرح، واعتـبره كـأبي طالـب عـم الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم في نصـرته للرسـول بـدافع القرابـة و النخـوة.. .أراد الشـيخ عبـد الله عـزام التعقيـب علـى قـول الشـيخ عمـر عبـد الـرحمن فقـال: "و لكـن...." فقاطعـه الشيخ عمر عبد الرحمن قائلا له :"يا عبد الله مش لكن!". صمت الشيخ عبد الله بعد ذلك."[١]

كانـت صـداقة عـزام/ ضـياء الحـق مـن عجائـب افغانسـتان حيـث كـان الجنـرال ضـياء الحـق قبلـها بعشـرين سـنة موفـدا الى الاردن علـى رأس قـوة جويـة باكسـتانية للتصـدي لاي محاولـة مـن جمـال عبـد الناصـر للتـدخل في الاردن و محاولـة تطويـق اسـرائيل او التوغـل جنوبـا في اتجـاه السـعودية. كمـا عمـل ضـياء الحـق مستشـارا عسـكريا للملـك حسـين و قائـدا للفرقـة الثانيـة للجـيش الاردنـي و دعـم بـالتخطيط و المشـورة عمليـات الجـيش في ايلـول الاسـود ضـد الفلسـطينيين. و تصـدت البعثـة الجويـة الباكسـتانية (التدريبيـة اسمـا) لاجتيـاح الفرقـة الخامسـة الآليـة السـورية لشـمال الاردن عنـدما حاولـت نجـدة الفلسـطينيين

---

[١] صالح الهامي أبوقدامة الاردني "فرسان الفريضة الغائبة، الزرقاوي و الجهاد الافغاني" الجزء الاول، ص ٧٩٥.

المحاصرين هناك و بضمنهم عبد الله عزام في اربد و تسبب التدخل السوري ايامها في استنجاد الملك حسين بالولايات المتحدة و اسرائيل لانقاذ نظام حكمه.

لاحقا ستنتشر الثنائيات الخيالية "عزام و ضياء"، "انس و مسعود"، "شعبان و بيغوفيتش"، و "بن باز و فهد" و و سيصبح لكل جبهة اسطورتها . طبقا لتلك الاسطورة لا يبرم الرئيس او القائد امرا الا بعد استشارة العالم الرباني المذكور. و تروج الاسطورة ان الشيخ هو القوة الحقيقية في البلاد و انه من خلال سيطرته على الحاكم سيطبق الشريعة و يقود الرعية الى دولة الخلافة. كما روج عبد الله عزام لمقولة ان قادة المجاهدين اتفقوا معه على الزحف بعد كابل الى القدس.كان عزام ينهى العرب عن انتقاد القادة الافغان و يكرر فيهم حديث "اتقوا الله في اصحابي"، كما ينقل عنه صهره عبد الله انس انه كان يأمر العرب بالرضا بمن اختاره الافغان اميرا عليهم و يقول: "نحن ايتام ابناء ارملة، اي واحد يتزوج امنا فهو ابونا . لا يهمنا من يحكم افغانستان من بين القادة السبعة (حكمتيار، مسعود، رباني، مجددي، محمد نبي، سياف، يونس خالص) نحن لا يحق لنا ان نتدخل في شؤونهم.اي واحد منهم يتفق عليه او تحصل له البيعة فذلك الذي نعترف به"[١] .لم يكن عزام ودودا تجاه قادة الافغان و الباكستان فقط بل و ايضا الملحق العسكري السعودي في اسلام اباد و كان يشعر انه يستطيع تسخير العالم كله لخدمة مخططه و لعله نجح جزئيا .

---

[١] عبد الله انس "ولادة الافغان العرب" ص٨٨.

في ربيع ١٩٨٩ اقترحت باكستان و اميركا على الافغان ان يهاجموا مدينة جلال اباد احد اكبر المدن الافغانية و اقربها للحدود مع باكستان و من ثم جعلها مقرا لحكومة المجاهدين المؤقتة. اشتركت فصائل كثيرة و بضمنها العرب في الهجوم الذي عد تحولا نوعيا من حرب العصابات الى الحرب النظامية في ارض مفتوحة هي سهل جلال اباد . كان العرب تحت قيادة بن لادن و مسؤوله العسكري ابو عبيدة البنشيري الجندي السابق، و مع ان العديد من العرب ذوي المؤهلات العسكرية نصحوا بن لادن بعدم الدخول في المعركة خوفا من مواجهة سلاح المدرعات الافغاني باكمله في غياب و سائل الدفاع الكافية ضده الا انه اصر على موقفه خاصة بعد ان اشركته المخابرات الباكستانية في جلسات تخطيط العملية الى جانب قيادات الاحزاب الافغانية بصفته قائدا للعرب. انتهى الهجوم بمذبحة للمجاهدين على يد سلاح المدرعات الحكومي و مني المتطوعون العرب بعدد كبير من القتلى في اكبر خسارة بشرية في عملية واحدة حتى احداث سبتمبر ٢٠٠١ .كان ضمن القتلى يومها مقاتل بلوشي يعمل في مجلة البنيان المرصوص التابعة لعبد الرسول سياف يدعى عابد شيخ محمد[١] سيصير لاخيه الاصغر خالد شأنا كبيرا فيما بعد . تعليقا على تجاهل بن لادن لنصيحة قادة عسكريين محترفين و اعتماده على رأيه و رأي الجندي البسيط ابو عبيد البنشيري ذكر احد اولئك القادة ان "بن لادن جاهل و يقرب الجهال" فيما قال قائد عسكري محترف آخر بالساحة انه ود لو ان يقتحم غرفة

---

[١] صالح الهامي أبوقدامة الاردني "فرسان الفريضة الغائبة، الزرقاوي و الجهاد الافغاني" الجزء الاول ص ٢٦٨.

بـــن لادن و يطلـــق النـــار عليـــه و علـــى ابـــو عبيـــدة و مـــن معهـــم فـــيخلص الجهـــاد مـــن اعمـــالهم. بعـــد تلـــك الهزيمة ترك بن لادن افغانستان و عاد للمملكة.

اثمـــر الاســـتنزاف المســـتمر للاقتصـــاد الســـوفيتي الفاشـــل عـــن قـــرار روســـي بالانســـحاب. كانـــت تكلفـــة تعـــويض الطـــائرات الروســـية الـــتي يســـقطها الســـتنجر وحـــدها بمليـــارات الـــدولارات كمـــا بـــدأت ســـلالات خطـــيرة مـــن الاصـــولية الاســـلامية تتســـرب الى روســـيا مـــن الاراضـــي الافغانيـــة و عـــبر عـــودة الجنـــود المســـلمين بـــالجيش الروســـي الى مجتمـــع مســـلمو روســـيا المغيـــبين لقـــرون عـــن ابســـط مبـــادئ دينـــهم. لم ينســـحب غورباتشـــوف الا بعـــد ارتكـــاب مجـــازر بشـــعة اوصـــلت قتلـــى الافغـــان الى مـــا يقـــرب المليـــون و مثلـــهم مـــن المعـــاقين في شـــعب تعـــداده يومهـــا ١٥ مليـــون. في مقابـــل ذلـــك خســـر الـــروس حـــوالي خمســـة عشـــر الـــف قتيـــل و اضـــعافهم مـــن المعـــاقين و مـــع ذلـــك لم يكـــن حجـــم الخســـارة البشـــرية هـــو مـــا دفـــع روســـيا ذات الجـــيش المليـــوني للانســـحاب، فقـــد كـــان مئـــات الالاف مـــن شـــباب مســـلمي روســـيا ينتظـــرون دورهـــم بحكـــم قـــوانين التجنيـــد و الســـخرة العســـكرية للانخـــراط في الجـــيش الـــذي لم يكـــن تعـــداده في افغانســـتان في اي وقـــت يزيـــد عـــن مائـــة الـــف جنـــدي بكـــثير. كانـــت المشـــكلة الأكـــبر في اهـــتزاء النســـيج السياســـي للاتحـــاد الســـوفيتي و ظهـــور بـــوادر اســـتقلالية لـــدى بعـــض مكونـــات الاتحـــاد ممـــا كـــان ســـيتطلب توجيـــه المـــوارد العســـكرية و الامنيـــة للـــداخل. خرجـــت القـــوات الروســـية في ١٩٨٩ لكنـــها تركـــت كميـــات ضـــخمة مـــن ســـلاحها مـــع العميـــل الشـــيوعي نجيـــب الله. كـــان نجيـــب طبيبـــا اشـــتهر في جامعـــة كابـــل كـــرئيس اتحـــاد الطـــلاب الشـــيوعيين الـــذين طالمـــا

اشتبكوا مع اعضاء الجناح الطلابي للاتحاد الاسلامي بقيادة حكمتيار. بعد تخرج نجيب ترفع في مناصب الدولة الى مرتبة رئيس جهاز المخابرات الافغاني"خاد" ثم وثب الى رئاسة الجمهورية. كان نجيب مسؤلا عن مذابح بشعة اثناء عمله بالمخابرات و اثناء السنوات الثلاث التي حاول فيها يائسا منع المجاهدين من اتمام نصرهم.

عقب خروج الروس باشهر وقعت حادثة فاصلة في تاريخ الافغان العرب و هي مقتل عبد الله عزام. وضعت قنبلة على طريقه لمسجد سبع الليل حيث يصلي الفجر ففجرت سيارته و قتل الشيخ و ولديه. تعددت الاراء حول قاتله، اتهم البعض اسرائيل بدعوى انه كان يدرب فلسطينيين ليرسلهم للضفة، و اتهم آخرون اميركا، و اشيع ان حكمتيار قبض على القاتل و اعدمه بسرعة سرا. بمقتل عبد الله عزام انقطع خيط كان يربط كثيرين من الموجودين على الساحة و يرسم لهم الطريق. اعقبه في مركز الخدمات آخرون لم يحظوا بنفس الشعبية منهم الشيخ يوسف عباس و برز وقتها اسم مؤسس معسكر الفاروق التدريبي اسامه بن لادن كشيخ العرب الجديد. لم يكن لبن لادن مواصفات عبد الله عزام الذي الف عشرات الكتيبات و مئات الخطب و جعل كلمة الجهاد تجري على السنة اجيال من المسلمين كانوا قد ظنوا ان الجهاد فريضة تاريخية الغيت، و ستمضي اكثر من عشر سنوات قبل ان يصل اسامة لمستوى شعبية شيخه. كان بن لادن قد بدأ الرحيل من افغانستان عقب خروج الروس مباشرة في ١٩٨٩ تنفيذا لاوامر الشيخ الكبير الذي امر الهيئات الخيرية السعودية بتقليص اعمالها

استعدادا للخروج من افغانستان فعاد اسامة الى جدة رغم مناشدة عبد الله عزام له بالبقاء في افغانستان و عدم ترك الساحة.

بدأت كل طائفة تعد نفسها لوراثة النظام الشيوعي المتهاوي. اسهمت الشيوعية و سنوات الحرب الطوال في افقار الشعب الافغاني و صارت افغانستان تعتمد على المعونات الغذائية القادمة من روسيا للبقاء. فقد النظام سيطرته الا على المراكز الحضرية الكبرى التي شحنها بصواريخ سكود ليدمر بها القوات التي تحاصره. كان سقوط النظام امرا مفروغا منه، فبدأت المجموعات المختلفة تخطط لاستلام نصيبها من الحكم. بدأت تطرح افكار عن اجراء انتخابات عامة و تنصيب حكومة في المنفى ثم حكومة مؤقتة حال سقوط الحكم الشيوعي. وافق الجميع تقريبا و تردد جميل الرحمن احتجاجا منه على السماح للروافض بالاشتراك في الحكم و امور عقائدية اخرى كما ذكر، الا انه اشترك في الانتخابات في النهاية و فاز عن ولاية كونر. بعد الفوز عاود الاحتجاج على شكل و نظام الحكم المقترح خاصة بعد تاكيده على ضرورة الالتزام بالضوابط الشرعية و العقيدة السلفية و هو ما خالفه فيه الجميع. التقت الاحزاب الافغانية في مؤتمر قرروا فيه استبعاد جماعة جميل الرحمن و منح حزب

الوحدة الرافضي عدة وزارات و تنصيب القائد الصوفي القبوري صبغة الله مجددي[١] رئيسا مؤقتا للجمهورية لمدة ستة اشهر لحين اجراء انتخابات.

ردا على ذلك اقام جميل الرحمن هيكل حكومة في كونر المحررة و بدأ يتخذ خطوات لاعلان ولايته امارة اسلامية مستقلة قائلا "ان كان في وسع قطر ان تكون دولة مستقلة ففي وسع كونر ان تكون دولة مستقلة". لم يكن للجماعات الاخرى اي اهتمام بتطبيق الاحكام الشرعية فاعتبروا ما فعله جميل الرحمن بدعة خطيرة و كثر الحديث عن ميوله الانفصالية و تفتيت الدولة و عمالته للحكومة السعودية. لم يعلم مدى صحة التهمة الاخيرة خاصة انها صادرة عن اطراف تطعن في اساس عقيدته و تعتبر السلفية بدعة وهابية مكفرة و ان كانت روابط جميل الرحمن مع السعودية و تدفق الاموال الحكومية اليه قد تزايدا للغاية في آخر ايامه و مُنع انتقاد السعودية في معسكراته[٢] كما قام بتعديل الخطاب الاعلامي في مجلة جماعته الصادرة بالعربية "المجاهد" و حذف منها المقالات الغير مرضي عنها من السلطات السعودية.[٣]

---

[١] كان صبغة الله مجددي اكبر قيادات الحركة الصوفية في افغانستان و يؤمن بعقائد منحرفة منها عقيدة الاقطاب الاربعة الذين يمسكون الارض.

[٢] الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية ص ٢٠٦

[٣] سمحت السلطات السعودية بدخول العدد الاول من المجلة مما ولد دعاية مواتية لجلب تبرعات لجماعة جميل الرحمن الا انها منعت دخول الاعداد التالية لوجود مقالات تكفر حاكم سوريا و مقالات اخرى عن حرب المدن و القنابل. و قد راعت الجماعة هذا الامر و قامت بحذف المقالات المشابهة من الاعداد التالية و اوردت فيها مقالات لعلماء معروفين بولائهم للحكم السعودي مثل ربيع المدخلي.

تزايـدت تحرشـات الاحـزاب الافغانيـة بكـونر و بـدأوا بحصـار الولايـة و حـاولوا اقتحامهـا و لكنـهم لم يفلحـوا . وصـلت عـدة شخصـيات علميـة عربيـة تنتمـي الى الاخـوان و غيرهـم للقائـه و ثنيـه عـن اعـلان امـارة اسـلامية في كـونر، كـان مـن هـذه الشخصـيات عبـد المجيـد الزنـداني. فشـلت الوسـاطة و اسـتمر الحصـار. في احـد ايـام سـنة ١٩٩٠ طلـب احـد العـرب لقـاءه فسـمح لـه الحـرس بالـدخول بـدون تفتـيش كعـادتهم مـع العـرب و لكنـه اخـرج سـلاحا و قتـل بـه جميـل الـرحمن، قيـل ان القاتـل انتحـر بمسدسـه و قيـل ان حـرس جميـل الـرحمن قضـى عليـه في التـو. عثـر مـع القاتـل علـى بيـان قـال فيـه انـه اراد ان يطهـر السـاحة مـن دسـائس جميـل الـرحمن. تـبين ان القاتـل شـاب مصـري مـن الجماعـة الصـعيدية فـرع الاسـكندرية يكنـى ابـا عبـد الله الرومـي عمـل في مجلـة الجهـاد التابعـة لمكتـب الخـدمات ثـم انتقـل منـها لمجلـة البنيـان المرصـوص التابعـة لحـزب سـياف و كـان يتبنـى مـذهب عبـد الله عـزام في الانكـار علـى مـن يطـالبون الافغـان بتصـحيح عقائـدهم و يعتـبر هـذا تشـددا في غـير محلـه .لم يكـن عبـد الله عـزام راضـيا عـن منحـى جميـل الـرحمن حتـى موتـه. كـان لجميـل الـرحمن اسـلوب مختلـف عـن اسـلوب عـزام حيـث ركـز علـى التوحيـد و تنقيـة العقائـد و قـام بتحطـيم بعـض القبـور و الاضـرحة و شـن حمـلات علـى امـاكن زراعـة المخـدرات و هـي كلـها جهـود مسـتهجنة عنـد بـاقي القـادة. بعـد مقتـل جميـل الـرحمن اعلـن خلفـاؤه في جمعيـة الـدعوة للقـرآن و السنة خضوعهم التاملالا للقيادة السعودية.

في المرحلة التي سبقت سقوط كابل المتوقع بدأت الجهات الغربية في الترتيب للمرحلة التالية، على الجانب العربي اصدر الشيخ تركي الكبير امرا لهيئات الإغاثة السعودية الكبرى بالرحيل بما ان الحرب انتهت، لم يكن هذا مسوغا سليما لأن الاحتياجات الانسانية للشعب الافغاني لم تنته بانتهاء الحرب فقد كان حوالي اربعة ملايين لاجئ افغاني يعيشون في معسكرات حدودية على اقل من ربع دولار للفرد يوميا مع وجود حوالي مليون معاق داخل و خارج الحدود. اسفر رحيل الهيئات الخليجية عن رحيل العرب العاملين لديها و المتحلقين حولها. شفع بن لادن امر الشيخ الكبير بعد بضعة اشهر بامر جازم الى كافة " ابناء الجزيرة" و هم نصف العرب الموجودون بافغانستان بترك افغانستان و النفير الى المملكة للدفاع عنها مع ان حضور القوات الاميركية كان قد تقرر و اشتهر امره [1] فضلا عن ذلك اصدر توجيها للشباب الذين سبق لهم الالتحاق به من السعوديين بعدم السفر الى افغانستان من وقتها فصاعدا استعدادا لقتال الجيش العراقي.

بدأ الحديث يكثر عن ان البقاء في افغانستان مع تقاتل الافغان فيما بينهم فتنة "كفتنة علي و معاوية لا يجوز شرعا الدخول فيها" مع ان الافغان يتقاتلون فيما بينهم منذ قرون قبل وجود الروس و اثناء وجود الروس و بعد رحيل الروس و الفارق الوحيد في ١٩٩٢ كان امر الشيخ الكبير النهائي و الجازم بالرحيل. تم توفير تذاكر سفر مجانية لمن اراد الرحيل و ارسل بن لادن الاسلحة الموجودة لديه الى احمد شاه مسعود. في اسابيع بدأ المئات يرحلون الى ديارهم، و ذهبت قلة الى جبهات اخرى

---

[1] مصطفى حامد "ابو الوليد المصري"، "مطار ٩٠"، ص١٧٦

استجدت، و طلب البعض اللجوء السياسي في الغرب. بقيت مجموعتان احدهما بداخل افغانستان من المخلصين لفكر عبد الله عزام و التابعين لمكتب الخدمات و ترأسهم ابو روضة السوري ليكونوا سرية انضمت لحكمتيار جنوب كابل في قتاله لمسعود، اما المجموعة الاخرى فقد بقيت في بيشاور تجتر تراث المرحلة الماضية و تستخلص منها العبر منهم شاب اردني اشتهر لاحقا بكنية ابو مصعب الزرقاوي.[١] في تلك المرحلة او قبلها بقليل وفد شيخ فلسطيني يكنى ابو قتادة صار فيما بعد بالاضافة لابو محمد المقدسي -الذي رحل قبله بعامين من افغانستان- احد اشهر شخصيات الفكر الجهادي الحديث و ان لم يطل مقامه ببيشاور ثم انتقل الى لندن.

في بداية ١٩٩٢ كانت العاصمة مطوقة من فصائل عديدة و الجيش الحكومي في حالة سيئة و يعتمد على الميليشات الشيوعية المحلية لمساندته، كان احدى اقوى هذه الميليشيات هي ميليشيا الجوزجان التي يقودها عبد الرشيد دوستم الاوزبكي و مقرها بلخ و مزار شريف في الشمال. اوشك حكمتيار قبلها بسنة ان سيتولي على الحكم بالتواطؤ مع وزير دفاع الشيوعيين الجنرال شاه تاناي الا ان المحاولة فشلت. ادى سقوط مدينة خوست الصغيرة و ولاية غرديز الواقعتان جنوبي كابل في ايدي الجماعات الاسلامية الزاحفة من الجنوب في ربيع ١٩٩٢ الى تضييق الخناق حول العاصمة. تواطأت

[١] وصل ابو مصعب لافغانستان في نهاية ١٩٨٩ مطلع ١٩٩٠بعد انسحاب الروس و توجه في البداية للقتال ضد النظام الشيوعي الافغاني في جبهة خوست التابعة لجلال الدين حقاني المرتبط تنظيميا بيونس خالص حيث تزامل مع خطاب السعودي الشيشاني و ابو معاذ الخوستي الفلسطيني.

ميليشيات الجوزجان بقيادة دوستم مع وزير الدفاع الافغاني و اخلت الطريق لقوات احمد شاه مسعود لدخول العاصمة من مواقعه شمال كابل بجبل السراج لقطع الطريق على الاسلاميين الحركيين من دخول كابل من الجنوب. دخلت قوات الجمعية الاسلامية العلمانية بقيادة احمد شاه مسعود و اقتسمت حكم كابل مع ميليشيا دوستم الشيوعي. فر الرئيس الافغاني نجيب الله بموجب اتفاق سري الى مبنى الامم المتحدة بوسط كابل و بقي بداخله لمدة ٤ سنوات. حاول رجال الحزب الاسلامي التابع لحكمتيار دخول كابل الا انهم سقطوا في كمائن و قتل منهم المئات فاوقف حكمتيار الدخول و تحصن في محيط العاصمة. اعلنت حكومة مؤقتة يرأسها شيخ الطرق الصوفية مجددي. عرض على حكمتيار قائد اقوى الاحزاب الافغانية منصب رئاسة الوزراء بشرط الا تدخل اي من قواته محيط كابل و يقتصر الوجود العسكري فيها على قوات احمد شاه و دوستم فرفض حكمتيار و بدأت قواته تتبادل القصف مع قوات احمد شاه. تدخلت جهات خارجية رسمية و غير رسمية كثيرة مثل اسامة بن لادن و الشيخ محمد قطب و قيادات الاخوان المسلمين مثل الشيخ محمد الصواف الموصلي و غيرهم للضغط على حكمتيار و اقناعه بمهادنة مسعود و حلفاءه الشيوعيين الا ان مسعود كان مصرا على البقاء في الحكم و حكمتيار مصرا على ان الجهاد لم ينتهي و ان الشيوعيين مازالوا يحكمون في كابل تحت مظلة احمد شاه مسعود.

استبقى مسعود الجهاز الحكومي الشيوعي و بدأ رجاله بقيادة محمد فهيم و بسم الله خان يعيثون فسادا في كابل بالاشتراك مع ميليشيات دوستم التي اشتهرت باسم غلم جم (جامعو الابسطة) بسبب

شراستهم في النهب. بدأت تحدث حالات تعرض و نهب للمتطوعين العرب اثناء مرورهم بكابل مما دعاهم للامتناع عن دخولها كما انتشرت حوادث القتل و اغتصاب النساء التي يقوم بها رجال دوستم و مسعود بالاضافة لقصف حكمتيار من الضواحي مما اسهم في ارتفاع اعداد الضحايا من سكان كابل حتى وصل عددهم الى ما يقرب من خمسين الف في الاربع سنوات التالية. بعد ستة اشهر جرت انتخابات نجح فيها البروفيسور برهان الدين رباني الرئيس الصوري لحزب احمد شاه مسعود، ظل الحال كما هو عليه من الفوضى و عندما سأل برهاني عن تطبيق الشريعة في كابل رد على ناصحوه بأن ذلك الأمر ينبغي التدرج فيه.

بنهاية الحرب الافغانية يمكن القول ان تاثير المتطوعين العسكري و الفكري كان رمزيا بينما كان تاثيرهم المالي اكبر بكثير، مقابل ذلك كان دعم سكان قبائل البشتون على الجانب الباكستاني للافغان ركنا من اركان نصرهم كما تأثر بشتون باكستان بشكل غير مباشر بالفكر الجهادي الاسلامي المعاصر. على الصعيد الافغاني بدأ بعض عوام الافغان يظهرون مكنون صدورهم و يسألون بقايا العرب الذين لم يرحلوا عن سبب بقائهم بعد انتهاء الحرب. لم يكن هذا حال كل الافغان و لكنه كان حال الاغلبية في مناطق كثيرة. لم يكن كثير منهم يدركون بسبب جهلهم الفاضح ان بلادهم الجرداء القفر من افقر بلاد العالم لا مطمع فيها الا لاسلامي فار بدينه خاصة بعد رحيل منظمات الاغاثة و اموالها.

في عهد رباني توجه بعض العرب الي كابل و خاطبوا رباني بخصوص التوطن في البلاد و اقامة دولة اسلامية تحكم بالشرع فاصدر لهم بعض جوازات السفر الافغانية حينما كان الجواز الافغاني لا قيمة له الا في دخول السجن الملحق بمطارات الدول الاخرى لحين الترحيل. الا انه بعد شهور سافر في جولة عربية و اثناء وجوده بمصر عاتبه رئيسها على وجود "ارهابيين" و معسكرات تدريب لهم بافغانستان فانكر رباني وجودهم في مناطقه و هو ما كان صحيحا من جهة ان رجال دوستم و مسعود كانوا في تلك الفترة يأسرون و يقتلون العرب المارين بهم، صرفت مصر لرباني دريهمات معونة ووعدته بتدريب بعض ضباط جهاز الشرطة الافغاني الناشئ لديها فوعد بتسليم اي ارهابي مصري يقبض عليه في مناطقه.

في تلك المرحلة انقسمت البلاد الى دويلات يديرها قطاع الطرق. استولى ضابط الجيش الافغاني السابق اسماعيل خان على الشرق و اسس امارة على علاقة بايران. اسس مسعود و دوستم امارات شمالية تتعاون مع الروس، سخر حاجي عبد القدير مدينة جلال اباد و جزء من المشرق لزراعة المخدرات و هو نفس ما فعله الشيعة في باميان و هزاره جات و تفرغ سياف لشراء الدور و الاراضي بكابل و اوجد له مقرا في ولاية بغلان الصغيرة. صار المرور بين هذه الدويلات الصغيرة مغامرة ينتج عنها القتل او السلب او دفع المكوس الباهظة و صار من المألوف ان تعلق سيارات النقل و الحافلات صور كبيرة لقاطع الطريق المسيطر على المنطقة في الزجاج الامامي لتتفادى استقبالها بوابل

من الرصاص عند اقترابها من نقطة التفتيش المقبلة، ثم يتم تغيير الصورة بأخرى لزعيم آخر عند الوصول للنقطة التالية.

استقر جزء اخر من البلاد تحت حكم حكمتيار. على ما كان من حكمتيار من حمية للشأن الاسلامي الا ان حساباته السياسية كانت تدفعه في اتجاهات اخرى، و مع انه سيطر على ثلث افغانستان و سكانها الا انه لم يقم اي هيكل حكم نظامي في مناطقه و بالقطع لم يطبق الشريعة فيها كما وعد متعللا بانه سيفعل عندما تسقط كابل. لم تكن ممارساته تدل على ذلك فقد كان حب السيطرة يدفعه للتحالف مع اي كان. على سبيل المثال كان احد اهم قواد الحزب في منطقة سروبي المركزية المجاورة لكابل قاطع طريق يدعى قومندان زردار. استعمل قومندان زردار في اكبرحواجز الطريق التابعة له مجموعة من المجرمين يدعى احدهم الكلب البشري. كان هذا الكلب قزما مربوطا بسلسلة اعتاد ان يصعد للحافلات اثناء استيقافها و ينبح على الركاب المشتبه فيهم و يعضهم في اجزاءهم الحساسة احيانا الى ان قتله احد العرب المارين على ما يروى بعد ان نبح عليه الكلب البشري و اراد عضه. فر زردار في مرحلة لاحقة للندن و استقر بها لاجئا سياسيا و صاحب مطعم بيتزا الى ان تعرف اليه احد السعوديين الذين مروا بمنطقته و اهينوا بها فوشى به للشرطة البريطانية التي احالته بدورها لمحكمة جرائم الحرب للتحقيق في جرائمه و بضمنها استخدام الكلب

البشـــري. كمـــا ادى انعـــدام الضـــابط العقائـــدي بحكمتيـــار ان يرســـل بعـــض مقاتليـــه ليشـــاركوا حكومـــة اذربيجان (الرافضية) رد العدوان الارمني في ناجورنو كاراباخ.

في مرحلـة لاحقـة تحـالف حكمتيـار مـع مـع عبـد الرشـيد دوسـتم ثـم مـع شـيعة حـزب الوحـدة ثـم اختلفـوا. ظلـت مجموعـة مـن العـرب الاوفيـاء ممـن بقـوا علـى ولائهـم لمكتـب الخـدمات تقاتـل الى جانـب حكمتيـار. و بعـد مقتـل ابـو روضـة السـوري تسـلم قيـادة المجموعـة ابـو معـاذ الخوسـتي[١] الى ان قتلـه الرافضـة بعـدما حاصـروا قصـره بـاطراف كابـل عقـب انهيـار تحـالفهم مـع حكمتيـار. كمـا قاتـل بعـض المغاربـة تحـت قيـادة سـياف ضـد حـزب وحـدت الرافضـي. في مكـان اخـر علـى الحـدود الافغانيـة الباكسـتانية قـام بعـض منتسـبي مكتـب الخـدمات السـابقين و اخـرين مـن غـير المنضـوين تحـت جماعـات منظمـة بالـدعوة لاعـلان دولـة الخلافـة في منطقـة القبائـل، تحالفـت معهـم احـد القبائـل البشـتونية الحدوديـة لفـترة ثـم حـدثت خلافـات بـين المجموعـة و القبائـل المجـاورة الـتي تـزرع المخـدرات، و تـدخلت الشـرطة الباكسـتانية المدفوعـة مـن الغـرب و الـبلاد العربيـة لطـرد العـرب ففـرت المجموعـة لـداخل افغانسـتان. اجـارتهم بعـض عشـائر كـونر

[١] كـان ابـو معـاذ الخوسـتي الفلسـطيني شخصـا فريـدا يحـرص علـى ان يكـون مخيـف المنظـر عنـد اللقـاء، و كـان يتـرك اظـافره و شـاربه بـلا حـف خلافـا للسـنة اعتمـادا منـه علـى راي قـرأه فـي كتـاب مـن كتـب الجهـاد انتشـر بـين بعـض الافغـان العـرب فـي تلـك الفتـرة يقـول بـان للمجاهد التخلي عن بعض سنن الفطرة اذا ما كان في ذلك ارهابا للعدو عند اللقاء.

و وعدت بمساعدتهم لاقامة امارة اسلامية تحكم بالشرع الا ان المجموعة تخلت عن الفكرة و تفرقت قبل وصول طالبان لكونر باشهر و عاد الخليفة[١] لبريطانيا .

ظلت الحالة الامنية تتردى الى ان خرج بعض الطلبة القندهاريين و شيخهم الملا عمر في خريف ١٩٩٤ للتصدي لقطاع الطرق من قادة المجاهدين السابقين. تالفت تلك المجموعات من الطلبة الذين شبوا في معسكرات اللاجئين باكستان زمان الحرب و تلقوا قسطا من العلوم الشرعية فيما كان قادتهم من الطلبة الاقدم سنا الذين قاتلوا في جنوب افغانستان بقندهار الى جانب تنظيمات محمد نبي محمدي و جيلاني و مجددي. تلقى اغلب اولئك الطلبة تعليمهم في مدارس تعتمد المنهج الدراسي الديوبندي نسبة الى جامعة ديوبند الشرعية بالهند . تلتزم تلك المدرسة بالعقيدة الماتريدية و الفقه المذهبي الحنفي و لها ارتباط بالطرق الصوفية القبورية السهروردية و الجشتية و النقشبندية و الجيلانية.

تواترت الاخبار بان بداية ظهور الطلبة كان باحد المراكز شمال قندهار عندما استنجد الاهالي بامام مسجدهم الملا عمر لانقاذهم من تعدي قاطع الطريق المحلي عليهم، كان ملا عمر احد المقاتلين القدامى من الذي قاتلوا ضد الحكومة الشيوعية قبل دخول الروس في ١٩٧٩ و بعدها و ان كان لم

[١] الخليفة ابو همام الرفاعي الاردني، من الاخوان المسلمين سابقا، اقام مؤتمرات في الاردن لنصرة العراق اثناء حرب الخليج الاولى، ثم فصلته جماعة الاخوان. بعد انحلال مجموعته عاد الى لندن. اعتقلته بريطانيا في ٢٠٠٦. (شفاف الشرق الاوسط ٢٠٠٦/٥/٢٥). يعرف عنه ادارة منتدى مشبوه يدعى "شموخ الاسلام" على شبكة الانترنت.

يتـولى اي منصـب قيـادي. جمـع المـلا جماعتـه الصـغيرة و تمكـن بـبعض الاسـلحة الفرديـة مـن ردع قـاطع الطريـق. انضـم الى المجموعـة مجموعـات اخـرى مـن الطلبـة و مشـايخ المسـاجد الاخـرى و تمكنـوا تـدريجيا مـن السـيطرة علـى ولايـة قنـدهار و طـرد المجـرم المحلـي غـول اغـا شـيرزاي كمـا فـرت امـامهم مفـرزة معـبر سبين بولداك الحدودي مع باكستان التابعة لحكمتيار.

قـام الطلبـة بازالـة الحـواجز و طـرد قطـاع الطـرق ممـا شـجع الاهـالي في الامـاكن المجـاورة علـى اسـتدعائهم. حـرر الطلبـة بعـدها ولايـة هلمنـد و اوروزجـان و زابـل و شـرعوا في التمـدد شمـالا و شـرقا. كانـت المنـاطق الـتي تليهم منـاطق حكمتيـار، وقـع قتـال انتـهى بهزيمـة حكمتيـار نتيجـة انضـمام قـواده لطالبـان علـى مسـار تقـدمهم و انتقـل حكمتيـار الى ايـران بعـد ان كـان انضـم في آخـر ايامـه الى حكومـة ربـاني و مسـعود بكابـل. اثنـاء بـدايات الطالبـان في الجنـوب كـان الـرئيس الصـوري ربـاني قـد ارسـل يسـألهم عـن اهـدافهم فـذكروا لـه انهـا نفـس اهدافـه مـن بسـط الامـن و تطبيـق الشـرع، كمـا التقـوا احمـد شـاه مسـعود الـذي سـلمهم مسدسـه الخـاص علامـة علـى انقيـاده للشـرع، الا انهـم عنـد اقترابهـم مـن كابـل ارسـلوا لـه وفـدا مـن حفظة القرآن للتفاوض كعادتهم فقتلهم احمد شاه و بدأ حصار طالبان لكابل.

في الغـرب اكتسـح الطالبـان هـراة حاضـرة اقلـيم خراسـان و اسـروا حاكمهـا اسماعيـل خـان و بـذلك امنـوا كامـل الحـدود البريـة مـع ايـران و قطعـوا خـط الامـدادات الايرانيـة لاعـدائهم الـذين كونـوا جبهـة اسموهـا

الجبهــة الوطنيــة الاســلامية المتحــدة لانقــاذ افغانســتان و عرفــت اعلاميــا باســم تحــالف الشــمال. مــن هنــاك التــف الطلبــة شــرقا ليحاصــروا مدينــة مــزار شــريف الكــبيرة معقــل عبــد الرشــيد دوســتم. اســتطاع الطالبــان عقــد صــفقة مــع الجنــرال عبــد الملــك بهلــوان اكــبر قــادة دوســتم يســمح لهــم بمقتضــاها بــدخول المدينــة. انســاح الالاف مــن الطلبــة الى داخــل المدينــة و مــا ان شــرعوا في حــط رحــالهم حتــى اطبقــت علــيهم كمــائن بهلــوان و حــزب وحــدت الرافضــي و اثخنــت فــيهم قــتلا. تقــول طالبــان ان قتلاهــا يومهــا فــاقوا الثلاثــة الاف منــهم كــثير مــن حفظــة القــرآن. قتــل عــدد كــبير منــهم بعــد اســرهم علــى يــد بهلــوان و حــزب الوحــدة، كانــت طريقــة بهلــوان المفضــلة هــي وضــع اعــداد كــبيرة مــن الطلبــة في حاويــات شــحن حديديــة محكمــة ملقــاة في قــيظ الصــحراء المتاخمــة فيموتــون خنقــا و عطشــا و تــتحمص جثــثهم، امــا حــزب وحــدت فكــان احيانــا يمــلأ جثــث الاســرى بــالبنزين بعــد قتلــهم بواســطة قمــع يوضــع في افــواه الجثــث ثــم يشــعل فيهــا النــار فتتقــافز الجثــث متراقصــة.يقــال ايضــا ان ســبب انقــلاب بهلــوان كــان اخــلال طالبــان بصــفقة تعهــدت بمقتضــاها بــترك حكــم الشــمال لــه تحــت وصــايتها نظــير تعاونــه فيمــا شــرعت في نــزع ســلاح رجاله فور دخولها المدينة.

بنهايــة تلــك المرحلــة قــرر مســعود اخــلاء كابــل و الانســحاب شمــالا و فــر ســياف للامــارات حيــث تفــرغ لادارة اعمالــه التجاريــة و فــر حكمتيــار لايــران و دوســتم لتركيــا . امــا العــرب فقــد وصــلت طلائعهــم مجــددا بعــد رحيلــهم مــن الســودان. كانــت بدايــة اقامتــهم حــول جــلال ابــاد في المنطقــة الشــرقية في جــوار حلفــاء

بـــن لادن القـــدامى يـــونس خـــالص و جـــلال الـــدين حقـــاني و كومنـــدان ســـازنور و حـــاجي عبـــد القـــدير. ارسلت طالبان من اخبرهم بانها لا تمانع في اقامتهم في افغانستان.

بعـد عـام و نصـف تقريبـا مـن غـارة مـزار شـريف الاولى نجحـت طالبـان في اقتحامهـا و بـدأت تتحـرك شـرقا نحـو قنـدز ثـم طالقـان لـتحكم الخنـاق علـى مسـعود، كمـا تم تطهـير باميـان معقـل حـزب وحـدت الرافضـي و اسـر عبـد العلـي مـزاري قائـد الحـزب ثـم ذكـرت الطالبـان لاحقـا انـه قفـز مـن المروحيـة الـتي كانـت تقلـه. اثنـاء اجتيـاح مـزار للمـرة الثانيـة عثـرت طالبـان علـى بعـض رجـال المخـابرات و الحـرس الثـوري الايرانـي يسـاعدون تحـالف الشـمال فقتلـهم. احتجـت ايـران بشـدة زاعمـة انهـم دبلوماسـيون بينمـا ادعـت طالبـان انهـم اختفـوا و انهـا سـتحقق في الامـر. اسـفر الحـادث بالاضـافة لقيـام عناصـر سـنية بـتفجير احـد قبـور الامـام علـي المزعومـة بمدينـة مشـهد الايرانيـة عـن قيـام ايـران بتحريـك مئـات مـن دباباتهـا الى الحدود الافغانية.

حوصـر مسـعود في بانشـير و بدخشـان و زاد اعتمـاده علـى روسـيا الـتي كانـت تمـده عـبر طاجكسـتان في اطـار التعـاون "لمكافحـة الارهـاب" كمـا سـلمته المخـابرات الاميركيـة امـوالا ليقتـل بـن لادن في اعقـاب تفجـير سـفارتي الولايـات المتحـدة بكينيـا و تنزانيـا . مـع سـيطرة طالبـان علـى تسـعة اعشـار افغانسـتان تعـددت طلباتهـا بـالاعتراف بهـا مـن قبـل الامـم المتحـدة كحكومـة شـرعية لافغانسـتان بـدلا مـن حكومـة

ربـاني و مسـعود الا ان الطلـب رفـض. ظـل طلـب الحصـول علـى مقعـد شـغلا شـاغلا لحكومـة طالبـان مـا فتئـت تنـادي بـه. سمحـت لهـا اربـع دول بفـتح مكاتـب تمثيـل هـم باكسـتان و السـعودية و السـودان و الامارات التي اسعدها ان ترى حليفا لها ضد ايران.

بعـد الاسـتيلاء علـى كابـل دخلـت قـوة مـن طالبـان الى مبنـى الامـم المتحـدة و قتلـت الـرئيس الشـيوعي السـابق نجيـب الله و شـقيقه ثـم اخرجـت جثثهمـا و علقتـها علـى اعمـدة الاضـاءة بوسـط المدينـة. علـى صـعيد آخـر قامـت بـاغلاق مبنـى التليفزيـون و حولـت محطـة المـذياع الرئيسـية الى صـوت الشـريعة كمـا قامـت بتطبيـق الحـدود الشـرعية و اعلنـت انهـا تهـدف الى بسـط الامـن و جمـع السـلاح مـن المـواطنين. كـان جمـع السـلاح اجـراءا مشـبوها لا تعلـم دوافعـه ادى فيمـا بعـد الى اضـعاف قـدرة الافغـان علـى التصـدي للغـزاة. بالاضـافة الى ذلـك عطلـت طالبـان سـنن السـبي و تقسـيم الغنـائم[١] و الاراضـي بـين المقاتلين مما اضعف من الروح القتالية لجنودها.

فيمـا يخـص العـرب فقـد تزايـد وفـودهم مـن انحـاء العـالم بغـرض الهجـرة الى ديـار الاسـلام. ثـارت نقاشـات بشـأن شـرعية العمـل و القتـال الى جانـب الطالبـان. رأى الـبعض ان القتـال الى جانـب الطلبـة غـير جـائز لتلبسـهم بعقائـد منحرفـة و بـدع و قبوريـات. ضـم هـذا الفريـق مـن قـاتلوا سـابقا مـع جميـل الـرحمن و مـن

---

[١] مصطفى حامد "ابو الوليد المصري"،"صليب في سماء قندهار" ص١١٠

تـاثروا بمنـهج ابـو محمـد المقدسـي و حتـى ابـو مصـعب السـوري الا ان الاخـير غـير رايـه لاحقـا بينمـا لم يغـير ابـو مصـعب الزرقـاوي رأيـه و ظـل عازفـا عـن القتـال مـع الطلبـة و انـزوى مـع فصـيل مـن الاردنـيين بمعسـكر هـراة فيمـا سـعى ابـو مصـعب السـوري لتكـوين كتيبـة متطـوعين عربيـة يكـون هـو ممثلـها امـام طالبـان الا ان بـن لادن سـبقه و كـون سـرية تقاتـل في الشـمال قائـدها عبـد الهـادي العراقـي. كتـب احـد المعلمـين العـرب هنـاك كنيتـه ابـو عبـد الله الموحـد كتابـا عـن الموضـوع اسمـاه كشـف شـبهات المقـاتلين تحـت رايـة مـن اخـل بأصـل الـدين نهـى فيـه عـن القتـال تحـت رايـة طالبـان بوصـفها رايـة عميـة الا انـه انتقـل بعـد ذلـك للتـدريس في معهـد بـن لادن الشـرعي بعـد ان بـايع بـن لادن المـلا عمـر و نظـام طالبـان. فيمـا يخـص مـن انخرطـوا في القتـال فقـد كـان كـثير منـهم يصـفون مسـعود و افـراد الجبهـة الاخـرى "بالمخـالفين" و هـي كلمـة في معجـم علمـاء السـعودية الـرسميين و بعـض الجماعـات المتـأثرة بهـم تعنـى جماعـات يجـوز ابادتهـا و لكـن بـدون اتهامهـا بـالكفر صـراحة. امـا الافغـان فقـد كـانوا دومـا يصـفون اعـدائهم مـن بـني وطنـهم منـذ زمـن السوفيت "بالمنافقين" فالكفار عندهم هم فقط النصارى و الروس و الهندوس.

اثـيرت ايضـا قضـية زراعـة المخـدرات في منـاطق حكـم طالبـان. اسـتمرت المخـدرات تـزرع علـى مسـاحة مئـات الالاف مـن الهكتـارات بينمـا كانـت حكومـة الطلبـة تتقاضـى ضـريبة عينيـة عـن الافيـون المصـدر. ظلـت طالبـان لسـنوات تجـادل بمـبررات فاسـدة منـها انهـا تمنـع تعاطيـه للمسـلمين و تسـمح بتصـديره للكفـار و اشـياء مـن هـذا القبيـل الى ان بـدأت في مصـادرته و اتـلاف المزروعـات في سـنة ٢٠٠٠ بعـد اربـع

سنوات من فتح كابل. لا يعلم ان كان ذلك التوقف بسبب الحرج الاعلامي الذي سببته تجارة و زراعة المخدرات العلنية لقيادة الامارة بصفتها نواة دولة الخلافة القادمة او بسبب الضغط من هيئة مكافحة المخدرات الاميركية ذات السطوة العالمية او كلاهما معا .

لم تتغير الاوضاع العسكرية كثيرا في العامين التاليين لفتح مزار شريف، من جهة اخرى ادى ضرب بن لادن للسفارتين الى قيام اميركا باطلاق عدد من الصواريخ على معسكرات تدريبية و اعلان حركة طالبان انها لن تسمح بشن هجمات على دول اخرى انطلاقا من اراضيها كما انها ستمنع بن لادن من الاتصال بالعالم الخارجي و اشيع ان الملا عمر طلب من بن لادن ترك افغانستان. استمر مبعوثو الخارجية و المخابرات الاميركية في الوفود على قندهار منذ ذلك الحين لحين سقوط طالبان للمطالبة بتسليم بن لادن. حاولت الصين استغلال الحصار التسليحي على طالبان و ارسلت تطلب تسليمها اعضاء حركة تركستان الاسلامية المتحدرين من سنكيانج غرب الصين مقابل بعض الذخائر و الاسلحة الخفيفة الا ان الملا عمر رفض تسليمهم.

في تلك الفترة خطب الملا عمر في قندهار في مسجد يسمونه مسجد الخرقة الشريفة (موي مبارك) نسبة لوجود ما يزعم انه اثر الرسول عليه الصلاة و السلام. و يقال انه لبس الخرقة و اعلن قيام إمارة افغانستان الإسلامية و تلقب بأمير المؤمنين. تبع ذلك تقدم وفود المتطوعين اليه بالتهنئة و بايعه بن لادن و قادة الجماعات الأخرى. على صعيد جهود تكوين الدولة اجتمعت لجنة من كبار علماء

افغانستان و قضاتها بامر الملا عمر في صيف ١٩٩٨ بكابل لوضع دستور للبلاد . لا يعلم ان كانت اخبار تداعي ذلك الجمع الغفير و اجتماعهم لهذا الامر الجلل قد وصلت لقيادات المتطوعين او ان كانت القيادات علمت ثم اخفت نتائج ذلك الجمع و لكن انكشاف بعض مواد ذلك الدستور الذي اعادت طالبان اقراره في صيف ٢٠٠٥ اثار كثيرا من الانتقادات بعدها بسنوات لدى بعض المهتمين بالشأن الجهادي.

حوى الدستور بعض المواد غير الشرعية او خلافية الدلالة مثل المادة ٣٥ التي تمنع حمل السلاح و المادة ٣٨ التي تجعل التعليم الابتدائي اجباريا و المادة ٤١ التي تفرض السخرة في الجيش (قانون التجنيد الاجباري) و المادة ٤٥ التي تشترط استئذان الحكومة لفتح المدارس العامة و المادة ٥٣ التي تشترط ان يكون امير افغانستان افغانيا من ابوين افغانيين متبعا للمذهب الحنفي و المادة ٥٥/١١ التي تقيد صلاحية امير البلاد في اعلان الحرب بموافقة مجلس الشورى و المادة ٦٠ التي تنص على قراءة اسم حاكم افغانستان في خطب الجمعة و المادة ٦٢ التي تشترط ان يكون رئيس الوزراء متبعا للمذهب الحنفي و المادة ٨٨ التي تقصر حق تاسيس و توزيع الصحف و المطبوعات على مواطني افغانستان ( مما يجعل من تملك العرب الموجودين هناك لصحيفة امرا فيه خلاف بما ان الامارة لم تمنحهم جوازات سفر افغانية بخلاف حكومة رباني السابقة) . كما اثارت المواد ٩٩-١٠١ المتعلقة بالسياسة الخارجية لامارة افغانستان جدلا واسعا من حيث اعترافها و دعمها لبعض مواثيق الامم المتحدة المعروفة بمشاركتها في اغلب الحروب التي شنت على الامة الاسلامية و منظمة المؤتمر الاسلامي المشبوهة و

دعوة تلك المواد لعلاقات حسنة مع دول الجوار و هو ما يشمل ضمنا ايران الرافضية و الجمهوريات السوفيتية السابقة الباقية على شيوعيتها .[١]

في عام ٢٠٠٠ ضربت خلية انتحارية مرتبطة بين لادن المدمرة الاميركية كول بقارب مفخخ في ميناء عدن مما اسفر عن مقتل بضعة عشر بحارا اميركيا و احتجت اميركا لدى الملا عمر فردت سلطات طالبان بالبيانات المعتادة عن عدم سماحها بشن هجمات على دول اخرى من اراضيها ، و لعل الحرج الذي سببته هذه العملية لسلطة طالبان كان احد العوامل التي ادت لتنحية بن لادن كأمير للمتطوعين الوافدين و استبداله بجمعة باي خوجايف الشهير بجمعة النمنجاني الأوزبكي. لم يكن كل المهاجرين الى افغانستان او حتى نصفهم تابعين للقاعدة و لكن طالبان كانت تفضل التعامل مع مندوب واحد عن جميع الوافدين.

في ٢٠٠١ زار وفد من مسلمي بريطانيا المؤيدين لطالبان و المرتبطين بجماعة المهاجرون قندهار و التقوا الملا عمر، اثيرت اثناء اللقاء قضية اصرار طالبان على الانضمام للامم المتحدة مع ما يتبع ذلك من الالتزام بمواثيق تتعارض مع الشريعة الاسلامية. على ما يبدو اغلظ اعضاء الوفد في انكارهم فأمر الملا عمر بإلقاءهم في السجن و بقوا فيه لمدة ايام ثم اطلق سراحهم بعد وساطات.

---

[١] دستور امارة افغانستان الاسلامية – ملحق رقم ١

من ناحية اخرى قبض في نفس السنة على مجموعة من الاميركيين و الكنديين و الالمان العاملين في احد هيئات الاغاثة الغربية بتهمة تنصير الأفغان و عثر بحوزتهم على عشرات الالاف من الأناجيل المترجمة للغات المحلية. عند مواجهتهم بكمية المطبوعات التنصيرية الضخمة. انكر المتهمون تورطهم في التنصير و اعلنت سلطات طالبان انها ستحاكمهم محاكمة عادلة. كان بعض العرب المقيمين بافغانستان مدركين لعمليات التنصير التي تجري لالاف الافغان استغلالا لفقرهم و جهلهم فحاولوا التصدي لتلك الظاهرة الا ان سلطات طالبان منعتهم كما منعهم قبلها احمد شاه مسعود و كما فعل قبله عبد الله عزام في خطبته الشهيرة التي قال فيها ان موظفو الاغاثة الغربيين مستامنين بعهد من الافغان و ليس لعربي الانكار عليهم.

في المرحلة الطالبانية كانت "الأَمنيات" ما زالت تستخدم كعصا من عملاء المباحث المندسين في مناصب قيادية لقمع المخالفين و ذوي الفكر الحر، و كما تحفل السجون العربية بالمتهمين بالتخابر لصالح دويلات السودان و موريتانيا و البحرين و اجهزة مخابراتها المحمولة على الابل و مخالفي لوحات "ممنوع الاقتراب و التصوير" فيما يجالس الحاكم مدير المخابرات الاميركية علنا في كل فرصة متاحة و ينقل مدير مكافحة ارهابه رسميا الاف الملفات عن مواطنيه للغرب، كانت بعض القيادات تنقل اسرار التنظيمات و تتلقى الاوامر من اجهزة المخابرات خاصة السعودية فيما كان يحظر على المتطوع السؤال عن اسم المحافظة المرابط فيها و كان مثل هذا السؤال ينقل بواسطة زملاؤه من المتطوعين الآخرين

للأمير تزلفا و طلبا للأجر مما ولد في الكثيرين ثقافة شبيهة بثقافة الهمس و الاشاعات الشائعة في ديار العرب. كان هذا امرا مقبولا لدى المتطوعين الذين يتحدر معظمهم من بلاد للشرطي السري ذو التعليم الابتدائي المتمنطق بمسدس فيها قيمة ووجاهة تفوق عالم الصواريخ.

في احد الحوادث المشهورة قبض في عام ٢٠٠٠ على واحد من مئات الجواسيس الذين مروا بأفغانستان و اعترف انه سوري الاصل و تم تجنيده من جهاز مخابراتي غربي من خلال وساطة امير برأس الخيمة و معرفة المخابرات الإماراتية[١]. و دبر له الانتقال لمضافة بمدينة كويتا حيث طلب منه ان يسأل سؤالا يكون بمثابة كلمة سر، سيهب بعدها شخص لنهره و نهيه عن الثرثرة فيما لا يفيد و هذا الشخص هو الذي سيتولى التعامل الاستخباري معه لاحقا و نقل الرسائل. فعل الجاسوس كما طلب منه فهب مسؤول المضافة لإسكاته. تبين ان المسؤول هو رئيس شبكة الجواسيس المحلية. كانت هذا مؤشرا خطيرا لان مسؤولي المضافات عادة ما يكونوا من ارفع اعضاء التنظيم شأنا و اقربهم للقيادة حيث ان مسؤول المضافة عادة ما يقيم بالمدينة و يمنح ميزانية انفاق و سيارة او اثنين و يعفى من القتال نظير ادارة شؤون المضافة و استقبال الوافدين من الداخل و الخارج و مراقبتهم "امنيا". و الواقع ان بعض مسؤولي المضافات الفاسدين الذين تم تجنيدهم في المدينة الحدودية للجبهة كانوا يجمعون

---

[١] يبدو ان مسؤلي الاجهزة الامنية في تلك الدويلة المشبوهة التي جلا عنها الاحتلال البريطاني طوعا في ١٩٧١ بدون يلقي اهلها عليه حجرا( ثم استدعوا دولا نصرانية اخرى لتقيم قواعد عسكرية و تحتل ارضهم بدلا منه) قرروا لعب دور في الحرب العالمية الحالية ضد الاسلام، و يدعم ذلك ارسالهم لقوات عاونت الاحتلال البريطاني لافغانستان و ما قيل عن تسليم امير جماعة جند الله البلوشية للروافض و ربما السكوت عن اغتيال احد قادة حماس في اراضيهم.

معلومات عن الوافدين و في احيان اخرى ينفرون من يبدو عليه الاخلاص الزائد او يكتبون بشأنه
تقريرا يعوق تقدمه فيما بعد . و في وقائع معينة ادت تلك التقييمات المشبوهة الى ارسال بعض
الوافدين الجدد حديثو الالتزام الى جبهات الافغان بدلا من جبهات العرب لانهم كانوا مشبوهين
"امنيا" . و ظل هؤلاء يقاتلون لسنوات مع الافغان حتى التقاهم البعض في بيشاور و قد صاروا افغانا
و تماهيا مع الممارسات الجارية في بعض الجبهات الافغانية الخالصة في الحرب الاولى اصبحوا مدمنين
للحشيش. و كما تبرر الحكومات العربية قمعها لمواطنيها بضرورة التحضير لمعركة المصير في فلسطين
و الخطر الاسرائيلي المتربص او الخطر الايراني او العراقي الصدامي فقد كان خبراء الامنيات في تلك
الساحات يبررون الجو القمعي الستاليني السائد بالخشية من تسلل عناصر "المخابرات" الى الجبهات
فيما لم تكن المخابرات تحتاج للتضحية برجالها بارسالهم للجبهات التي لم يكن يجري فيها اصلا اي
شئ ذو قيمة سياسية حيث كانت القرارات الهامة عادة تتخذ انطلاقا من بيشاور بواسطة اناس لا
علاقة لهم بالجبهات. و كان الايسر لتلك الاجهزة العمل بوسيلتين اما عن طريق اختراق و تجنيد
القيادات مباشرة او عن طريق اقاربهم او سجناء الجماعة بالوطن الام، و الوسيلة الاخرى كانت
التأثير في الجماعة عن طريق احد الشيوخ الذين تستفتيهم الجماعة في وطنها الاصلي و يجمع لها
التبرعات من تلك الدولة و عادة ما كان اولئك المشايخ يتعاونون حفاظا على استمرار الترخيص
الاستخباراتي لهم بادارة مساجدهم الكبيرة.

فيما يخص جاسوس العام ٢٠٠٠ فقد اصرت طالبان على استلام الجاسوس و سلمته لهم القاعدة، و كما حدث مع المنصرين الغربيين و اسماعيل خان امير الشرق الذي قيل انه فر من سجن طالبان[١] ذو الحراسة المشددة و هو في الستين من عمره فقد اختفى ذلك الجاسوس بعد سقوط طالبان و الارجح انه سلم للجهاز الغربي الذي جنده.

بناء على طلب اميركا فرض مجلس الأمن عقوبات على افغانستان لعدم تعاونها في تسليم بن لادن و رجاله. صارت حكومة طالبان تواجه صعوبات في توفير المائتي مليون دولار اللازمة لتمويل الميزانية الحكومية السنوية. على صعيد اخر بدأت الادارة الاميركية حملة اعلامية ضد طالبان متهمة اياها بانتهاك حقوق المرأة كما وجهت اذاعة اغاني و موسيقى خلاعية لافغانستان و الشرق الاوسط ردا على تحريم طالبان للموسيقى.

في ربيع ٢٠٠١ توجه بعض المتطوعين للملا عمر طالبين منه تدمير صنمين كبيرين لمعبود البوذيين في منطقة باميان فوافق بعد امتناع دام عامين. استغرق تدمير الصنمين وقتا كبيرا وصلت اثناءه الاخبار للخارج مما اثار عاصفة في الغرب و الشرق و تنادت الامم المتحدة لمنع تدمير الصنمين. بناء على النداءات الدولية ارسلت بعض الدول الاسلامية شخصيات دينية رسمية من ضمنها مفتي مصر لاثناء

---

[١] فر اسماعيل خان مع عبد الظاهر بن حاجي قدير امير جلال اباد و اخر من قيادات تحالف الشمال من سجنهم الى ايران في مؤامرة دبرها بعض افراد مخابرات طالبان او قيادات مقربة من الملا عمر نظير رشوة و لم يشفع ذلك لمنفذ العملية عبد الرزاق حكمتي في العهد الاميركي حيث سجن حتى مات في غوانتانامو.

الملا عن قراره. و رغم ان المفتي كان قد افتى سابقا بإعدام اسلاميين مصريين الا ان رجال الظواهري العاملين مع القاعدة لم يتعرضوا له و لا انكر الملا عمر عليه. رفض الملا عمر جهود الوساطة و قام بتدمير التماثيل و عاد المفتي خائبا لبلده حيث عزل بعدها بأيام بعد ان ظهر في احد البرامج الاخبارية و هو يثني على طالبان و يلتمس لسياساتها الاعذار. اما السعودية فقد دعت لاجتماع حضره سفراء الدول المكونة لمنظمة المؤتمر الاسلامي ثم اصدرت الخارجية السعودية بيانا نددت فيه بتدمير الاصنام و اعتبرته عملا همجيا . في تلك المرحلة ايضا اشتد خوف الجمهوريات السوفيتية السابقة شمال افغانستان من تسرب المد الاصولي اليها فكونت تحالفا لمكافحة "الارهاب" ترأسه روسيا كما مرت مقاتلات حربية آتية من اوزبكستان فوق شمال البلاد في رحلات استكشافية تهديدية.

بعد عدة اشهر في التاسع من سبتمبر وردت اخبار من الشمال ان اثنان من المغاربة تنكرا في شكل صحافيين أتيا للقاء مسعود و بعد بدء اللقاء فجر احدهما الة التصوير فقتل نفسه و احمد شاه و فر زميله الى الخارج حيث قتله حرس مسعود. اعقب الخبر هجوم فاشل لطالبان في اتجاه معقل مسعود. لم يكد الافغان يفيقوا من صدمة الخبر و فرحة الاغلبية بموت عدو طالبان الاول حتى فاجأتهم في ساعات انباء اختطاف عدة طائرات اميركية و تفجيرها ضد اكبر ناطحتي سحاب بنيويورك و مبنى وزارة الدفاع الاميركية البنتاجون بواشنطن. قام بعض الخاطفين باعطاء الركاب

الاسرى الامان و طمأنوهم ان الطائرات ستعود للمطار ثم غدروا بهم و صدموا الطائرات بالمنشآت المستهدفة. استطاعت الشرطة الاميركية معرفة الفاعلين في ساعات بمقارنة قوائم اسماء الركاب التي وجد ضمنها اسماء خمسة عشر سعوديا . كان هناك رجل واحد يستطيع دفع خمسة عشر سعوديا للانتحار و هو اسامة بن لادن. اما مهندس العملية صاحب الفكرة فكان خالد شيخ محمد البلوشي المقيم بالكويت و خريج كلية الهندسة من احد الجامعات الاميركية. لم تكن هذه اول مرة يحاول خالد شيخ ضرب اهداف اميركية و تفجير طائرات فقد اشترك قبلها في بداية ١٩٩٣ مع ابن اخته رمزي يوسف في تفجير شاحنة مفخخة داخل مركز التجارة العالمي اسفرت عن قتل بضعة اشخاص. كما دبر مع رمزي الذي نجح في الفرار من نيويورك قبل تنفيذ العملية لخطة اخرى لتفجير عدة طائرات انطلاقا من الفلبين الا ان العملية اكتشفت عقب انفجار معمل تصنيع متفجرات تابع لهم باحد الشقق التي عثر بداخلها على حاسوب محمول بداخله معلومات عن هوية رمزي يوسف . لم ينفذ من الخطة الا تفجير بسيط على متن احد الطائرات اسفر عن مقتل رجل ياباني بينما فر خالد شيخ و رمزي الى باكستان حيث وشى احد زملاء رمزي به للاميركان الذين اختطفوه و حكموا بسجنه لأكثر من خمسمائة سنة فيما لاذ خالد شيخ بالافغان و تجمع مجاهدي البلوش.

بعد مدة التقى مع بن لادن وعرض خالد مشروعه الفذ . كان اقتراح خالد شيخ يقضي بخطف عدة طائرات و الهبوط بها في احد المطارات الاميركية حيث يطلق سراح النساء و الاطفال المختطفين و

يلقـي قائـد العمليـة بيانـا لاجهـزة الاعـلان العالميـة ثـم يفجـر الطـائرات. لم تكـن الفكـرة الـتي طـرأت علـى خالـد شـيخ جديـدة او فريـدة فقـد نفـذها بالفعـل اعضـاء جماعـة الجبهـة الشـعبية الماركسـية لتحريـر فلسـطين بقيـادة جـورج حـبش قبـل احـداث سـبتمبر بـثلاثين سـنة في ١٩٧٠ و عرفـت يومهـا اعلاميـا باحـداث "مطـار الثـورة" عنـدما قامـت خلايـا مـن الجبهـة باختطـاف عـدة طـائرات ركـاب اميركيـة و اطلقـوا ركابهـا و القـوا بيانـات للصـحف العالميـة ثـم فجـروا الطـائرات الخاليـة و هـي رابضـة علـى مـدرج صحراوي قريب من عمان اطلق عليه مطار الثورة.

بعـد الحـادث بايـام خـرج بـن لادن بشـريط مصـور يتحـدث فيـه عـن الانتقـام مـن اميركـا و يتوعـد و يرثـى سـقوط الدولـة العثمانيـة و يتحـدث عـن اعتـداءات اميركـا علـى العـالم و هيروشـيما و نجـازاكي و لـو علـم ان اليابـانيين يفضـلون الاميركـان بـرغم هيروشـيما -و بعضـهم اوليـاء بعـض- علـى رؤيـة سـحنته و رؤيـة الاسـلاميين ممـن هـم علـى شـاكلته لسـكت. الى جانبـه ظهـر الظـواهري و المتحـدث باسـم القاعـدة -كمـا لـو كـان بـن لادن لا يتحـدث بمـا فيـه الكفايـة- المـدعو سـليمان ابـو غيـث[١] لـيعلن و يقسـم بانـه "لـن تتوقـف عاصـفة الطـائرات" المتسـاقطة علـى اميركـا. و بـالطبع توقفـت العاصـفة بعـد ان اعلنـت اميركـا تجميـد حركـة الطـيران المـدني لايـام و لا يتوقـع ان ابـو غيـث و القاعـدة بـل و الخمسـة و عشـرين مليـون افغـاني

---

[١] امـام كـويتي سـابق فـي وزارة الاوقـاف فصـل مـن الـوزارة فـي ١٩٩٨ لكثـرة غيابـه فـي رحـلات للبوسـنة و الهرسـك بعـد انتهـاء الحـرب و سافر الى افغانستان بعد فصله.

يستطيعون شن عاصفة طائرات او اجنحة طائرات او حتى عاصفة دراجات هوائية و لو جاءوا كلهم قبيلا.

سبق الحادث بأيام في ١ سبتمبر ٢٠٠١ عزل الشيخ الكبير من منصبه بعد ٢٥ سنة على رأس المخابرات السعودية. لم يعلن السبب و ان كان لا يستبعد ان يكون بأمر اميركي لاخفاقه في كشف الضربة الكبرى ضد اميركا التي اعلم بها بن لادن بعض المقربين اليه و تحدثت بها الاسمار في قندهار و يحتمل ان يكون الخبر تسرب للاميركيين بصورة مبهمة كما ادعت تقارير المخابرات الاميركية بعد الحادث.

نفت طالبان و نفى بن لادن مسؤوليتهم عن الحادث. طالبت اميركا بتسليم بن لادن و رجاله. قال الملا عمر انه مستعد لتسليمه لدولة اسلامية يحاكم فيها، ثم اعلن انه سيستفتي علماء افغانستان بخصوص تسليمه، فافتى العلماء بعدم التسليم و لكنهم طلبوا من بن لادن ترك افغانستان و هو ما كان سيعرضه للقتل لأن الجيش الباكستاني كان متأهبا لاعتراض كل من يعبر الحدود. بدا ان غضب اميركا شديد فقامت الدول ذات الارتباط الدبلوماسي مع افغانستان بغلق مكاتبها. صرحت اميركا بأنها ستضرب افغانستان فتعالت التحذيرات من المستنقع الافغاني و افغانستان مقبرة الغزاة. و تعالت صيحات الافغان العرب مهددة متوعدة الجنود الاميركين المترفين الذين لا يعرفون الا الخمر و النساء -

في زعمهم- بالويل و الثبور. كما توسطت بعض الدول الاسلامية لتأخير الهجوم لما بعد رمضان مراعاة للشعور الاسلامي. تلقى جورج بوش مباركة مستشاره الصوري للشؤون الاسلامية حمزة يوسف الاميركي الصوفي القبوري[١] لضرب افغانستان في رمضان و غير رمضان لأنه اعتبر ان القاعدة بغت و اعتدت فحق لأميركا عقابها، الا انه في احدى اشراقات علمه الغزير اعترض على تسمية العملية العسكرية "بالعدالة المطلقة" كما نشر عن لسانه في وسائل الاعلام لان العدالة المطلقة هي من خصائص الله، فقام بوش بتعديل اسم العملية الى "الحرية الدائمة" و اوسع افغانستان قصفا.

بذلت جهود وساطة من قبل حاكم باكستان برفيز مشرف و آخرين لدى الملا عمر لتسليم بن لادن لاميركا و صرح ايمن الظواهري ان الشيخ الكبير تركي الفيصل سافر مسرعا لافغانستان و التقى الملا عمر مطالبا اياه بانجاز وعده بتسليم بن لادن فرفض الملا و قال ان اميركا تطلب بن لادن لحادث تفجير السفارتين في افريقيا فما شأن امير سعودي بالامر؟ و قال ان "اجداد تركي من المسلمين الاوائل علموا الافغان العزة و الاباء فما شانك ايها الامير بالعمل لدى الاميركيين؟"ثم رده خائبا، فقطعت السعودية العلاقات مع امارة طالبان في اليوم التالي.

---

[١] تبنت الاستخبارات الاميركية و ادارة الحرب النفسية بوزارة الدفاع الاميركية خطة تقضي بدعم و ابراز شخصيات اسلامية منحرفة عقائديا في الولايات المتحدة و ديار الاسلام تنتمي لما يسمى بالاسلام التقليدي (المذهبي) و الصوفي و من اهل البدع و الترويج لفكرهم لضرب عقيدة اهل السنة و الجماعة .و من الشخصيات المنتمية لذلك التيار الداعية الاميركي حمزة يوسف و خطيبة الجمعة آمنه ودود و صهيب ويب و سليمان شوارتز و آخرون متحالفون معهم.

قبل بدأ الضربات المكثفة بقليل هبطت سرية من مظليي النخبة الاميركيين فوق قاعدة جوية قديمة[١] جنوب قندهار و بعد تجولهم في المكان لمدة لحقت بهم دورية افغانية فانسحبوا بعد ان قتلوا من نصدى لهم من الافغان. كانت تلك القاعدة تحوي مهبط طائرات خاصة سمحت حكومة طالبان لآل مكتوم حكام دبي بتعميره ليستخدمه الامراء عندما يفدون في رحلات قنص و صيد في جنوب افغانستان. تصايح الأفغان بالفتح المبين و اعتبره بعض ضعاف العقول علامة على ضعف و جبن الاميركان.[٢] اتضح فيما بعد من دراسة سلوك الجيش الاميركي في النزاعات الاخرى المصنفة "منخفضة الشدة" ضد دول متخلفة اخرى ان تلك السرية كانت في مهمة استطلاعية للبحث عن مهبط لطائرات الشحن الاميركي توطئة لهبوط قوات الهجوم البري و قاعدة تموين ووقود للطائرات المقاتلة قصيرة المدى، و قد احتلت تلك القاعدة بالفعل قبل سقوط قندهار و ارسلت عن طريقها بعض التعزيزات التي استخدمت في حصار المدينة. في رمضان بدأت الطائرات الاميركية بالتحليق فوق كابل و قصف المواقع الافغانية بشدة اذهلت الجميع. وضح فورا عدم وجود اي وسائل دفاع جوي ذات قيمة لدى الافغان كما لم يكن هناك حاجة لاقلاع الطائرات الاثرية التي ورثها الطالبان من نظام نجيب الله.

---

[١] سيف العدل، "تحت ظلال الرمح"، حلقة ٦.

[٢] يقول سيف العدل احد ابرز قادة القاعدة العسكريين عن تقييمهم لغارة اميركية في وقت مقارب لغارة المطار قبل سقوط افغانستان:"وصلنا الخبر في قندهار ليؤكد أمرين، الأول؛ أن الأمريكان لا يصلحون للمعارك البرية، والثاني؛ أنهم لن يفكروا أن يخوضوا تجربة أخرى في قندهار، خاصة وأن القوة العسكرية الموجودة في قندهار لديها - بفضل الله – من الخبرة ما تجعل من الولايات المتحدة الأمريكية أضحوكة العالم لقرون تالية." سيف العدل، "تحت ظلال الرمح"، حلقة ٦. و ان هي الا ايام و كانت القوات الاميركية تتجول على الاقدام في قندهار و سيف العدل يفر من البلاد.

بعد هزيمة بن لادن اصدر بيانا برر فيه الهجمات بدافعين احدهما بانها ضربة استباقية لهجوم نما الى علمه ان اميركا ستقوم به ضد افغانستان.كان هذا كذبا مؤسفا و تغطية لهزيمته بمعلومات استقاها بعد الواقعة من عشرات الصحف و المجلات التي نشرت تحقيقات مجلس الشيوخ الاميركي مع قيادات الامن القومي عن استعداداتهم لحماية اميركا قبل ١١ سبتمبر و خططهم للتصدي لتنظيم القاعدة. كما فات بن لادن ان وزارة الدفاع الاميركية لديها خطط للتدخل على كافة مسارح العمليات تقريبا و انه اذا كان لديها خطة واحدة للتدخل ضد افغانستان فان لديها اكثر من خطة للتدخل ضد دول مثل اليمن و مصر و الامارات و زيمبابوي دون ان يعني هذا ان تلك الدول معرضة للاجتياح الوشيك مما يستوجب الرد العاجل. و قد صرح قائد المنطقة الوسطى عند بداية الحرب لمستجوبيه في واشنطن ان خطط التدخل في تلك المنطقة قبل الحرب كانت قليلة بالمقارنة بغيرها و لا تكاد تبلغ العشرة سيناريوهات. و مما لا جدال فيه ان حكومة الجمهوريين التي توصف عادة بالانعزالية عن مجريات الامور بالخارج كانت منشغلة في بدء ولاية بوش بالتهديد النووي الصيني خاصة بعد اسقاط الصين لطائرة التجسس الاميركية و احتجاز طاقمها و الاستيلاء على معداتها الفنية بالغة التطور التي وفرت على الجيش الصيني سنوات من الابحاث. فيما يخص طالبان فقد كان بوش بالكاد يعلم بوجودها حتى ان احد اكبر المحطات التليفزيونية الاميركية اجرت له اختبار سياسة دولية قبل انتخابه باسابيع قبل حوادث سبتمبر باقل من سنة و سئل في الاختبار اربعة اسئلة ضمنها سؤال عن طالبان فاجاب "انها فرقة موسيقية جيدة" لتشابه اخر مقطع من كلمة طالبان مع كلمة باند الانكليزية و تعني

فرقـة موسـيقية. كمـا سـئل يومهـا عـن برويـز مشـرف و كـان قـد تـولى الحكـم في باكسـتان للتـو فتلعـثم بـوش و ظـل حـائرا ثـم اجـاب بعـد مـدة "انـا اعرفه،انـه حليـف لنـا، الـيس كـذلك؟". ظلـت المحطـات التليفزيونيـة و الـبرامج الكوميديـة وقتـها تعيـد اذاعـة اللقـاء و تسـخر مـن جهـل بـوش. لم يكـن رجـل يجهـل اسـم رئـيس القـوة النوويـة السـابعة في العـالم ليشـغل بالـه بـبعض العشـائر الافغانيـة الـتي تعـيش في العصـر الحجـري، و لكـن كمـا كـان ابنـاء الجماعـة الصـعيدية في مصـر يتـداولون اشـاعة مفادهـا ان جـورج بـوش الأب لا ينـام الليـل خوفـا مـن الـدكتور "نـادح"[١] كـبير "الدماعـة"، كـان بـن لادن و رجالـه يظنـون ان القاعـدة هـي الشـغل الشاغل للشعب و الحكومة الاميركية اللذان يعيشان في هلع دائم من هجمات بن لادن المدمرة.

امـا السـبب الثـاني الـذي بـرر بـه بـن لادن العمليـة فكـان نابعـا مـن قناعاتـه بـأن بضـعة سـيارات مفخخـة سـترهب اميركـا و تـدفعها للرحيـل كمـا حـدث في بـيروت. و كمـا كـان خالـد شـيخ محمـد مـازال يعـيش مرحلـة عمليـة مطـار الثـورة و تشـي جيفـارا و جـورج حـبش كـان بـن لادن يعـيش في عـالم انصـاف الحقـائق التاريخيـة و هزيمـة العظمـى علـى يـد قـوى الشـعوب الثـائرة كفيتنـام و كوبـا و الصـومال. كـان جهـل بـن لادن و اهوائـه تنسـيه ان اميركـا لم تخـرج مـن بـيروت الا بعـد ان حققـت الهـدف الـذي حضـرت لـه و هـو طـرد السـنة مـن الجنـوب و بـيروت و أتـت تفجـيرات حـزب الله الرافضـي لتـذكرها بـأن المهمـة انتـهت و ان الجنـوب و ضـاحية بـيروت في ايـد امينـة. امـا الصـومال فلـم تنسـحب اميركـا بسـبب خسـارة ثمانيـة عشـر

---

[١] نادح: ناجح ابراهيم، دماعة: جماعة، مع ابدال الجيم دالا في لهجة عوام الصعايدة.

جنــدي كمــا ذكــر بــن لادن في اوهامــه، فلقــد كــان تــدخل اميركــا في الصــومال لاهــداف لا علاقــة لهــا بالصــومال ذاتــه الــذي لم تكــن فيــه حركــة اســلامية مســلحة ذات خطــر. كــان الصــراع دائــرا في الصــومال بــين مجموعــات عشــائرية غــير معنيــة بالاســلام اقواهــا مجموعــة فــارح عيديــد الجنــرال في جــيش نظــام ســياد بــري الشــيوعي الســابق و كــان الوريــث المنتظــر لقيــادة حركــة عيديــد ابــن فــارح عيديــد هــو مــلازم مترجــم بــالجيش الأميركــي و قــد تــولى قيــادة الميليشــيا بالفعــل بعــد مــوت ابيــه و اصــبح عضــوا في تحــالف مكافحــة "الارهــاب". كــان الغــزو الاميركــي احــترازا اســتباقيا خشــية ان تــتمكن احــد المجموعــات المطــرودة مــن افغانســتان مــن اســتغلال فوضــى الصــومال و تــوافر الاســلحة لتأســيس قاعــدة اســناد و تمــوين لاســلاميو الــيمن و مــن بعــدهم الســعودية و تهديــد مــدن بحــر العــرب و البحــر الاحمــر. حالمــا ايقنــت اميركــا ان الصــوماليين ليســوا معنــيين بالشــأن الاســلامي بمعنــاه الجهــادي انســحبوا بعــد ان ســلموا رجــالهم الســلطة. كــذا كــان الحــال بالنســبة لخرافــة فيتنــام، فقــد تــدخل الاميركيــون ضــد دولــة تبعــد عنــهم نصــف عــالم و لا تشــكل خطــرا علــيهم لمجــرد اســتكمال ســيطرتهم علــى اســيا بعــد ان احتلــوا الفلــبين و اليابــان و تايلانــد و كوريــا الجنوبيــة. كانــت الحــرب تجــري علــى ارض فيتنــام الجنوبيــة بــين الاميركيــون و ثــوار الفييــت كــونج الشــيوعيين الجنــوبيين و مــن ورائهــم دولــة فييتنــام الشــمالية الشــيوعية المســتقلة و مــن ورائهــا الصــين و روســيا تمــدانها بقطــارات مــن الامــدادات علــى مــدار الســاعة تقريبــا. الى جانــب ذلــك لم تقــم اميركــا بغــزو فييتنــام الشــمالية ممــا ابقاهــا ظهــرا و قاعــدة امــدادات قويــة للفييــت كــونج. كانــت اميركــا يومهــا قــوة صــاعدة لم تكــن احــرزت تفوقهــا الســاحق الحــالي علــى روســيا و الصــين. خرجــت اميركــا مــن فيتنــام الجنوبيــة بعــد ان

خسرت بضع و خمسين الف جندي خلال عشر سنوات و لكنها كبدت الفيتناميين ثلاث ملايين قتيل و تسببت بحجم دمار حول فيتنام الى احد اكثر دول العالم تخلفا و فيما تتسابق الدول المجاورة للحصول على لقب النمور الاسيوية اقتصاديا يمكن اعتبار فيتنام و هي احد اكبر دول شرق اسيا من "الفئران" . قد يستطيع البعض اعتبار حرب فيتنام انتصارا سياسيا لفيتنام الشمالية و لكنه انتصار مأساوي و لن يعد بالتأكيد هزيمة ساحقة لأميركا الا في خيال الشيوعيين الذين تسرب كثير منهم لصفوف مفكري الحركة الاسلامية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي.

لقد خاضت اميركا حروبا اخرى كثيرة مكنتها من بسط سيطرة شبه كاملة على الأرض الا ما شاء الله. فقد حاربت المسلمين الفلبينيين لسنوات في مطلع القرن العشرين و خسرت اربعة الاف رجل على ايدي مجاهدي المورو الذين واجهوا برماحهم و تكبيراتهم و صدورهم العارية فعلا لا مجازا اسلحة الاميركيين النارية و مدافعهم مما دفع الاميركيين لتعديل عيار مسدس الجيش الاميركي من ٣٨ سبشيال الى ٤٥ كولت لوقف اندفاعة مجاهدي المورو الذين كان بعضهم يتمكن من الارتماء على الجنود الاميركيين و تمزيقهم بسيفه او رمحه رغم اصابته بعدة طلقات من سلاح الجنود الاميركيين. و مع تلك الخسارة فقد تمكن الاميركيون من احتلال البلاد و لم ترحل آخر قواتهم الا في التسعينات بعد تسليم البلاد للنصارى و ما لبثت بعض هذه القوات ان عادت بعد احداث سبتمبر لتقاتل خلايا الاسلاميين بالجنوب. كما خسر الاميركيون قبل فيتنام اكثر من عشرة الاف جندي في الحرب الكورية

لم تتسبب في انهيار اميركا و لا خرابها كما يأمل بن لادن بعد تفجير عمارتين سكنيتين. على الصعيد العسكري و التاريخي مرت اميركا بحربين يعتبران علامات فارقة في تاريخها ، اولهما الحرب الاهلية الاميركية المنتهية في ١٨٦٤ و هي حرب استخدمت فيها رشاشات جاتلنج الثقيلة و الغواصات و اسفرت الحرب عن مقتل نصف مليون اميركي و هو ما يوازي عدة ملايين من سكان زماننا و مع ذلك لم تنهار اميركا . اما العلامة الفارقة الاخرى في التاريخ الاميركي فكانت الحرب العالمية الثانية التي دخلتها اميركا متأخرة بعد ان خارت قوى الاطراف المتنازعة يومها ذكر الرئيس الاميركي تيودور روزفلت في خطاب له بمناسبة اعلان الحرب ان "اعدائهم كانوا يعيرونهم بأنهم شعب من المترفين و مستهترو البلاي بوي الذين يفوضون مسؤولية خوض حروبهم للبريطانيين و الروس و الصينيين و قد آن اوان اثبات حقيقة معدن الشعب الاميركي في وجه تلك الاقاويل" . خسرت اميركا في تلك الحرب ما يقرب من نصف مليون جندي فلم تنهار بل زادتها الحرب قوة و خرجت من الحرب كاكبر دولة عظمي وورثة للامبراطورية البريطانية و الفرنسية و الالمانية و اليابانية و بلغ انتاج مصانعها في ١٩٤٤ حوالي مائة الف طائرة حربية سنويا فيما لم تنتج قاعدة بن لادن بعدها بستين سنة دراجة هوائية او حتى طلقة رصاص واحدة. على خلاف بن لادن الذي كان يرسل العشرات لحتوفهم لمجرد ان يتردد اسمه على القنوات التليفزيونية، كانت قيادات الجيش الاميركي دائما تخشى ان تفقد حماسة متطوعيها اذا ما تسببت اخطاءها في خسائر بشرية بلا داعي مما دفعهم لاعتناق مبدأ التقليل من الخسائر الذي

اساء بن لادن فهمه على انه دليل جبن الجندي الاميركي الشديد و هو ما ستبين حرب افغانستان خطأه.

فور بدأ القصف الاميركي تدافع الآلاف من اسلاميو القبائل البشتونية الباكستانية الحدودية لدخول افغانستان و المشاركة في القتال و لكن الملا عمر اصدر امرا بمنعهم لأن قرار الانسحاب كان قد اتخذ تحت مسمى حرب العصابات. ظل متطوعو بن لادن يتشدقون بأنهم لن يرحموا الاميركيين ما ان يهبطوا من طائراتهم بينما كان قادة القاعدة يخططون للفرار. قدم الطيران الاميركي الدعم لتحالف الشمال الذي تحمل عبء الهجوم البري في وجه مقاومة مستميتة. رويدا رويدا بدأ بعض قادة طالبان يغيرون ولاءاتهم حيث كانت فرق تابعة للمخابرات الاميركية قد جابت افغانستان قبل بدء القصف ووزعت حقائب احتوت عشرين او ثلاثين مليون دولار لكبار القادة و مبالغ اقل للآخرين. كان اول من تلقى عطاياهم قائد طالباني طاجيكي سابق في محيط مدينة مزار شريف يدعى استاذ محمد عطا .

كانت مزار شريف اول المدن الكبرى سقوطا بعد قتال في الضواحي ثم داخل المدينة اعقبه انسحاب المدافعين شرقا الى كندوز. قتل في معارك مزار امير المتطوعين جمعة النمنجاني الاوزبكي قبل انهيار خط الدفاع بساعات اثناء انتقاله من قندوز لنجدة مزارشريف. بقى في المدينة مئات من الباكستانيين الذين رفضوا الاستسلام لدوستم و وساطة رجال الدين المصاحبين له فتم قصفهم و اقتحام موقعهم

ثم قتلوا فيما انتشر رجال حزب وحدت الرافضي و دوستم و الجمعية يقتلون و يمثلون بجثث من يشتبهون في ولائه لطالبان خاصة ذوي الاصول البشتونية. نصبت مجموعات القوات الخاصة الاميركية اكمنة على الطرق الممتدة غربا من مزار شريف باتجاه هراة لقطع طريق الانسحاب جنوبا و في احد الحوادث نصبوا كمينا بمقر جمعية اطباء بلا حدود في منطقة قلعه يناو.

بعد ثلاثة ايام استيقظ سكان كابل ليجدوا ان قوات طالبان قد فرت من مدينتهم تحت جنح الظلام بحجة حماية المدن الخربة من القصف. كان هذا تبريرا واهيا فليس في افغانستان مدن بالمعنى المتعارف عليه و انما هي اقرب لمجموعات من الخرائب و الانقاض عديمة المرافق. كانت المقاومة في الايام الاخيرة قد انحصرت في مجموعات من المتطوعين تقاتل في سهل شومالي ما بين قاعدة بغرام و المدينة. لم يبق في المدينة صباح سقوطها الا مجموعة صغيرة لا تزيد بحسب التقديرات عن عشرين من المتطوعين الاغراب وقفوا يتصدون للهجوم الشمالي حتى قتلوا و مثل بجثثهم فيما اعدم الجرحى. في صبيحة سقوط كابل و فيما كانت الاخبار تتواتر بذبح سجناء طالبان و المتطوعين فور اسرهم تبين ان الملا عمر اطلق سراح المنصرين الاميركيين و الاوروبيين السجناء ثم ادعت القوات الاميركية كذبا انها حررتهم. فور وصول احد المنصرات الاميركيات الى واشنطن استقبلها بوش و اعلنت انها كانت تنصر و ستعود لافغانستان للتنصير. في الشمال حوصر المقاومون بين قندوز و طالقان ثم تراجعوا الى داخل قندوز. ظلت المنشورات الاميركية و الافغانية الملقاة من الطائرات تطمئن الافغان انها لا

تريدهم و انما تبغي القبض على الارهابيين العرب حتى رضخ الافغان و فاوض قائد طالبان للمنطقة الشمالية على الاستسلام. بعد الاستسلام نقل المتطوعين و الافغان الى سجون محيطة بمزار حيث قتل عدة الاف منهم خنقا في حاويات الشحن بناء على اوامر وزير الدفاع الاميركي. و تنقل الصحف عن ابي عبد الحميد الاميركي احد المتطوعين القلائل الذين نجوا من مذابح الشمال ان شائعة سرت بينهم في تلك اللحظات العصيبة بان ضربة سبتمبر كانت الاولى من ثلاثة اعدها "بل لادن" تليها ضربة في رمضان تقصم ظهر اميركا ثم تعقبها ضربة ثالثة تنهي اميركا او تمحو القارة الاميركية من الوجود.

في هذا الوقت كان ابو حفص المصري مسؤول القاعدة العسكري قد قتل في قندهار و بدأ رجال القاعدة في الفرار. كان ابو حفص جنديا بسيطا فصل من عمله في احداث ١٩٨١ بمصر و عمل معاونا لابو عبيدة البنشيري حتى مقتله ثم تولى مكانه لطاعته العمياء لبن لادن. فر كثير من المتطوعين و قيادات القاعدة الى ايران و رفضوا القتال مبررين ذلك بان عملهم التدريب و ليس القتال. بقيت مجموعات صغيرة تقاتل حول مطار قندهار و قتل اكثرهم و فر آخرون بالنقاب النسائي الى ايران. ظل ابو مصعب الزرقاوي على موقفه و لم يقاتل و خرج مع مجموعته في طريقه الى كردستان و ان كان قد اصيب في انهيار مبنى فوقه اثناء سعيه لترحيل اسر اتباعه الى باكستان. بعد احتلال كابل التي انقلب اهلها الى الترحيب بالاميركيين و الشماليين امر الاميركيون حلفاءهم بالزحف جنوبا

الى اراضي البشتون. كان البشتون مستعدين لاخلاء كابل للاميركيين و الفرار منها و لكنهم لم يكونوا مستعدين لقبول حكم الشماليين. نشبت معارك عنيفة بين وردك و لوكر اوقف فيها تقدم الشماليين. عقدت اميركا صفقة مع شيوخ العشائر جنوب كابل تمتنع بموجبها عن استعمال الشماليين ضدهم اذا ما قاموا هم بقتال فلول طالبان و القاعدة فوافقوا مع انهم هم انفسهم كانوا طالبانيين لايام خلت. لم يشذ عن تلك القاعدة الا سيف الله منصور بن الملا نصر الله منصور امير غارديز و الكومندان جلال الدين حقاني امير باكتيا و خوست احد ابرز رجال الحرب ضد الشيوعيين بالاضافة لاول جان احد قادة جلال اباد. عدا ذلك كان انقلاب الافغان من العنف لدرجة ان العرب المنسحبين من لوكر ظلوا لأيام يأكلون الغربان التي تصطادها بنادقهم لخوفهم من التوقف لشراء الطعام بالقرى الافغانية، و حتى في المناطق التي كانت متعاطفة معهم تقليديا في الشرق و قارديز اضطروا لأخذ اهالي القرويين رهائن خوفا من ان يبلغوا عنهم القوات الاميركية. اما المنسحبين عن طريق الحدود الباكستانية فقد اوقعت بهم ميليشيات الحدود الرافضية في باراشينار بالاضافة لقوات الجيش الباكستاني المرابطة على الحدود الافغانية بعد ان سحبها برويز مشرف بطل الحرب الهندية من الحدود مع الهند. تعرضت النساء على تلك الحدود لتعديات اسفرت عن قتل بعضهن لنفسها خوفا من الاغتصاب كما روي عن ارملة ابو حفص المصري، اما الرجال فقد اسر بعضهم ثم هرب بعضهم من الاسر و لكنه مات جوعا و عطشا في الجبال خوفا من النزول للقرى الحدودية لطلب الطعام بعد ان كانوا قبلها بأيام يحكمون كابل اثناء انسحاب قوات الطلبة. لم يكن الانقلاب الافغاني غريبا بغض النظر عن اساطير

عبـد الله عـزام و بـن لادن، فقـد كـان الوضـع متفقـا مـع طبيعـة الافغـان كمـا وصـفها ابـن الاثـير في كتـاب الكامـل قبلـها بثمانمائـة سـنة عنـدما ذكـر لأول مـرة "الأفغانيـة" بصـفتهم قومـا يسـكنون في محـيط كابـل و يشتغلون بقطع الطرق.

في خطاباتـه في بدايـة الحـرب عـير بـوش بـن لادن بأنـه يرسـل الصـبية لقتـل انفسـهم بينمـا يختبـئ في الكهـوف.كـان كـلام بـوش صـحيحا فبينمـا يضـن بـن لادن بواحـد مـن عشـرين مـن ابنـاءه في احـد عملياتـه الانتحاريـة –و هـو مسـتعد في ذلـك لتمييـع العـداء الشـرعي و التـاريخي بـين الرافضـة و السـنة نظـير اطـلاق ابـن اسـير لـه بـايران– فانـه لم يـتردد في ارسـال المئـات مـن المتطـوعين لحتـوفهم في عمليـات يعـترف كـثير مـن اعضـاء جماعتـه بانهـا مختلـف في شـرعيتها (مـن وجهـة نظـرهم) ممـا يعـني ان نهايـة منفـذيها قـد تكـون في جهـنم. تبعـه في منهجـه اعضـاء مجلـس شـوراه و قيـادات القاعـدة فلـم يعـرف ان احـدا منـهم فجـر نفسـه او واحـد مـن ابنـاءه. بعـد سـقوط كابـل اتجـه بـن لادن و كـثير مـن المتطـوعين الى ضـواحي جـلال ابـاد و مـن هنـاك الى باكسـتان فيمـا اتجهـت مجموعـة صـغيرة الى غـارديز معقـل مـلا سـيف الله منصـور حيـث خاضت معركة مع القوات الاميركية بعدها بثلاثة اشهر ثم انسحبت.

بخـلاف عبـد الله عـزام ابـو الافغـان العـرب الـذي كـان يـدعو لقتـال ايـران و يتبنـى المقـاتلين الايـرانيين السـنة لم يهـاجم بـن لادن ايـران لاسـباب مشـبوهة مـع انهـا اقـرب و يحقـق سـقوطها لـه منـافع جمـة مـن جهـة ثـراء

مواردهـا البترولية و الزراعية كما ان بها اقلية سنية تضم خلايا مسلحة يمكن اذا استغلت ان تصنع جبهة تقربه من منابع تجنيد متطوعيه في الخليج. برر المقربين من القاعدة الامر بخزعبلات شبه استراتيجية مثل وجوب التصدي لرأس الافعى و عدم القتال على جبهتين، و هي تبريرات فجة بالنظر الى ان الرسول عليه الصلاة و السلام و الخلفاء من بعده لم يرسلوا قوة تهاجم القسطنطينية بحرا مباشرة من المدينة بدلا من الاغارة تدريجيا على اراضيها، كما ان من يدعي الحكمة و يخشى القتال على جبهتين لا يفتعل حربا ضد قوة تسبقه عدة و عددا بعشرة قرون. اما ايران فلم تكن مهاجمتها ستجلب له عداء الحكومات الخليجية ان لم يكن العكس.كان لبعض افراد حاشية بن لادن مثل ابو الوليد المصري و آخرين علاقات وطيدة بالمخابرات الايرانية. بعد فرار قيادييو القاعدة لايران قامت بسجنهم ثم اطلقت سراحهم باتجاه الحدود الافغانية الا انهم عادوا و استرحموا الايرانيين ان يعيدوهم للسجن فرقا و هلعا من الاميركان. يقول صالح الهامي (ابو قدامة الاردني) صهر ابو مصعب الزرقاوي "قبل انسحاب مجاهدي الطالبان من هيرات، وحينما كنت فيها، قال لي نسيب الزرقاوي (أبو القسام) خالد العاروري صاحبي وعديلي، أنهم دهشوا من إختلاف وفعالية طبيعة الترسانة الأمريكية عن الترسانة الروسية، لم يكن مجاهدي الطالبان والعرب يواجهون عدوا على الارض يقاتلونه، إنما كانوا يقاتلون عدوا لا يروه. كانت آلة أمريكا الحربية تصيب أهداف وآليات المجاهدين بدقة متناهية حيث القنابل الذكية الموجهة بالليزر، وهذا ما لم يعهدوه من قبل أبان الغزو الروسي

لأفغانستان."[١] كانت القوات الاميركية قد فعلت الابعاد التقليدية لمسرح القتال لاقصى درجة عن طريق رفع كفاءة القصف الجوي المدعوم بالاقمار الصناعية وصولا لمستويات خيالية من الدقة مقارنة بقتال الجيش السوفيتي الفقير في السبعينيات، كما اضافت ما يمكن اعتباره بعدا رابعا عندما عممت القتال الليلي باستخدام تقنيات الاشعة تحت الحمراء فتوالت اللطمات على مقاتلو القاعدة و طالبان ليلا و نهارا جوا و ارضا و من اليسار و اليمين.

كان الهلع و الصدمة النفسية اللذان اصابا مقاتلو القاعدة شبيهان بما حدث لنخبة فرسان ديار الاسلام من مماليك مصر قبل الحادي عشر من سبتمبر بقرنين من الزمان صبيحة لقاء الجيش الامبراطوري الفرنسي في معركة امبابة كما وصفها عبد الرحمن الجبرتي في قوله:"والريح النكباء اشتد هبوبها وأمواج البحر(النيل) في قوة اضطرابها والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح في وجوه المصريين فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه من شدة الغبار وكون الريح من ناحية العدو. . .ثم إن الطابور الذي تقدم لقتال مراد بك[٢] انقسم على كيفية معلومة عندهم في الحرب وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطًا بالعسكر من خلفه وأمامه ودق طبوله وأرسل بنادقه المتتالية والمدافع واشتد هبوب الريح وانعقد الغبار وأظلمت الدنيا دخان البارود وغبار الرياح وصمت الأسماع من توالي الضرب بحيث خيل

---

[١] صالح الهامي أبوقدامة الاردني "فرسان الفريضة الغائبة، الزرقاوي و الجهاد الافغاني" الجزء الاول، ص ٣٢٧.

[٢] ثاني اكبر قادة الجيش المملوكي المصري مع ابراهيم بك.

للناس أن الأرض تزلزلت والسماء عليها سقطت. . . .وكانت الأجناد . . . محتقرون شأن عدوهم[١] مرتبكون في رويتهم مغمورون في غفلتهم وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم."[٢]

و كما كان الحال مع المماليك في غفلتهم عن العلوم الحديثة و جهلهم بعدوهم و عقيدتهم كان بن لادن يرضع مقاتلو القاعدة لبنا من الجهالة و الغرور و خطبا عن "افغانستان مقبرة الغزاة" و "الدب الاحمر الذي تدحرج على سفوح الهندوكوش" و عن الجندي الاميركي الجبان المخمور اللوطي الذي يقاتل على انغام الموسيقى في المركبات المكيفة[٣] و ما ان يرى اشاوس القاعدة حتى يفر او يسجد طالبا الرحمة، و بدلا من ان يصحح بن لادن عقيدة جنده و يعدهم باحدث اسلحة المشاة المتوافرة و يوفر لهم من المناهج ما يوعيهم بتطور العالم من حولهم و رفع حجب الجهل التي الجمتهم بها الانظمة الحاكمة في ديار المسلمين ركز على تمويل العمليات الدعائية الاعلامية التي تجلب الشهرة و التبرعات و على دمغ عقول اتباعه بفكره الفريد .

بعد الهزيمة و سحق رجال بن لادن استطاع الجيش الاميركي السيطرة على البلاد باثنى عشر الف جندي -هم جزء من الف من قوة الجيش الاميركي المليوني- مع حلفاءه الافغان في وجه مقاومة

---

[١] ينقل الجبرتي ان الأمراء المماليك لم يهتموا بشيء من اخبار زحف الفرنسيون "ولم يكترثوا به اعتمادًا على قوتهم وزعمهم أنه إذا جاءت جميع الإفرنج لا يقفون في مقابلتهم وأنهم يدوسونهم بخيولهم."عجائب الآثار في التراجم و الاخبار، حوادث محرم ١٢١٣.

[٢] عبد الرحمن الجبرتي، "عجائب الآثار في التراجم و الاخبار"بتصرف، حوادث صفر ١٢١٣هـ.

[٣] يستعمل جنود الجيش الاميركي بالفعل سيارات مكيفة و يستمعون للموسيقى اثناء دورياتهم و لكنهم يستطيعون القتال على اقدامهم بدون موسيقى اذا تطلب الامر!

هزيلة اثبتت كذب ادعاءات رجال بن لادن الذين تبين انهم لا يثبتون لقتال الاميركيين. عاد حكمتيار من ايران بعد ان طلبت منه ان يوقف تصريحاته ضد الغزو الاميركي فرفض و دخل افغانستان ليقود حركة مسلحة بالداخل ثم اعلن بعد فترة تحالفه مع القاعدة. كما اسس جلال الدين حقاني مجموعات في المناطق الشرقية و في منطقة القبائل لمناوشة الاميركان. استعانت اميركا بقوات حلف الاطلنطي و بضمنها قوات تركية كبيرة و ساهمت مصر بمستشفى عسكري و الامارات بقوات عسكرية و ارسل الاردن ضباط استخبارات. كان انضمام مصر و الاردن طبيعيا و لكن الغريب كان ارسال الامارات لجنودها و هي التي تواجه تهديدا ايرانيا و كانت قيادتها قد حذرت في ٢٠٠١ -عندما تردد ان بعض الاماراتيين ذهبوا للقتال الى جانب طالبان- انها لن تسمح لاحدا ان يخدع ابناءها و يستدرجهم للقتال في جبهات بعيدة مشبوهة يقتلون فيها .

على صعيد المعارك اسفرت العمليات ضد القوات الغازية في افغانستان عن مقتل حوالي ٥٠٠ جندي اميركي بعد ست سنوات من الحرب و هي نسبة تعني ان الاميركان يستطيعون في غياب اي تغير نوعي في متغيرات القتال ان يبقوا في افغانستان لمدة مائة سنة قبل ان تبلغ خسائرهم ما بلغته في فييتنام، و قد يكون الجيش الاميركي قد وطن نفسه على قبول نسبة الخسائر المذكورة مقابل فرص التدريب الممتازة ضد حرب العصابات التي يمنحها مسرح العمليات الافغاني. استمرت حرب البيانات الساذجة من جانب بن لادن و رجاله بدءا من احدهم الذي اعلن ان معارك اسرى المتطوعين في

قلعة جانغي اسفرت ضمن عن مقتل ضابط مخابرات اميركي يعرف "بثعلب افغانستان" ثم تبين انه ضابط مخابرات اميركي برتبة مقدم انتقل حديثا من سلاح المدفعية الى المخابرات و ارسلوه كما يليق بضابط مستجد الى ميدان العمليات و لم يكن مضى على وصوله لافغانستان بضعة اسابيع حتى صيره المدعو ابو سليمان الفارسي ثعلبا لافغانستان. و لا يعلم ماذا يجعل وصف مقدم ذو اصل ريفي من وست فرجينيا في ثلاثينات عمره ثعلبا لافغانستان من الجنرال تومي فرانكس صديق جورج بوش المقرب او الجنرال جون ابو زيد قائدا المنطقة الوسطى الممتدة من الصين للمغرب. ادت الهزيمة الساحقة الى اهتزاز نفسي شديد للمتحدثين باسم طالبان و بن لادن و صارت التصريحات غير المعقولة تترى مرة مدعية اسر ٢٠٠ جندي اميركي مرة واحدة و مرة تدعي قرب طردهم من البلاد و لم يبق الا الاعلان عن اسقاط الاف الطائرات الاميركية لتكمل الملحمة الاحمد سعيدية[١]، و لكن الأكيد ان طالبان و رجال بن لادن لم يعرف عنهم اسر جندي اميركي واحد حي طيلة ستة سنوات لهلعهم الشديد من الجنود الاميركيين. من ناحية اخرى انتقل جزء كبير من عبء التصدي للاحتلال الى مقاتلو القبائل الباكستانية الذين قدموا دعما ضخما للجبهة الافغانية في الحربين مع الفارق ان الجيش الباكستاني انتقل لحربهم هذه المرة.

---

[١] احمد سعيد: مدير اذاعة صوت العرب في مصر الناصرية بالستينات. اشتهر ببياناته الكاذبة خلال نكسة يونيو عندما كان يعلن اسقاط مئات الطائرات الاسرائيلية ثم تبين ان القوات الجوية المصرية هي التي دمرت بالكامل على مدرجاتها قبل ان تقلع.

حاول بن لادن لاحقا ان يساوم اوروبا و اميركا نظير وقف العمليات الصغيرة التي قام بها بعض المتعاطفين معه ضد اهداف غربية لكن الغرب تلقى عرضه بالسخرية اللائقة بعدو ضعيف العقل و الحيلة. بعد هجمات بالقنابل في محطة قطارات لندن اسفرت عن مقتل بضعا و خمسون بريطانيا اخذ بن لادن و تابعه يمليان شروطهما على الغرب فاذاعت الاذاعة البريطانية حوارا في الشارع مع احد عجائز لندن تقول للمفجرين "لقد تحملنا في بعض غارات الحرب العالمية خمسين الفا من القتلى بلندن و لن يخيفنا خمسين قتيلا" . قبلها كان بن لادن في خطاباته الدورية للشعب الاميركي قد نصح الناخبين الاميركيين بعدم انتخاب جورج بوش و هدد الولايات التي تنتخبه بالويل و الثبور و عظائم الامور ووعد بالعفو عن الولايات التي لم تنتخبه و هو تهديد لم يتفوه به رئيس سوفيتي في ذروة الحرب الباردة عندما كانت لروسيا الاف الصواريخ النووية الموجهة لاميركا و اقمارها الصناعية تجوب الفضاء و غواصاتها النووية تراقب الشواطئ الاميركية. اسفر التهديد عن ارتفاع شعبية بوش و اعادة انتخابه بنسبة اعلى من الانتخابات الاولى قبل ان يزكيه بن لادن.

في ٢٠٠٦ توجه ايمن الظواهري الى بوش في بيان يشبه بيانات احمد سعيد ابان هزيمة ١٩٦٧ قائلا:"اعترف يا بوش؛ انك انهزمت في العراق و ستنسحب، و اعترف يا بوش؛ انك انهزمت في افغانستان و ستنسحب، و ستنهزم في فلسطين و . . . و غيرها" . ما زال بن لادن ينفذ الخطة الاصلية في القضاء على المتطوعين حيث ثبت ان انخراطهم في المعارك لا يتسبب في مقتل العدد

الكافي منهم بل و قد يخرجوا منتصرين لذلك تم تبني خطة تفجير المتطوعين للتأكد من ذهابهم بلا رجعة.

في ٢٠٠٧ اصدر الملا عمر رسالة الى شعوب افغانستان و العراق قال فيها :" بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم:

أما بعد: أيها الأعزاء الأخوة المسلمون ، والأخوات المسلمات أنتم تعلمون جيداً ؛ بأن المسلمين يتعرضون اليوم لأنواع من المشكلات نتيجة سياسة أمريكا العنيدة و الإستكبارية.

إن آكل الدنيا المستكبر إذا كان من جهة يهاجم على المسلمين هجوماً مسلحاً ، ويستعمل أنواعاً من الأسلحة في القتال، حتى الأسلحة البيولوجية ، و يبني سجوناً وحشية للمسلمين مثل غوانتانامو، وابوغريب، وبجرام؛ فمن جهة أخرى سعى في زرع النفاق بين المسلمين، وايجاد جو اللا إعتماد فيما بينهم، ويستعمل المسلمين باسم القوم، أواللسان ، أو المذهب في التناحر في ضد بعضهم البعض . كما يفرض على المسلمين في جميع أنحاء العالم الدفاع عن أنفسهم ، ويلزم عليهم ذلك ، هكذا يجب على جميع المسلمين أن يسدوا جميع الدسائس اللئيمة للعدو الماكر، وألا يعطوا الفرصة له ليشعل نيران الإختلاف بين المسلمين .

جزء كبير من السياسة الأمريكية هو تصنيف المسلمين في العراق باسم أهل التشيع و أهل السنة، وفي أفغانستان باسم البشتون، والتاجيك، والهزاره، والإزبك؛ حتى تقلل من شدة، وقوة الإنتفاضات الشعبية والمقاومة المسلحة مقابلها.

إنـني علـى يقـين بـأن المقاومـة المنتظمـة للمجاهـدين البواسـل في العـراق، والقيـام الشـعبي في وجـه الاحـتلال الأجـنبي في أفغانسـتان تحـت قيـادة واحـدة اربـك الأعـداء بشـكل كـبير، وهـم الآن مثـل الغريـق يلقـون أيـديهم لأي شـيء ، مـرة لأجـل تخويـف عامـة الأهـالي فيسـقطون علـيهم قنابـل ثقيلـة، وأحيانـاً باسـم القبيلـة والمنطقـة يقـدمون وجوهـاً جديـدة.لكـن مـن المسـرة والإطمئنـان بالمكـان بـأن أكثـر مسـاعيهم بـاءت بالفشـل حتـى الآن ، وقـد رد مـن قبـل الشـعوب كبـار معـيني هـؤلاء، لكـن مـع ذلـك الـدهاء الأكـبر في مزيـد مـن التعـاون الإسـلامي مـع الـبعض، والوحـدة الشـعبية ، والأخـوة ضـرورة ملحـة.

إنـني اصـدرت الأوامـر بـالغ الجديـة لمجاهـدي الإمـارة الإسـلامية بـأن يفتحـوا صـدورهم لجميـع الجماعـات الإسـلامية الأفغانيـة ، وأفـراد الاقـوام، والمنـاطق ، وأن يوحـدوا هـؤلاء جميعـاً ويجعلـوهم يـداً واحـدة.

يجـب السـعي الحثيـث بـأن يرجـع النـاس مـن صـداقة العـدو، وأن يـوقفهم في جانـب المجاهـدين. إن سياسـة الإمـارة الإسـلامية هـي ايجـاد حكومـة اسـلامية حسـب رغبـة جميـع افـراد أفغانسـتان ، والـتي تكـون مسـتقلة عـن تـأثير الأجانـب، وأن تتعامـل بالحكمـة مـع الجـيران والعـالم في ضـوء الأصـول الإسـلامية والدوليـة .إن الإمـارة الإسـلامية لا تتـدخل تـدخلاً غـير مشـروع في الشـؤون الداخليـة للـدول الأخـرى أبـدا، ولا تقبـل في بلادهـا التـدخل غـير مشـروع للـدول الأخـرى أيضـاً .
نحـن بكامـل طاقاتنـا والسـعي نجهـد بـأن نحـرر أفغانسـتان الحبيبـة مـن تسـلط الاحـتلال، وأن نـوفر امكانيـة التعـايش الحـر والرقـي والرخـاء للمـواطنين.

إنـــني أطلـــب مـــن جميـــع الشخصـــيات العلميـــة ، والجهاديـــة ، والسياســـية والوطنيـــة بشـــدة بـــأن يمـــدوا ايـــادي الأخـــوة إلى الـــبعض مـــن أجـــل تحريـــر الـــبلاد، ومـــن ثـــم تشـــكيل الحكومـــة الإســـلامية، حتـــى لا يتكـــرر مـــرة أخـــرى – لا سمـــح الله – تلـــك الأحـــداث المؤلمـــة الـــتي وقعـــت في التســـعينيات بعـــد هزيمـــة الاتحـــاد الســـوفيياتي. ويجـــب الســـعي مســـتقبلاً بـــألا تـــراق دمـــاء المســـلمين نتيجـــة الاختلافـــات تحـــت مســـميات : المـــــــــــــــلا، أوالمجاهـــــــــــــــــد، أو الحـــــــــــــــــــزب ، أو القائـــــــــــــــــــد.. هـــذه سياســـتنا ، وعليهـــا ســـنعمل . علـــى العـــالم والمـــواطنين الا يعتـــبروا كـــلام أي شـــخص سياســـة للإمـــارة الإســـلامية. إن سياســـة الإمـــارة الإســـلامية هـــي فقـــط تلـــك الـــتي ينشـــرها النـــاطقون الرسميـــون المعينـــون مـــن قبـــــل الإمـــــارة الإســـــلامية ، و تلـــــك الـــــتي تنشـــــر في الصـــــفحة الإخباريـــــة الرسميـــــة ( الإمـــــارة) . وهكـــذا إنـــي أرجـــو مـــن الأخـــوة العـــراقيين بـــأن يتركـــوا الاختلافـــات باســـم أهـــل التشـــيع ، وأهـــل الســـنة إلى الوراء، وأن يقاوموا متحدين ضد العدو المحتل، لأن النصر غير ممكن دون الإتحاد ."[1]

لم تمـــض ايـــام قليلـــة بعـــد تلـــك الـــدعوة للوحـــدة بـــين المســـلمين و الـــروافض الا وقـــد اجتاحـــت اســـرائيل منـــاطق حـــزب الرافضـــة في جنـــوب لبنـــان فانتـــهز ايمـــن الظـــواهري الفرصـــة و اصـــدر بيانـــا بمناســـبة الغـــزو في يوليـــو ٢٠٠٧ دعـــا فيـــه لاقامـــة حلـــف مـــن جميـــع "المستضـــعفين" في العـــالم ملمحـــا الى المصـــطلح الشـــهير الـــذي يـــتردد يوميـــا في الادبيـــات السياســـية الرافضـــية و وســـائل اعلامـــه مـــن اعتبـــار ايـــران و حـــزب الرافضـــة مـــن "المستضعفين" في مواجهة اميركا المشار اليها دوما كقوة "الاستكبار العالمي" .

---

[1] رسالة أمير المؤمنين بمناسبة عيد الأضحى المبارك – نص الرسالة بلغة البشتو ومترجمة للعربية، المصدر/صفحة (صوت الجهاد) في ٢٠٠٧/٥/١٣.الموقع الرسمي لإمارة أفغانستان الإسلامية – طالبان.

# طاجكستان

طاجكستان احد الجمهوريات السوفيتية السابقة على حدود افغانستان و الصين و اوزبكستان. اتمت طاجكستان جغرافيا الى اقليم الصغد التاريخي و ارضها جبلية شديدة الوعورة بحكم وقوعها على اطراف سلسلة الهيمالايا . ينتمي اغلب السكان البالغ عددهم خمسة ملايين نسمة عرقيا الى شعب الطاجك المتحدث بالفارسية و دينيا الى السنة المذهبية على المذهب الحنفي مع اقلية اسماعيلية في الجنوب المحاذي لافغانستان.كانت طاجكستان جزءا من امارة خوجند احد اكبر ثلاث امارات بآسيا الوسطى او تركستان الى جانب امارتي خوارزم و بخارى. كانت خوجند بدورها اخر امارات تركستان سقوطا في ايدي السوفيت حيث احتلها الروس نهائيا في ١٩٢٠ بعد مقاومة عنيفة فيما كانت الامارات المجاورة قد سقطت كلها قبل ستين سنة. بعد انهيار حكومة الاتحاد و الترقي التركية في الحرب العالمية الاولى و احتلال اسطنبول استطاع انور باشا[١] اقوى رجال السلطنة وزير الحربية العثماني و مؤسس قوات "جيش الاسلام" احد ثلاثي "طلعت/انور/جمال" الحاكم الفرار لالمانيا و من هناك الى روسيا حيث اقنع لينين بأن يسمح له بالجواز الى الاراضي التركستانية لاقناع

---

[١] كان انور باشا قد توصل الى قناعة في بداية الحرب العالمية الاولى بان اوروبا لن تسمح للدولة العثمانية بالاستمرار و ان الحل يكمن في اعلان الجهاد و توحيد صفوف المسلمين الاتراك و العرب و غيرهم و تكوين جيوش اسلامية خالصة.

سكانها بمزايا البلشفية الشيوعية و الانخراط في الدولة السوفيتية الحديثة. قبل ذهابه لالمانيا حاول انور العبور من شبه جزيرة القرم حيث انصاره من تتار القرم الى القوقاز لقيادة وحدات مبعثرة من الجيش العثماني هناك تحت امرة اخوه و خاله لاستئناف الحرب الا انه لم يستطع النفاذ. كان في ذهن انور باشا خطة خداعية للانطلاق بجيش اسلامي التوجه من مسلمي التركستان و روسيا و انتزاع الحكم في الاناضول من رئيس اركانه السابق مصطفى كمال و هو اتجاه وافقه فيه كثير من رفاقه السابقين[1] من اعضاء جمعية الاتحاد و الترقي المسلمين الذين خرجوا للنهوض بالدولة العثمانية حسب فهمهم المغلوط فاذا باعمالهم تصب في يد مصطفى كمال الذي قنع بحيازة جزء من ثلاثين من السلطنة و حكمها كدولة انفصالية صغيرة[2]. كان انور باشا قد بدأ في ايامه الاخيرة يتحول في اتجاه [3]اسلامي اكثر نقاء و كان يقدم نفسه بصفته "صهر السلطان قائد جيوش الخلافة". بعد وصول انور باشا تحول ضد روسيا و قام بقيادة مجاهدي الطاجك المسميين "باسمتشي" في عمليات جريئة ضد السوفييت . قام الروس باعادة بعض الاراضي المصادرة من المسلمين و سمحوا مؤقتا بفتح المحاكم الشرعية و بعض المساجد لكسب الوقت و سحب التأييد من المجاهدين، كما قام ملك افغانستان التي كان

---

[1] ندم كثير من اعضاء الاتحاد و الترقي على نتيجة اعمالهم و سوء ادارتهم للسلطنة مما ادى لتفككها و سعوا لاستعادتها الا ان المخابرات البريطانية تعقبتهم في المنافي و سلطت عليهم الثوريين النصارى الارمن يغتالون رؤوسهم و وزراء الدولة السابقين كما قام اتاتورك بحملة اعدامات لمن بقي منهم في الاناضول بتهمة التآمر ضد الدولة خاصة و قد اعترض بعضهم على اتجاهاته اللادينية.

[2] قامت دول الحلفاء المحتلة لاسطنبول بدعم مصطفى كمال بالسلاح و الطائرات لترجيح كفة جناحه داخل الحركة الاستقلالية على الجناح الموالي لانور باشا و قد انسحب الحلفاء و سمح لمصطفى كمال بدخول اسطنبول و تولي حكم تركيا بعد انتظار طال حوالي ثلاث سنوات حيث كان الحلفاء يخشون عودة انور و سيطرته على الحركة و العمل على احياء الخلافة من خلال خلايا التشكيلات المخصوصة التي كانت اهم دعائم الحركة الاستقلالية.

[3] داب المؤرخون الاتراك اللادينيون المتاثرون بالغرب على تسجيل احداث نهاية انور باشا بصفتها محاولة لتكوين امبراطورية طورانية تركية مع ان طاجكستان التي بدا انور مساره الجديد منها هي الولاية التركستانية الوحيدة ذات الثقافة الفارسية و لا يجمعها مع التركستان الا الرابطة الاسلامية.

يتخـذها انـور قاعـدة خلفيـة للتمـون بـابرام اتفاقيـة تعـاون مـع روسـيا و حـرم الطاجيـك مـن اسـتخدام الاراضـي الافغانيـة. قتـل انـور باشـا علـى فرسـه في مواجهـة مـع كتيبـة فرسـان بشـكير[١] مرتـدين تابعـة للجـيش الروسـي عـام ١٩٢٢ قـرب قريـة دوشـانبه الـتي صـارت عاصـمة جمهوريـة طاجكسـتان السـوفيتية فيمـا بعـد و اكملـت روسـيا احـتلال الولايـة.كـان مقتـل اسماعيـل انـور باشـا آخـر حـاكم فعلـي للدولـة العثمانيـة و هـو في الاربعـين مـن عمـره بعـد حيـاة حافلـة بالاحـداث بـدأها ثوريـا حـداثيا مؤمنـا بالتحـالف العسـكري مـع المانيـا و انهاهـا مناديـا بالجهـاد العـالمي لاسـتعادة الخلافـة. و قـد ارسـى اثنـاء سـنوات حكمـه اسسـا قامـت عليهـا الكـثير مـن الحركـات الاسـلامية المسـلحة الحاليـة بعـد عقـود مـن مقتلـه. و يمكـن القـول ان الرجـل الـذي عـزل السـلطان عبـد الحميـد اقتـبس كـثيرا مـن توجهاتـه فيمـا بعـد ليتحـول منـذ ذلـك الزمـان الى شخصـية اثـرت في حاضـر العـالم الاسـلامي تـاثيرا لم يسـبقه اليـه في القـرنين السـابقين الا الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع اختلاف العمق العلمي و العقائدي.

اثنـاء الحكـم السـوفييتي كانـت طاجكسـتان اكثـر جمهوريـات الاتحـاد تخلفـا مـن الناحيـة الاقتصـادية و الصـناعية و غلبـت عليهـا العشـائرية و التعصـب القبلـي الـذي كـان يطـل برأسـه احيانـا ضـد السـكان التركسـتان المنـتمين للوديـان المجـاورة.مـع انسـحاب الجـيش السـوفييتي مـن افغانسـتان المجـاورة تسـربت خلايـا صـغيرة الى طاجكسـتان لنشـر الـدعوة الاسـلامية و الفكـر السياسـي الاسـلامي الـذي كـان محرمـا

---

[١] قومية اسلامية تسكن شرق حوض الفولجا قرب جبال الاورال الروسية.

تداوله لما يقرب من قرن تحت الحكم الروسي. كان الحزب الاسلامي بقيادة حكمتيار سباقا في هذا العمل.[١]

في ١٩٩٠ مع تداعي سلطة الاتحاد السوفييتي تسابقت احزاب عدة للسيطرة على السلطة كل في جمهوريته. كانت هذه الاحزاب في مجملها بين قومية او شيوعية من بقايا النظام السوفييتي و حزب اسلامي واحد في طاجكستان. و فيما سقطت الاحزاب الشيوعية في معظم جمهوريات الاتحاد السوفييتي الاوروبية بقيت تلك الاحزاب هي الاقوى في الجمهوريات الاسلامية حتى بعد اجراء انتخابات عامة حيث تولى الحاكم الشيوعي السابق كريموف حكم اوزبكستان بعد "انتخابات" من النوع المشهور كما تولى الحاكم الشيوعي السابق نزاربايف حكم كازاخستان و الحاكم الشيوعي علييف حكم اذربيجان و سبر مورات نيازوف الشيوعي في تركمانستان وعسكر اكايف الشيوعي في كرغيزستان و امام ولي رحمانوف الشيوعي في طاجكستان.

من ناحية اخرى شهدت نهاية الثمانينات صحوة اسلامية جزئية مقارنة بالالحاد الشيوعي الشامل في الفترة السابقة و استغل البعض هذه الصحوة لتأسيس جمعية و حزب سمي حزب النهضة الاسلامي و افتتحت له فروع في معظم الجمهوريات الاسلامية. كون الحزب تحالفا مع الديمقراطيين و زكى في

---

[١] د/ايمن صبري فرج،"ذكريات عربي افغاني: ابو جعفر المصري القندهاري"،ص ٢٦١

انتخابات ١٩٩١ الرئاسية مرشحا ائتلافيا بالاشتراك مع الحزب الديمقراطي و لكن مرشحهم خسر مقابل المرشح الشيوعي.

احتج النهضويون على تلك الهزيمة و قاموا بتظاهرات و اضرابات شلت العاصمة. الف النظام حكومة "وحدة و تصالح" ضمت ثمانية اعضاء من حزب النهضة الاسلامي. انشأ النهضويون في خريف ١٩٩١ تحالف "نجاتي فطن" (نجاة الوطن) العسكري من مجموعات مسلحة في المناطق الجبلية التي تسكنها عشائر متعاطفة معهم في منطقة كاراطجين و غيرها، ثم اصطدموا عسكريا مع النظام الذي دعم مظاهرات هتفت بسقوط الاسلام. كانت الحرب الافغانية قد انتهت لتوها و كان السلاح وفيرا في افغانستان فلم تكن هناك صعوبة في تسليح كتائب الحزب. كان السلاح يمر عبر اراضي احمد شاه مسعود الطاجكي الذي باع الفائض لديه بالاضافة لما اهداه اليه بن لادن قبل رحيله. من ناحية اخرى قام الرئيس الطاجكي بالاستنجاد بالروس الذين امدوه باسلحة وزعها على اتباعه و اعضاء الحزب الشيوعي و عشائرهم.

في نهاية ١٩٩٢ اصدر رحمانوف قرارا بحظر معظم احزاب المعارضة. عقد الاسلاميون مؤتمرا في مدينة طالقان الافغانية عام ١٩٩٣ تحت اشراف احمد شاه مسعود و ايران و الفوا تحالف حركة النهضة الاسلامية في طاجكستان. و في ١٩٩٤ كون تحالف الحركة مع بعض المعارضين العشائريين

القوميين جبهة المعارضة الطاجيكية المتحدة. فيما استعانت الحكومة لضعف جيشها بقوات روسية لحماية حدودها .

عندماصدرت الاوامر من الشيخ الكبير للعرب بالرحيل قرر بعضهم انهم لم يحققوا كل ما اتوا من اجله و اختاروا الاستمرار في القتال في اماكن اخرى، من هذه الشخصيات شاب سعودي يدعى الخطاب. كان في اختياره لكنيته اشارة لسطحيته و ضحالة فكره، ففيما كان معظم المتطوعين يتكنون باسماء الصحابة و مشاهير السلف تكنى هذا الشاب عند وصوله باسم ابن الخطاب و عبثا حاول زملائه تذكيره بعدم جواز الانتماء و التسمي بغير اسم ابيه من الناحية الشرعية. بنفس المنطق قرر الخطاب ان افضل سبيل بعد انتهاء القتال بامر الشيخ الكبير في افغانستان هو الانتقال لاقرب ساحة حرب تحمل اسم دولة "ستان" حتى و ان كان الحزب الذي يقود الحرب ذو صلات ايرانية و يقاتل من اجل اعادة المسار الديمقراطي و هي امور كانت تكفي لتلطيخ سمعة اي جبهة في العصر الذهبي للافغان العرب البيشاوريين. عرض على خطاب الذهاب الى الجزائر الجبهة الاسخن للافغان العرب يومها و الأكثر اصولية الا ان وفاء خطاب لمبادئ الشيخ الكبير منعته من الذهاب خاصة و ان الشيخ الكبير يومها لم يكن يصرح بارسال المال علنا للجبهة الجزائرية. لم يأبه الخطاب للشبهات العقائدية التي اثيرت و حمل حقيبة التبرعات و مجموعة من المقربين اليه و هاتف الثريا و انتقل الى طاجكستان. عقائديا كان الخطاب من تلامذة الشيخ الكبير و كان لا يرى معارضة الانظمة، و مع ان بن لادن وقتها كان من ابناء

المؤسسة الامنية السعودية الا ان الخطاب لم يرى مختلطا بالقاعدوية لعله خشية من ان يرمى بتهمة الثورية نظرا لوجود الظواهري و ممثلين عن الجماعات الخارجة على سلطات بلادها في محيط بن لادن. و للتدليل على موقفه تجاه الانظمة العربية مقارنة بمجايليه من الافغان العرب يقال ان الخطاب بعد ١٠ سنوات في ميادين القتال اثناء مرحلته الشيشانية اسر لاحد المقربين و هو مختبئ بغور في الشيشان التي تعد جزءا من الف من مساحة روسيا تقريبا انه يحلم "بعد القضاء على الروس بالقضاء على اوروبا و منها للقضاء على اميركا ثم بعد ذلك يستدير للحكام العرب." و لا يعلم فيم الحاجة للاستدارة للحكام العرب بعد ان قضى على قوى الارض كلها ! كان هناك دافع آخر و هو ان الخطاب كان يرى في نفسه بن لادن اخر و لم يكن ليقبل ان يكون مجرد مدرب او قائد صغير في تراتبية يعلوه فيها ابو حفص المصري و ابو عبيدة البنشيري و غيرهم ثم بن لادن. كان الفتى ذو الثانية و العشرين عاما الذي شارك مع اخرين في تحرير بضعة كيلومترات في محيط قرية خوست الافغانية يتفجر زعامة و "كومندانية" بلغة الافغان العرب كما لو كان الفيلد مارشال رومل ثعلب الصحراء او الجنرال مكارثر قائد الجيوش الاميركية بالمحيط الهادئ و فاتح كوريا و اليابان و اندونيسيا و الفلبين.

ضمت المجموعة التي خرجت مع الخطاب ابو الوليد الغامدي و ابو حفص الاردني و يعقوب البحر و آخرين. التقى الخطاب بقادة الحزب خوجة اكبر توراجن زادة و شريف همت زاده و سعيد عبد الله نوري ووعدهم بالمال و الرجال. بدأ المتطوعين يتداعون الى الجبهة ال "ستانية" الجديدة رغم اعتراض

الكثيرين ممن لم يذهبوا على توجهات حزب النهضة العقائدية. توجت هذه المرحلة تصنيف خطاب كوكيل معتمد و شيخ حقيبة لأحد الجبهات المرضي عنها من الشيخ الكبير و المتبرعين الخليجيين على خلاف "الفئات الظالة" الاخرى التي انطلقت من افغانستان لتهاجم سلطات الحكم الذاتي الاميركية في الدول العربية.

في ١٩٩٤ بعد مقتل كثير من المتطوعين اقترب الحزب من ابرام صفقة للمشاركة في الحكم بوساطة ايرانية و و طلب منه للتدليل على حسن النوايا وقف استقبال المساعدات العسكرية و المتطوعين عبر الحدود الافغانية. اعلن الجنرال رضوان "وزير دفاع" الحركة انه "سيفعل الفاحشة بأي عربي يجتاز النهر من افغانستان الى طاجكستان." قام الخطاب بدعوته الى مقره بذريعة تسليمه تبرعات مالية كالمعتاد ثم فصله عن حراسه و اوسعه ضربا ثم اطلقه بعد ان وعد الا يتعرض لعربي الا ان سيل الامداد انقطع من الجنوب بسبب احمد شاه مسعود الذي بدا باسر و نهب العرب المارين بارضه. لم يطل بقاء العرب بعدها اذ وقعت الحركة اتفاقا يقضي بمنحها بضعة وزارات هامشية كالسياحة و ما شابه و بدأت في تسريح قواتها و طرد المتطوعين الاوزبك و العرب و على رأسهم الخطاب الذي عاد لأفغانستان ليستعد للمغامرة التالية في الشيشان.

في نهاية ١٩٩٦ توجت المصالحة بلقاء بين الرئيس الطاجكي رحمانوف و سعيد نوري رئيس حركة النهضة في خوش ده بافغانستان و اتفقوا على اجلاء ما تبقى قوات الحركة من منطقة غرم و كاراطغين و حل التشكيلات العسكرية. قتل رضوان وزير دفاع الحركة الذي كان يهدد بفعل الفاحشة بالمتطوعين العرب بعد ان اعتبر متمردا . في منتصف ١٩٩٧ وقعت اتفاقية سلام شاملة بين الطرفين تحصل بمقتضاها الحركة على عدة وزارات هامشية في اطار دستور لاديني .قتل في الحرب ما يقرب من مائة الف و هو رقم ضخم لدولة صغيرة.

في ٢٠٠٤ حكم على شمس الدين شمس الدينوف نائب رئيس حزب النهضة بالسجن لاتهامه بتعدد الزوجات و مات في السجن بعد اربع سنوات. بعد موت نوري في ٢٠٠٦ لم يعد للحزب قيادة شرعية معروفة، فيما ظهر الى الواجهة المسؤول السياسي محيي الدين كبيري الذي ادلى بتصريحات مفادها ان الحديث عن احياء الخلافة هو حلم خيالي لا يتحقق و ينبغي التصدي للجماعات التي تروج لهذه الاوهام. لم تتعد نسبة المقاعد التي حصلت عليها الحركة في انتخابات ٢٠٠٨ اكثر من ثلاثة بالمائة من مقاعد البرلمان و اصبحت شيئا من الماضي. و في رمضان ٢٠١١ زادت وتيرة القمع لدرجة ان رئيس الدولة اصدر امرا بمنع الشباب تحت ١٨ سنة من ارتياد المساجد بحجة وقايتهم من التطرف و بدات تتخذ اجراءات لمنع الصغار من تعلم القرآن و بدات الشرطة بفرض حلق اللحى على المواطنين في الشوارع و لم يصدر عن توراجن زادة قيادي الحزب السابق الذي قبل الرشوة لوقف القتال في التسعينيات اكثر من بيان استنكاري.

# الجزائر

عندما اعلن شارل ديغول انسحاب فرنسا من الجزائر بعد احتلال دام ١٣٠ سنة و كلف الجزائريين مئات الالاف من القتلى في انتفاضاتهم المتتالية خرجت مظاهرات صاخبة لايام عدة في الجزائر العاصمة و المدن الاخرى. و على خلاف المظاهرات المفتعلة في بلاد اخرى اخلاها الاحتلال طواعية خرجت فيها جماهير الاحزاب وارثة الاحتلال تنادي بان مصر للمصريين[١] او السودان للسودانيين او قرية كذا للقرويين، سرى هتاف فريد على السنة الجزائريين نصه "يا محمد مبروك عليك الجزائر رجعت ليك" . كان عوام الجزائريين موقنين بأن المعركة صراع بين الاسلام و اعدائه و ليست طمعا في مواردهم الضئيلة او ارضهم الفقيرة مقارنة بمروج فرنسا .

لم يكن اقتران العاطفة الاسلامية بالعمل العسكري غريبا على نسل زناته و بقايا المرابطين[٢] و وجاق[١] الغرب كتيبة الجهاد البحري. كان المغرب الاوسط دوما الخزان الاحتياطي للقوة العقائدية و العسكرية

---

[١] و لو ان هذا الشعار في حالة مصر بلد مؤسس جامعة الدول العربية كان يعني مصر للمصريين من دون الانكليز و ليس بمعناه الانفصالي المعادي للوحدة العربية او الاسلامية كما في حالة الاردن للاردنيين و السودان للسودانيين و لبنان للبنانيين بمعنى لهم و للامريكيين من دون باقي المسلمين.

[٢] كانت تلمسان بغرب الجزائر احد آخر معاقل المرابطين الكبرى و قتل بالقرب منها باتجاه وهران امير المسلمين تاشفين ابن على آخر حكام الدولة المرابطية الكبار اثناء مواجهته لدولة المهدي الدجال الموحدي. كما شهدت الجزائر امارات اسسها بنو غانية عمال المرابطين في جزر الاندلس الذين سعوا بالتعاون مع امراء ايوبيين في وصل البلاد بالخلافة العباسية.

بالمغرب الكبير. تعب نصارى الغرب لقرون في محاولات فاشلة لاحتلال تونس و طرابلس و مراكش اذ كانت النجدات تهب من الجزائر لتزعزع اعتى الجيوش المحتلة. فهم مخططو نابليون الثالث خطأهم بعد اكثر من مائة سنة من دراسة التاريخ العسكري للمنطقة. في المرة الاخيرة احتلوا الجزائر اولا فاستسلمت باقي بلاد المغرب و بقت جثثا هامدة الى ان تركها الاحتلال طواعية بعد ان ارسى فيها ما اراد ان يرسيه.

خاضت فرنسا حربا شبه مستمرة اثناء احتلالها للبلاد ووصل عديد الجيش الفرنسي المرابط بالجزائر في منتصف الخمسينات لقتال جبهة التحرير ما يقرب من اربعمائة الف جندي و حوالي مائة و سبعين الف جندي نظامي متطوع جزائري فضلا عن ميلشيا المتطوعين الجزائريين الغير نظامية المسماة "الحركة" و بلغ تعدادها مائة و ثمانين الف حركي. كانت فرنسا اول دول العالم استخداما للمروحيات في الحرب البرية و هو فن استفادت منه اميركا لاحقا في حرب فييتنام. لم تقم حرب التحرير الجزائرية على اسس عقائدية منضبطة مما يسر استيلاء الشيوعيون و اذناب فرنسا من الضباط الجزائريين المعروفين "بدفعة لاكوست"[٢] على الحكم بعد رحيل فرنسا .كان من اول من واجهوا النظام فكريا

---

[١] وجاق: كلمة تركية تعني كتيبة.وجاق الغرب الاسم الرسمي في المراسلات العثمانية لولاية الجزائر تحت قيادة القبطان خير الدين برباروسا و خلفائه.

[٢] دفعة لاكوست: نسبة الى بيبير لاكوست آخر حاكم عسكري فرنسي للجزائر الذي قام بضم عدد كبير من الضباط الجزائريين المستجدين للجيش الفرنسي و دربهم على الاصول العلمانية اللادينية الفرنسية ثم انضموا الى جبهة التحرير الجزائرية قبل انتصارها بايام ليسيطروا على الحكم في العقود التالية و يقصوا ذوي التوجهات الاسلامية.

لتبنيه الشيوعية الشيخ المسن البشير الابراهيمي كبير علماء الجزائر فوضعه الرئيس بن بله في الاقامة الجبرية.

في اقل من عشرين سنة بدأت تظهر خلايا تقاتل النظام الشيوعي. كان اولها في ١٩٨٢ برئاسة ضابط كبير سابق في جيش التحرير الجزائري هو مصطفى بو يعلى. سمى بويعلى حركته بالحركة الاسلامية المسلحة. تعتبر هذه الحركة ام الجماعات الجزائرية المسلحة الحديثة حيث ضمت اسماء سيكتب لها الشهرة فيما بعد كقادة كتائب و مجموعات مثل منصوري مليانى احد مؤسسي الجماعة الاسلامية المسلحة و القادة الميدانيين مخلوفي و شبوطي و الداعية الشاب وقتها علي بلحاج. حاولت الحركة الحصول على دعم كبار بعض مشايخ الجزائر مثل الشيخ احمد سحنون الا انه رفض توجهاتهم. قامت تلك الجماعة بعمليات ناجحة استولت فيها على اسلحة للجيش الى ان تم قتل بويعلى في كمين سنة ١٩٨٧ و القبض على اعوانه و محاكمتهم.

تلى ذلك ظهور مجموعات مسلحة اصغر حجما مثل المجموعة التي قامت بعملية محكمة البليدة بإمرة نصر الدين كُحيل في سنة ١٩٨٩ و مجموعة عملية المتفجرات سنة ١٩٩٠ التي استولت على مئات الكيلوجرامات من المتفجرات و ضمت عبد الرحيم غرزول (القارئ) و توفيق بن طبيش وفرطاس علي و جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بامرة محمد خير بـ"القصبة" و جماعة الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر تحت إمرة على الزوابري بـ"بوفاريك" سنة ١٩٩١ بالاضافة جماعات أخرى كجماعة "براقي" .[١]

في نفس الوقت كانت الجماعات ذات التوجه السلمي و السياسي غير السلفية و المتأثرة بالاخوان و غيرهم قد توحدت تحت اسم جبهة الانقاذ الاسلامية و خاضت المرحلة الاولى من الانتخابات المحلية و فازت بها . كان على رأس الجبهة عباسي مدني مقاتل جبهة التحرير الجزائرية و الموظف الحكومي السابق و علي بلحاج احد اعضاء حركة بو يعلي المسلحة و مسؤلها الشرعي. بدأت قيادات الانقاذ عباسي مدني و علي بلحاج تقيم مؤتمرات الفية و مليونية حاشدة حضرتها قيادات العمل الاسلامي الدولي التي توافدت لتشهد ولادة الدولة الاسلامية التي بشر عباسي مدني بقرب قيامها في الاشهر القليلة القادمة. ضمن تلك القيادات كان رفاعي طه قائد الجناح العسكري للجماعة الاسلامية الصعيدية و معه محمد شوقي الاسلامبولي اخو خالد قاتل السادات و ام خالد التي الهبت حماس الحضور عندما قدمت كأم شهيد قتل احد الرؤساء العرب. فضلا عن ذلك قام المتحدث الرسمي للجماعة اسامة رشدي بالزواج من اخت عباسي لتقوية اواصر الصداقة مع نظام الحكم الجديد المنتظر. كانت تلك حقبة الخطب و المؤتمرات،كان يكفي ظهور الطفل عبد القهار بلحاج في خطبة منددا بعدم قدرة مليار مسلم على اقامة دولة لهم لاشعال مظاهرة تضم عشرات الالاف. لم يردع

---

[١] ابو عبد الرحمن امين، "هداية رب العالمين في تبيين اصول السلفيين و ما يجب من العهد على المجاهدين".

هـذا النجـاح الجزئـي تيـارات العمـل المسـلح عـن المضـي حقبـا في طريقهـا . ارخـت السـلطات الحبـل للانقـاذ طمعـا ان يقلـل نجاحهـا مـن شـعبية الحـل المسـلح لـدى الشـباب المـوقن بفسـاد الادارة و عـدم امكـان تخليهـا عـن الحكـم سـلما الا ان ذلـك لم يتحقـق وكـادت الانقـاذ ان تفـوز بحكـم الـبلاد ممـا دعـا الجـيش لازاحـة الـرئيس الشـاذلي بـن جديـد لفشـله في السـيطرة علـى الاسـلاميين و القـبض علـى رؤوس الانقـاذ الـذين دعـوا الى التهدئة.

تـزامن ذلـك مـع توحـد العديـد مـن المجموعـات المسـلحة في صـيف ١٩٩١ تحـت إمـرة نـور الـدين سـلامنة الـذي خلفـه بعـد مقتلـه في فبرايـر ١٩٩٢ محمـد عـلاّل حتـى مقتلـه في خريـف ١٩٩٢. كانـت هـذه هـي النـواة الأولى للجماعـة الاسـلامية المسـلحة وقـد نفـذت عـدة عمليـات منـها عمليـة مقـر الـدرك بـبني مـراد "البليـدة" في ديسـمبر ١٩٩١ و ضـمت مجموعـة عبـد الرحمـان دهـان أبـو سـهام، و مجموعـة الطيـب الأفغـاني الـتي قامـت بعمليـة قمـار في نهايـة ١٩٩١، ومجموعـة منصـوري المليـاني الـتي قامـت بعمليـة بالاغـارة علـى ثكنـة سـلاح البحريـة في فبرايـر ١٩٩٢. اسـر منصـوري مليـاني لاحقـا و حكـم عليـه بالاعـدام و نفـذ الحكـم، وبعـد أسـر المليـاني خلفـه أحمـد الـودّ علـى إمـارة مجموعتـه، كمـا خلـف عبـد الحـق لعيايـدة المكنـى أبـو عـدلان محمـد عـلال بعـد مقتلـه. وفي أكتـوبر سـنة ١٩٩٢ عُقـد لقـاء حضـره عـن جماعـة المليـاني تحـت إمـارة أحمـد الـودّ مـنير وسـيد أحمـد لحرانـي وفتحـي وقـرروا الانضـمام إلى جماعـة أبـو عـدلان عبـد الحـق لعيايـدة ويومهـا سميـت الجماعـة بـ"الجماعـة الإسـلامية المسـلحة" وأصـدر عبـد

الحــق لعيايــدة بيانــا تبنــى فيــه مجموعــة كـبيرة مــن العمليــات علــى مســتوى الــبلاد، كمــا أصــدر القــانون الأساسي للجماعة[١] و شعارها "سنية، سلفية، موحدة" .

في هــذا الوقــت كانــت فلــول الانقــاذ تتخــبط بــين داع للحــل الســلمي و داع للجهــاد للــرد علــى "التعــدي علــى مشــايخ الحركــة" حتــى لفــت انتبــاههم ذيــوع شــأن الجماعــة المســلحة و انفضــاض النــاس مــن حــول فكــرة جبهــة الانقــاذ فقــرر بعــض قياديهــا مجــاراة الصــرعة الســائدة حتــى لا يســحب البســاط مــن تحــت اقــدام الجبهــة فقــام الشــيخ محمــد الســعيد قائــد خليــة الازمــة للجبهــة بتوقيــع بيــان الوحــدة مــع الجماعــة الاســلامية باســم الجبهــة الا ان بعــض اقــارب قيــادات الجبهــة مثــل مصــطفى شــقيق رابــح كــبير ممثــل الجبهــة بالمانيــا و اوروبــا خرجــوا عليــه حســدا منــهم و تم تأســيس الجــيش الاســلامي للانقــاذ بقيــادة مــدني مــزراق[٢] . لم يكتب لفكرة الجيش النجاح و ظل دائما احد اقل المجموعات العسكرية فعالية .

للتــدليل علــى مــا كــان بــين الجماعــة و جبهــة الانقــاذ وقتئــذ اصــدر ابوعــدلان شــريطا صــوتيا عــاب فيــه منــهاج الانقــاذ و عقيــدتها قــال فيــه:"لقــد دخلــوا الانتخابــات و خــالفوا نصــائحنا و اعتزلونــا و هجرونــا و رشــحوا الى مناصــب البرلمــان افــرادهم و اعــوانهم بطريقــة ســرية مــاكرة خبيثــة لعينــة و اســتحوذوا علــى الكراســي و غلطــوا الامــة. حــذرناهم و لكنــهم دخلــوا البرلمــان،الى هــذه الــدار الخبيثــة، الى هــذه الشــجرة

---

[١] ابو عبد الرحمن امين، "هداية رب العالمين في تبيين اصول السلفيين و ما يجب من العهد على المجاهدين".

[٢] شخصــية مشــبوهة ادعــى انــه هــرب مــن الســجن فــي بدايــة الاحــداث بطريقــة تــوحي باحتمــال اطلاقــه مــن طــرف الســلطة لمنــاوءة الجماعة الاسلامية المسلحة. راجع كميل الطويل،"الحركة الاسلامية المسلحة في الجزائر"، ص١٦٥

الملعونـة و هـم يعلمـون ان التشـريع لله سـبحانه و تعـالى. هـؤلاء النـاس الـذين افسـدوا الجبهـة الاسـلامية للإنقـاذ و الـذين فـتح لهـم البـاب بعـض اخوانـا مـن السـلفية-غفـر الله لهـم-فتحـوا لهـم البـاب و قلنـا لهـم لا تفتحـوا البـاب. ان هـؤلاء (الانقـاذيين) فسـقة و مفسـدون في الارض و يحبـون الكراسـي و يلـهثون وراء المناصـب و لا يؤمنـون بالجهـاد. . .ايـن هـم في سـاحة الـوغى؟اين هـم في سـاحة المقارعـة؟لماذا لم يحملـوا السـلاح؟ هـذا دليـل علـى انهـم يعتقـدون ان القتـال عنـف و العيـاذ بـالله، و مـن اعتقـد بـذلك فهـو كـافر(. . .)لا ينبغـي للمسـلمين مـن الآن فصـاعداً ان يزاولـوا النتخابـات و اللعبـة الديمقراطيـة، تلـك الفتنـة، و منذ الآن فصاعدا لا حزبية و لا تعددية سياسية.فالأمة ارادت الاسلام" .[١]

اثنـاء قيـام ابـو عـدلان باحـد مهـام شـحن الاسـلحة و الامـدادات عـبر الحـدود المغربيـة بالتعـاون مـع افغـاني سـعودي وعـده بالمـال و السـلاح اسـتدلت الاجهـزة الامنيـة في المغـرب بشـكل او بـآخر علـى مكانـه و سـاومته علـى التعـاون معهـا ضـد الجزائـر الـتي تعـيش معهـا صـراعا سـايكس بيكويـا حـدوديا و صـراعا سياسـيا بـين الانظمـة الشـيوعية الملكيـة و الشـيوعية الجمهوريـة الثوريـة. لم تجـد المسـاومة لاخضـاع الجماعـة لقيـادة ملـك المغـرب كمـا صـدرت الاوامـر مـن الغـرب للمغـرب بالتعـاون فتقـرر تسـليم ابـو عـدلان لعيايـدة لخالـد نـزار وزيـر الـدفاع الجزائـري الضـابط السـابق في الجـيش الفرنسـي الـذي انضـم لجبهـة التحريـر الجزائريـة عشـية جـلاء فرنسـا . نقـل ابـو عـدلان الى الجزائـر حيـث حكـم عليـه بالاعـدام و ظـل في السـجن

---

[١] كميل الطويل،"الحركة الاسلامية المسلحة في الجزائر"، ص٧٧

خمسة عشر عاما ثم اطلق سراحه في عفو عام. بعد أسر عبد الحق لعيايدة بالمغرب تولى الإمارة عيسى بن عمار في صيف سنة ١٩٩٣. بعدها بشهر قتل بن عمار و تولى بعده جعفر سيف الله الافغاني وذلك في أغسطس سنة ١٩٩٣ و معه أبو يونس السايح عطية أمير منطقة ولاية المديّة نائبا له الى ان قتل كلاهما في رمضان ١٤١٤/١٩٩٤. كانت الجماعة الاسلامية المسلحة التي اشتهرت بالاحرف الثلاثة الاولى من اسمها الفرنسي (جيا) يومها اقوى الجماعات بلا منازع. تسببت معاركها مع السلطات الجزائرية في خسائر بعشرات الالاف للجيش و الشرطة مما زاد من عدد المنضمين اليها خاصة بعد ان اصبحت تسيطر على كثير من المناطق الجبلية و القرى. الى جانب الجماعة كان هناك مجموعات اصغر و اقل تاثيرا على المستوى العسكري مثل الجيش الاسلامي للانقاذ و جماعة شبوطي و حركة الدولة الاسلامية لمخلوفي و جماعة كرطالي و جماعة حماة الدعوة السلفية . في امارة سيف الله جعفر وجه انذار لجميع الاجانب غير المسلمين بمغادرة الجزائر و الا اعتبروا عونا عسكريا للحكومة و قتلوا. بعد عمليات قتل فيها عشرات الاجانب بدأ اولئك في ترك البلاد باعداد كبيرة.

بعد مقتل جعفر الافغاني تولى الإمارة أبو عبد الله أحمد الضابط الشرعي للجماعة وهو الذي نقح القانون الأساسي وسماه "القواعد الأساسية المفلحة في الجماعة الإسلامية المسلحة". و في منتصف ١٩٩٤ انضم الجيش الإسلامي للإنقاذ وحركة الدولة الإسلامية الى الجماعة تحت امرته وبايعه الجميع على السمع والطاعة تحت راية الجماعة الإسلامية المسلحة ومنهجها و قبلوا بشرط التوبة من الجبهة

ومسارها الديمقراطي. شهدت تلك المرحلة ذروة نجاح الجماعة الاسلامية مما جذب باقي الجماعات الصغيرة للانضمام اليها حيث صارت تسيطر على اجزاء كبيرة من الريف طبقت فيها الحدود الشرعية و بدأ البعض يعتقد باحتمال استيلاءها على السلطة. على الصعيد الدولي اكتسبت الجماعة تأييد بعض مشايخ السعودية[١] مثل سفر الحوالي الذي اصدر شريطا صوتيا بمناسبة الوحدة فضلا عن مشايخ لندن مثل ابو حمزة المصري و ابو مصعب السوري و ابو قتادة الفلسطيني الذين عملوا في نشرة الجماعة الاعلامية الصادرة من لندن المعروفة باسم "الانصار". كثر الحديث عن المناطق المحررة و بدا كما لو كان النظام الشيوعي الغارق في الفساد و سوء الادارة على وشك السقوط بعد خسارة عشرات الالاف من جنود الجيش و الدرك و الشرطة.

لم يمر على اعلان الوحدة خمسة اشهر حتى قتل ابو عبد الله احمد على يد القوات الحكومية و عثر بجوزته على رسالة تأييد من علي بلحاج الرجل الثاني في جبهة الانقاذ. قتل أبو عبد الله أحمد يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٩٤ و خلفه أبو عبد الرحمن أمين أميراً على الجماعة الإسلامية المسلحة. مثل سابقيه كان جمال زيتوني المكنى ابو عبد الرحمن امين شابا في منتصف العشرينات من عمره عرف بشجاعته و شراسته القتالية غير العادية التي اهلته بحسب مجلة فرنسية شهيرة ليكون "اخطر رجل في العالم".

---

[١] لم يكن في تأييد بعض مشايخ "الصحوة" في السعودية للجماعة في الجزائر اي بطولة، خاصة و قد كانت الحكومة السعودية غاضبة على نظام الحكم الجزائري لما ابداه من تاييد لصدام اثناء حرب الكويت قبلها باقل من ثلاث سنوات، و كانت السعودية قد اتخذت اجراءات مشددة ضد جميع الدول التي وقفت نفس الموقف بما في ذلك طرد حوالي مليوني مقيم فلسطيني و عراقي و يمني و اردني الا انها لم تجد الكثير من الجزائريين لتطردهم.

تضمنت اكثر عملياته جرأة حادثة اقتحام و السيطرة على مقرات السفارة الفرنسية و البلجيكية بوسط العاصمة الجزائرية نهارا ثم الخروج مصطحبا رهائن من الدبلوماسيين مما حدا بالعديد من السفارات الغربية لمغادرة الجزائر.

واجهت ابو عبد الرحمن في بداية امارته حادثة استمرت اثارها حتى مقتله، اذ اكتشف ان الامير المؤقت، بعد مقتل ابو عبد الله احمد، محفوظ طاجين[١] -و المحددة امارته بثلاثة ايام لحين اختيار امير جديد- قد تآمر مع بعض قيادات الجماعات المنضمة حديثا للجماعة المسلحة و على رأسهم الشيخ محمد السعيد للاستيلاء على قيادة الجماعة المسلحة. اعقب ذلك بحسب بيانات الجماعة محاكمة للمتورطين و قتلهم بعد اعترافهم. تم اختيار ابو عبد الرحمن امين في بيعة وصفها ابو قتادة الفلسطيني بأنها "اصح من بيعة ابو جعفر المنصور" الخليفة العباسي المؤسس. ارسى ابو عبد الرحمن امين عدة مباديء منها "لا حوار و لا هدنة و لا تفاوض مع المرتدين" و ان المرتدين يقاتلون ابتداء(بدون سابقة عدوان من طرفهم)" و ان جهاد الجماعة "بالخناجر لا الحناجر، في الخنادق لا الفنادق[٢]، و من قاتلنا بالقلم قاتلناه بالسيف".

---

[١] كان لمحفوظ طاجين علاقات بروافض لبنان و ايران و ارسل فوجا تدرب هناك و رفض تنبيهات الجماعة بقطع تلك العلائق.

[٢] كان اعضاء الجماعة مهتمين للغاية باستنباط الاسباب التي ادت لانحراف ثورة التحرير الجزائرية و استخلصوا نتائج بضمنها ان وجود قيادة الثورة خارج البلاد في باريس او المغرب او القاهرة ادى لوقوعها تحت تاثير النمط السياسي اللااسلامي السائد في اروقة حكم تلك البلدان، فصممت الجماعة على عدم التاثر بأي نفوذ خارجي و الحرص على محلية القيادة و حصرها باهل الجبهات.

في هذا الوقت كان قد تبدل على حكم البلاد رئيسان منذ عزل الشاذلي بن جديد هما علي كافي قائد حزب جبهة التحرير و ابو ضياف احد قادة الجبهة التاريخيين. اغتيل ابو ضياف لاحقا على يد احد ضباط حراسته بصورة غامضة. تم بعدها اختيار الجنرال ليمين زروال رئيسا . في هذه المرحلة بعدما تبين للسلطات فقدانها للسيطرة على اجزاء واسعة من البلاد بدأت تسلح القرويين من منسوبي جبهة التحرير الشيوعية الذين كونوا مجموعات انخرطت في مذابح ضد سكان القرى المتعاطفة مع الاسلاميين.

من ناحية اخرى اكتشفت السلطات المغربية شبكة تهريب اسلحة و معدات الى الجزائر عبر الحدود البرية المجاورة لمدينة وجدة و قد قام بعض اعضاء هذه الشبكة-التي كان عبد العزيز المقرن احد اعضائها- الى جانب عملهم بقتل بعض السياح الاسبان في مدينة مراكش البعيدة عن الجزائر فقامت المغرب فورا بتعطيل اتفاقات الاتحاد المغاربي و اغلقت الحدود البرية و فرضت تأشيرات على الرعايا الجزائريين و برغم ان الجزائر كانت مصدرا للمحروقات و السلع التموينية الرخيصة الا ان المغرب غلب الجانب الامني على الجانب الاقتصادي و تم تعويض الخسائر عن طريق رفع حجم تصدير الحشيش المغربي لأوروبا . استمر اغلاق الحدود منذ عام ١٩٩٤ و لم تفتح بعدها ابدا في خطوة ذكرت بخط موريس المكهرب الذي اقامته قوات الاحتلال الفرنسية للفصل بين المغرب و الجزائر المحتل. اتبعت

السلطات التونسية اجراءات مشابهة في حق الجزائريين. كانت الدولتان المعروفتان بتوجهاتهما اللادينية الاستئصالية غير مستعدتان لقبول احتمال انتقال ما اعتبروه "وباءا" فكريا الى اراضيهم.

ضمن اجراءات الجماعة ضد الاجانب قامت احد سراياها في ١٩٩٦ باختطاف سبعة منصرين فرنسيين من جماعة الرهبان البيض التي تمارس التنصير في المناطق الجبلية و النائية و طلبت في مفاوضات مباشرة مع السفارة الفرنسية مبادلتهم بسجناء اسلاميين، ووقف اعتقالات الشرطة الفرنسية لاسلاميو باريس، بالاضافة لوقف اعاناتها العسكرية للحكومة الجزائرية. ابرز الرهبان ما قالوا انه عهد امان من نائب جعفر الافغاني القتيل سايح بن عطية و لكن ابو عبد الرحمن امين لم يمضيه او لا يعلم ان كان ذلك لراي ارتآه او لشكه في صحته او لمخالفتهم لشروطه. اعلنت الحكومة الفرنسية رفضها لشروط التبادل فذبحت الجماعة المنصرين برغم توسلات بعض الشخصيات الدينية الرسمية العربية المدفوعة من حكوماتها . على خلاف جماعات مسلحة اخرى في ساحات اخرى لم تكن الجماعة تضمر اي ود للشيخ تركي الكبير او دولته او هيئة كبار علمائه؛ على العكس من ذلك دأبت نشرة الانصار الناطقة باسم الجماعة بلندن على وصف المملكة بالدولة "السعويهودية" . لم تتقيد الجماعة ايضا بتعليمات الشيخ تركي الكبير للجهاد فيما يخص السبي و قامت عقب معاركها مع ميليشيات حراس القرى الشيوعية بسبي نساءها .

ادرك زيتوني ان جزءا كبيرا من قدرة النظام على الاستمرار مرتبطة بالدعم الخارجي الذي يتلقاه من فرنسا و اميركا فقرر التصدي للاولى نظرا لوجود خلايا للجماعة وسط الجالية الجزائرية الكبيرة بفرنسا . كانت البداية مع سيطرة احد المجموعات على طائرة فرنسية بعد قيامهم بارتداء زي قوات مكافحة الارهاب الجزائرية و خطفها من مطار الجزائر في اتجاه باريس. طالب المختطفون باطلاق بعض السجناء الاسلاميين مثل ابو عدلان لعيايدة و عمر عبد الرحمن من محبسه الاميركي. جلبت السلطات الجزائرية لعيايدة من محبسه لينصح المختطفين بالاستسلام فرفضوا و اقلعوا بالطائرة الى فرنسا الا انهم توقفوا لملأ الطائرة بالوقود في مرسيليا حيث اقتحمت قوات مكافحة الارهاب الفرنسية الطائرة و قتلتهم قبل ان يستطيعوا قتل الركاب او استعمال المتفجرات الموجودة بحوزتهم. رثاهم ابو عبد الرحمن امين و اعلن ان عطلا فنيا منع المتفجرات من العمل و ان كان ذلك لم يعلل عدم قتل واحد من الركاب بالسلاح الفردي. ذكرت بعض مصادر الجماعة لاحقا ان اصرار الخاطفين على تمويل الطائرة بالوقود كان بهدف تفجيرها فوق باريس. لا يعلم ان كان ذلك ضمن المخطط الاصلي و لكنه كان سيعتبر اول عملية انتحارية لجماعة جزائرية و هو الامر الذي سيؤجل عشر سنوات لحين وصول فكر قاعدة بن لادن للبلاد .

من ناحية اخرى توجه ابو عبد الرحمن الى رئيس فرنسا بانذار عنوانه "اسلم تسلم يا شيراك" و قرن ذلك باعلان فرنسا منطقة عسكرية عاشرة الى جانب ولايات الجزائر التسعة الاصلية. بعد انتهاء

المهلة قامت الخلايا الجزائرية الموجودة بفرنسا بتفجيرات في التجمعات العامة و محطات مترو الانفاق مما دعا الجيش الفرنسي للنزول الى شوارع باريس حيث بقى مرابطا لاشهر بعد تلك الحوادث. بالاضافة لتلك التفجيرات تم قتل عبد الباقي صحراوي احد مشايخ الانقاذ المقيمين بفرنسا و الذي عرف عنه انتقاد الجماعة المسلحة في الجزائر. استمرت المطاردات لفترة بين الاجهزة الفرنسية و المجموعة الى ان تم تصفية تلك الخلايا و قتل خالد قلقال و كريستوفر سازيه(ابو الوليد الفرنسي) اميرا اهم تلك الخلايا. قتل ابو الوليد اثناء اقتحامه لكمين شرطة قرب الحدود البلجيكية الفرنسية بعد ان افلت من عدة اكمنة اخرى و قتلت نصف مجموعته في مواجهات مع قوات مكافحة الارهاب الفرنسية. تبين ان تلك المجموعة قامت بالسطو على بعض سيارات نقل النقود المصفحة و لكن العائد لم يكن كبيرا. كما نسب الى المجموعة محاولة القيام بتفجيرات ضد الشرطة الفرنسية و وضع سيارة مفخخة الى جانب مقر انعقاد قمة السبعة الكبار في مدينة ليل شمال فرنسا مقر الخلية. كان عددا من افراد الخلية و منهم ابو الوليد من قدامى مقاتلو البوسنة و لكنهم تركوها بعد انتهاء الحرب. وجد بحوزة المجموعة قاذفات صاروخية ار بي جي و متفجرات. اما خالد قلقال فقد دلت عليه امراة فرنسية راته ينزل من احدى الحافلات بشمال فرنسا في اعقاب واحدة من اكبر حملات المطاردة البوليسية و الاعلامية لشخص مطلوب على التراب الفرنسي و عندما رفض الاستسلام اردته الشرطة قتيلا.

في الجزائر سعى ابو عبد الرحمن لوقف تمويل النظام عن طريق توجيه انذار للعاملين بقطاع النفط اهم قطاعات الاقتصاد الجزائري بالتوقف عن العمل لان حاصل انتاج القطاع يذهب لتسليح الجيش الحكومي. في الناحية العقائدية الادارية اعلن امير الجماعة ان امرته صارت امارة عامة بمعنى اعلان الاراضي التي تسيطر عليها الجماعة دولة اسلامية، فضلا عن ذلك اعلن ان راية الجماعة هي الراية الشرعية الوحيدة المبصرة على ارض الجزائر و لا يسع احد اتباع راية اخرى. كان المستهدف من الاعلان الاخير التصدي لبعض الجماعات الصغيرة التي لم تنضم للاتحاد و جماعات اخرى انضمت عسكريا للاتحاد بصورة مؤقتة على خلاف ما اعلنته. كان الدافع للتصدي للفئة الاولى هو وقف محاولات الانشقاق التي سعى البعض لتمويلها من خارج البلاد؛ فقد اكتشفت الجماعة ان مبعوثا من طرف بن لادن عبر الحدود ليوزع اموالا الى خلايا صغيرة لم تنضم بعد الى الوحدة و الى قادة ميدانيين كانوا في تنظيمات اخرى و انضموا للجماعة[1] و اشتهر عنهم ذلك. استاءت الجماعة من هذا التصرف و اخذت الاموال و امرت الرسول بالانصراف. كان بن لادن معتادا على نمط تعامل المخابرات السعودية و الاميركية مع القادة الافغان حيث توزع صرر المال و هواتف الثريا و سيارات رباعية الدفع على كافة "القومندانات" على اختلاف مشاربهم مع تفضيل القادة الأكثر تعاونا لفتح قنوات اتصال و شراء و استئجار ولاءات. بعد مبايعة الجماعات الكبرى بالجزائر لقيادة ابو عبد

---

[1] كان احد هذه الجماعات خلايا حماة الدعوة السلفية بالغرب التي انضمت للجماعة على مضض ثم اختلفت مع بعض مكوناتها ثم انشقت عنها لاحقا.و كان ضمن من انشقوا معهم عن الجماعة اشخاص ممن عملوا مع بن لادن بالسودان و وفدوا حديثا للجزائر مثل ابو الاسود الجزائري. و الجماعة متاثرة للغاية بالدعاية السعودية حتى انها سمت احدى مناطق نشاطها نجد الصغرى و الاخرى نجد الكبرى، و لهم اقوال في مقتل جميل الرحمن بافغانستان تشبه ما ينشره اتباع مقبل الوادعي و بعض الجامية و المداخلة بالاضافة لبيانات في التحذير من "التكفيريين".

الـرحمن امـين لم يكـن هنـاك معنـى لمراسـلة و تمويـل القـادة الخاضـعين لـه سـرا و علـى انفـراد . تلـى ذلـك ارسـال بـن لادن لمبعـوث اخـر مـع بعـض المـال و هـاتف اقمـار الصـناعية الا ان جمـال زيتـوني رفـض قبولـه و طـرد المبعـوث مهـددا ايـاه بالقتـل اذا عـاود دخـول الجزائـر . دخـل الجزائـر بعـدها وفـد ثلاثـي مـن رسـل بـن لادن بـزعم التنسـيق بـين الجهـاديين في الجزائـر و خارجهـا و مـروا علـى حسـان حطـاب و بعـض مـن يظـن فـيهم الاسـتعداد للانشـقاق علـى الجماعـة الا ان خشـيتهم مـن قتـل زيتـوني لهـم ادت بهـم الى اللجـوء لمنطقـة الاربعاء و الاحتماء بمصطفى كرطالي المتعاون مع الحكومة.

ادى هـذا التصـرف و الهجمـات علـى فرنسـا الى انقـلاب شـبه كامـل لمؤيـدي الجماعـة في الخـارج عليهـا . كـان اسـتهداف احـدى اكـبر الـدول الاوروبيـة في عاصـمتها امـرا لا يغتفـر، فصـدرت الاوامـر لاعضـاء تحالفـات "مكافحـة الارهـاب" بتـدمير الجماعـة. مـن ناحيـة اسـتجابت الاسـتخبارات البريطانيـة لمطالـب فرنسـا بوقـف نشـاط مؤيـدي الجماعـة بلنـدن فـتم القـبض علـى رئـيس تحريرهـا ابـو فـارس الجزائـري و لوحـق بعـض كتـاب النشـرة ممـا افـزع بعضـهم و دعـاهم لكتابـة انتقـادات لنـهج الجماعـة خشـية مـن ترحيلـهم خـارج بريطانيـا او سـجنهم. كمـا غضـب كـثيرون حميـة لـبن لادن، و اسـفرت مراسـلات مـن الظـواهري لزيتـوني بخصـوص منـهج الجماعـة عـن سـؤال ابـو عبـد الـرحمن عـن مراجـع جماعـة الجهـاد الفكريـة الامـر الـذي رد عليـه الظـواهري بـذكر سـيد قطـب و اخـرين اعتـبر زيتـوني انهـم ليسـوا مـن مصـادر العلـم الشـرعي و

اضاف ان منهاج الجماعة الاسلامية الصعيدية و جماعة الجهاد مذبذب و لا يستند لاسس شرعية صحيحة فيما يتعلق بالولاء و البراء و التعامل مع المرتدين و المنافقين.

من وجهة نظر زيتوني لم يكن هناك ما يقدمه بن لادن للجماعة ففيما كان بن لادن لاجئا منكسرا مع عشرات من اتباعه العزل تحت حراسة المخابرات السودانية كان زيتوني يحكم قطعة من الارض اكبر من نصف مجلس التعاون الخليجي و يأتمر بأمره عشرات الالاف من المسلحين العاملين بين ليبيا و تونس و الجزائر و المغرب و موريتانيا بالاضافة للخلايا الفرنسية. كما لم يكن زيتوني امير تلك الاراضي الشاسعة متطلعا كموظفي الحكومة السودانية اوبعض القادة الافغان الى سيارة رباعية الدفع او بضعة الاف من الدولارات و هاتف اقمار صناعية. فضلا عن ذلك كان وفود افراد عائدين من افغانستان و محاولتهم الاتصال بقيادات سابقة في جماعات اخرى التحقت بالجيا يذكي الشك ان وراء اتصالات بن لادن امرا اخرا كأن تكون محاولة من الشيخ تركي الكبير لتقسيم الجماعة باموال سعودية، فوق ذلك كله لم تكن عقيدة بن لادن و منهجه و عمله العلني مع الحكومة السعودية اثناء الفترة الافغانية مما يقربه لدى امثال ابو عبد الرحمن امين الذي لم يعرف غير مصاولة الحكومات الغربية و العربية طيلة عمره القصير.

استفزت تلك الردود مجموعة بن لادن بالسودان و لندن و بدأت الاشاعات و الانتقادات تتطاير فقد وصفهم ابو مصعب السوري[١] الذي كان قبلها بأشهر كاتبا في نشرة الانصار الناطقة باسم الجماعة بانهم مجموعة من "الجامية المدخلية[٢] المخترقين مخابراتيا" و في رواية اخرى بانهم من "عتاة المجرمين. "كان جزءا من الخلاف راجعا لانتماء ابو مصعب الى ما اسماه ابو قتادة الفلسطيني المدرسة "الجيمس بوندية الامنية" و هي مدرسة فكرية حركية تعلي من شأن التخفي و التغلغل و الانقلابات فوق الضوابط العقائدية. كما روج لرواية اختفاء مجموعة من الليبيين الذين انتقلوا للعمل مع الجماعة ثم خيرهم جمال زيتوني بين الانخراط التام في الجماعة و مبايعته و الرحيل. قام بعضهم بالرحيل بينما بقى بعضهم على ولائه سرا للجماعة الليبية المقاتلة و هو تنظيم يشاع انه مخترق على نطاق واسع من الاجهزة الليبية و البريطانية. بنهاية المطاف اعلن اسلاميو لندن و منهم ابو قتادة الفلسطيني و ابو حمزة المصري براءتهم من الجماعة و اعمالها.

في خلال اشهر قليلة انقلبت دوائر الاسلاميين العالمية من مؤيدة للجماعة الى معارضة لها و بدأت تصدر فتاوى بوجوب الانفضاض عن تلك الجماعة من الخليج و لندن و ممثلي جبهة الانقاذ السابقين

---

[١] اخواني سوري تدرب بعد هزيمة الاخوان بسوريا في معسكرات تابعة للمخابرات العراقية بالعراق و المخابرات المصرية بمصر عندما كانت الدولتان في عداء مع نظام حافظ الاسد. انتقل بعدها لاسبانيا و افغانستان في فترة حرب الروس. و منهما الى لندن لفترة ثم عاد لافغانستان في فترة طالبان حتى الغزو الامريكي حيث اسس معسكرا مستقلا عن معسكرات القاعدة حيث كان له مآخذ على القاعدة و طالبان ثم بايع الملا عمر. قبض عليه بعد الغزو الامريكي و اودع السجن بسورية.

[٢] الجامية المدخلية: مدرستان علميتان معاصرتان تنسب احداهما لربيع المدخلي و الاخرى لامان الجامي و يعزى لاصحاب المدرستين التعصب ضد المخالفين و اصدار فتاوى تدعو للتعاون مع الحكومة السعودية.

اللاجئين في اوروبا مثل رابح كبير و قمر الدين خربان المعروف بجعفر الطيار المرتبط بالاستخبارات البريطانية و عبد الله انس صهر عبد الله عزام الوثيق الصلة بالاجهزة الفرنسية و البريطانية. ازعج الامر زيتوني مما دعاه لاصدار بيان يتوعد فيه الخوارج و "التكفيريين" نافيا عن نفسه ضمنا ما رماه به اعداءه بل و قام بقتال بعض الخلايا المسماة بالتكفيرية ارضاء للتيار الارجائي، الا ان ذلك اضعفه عقائديا فيما لم يجلب نفعا و بدأت سلسلة انشقاقات من الانقاذيين الذين انضووا تحت راية الجماعة و خلايا هامشية اخرى تتصاعد الى حين مقتله في كمين بمنتصف ١٩٩٦ على يد افراد من جماعة الاربعاء(الرابطة الاسلامية للدعوة و الجهاد) بقيادة علي بن حجر[١] اعلنوا انهم اغتالوه ردا على قتله للشيخ محمد السعيد فيما كان الدافع الحقيقي هو قيام زيتوني في وقت سابق بقتل شعيب ابن علي بن حجر بل و يرجح انهم قتلوه بدون معرفة شخصيته.

اختير ابو طلحة عنتر الزوابري امير الكتيبة الخضراء خلفا لابو عبد الرحمن على رأس الجماعة، كان لابو طلحة تاريخ حافل في الجماعة توج بغارة تونس التي قام فيها بالانتقال مع مئات من انصاره المسلحين من احد غاراتهم على مدينة بشار المغربية غرب الجزائر الى داخل الحدود التونسية بأقصى الشرق عابرا اكثر من الف كيلومتر للرد على اعتداء حرس الحدود التونسي على اعضاء الجماعة بالمشرق. اسفرت الغارة التي اقتحم فيها بضعة مراكز حدودية تونسية عن تدمير المراكز و الاستيلاء

[١] استسلم لاحقا للحكومة الجزائرية و انضم الى ما عرف بالوئام الوطني. قيل ان بعض افراد جماعته تلقي تدريبات بايران بامر الجماعة في نهاية التسعينيات قبل استسلامها و ان منهم من ترفض.

على مركبات و سلاح و عتاد وفير من القوات التونسية. فضلا عن ذلك كان ابو طلحة ينتمي لاسرة عريقة في العمل المسلح حيث كان اخوه علي الزوابري احد مؤسسي الجماعة كما عرف عن اخته مسعودة الزوابري انها تركت ابناءها التسعة و لحقت باخويها في الجبال حيث قاتلت الى ان قتلت و لم تجاوز الخامسة و الثلاثين من عمرها .

مع تولي ابو طلحة انشق من بقي من اعضاء الجيش الاسلامي للانقاذ و الجماعات المكونة الاخرى مما دعا الجماعة لقتالهم. في تلك المرحلة كان قد اتضح ان الجماعة المسلحة لن تستطيع الاستيلاء على الحكم خاصة و قد تضافرت جهود دول عديدة على رأسها اميركا لمساندة النظام الجزائري. اراد النظام تحسين صورته كنظام انقلابي عسكري فاعلن اجراء انتخابات عامة. اصدرت الجماعة تحذيرا للشعب الجزائري من المشاركة في العملية الانتخابية نظرا لكونها تتم تحت شروط غير شرعية و لكن الجزائريين خالفوا التهديد و شاركوا في الانتخابات التي فازت بها الحكومة القائمة. اصدر ابو طلحة بيانا اتهم فيه عوام الجزائريين بالردة و خذلان الحركة الاسلامية قال فيه "إن كفر هذا الشعب المنافق الذي أعرض عن نصرة المجاهدين وموالاتهم، وردته لن تثني عزمنا . . إن ما نقوم به من قتل وتقتيل وذبح وتشريد وحرق وسبي. . . هو قُربات عند الله".[١] علت صيحات اسلاميو لندن و مخالفيه بالجزائر لانه خالف احد وصايا الشيخ تركي الكبير و هي عدم تكفير سكان دولة عضو بمنظمة

---

[١] بيان "صد اللئام عن حوزة الإسلام".

المؤتمر الاسلامي. في هذا الوقت اثيرت شبهة مذابح غامضة ارتكبت في الجزائر و نسبتها الحكومة للجماعة فيما كانت لجان الدفاع الذاتي القروية المكونة من شيوعيو جبهة التحرير الشعبي التي سلحتها الحكومة مسؤولة عن كثير منها ضد القرى التي يسكنها فئات متعاطفة مع الجماعة.

كانت هذه بداية نهاية الجماعة حيث انشق امير المنطقة الثانية حسان حطاب و هو جندي سابق في الجيش الجزائري. بعدها انشقت المنطقة التاسعة و الخامسة و فيها عبد الرزاق البارا المظلي السابق[١] و السادسة فيما ثبت الغرب مع قيادته الاصلية الى حين. توجه حطاب الى الرأي العام معلنا تأسيس "الجماعة السلفية[٢] للدعوة و القتال" التي قال انها ستتلافى اخطاء الجماعة الاسلامية المسلحة و ستقصر عملياتها على الجيش و الدرك و الشرطة و لن تستهدف المدنيين و غير اسم الجماعة لانه حسب قوله صار علما على دعاة "التكفير و الهجرة". تلقى حطاب دعما من جهات عدة في انشقاقه و منها اسامة بن لادن. اسميا عين ابو مصعب عبد المجيد ديشو اميرا للجماعة السلفية في ١٩٩٩ لاشهر قبل ان يقتل ثم اعقبه في القيادة حسان حطاب المؤسس الحقيقي للجماعة الجديدة لمدة سنوات شهدت فيها الجماعة تباطؤا شديدا في عملياتها و تناقصا في افرادها.

---

[١] قبض عليه في تشاد لاحقا اثناء انسحابه من احدى عمليات خطف السياح و اشترته ليبيا و سلمته للجزائر حيث اصبح من دعاة الاستسلام من داخل السجن.

[٢] كان لتلك التسمية خلفيات قديمة حيث اقترح ابو عبد الله احمد امير الجماعة ايام الوحدة الكبرى تغيير اسم "الجماعة الاسلامية المسلحة" الى "الجماعة السلفية الاسلامية المسلحة" اذا اصرت المجموعات المنضمة حديثا على اختيار اسم جديد.

فيما يخص الجماعة الاسلامية فقد اعتورتها ضربات النظام الذي اطلق عملية ضدها اسماها سيف الحجاج بالتعاون مع اعداءها مثل جيش الانقاذ و جماعة الاربعاء بن حجر(الرابطة) و كرطالي(كتيبة الرحمن) و غيرهم الى ان حصرت في مناطق صغيرة من الوسط قرب البليدة و بوفاريك موطن آل الزوابري و بعض مناطق الغرب، و عملت الفتاوى المنددة من مشايخ الخليج و لندن و ظهور رجحان كفة الحكومة على اثناء اي متطوعين جدد عن الالتحاق بالجماعة المسلحة و الحركات المسلحة بالجزائر عامة. على الجهة الاخرى اوقف جيش الانقاذ بقيادة مدني مزراق و كبير عملياته ضد الحكومة و تفرغ لقتال الجماعة بل انه في نهاية التسعينات انخرط في دعوة للعفو العام سميت لاحقا بحركة الوئام المدني قام جنوده من خلالها بالانخراط في عمليات الحكومة ضد الجماعات المسلحة كادلاء الى مخابئ الجماعة و كمقاتلين و اعضاء في لجان الدفاع الذاتي في نظير عفو حكومي و اعادة بعضهم لوظائفهم السابقة.

استمر انهيار الجماعة الاسلامية الى ان تمكنت القوات الحكومية من قتل ابو طلحة عنتر الزوابري عام ٢٠٠٢ في كمين ببلدته بوفاريك و عرض التلفاز الجزائري جثة لرجل حليق طريد كانت تهديداته قبلها بسنوات تهز الاجهزة الامنية في اوروبا و كانت سراياه تتنقل بطول شمال افريقيا من اطراف موريتانيا الى حدود ليبيا. اعقب ابو طلحة في قيادة الجماعة ابو تراب عبد الرشيد، و استمرت احوال الجماعة في تناقص الى ان اعلنت الحكومة قتل عبد الرشيد ايضا في ٢٠٠٤ و القضاء تماما على

التنظيم و فيما عدا خلايا من بضعة افراد يعتبر هذا العام سنة اختفاء اكبر تنظيم سلفي مسلح منذ عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد صراع مع الحكومة فاق عدد ضحاياه المئة الف من الطرفين.

استمرت حالة الخمول مسيطرة على الجماعة السلفية للدعوة و القتال التي اصبحت الوريث التنظيمي للجماعة الاسلامية المسلحة بعد انتقال اكثر خلايا الجماعة اليها. في تلك المرحلة حاول النظام الجزائري ازالة حالة الاحتقان عن طريق جلب وجه جديد للنظام تمثل في قيادي حرب التحرير السابق عبد العزيز بوتفليقة خلفا للجنرال ليمين زروال. كان بوتفليقة زعيما سياسيا شعبويا انخرط في العمل السياسي و العسكري ضد الفرنسيين منذ صباه و عمل الى جانب الرئيس الجزائري الشهير هواري المكنى ببومدين كوزير للخارجية و هو في الخامسة و العشرين من عمره. كان من اول اقتراحات الرئيس الجديد بعد انتخابه اعلان عفو عام عن المسلحين الذين يلقون سلاحهم في اطار تدابير سميت بتدابير الوئام المدني. حظيت تلك التدابير بقبول من الغرب و الهيئات الدولية و بعض المؤسسات الدينية الرسمية الخليجية و قد اصدر بن عثيمين شريطا صوتيا دعا فيه اتباع الجماعات الجزائرية المسلحة الى القاء سلاحهم و النزول من الجبال و ترك "سبيل الخوارج" و تسليم انفسهم للسلطات، و بالفعل سلم الاف المسلحين من كافة الجماعات انفسهم مما كان مثار انتقاد قيادة الجماعة التي اعقبت حطاب و اعتبروها خيانة من ابن عثيمين[1] و غيره من مشايخ الخليج الذين ثمنوا في فتاويهم

[1] لم تكن هذه اول فتوي لابن عثيمين في هذا الصدد فقد نشر عن لسان اهالي بعض ضباط مكافحة الارهاب الذين قتلوا اثناء مطاردتهم و تصفيتهم لجماعة التوحيد و الجهاد المصرية بسيناء ان اولئك الضباط حصلوا -فضلا عن الفتاوى المعتادة من

"مبادرة الوئام الوطني" و دعوا المقاتلين للاستسلام للنظام الشيوعي "لدرأ الفتنة و المفاسد" و يقال ان الحكومة نثرت منشورات تحمل فتوى ابن العثيمين فوق مواقع الجماعات بالجبال.

من ناحية اخرى ادت اخفاقات الجماعة السلفية و انهيارها الى قيام قيادتها بعزل حطاب و اختيار ابو ابراهيم مصطفى نبيل صحراوي بدلا منه في ٢٠٠٤ ،و نشرت الجماعة ان حطاب استقال و انه كان لفترة بعيدا عن شؤون الجماعة مما استلزم اختيار بديل يسير شؤونها . كان ابو ابراهيم مصطفى احد مؤسسي الخلايا المسلحة في باتنة و جبل الاوراس ثم انضم لجبهة الانقاذ اثناء العملية الانتخابية و منها للجماعة المسلحة حيث امر على منطقته الخامسة، ثم انشق بجماعته بعد مقتل زيتوني و تولي ابو طلحة الزوابري و انضم الى الجماعة السلفية تحت قيادة حسن حطاب. شهدت فترة امارته عمليات بسيطة و خطف لبضعة سائحين غربيين من الصحراء نظير فدية مالية كما شهدت تمددا لعمليات الجماعة جنوبا نحو الصحراء و دول جنوب الصحراء و الساحل الافريقية في مقابل تقلص وجود و فعالية الجماعة في الشمال الجزائري الآهل بالسكان.

لم تدم امارة ابو ابراهيم مصطفى بضعة اشهر ما بين اختياره و مقتله في كمين للقوات الحكومية ثم اختير ابو مصعب عبد الودود اميرا للجماعة. كان ابو مصعب احد اعضاء حركة الدولة الاسلامية بقيادة سعيد مخلوفي قبل ان تنضم الى الجماعة المسلحة و عمل مدربا لتصنيع المتفجرات و استعمالها

---

الازهر- اثناء وجودهم بمكة للحج لسنوات خلت على فتاوى من بعض اعضاء هيئة كبار العلماء السعوديين الحكومية منهم ابن عثيمين بقتال افراد الجماعات الخارجة على النظام المصري بصفتهم خوارج.

ثم مسؤلا عن التصنيع العسكري في كتيبة الاهوال بالمنطقة الثانية كما كان احد مهندسو الخروج على قيادة الجماعة المسلحة. اثناء اختيار ابو مصعب عبد الودود ظهر حسن حطاب من مخبئه و حاول ان يستعيد سلطاته في الجماعة و صرح بانه لم يستقيل و ان طوائف من "تكفيريو" الجماعة المسلحة تسللت الى الجماعة السلفية ثم قامت بالاستيلاء على القيادة و اقصت العناصر "المعتدلة" مثله. ردت عليه الجماعة بانها عزلته لقيامه بالتحصن في مكان غير معلوم بعيدا عن القيادة مما جعل من الصعب عليه مزاولة مهامه. كما افاد البيان انه نما الى علم القيادة ان حسان حطاب يراسل قيادات في الجماعة من مخبئه و يدعوهم للتسليم الى السلطات و قبول عرض العفو العام و تعتبر الجماعة تلك الخطوات خيانة للاسلام و التنظيم و تعتبر حسان حطاب عدوا خائنا . كانت انباء انخراط حسان حطاب في عملية الوئام المدني امرا معروفا ادلى حطاب بشأنه بتصريحات صحفية.

انتعش حال الجماعة نسبيا في فترة ما بعد حطاب، و ان كانت قد اصبحت شبحا لما كانت عليه ايام الجماعة المسلحة الام عندما كانت قواتها تعد بعشرات الالاف و انخفض الرقم الى بضع مئات على اشهر تقدير. لم تقم الجماعة الا بعمليات بسيطة ضد الجيش و الشرطة و اختطاف السياح الغربيين لقاء فدية. اثناء تلك العمليات قامت خلايا الجماعة العاملة في الصحراء بمناورات حملتهم عبر مالي و النيجر و تشاد حيث قبض على مجموعة منهم و بضمنها بعض القياديين و سلموا بوساطة ليبية الى الجزائر. فضلا عن ذلك قامت احد خلايا الجماعة بتفجير سيارة مصطفى كرطالي مما ادى

لاصابته باصابات خطيرة و بتر رجله. كان كرطالي في سنوات الوئام المدني قد استسلم و تعاون مع النظام و صار بمثابة عمدة الظل لمنطقة الاربعاء و عرض على الحكومة تسليح جماعته لقتال بقايا الجماعة الاسلامية المسلحة. اعلنت الجماعة ان التفجير كان عملا فرديا من احد افرادها و لا يعكس سياستها العامة في استهداف من استسلموا.

كان التغير الأكبر في ٢٠٠٦ ناتجا عن اشادة قيادة الجماعة الجديدة بتفجيرات سبتمبر ٢٠٠١ و اعلان انضمامها للقاعدة و تغيير اسمها الى"قاعدة الجهاد في المغرب العربي." يقال ان المتحدث في احد الشرائط المصورة التي اعلنت هذا الحدث باسم الجماعة كان الشاب عبد القهار بلحاج. كانت الجماعة السلفية قد لزمت الصمت بخصوص هجمات سبتمبر اثناء امارة حسان حطاب ثم تحول الحال بداية من امارة ابو ابراهيم مصطفي و ابو مصعب عبد الودود الى الاشادة بالهجمات و المناداة بالوحدة بين الاسلاميين في التصدي للعدو الاميركي. قامت الجماعة بهجمة على ثكنة موريتانية لتثبت ان التدابير التي اتخذتها القوات الاميركية من اقامة مراكز رصد على اطراف الصحراء و لم شمل دول شمال افريقيا و الساحل في تحالف اقليمي "لمكافحة الارهاب" لم تجدي. بالاضافة الى ذلك تبنت الجماعة بعد انضمامها للقاعدة اسلوب العمليات الانتحارية و بدأت تفجر اعضاء الجماعة ضد بعض مراكز الشرطة.

# البوسنه

تقع البوسنة في جنوب شرق اوروبا شمالي اليونان و جنوبي النمسا و المجر و شرق ايطاليا . تحيط بالبوسنة جمهوريات نصرانية صغيرة من مخلفات دولة يوغوسلافيا السابقة اهمها الصرب و الكروات. يبلغ سكانها حوالي اربعة ملايين اغلبهم من المسلمين مع ثلث من الصرب الاورثوذوكس و العشر من الكروات الكاثوليك. ارضها صخرية جبلية في معظمها ، تتوافر بها المياه حيث تخترقها انهار السافا و البوسنه و النيريتفا . تتكون جمهورية البوسنة من اقليمين هما البوسنة شمالاً و الهرسك في الجنوب. اكبر مدنها سرايفو و يليها بانيا لوكا التي استولى عليها الصرب و صارت عاصمة لجمهورية صرب البوسنة و ثالث المدن موستار الجنوبية المقسمة بين المسلمين و الكروات.

جعل موقع البوسنة و طبيعتها الجبلية منها تاريخيا نقطة حدودية بين الامبراطوريات و الاديان. كانت البوسنة فيما مضى هي الحد الفاصل بين الامبراطورية البيزنطية الشرقية و الامبراطورية الرومانية الغربية ثم صارت بعد ذلك على الحد الفاصل بين الامبراطورية النمساوية- المجرية و الدولة العثمانية و في العصور الحديثة كانت البوسنة ضمن يوغوسلافيا على الحدود بين المعسكر الشيوعي و المعسكر الغربي.

دينيا دخلت النصرانية البوسنة و لكنها لم تترسخ كثيرا برغم وقوع اراضيها على بعد خمسين كيلومترا من ايطاليا مقر البابوية. ظل دين الفلاها الوثني غالبا لفترة طويلة بعد ترسخ النصرانية في الدول المحيطة. قادت الامبراطوريات الرومانية الحاكمة حملات لنشر النصرانية و قمع الوثنية فلم يجدي الامر كثيرا و اعتنق كثير من البوسنيين بدلا من ذلك عقيدة اعتبرها النصاري الشرقيين و الغربيين عقيدة كفرية اسمها البوجوميلية و سعوا لتدميرها لمئات السنوات و لكن لم يمكن ذلك حتى الفتح العثماني و دخول الاسلام. كانت البوسنة في تلك القرون على الخط الفاصل بين اتباع الكنيسة الشرقية الارثوذوكسية و اتباع الكنيسة الكاثوليكية و بعد دخول الاسلام صارت على الحدود الفاصلة بين الاسلام و النصرانية.

دخل الاسلام البلاد مع الجيوش العثمانية التي بدأت حملاتها على البلاد في القرن الرابع عشر. لا يستبعد وجود تمثيل اسلامي فردي في البوسنة في القرون السابقة على الفتح العثماني و لكنه لم يترك اثرا يذكر. اكمل محمد الفاتح اخضاع البوسنة. انشأ العثمانيون سراي بوسنه او سرايفو التي ظلت مقر الحكم لمائتي سنة ثم انتقل منها لترافنيك. تحول نبلاء البوسنة اولا الى الاسلام ثم تلاهم الشعب بسرعة. انخرط البوسنيون باعداد كبيرة في الجيوش العثمانية و نبغ منهم قادة و ولاة و اكثر من صدر اعظم[١] للدولة العثمانية. ورثت البوسنة عن فاتحيها العثمانيين انحرافهم العقائدي و خوائهم العلمي.

---

[١] صدر اعظم: رئيس الوزراء العثماني و ثاني رجال الدولة بعد السلطان، او اولهم فعليا في حال ضعف السلطان.

على الصعيد العسكري شكلت كتائب البوسنة في الغرب مع فرسان تتار القرم في الشمال لقرون عديدة فكي كماشة اسلامية تطبق على اوروبا .

بعد سقوط خانية تتار القرم استطاعت امارة روسيا الناشئة التمدد في البلقان و امداد الصرب السلافيين بما يحتاجونه للخروج على العثمانيين و هزيمتهم. في ١٨٣٠ تضافرت التغيرات الادارية التي اقرها السلطان اللاديني محمود الثاني مع تنازله للصرب اعداء الاسلام التقليديين عن عدة مقاطعات بوسنية في اثارة حالة من الاستياء لدى بكوات البوسنة فاندلعت ثورة قادها اهم ولاة البوسنة كابيتان حسين جراداتشوفيتش و طالبوا بنقض المعاهدة مع الصرب و الغاء التنظيمات الجديدة و منح البوسنة حكما ذاتيا . استطاع كابيتان حسين هزيمة الجيش العثماني بقيادة الصدر الاعظم بداية ثم انهزم و فر الى النمسا . لم تقم انتفاضة كابيتان حسين على اساس عقائدي و ضم جيشه كثير من النصارى. بعد مدة عاد كابيتان حسين و طلب العفو من السلطان الذي عفا عنه بشرط عدم العودة للبوسنة و الاستقرار في اي ولاية عثمانية اخرى فوافق كابيتان حسين ثم لاحقا في منفاه. في الاربعين سنة التالية ادى تبني السلطنة العثمانية لتنظيمات على النمط الغربي و فرض ضرائب جديدة و التجنيد الاجباري الى ثورات قام بها الفلاحين الصرب و اخرى قام بها كبار ملاك الاراضي المسلمين و اخرى اشترك فيها الجميع ضد الدولة العثمانية في السنوات المؤدية للغزو النمساوي.

ظلت الاوضاع تتردى الى ان غزا النمساويون البوسنة في عام ١٨٧٨ على عهد السلطان عبد الحميد الثاني. حمل الكثير من اهل البوسنة السلاح في وجه الجيش النمساوي و لكنه سيطر على البلاد بعد عدة اسابيع، اعقب ذلك انتفاضات اصغر و في النهاية تاقلم البوسنيون مع الاحتلال النمساوي بل و انضم بعضهم الى الجيش النمساوي. نظرا لتشوش المسلمين العقائدي فقد انضموا في اوقات عديدة الى جميع الاطراف المتنازعة في البوسنة ، ففي ١٩١٤ قامت خلية قومية صربية تنتمي الى جماعة الكف الاسود باغتيال ولي عهد النمسا و زوجته اثناء مرور موكبه الملكي في سراييفو. كانت الخلية تسمى البوسنة الفتاة و تدعو الى خروج النمسا حتى تلتحق البوسنة بدولة الصرب المستقلة. تكونت الخلية من ستة افراد خمسة منهم من الصرب و مسلم واحد . ادى الحادث الى اعلان النمسا الحرب ضد الصرب المتحالفين مع روسيا فيما انضمت الدولة العثمانية الى التحالف النمسوي المجري الالماني على الجانب المقابل. في الحرب العالمية الاولى استولى الصرب على البوسنة و حاولوا تنصير المسلمين ثم ارتكبوا مذابح ادت الى هجرة جزء كبير من السكان الى تركيا و الولايات المسلمة الاخرى في البلقان. حكم الصرب البلاد تحت اسم مملكة السلاف الجنوبيين "يوغوسلافيا" . بضمن تسويات نهاية الحرب العالمية الاولى قرر الرئيس الاميركي ويلسون ان من حق جمهورية الصرب الحصول على منفذ للبحر و هو ما يعني تسليمها سنجق نوفي بازار ذو الاغلبية المسلمة الذي مثل الرابط الاخير بين البوسنة و بين ديار الاسلام بالبانيا و قوصوة فصارت البوسنة جزيرة معزولة وسط النصارى.

تكـررت المـذابح و التـهجير في الحـرب العالميـة الثانيـة حيـث جـرى صـراع بـين الشـيوعيين الصـرب مـن جانـب و الالمـان و النـازيين الكـروات علـى الجانـب الآخـر . كـان المسـلمين احـد اكـبر ضـحايا هـذا الصـراع حيـث ادت الفظـائع الـتي ارتكبـها الصـرب في حقهـم الى هجـرة اكثـر مـن ربـع الشـعب البوسـني . في العـام ١٩٤٣ قـام الحـاج امـين الحسـيني مفـتي فلسـطين احـد اشـهر علمـاء المسـلمين وقتـها بلقـاء الـرئيس الالمـاني هتلـر و اتفـق معـه علـى تجيـيش المسـلمين للقتـال الى جانـب المانيـا في الحـرب العالميـة الثانيـة .كـان فـتح جبهـة جنوبيـة في خاصـرة الحلفـاء و قطـع الطريـق الى مسـتعمرات بريطانيـا بالهنـد سيحسـن مـن فـرص المانيـا في الفـوز بـالحرب. كانـت المانيـا منهكـة و بحاجـة لكميـات ضـخمة مـن الـبترول المتـوافر بالاراضـي الاسـلامية الممتـدة مـن القوقـاز للخلـيج و يـؤدي الاسـتيلاء علـى منابعـه و حرمـان بريطانيـا منـه لاعطـاء المانيـا مهلـة ريثمـا تسـتطيع تطـوير صـواريخها لضـرب عـدوها الأكـبر اميركـا . بعـد ان اصـدر المفـتي فتـوى بوجـوب الجهـاد علـى جميـع المسـلمين ضـد بريطانيـا المحتلـة و اعوانهـا اليهـود في فلسـطين و العـالم قـام بـالتجوال برفقـة قيـادات قـوات العاصـفة الالمانيـة لتجنيـد المسـلمين للعمـل في فـرق الجـيش الالمـاني و تـدريب ائمـة يعملـون كمفتـيين لتلـك الفـرق. نجحـت الفكـرة و ذهـب امـين الحسـيني للبوسـنة ليبـارك تكـوين فـرقتي العاصـفة ٢٣ و ١٣ تحـت اسـم فرقـة كامـا و فرقـة خنجـر المشـكلتين مـن جنـود مسـلمين و كـروات كاثوليـك بقيـادة ضـباط المـان يعـاونهم كـروات. بـارك المفـتي تكـوين فرقـة العاصـفة ٢١ المسـماة اسـكندر بـك و المشـكلة مـن مسـلمي كوسـوفو بالاضـافة لوحـدات اخـرى اصـغر في امـاكن اخـرى. اشـتركت الوحـدات البوسـنية

لاحقا في القتال الى جانب الجيش الالماني في معركة ستالينجراد الروسية الطاحنة التي ابيدت فيها القوات الالمانية تقريبا .[١]

كان يسمح للجنود البوسنيين في الوحدات النازية بالصلاة و لا يصرف لهم لحم خنزير و الاهم من ذلك لنفسية الجنود البوسنيين كان اقرار الطربوش الذي اعتبره اتاتورك رمزا للاصولية و منع ارتدائه في تركيا قبلها بعقدين كغطاء راس لجنود تلك الوحدة، كما استخدم ضباط مسلمين سابقين في الجيش النمساوي كقادة للفرقة تحت امرة الملازم الالماني. كان وجود الطربوش و الضباط المسلمين و مباركة مفتي القدس اشارة للبوسنيين بان الجهاد ماضي تحت قيادة هتلر. و برغم انضمام كثير من المسلمين الى قوات البارتيزان الشيوعية الصربية على الجانب الآخر بقيادة تيتو (صديق جمال عبد الناصر المقرب في الستينات) الا انه لم يرحمهم و قتل منهم عشرات الالاف على الطريقة الصربية الشهيرة في التنكيل و التمثيل بالجثث و الاحياء. بالاضافة الى ذلك اسس بعض المسلمين ماسمي "بالفيالق" و "اللجان الخضراء" للدفاع الذاتي، كما كانت هناك حركة الشباب المسلمين التي انبثقت عنها منظمة عسكرية تسمى "صبليا" (السيف) .كان عليا عزت بيغوفيتش احد اعضاء تلك الحركة التي تاثرت في نشاتها بحركة الاخوان المسلمين المصرية و كان من اعضاءها الاوائل شيوخ بوسنيين ازهريين .

---

[١] شارك نوري باشا كيليقيل اخو انور باشا آخر قادة الدولة العثمانية في تاسيس فرقة مسلمة اخرى تقاتل مع المانيا ضد بريطانيا و اميركا و الحلفاء سميت فرقة تركستان الشرقية نسبة الى المناطق التي كان يعمل على التوغل فيها بفيلقه المعروف بجيش الاسلام و التشكيلات المخصوصة في آخر ايام الدولة العثمانية. ضمت تلك الفرق تتارا من القرم و تركستانيين و قادها في بعض مراحلها ضباط المان انتسبوا للاسلام مثل هارون الرشيد(فيلهلم) هنترساتز بك مساعد انور باشا السابق في الحرب العالمية الاولى.

يروى ان بعض قرى المسلمين ظلت تقاوم الزحف الشيوعي الى منتصف عام ١٩٤٥ بعد سقوط برلين. بعد انسحاب الالمان استولى الشيوعيون على حكم البلاد و فرضوا حكما قهريا على المسلمين و صادروا كثيرا من اوقافهم و مساجدهم و سجن و قتل كثيرا من الناشطين الاسلاميين السابقين بمن في ذلك بعض اعضاء خلايا جمعية الشبان المسلمين و العضو الشاب عليا عزت بيغوفيتش. غرق المسلمين في سبات عقائدي عميق[١] و تم عزلهم عن العالم الاسلامي و جرمت كثير من الشعائر الاسلامية بما فيها ختان الاطفال الذكور. لم تفق البوسنة من هذا السبات الا بعد زوال الشيوعية بعد اكثر من اربعين سنة. اصبحت جمهورية البوسنة و احدة من ست جمهوريات تؤلف يوغوسلافيا الاتحادية الى جانب صربيا و كرواتيا و سلوفينيا و مقدونيا و الجبل الاسود. بلغ تعداد المسلمين ثلث سكان الاتحاد موزعين في ولايات تم تقطيعها اداريا بعد جلاء العثمانيين. كان التجمع الأكبر لمسلمي يوغوسلافيا في البوسنة يليه تجمع اصغر في قوصوة (كوسوفا) بجمهورية الصرب و التي اقتطعت من البانيا في اعقاب الحرب العالمية الاولى يتصل بتجمع مسلم اخر في جمورية مقدونيا، يفصل هذه التجمعات عن البوسنة اقليم السنجق المسلم الذي قتل الصرب و هجر كثير من سكانه بين الحربين العالميتين ثم اقتسموه مع جمهورية الجبل الاسود.

---

[١] لم تعرف اي احتجاجات جدية على الحكم الشيوعي في البوسنة طيلة الاربعين سنة الاولى من وجوده الا ما كان من مظاهرات مدينة تسازين الصغيرة شمال البوسنة سنة ١٩٥٠ احتجاجا على تاميم الاراضي الزراعية و فرض سياسة المزارع الجماعية الشيوعية.

مـع تحلـل الكتلـة الشـيوعية في التسـعينات سـعت الجمهوريـات المكونـة ليوغوسـلافيا الى الاسـتقلال. كانـت سـلوفينيا اكثـر جمهوريـات يوغوسـلافيا تطـورا و الـتي جعلـت حـدودها المشـتركة مـع النمسـا و ايطاليـا اهلـها اكثـر مـيلا للغـرب اسـبقهم لطلـب الاسـتقلال في ١٩٩٠. اعـترف الغـرب باسـتقلال سـلوفينيا فـور ان قـرر برلمانهـا المحلـي الاسـتقلال. حـدثت اشـتباكات بسـيطة لم تـدم لسـويعات بـين المتظـاهرين السـلوفينيين و حاميـة الجـيش الشـعبي اليوغوسـلافي بالعاصـمة ليوبليانـا ثـم انسـحب الجـيش اليوغوسـلافي بقـرار سياسـي بـرغم عـدم وجـود قـوة عسـكرية سـلوفينية ذات قيمـة مقابلـه. عاطفيـا لم يكـن الصـرب شـديدي الارتبـاط بسلوفينيا كما ان حلف الاطلنطي لم يكن ليسكت عن حرب تدار على الحدود الأيطالية النمساوية.

اقتفـت كرواتيـا الكاثوليكيـة -وثيقـة الصـلة بالبابويـة- اثـر جارتهـا الشـمالية سـلوفينيا في محاولـة الـتخلص مـن سـيطرة صـربيا الارثوذوكسـية و إرث الخـراب الشـيوعي. لم يكـن الأمـر ببسـاطة الحالـة السـلوفينية فقـد كـان فقـدان جمهوريـة كرواتيـا الفيدراليـة يحـول يوغوسـلافيا مـن دولـة اوروبيـة متوسـطة الى امـارة داخليـة صـغيرة بـلا مـوانئ تقريبـا. كمـا كانـت هنـاك اقليـات صـربية كـبيرة في سـلافونيا (تختلـف عـن سـلوفينيا) شـرق كرواتيـا و كرايينـا بالوسـط . فـور اعـلان كرواتيـا اسـتقلالها اعترفـت اوروبـا بـه. قـام الجـيش الشـعبي اليوغوسـلافي باقتحـام سـلافونيا كمـا قـام بتسـليم عتـاده للقـوميين الصـرب في جيـب كرايينـا الصـربي داخـل كرواتيـا و غـير جنـوده شـاراتهم الى شـارات الميليشـيات الصـربية المحليـة. ادى هـذا الى تفتيـت كرواتيـا الى ثـلاث اجـزاء و تـوالى القصـف علـى المـدن الكرواتيـة الكـبرى. و علـى الـرغم مـن

احتـــدام القتـــال وجـــد الـــرئيس الكرواتـــي و الـــرئيس الصـــربي الوقـــت لكـــي يعقـــدا اتفاقيـــة في كـــاراجيورجيفو ١٩٩١ للاتفاق على تقسيم البوسنة بين الطرفين قبل اعلان بيغوفيتش استقلالها بسنة كاملة.

في آخـــر ايـــام الشـــيوعية بالثمانينيـــات زاد نشـــاط عليـــا عـــزت بيغـــوفيتش و اراد بقايـــا النظـــام القـــديم و بـــذور النظـــام الجديـــد اثبـــات ســـيطرتهم علـــى الوضـــع فحـــاكموه و ســـجن لســـنوات في الثمانينـــات مـــع آخـــرين بتهمـــة تـــأليف كتـــاب الميثـــاق الاســـلامي و تاســـيس منظمـــة سياســـية تـــدعو للاســـلام. بعـــد خروجـــه اســـس المحـــامي بيغـــوفيتش مـــع بعـــض الشخصـــيات البوســـنية التاريخيـــة و الشـــيوعية الســـابقة حـــزب العمـــل الـــديمقراطي بجمهوريـــة البوســـنة الفدراليـــة و ترشـــح في الانتخابـــات المحليـــة لرئاســـتها مـــع دعوتـــه في نفـــس الوقـــت لوحـــدة يوغوســـلافيا . كانـــت حكومـــة البوســـنة تحـــت رئاســـته تشـــمل رئـــيس وزراء كرواتـــي(يـــوري بليفـــان)و رئـــيس برلمـــان صـــربي(موميلـــو كرايشـــنك) في اطـــار جمهوريـــة لادينيـــة تعتمـــد نظـــام المحاصصـــة الدينيـــة علـــى الطريقـــة اللبنانيـــة حيـــث تحظـــى كـــل ديانـــة بعـــدد مـــن مناصـــب الحكـــم. تالفـــت الحكومـــة مـــن اثـــنين و عشـــرين وزارة، عشـــرة منـــهم للمســـلمين و ســـبعة للصـــرب و خمســـة للكـــروات. بـــالنظر الى المســـتجدات علـــى الســـاحة الكرواتيـــة قـــرر بيغـــوفيتش الـــدعوة الى اســـتفتاء لاســـتقلال البوســـنة بعـــد اســـتئذان اميركـــا . اعـــترض ممثلـــو الصرب في البرلمان البوسني و هددوا بالانسحاب من الحكومة.

وقعت حادثة ذات دلالة في الفترة التي سبقت اعلان الاستقلال. اشيع ان عددا من الشاحنات المحملة بنفايات نووية شوهدت تعبر من الاراضي الكرواتية في سبيلها للدفن في البوسنة. بدأ الاعلام يسلط الضوء على الاشاعة و تزايد انزعاج قطاع من سكان سراييفو. اعلنت سلطات الشرطة و الجيش اليوغوسلافي اتخاذ الاجراءات اللازمة لضمان عدم تسرب تلك الشاحنات للمدينة. تم وضع حواجز طرق في انحاء العاصمة البوسنية و تم اغلاق جميع الممرات الجبلية المؤدية اليها مع تمركز وحدات من الجيش في المنافذ الحيوية. بعد ايام اعلن ان الامر مجرد اشاعة كاذبة لا اصل لها .

في مارس ١٩٩٢ اجري استفتاء على الاستقلال وصوت البوسنيين لصالحه. اعترف الغرب باستقلال البوسنة سريعا كما اعترف باستقلال كرواتيا و سلوفينيا . هجمت قوات ميليشيا "اركان"[١] الصربية على مدينة بيالينا الصغيرة في الركن الشمالي الشرقي من البوسنة عند ملتقى الحدود الصربية/البوسنية/الكرواتية، ظلت القوة المسلمة الصغيرة تقاوم عدوا متفوقا في التسليح لمدة ثلاث ايام ثم سقطت المدينة. لم تتدخل قوات الشرطة المكونة من عناصر صربية و مسلمة في القتال. كان كثير من الاهالي المسلمين قد فروا من المدينة. قامت ميليشيا النمور الصربية بحرق بعض المنازل و اعدام بعض المسلمين ثم اعلنت ان من حق المسلمين "غير الارهابيين" العودة لديارهم. عاد اغلب سكان بيالينا للمدينة التي اصبحت تحت السيطرة الصربية، و امعانا في التماهي مع "الاشقاء" الصرب غير

[١] اركان: مجرم صربي اسس ميليشا حزبية عرفت بالنمور البيضاء قامت بمذابح و فظائع كثيرة ضد السكان المسلمين. اغتيل بعد الحرب على يد خصومه في العاصمة الصربية بلغراد.

بعض المسلمين اسماءهم الى اسماء صربية و تنصر آخرون طواعية كما قامت الميليشيات الصربية بتعميد آخرين بالقوة. لم يفد هذا اهالي بيالينا حيث طردهم الصرب جميعا في ١٩٩٣ و ما بعدها .في نفس الوقت بدأت تحدث اشتباكات مسلحة في سرايفو بين المسلمين و الصرب. اشتدت اعتداءات عصابات الشوارع الصربية على المسلمين.في الايام التالية استطاع بعض المسلمين تكوين خلايا مسلحة تسليحا بدائيا لمقاومة اعتداءات جيرانهم الصرب.

في حادثة اخرى ذهب رئيس الدولة الجديدة عليا عزت في رحلة دبلوماسية للاتفاق على تقسيم البوسنة. اثناء عودته من البرتغال عبر مطار سرايفو الذي تديره قوات الجيش الشعبي اليوغوسلافي (الصربي) قام القائمون على المطار باختطافه هو و ابنته و مسؤول من حزبه ذو صلات بالادارة الاميركية اسمه زلاتكو لاغومجيا سيصير لاحقا ثاني رؤساء البوسنة بعد انتهاء الحرب. كانت الحادثة ذات دلالة لأن عددا من قادة البوسنة و قادة المجاهدين قتلوا في حوادث مشابهة على مدار الحرب اثناء مرورهم مطمئنين عبر نقاط التفتيش النصرانية المسلحة اعتمادا منهم على حسن نوايا الصرب و الكروات. قام البوسنيون بحصار ثكنة قيادة الجيش اليوغوسلافي الرئيسة في سرايفو و داخلها مئات الجنود و قائد الجيش اليوغوسلافي في البوسنة. اتصل بيغوفيتش من محبسه طالبا اخلاء سبيل القيادة و الحامية الصربية مقابل اطلاق سراحه. رفض ايوب غانيتش نائب الرئيس البوسني و بعض القادة العسكريين و لكن بيغوفيتش اصر و ركب شخصيا تحت الحراسة الصربية الى الثكنة الصربية لكي

يضمن رحيل جنودها مقابل اطلاق سراحه[١] . خرجت الحامية الصربية من ثكناتها لتنتشر في انحاء المدينة و حولها و على الممرات الجبلية كما فعلت اثناء تمثيلية شاحنات النفايات قبلها باسابيع كما قامت بتوزيع السلاح على عصابات القوميين الصرب في المدينة محكمة بذلك حصار سرايبفو الشهير.

في نفس التوقيت بدلت قوات الجيش الشعبي على امتداد اراضي البوسنة شاراتها الى شارات ميليشيات قوميو صرب البوسنة و قامت بتسليح تلك الميليشيات من مخازن الجيش و تدمير محطات الاتصال و اي بنية تحتية عسكرية في المناطق التي انسحبوا منها . تلى ذلك قيام تلك الوحدات باكتساح المدن و القرى المسلمة .بينما كان بيغوفيتش يتلقى الوعود بشحنات سلاح تاتيه من الدول الاسلامية عبر الادرياتيكي اذا بعصابات اقلية كروات البوسنة الصغيرة تتجمع بقيادة الكرواتي ماتي بوبان و تستولي على الهرسك الشمالي و منافذ البوسنة الى البحر. كان ماتي متهما بجرائم تفجير و العمل مع المخابرات الغربية في العهد الشيوعي و فر الى استراليا . فور ظهور بوادر تفكك يوغوسلافيا انتقل الى كرواتيا حيث دعمه صديقه جنرال الجيش الشعبي الكرواتي الاصل فرانيو توجمان اول رؤساء كرواتيا المستقلة. اعلن بوبان قيام جمهورية هرسغ بوسنة و قرن قوله بطرد المسلمين من وسط الهرسك و المناطق المتاخمة لكرواتيا . بالاضافة لاتفاقية كاراجيورجيفو لاقتسام البوسنة بين ميلوسوفيتش الصربي و توجمان الكرواتي في مارس ١٩٩١ احتضنت النمسا الصليبية عقب اعلان

---

[١] ضمت الصفقة ايضا مبادلة قائد منطقة توزلا البوسنية الذي اسر قبلها بايام اثناء دخوله مكتب احد الضباط الصرب. و قد سلم بيغوفيتش قيادة المنطقة الثانية المتاخمة لكرواتيا بعد اسر القائد المذكور الى كولونيل كرواتي فر الى كرواتيا في ١٩٩٣ بعد ان حامت شكوك حول صلته برئيس كرواتيا و سعيه لتسليم شمال شرق البوسنة الى كرواتيا.

البوسنة استقلالها بأيام في ابريل ١٩٩٢ لقاءاً بين ماتي بوبان قائد ميليشيا كروات البوسنة و رادوفان كاراجيتش قائد صرب البوسنة في مدينة غراز التزم فيه الكروات و الصرب بعدم التقاتل في البوسنة و تركيز جهودهم على قتل المسلمين. لم يكن الكروات مخلصين تماما اذ سمحوا كلما مال الميزان العسكري ضدهم بمرور اعداد ضئيلة من المتطوعين و العتاد للمسلمين ليعطلوا تقدم الصرب. تم ذلك بموافقة المانيا و اميركا اللتان كانتا اكبر مصادر المساعدات لكرواتيا المائلة للغرب ضد صربيا الروسية الهوى.

كان المسلمون اغلبية في البوسنة و لكن بلا سلاح او دعم خارجي مقارنة بالصرب او الكروات. برغم ذلك تمكن بعض المسلمين من تكوين خلايا دفاعية. كان من اول تلك الخلايا ما عرف بالرابطة الوطنية التي اسسها المقدم سفر خليلوفيتش الضابط السابق في الجيش الصربي الذي استقال قبل الحرب بسنة. كما انضم اليه كثيرا من الضباط الشيوعيين السابقين و اسسوا خلايا سرية مسلحة بالتعاون مع حزب العمل الديمقراطي لاعداد المسلمين للدفاع عن انفسهم . تعتبر الرابطة الوطنية بذلك الجهاز السري المسلح لحزب العمل الديمقراطي في مرحلة ما قبل الحرب. كانت قيادات الرابطة الوطنية واعية للخطر المحيط بالبوسنة و قد قرر قيادات المناطق العسكرية التابعة للرابطة في اجتماع سري لهم بقرية[١] جبلية نائية بوسط البوسنة قبل الغزو الصربي بشهرين ان البوسنة ستكون عرضة لهجوم

[١] عقد الاجتماع في فبراير ١٩٩٢ بقرية مهوريتش التي صارت فيما بعد مركزا لكتيبة المتطوعين الاسلامية.

صربي لا محالة اذا ما اعلنت استقلالها و على ذلك ينبغي اعداد الشعب البوسني للتصدي للهجوم. قام الجيش الكرواتي بتدريب قوات الرابطة الوطنية التي اصبحت نواة للجيش الحكومي الجديد و الجنرال سفر قائده. عندما استطاع المسلمين في بعض المناطق في بداية الحرب حصار وحدات الجيش اليوغوسلافي لاجبارهم على تسليم سلاح الحرس الوطني او الدفاع المدني الخفيف وافق مسؤولو الجيش على تسليم بعض الاسلحة الفردية لوحدات "حفظ امن متعددة الطوائف" من الرابطة الوطنية.

كانت هناك خلايا اصغر ذات تواجد محلي محدود مثل خلية يوسف يوكا في سرايفو القديمة. تمكن يوكا و رجاله من الحصول على سلاح و التصدي للعصابات الصربية و منعهم من التعدي على سرايفو القديمة و باقي احياء المسلمين. لم يكن للمسلمين جيش في تلك الايام و كان الصرب يكتسحون البلاد بسرعة فائقة بمعدل مدينة اسبوعيا تقريبا. تمكنت مجموعة الشيخ"المدرس"[١] في بودراساش من ضواحي كونيتس من المحافظة على ممر خلفي الى مواقع يوكا على جبل ايغمان المطل على سرايفو. كما صمدت مجموعات في وسط البوسنة و منها مجموعة محمود كاراليتش بمدينة زينتسا و مجموعة زهديا طرزيتش و احمد عديلوفيتش بترافنيك التي كونت فيما بينها "الجيش المسلم" او القوات المسلمة الى ان امر بيغوفيتش بضمها للفيلق الثالث تحت اسم اللواء السابع الجبلي. كان بعض قادة

---

[١] صار "المدرس" بعد نهاية الحرب اماما لمسجد الملك فهد الكبير التابع للحكومة السعودية في سرايفو.

الكتيبة و شيخهم مفتي ترافنيك نصرت عبدي بيغوفيتش من خريجي الجامعة الاسلامية بالمدينة[١] مما جعلهم من اول الفئات التي تلقت تبرعات سعودية حكومية و غيرها بتزكية من الشيخ الكبير. رغم الخلفية النيوسلفية لبعض تلك القيادات الا انها لم تؤثر في طريقة قيادتهم لوحداتهم ففي اللواء السابع المسلم على سبيل المثال كان مسؤول التوعية الدينية و الشؤون المعنوية في الكتيبة الاولى جمال ابرانوفيتش صوفيا نقشبنديا و له رسائل دراسات عليا حول اصول الطريقة. كما وجدت مجموعات باقصى الشمال الشرقي بالاضافة لمجموعة فكرت عبديتش ببيهاتش بالشمال الغربي.

في الجنوب و الشرق قام الصرب بتجميع السكان و ذبح بعضهم و طرد الاخرين. في الهجمات الاولى فاق قتلى المسلمين سبعين الف من اصل حوالي مليوني مسلم. كانت اكثر المدن تضررا مدن الشرق المجاور لصربيا و مدن الشمال الاوسط حيث ارتكبت مذابح ضخمة و مثل بالقتلى. ساهم الانحلال العقائدي للمسلمين و دعوات عليا بيغوفيتش للصداقة و المحبة بين طوائف البوسنة في اضعاف استعدادهم العسكري و المعنوي. كان يكفي ظهور بضعة افراد من الصرب مسلحين تسليحا فرديا للسيطرة على قرية مسلمة و اقتياد رجالها للاعدام و نسائها للاغتصاب. كان مرأى الصرب على ضعفهم كقوة عسكرية و جنود من الدرجة الثانية يصيب البوسنيين بالهلع و يدعوهم للفرار. كانت القوات الصربية تنتقي الاهداف السهلة و تلتف حول اي مقاومة. فوق ذلك كله كان انحلال مسلمو البوسنة عامل ضعف خطير. كان كثيرا من البوسنيين يعتزون بانحلالهم و اختلاطهم مع اعدائهم

---

[١] جامعة حكومية بالسعودية تقوم على نشر عقيدة اهل السنة و الجماعة مخلوطة بالدعاية للحكومة السعودية و تقوم المخابرات السعودية عن طريقها بتجنيد بعض الطلبة الاجانب للعمل لصالحها بالخارج.

كمظهر من مظاهر اعتدال مزعوم رغبة في الانتماء الى اوروبا النصرانية التي لم تر فيهم الا عمالة بلقانية رخيصة و بقايا حضارة متخلفة مهزومة. كانت الزيجات المختلطة بين المسلمات و النصارى امرا شائعا.

و برغم المذابح التي كانت ترتكب و يراها الجميع و يروي تفاصيلها اللاجئين من المدن الاخرى الا ان كثيرا من البوسنيين ظلوا لشهور ينكرون ان هناك حربا ضدهم بل و عزا بعضهم الاشتباكات الى مؤامرة نفذها "متطرفون اسلاميون" مندسون ضد المواطنين الصرب لجر البوسنة لحرب اهلية. لم يكن هناك اصوليون في البوسنة التي بالكاد يعرف اقل من عشر سكانها كيف يصلون الصلوات الخمس. ادرك الصرب ما اعترى البوسنيون من جبن و استخدموه لصالحهم في الحرب النفسية، كانت ميليشيات الصرب تدخل القرية فتقتل الرجل على باب داره و تمثل بجثته ثم تطمئن جيرانه المسلمين بأنه كان عضوا في خلية ارهابية اسلامية فلا يحرك جيرانه ساكنا. في مرحلة لاحقة كانوا يعدمون سكان قرى باكملهم بصفتهم ارهابيين اسلاميين فلا تتحرك القرى المجاورة لثقتهم في انفسهم بانهم ليسوا من" الارهابيين". كان غريبا ان يظن البوسنيين بصحة وجود كل هذه الخلايا الاصولية المسلحة بينهم و هم على ما هم عليه من شهرة بالجهل بالاديان و قلة الايمان بالاسلام لدرجة ان النصارى كانوا يرمونهم بالانحلال و الوثنية.

تجمعت الخلايا نظريا تحت قيادة موحدة اسمها الجيش الاقليمي الذي تولى قيادته حسن افنديتش حتى مايو ١٩٩٢ -عندما خلفه سفر خليلوفيتش- و اختير الجنرال ستيفن شيير الكرواتي رئيسا للاركان. بدأت بعض هذه الخلايا تتخذ منحى عقائديا اسلاميا مما حدا ببيغوفيتش الى الاعلان عن انشاء جيش البوسنة و الهرسك الموحد و اخضاع جميع الخلايا المسلحة له لطمأنة الحكومات الغربية. كما اعلن في اكثر من مناسبة انه يرفض اعتبار حرب المسلمين لعدوهم "جهادا"، بل ان احدى اول قراراته الجمهورية بعد اعلان الاستقلال كانت تبني القانون الجزائي اللاديني ذو الاصول الشيوعية لجمهورية يوغوسلافيا قانونا لجمهورية البوسنة الوليدة[١]. كان مستغربا اعتبار عليا اصوليا مجاهدا بينما كانت صور مديرة اعماله و مترجمته ابنته سابينا بيغوفيتش تتصدر الصحف بالملابس الغربية الفاضحة و فيما كان السكرتير(الامين) العام لرئاسة الجمهورية البوسنية و مستشارها القانوني زدرافكو جوريشيش صربيا . بالاضافة لذلك كان عليا عزت طبقا لدستور البوسنة المستقلة رئيسا لمجلس رئاسة مكون من مسلمين -هو احدهما- و صربيين و كرواتيين وواحد من اقليات الجمهوريات اليوغوسلافية الاخرى و في ١٩٩٤ كان احد اعضاء مجلس الرئاسة امرأة صربية هي تيانا ليويويتش مياتوفيتش. كان بيغوفيتش حريصا على تقاسم السلطة مع النصارى مع ان الكروات و الصرب طردوا المسلمين من الاراضي التي احتلوها بشكل شبه كامل كما حدث لمسلمو الاندلس. اما عن خرافة سعي بيغوفيتش لتطبيق اي نوع من انواع الشريعة فلا يكذبه الا حقيقة ان كثير من القضاة كانوا

[١] تلى ذلك في صيف ١٩٩٢ اصدار مرسوم رئاسي بالزام القوات المسلحة بقوانين الحرب الدولية كما اقرتها الامم المتحدة و معاهدة جنيف.

نصارى حتى ان تشكيل المحكمة العسكرية لمنطقة زينتسا ذات الغالبية المسلمة اثناء الحرب ضم قاضيا كرواتيا كاثوليكيا و قاضيا صربيا ارثوذوكسيا و قاضيا مسلما، اي ان ثلثي القضاة كانوا نصارى في بلدية اكثر من ثلثي سكانها مسلمين.

كان للشائعات اصل من حيث تورط بيغوفيتش في انشطة شبه اسلامية قبل نصف قرن كما انه زار كتيبة المجاهدين في بداية الحرب عندما كان مطاردا و على وشك السقوط في ايدي الصرب. كانت البوسنة تتهاوى بسرعة فائقة يومها و كان يتوقع سقوط سرايبفو و القبض على عليا عزت و اعدامه في اي لحظة. كانت الوحدات البوسنية القليلة تسلم ساقيها للريح لمرأى الصرب. لا عجب في تلك الحالة اذا قام هذا الرجل اليائس بزيارة كتيبة المجاهدين الكتيبة الوحيدة التي يقاتل جنودها حتى الموت حيث بكى و تعهد بالولاء للجهاد و المجاهدين و تمنى لو عاد شابا ليقاتل معهم.

كان الجنرال سفر خليلوفيتش قائد الجيش البوسني الجديد و رفاقه من الضباط الذين استقالوا باكرا من الجيش اليوغوسلافي مرتابين في الاعداد الكبيرة من الضباط التي توافدت على البوسنة قادمة من الجيش الشيوعي فور اعلان الاستقلال. و فيما احتفظ الضباط الصرب في الجيش اليوغوسلافي المنحل باسلحة وحداتهم الثقيلة لم يحتفظ خدمهم المسلمين الا بملابسهم. عين بيغوفيتش ضباطا مسلمين من الجيش الصربي اليوغوسلافي على راس جيش البوسنة الجديد كما عين ضباطا صرب و

كروات نصارى في مناصب عليا مثل الكرواتي الكاثوليكي جيركو دوكو وزيرا للدفاع و الجنرال الصربي يوفان ديفياك في منصب نائب القائد العام و الجنرال الكرواتي اسطفان سيبر في منصب النائب الثاني للقائد العام و قائدا للفرقة الاولى حامية سرايفو و ايفان بريجيش الكرواتي مسؤولا عن الشؤون المعنوية في قيادة الاركان و الكولونيل زيليكو كنيز الكرواتي قائدا للفرقة الثانية المسيطرة على منطقة توزلا العسكرية بشمال شرق البلاد . و الاغرب كان سبب تعيين بعض منهم في تلك المناصب القيادية، حيث عين يوفان ديفياك على سبيل المثال نائبا لقائد الجيش لانه باع اسلحة الدفاع المدني البوسني التي كان يشرف على مخازنها بصفته ضابطا في الجيش الصربي الى العصابات الكرواتية في مدينة كيسيلياك لتستخدمها في طرد المسلمين من تلك المدينة و تحويلها نواة لكيان "هرسك بوسنة" الانفصالي الكرواتي في قلب البلاد . و على ما يبدو فقد اعتبر عصيانه لاوامر الجيش الصربي و بيعه السلاح لكروات البوسنة الكاثوليك ضربا من الوطنية .

كان اكثر ضباط الجيش اليوغوسلافي المسلمين الذين سلمهم بيغوفيتش قيادة الجيش ذوي ولاءات مشكوك فيها لدرجة ان الجنرال راسم ديليتش قائد الفيلق الثالث المسؤول المباشر عن كتيبة المجاهدين ثم قائد الجيش البوسني كله لاحقا لم يستقل من الجيش الشعبي اليوغوسلافي الذي يقوده الصرب الا في ١٣ ابريل ١٩٩٢ بعد اكثر من اسبوع من بدء الجيش اليوغوسلافي الذي يعمل لديه هجومه و مذابحه ضد مسلمو البوسنة بالتعاون مع الميليشيات الصربية. ضمت تشكيلة الجيش

ايضـا الجنـرال فكـرت مسـلموفيتش المقـرب مـن بيغـوفيتش و هـو ضـابط مخـابرات صـربية اسـتقال مـن الجـيش الصـربي بعـد اعـلان البوسـنة اسـتقلالها لـيعين مـديرا لادارة التوجيـه المعنـوي واسـعة النفـوذ بـالجيش الحكـومي و مستشـارا عسـكريا للـرئيس و نسـب اليـه الـبعض ميـول اصـولية و لـو ان هـذه التهمـة في البوسـنة قـد تعـني انـه يصـلي الجمعـة احيانـا و يصـوم رمضـان . كمـا سـبق ان شـارك كـثير مـن قيـادات و ضـباط الجـيش البوسـني الوليـد قبلـها بعـامين فقـط في قمـع انتفاضـة شـعب كوسـوفو الاولى ضـد الصـرب ممـا ولـد حساسـية بـين الشـعبين منعـت الالبـان مـن التعـاطف علـى المسـتوى الشـعبي مـع البوسـنيين في محنتـهم بـل ان المجموعـات المسـلحة في كوسـوفا قامـت في بعـض الحـالات باسـتهداف الاسـر البوسـنية الى جانـب الصربية في بريستينا باعتبارهم حلفاء ضد الشعب الالباني .

لم يكـن انخـراط البوسـنيين في الجـيش الصـربي ناتجـا عـن الجهـل الـديني الشـائع في المرحلـة الشـيوعية كمـا زعـم و انمـا كـان ناتجـا عـن وصـولية عميقـة . و في احـد الحـالات المعروفـة قبـل الحـرب تقـدم شـاب بوسـني يـدعى ناصـر اوريـتش بطلـب للعمـل كشـرطي في بلديـة سربرينتسـا موطنـه فرفضـت السـلطات الصـربية طلبـه لان جـده قاتـل ضـد الصـرب في الحـرب العالميـة الثانيـة ضـمن الجـيش النـازي الالمـاني في نفـس المنطقـة ممـا يـدل علـى ان ناصـر كـان واعيـا للعـداوة التاريخيـة بـين الصـرب و قومـه . الا ان هـذا لم يثنيـه و تقـدم للعمـل في بلغـراد عاصـمة جمهوريـة الصـرب كشـرطي ثـم ترقـى للعمـل في الشـرطة الخاصـة حيـث لفـت الانظـار باخلاصـه و كفاءتـه اثنـاء حمـلات قمـع انتفاضـة مسـلمي كوسـوفو و المعارضـة الصـربية بعـدها الى ان تم ترشـيحه للعمـل ضـمن الحراسـة الخاصـة للـرئيس الصـربي سـلوبودان ميلوسـوفيتش سـفاح البوسـنة .

في مرحلة لاحقة اشتبه في قتله احد زملاؤه لاسباب شخصية و طرد من وظيفته فترك بلغراد و عاد للعمل في شرطة سراييفو حيث دعته اجهزة حزب العمل الديمقراطي المسلم للعمل على تحضير المسلمين بمنطقته للحرب. قام ناصر بالعمل مع قريب له قيادي بالحزب الديمقراطي في جلب السلاح و بيعه للمسلمين و تدريبهم. مع اندلاع الحرب اصبح ناصر اوريتش قائدا عسكريا لمدينة سربرينتسا المسلمة الواقعة على الحدود مع الصرب. كان شباب سربرينتسا المسلم يعلق شارات الجيش الالماني النازي او الكرواتي ليغيظ الصرب في بداية الحرب اما ناصر اوريتش فقد كان يعلق شارات الجيش الاميركي على ملابسه بعد توليه قيادة الفرقة ٢٨ المسؤولة عن سربرينتسا .

تزامن اعلان الاستقلال و بدء الحرب مع تسليم كابل لاحمد شاه مسعود و صدور اوامر المخابرات السعودية للعرب بالرحيل. بالنظر الى ان البوسنة معزولة جغرافيا عن ديار الاسلام فقد تشكك البعض في امكانية البقاء فيها و الجهاد لاقامة دولة اسلامية كما كان مخططا في افغانستان، كما تشكك البعض في اصولية البوسنيين و نقاء رايتهم. سرت تخمينات بان البوسنة كمين اعدته اجهزة المخابرات الغربية لتجميع المجاهدين في قلب اوروبا و قتلهم. استهان اخرون بالامر و سارعوا الى البوسنة. في صيف١٩٩٢ زار انور شعبان البوسنة و جلب معه عدة افراد من مرتادي المركز الاسلامي بميلانو و اسس معسكرا للتدريب العسكري. كما كان من اوائل الوافدين ابو الزبير الحائلي و ابو سليمان المكي الذي شاهده العالم في ٢٠٠١ و هو يهنئ بن لادن على نجاح غدرة نيويورك ثم

شاهده العالم لاحقا و هو عائد من ايران على متن طائرة خاصة تابعة لوزارة الداخلية او المخابرات السعودية و هو يشكر ملك السعودية على كريم فعاله. انضم اولئك النفر الى خلايا ما قبل الجيش البوسني في منطقة تيشن. كانت المنطقة محاصرة و على وشك السقوط. كانت الخلايا الموجودة هناك خلايا مختلطة من القوميين و النصارى الكروات و جنود الجيش اليوغوسلافي السابق. في هذه المنطقة و على ايدي اولئك النفر حدثت سابقة لا مثيل لها في تاريخ الجهاد السلفي الا و هي القتال في خندق واحد كتفا بكتف الى جانب النصارى بل و القتال تحت امرتهم بالنظر الى كونهم نواب قائد الجيش و اعضاء قيادة الاركان.

كان هناك تعليلين لتلك الظاهرة الفريدة اولهم نوعية الاشخاص الذين تدفقوا على الجبهة البوسنية، فقد كان عددا كبيرا منهم من مسلمي اوروبا الذين تقل عندهم درجة الوعي و الالتزام العقائدي و العلمي على خلاف من سبقوهم في افغانستان من حيث تمسكهم بمسمى السلفية و التعالم. كان التعليل الثاني راجعا للوسط الذي حضر منه جزء كبير من متطوعو تلك الجبهة و قياداتها . كان نصف قيادات الجبهة من الجماعة الاسلامية المصرية من خلفيات معدمة لم تعرف الا الحمار كوسيلة للتنقل و يعيش اغلبهم من الزراعة على دخل قد لا يصل الى دولار يوميا ، ادى احتكاكهم بمستوى المعيشة الاوروبي الخيالي مقارنة بحياتهم السابقة في جحور الصعيد الى الاصرار على الاستيطان في اوروبا و لو على حساب عقائدهم. اما عوام المتطوعين فقد كان لخلفية اغلبهم البائسة دورا كبيرا في

ذلك التغير. فقد وصل اغلب مجاهدو البوسنة الاوروبيين من ايطاليا حيث توجد احد اكثر التجمعات الاسلامية في اوروبا اضطهادا و ذلة و مسكنة و اقلها تنظيما و مكانة في مجتمعها. و بخلاف مسلمو غرب اوروبا الذين يحظون بكيان و هوية و لو منقوصة كان كثير من مسلمو ايطاليا بين خدم و لصوص و تجار مخدرات و قوادين تسومهم الشرطة الايطالية سوء العذاب تحت تهديد ترحيلهم من جنات اوروبا الى جحور شمال افريقيا التي فروا منها على متن قوارب الموت في سبيل دنيا افضل تحت الرق في ايطاليا . لم يكن اولئك و قادتهم ليتركوا المكان الوحيد الذي صاروا فيه سادة بسلاحهم ليعودوا للعبودية. فبينما كانت اخس ساقطات النمسا و ايطاليا تأنف من الزواج بشريف منهم اذا به في البوسنة يستطيع الزواج باربع اوروبيات بمهر لا يتعدى المائة دولار. كما ادى حظر الوقود و نقاط التفتيش التي تأخذ السيارات غصبا الى جعل افخر السيارات الاوروبية تباع باقل من خمسمائة دولار .حدث نفس الشئ للفيلات و المساكن التي بيعت-اذا وجدت من يشتريها- بعدة مئات من الدولارات. لم يكن اولئك ليتركوا كل ذلك مقابل مواعظ عن استبيان الراية و العقيدة و اشياء من هذا القبيل. لم يقتصر الوافدون على الخدم و قوادو ايطاليا، كان هناك خليجيون مقهورون سياسيا في بلادهم اتوا يحملون تبرعات بالملايين و احلام بان يصيروا للبوسنة ما صاره بن لادن لافغانستان او ان يخرج منهم صلاح الدين الجديد محرر البوسنة و قاهر الصليبيين و فاتح اوروبا فضلا عمن اتوا في عطلة العمل الصيفية بعد استئذان مندوبو الشيخ الكبير. لم يكن وجود بعض الانتهازيين و و ذوي المآرب مستغربا فقد ورد ان الرجل قد يهاجر لدنيا يصيبها او لامرأة ينكحها و ان الرجل

قد يقاتل للمغنم و قد يقاتل ليشتهر و يرى و لكن كان المستغرب هو ان يكون اغلب المقاتلين من هذا الصنف. لقد كان الصحابة اشد جوعا و فقرا مقارنة باولئك عندما خرجوا على الدنيا و لكنهم لم يقبلوا بالقتال تحت راية من لم يؤمن بدينهم و لا الى جانب من يعتبرونهم مشركين. ادى هذا التهافت على الدنيا من المتطوعين الى اضعاف مكانتهم و تأثيرهم الدعوي في اوساط البوسنيين الذين كان كثير منهم يعتقد ان المجاهدين عملاء للمخابرات الأميركية ارسلتهم لضرب الاشتراكية التيتوية اليوغوسلافية. كان مسلمو البوسنة من اشد انصار الرئيس الشيوعي الراحل تيتو اخلاصا مع انه ذبح منهم عشرات الآلاف اثناء الحرب العالمية، و بينما رفع اسمه من موطنه و نبذت سيرته بقي كثير من البوسنيون خاصة اهل توزلا المدينة الشمالية الكبيرة مخلصين لذكراه و لنظامه الشيوعي خلال سنوات الحرب. كان احد اسباب محبتهم له ان عصابته كانت من اقل العصابات الصربية قسوة في ذبح المسلمين و كانت لا تمانع في انضمام المسلمين لصفوفها على عكس عصابات الشتنيك القومية النصرانية.

بعد وصول النواة الاولى ببضعة اسابيع وصل ابو عبد العزيز احد مؤسسي كتيبة المجاهدين. كان ابو عبد العزيز الجداوي من قدامى المقاتلين في افغانستان. اشتهر عبد العزيز كأحد "مشايخ الحقيبة". لم يكن هناك مكان لين لادن اخر في افغانستان فخرج عبد العزيز ليبحث لنفسه عن امارة و قام برحلات في كشمير و ارتريا و غيرها الى ان وصل الى البوسنة. تحتاج كل امارة الى جيش، و كما هو

المعتاد عندما يحتاج مقاول سعودي لعمالة رخيصة فيرسل لمقاول انفار يأتيه بعمال هنود و فلبينيين و صعايدة فقد اتصل ابو عبد العزيز بمقاولين الانفار الصعايدة في بيشاور و غيرهم في مكة ليتصيدوا مجاوري الحرم. ضمن اول من استجاب له كانت قيادة الجماعة الصعيدية في بيشاور طلعت فؤاد قاسم ابو طلال و رفاعي طه حيث عقدوا اجتماعا ناقشوا فيه الطلب. كان انور شعبان احد وسطاء تلك الصفقة.

كانت هيئات الأغاثة الخليجية قد تركت بيشاور بأموالها بناء على اوامر الشيخ تركي الكبير و كانت الجماعة الصعيدية تجد مشقة في الانفاق على كوادرها و عائلاتهم في بيشاور فقررت ارسال بضعة افراد مع عبد العزيز من نخالة الجماعة من بني سويف و غيرها من خارج النخبة المنياوية الاسيوطية حتى اذا ما كانت البوسنة كمينا للمجاهدين كما كان يشاع لم تخسر الجماعة كثيرا فضلا عن التخلص من الانفاق عليهم و استبقاء يد بيضاء للجماعة عند ابو عبد العزيز عندما يحين اوان توزيع التبرعات. كما كان هناك امل ان يستطيع اولئك النفر تأسيس جبهة في البوسنة تفتح للجماعة موارد دخل كما كانت افغانستان مورد دخل كبير لبعض من انضموا للجبهة في اول ايامها كمنظمين. احضر ابو عبد العزيز الأموال ووزعها و التقى ببيغوفيتش و تعاهدا على المحبة و الاخلاص كالمعتاد. منذ البداية قرر ابو عبد العزيز اخضاع سريته لسلطات الحكومة البوسنية الوليدة في ادق التفاصيل (باستثناء تفاصيل تعاونه مع الاجهزة السعودية من عدمه) مع انه لم يكن محتاجا لذلك، لدرجة انه قبل ان يلتقي باحد صحافيو جريدة تايمز اللندنية في صيف ١٩٩٢ لاجراء لقاء صحفي بخصوص دور

المجاهدين في الحرب طلب منه ان يستاذن من قيادة اللواء السابع في ترافنيك. قال عبد العزيز في ذلك اللقاء الذي لم يطلع عليه عامة مقاتليه "دعني اقل لك شيئًا عن رجالي المجاهدين، نحن تحت اشراف و سيطرة القوات البوسنية. تعليماتي لرجالي المجاهدين و شرطي عليهم هو اننا لسنا اصحاب قرار قيادي هنا و ليست لنا جبهة عسكرية منفصلة، نحن نعمل تحت اشراف البوسنيين و سيطرتهم. متى انتهت الحرب عدنا الى بلادنا."[١]

لم يكن هناك مبرر لاخضاع العرب الوافدين من حيث المبدأ لحكومة غير موجودة و لا سلطة لها على الارض -فيما كان الوافدون يجلبون معهم ما يحتاجونه من مال و عتاد و مؤنا تكفي السكان المحيطين بهم- الا الالتزام بتعليمات الشيخ تركي الكبير او مبدأ عبد الله عزام في افغانستان من ان "المجاهدين ابناء ارملة من تزوج امهم فهو اباهم الجديد" مع فارق ان افغانستان كان بها قبائل مسلحة ذات عصبية و شوكة و منعة فيما كان الشعب البوسني الاعزل باكمله تقريبا في حالة فرار. حدد ابو عبد العزيز منذ البداية ايضا الاطار العام لمهمته و هو تخليص البوسنة من المحتل و الرحيل الى بلده فور توقف العمليات الحربية بدون الارتباط باقامة دولة اسلامية او دولة خلافة او جعل البوسنة دارا للهجرة على خلاف الحال في افغانستان قبلها باشهر قليلة بالنسبة لآلاف من المتطوعين من خارج الخليج. كان ابو عبد العزيز في ذلك الوضع تجسيدا للمقاومة السعودية "الشريفة" على مذهب الشيخ الكبير.

---

[١] ابو عبد العزيز السعودي محمود باحاذق في لقاء مع اندرو هوغ لجريدة التايمز اللندنية اغسطس ١٩٩٢.

كـان ابـو عبـد العزيـز و بـن لادن و خطـاب و غيرهـم مـن القـادة الوافـدين مـن دول مجلـس التعـاون الخليجـي يريـدون تعـويض مـا فـاتهم و فـات آبـاءهم و اجـدادهم[١] مـن قتـال المحـتلين الاجانـب في حـروب التحـرر الـتي كانـت الامـة كلـها طرفـا فيهـا مـن غانـه الى فرغانـه لمـا يقـرب مـن مـائتي سـنة فيمـا كانـت الجزيـرة العربيـة تغـط مطمئنـة في كنـف الحمايـة و العمالـة البريطانيـة .و رغـم ان هـذا التقيـيم قـد يبـدو لاول وهلـة في حالـة ابـو عبـد العزيـز مخالفـا لسـمعته بـين شـباب المقـاتلين السـعوديين كمعـارض للنظـام السـعودي الا ان مفهـوم المعارضـة في مجلـس التعـاون الخليجـي يبـدأ مـن عـدم اطـلاق اسـم الحـاكم علـى اكـبر ابنائـه و عـدم تعليـق صـورة ضـخمة للحـاكم علـى زجـاج سـيارته الخلفـي او مخالفـة الحـاكم في نـوع قهـوة الصـباح الـتي يشـربها المـواطن وصـولا الى النشـاطات "الخطـيرة" مثـل قـراءة صـحيفة معارضـة اثنـاء السـياحة في لنـدن او الهمس لزميل في العمل بملحوظة مبهمة عن "اللصوص الذين يسرقون البلاد" او "الفساد" .

تمركـز بعـض المتطـوعين الملحقـين بـاللواء السـابع المسـلم في قريـة غرادينـا بمنطقـة كـراولا شمـال ترافنيـك لفـترة ثـم انسـحبوا بعـد اكتسـاح الجـيش الصـربي لمدينـة يايتسـا . في سـبتمبر ١٩٩٢ قامـت مجموعـة مـن العـرب يقودهـا محمـد الفـاتح البحـريني و نائبـه انـور شـعبان بعمليـة مشـتركة مـع الجـيش البوسـني. قتـل محمـد الفـاتح و قـام انـور شـعبان بـالعودة الى ايطاليـا .كـان محمـد الفـاتح ضـابط جـيش مـن اسـرة آل خليفـة الحاكمـة

---

[١] فـي الواقـع ان فرصـة الاشـتراك فـي حـروب التحـرر لـم تفـت أبـاءهم و اجـدادهم تمامـا اذ اشـترك بعضـهم فـي تلـك الحـروب و لكـن علـى الجانب البريطاني.

بـالبحرين. يقـال انـه رأى رؤيـا تـدعوه للجهـاد في البلقـان فسـأل مـا هـو البلقـان[1] فـأخبروه بمـا يجـري في البوسـنة فسـافر هنـاك ليقـود المتطـوعين. كـان تعـيين شـخص لا يعلـم اسـم المنطقـة الجغرافيـة الـتي يقاتـل فيهـا و اقلـيم حكمـه المسـلمون لقـرون علامـة علـى الفسـاد المستشـري في صـفوف المتطـوعين. و مـع ان كـثيرا مـن المتطـوعين كـانوا لا يعلمـون مـا هـو البلقـان، هـذا ان ادركـوا اسـم القـارة الـتي يعيشـون فيهـا اصـلا، الا ان اغلبـهم كـانوا خـبراء في "الامنيـات" و معرفـة خطـط اجهـزة المخـابرات الدوليـة و اتصـالاتها الـتي تـتم بالاقمـار الصـناعية. لم يكـن الفـاتح البحـريني هـو وحـده مـن يجهـل موقـع البلقـان فقـد نقـل عـن ابـو عبـد العزيـز امـير المجاهـدين قولـه لجريـدة الـدعوة "لم نكـن نعـرف مكـان البوسـنة، اهـي في اميركـا ام في الجنـوب ام في اسـيا؟ عنـدما ادركنـا انهـا جـزء مـن يوغوسـلافيا في شـرق اوروبـا، بقيـت لـدينا تسـاؤلات عـن عـدد المسلمين الموجودين هناك و كيف و متى وصل الاسلام هناك."

مـن ناحيـة اخـرى قـام ابـو عبـد العزيـز بلقـاء بعـض القـادة ثـم ارسـل رجالـه الى الجبـهات ضـمن الحـرس الـوطني. اشـترك رجـال عبـد العزيـز في معركـة علـى اطـراف سـرايفو لفـتح طريـق للمطـار في اكتـوبر ١٩٩٢. قيـل انهـم كـادوا يسـتولون علـى المطـار لـولا وصـول الـرئيس الفرنسـي في زيـارة لسـرايفو اثنـاء العمليـة و قيـام الامـم المتحـدة بطلـب وقـف الهجـوم لحـين انتـهاء زيـارة الـرئيس فاسـتجاب بيغـوفيتش و امـر بوقـف الهجـوم. بعـدها باسـابيع في نهايـة ١٩٩٢ خـرج رجـال ابـو عبـد العزيـز في عمليـة مشـتركة مـع الجـيش البوسـني في منطقـة فيسـوكو/اليـاش و بعـد تقـدمهم لمسـافة كـبيرة اوقـف الكولونيـل الكرواتـي

---

[1] بلقان:تركية جبال. الاسم الدارج لجنوب شرق اوروبا.

النصراني المكلف بادارة الاسناد المدفعي مدافعه او قد يكون ابلغ الصرب بالهجوم مبكرا مما ادى لوقوع الكتيبة في كمين قتل و اصيب فيه اغلب افرادها بمن فيهم اميرهم ابو طلحة المصري المكنى بالاندلسي الذي وجده شاب جزائري صغير اسمه ابو المعالي ينزف من جرح في ساقه فتركه للصرب و فر هاربا . يومها عاد ابو جهاد رامو دورميش قائد احدى سرايا اللواء السابع الى موقع قيادة الجيش الحكومي و اطلق النار و حطم الاثاث. دافعت قيادة الجيش الحكومي عن نفسها بأن المتطوعين خالفوا الاوامر و تقدموا عمدا خارج نطاق الاسناد المدفعي طمعا في تحقيق انتصار اكبر بالمخالفة للقواعد العسكرية الصحيحة . كانت البوسنة تتارجح على شفا الانهيار في تلك الايام و كان سقوط سرايفو واردا في اي لحظة .في هذا الوقت كان ابو عبد العزيز قد ملأ الصحف الكرواتية بالتصريحات الصحفية ثم فر هاربا الى خارج البوسنة تاركا القيادة لأتباعه، واعدا اياهم بالعودة بحجة "عرض القضية على "علماء الجزيرة" و جلب التبرعات" مع ان الطرق كانت مقطوعة للخارج و كان معلوما ان من يخرج قد لا ينجح في الدخول مرة اخرى. عندما طال غيابه لسنوات اخترع خلفاءه قصة عن احتجاز المخابرات السعودية للمناضل الكبير، لم يكن هذا صحيحا بالكلية. ترك ابو عبد العزيز سيارتي دفع رباعي لخدمه و بعض المال و العتاد و المعسكر، كانت اعدادهم تقدر يومها بالعشرات. بعدها بسنوات عندما صار لهم كيان داخل الدولة و شهرة عاد ابو عبد العزيز متنكرا في زي حاخام يهودي و لكن رجاله الذين ترك لهم القيادة كانوا قد قتلوا و تولى القيادة عقبهم خلف لم يكن مستعدا لترك القيادة لرجل غريب من الماضي، فانصرف عبد العزيز عائدا ادراجه.

كان الوضع العسكري مترديا و انضمت قوات الامم المتحدة الى الصرب و الكروات في احتلال اراضي البوسنة بواسطة قوات مهمة اونبروفور. ضمت هذه القوات سرايا اردنية و اماراتية و مصرية بلا سلطة حقيقية على خلاف القوة البريطانية و الفرنسية و ان كان ضباط القوات العربية[1] شاركوا زملائهم النصارى في التمتع و الاتجار بالاسيرات المسلمات اللواتي كان الصرب يوفرونهن للقوات الدولية نظير تعاونهم. كما قامت الامم المتحدة برئاسة بطرس غالي و بناء على طلب اميركا بفرض حصار اقتصادي على جمهوريات يوغوسلافيا السابقة بحجة وضع نهاية للحرب و لكنه لم يطبق الا على مسلمو البوسنة و ادى بحلول عام ١٩٩٣ الى وصول السكان لحالة تقترب من المجاعة وصل فيها لتر البنزين الى ما يقرب من خمسين دولار و بيضة الدجاجة لحوالي دولارين. كانت القوات الدولية التي سمح لها بيغوفيتش باقامة قواعد في البوسنة قد وصلت بعد ان اتخم الصرب بما استقطعوه من الاراضي و لم يبق الا ان يقوم المسلمين بهجومهم المضاد، و فيما بررت تلك القوات وجودها بضمان وصول المساعدات الانسانية و المؤن فان ذلك لم يحدث و كما سلف لم يستطع اهل البوسنة الاستفادة من الاف الاطنان من المعونات التي كان العالم الاسلامي. و جل ما قامت به تلك القوات هو التمركز في مفاصل الطرق لمراقبة تحركات المسلمين و احباط خططهم لاستعادة ارضهم، اما التصدي

---

[1] ظلت القوات الدوليت تلعب دورا في الحرب ضد المسلمين بمن فيها السرايا الوافدة من دول ذات غالبية مسلمة قبل و بعد الحرب حتى ان الكتيبة التركية العاملة تحت قيادة اميركية في زينتسا بعد الحرب كانت ترسل تقريرات عن تواجد اصوليين في المنطقة يقومون بتدريب الاطفال في المخخيمات الصيفية.

للانتهاكات و المذابح فلم تتدخل تلك القوات الا عندما يكون الضحايا نصارى كما فعلت الكتيبة البريطانية عندما كان جيب كيسلياك- بوسوفاتشا الكرواتي في وسط البوسنة على السقوط فحمته من السقوط و فكت الحصار عنه مع انها لم تتدخل عندما شرد و قتل السكان المسلمين من هذه المنطقة و احرقت قراهم. او كما فعلت الكتيبة البريطانية في قرية كوتشا غورا اذ ارسلت قواتها و مدرعاتها لنقل جنود ميليشيا كروات البوسنة الذين انهزموا بعد ذبحهم للمسلمين و اختبئوا في احد الكنائس. يومها توقفت القوات المسلمة المحاصرة بما فيها متطوعو الكتيبة عن اقتحام الكنيسة و فيها اكثر من مائتي فرد كثير منهم قيادات في ميليشيا الكروات بناء على اوامر قيادة الجيش البوسني حتى تتاح للكروات فرصة الفرار لمأمنهم. بعد اخلاء كنيسة قرية كوتشاغورا مركز القيادة الوسطى لقوات ميليشيا الكروات حيث كانت تدبر خطط قطع طرق المتطوعين و احراق القرى البوسنية على رؤوس اهلها اراد بعض المتطوعين اثبات رجولتهم بعد ان عجزوا عن قتل اعدائهم بتدمير الكنيسة الفارغة. ما كاد هؤلاء المتطوعين و على رأسهم ابو الصادق الجزائري و عدنان المصري و عماد المصري يحاولون نسفها حتى تصدى لهم الجنرال محمد الاغيتش قائد قوات ترافنك و الفيلق السابع لاحقا. وصلت المشادة الكلامية الى حد بعيد فهدد الجنرال الاغيتش[١] باستدعاء وحدات من الجيش البوسني لابادة جنود كتيبة المتطوعين اذا حاولوا هدم الكنيسة ثم رحل ليستدعي قواته فيما تدخل وحي الدين و نهى رجاله عن نسف الكنيسة حفاظا على العلاقات مع الجيش الحكومي.

---

[١] مات الاغيتش اثناء محاكمته امام محكمة جرائم الحرب الدولية بتهمة تقاعسه عن القبض على المتطوعين العرب.

عندما اعترض البعض على قراره كان رد وحي الدين انه اكثر حرصا منهم على تسوية الكنيسة بالارض و لكنه يخشى من بث الفرقة بينهم و بين البوسنيين. تكررت نفس الاجابة عندما حاول بعض المتطوعين تدمير مقاهي لبيع الخمور و لعب الميسر في مدينة ترافنك و زاد عليها امره بطردهم خارج الكتيبة و مصادرة سلاحهم الفردي.

على النقيض من حادثة كوتشا غورا، لم تتدخل القوات البريطانية في نفس المنطقة على بعد كيلومترات قليلة عندما طوقت ميليشيا الكروات قرية احميتشي المجاورة لفيتيز و ذبحت سكانها كلهم بمن فيهم الاطفال و النساء و الابقار و منعت دخول سيارات الاسعاف ثم احرقت القرية. و الحقيقية ان تلك القوات لم توفر اي ميزة ذات قيمة لاهالي البوسنة سوى بعض الوجاهة لعليا عزت و بعض كبار اعضاء حكومته. اما طريقة جمع اعضاء قوات الامم المتحدة للمعلومات اللازمة لتسيير اعمالها فكانت باعتراف قادتهم عن طريق رشوة قيادات الحكومة البوسنية بالمال و تسهيلات المرور و الخروج من البوسنة المحاصرة و بالخمور و السجائر للضباط و الجنود الحكوميين "المسلمين". بل ان القوات الاممية شاركت في المذابح عندما كانت تمنع النساء و الاطفال من الفرار من سراييفو عبر النقطة الوحيدة التي لا تخضع للحصار الصربي للعاصمة و هي مدرج المطار برغم ان عبوره كان يتم تحت نيران القناصة الصرب و يحمل في طياته خطر الموت، و كما لو كانت القوات الاممية مكلفة بحراسة سكان سرايفو السجناء فقد كانت تعيد الفارين منهم الى داخل المدينة. كانت القوات الاممية في اغلب

الاوقـات تتخـذ لهـا مقـرا في الاحيـاء ذات الغالبيـة النصـرانية الكرواتيـة و ترافـق المسـاعدات الانسـانية الغذائيـة و غيرهـا الـتي يرسـلها العـالم الاسـلامي الى قلـب المعاقـل الكرواتيـة ليأخـذ الكـروات كفايتـهم منـها و يبيعـوا مـا يفـيض للمسـلمين الـذين كـانوا يعيشـون مـا يشـبه المجاعـة فيمـا يـتخم جيرانهـم الكـروات بالاغذيـة الواردة من الدول الاسلامية.

تـولى القيـادة بعـد رحيـل ابـو عبـد العزيـز شـاب مصـري في الثانيـة و العشـرين تكنـى باسـم وحـي الـدين. كـان وحـي الـدين احـد مـن ارسـلتهم الجماعـة الصـعيدية لينشـأوا لهـا مـوطن قـدم في الجبهـة البوسـنية. ترجـع اصـول وحـي الـدين الى قريـة في بـني سـويف المصـرية احـد اكثـر بقـاع الارض تخلفـا، لم يتعـد تعليمـه التعلـيم الثـانوي و لم تتعـد خبرتـه العسـكرية التـدريب علـى بعـض الاسـلحة الخفيفـة في معسـكر الجماعـة الصـعيدية في افغانسـتان. اخفـى وحـي الـدين و مجموعتـه انتمـائهم الى الجماعـة الصـعيدية و حقيقـة اهـدافهم عـن بـاقي المتطـوعين مـن الجنسـيات الاخـرى الا انهـم لم يضـيعوا وقتـا في سـبيل احكـام سـيطرتهم علـى الجبهـة حيـث اعلنـوا قيـام مجلـس شـورى لقيـادة الجبهـة و عينـوا انفسـهم اعضـاءا فيـه بعـد وصـولهم للبوسـنة بايـام، كمـا ضـموا اليـه بصـفة استشـارية بعـض الشخصـيات البوسـنية المشـبوهة المرتبطـة بمـا يمكـن تسـميته مافيـات اوروبـا الشـرقية. كـان اختيـار ابـو عبـد العزيـز لهـذه الشخصـية لتقـود اول وجـود اسـلامي اصـولي مسـلح في تـاريخ البلقـان - بعـد الحكـم العثمـاني الصـوفي- دلـيلا علـى الفسـاد الاداري المتفشـي في الحركـات الاسـلامية المسـلحة. لم يكـن اخفـاء اعضـاء الجماعـة الصـعيدية انتمـاءهم عـن بـاقي المتطـوعين

لغرض امني حيث كان اغلبهم ان لم يكن كلهم معروفين للشرطة المصرية، كان المقصود من ذلك اخفاء تدابير مؤامرة السيطرة على الجبهة عن اعين المتطوعين الآخرين.

لم يكن الجهاد و الالتزام العقائدي هو الدافع الاول لوحي الدين فقد ادى ركوبه لسيارة الدفع الرباعي التي تركها له ابو عبد العزيز الى اصابته بجنون العظمة و هو الذي لم يكن يملك حمارا ينتقل به في بلده. و على خلاف متطوعو الامس في افغانستان التي وصل منها والذين كانوا يعتجرون العمائم و يحملون العصي و يمشي بعضهم احيانا حفاة تشبها بالصحابة، كان وحي الدين يحب التبختر بالزي الضيق المموه للقوات الخاصة في الجيوش الغربية و البيريه الاسود المائل لاقصى جانبي رأسه يكاد يسقط عنها كما لو كان كولونيلا في قوات النيفي سيلز الاميركية. في نظير المحافظة على تلك الامتيازات بدأ وحي الدين في اخضاع المجموعة لسيطرة الجيش البوسني الكاملة حيث ارسل طلبا في صيف ١٩٩٣ لقيادة الجيش البوسني لاعتبار المتطوعين كتيبة من كتائب الجيش الحكومي. تلقى الجنرال راسم ديليتش الذي دأب على شكوى المتطوعين لبيغوفيتش بصفتهم مخربين غير منضبطين الطلب ثم اصدر امرا بضمهم الى "تشكيل مؤقت"مما يعني ان نية حل الكتيبة وجدت مع اللحظة التي اعترف فيها الجيش البوسني بتلك المجموعة. بناء على اوامر بيغوفيتش اصبحت الوحدة جزء من اللواء السابع بالفيلق الثالث و اقيم احتفال حضره مجلس شورى الكتيبة و قائد الفيلق الثالث و بعض الشخصيات البوسنية و اعطيت الكتيبة رقم الوحدة ٥٦٨٩ زينتسا . لم يصرح وحي الدين بذلك

للمتطوعين الجدد بل اوهمهم بانهم مجاهدين مستقلين يتخذون قراراتهم بناء على ما تمليه الضوابط و المصالح الشرعية و ان كان قد اعلن في خطبة له بمناسبة تقديم طلب الانضمام للجيش انه اشترط ان تكون الكتيبة "قوة خاصة منفصلة تتلقى اوامرها من سراييفو مباشرة" . لتفادي انكشاف الامر خاصة امام الشباب الخليجيين ذوي الميول السلفية و الذين كان يهالهم فساد الجنود البوسنيين و انتشار الدعارة و الخمور جهارا نهارا في شوارع البوسنة قرر وحي الدين حبس المتطوعين في المعسكرات لحين وضعهم في شاحنات تنقلهم الى قمم الجبال لقتال الصرب ثم يعاد من بقى منهم بعد المعركة لمحبسهم ربما بزعم ابعادهم عن مفاتن الحياة الغربية. و فيما كان جنود الكتائب الغربية التابعة للامم المتحدة يلتقون رسميا كل ليلة لمناقشة آخر تطورات الجبهة و الاستماع للتقرير العسكري اليومي كان السؤال عن اي معلومة في كتيبة وحي الدين يعرض للهمز و اللمز و الشكوك الامنية على ايدي جهابذة العلوم الاستخبارية و "الأمنيات"المستوردين من الصعيد و اضرابهم من قاع البلاد الاسلامية الاخرى. كان الاعلام العسكري تقليدا منتشرا لدى الجيوش الغربية المنتصرة منذ ايام الجبرتي قبل قرنين من الزمان عندما سجل بانبهار خبر صدور جريدة الجيش الفرنسي و كيفية توزيعها على كافة مراكز الجيش المنبثة بحيث تكون اصغر حامية في دلتا مصر على دراية يومية باحداث القيادة بالقاهرة فيما كان يعتبر السؤال عن ابسط الامور العسكرية امرا مريبا في الجيوش العربية و ورثتها من مجاهدي المخابرات السعودية. و فيما تشجع الدول الغربية المنتصرة شعوبها على التعرف على جيوشهم التي تحميهم و تقيم الاستعراضات الجوية و العسكرية للعامة ليروا احدث ما انتج، كان الاقتراب من مقرات

الجيوش العربية الهزيلة مدمنة الهزائم يواجه باطلاق النار و السجن، و ان استثني من ذلك اصدار مجلة عسكرية ذرا للرماد في العيون تسمى بحسب البلد "المقاتل" او "المجاهد" او "المحارب" تمجد الزعيم قاهر العدا صاحب البطولات و الرؤية الاستراتيجية التي لا تخطئ. كان ذلك بالطبع لان مهمة تلك الجيوش لم تكن حماية مصالح شعوبها او الدفاع عنها بل قمعهم لصالح الحاكم و الدولة التي تسيره، و فيما كان ذلك مفهوما في الجيوش المشبوهة فان اتباع كتائب المتطوعين التي يفترض ان يديرها دعاة همهم جذب اكبر عدد من العامة للجهاد لنفس السياسة المتبعة في الجيوش العربية لم يكن مفهوما .

استثني من محظورات وحي الدين الامنية التحدث عن بطولات الامير(الزعيم) و ذكاء الامير و اجترار قصص من الماضي القريب مسموح بتداولها عن بطولات افراد الكتيبة او حتى معلومات ابتدائية عن البنادق و المسدسات حتى لا يدرك المتطوعون مقدار القهر و التجهيل المتعمد الذي تخضعهم له القيادة. اما الساحات الأكبر من البوسنة فكانت تصدر فيها نشرات تتضمن قصص الشهداء الذين حكمت القيادة بأنهم في الجنة يقينا و يفترض ان تظل اجيال المجاهدين تتداول قصصهم لعقود بعدها . و يلفت ان النظر ان القاسم المشترك في وصف الشهداء الذين نجحوا في الاختبار و "دخلوا الجنة" ان كل منهم كان "صواما قواما، صموتا قليل الكلام." و مع ان الصفتين الاوليين من العبادات الجليلة ،و العزوف عن الكلام في غير موضعه من سمت الصالحين الا ان المقصود كان ان المتطوع منذ ان وطأت قدمه الساحة لم يتكلم او يسأل حتى عن موقعه، و سلم نفسه من بعد ان اوصله مقاول الانفار الى امير المضافة المشبوه الى امير الجبهة بلا سؤال او نقاش في اي شأن حتى اسلموه لمقتله ثم عقدوا

اتفاقية سلام مع العدو بعد مقتله و جمعوا المال ثم طلبوا اللجوء السياسي للغرب او عادوا لحياتهم في" مملكة الخير و التوحيد" .

بالإضافة لذلك استوردت اسطورة الشيخ المجاهد و الحاكم المؤمن و روح اعضاء مجلس الشورى حكايات تبث لدى المتطوعين الجدد المتشككين في وضوح الراية التي يقاتلون تحتها عن ورع بيغوفيتش و كيف يصير هرا وديعا بين يدي العلماء و مشايخ الجهاد كما كان نجم الدين ايوب بين يدي العز بن عبد السلام. كما دبجت الروايات عن قتلى الكتيبة الذين تتصاعد رائحة المسك من جثثهم و هو ما لم يكن صحيحا حيث شوهد احد المتطوعين القطريين و هو يرش العطر على ابو طلحة المصري الذي قتل و هو يحارب تحت قيادة بوسنية نصرانية مشتركة ليوهم بقية المتطوعين ان رائحة المسك تنبعث منه بعد مقتله بثلاثة اشهر .

في نهاية ١٩٩٢ بدأ الكروات يخشون من ميل الميزان العسكري لصالح البوسنيين مما يعرض الدويلة الكرواتية المستقطعة من الاراضي البوسنية للخطر فمنعوا دخول المؤن و المتطوعين عبر منفذ البوسنة الوحيد الى العالم عبر الاراضي الكرواتية حيث كانت الامم المتحدة قد استولت على مطار سرايبفو و صارت لا تسمح الا بهبوط طائرات الامم المتحدة و الناتو و من والاهم. اسفرت كمائن قطع الطريق الكرواتية عن اسر عدد من المتطوعين في طريقهم للداخل و الخارج و تعرض بعضهم للتعذيب

و القتل في سجون الشرطة العسكرية الكرواتية بمناطق كيسيلياك و بوسوفاتشا على مرأى من قواعد الجيش البوسني. و الغريب ان القوات الكرواتية التي كانت ترتكب مذابح ضد المسلمين ظلت تضم جنودا مسلمين حتى نهاية ١٩٩٣ عندما شك الكروات في ولائهم و بدأوا بنزع سلاحهم. رفض وحي الدين لعدة اشهر التدخل لانقاذ المتطوعين الذين اسروا و قتلوا اثناء دخولهم للقتال تحت امرته و على بعد كيلومترات قليلة من مقر قيادته مبررا ذلك بانه لا يستطيع القتال على جبهتين و قام بطرد و مصادرة سلاح من طالبوه بالتصدي للكروات. في الواقع لم يكن هناك قتال فقد شهد عهد وحي الدين توقف شبه تام للانشطة العسكرية على الجبهات. كان المتطوعون الذين اطلق سراحهم من السجون الكرواتية يشاهدون سجانيهم و معذبيهم من الجنود الكروات يمشون مطمئنين في شوارع المدن البوسنية الكبرى الخاضعة لجيش البوسنة فلا يستطيعون بهم مساسا خوفا من ان يسلمهم وحي الدين للشرطة البوسنية التي ستبيعهم للكروات بدورها لقاء صندوق من الخمر . لم يتحرك وحي الدين للتصدي للامر حتى اسر بعض المتطوعين السعوديين و قتل احدهم و هو ابو سحر الجزيري في طريقهم للخارج. و مع ان عشرات آخرين من جنسيات اخرى اسروا قبلها و سلبت اموالهم و عذبوا و قتلوا الا ان قيادة الكتيبة لم تتحرك الا في هذه الحالة فتم اسر عدد من الجنود و الضباط الكروات الذين يقطعون الطريق عادة في قلب المدن المسلمة و تم استبدالهم بالاسرى برغم المعارضة الشديدة من الجيش البوسني المسلم و لواء القوات المسلمة بزينتسا الذين كانوا سيحاولون على الارجح الهجوم على المتطوعين و فك اسر الكروات لو علموا مكان اخفائهم، و قد قامت الشرطة العسكرية التابعة

للفرقة الثالثة البوسنية بالفعل بناء على اوامر القيادة البوسنية بتكوين قوة مشتركة مع الكروات للبحث عن القائد الكرواتي المخطوف. كان مقتل متطوعين سعوديين تحت امرة وحي الدين و في منطقته سيؤدي الى عزله من قبل الشيخ تركي الكبير و توجيه التبرعات التي تصل اليه من "مملكة الخير" الى جهات اخرى. رد الكروات على حادثة الخطف باعدام سكان قرية احميتشي المسلمة في نفس الليلة و بالاغارة على التجمعات السكانية المسلمة في وسط البوسنة.

كانت الميليشيا الكرواتية تعاني نقصا شديدا في عدد الجنود لدرجة ان جزءا كبيرا منها تكون من جنود مسلمين في بداية الامر ثم تطور الامر بعد طرد المسلمين الى استخدام الاسرى المسلمين كدروع بشرية حيث كان يتم الباسهم الزي العسكري الكرواتي و اعطاءهم بنادق خشبية ثم يدفعون الى مقدمة الهجوم فيقتلهم المسلمون على الجانب الآخر فيما يتبين القناصة الكروات المختبئين مصادر اطلاق النار من قبل الجيش البوسني و يحيدوها. كما كان الجنود الكروات يضعون نقاط تفتيش لهم في قلب المدن البوسنية فلا يجدون من يردعهم. بدأوا بأسر المتطوعين المارين بهم بينما كانوا يسمحون بمرور قيادات العرب في سيارات الدفع الرباعي فسكتت القيادات، كما كانوا يختطفون العرب من الحافلات العامة و يتركون البوسنيين يمرون فسكت البوسنيين. عندما وجد الكروات ان ليس ثمة من يردعهم تجرأوا و قاموا بسلب سيارة نصرت افندي امام اكبر مساجد ترافنيك و عضو مجلس احدى اهم المدن البوسنية وقتها. كان نصرت افندي يعارض بشدة قتال الكروات خوفا على حياته و ماله

الا ان حادثة سلبه شخصيا دفعته للتشكي من الكروات و تأليب الرأي العام ضدهم. فضلا عن حادثة نصرت افندي كان الكروات يستمتعون بسلب كبار ضباط الجيش البوسني المارين بهم و صفعهم و اذلالهم علنا و اشيع انهم امروا بعض تلك القيادات بأكل الحشائش من جانب الطريق كالبهائم بعد انزالهم من سياراتهم فيما كانت القيادة العليا تأمرهم بضبط النفس و تسعى في ارضاء الكروات بشتى الوسائل بما فيها المشاركة في تجديد الكنائس في المدن المسلمة و بناء تمثال لمريم ام المسيح في وسط مدينة زينتسا البوسنية الكبيرة و افتتاحه في احتفالية حضرتها القيادات المحلية المسلمة، بل ان القيادة البوسنية وهبت بعض الاسلحة القليلة التي استحوذت عليها من مخازن الجيش اليوغوسلافي للميليشيات الكرواتية في مدينة زينتسا رغم تخمة تلك الميليشيات بالسلاح الوارد اليها من جمهورية كرواتيا .كما ابرم بيغوفيتش صفقة مع الكروات يعطيهم بموجبها ثلث البوسنة- مع انهم لم يبلغوا عشر سكانها- نظير بعض الاسلحة الصدئة و تدريب جنوده الا ان كروات البوسنة اخلوا بتعهداتهم و طمعوا في اكثر مما خصص لهم و حاولوا الاستيلاء على مدينة موستار عاصمة اقليم الهرسك.

بدأت اشتباكات بين الجيش البوسني و الكرواتي و اشترك فيها المتطوعون. بينما كان وحي الدين يمر بقرب مدينة فيتز ضمن قافلة تابعة لهيئة الامم المتحدة العليا للاجئين بحماية كتيبة قوات الامم المتحدة البريطانية انحرفت القافلة في طريقها الى مدينة نوفي ترافنك التي يسطر عليها كروات البوسنة و تبعتها سيارة الدفع الرباعي الخاصة بوحي الدين. ترك الكروات القافلة تمر ثم امطروا سيارة وحي الدين

بالرصاص و اردوه قتيلا مع ثلاثة من مساعديه و اسروا المترجم البوسني[١]. كان وحي الدين قد اعلن بعد حادثة مقتل ابو سحر الجزيري و اسر ابو علي الكويتي و اخرين تنازله عن الامارة للدكتور ابو الحارث الليبي ليتفرغ على قوله للشؤون العسكرية، و الارجح ان الشيخ تركي الكبير ارسل عن طريق ابو عبد العزيز باحاذق امرا بعزله. تخلل فترة قيادة وحي الدين بعض الهزائم و حالات الفرار التي درجت ادبيات الجهاد المعاصرة على تسميتها "الانحيازات" على غرار تلاعب الحكومات العربية بالالفاظ في "النكسة" و "النكبة" و ما شابه من مخازي، و فيما توحي الالفاظ التي تستخدمها الحكومات العربية بوقوع هزيمة و لكنها امر قدري لا دخل لتقصيرهم فيه كالاوبئة و الطاعون مما يعفي المسؤولين من المساءلة كان خطاب الجهاد المشبوه المعاصر ربيب تلك الحكومات الفاشلة ينفي وقوع هزائم من الاصل و يسميها انحيازات.

في مرحلة سابقة استطاع الكروات نظرا لعدم وجود مقاومة لهم من الجيش البوسني الهلوع مد نفوذهم من منطقة نفوذهم في الهرسك المحتل و محاصرة ترافنيك احد اهم مدن البوسنة التاريخية و احد اهم معاقل المسلمين في قلب البلاد و صاروا يردون المتطوعين الوافدين و البوسنيين قتلى مما اضطر الجيش البوسني للتحرك و الاستعانة بالمتطوعين الذين شاركوا في فك الحصار عن القوات الحكومية، و مع ذلك لم يسلموا من مؤامرات الحكومة البوسنية اذ ارسل الجنرال انور حجي حسنوفيتش خطابا في اليوم

---

[١] قامت قيادة الكتيبة بعد الحادث بخطف بعض سكان مدينة ترافنك من الكروات الذين يعيشون وسط المسلمين لاستبدالهم بالجثث و المترجم البوسني الجريح و... سيارة الدفع الرباعي الاثيرة الى قلب القيادة.

التـالي لقائـد الجـيش يتـذمر فيـه مـن "اسـاليب الحـرب غـير التقليديـة الخارجـة عـن معاهـدة جنيـف الـتي يتبعهـا اعضـاء كتيبـة المجاهـدين و الـتي قـد تسـبب اذى فـادح لجمهوريـة البوسـنة." كانـت هـذه المـذكرات تـدبج في وقـت كـان يخشـى ان يسـتطيع الصـرب في خـلال دقـائق اجتيـاح العاصـمة و اسـر بيغـوفتش و القضـاء علـى الدولـة الجديـدة لـولا صـمود وسـط البوسـنة و المتطـوعين و مـن التـف حـولهم في جبـال وسـط البوسـنة. و في موضـع اخـر كـان الجنـرال سـتيفن سـيبر الكـاثوليكي نائـب وزيـر دفـاع البوسـنة يناشـد الـرئيس علياعزت ووزيـر الـدفاع الانتقـال فـورا لوسـط البوسـنة لـردع مـا اسمـاه "بفرقـة المـوت" التابعـة لكتيبـة المجاهـدين عـن قتـل مسـلحي جـيش كـروات البوسـنة الـذين اثبتـت الوثـائق الرسميـة قيـامهم بتسـليم مـواقعهم المحيطـة بترافنيـك بوسـط البوسـنة الى الصـرب وقتـها ممـا كـان يمكـن ان يعـرض وسـط البوسـنة نـواة الجمهوريـة للضـياع لـو ان الصـرب كانـت لهـم الارادة السياسـية او القـوة العسـكرية لاسـتغلال تلـك الفرصـة. ثبـت ان الكـروات كـانوا يقومـون بتـهجير قـرى بأكملـها عـن طريـق تحـذيرهم بـأن "المجاهـدين" علـى وشـك اجتيـاح المنطقـة فيمـا كانـت الكتيبـة في الواقـع علـى بعـد اكثـر مـن مائـة كيلـومتر و لا نيـة لهـا في التوجـه لـذاك المكـان. كـان الكـروات يقومـون بـذلك لتركيـز تجمعـاتهم السـكانية المتنـاثرة وسـط قـرى المسـلمين في وحـدات يسـهل الـدفاع عنـها . فضـلا عـن ذلـك ثبـت ان الكـروات كـانوا ينسـقون هجمـاتهم علـى المسـلمين مـع الصـرب و يحـافظون علـى علاقـات وديـة تجاريـة معهـم في المنـاطق الـتي يرابطـون فيهـا ازاء الصـرب. كانـت هجمـات وسـط البوسـنة الكرواتيـة في منتصـف ١٩٩٣منسـقة لتتـزامن مـع هجـوم صـربي كـبير علـى سـرايفو كانـت نتيجتـه المتوقعـة تقسـيم العاصـمة ثـم سـقوطها و لكنـه فشـل. كمـا ثبـت ان سـرايا دبابـات

صربية باكملها كانت تعبر الاراضي الكرواتية في جيب جيبشا الكرواتي فيما كان الكروات في الجيب المذكور يبعثون بجنودهم الجرحى نتيجة القتال مع المسلمين للعلاج في مستشفيات بانيا لوكا عاصمة صرب البوسنة المدينة الكبرى الاقرب لهم كما كان الصرب في المناطق المحيطة بسرايفو يؤجرون دباباتهم باليومية للكروات ليقاتلوا بها المسلمين ثم يعيدونها لهم .لم يكن العداء الصربي الكرواتي بنفس درجة العداء الصربي للمسلمين، و في حالات معينة استسلمت وحدات صربية بكامل اسلحتها للكروات كما جرى للفرقة الثانية و الثلاثين في مدينة فارازدين عام ١٩٩١ التى سلمت الكروات اكثر من مائة و خمسين دبابة فيما لم يغنم المسلمون من الصرب في اول سنة من الحرب الا دبابة واحدة تقريبا .

كان جزء من فشل البوسنيين في التصدي للكروات راجع لميوعتهم العقائدية و فسادهم المالي حتى ان البوسنيون في بعض الحالات اجاروا الجنود الكروات الفارين من مطاردة متطوعو الكتيبة مما ادى لنزاعات بين المتطوعين و البوسنيين بمن فيهم اقرب البوسنيين للمتطوعين وهم بوسنيو قرية مهوريشي. و في حالة اخرى تحالف القرويون البوسنيون و جنود الكروات المنهزمين في وجه مطاردي الكروات من متطوعو الكتيبة مما ادى بافراد الكتيبة لإسر البوسنيين و حلفاءهم الكروات كما حدث في قرية مليتيتش في الشهر الرابع من ١٩٩٣ ووضعوا الاسرى المسلمين و النصارى سويا في مكان احتجاز واحد في معسكر الكتيبة بسافشا كوشي (مهوريشي) .

تـولى القيـادة العسـكرية بعـد مقتـل وحـي الـدين زميـل لـه ذو خلفيـة مشـابهة مـن الجماعـة الصـعيدية كـان محاميـا بمصـر يـدعى معتـز فيمـا كـان القائـد العـام الصـوري هـو ابـو الحـارث الليـبي الطبيـب بالنمسـا سـابقا . اسـتانف معتـز محـاولات اسـترداد مدينـة فيتـز الـتي اسـتولى عليهـا الكـروات في وسـط البوسـنة بعـد طـرد سـكانها المسـلمين. فشـلت المحـاولات و اسـتمر مسلسـل "الانحيـازات" و احكـم الكـروات سـيطرتهم علـى جيـوب اسـتراتيجية في وسـط البوسـنة .في عهـد معتـز بـدأ يتكـرس الانقسـام بـين العـاملين معـه في الكتيبـة الاسـلامية و آخـرين معظمهـم مـن الخلـيج تحـت امـرة ابـو الـزبير الحـائلي. لم يكـن للانشـقاق اي دوافـع عقائديـة اذ كـان الطرفـان يعمـلان تحـت امـرة الحكومـة البوسـنية اللادينيـة و يشـاركان في نفـس العمليـات تقريبـا ، كانـت الـدوافع غالبـا تتعلـق بالرغبـة في الاسـتحواذ علـى الامـارة حيـث كـان ابـو الـزبير يحلـم بـان يصـير بـن لادن البوسـنة و هـو مـا لم يكـن رجـال الجماعـة الصـعيدية مسـتعدين لتقبلـه. فضـلا عـن ذلـك كـان قـرب العهـد بحـرب الخلـيج و معـايرة بعـض المتطـوعين للسـعوديين ذوي الميـول الحكوميـة بحمايـة نسـاء المـارينز لهـم و ان مرجعيـاتهم الدينيـة هـم مـن مشـايخ المباحـث تسـتفز القـوميين مـن تلـك المجموعـة و تنفـرهم مـن الاخـتلاط بـالعرب الآخـرين. ادت هـذه المآخـذ الـتي روج لهـا ابـو الـزبير الى توقـف التبرعـات الواصـلة مـن الخلـيج الى الكتيبـة ممـا دعـا قيـادة الكتيبـة لتسـليم بعـض المسـؤوليات للسـعوديين المنخـرطين فيهـا و منـع افـراد الكتيبـة مـن انتقـاد حكـام الخلـيج و هيئـة كبـار العلمـاء السـعودية كمـا ارسـل ابـو المعـالي رسـالة الى بعـض كبـار الشخصـيات بـالخليج يفنـد فيهـا الادعـاءات المضـادة و ووقـع عليهـا افـراد الكتيبـة السـعوديون و الخليجيـون لاثبـات تنـوع قيادتهـا .و في نفـس المرحلـة اذاع ابـو المعـالي مكالمـة مسـجلة تمـت

بينه و بين مشايخ كبار بالمملكة نقلوا له فيها اسباب توقف التبرعات و منها سيطرة الجماعة الاسلامية الصعيدية المتهمة باعتناق عقيدة الخوارج (على رئيس مصر) على قيادة الكتيبة و عمل الكتيبة تحت قيادة اركان بوسنية تضم كثيرا من شيوعيو الجيش الصربي السابقين. لم تكن هذه الانتقادات الا وسيلة ضغط و تغطية للرغبات الحقيقية للشيخ الكبير كما تفعل الولايات المتحدة و الغرب احيانا من التشنيع على احدى الدول العربية في كل المحافل بسوء معاملة معارضيها و قتلهم في السجون ثم تنتهي الحملة بدون حل المشكلة الاساسية عندما تسمح هذه الدولة للكنائس الغربية بممارسة التنصير او تتعاون مع الغرب في "مكافحة الارهاب الاسلامي" . كانت هذه هي حقيقة الامر لان تعليمات الشيخ الكبير و ما يتبعها من آراء للمشايخ و كثير من المتبرعين بالاموال كانت تقضي بالعمل مع القيادة المعتمدة اميركيا و على راسها بيغوفيتش بمن فيها من شيوعيين و نصارى و يهود و السمع و الطاعة له و لم يكن هناك اي توجه لدفع المتطوعين لانشاء دولة اسلامية مستقلة في اوروبا و قد اذاع قيادات الكتيبة مرسوم فتوى اصدرها الشيخ السعودي الحكومي ابن العثيمين تجيز القتال في حالة الدفع تحت راية جاهلية غير اسلامية من شيوعية او علمانية لادينية مما يعني بنفس المنطق جواز" الجهاد" تحت قيادة نصرانية او اميركية. فضلا عن ذلك كان الشيخ الكبير يفضل ان يتولى القيادة ابناء احد السابقين الاولين من شهدوا المشاهد مع ابو كيم اللوطي و لورانس بدلا من ابناء الشعوب العربية المشكوك في ولائها التي قاتلت بريطانيا و اباه و حاولت منع قيام امارة السعودية الانفصالية.

في تلك الفترة ابرمت الحكومة البوسنية اتفاقات تعاون عسكري مع الكروات كما تنازلت عن اي ادعاءات او مظاهر قد تؤدي لوصف حكم بيغوفيتش بالاصولية. تزايد مستوى التنسيق مع الدول الغربية و صارت قوات الامم المتحدة تحكم البلاد . كما امر مجلس الامن قوات الامم المتحدة بنقل كبار ضباط الجيش البوسني الجديد على متن مصفحات الامم المتحدة ذات الحصانة عبر الطوق الصربي خارج سرايفو كي يستطيعوا السيطرة على الوحدات البوسنية المسلحة خارج العاصمة و التي كانت تعمل بشكل شبه مستقل و تتجه في اتجاهات شبه اسلامية بعدما رأت نجاح كتيبة المجاهدين. لم يكن لوجود جيش الامم المتحدة حاجة خاصة و ان عجلة الهجوم الصربي كانت قد توقفت و لم يكن الفضل لذلك يرجع للامم المتحدة. كان الصرب مع الكروات قد استولوا على ثلاث ارباع البوسنة و تركوا المسلمين محصورين في وسط البوسنة الجبلي بالاضافة لاربعة جيوب صغيرة اثنان منها في الشرق هما بلدية سربرينتسا و مدينة جيبا وواحد في الجنوب هي مدينة غوراشدة و واحد في الشمال هو جيب بيهاتش. قام بيغوفيتش في صيف ١٩٩٣ باحلال الجنرال راسم ديليتش القائد السابق لادارة التدريب ثم الفيلق الثالث (وسط البوسنة و الكتيبة) قائدا لجيش البوسنة عوضا عن الجنرال سفر خليلوفيتش الذي اختلف مع بيغوفيتش على ادارته للحرب و توقيعه على اتفاق فانس–اوين لتقسيم البوسنة فارسلت الحكومة البوسنية من استهدف منزله بقنبلة مما اسفر عن مقتل زوجته و صهره. عرف القائد الجديد الجنرال ديليتش –الذي سيستمر قائدا للجيش طوال فترة الحرب– بسهراته الحمراء و عربدته في حانات فيسوكو التي كانت موضع همسات الجنود و الضباط

البوسنيين و تقارير المخابرات الحربية التي اصدرها الجنرال فكرت مسلموفيتش. من ضمن الشائعات التي دارت حول شخصية ديليتش انه اسر في بداية الحرب على يد قوات البيريهات الخضراء المسلمة و هو يقاتل ضدهم في صفوف الصرب. كان هذا واردا خاصة ان كثيرا من الضباط المسلمين في الجيش الصربي شاركوا في الحرب الصربية ضد الكروات قبل و بعد اعلان البوسنة استقلالها. كما تردد ايضا ان الجنرال ستيفن شيبر الكرواتي هو من زكى ديليتش لقيادة الجيش عند علياعزت مما يجعل ديليتش رجل الكروات، و بالفعل لم تقع اي عمليات ضد الكروات بعد تعيينه بل سادت علاقات جيدة تميزت بتغاضي الجيش البوسني عن اعتداءات الكروات و التهامهم لاراضي البوسنة. بعد اقالة خليلوفيتش عين قائدا للاركان ثم عين قائدا للتفتيش و مسؤولا عن عملية نيريتفا لتحرير وسط البوسنة من الغزاة الكروات و لكن بيغوفيتش امر بوقف العملية في بدايتها بعد ان احتج الكروات و حلفائهم على مقتل مدنيين كروات بأيدي القوات الحكومية. كانت اقالة خليلوفيتش جزءا من حملة لطرد شخصيات من الحرس القديم ذات الاتجاه المستقل عن توجهات الرئاسة بخصوص الموافقة على تقسيم البوسنة و التعامل مع للكروات، كما كان للامر علاقة بتوجيهات غربية لبيغوفيتش بالتصدي لاستقلال بعض وحدات الجيش البوسني و معاقبة قادتها المتهمين بقتل صرب و كروات في ضواحي سرايفو و تسخيرهم في اعمال عسكرية للجيش البوسني مما اسفر عن شن الجيش البوسني لعمليات ضد تلك الوحدات بأمر بيغوفيتش و قتل قادتها المتهمين بالتعدي على النصارى.

بـــرز الى العلـــن في تلـــك الفـــترة الـــدور الايرانـــي؛ يقـــال ان خلفيـــة العلاقـــة ترجـــع الى حقيقـــة ان الجهـــة الاســـلامية الرسميـــة الوحيـــدة الـــتي ســـاعدت اســـرة بيغـــوفيتش اثنـــاء اعتقالـــه في الثمانينيـــات كانـــت الســـفارة الايرانيـــة في يوغوســـلافيا . ادى ذلـــك بحســـب بعـــض الاقـــوال الي اعتنـــاق زوجتـــه لمـــذهب الـــروافض ، كمـــا ان ابنـــه – احـــد اهـــم مســـاعديه الامنـــيين اثنـــاء حكمـــه- هـــو "بـــاقر بيغـــوفيتش" اثنـــاء زياراتـــه لايـــران و "بكـــر" بالنســـبة للمجاهـــدين العـــرب. بغـــض النظـــر عـــن حقيقـــة الوضـــع الا انـــه مـــن المؤكـــد ان عليـــا عـــزت فـــتح البـــاب بـــلا تحفـــظ للحـــرس الثـــوري الايرانـــي ابـــان حـــرب البوســـنة و انتشـــرت صـــور الخمـــيني و خـــامنئي علـــى اعمـــدة الاضـــاءة في مدينـــة زينتســـا[١] البوســـنية الكـــبيرة كمـــا سمـــح لهـــم بالدعايـــة لعقيـــدتهم و تـــدريب بعـــض وحـــدات الجـــيش مثـــل اللـــواء المســـلم الســـابع المتمركـــز في زينتســـا و ترافنـــك بقيـــادة محمـــود كـــاراليتش حليـــف كتيبـــة المجاهـــدين. كـــان الامـــر مقلقـــا بـــالنظر لجهـــل البوســـنيين التـــام بالاســـلام الســـني الـــذي ورثـــوه عـــن اجـــدادهم او اي نـــوع آخـــر مـــن الاســـلام. لم يضـــيع رجـــال الحـــرس الثـــوري و حـــزب الله الوافـــدين علـــى البوســـنة وقتـــا في جبـــهات القتـــال و انخرطـــوا في زواج المتعـــة بـــاكبر عـــدد مـــن فتيـــات البوســـنة المعـــدمات في تلـــك الايـــام. شملـــت انشـــطتهم ايضـــا توزيـــع صـــور الخمـــيني و مؤلفاتـــه علـــى البوســـنيين الـــذين لم يكـــن اكثـــرهم يعـــرف قـــراءة الفاتحـــة. اخفـــق الـــدعاة العـــرب بالبوســـنة في التصـــدي للـــدعاة الـــروافض لأنهـــم كـــانوا يحظـــون بحمايـــة بيغـــوفيتش و كبـــار رجـــال الدولـــة و الجـــيش مثـــل آل تشـــنغيتش و جمـــال مـــردان و عمـــر بهمـــن الـــذين ارتبطـــوا بعلاقـــات قويـــة

[١] زينتسا: احد اكبر المدن البوسنية التي لم تسقط في يد الصرب اثناء الحرب.

بـايران و توالـت رحلاتهـم مـن و الى طهـران طيلـة سـنوات الحـرب. و لسـبب مـا اعطـت الحكومـة الاميركيـة للحكومـة الكرواتيـة ضـوءا اخضـر لمـرور شـحنات الاسـلحة الفرديـة الايرانيـة عـبر اراضـي كرواتيـا الى البوسنة.

ضـمت منـاطق الجيـوب المحاصـرة الاربـع اللاجـئين مـن المنـاطق المحيطـة الـتي سـقطت بيـد الصـرب. اسـتمات المسـلمين في تلـك الجيـوب في الـدفاع عـن انفسـهم في وجـه حصـار مميـت منـع عنـهم السـلاح و الـدواء و الاطعمـة. غـنم المسـلمين سـلاحا مـن عـدوهم بخسـائر فادحـة في الارواح لدرجـة ان احـد القـادة العسـكريين في جيـب سربرنيتسـا ذكـر ان عشـرة مـن المسـلمين قتلـوا مـن اجـل الاسـتيلاء علـى بندقيـة واحـدة مـن الصـرب. في بدايـة الحـرب اسـتولى الصـرب علـى سربرينتسـا لايـام ثـم اسـتعادها منـهم المسـلمين بقيـادة ناصـر اوريـتش. و مـع هزالـة تلـك المقاومـة مقارنـة بالصـرب المسـلحين بترسـانة الجـيش اليوغسـلافي الا انهـم لم يسـتطيعوا كسـرها. كـان الصـرب قـد اسـتولوا علـى اراضـي اكثـر ممـا يسـتطيعون الـدفاع عنـها كمـا لم يكونـوا مسـتعدين لمواجهـة خصـوم مسـلحين و لـو بتسـليح بسـيط و ادى نقـص القـوى البشـرية لـديهم الى اسـتخدام مجموعـات مـن المسـلمين المخطـوفين مـن المـدن المحتلـة في حفـر الخنـادق و التحصـينات و القتـال علـى الخـط الامـامي احيانـا و اسموهـا سـرايا العمـل. كانـت كـثيرا مـن انتصـارات الصـرب تتحقـق علـى يـد ميليشـيات غـير نظاميـة مكونـة مـن جنـود شـرطة صـرب يتسـلطون علـى جيرانهـم المسـلمين العـزل. كمـا انـه لم يكـن واردا احـتلال البوسـنة باكملـها لان ذلـك كـان سـيتطلب قتـل كـل السـكان

او التسبب في موجات هجرة الى دول الاتحاد الاوروبي المجاورة تقدر بمليوني مسلم و هو ما حذر منه الاتحاد الاوروبي و مجلس الامن. كانت سربرينتسا اكبر تلك الجيوب و اكثرها استعدادا للقتال و لكن موقعها جعل الدفاع عنها صعبا حيث كانت تقع باقصى شرق البوسنة على الحدود الصربية و يفصلها اكثر من مائة كيلومتر عن مواقع الجيش البوسني. كان تحرير سربرينتسا و ربطها بالاراضي البوسنية يعني تقسيم جمهورية صرب البوسنة الى قسمين كما كان قطع ممر بوسافينا الشمالي ذي الكيلومترين عند مدينة برتشكو سيقسم تلك الجمهورية مرة اخرى الى ثلاثة اقسام مما يعني انهيارها لذلك اهتم الصرب بخنق سربرينتسا و جارتها جيبا . كانت الامم المتحدة تبرر وجودها في البوسنة برغم انحيازها الواضح للصرب و اتجارها في الفتيات المسلمات الاسيرات بالسماح بمرور كميات ضئيلة من الغذاء للمحاصرين تكفي بالكاد لابقائهم احياء . في صفقة اخرى عرضت الامم المتحدة اعتبار المناطق المحاصرة مناطق محمية "آمنة" على شريطة ان يسلم المسلمين فيها ما بقي من سلاحهم الهزيل، و بالفعل سلم المسلمون اليائسون كثيرا من سلاحهم بما فيه السلاح الفردي و بنادق الصيد . كان الكل يعلم قيمة حماية الامم المتحدة ففي اكثر من واقعة قتل المسلمون امام اعين جنود الامم المتحدة السعداء و في حادثة مشهورة وقفت قافلة من مصفحات الكتيبة الفرنسية في نقطة تفتيش صربية و فتحت باب المصفحة لكي يستطيع بضعة جنود صرب قتل حقيا توراليتش نائب رئيس الوزراء البوسني الذي كان عائدا من المطار مطمئنا لحماية الامم المتحدة و لم يفعل الجنود الفرنسيون شيئا لمنع الهجوم او محاولة القبض على الفاعل برغم استطاعتهم. كان الوزير البوسني يومها

عائدا من مطار سرايفو حيث التقى وزير دولة تركي جلب معه شحنة معونات انسانية من الشعب التركي و لعل فرنسا صديقة الصرب ارادت ان توضح للبوسنيين ان التعامل مع الدول الاسلامية سيضر اكثر مما ينفع. كانت لكل دولة ذات قوات في الامم للمتحدة مواقفها المؤذية تجاه البوسنيين و خاصة فرنسا، فكما سلف فقد ارجع البعض مسؤولية حصار البوسنة الجوي و سيطرة الصرب على محيط المطار الى رحلة فرانسوا ميتران المشبوهة لسرايفو عندما اوشك البوسنييون ان يطهروا محيط المطار من القوات الصربية. بالقطع لم يكن ميتران صديقا للمسلمين فهو الرجل الذي ينسب اليه قتل ما يقرب من ربع مليون مسلم جزائري خلال حملة "مكافحة الارهاب" التي اضطلع بها كوزير داخلية فرنسا ابان احتلال الجزائر. كما نسب البعض تواطؤ فرنسا المريب مع الصرب الى العلاقات التاريخية التي نبتت بين الشعبين اثناء مقاومة الاحتلال النازي و هي تبريرات فجة بالنظر الى ان فرنسا كانت في اغلبها متعاونة مع النازية على خلاف الصرب. في حقيقة الامر كانت القيادة الفرنسية تنظر الى الوجود الاسلامي البوسنوي على انه خطر داهم على امن فرنسا القومي رغم ان ثلاث دول و جبال الالب تفصل بين فرنسا و الشعب البوسني المشرد. كان هذا نفس شعور اعضاء الكتيبة الايطالية و الاسبانية و الهولندية، كانت كل طائفة مهما بعدت بلادها عن البوسنة تنظر بهلع و كراهية للبوسنيين على انهم التتار الجدد الذين سيكتسحون اوروبا.

قـــرر مســؤولو الكتيبــة جمـع اكـبر عــدد مــن المتطــوعين بغـض النظـر عــن انتمــاءهم او عقائــدهم و بخاصــة المتطــوعين الخليجــيين بســبب الدعايــة الجيــدة الــتي تنــتج عــن وجــودهم في جبهــة مــا مــن جهــة جلــب التبرعــات. في عهــد وحــي الــدين كــان يكفــي حضــور المتطــوع الخليجــي حــاملا حقيبــة مليئــة بالمــال لكــي يــولى مركــزا قياديــا بمــا لا يخــل بســيطرة الجماعــة الصــعيدية، و في حالــة معينــة عــين وحــي الــدين ضــابط شــرطة خليجــي مســؤولا للــدعوة و التثقيــف لانــه حضــر الى البوســنة حــاملا حقيبــة تحــوي مبلغــا ماليــا مــن صــدقات المســلمين بــبلادهم. كــان مثــل هــذا الامــر في افغانســتان ســيعرض ضــابط الشــرطة الخليجــي اذا اكتشــف امــره للطــرد ووحــي الــدين للعــزل بصــفته مخترقــا و عمــيلا لمخــابرات تلــك الدولــة. لم يكــن الامــر مجــرد هــواجس و نظريــات مــؤامرة فقــد كانــت اجهــزة المخــابرات العربيــة تتنــافس في الســيطرة علــى تلــك التجمعــات و قــد نجحــوا في احيــان كــثيرة في اختراقهــا اختراقــا واســعا بــل و الســيطرة التامــة علــى تلــك الجبــهات في اغلــب الاحيــان. كانــت كــثير مــن الجبــهات و المعســكرات الناشــئة تواجــه مشــاكل تمويليــة بســبب الحصــار و كانــت ســيارتي دفــع ربــاعي للامــير و مســاعده و حقيبــة مــن المــال تكفــي لضــمان اســتجابة الامــير لطلبــات الجهــة المانحــة لفــترة ايجاريــة معينــة. ولضــمان اســتمرار تــدفق ذلــك المــدد قــررت قيــادة الكتيبــة الالتــزام بضــوابط الشــيخ تركــي الكــبير للجهــاد المعاصــر بجــذافيرها بــل و المبالغــة في ذلــك احيانــا، فعلــى خــلاف الجبهــة الافغانيــة الــتي كــان كــثير مــن روادهــا معارضــين لــبلادهم و يــرون في ســب الانظمــة الحاكمــة في بــلاد الاســلام عمــلا يقــربهم الى الله قــررت قيــادة الكتيبــة منــع انتقــاد الانظمــة الخليجيــة و مؤسســاتها الدينيــة الرسميــة تحــت طائلــة الطــرد حرصــا علــى "شــعور الاخــوة الخليجــيين" و ان لم تمنــع

سب و لعن انظمة عربية اخرى لم يكن لديها ما تقدمه لادارة الكتيبة. لم تكن هذه اول مرة تفرض المخابرات السعودية شروطها لتمويل الجبهات فقد سبق ذلك حوادث اخرى في افغانستان حيث كانت ترسل مشايخ سعوديين في مهام للاشراف على "سلامة عقائد" القائمين على الجبهات و احقيتهم في حصة من تبرعات "مملكة التوحيد".

تسببت هذه السياسات في وصول اعداد كبيرة من ضباط و جنود الشرطة و الجيش الخليجيين للجبهة وصلت نسبتهم الى ربع عدد المتطوعين تقريبا في بعض الاحيان. اعطى هذا العدد الكبير من منتسبي الاجهزة الامنية الخليجية الساحة البوسنوية وجها اخر يخالف الساحة الافغانية التي سبقتها و اماكن اخرى نشطت فيها الجماعات الاسلامية المسلحة. كان اولئك الافراد بطبيعة عملهم ابناء مخلصين للدولة القطرية كما رسمها سايكس بيكو و كانت احلام الخلافة العالمية و الجهاد الاممي تعني ضمنا في فهمهم الخروج على الحكام و التورط في مؤامرات غير شرعية بحسب القوانين القائمين على تطبيقها في بلادهم، فضلا عن ذلك كان كثيرا من اولئك المتطوعين ابناء و احفاد العملاء المتعاونين الذين قاتلوا الى جانب بريطانيا في بداية القرن العشرين لتفتيت الامة الاسلامية و انشاء دويلات اعرابية. كما اختلف هؤلاء عن متطوعي افغانستان ان كثيرا من الاخرين كانوا ذوي مشروع سياسي و منهم من هاجر بغرض اقامة دولة اسلامية بافغانستان، اما متطوعو الجيوش الخليجية بالبوسنة فكان افقهم محدودا بمدة الاجازة بلا راتب التي منحوها بالاضافة لاعتبار بعضهم دولهم تجسيدا للدولة الاسلامية المنشودة و لم يكن لكثير منهم مشاريع اصلا خلاف انقاذ الفتيات المسلمات

الاوروبيات اللاتي عرضت الصحف صورهن ثم الرحيل فور الزواج بواحدة منهن، او انتهاء العمليات الحربية، او انتهاء مدة الاجازة ايهم اقرب. فضلا عن الاثر المباشر الذي احدثه وجود هؤلاء اسفر وجودهم بصورة غير مباشرة عن بث روح الحذر في نفوس مواطنيهم من التحدث في الامور السياسية. و نظرا للطبيعة العشائرية و العصبية التي تغلب على المتطوعين الخليجيين فقد كان اكثرهم حذرين من اخذ اي جانب غير جانب مواطنيهم او اغضابهم بسبب اي خلاف عقائدي حتى لا يؤاخذوا بذلك عندما يعودوا لبلدانهم و وظائفهم الحكومية. بالاضافة الى هذه النوعية التي كانت محصورة في افغانستان في معسكرات بن لادن اغرق انور شعبان الجبهة بمغاربيو ايطاليا . لم يكن لاكثر هؤلاء فكرة عن الدين الاسلامي و دقائق الحركة الاسلامية فضلا عن عمومياتها و لكن تم جلبهم لان المعتاد ان القائمين على الجبهات الاكبر يحصلون على تبرعات اكثر. كانت المخابرات الايطالية راضية و هي ترى انور شعبان يجمع من تعتبرهم مشاغبين و لصوصا و مهاجرين غير شرعيين في حافلات تجتاز الحدود بعيدا عن الاراضي الايطالية الى حيث يتكفل الصرب بالقضاء عليهم.

قررت قيادة الكتيبة ايضا ان الاعتماد على المتطوعين الوافدين لا يكفي لتحقيق اهدافها و كان لابد من جذب البوسنيين للعمل معها، كانت سمعة الكتيبة جيدة في الاوساط الاسلامية و الراتب الذي تدفعه افضل من الجيش الحكومي فلم تكن هناك حاجة للقيام بجهود شاق لتجنيد البوسنيين الذين

توافدوا بكميات كبيرة و كان من المنتظر ان يبلغ عددهم الالاف لولا اصدار الجنرال صاقب محمولين قائد الفيلق الثالث امرا في نهاية ١٩٩٤ بناء على تعليمات بيغوفيتش بمنع التحاق البوسنيين بالكتيبة تحت طائلة اعتبارهم فارين من الخدمة و ارساله الشرطة العسكرية لاعتقال من يخالف الأمر. تبع ذلك اصدار قيادة الجيش البوسني قرارا في نهاية ابريل ١٩٩٥ قبل انتهاء الحرب بسبعة اشهر "بتحجيم عدد الجنود المنخرطين في الكتيبة و منعها من تجنيد افراد اخرين من داخل البلاد و خارجها ."حاول انور شعبان مقابلة بيغوفيتش لإلغاء الأمر و نجح بصعوبة في منتصف ١٩٩٥ بعد هجمات سربرينتسا عندما ايقن بيغوفيتش ان استمرار اطاعته لأوامر المخابرات الغربية ستؤدي الى ابادة قومه و تعريضه لانقلاب لعدم قدرته على ادارة الحرب. سمح حينها باستيعاب بعض البوسنيين في الكتيبة للمشاركة في العمليات المنتظرة. كان امر منع التحاق البوسنيين بالكتيبة بادرة غدر و اشارة حقيقية لما يدور في ذهن بيغوفيتش، فعلى خلاف المجندين في الوحدات الأخرى لم يكن مجندو الكتيبة يكلفون الحكومة البوسنية المفلسة درهما واحدا . فضلا عن ذلك كانت الكتيبة بمعنوياتها العالية مقارنة ببقية وحدات الجيش و بفضل طبيعتها التطوعية من اندر وحدات الجيش فرارا و اكثرها اعتمادية في العمليات و هو الأمر الذي يحلم به أي قائد يواجه شعبه خطر الإبادة، و لكن حقيقة الأمر ان بيغوفيتش كان كمعظم حكام المسلمين يظن ان الموت و الحياة بيد اميركا و يستخدم المجاهدين كفزاعة يبتز بها اميركا عندما تخذله. سبق قرار الجنرال محمولين في ١٩٩٤ صدور مرسوم في منتصف ١٩٩٣من الجنرال راسم دليتش قائد الجيش يفيد "بانخراط مجموعة من المتطوعين

الاجانب و بعض البوسنيين المتمركزين في منطقة زينتسا فيما يسمى وحدة حرب عصابات و بغرض تركيز جهودهم في صراعنا نأمر بارسال هذه المجموعات الى جبل ايغمان و الحاقهم بوحدة زوكيتش المستقلة التابعة للقيادة و ان لم يستجيبوا تسحب منهم الضيافة (يطردون) و ينزع سلاحهم". كان قرار ديليتش الذي اقره بيغوفيتش استجابة لشكاوى ارسلها الجنرال انور حجي حسنوفيتش[1] قائد الفيلق الثالث المتمركز بزينتسا الذي يعمل المتطوعون تحت قيادته الى قيادة الجيش بسرايفو طالبا منها حل مشكلة "وجود الاجانب" في منطقته احتجاجا منه على محاولتهم احراق كنيسة كوتشا غورا التي اعتصم بها جنود ميليشيا الكروات. من ناحية أخرى كان عنف رد فعل بيغوفيتش و راسم ديليتش رجل الكروات في الحكومة البوسنية ناتجا من الضغط الكرواتي و الغربي على الرئاسة. كان الغرب غاضبا لفشل الهجوم الكرواتي في وسط البوسنة الذي كاد ينهي الحرب، و هو الفشل الذي عزاه القادة الكروات بكثير من المبالغة لوجود المتطوعين الاجانب "المتوحشين" المدججين بالسلاح مقابلهم على اهم مفاصل المواجهة. عندما تأخر الجنرال حجي حسنوفيتش في تنفيذ القرار حاول رئيس اركان الجيش سفر خليلوفيتش حثه على تنفيذه و نزع سلاح المتطوعين و لكن حسنوفيتش تلكأ الى ان مرت العاصفة. لم يعلم المتطوعين بتلك المراسلات و لو ان عددا منهم انتقل لإيغمان حيث كانت

---

[1] سلمته الحكومة البوسنية الى محكمة جرائم الحرب في لاهاي حيث حكم عليه بثلاث سنوات و نصف لتقاعسه عن قتال جنود كتيبة المجاهدين لحملهم على الافراج عن رهائن صرب و كروات كانوا محتجزين لديهم في اواسط ١٩٩٣، فيما حوكم نظيره الكرواتي تيهومير بلاسكيتش عن حرق مئات القرويين المسلمين و نسائهم و اطفالهم داخل منازلهم و حكم عليه بتسع سنوات لم يقضها و افرج عنه لحسن سيره و سلوكه.

احد الجبهات الاصعب المحيطة بسرايفو و كان الجيش البوسني الضعيف مترددا في الحفاظ عليها لفداحة الخسائر هناك.

على صعيد القضايا المثارة في الجبهة كانت قضية السبي احد نقاط الخلاف، فقد وصل كثير من المتطوعين و هم يمنون انفسهم باحياء سنن الجهاد الميتة من غنائم و سبي ان لم يكن ابتداء فليكن ردا على افعال الصرب بالمسلمات. وضحت قيادة الكتيبة وابو الزبير على الطرف الآخر ان الجهاد على مذهب الشيخ الكبير لا سبي فيه كموقعة الجمل، و لكن بما ان القوات الصربية و الكرواتية ضمت نساء فقد جرى العرف ان تسلم الكتيبة السبايا للقوات البوسنية التي كانت تقوم بمواقعتهن في التو بالنيابة عن جنود الكتيبة و على مرأى منهم.

بالنسبة لكتيبة المجاهدين ضمنت القيادة المكونة من اعضاء الجماعة الصعيدية سيطرتها على الوضع فبدأت ترسي سياسات اقصاء المخالفين، كان التعامل ببرود مع المخالفين اول خطوة تتخذ مع المغضوب عليه. و قد كانت هذه الخطوة مع الشكوك التي تنتاب المتطوعين الجدد ازاء التزام الكتيبة العقائدي تؤدي بكثير من المتطوعين الى الرحيل بعد اقل من بضعة ايام من وصولهم. كانت المرحلة الثانية في التعامل تصل الى الطرد و التجويع. كان شتاء البوسنة جليديا قارسا و فاقم الحصار الاقتصادي من شدته فبلغت الامور حد المجاعة و كانت السلع الغذائية المتوفرة بالاسواق تباع باسعار

خيالية، تبعا لذلك كان طرد المتطوعين مع انقطاع سبلهم للرحيل الى خارج البوسنة يعني بالضرورة الموت جوعا . و قد وقع حادث ذي مغزى لبعض المتطوعين الجزائريين اللذين اختلفوا مع منهج الكتيبة و انتقلوا للاقامة في زينتسا لحين رحيلهم. و على ما يبدو فان مطعم الجيش البوسني منع عنهم الوجبات بامر امير اللواء محمود افندي كاراليتش فلما طلبا لقاءه للشكوى احتد النقاش فامر حرسه باطلاق النار عليهم و قتلهم و لم تنتطح في الامر شاتان و استمر المتطوعين الباقين في العمل مع قيادة نفس اللواء .

استخدمت تبريرات كثيرة لمثل تلك الوقائع فبينما كان تشويه الشخصيات امرا شائعا في افغانستان الا ان رجال الجماعة الصعيدية في الكتيبة اوصلوه الى مرحلة فريدة.و حيثما كان المغضوب عليه في افغانستان يتهم بانه"مرجئ" او "اشعري" او "تكفيري" او حتى عميل مخابرات اذا بالمغضوب عليهم في البوسنة و لاول مرة في الساحات الجهادية يتهمون بالزنا و اللواط و تعاطي المخدرات و الاتجار بها . كانت المرحلة النهائية في تلك السلسلة من الاجراءات هي تنفيذ الفتوى السرية بقتل "المرجفين" سرا اثناء وجودهم على خط النار، وترك تعريف الارجاف و تحديد المرجف لاعضاء مجلس شورى الكتيبة. و فيما تقوم بعض الجيوش الحديثة بتحليل مقذوفات لجثث قتلاها لمعرفة ضحايا النيران الصديقة من غيرها فإن تلك الوسائل لم تتاح لمتطوعو البوسنة كي يمكن الوصول لعدد المتطوعين العرب الذين اصابتهم رصاصة في ظهورهم على ايدي شرطة "مكافحة الارجاف" .

كانت شراسة قيادة الكتيبة مع مخالفيها نابعة من حرصها على الدوام في القيادة و بالنسبة لهم كان اتباع تعليمات الشيخ تركي الكبير و قيادة الجيش البوسني احد وسائل دوام تلك القيادة. لم تكتفي قيادة الكتيبة بطرد معارضيها و تشريدهم و ترك حلفاءها البوسنيون يقتلونهم بدون عقاب فحسب بل تعدت ذلك للهجوم العسكري المباشر عليهم، ففي احد الحالات قرر بعض المتطوعين التحرر من قيود الكتيبة و انشأوا معسكرا خاصا بهم فقامت الكتيبة بالهجوم عليهم و أسرهم و تدمير المعسكر. و في حالات اخرى اعترف بعض مسؤولو الكتيبة البوسنيين في محكمة جرائم الحرب الدولية ان الكتيبة ارشدت و ساعدت الشرطة العسكرية البوسنية في القبض على بعض العرب المخالفين. في احد المواقف اتصلت قيادة الكتيبة بالشرطة العسكرية البوسنية لتخبرها ان مجموعة ابو حمزة المنشقة في كوتشا غورا تعتزم التصدي لمسيرة الاحتفال الديني التي سيقيمها الكروات في الكاتدرائية الكبيرة بالقرية التي طالما وجهوا منها المذابح ضد قرى المسلمين المجاورة حتى اجلاهم المتطوعون منها . كما ساعدت قيادة الكتيبة وحدات الشرطة العسكرية التابعة للفرقة الثالثة في القبض على احد افراد مجموعة الزبير الذين نسب الى بعضهم تعنيف الصبية المتسافدين في الحدائق العامة و اطلاق اعيرة نارية في الهواء فوق رؤوس الفتيات اللائي يسبحن بلباس البحر في نهر البوسنة و تحطيم شواهد قبور نصرانية او يهودية و تحطيم زجاجات خمور بأيدي المارة في الشوارع.

على الصعيد العسكري العام اشتد التمرد في جيب بيهاتش الشمالي من قبل فكرت عبديتش احد اكبر رجال الاعمال المسلمين و شريك بيغوفيتش في تأسيس حزب العمل الديمقراطي. استعان عبديتش بالصرب في جهوده لهزيمة القوات الحكومية و اسس جمهورية بيهاتش ذات الحكم الذاتي و عاصمتها دائرته الانتخابية في فيلكا كلادوشا . و في سرايفو تمرد يوكا قائد اول فرق الدفاع عن المدينة و حاصر مقر رئاسة بيغوفيتش فولاه منصب قائد القوات الخاصة بالجيش البوسني الا انه عاد و طالب بمنصب قائد الفيلق الاول المسؤول عن سرايفو فرفضت قيادة الجيش مما دعاه للتحصن بمرتفعات ايغمان المطلة على العاصمة و بدأ يتحرش بالجيش الحكومي. بعد ذلك التحق مع بعض رجاله بقوات كروات البوسنة بمدينة موستار المقسمة و اشترك في الاغارة و قطع الطريق على المسلمين لفترة ثم قرر بعد اشهر التقاعد و الاقامة بكرواتيا التي استقبلته و لكن لم تسمح له و لحرسه الخاص حتى بحمل السلاح الفردي. من هناك انتقل لبلجيكا حيث عثر عليه قتيلا بصورة غامضة بنهاية الحرب. لم يشهد النصف الثاني من ١٩٩٣ الى بداية ١٩٩٥ اي تغير يذكر على الساحة العسكرية باستثناء ضياع الهرسك نهائيا لصالح كروات البوسنة بعد توقيع بيغوفيتش لاتفاقية واشنطن في مارس ١٩٩٤ و التي تحولت البلاد بموجبها الى فيدرالية بوسنية /كرواتية بالاضافة لاتفاقية ابتدائية لاتحاد كونفدرالي مع جمهورية كرواتيا .كان انبطاح عليا عزت بيغوفيتش امام طلبات الكروات عمالة غير مبررة للغرب لانه و ان كان الكروات يملكون منافذ البوسنة للخارج و طرق امدادها الا ان البوسنيين

كانوا يملكون ورقة ضغط هامة للغاية و هي الاقلية الكرواتية الكبيرة المحاصرة وسط البوسنة و التي لو عوملت بالمثل لكان مصيرها الابادة.

بعد تاكد الغرب من لادينية بيغوفيتش سمحت القوات الكرواتية التي كانت تفتش الحافلات بحثا عن طفل مسلم فيما مضى بعبور مئات المتطوعين لاراضيها للمساهمة في اشغال الصرب اللذين مزقت قواتهم كرواتيا الى اربع اجزاء. تولت جهات عديدة جمع المتطوعين و ارسالهم و لكن اكثرهم اسهاما كان انور شعبان شيخ المركز الاسلامي بميلانو. كان انور شعبان في الاصل احد اعضاء الجماعة الاسلامية الصعيدية فرع الاسكندرية، قبض عليه في حوادث ١٩٨١ و سجن لفترة بسيطة كما سافر لافغانستان ثم تركها و طلب اللجوء السياسي لايطاليا .بما ان اعضاء فرع الاسكندرية كانوا اعضاء من الدرجة الثانية في الجماعة فقد كان انتمائهم الفكري لها اقل نقاء حيث عرف عن انور شعبان اقامة علاقات تعاون مع السلفية و جماعة الجهاد و غيرهم على خلاف "الجماعجية" الاقحاح الذين يرون ان باقي الجماعات الموجودة على الساحة مبتدعة ينبغي تجنبهم. لم يبالي انور شعبان خاصة و قد ترسخ مركزه بايطاليا و اصبح لا يحتاج للجماعة بل و اصبحت الجماعة تخطب وده كما هو دأبها مع اي شخصية ذات نفع و ان لم يصل الحال الى ادخاله في زمرة قياديها .

كان المتطوعين الذين يرسلهم انور يعودون اليه محملين بالاستشارات و الاخبار عن الجبهة التي يديرها مجموعة من الشباب قليلو العلم و الخبرة. توافق استدعاء اتباعه في البوسنة له مع رغبته في ان يصير عبد الله عزام البوسنة و خلو الساحة من اي شخصية قيادية معروفة مع تزايد تفتيش الشرطة الايطالية لمركز ميلانو و اقترابها من القبض عليه في اطار الجهود الاوروبية لتفكيك شبكات دعم الجماعة المسلحة الجزائرية ليصنعا قراره بدخول البوسنة في نهاية ١٩٩٤ . كالعادة التقى الشيخ الكبير مع الخليفة بيغوفيتش و دبجت الاساطير عن ورع بيغوفيتش و ربما الزحف بقوات بيغوفيتش بعد النصر لاحتلال اوروبا . غالبا لا يتسبب امثال انور شعبان في اي تغير عقائدي ايجابي لدى من يقودونهم و جل ما ينجحون فيه هو الهاب حماسة المتطوعين الجدد للقتال باخلاص ضمن النظام القائم. بعد وصوله نحي الدكتور ابو الحارث و اجريت انتخابات لإختيار امير عام للكتيبة نجح فيها انور شعبان الا ان اعتراض بعض السعوديين الذين فطنوا لانتماءه للجماعة و تآمره مع اعضاءها المصريين الآخرين الذين كانوا يخفون انتماءهم ادت لإلغاء النتيجة. اتفق مجلس شورى الجماعة الصعيدية سرا وقتها على اختيار ابو المعالي الجزائري اميرا على الواجهة بشرط الا يبرم امرا بدون اذن انور لتهدئة السعوديين فيما تكون السلطة الحقيقية مع انور شعبان و معتز. ظل الصراع مستعرا تحت السطح و بلغ الامر في مرحلة لاحقة ان احد مسؤولي الكتيبة المدعو ابو دجانة المؤتمن على مخزن مؤنها قام بتسليم محتويات مخزن ترافنك الى ابو الزبير و دعا الى تغيير قيادة الكتيبة و وضعها تحت قيادة ابو الزبير الا ان الخطة لم تنجح.

اصبحت السلطة الفعلية في الكتيبة يومها في يد انور شعبان و معتز بينما تسلم ابو المعالي الكتيبة صوريا و هو في الخامسة و العشرين. يقال ان ابو المعالي كان مساعدا في محل حلاقة بالجزائر العاصمة ثم انضم للشرطة كجندي بسيط، ثم عندما بدا ان جبهة الانقاذ ستفوز بالحكم انضم اليها مثلما حدث عندما انضم عشرات الآلاف من جنود و ضباط الجيش الفرنسي الجزائريين و الحركية(الجواسيس) لجبهة التحرير الجزائرية غداة جلاء الفرنسيين. فر من الجزائر الى ايطاليا عقب انتخابات الانقاذ كما فر الاف الجزائريين بحثا عن مستوى معيشة افضل و من هناك انتقل للبوسنة. لم يكن لابو المعالي اي مميزات علمية شرعية او حرفية فقد كان بالكاد يفهم القرآن. عرف عنه علمانيته و عدائه للمجاهدين، اشتهر عنه مقولته في ١٩٩٢ ان القتال في الجزائر فتنة لا يجوز الانخراط فيها في وقت كانت مختلف الدوائر الجهادية على مستوى العالم تعتبره مستقبل الامة. كما عرف عنه قوله في ٢٠٠٢ ابان فراره من الملاحقات الاميركية للافغان (و البوسنويون) العرب انه لم يندم على شيئ مثل ندمه على عدم الصعود للجبال الجزائرية لقتال الاصوليين هناك. لم يكن قوله بلا اصل فقد نشرت جريدة الحياة المقربة من المخابرات السعودية ابان احتدام الصراع في الجزائر ما مفاده ان اجهزة المخابرات الجزائرية تبحث في استقدام احد الوجوه الجهادية "المعتدلة" ليقود مجموعات من الجهاديين التائبين "المعتدلين" في قتالها ضد الجماعة الاسلامية المسلحة، كان ابو المعالي احد اكثر المرشحين حظا كما ذكرت الصحيفة.

لم يكن اختيار ابو المعالي اخلالا بمبدأ احتكار الجماعة الاسلامية الصعيدية للسلطة بما ان صغر سنه و ضحالة شخصيته كان سيجعله خاضعا لمجلس الشورى و مساعدا مطيعا لانور شعبان ممثل الجماعة. لم يكن في حسبان اولئك النفر ان الظروف ستؤدي لتسلطه عليهم كما حدث عندما اختار امراء مصر صلاح الدين يوسف الايوبي اصغرهم سنا للولاية و حالات اخرى كثيرة في التاريخ الاسلامي استأسد فيها الصبي وريث العرش على من ولوه ظنا منهم بسهولة السيطرة عليه. لم يكن هناك العدد الكافي من الصعايدة ليولوا احدهم فضلا عن انهم كانوا يحكمون الكتيبة بالفعل، و كان من الافضل اختيار جنسية اخرى كي لا يشعر المتطوعون بما يحدث، كان اختيار جزائري عملا دعائيا لا بأس به لان نسبة كبيرة من مقاتلي الكتيبة كانت من مغاربة اوروبا ، كما كان الاختيار التالي و هو سعودي سيؤدي لضياع السيطرة من مجلس شورى الجماعة الصعيدية لما سيكون له من دعم عددي من السعوديين و الخليجيين بالكتيبة.

كانت القوات البوسنية مفككة و مصابة بهلع مرضي تجاه الصرب و الكروات يؤدي بهم للفرار في وجه اضعف الهجمات مما استدعى من الجهات الامنية الغربية و ممثليها في كرواتيا السماح بمرور مجموعات اكبر من المتطوعين الذين احتشدوا تحت قيادة انور شعبان و ابو المعالي لدعم الجبهة حتى لا تسقط دولة البوسنة فيتفرغ الصرب لالتهام كرواتيا و من بعدها سلوفينيا في ساعات و تعود يوغوسلافيا دولة قوية و لكن اشد عداء للغرب. لم يكن المتطوعين يمثلون نسبة عددية عالية في العمليات الحربية و

لكن اهميتهم كانت في وضعهم في النقاط الهامة التي لا يحتمل الدفاع عنها او الهجوم عليها امكانية الفرار . مع ذلك لم تسلم الكتيبة من الدسائس ففي احد مراسلات الجنرال راسم ديليتش قائد الجيش البوسني لعليا عزت بيغوفيتش في نهاية صيف ١٩٩٣ يذكر ان "الاستياء يعم مجموعة عمليات بوسانسكا كروبا العاملة بوسط البوسنة بعد انتقال سرية باكملها من الكتيبة ١٧ جبلية للعمل مع كتيبة المجاهدين الاجانب."

باستثناء استعادة جبل فلاشيتش بوسط البوسنة ظل الوضع العسكري راكدا حتى منتصف ١٩٩٥ عندما قام الجيش البوسني بمحاولة فاشلة لفك حصار سرايفو من جهة الشمال، اعقب ذلك بايام تكثيف القوات الصربية قصفها لجيب سربرينتسا بالشرق مع تخلي الامم المتحدة عن مسؤوليتها في ضمان وصول الاغذية للجيب مما اسفر عن حدوث بوادر مجاعة. قبلها بفترة كان مسؤول قوات حفظ السلام عن المناطق الامنة قد تفقد الجيب ووعد بالتدخل و صب الحمم الجوية الاطلنطية على رؤوس الصرب الاشرار.

اقنع مسؤلو كتيبة الامم المتحدة الهولندية مدافعو سربرينتسا باخلاء مواقعهم جنوب المدينة لان الطيران الاميركي سيقصف الصرب في تلك المنطقة و هو ما لم يحدث و اقتحم الصرب المدينة من نفس ذاك الاتجاه.قبل سقوط سربرينتسا بشهرين انتقل قائدها ناصر اوريتش الى سرايفو مع اركان حربه و لم يعد لحين سقوط المدينة، و ادعى ان القيادة استدعته بينما ادعت الحكومة انه ترك الجبهة

بمحض ارادته. على خلاف اهل غوراشدة لم يهاجم المسلمون قوات الامم المتحدة بسربرينتسا ليصادروا سلاحها، و جل ما حدث بينما كانت القوات الهولندية تفتح الطريق للصرب هو ان مسلما القى قنبلة على مصفحة هولندية ليوقفها عن التراجع مفسحة الطريق للصرب.

تقدم الصرب الى مئات الامتار من قلب المدينة فقرر بعض السكان اختراق الحصار الصربي و عبور خمسين كيلومترا من الاراضي البوسنية المحتلة من الصرب للوصول الى توزلا اقرب المدن الاسلامية. تكون طابور من الجنود و السكان بمن فيهم زوجة ناصر اوريتش و امه و بعض النساء و الاطفال و بدأوا السير الى خارج المدينة. استغرق مرور الطابور البالغ عدده اكثر من خمسة عشر الف مسلم اثنى عشر ساعة الى خارج سربرينتسا . في المدينة احتشد عشرات الالاف من الاهالي حول مقر الكتيبة الهولندية التي تمترست في مقرها فيما رفع العلم اليوناني في وسط المدينة تحية للمتطوعين اليونانيون الذين حضروا لذبح المسلمين. بدأ الجنود الصرب التغلغل وسط الحشود و اعدام الرجال على مرأى من الباقين و قوات الامم المتحدة بل ان الكتيبة الهولندية امدت الصرب بازياء و شارات القوة الدولية ليستطيعوا عن طريقها خداع الحشود و قيادتهم الى حتوفهم. اتفق على وضع النساء و الاطفال و المسنين في حافلات تتجه الى اراضي الحكومة البوسنية. بعد شحن الحافلات صعد الصرب اليها و بدأوا في انتزاع الجرحى و بعض النساء و المسنين من الحافلات على مرأى من جنود الامم المتحدة و قتلوا البعض و خطفوا البعض، لم تحمي الامم المتحدة حتى الفتيات المسلمات

العاملات معها من الخطف و الاغتصاب. لم يخرج اي رجل مسلم من المدينة تقريبا عدا من صاحبوا الطابور المسلح.

كانت مقدمة الطابور و فيها قيادات المدينة و افضل وحداتها العسكرية مسلحة تسليحا فرديا جيدا بينما كانت المؤخرة عزلاء تقريبا . انتبه الصرب لمرور الطابور و بدأوا بقصفه بالمدافع فانقسم الطابور الى اجزاء، مر الجزء الاول مسرعا و تعثر الباقون في اللحاق به. ارسل الصرب وحدات الى الغابات لتصطاد المجموعات المتخلفة، كان يتم اقتياد الرجال بالمئات و يصفون ثم تطلق عليهم نيران الرشاشات او يوضعوا في غرف مزدحمة و تلقى وسطهم القنابل، اما ان وجد الجنود وقتا للترفيه فكانوا يقطعون اذان و يفقئون اعين الاسرى قبل قتلهم. قتل في تلك المذبحة اكثر من سبعة الاف رجل و طفل، لم يطلق الصرب سراح رجل من الاف الاسرى.

كان بحوزة كثير من جنود الجيش البوسني الهاربين من سربرينتسا رصاصة للانتحار بدلا من الوقوع في الاسر. بعد ثلاثة ايام تقريبا وصلت مقدمة المجموعة لمشارف الاراضي المسلمة و اقتحمت الخط الصربي بعنف و اسرت عددا من جنوده و ضباطه و دبابتين. قام ناصر اوريتش مع مجموعة من المتطوعين من اهل سربرينتسا و توزلا بإشغال الصرب من جهة توزلا المسلمة لتخفيف الضغط عن مقدمة الطابور. بعد وصولهم قامت القوات الحكومية بنزع سلاحهم و نقلهم لمعسكرات ايواء جماعي خوفا من انتفاضهم احتجاجا على خذلان قوات توزلا التي رفضت نداءات متكررة لعبور خط الصرب من الجهة الاخرى لاشغالهم. اطلق بعض الناجين من المذبحة النار على قائد الفيلق الثاني

الحكـومي المتمركـز بتـوزلا الا انـه نجـا . ظلـت شـراذم مـن المسـلمين مختبئـة و تائهـة في الغابـات المحيطـة بسريبرنتسـا لاشـهر و تـوالى وصـول بعضـهم الى تـوزلا بعـد اربعـة اشـهر مـن سـقوط المدينـة. في احـد الحـالات عثـرت القـوات الامريكيـة علـى بضـعة مسـلمين مختبـئين في احـد الغابـات المحيطـة بالمدينـة بعـد السـقوط ببضـعة اشـهر فسـلمتهم للصـرب الـذين حكمـوا علـيهم بخمسـة عشـر سـنة سـجنا بتهمـة التخريب.

علـى خـلاف ناصـر اوريـتش قـام قائـد جيـب جيبـا الصـغير المجـاور الكولونيـل افـدو بـاليتش بـادارة مقاومـة عنيفـة لايـام بعـد سـقوط سربرينتسـا و اتجـاه القـوات الصـربية لاكتسـاح مدينتـه و ظـل يتفـاوض لاخـلاء المدينـة و الجنـود بسـلاحهم بـدون تعريضـهم لمذبحـة مثـل سربينتسـا الى ان نجـح في اخـراج معظـم القـوات و الاهـالي سـالمين في طـريقهم الى منـاطق الحكومـة البوسـنية ثـم اختفـى اثنـاء المفاوضـات و اعـترف الجـيش الصـربي لاحقـا بقتلـه. تم اخـلاء النسـاء و الاطفـال اولا بينمـا رفـض الرجـال الاستسـلام لصـرب البوسـنة لايـام حتـى انشـغل الصـرب بصـد الهجـوم الكرواتـي علـيهم في الغـرب و قـاموا بسـحب القـوات المخصصـة لاقتحـام الجيـب، فقـام بعـض الجنـود بـالعبور لاراضـي الحكومـة البوسـنية بينمـا عـبر اكثـرهم نهـر درينـا الى جمهوريـة الصـرب حيـث استسـلموا للجـيش اليوغوسـلافي. في نفـس الوقـت ايقـن سـكان جيـب غوراشـده بعقـم حمايـة الامـم المتحـدة و حاصـروا الكتيبـة الاوكرانيـة بالمدينـة و طالبوهـا

بتسليم سلاحها و صادروه الا انهم لم يهاجموا عناصر السرية البريطانية التي امنت انسحاب الاوكرانيين.

بعد سقوط سربرينتسا باسبوع بدأ الصرب يتقدمون على جيب بيهاتش حيث قام المنشق فكرت عبديتش بالاشتراك مع الجيش الصربي بتطويق الفيلق الخامس البوسني في مدن تسازين و بيهاتش، بالاضافة الى ذلك شدد الصرب من القصف المدفعي على سراييفو المحاصرة مما حدا ببيغوفيتش الى السفر لمدينة سبليت الكرواتية للقاء الرئيس الكرواتي توجمان حيث وقعا اتفاقية دفاع مشترك نتج عنها تطويق الصرب من الجانبين. تقدمت القوات الكرواتية الجيدة التسليح و المدعومة من الغرب لتطبق على جيب كنين بالتعاون مع القوات المسلمة في جيب بيهاتش على الجانب الآخر من الحدود البوسنية الكرواتية فسحقوا بينهم قوات جمهورية كرايينا لصرب كرواتيا كما استطاعوا هزيمة قوات فكرت عبديتش ببيهاتش و اجتازت بعض قوات الفيلق الخامس من الجيش البوسني الحدود الكرواتية حيث تلاقى مع طلائع الجيش الكرواتي.

تمت هزيمة عبديتش المدعوم بوحدات من الجيش الصربي عن طريق استدراجه لخدعة دبرها الجنرال عاطف دوداكوفيتش قائد الفيلق الخامس البوسني ببيهاتش، فقد ارسل الى عبديتش ضابط كبير من قوات الفيلق الخامس اسر اليه برغبته في الانقلاب على الحكومة و الانضمام الى قوات عبديتش و حلفائه الصرب. و مع ارتياب عبديتش الا انه دفع للضابط مبلغا كبيرا من المال و وعده بالدعم اذا

ما نجحت خطته. بعد عودة الضابط و اسمه حمدو عبديتش الي مقر قيادته امر دوداكوفيتش جنود الفيلق بحرق اطارات السيارات للايحاء بوجود حرائق ضخمة كما امر جنود مقرات قيادة الفيلق الخامس الحكومي باطلاق النار في الهواء بكثافة كما لو كانوا يتعرضون لهجوم. اقتنع فكرت عبديتش و القوات الصربية بوجود انقلاب في جيب بيهاتش فاندفعوا بخيرة قواتهم و اكثرها تسليحا لدعمه ليجدوا انفسهم في وسط كمين دبره دوداكوفيتش. امتلأت ايدي قوات الفيلق الخامس التي كانت محاصرة و تتضور جوعا بالمؤن و الاسلحة و الذخيرة و استولوا على عدة دبابات ثم ساقوا اسرى جنود الصرب عرايا و مربوطين على مقدمة دباباتهم حول المدينة. سقطت دويلة عبديتش الانفصالية و كاد الصرب يقتلونه لايقاعهم في كمين ففر الى كرواتيا التي منحه رئيسها الجنسية الكرواتية و رفض تسليمه للبوسنة رغم نداءات بيغوفيتش حليف كرواتيا المتكررة.

كانت الصفقة مع كرواتيا خاسرة اذ ان الكروات احتلوا من الاراضي المسلمة اكثر من نصف كمية الاراضي التي ساعدوا في تحريرها كما ربحوا بمساعدة طرف الكماشة المسلم الموجود ببيهاتش جيب كنين الاستراتيجي الذي يمثل ربع اراضي كرواتيا و كان يقسم دولتهم الى نصفين. لم يستحق الكروات هذه الهدية فقد كان جزءا كبيرا من نجاحهم نابع من خلو الجبهات المقابلة بسبب انشغال اعداد كبيرة من قوات صرب البوسنة بذبح الالاف من اسرى سكان جيبي سريبنتسا و جيبا في ذلك الاسبوع.

داخليا لم يكن المتطوعين مدركين لحجم العداء الذي تكنه لهم القيادة البوسنية؛ فعقب مقتل ثلاثة من عمال الاغاثة الغربيين في حادثة خطف نسبت للكتيبة قرر صاقب محمولين قائد الفيلق الثالث المقرب من بيغوفيتش العمل بنصيحة مسؤول المخابرات العسكرية بالفيلق الجنرال يوسف باشاروفيتش و اخضاع الكتيبة لعملية رقابة خفية و تجسس تحت اسم عملية "فراندوك" . شملت مكونات خطة فراندوك كما اقترحها باشاروفيتش التنصت و التسجيل و المراقبة و عمليات التفتيش السرية و السيطرة على البريد . و فيما كانت قيادة الكتيبة تقدم الخطط لقيادة الفيلق لدحر الجيش الصربي و تطويقه بدءا من فوزوتشا و مرتفعات اوزرن كانت المخابرات البوسنية تراقب الكتيبة بغرض التصدي لما اسمته "الممارسات الاجرامية الفضائحية التي يقوم بها اعضاء الكتيبة ذوي الاصول الافرو اسيوية(كذا) ." فضلا عن ذلك قرر الجنرال محمولين الذي كانت قيادة الكتيبة تثق به و تعتبره "صديقا للمجاهدين" ان "التحقيقات حول الكتيبة ينبغي ان تشمل المشاكل التي يثيرها اعضاء الكتيبة مع السكان المحليين و محاولة فرض ممارسات دينية غريبة تنتمي الى المذهب "الفهابي"(الوهابي) بالاضافة الى تخابر بعض اعضاء الكتيبة مع اجهزة مخابرات اجنبية و تقاعسهم عن تنفيذ مهام قتالية" . كانت تهمة التخابر صحيحة فيما يخص قيام افراد خاصة من التابعية السعودية ثم الكويتية و القطرية بالتعاون مع اجهزة مخابرات بلادهم و اعلامها بمجريات الامور . الا ان التعامل مع اجهزة مخابرات دول من العالم الثالث لم يكن بنفس خطورة قيام اعضاء في قيادة جمهورية البوسنة بالتعامل مع اجهزة كبرى ذات مصالح و نفوذ بالبوسنة مثل المخابرات الاميركية و البريطانية و الكرواتية و الايرانية . من ناحية

تهمة التقاعس عن تنفيذ عمليات فقد فسر اعضاء من قيادة الكتيبة -التي كانت احد اكثر وحدات الجيش البوسني بنهاية الحرب خسائرا بشرية و نجاحا اذا قيست بعدد الاوسمة و الاراضي المحررة- هذا الادعاء بانه راجع لتردد اعضاء الكتيبة عن القيام بهجوم منفرد في ١٩٩٤ اشتم منه انه كمين من قيادة الفيلق الثالث البوسني لتقليص عدد افراد الكتيبة بدفعهم لعملية سيئة الاعداد خاسرة سلفا .

طبقا لخطة فراندوك لمراقبة الكتيبة يروي احد التقارير المدونة في منتصف ١٩٩٥ قبل نهاية الحرب بخمسة اشهر ان مراقبة الكتيبة اسفرت عن "قيامها في الايام العشرة الاخيرة بتكثيف عملياتها الاستطلاعية و تدمير خنادق للجيش الصربي و قتل العشرات من جنوده مما اثار الذعر و الهلع في صفوف القوات الصربية بالمنطقة، كما قام افراد الكتيبة ردا على مقتل احدهم باكتساح الخطوط الدفاعية الصربية و قتلوا عددا من الجنود و ذبحوا اثنان ثم اصطحبوا رؤوس القتلى لعرضها في جولة خلال القرى المسلمة الواقعة على نهر كريفيا على السكان و اطفال المدارس. و باستطلاع رأي جنود وحدات الجيش البوسني المجاورة لهم على ذلك القاطع تبين ان كتيبة المجاهدين تقوم بامدادهم مجانا بالطعام و الفاكهة و الذخيرة و ضروريات اخرى و تمسك افراد تلك الوحدات ببقاء كتيبة المجاهدين الى جوارهم في نفس منطقة العمليات."كما قررت وثيقة اخرى من استخبارات الفيلق انها "لا تريد اتخاذ اجراء تجاه اعضاء الكتيبة الى ان ينتهوا من تنفيذ العمليات القتالية المسندة اليهم."

تظهر وثائق المخابرات العسكرية البوسنية انها تنصتت في عملية فراندوك على اتصالات ابو المعالي باسلاميين بوسنيين منهم مفتي زينتسا و اتصالات المسؤول الشرعي في الكتيبة عماد المصري باطراف

سعودية. و ادعت التقارير ان اعضاء الكتيبة يعملون لصالح جهات اجنبية، و ذكرت تقارير سرية كشفت فيما بعد ارسلها اكرم علي خوجيبيتش ضابط الشرطة العسكرية الصربية السابق –و مسؤول المخابرات العسكرية في الفيلق الثالث بما فيه الكتيبة- ابان الحرب ان العلاقات التي تقيمها الكتيبة مع المجتمع الاسلامي البوسني و الزيجات التي تعقد مع بوسنيات ستعقد "التعامل" مع الكتيبة مستقبلا. كما تبين ان المخابرات العسكرية البوسنية تجسست على الكتيبة منذ البداية و تضم اضابير محكمة جرائم الحرب الدولية في لاهاي نسخة ضوئية لخطاب شخصي مرسل من عماد المصري احد مسؤولي الكتيبة الى شخصين بالسعودية يشرح لهم فيها تفاصيل علاقة الكتيبة بالجيش الحكومي.

فضلا عن التجسس على الكتيبة تبارى بعض المسؤولين البوسنيين في اطلاق التصريحات المعادية لها في حضور ممثلي كروات البوسنة و القوات الدولية و من ذلك ما نقل عن ايوب غانيتش[١] نائب رئيس البوسنة في تصريح طمأن به كروات البوسنة بمنطقة زينتسا بعدما طالبوه بنقل مقر الكتيبة خارج منطقتهم "باننا عندما نرى المتطرفين الاسلاميين الذين اتوا للقتال نقول لهم ابتعدوا عنا ستدمرون دولتنا، نحن لسنا بحاجة لكم فلدينا الكثير من الرجال، فقط نحتاج الى السلاح."[٢]عقد بعدها في منتصف ١٩٩٥ قبل انتهاء الحرب بستة اشهر لقاء سري بين قيادات حزب العمل الديمقراطي بوسط البوسنة و القيادات الدينية البوسنية بالمنطقة لبحث "مشكلة العرب و الاجانب" التي كانت تؤرقهم فيما لم يكن هناك مثل هذا الانزعاج من الالوية المدججة بالسلاح لأكثر من اربعة دول في مجموعة

---

[١] القت حليفته بريطانيا القبض عليه في ٢٠١٠ و تنظر في تسليمه للصرب بتهم ارتكاب جرائم حرب.
[2] Evan Kohlman,"Al-Qaida's jihad in Europe", p.126.

"ادعاء حفظ السلام" المسماة كى فور و التي انصب عملها على اضعاف المسلمين و التجسس عليهم و الاتجار ببناتهن.

كما نوقش التخلص من المتطوعين نهائيا في اجتماعات حزب العمل الديمقراطي البيغوفيتشي بعد انتهاء عملية فوزوتشا او بدر البوسنة مباشرة على مستوى مجالس المدن الحزبية قبل توقيع اتفاقيات دايتون رسميا بشهرين، مما يفترض معه ان تكون اغلب الشخصيات العامة في البوسنة قد تسرب لها الخبر. الا انه من المؤكد ان ابو المعالي اخفى الخبر عن عامة المتطوعين في مراحله الاولى لظروف "الامنيات" و حتى يستطيع جني ما يمكن جنيه من الموقف. كان بيغوفيتش يخطط لحل الكتيبة و ترحيل افرادها في نفس الوقت الذي كان المعلق الاعلامي للكتيبة على شريط عملية بدر البوسنة المصور يعلن بفخر ان الرئيس بيغوفيتش زارهم و هنأهم قبل العملية و قرر رفع مستوى الكتيبة الى لواء كي يمكنهم ضم عددا اكبر من المتطوعين البوسنيين. لم تكن هذه خيانة بالمعنى المعروف فقد كان الرجل واضحا في لادينيته منذ البداية و لكن اوهام المتطوعين و تضليل قادتهم لهم اعمتهم عن الحقيقة.

فور تخلص كرواتيا من الصرب الموجودين على اراضيها سارعت الى اقتحام غرب البوسنة و استلام نصف الاراضي التي اخلتها القوات الصربية المتراجعة. ادى ذلك الاندفاع الكرواتي في اراضي البوسنة الى استمرار عزل جيب بيهاتش المسلم الذي كادت القوات الزاحفة منه جنوبا ان تلتقي بقوات الجيش البوسني الزاحفة شمالا من وسط البوسنة، كما فضل الصرب تسليم بعض المدن

البوسنية للكروات بدلا من المسلمين مما شكل حائلا كرواتيا بين المسلمين و التقدم باتجاه مدينة بانيالوكا عاصمة صرب البوسنة لتصفية الكيان الانفصالي الصربي الذي كان على وشك الانهيار يومها .

قبل الغارة على سربرينتسا في يوليو حاولت القوات البوسنية القيام بهجمات لفك حصار سراييفو و لكنها اخفقت. بعد سقوط سربرينتسا بايام قام الصرب المتمركزين بجبال سراييفو بقصف احد الاسواق المزدحمة مما اسفر عن مقتل عشرات المتسوقين. رفعت تلك الغارة و ما سبقها من مستوى استياء عوام البوسنيين لدرجة هددت بتحولهم في اتجاهات سياسية غير معلومة و قد تكون اصولية فقررت اميركا قصف الصرب جوا و بذلك يمكنها نسبة فضل ايقاف القتال لاحقا لتدخلها و فرض شروطها على بيغوفيتش. مع التطورات في باقي انحاء البلاد و ضربات حلف الاطلنطي اضطر الصرب الى فك قبضتهم عن سراييفو بعد حصار استمر ثلاث سنوات و نصف و سمحوا بمرور السيارات من ضاحية بوتمير الى سراييفو عبر المطار بدون التعرض للقصف المدفعي الصربي.

في هذه المرحلة تواترت الانباء لدى القيادة العليا للجماعة الصعيدية بالامكانيات المادية المتوافرة بالبوسنة و بحر التبرعات الواردة اليها فقد كان ما سمي "بجهاد البوسنة" مرضيا عنه من الحكومات الخليجية و مؤسساتها الدينية الرسمية بخلاف الساحات التي ينشط فيها "الخوارج" مثل مصر و الجزائر و كانت التبرعات تصل من خلال كبار رجال الاعمال و المتصدقين عبر شخصيات معروفة مثل ابن العثيمين الذي ارسل في احد المرات حوالي عشرة سيارات رباعية الدفع كهدية لابو المعالي و شركاه.لم

يكن مقبولا ان يستأثر بادارة مثل هذا المركز عضو جماعة سكندري مشكوك في انتماءاته الفكرية و العشائرية من الدرجة الثالثة من خارج البؤرة المنياوية بينما يعاني القيادات من شظف الحياة في باكستان و ايران بل و يمد بعض منهم يده لاعانات البطالة التي تقدمها الحكومة الدنماركية مثل طلعت فؤاد قاسم القيادي الكبير. كان كثير من قياديو الجماعة يعيشون في منازل لا تزيد عن اربع غرف و لا يستطيعون الزواج باكثر من اثنتين و ينتقلون بسيارات تويوتا كورولا طراز العام الماضي بدلا من اللاند كروزر رباعي الدفع طراز نفس العام المتوافرة مع صغار القادة الميدانيين في بعض الجبهات. لذا فقد قرر طلعت فؤاد قاسم /ابو طلال القاسمي السفر للبوسنة للامساك بزمام الامور و اعلمت قيادة الكتيبة بقرب وصوله ليتهيأ قادة الكتيبة للقاء الضيف الكبير القادم لانتزاع القيادة منهم. بعد وصول طلعت فؤاد الى مدينة زغرب قال المندوب المكلف استقباله و حراسته ان اشخاصا من الشرطة الكرواتية علموا بوجوده فقبضوا عليه و لم يعد بعدها . من ناحية اخرى ذكرت مصادر كرواتية انها سلمته للمخابرات الاميركية التي سلمته بدورها لادارة مكافحة النشاط المتطرف و الارهاب بمباحث امن الدولة المصرية و التي المحت الى انها قتلته. بعد اشهر انفجرت سيارة مفخخة امام مركز شرطة في مدينة ريكا الكرواتية الصغيرة لم يسفر عن خسائر كبيرة و صدر بيان عن الجماعة يقول انه انتقام لخطف قائدها السابق، لم يعقب هذا الانفجار اي عمليات اخرى ضد كرواتيا و يبدو انه كان عملا رمزيا من جماعة البوسنة لدفع شبهة التقصير او التواطؤ في تسليم ابو طلال.لم يكن ابو طلال و انور

شعبان الوحيدين الذين سعوا للهبوط من الخارج و السيطرة على الكتيبة او جبهة المتطوعين البوسنية فقد كان هناك ابو حمزة المصري و خالد شيخ محمد و آخرين لم يفلحوا .

شجع التقدم الكرواتي و الضربات الجوية و الغضب الشعبي بسبب مأساة سربرينتسا الحكومة البوسنية على التحول الى الهجوم. عهد الى المتطوعين بالتقدم على جبهة جبال اوزرن قرب مغلاي و دوبوي حيث نفذت الكتيبة في يوليو ١٩٩٥ عملية "الكرامة" . كانت هذه ثاني محاولة من الكتيبة للاستيلاء على نفس المنطقة. بالتزامن مع التحركات البوسنية من بيهاتش في اتجاه وسط البوسنة و من الوسط في اتجاه بيهاتش، كلفت وحدات اخرى بالهجوم من الشرق في اتجاه الغرب و بانيا لوكا عاصمة صرب البوسنة، من اهم تلك الوحدات التي اضطلعت باحد اكثر العمليات حساسية في الهجمات البوسنية النهائية و التي اجبرت الصرب على التفاوض لايقاف الحرب كانت كتيبة المجاهدين التابعة للفيلق الثالث المكلف باحتلال قاطع فوزوتشا في مرتفعات اوزرن. يروى ان بعض قيادات الجيش البوسني قدروا ان هذه المنطقة لا يمكن ان تفتح الا بمظلة جوية غير متوافرة للبوسنيين كناية عن صعوبة الاستيلاء عليها . على الجانب الصربي علق رادوفان كارادجيتش رئيس صرب البوسنة على اهمية فوزوكا قائلا ان سقوط فوزوكا سيفتح الطريق لسقوط موسكو عاصمة روسيا و ليس فقط سقوط بانيا لوكا عاصمة صرب البوسنة.

في ليلة ١٩٩٥/٩/٩ التقى مسؤلو الكتيبة بقائد الفيلق الثالث من الجيش البوسني لتلقى التعليمات النهائية. في السادسة من صباح العاشر انطلقت كتيبة المجاهدين الى هدفها كجزء من اللواء الخامس و الثلاثين التابع للفرقة. في السادسة و النصف اتصل ابو المعالي بقائد الفيلق ليعلمه بنجاح الكتيبة في السيطرة على الأهداف المرحلية اوبالينيك و رافنو بوليا بادئين بذلك العملية المشتركة مع الفيلق الثالث التي اطلقت عليها القيادة البوسنية عملية "فرظ"(فرض بالبوسنية) .هاجم متطوعو الكتيبة التابعون للفرقة قمة فوزوتشا و احتلوها في العملية الشهيرة ببدر البوسنة. كانت عملية فرظ نموذجا للوحدة الوطنية فبالاضافة للشيوعي و العلماني البوسني شارك ابو الزبير الحائلي و مجموعته و اخرين من خارج الكتيبة في العملية في خط موازي للكتيبة بضمنهم مجموعة من العرب غير الاسلاميين المنضوين تحت راية سرية مكافحة الدبابات الخاضعة للواء ٣١٩. قتل معتز المصري و ابو ثابت المصري في تلك الفترة و يروى ان بعض من قتلوا كانوا مستائين من مثالب الساحة البوسنية و انتووا الرحيل بعد تلك العملية و لكن الاجل عاجلهم. بسقوط فوزوتشا ضاق الخناق على بانيالوكا و هددت جمهورية صرب البوسنة تقطيع اوصالها ثم السقوط الا ان كلينتون اتصل ببيغوفيتش و امره بالتوقف فقام الاخير بدوره بامر جيشه بوقف الهجمات.

بعد ايام من تلك الحوادث توجه بيغوفيتش الى دايتون بولاية اوهايو الاميركية مركز اكبر جالية صربية باميركا حيث قام بتوقيع الاتفاق النهائي لتقسيم البوسنة الذي تخلى بموجبه عن المطالبة بثلثي اراضي

البوسـنة قبـل الحـرب واعـلان انهـاء الحـرب و السـماح للجـيش الاميركـي بـاحتلال البوسـنة، و ان تتمتـع البوسـنة بحكـم مسـلم كرواتـي ذاتـي مشـترك في مناطقهـا تحـت قيـادة و اشـراف منـدوب سـامي تعينـه الامـم المتحـدة. كـان مـن اهـم شـروط تلـك الاتفاقيـة طـرد المقـاتلين الاجانـب مـن البوسـنة و قـد اولى كلينتـون اهتمامـا شخصـيا لـذلك الموضـوع و تكـررت تهديداتـه شخصـيا و علـى لسـان مبعوثتـه البرايـت بوقـف صـرف عشـرين مليـون دولار مخصصـة لتـدريب الجـيش البوسـني[١] ان لم يطـردوا في خـلال شـهرين فاعلنـت الحكومـة البوسـنية حـل الكتيبـة. كـان بالبوسـنة جنـود مـن جمهوريـة صـربيا المجـاورة و يونـانيون و رومـانيون و روس يقـاتلون الى جانـب صـرب البوسـنة و عـاد كـثير مـن هـؤلاء الى بلادهـم او الى جمهوريـة الصـرب مـن حيـث يسـتطيعون دخـول البوسـنة وقتمـا شـاءوا، كمـا كـان بالبوسـنة جنـود كـروات مـن جمهوريـة كرواتيـا المجـاورة و مرتزقـة قلائـل مـن بعـض دول اوروبـا الغربيـة و انتقـل هـؤلاء الى جمهوريـة كرواتيـا مـن حيـث يسـتطعون دخـول البوسـنة وقتمـا شـاءوا، امـا المسـلمين فلـم تكـن تجـاورهم دولـة مسـلمة فكـان مصـيرهم المنتظـر هـو النفـي الى احضـان جـلاوزة الانظمـة العربيـة لتقتلـهم و تسـجنهم، و حتـى لـو اسـتطاع الحـائزون منـهم للجنسـية البوسـنية و المتـزوجين مـن بوسـنيات العـودة لحـدود البوسـنة فـان حـرس الحـدود البوسـنوي لم يكـن ليسـمح لهـم بالـدخول علـى نقـيض حـرس الحـدود في منـاطق كـروات البوسـنة و منـاطق صـرب البوسـنة الـذي كـان يرحـب بـأي كرواتـي او صـربي في مناطقـه علـى التـوالي، اي ان خلاصـة ذلـك الشـرط في الاتفاقيـة كانـت نـزع القـوة الضـاربة للمسـلمين دون غيرهـم. فضـلا عـن ذلـك

[١] تضـمنت تسـويات مـا بعـد الحـرب قيـام الجـيش الاميركـي بتـدريب ضـباط بوسـنيين فـي الولايـات المتحـدة حيـث يجـري تجنيـد بعضـهم للعمل مع المخابرات الاميركية كما هو الحال مع ضباط الدول الاسلامية اخرى.

ضمت شروط الاتفاقية التي وقعها بيغوفيتش نصا يكفل لقوات الاحتلال الاميركي و القوات الدولية المرافقة الحصانة الشاملة ضد المؤاخذة القانونية على افعالهم اثناء وجودهم بالبوسنة. و لما كان التفوق العددي للجيش البوسني سببا في منع سقوط البوسنة في يد الصرب فقد نصت الاتفاقية على تخفيض الجيش البوسني من ربع مليون جندي[1] الى عشرة آلاف جندي بدون طائرات حربية.

يروى ان انور شعبان احتج على امر وقف القتال و خاطب بيغوفيتش بجدة في الأمر مما دعا المحيطين ببيغوفيتش الى تذكيره بأن بيغوفيتش رئيس دولة مستقلة عضو في الامم المتحدة ينبغي معاملته بما يستحقه من احترام. في النهاية اذعن انور شعبان و نصح المتطوعين بالسمع و الطاعة لاتفاقية دايتون الا ان ابو الحارث الليبي اسر للبعض انه سيقاتل الاميركيين. كان انور شعبان برغم اشتراكه في القتال الى جانب الجيش البوسني لا يرى الاشتراك في الانتخابات البوسنية التي كانت ستعقد بعد الحرب و قد افتى افراد الكتيبة البوسنيين بذلك. بعدها بأيام كان انور شعبان يجتاز احد نقاط التفتيش الكرواتية التي اعتاد المرور منها بسيارة الدفع الرباعي الخاصة به عند مدينة جيبشا الا انها قامت في ذلك اليوم باطلاق النار عليه و على مرافقيه و منهم ابو الحارث الليبي فقتلتهم جميعا كما قتلت وحي الدين و رفاقه من قبل في مكان اخر. لا يستبعد ان تكون القوات الكرواتية قد تلقت ضوءا اخضر لتنفيذ العملية من القيادة البوسنية لان القوات الكرواتية كانت في حالة تحالف وثيق مع القوات

---

[1] ربع مليون على قوائم الجند بما في ذلك وظائف الاسناد و الدعم و ان كان عدد الجنود الذين يحوزون سلاحا في حدود مائة الف.

البوسنية يومها كما ان تلك النقطة الكرواتية كانت مقامة في جيب كرواتي صغير محاصر بالاراضي البوسنية مما يعني ان اي استفزاز حقيقي او تجاوز ضد الجنود البوسنيين المارين بالمنطقة قد يعرض الجيب للاكتساح في دقائق الا ان هذا لم يحدث و لم يقم الجيش البوسني باتخاذ اجراءات ضد تلك القرية كما التزم ابو المعالي ب"ضبط النفس" خاصة و ان ذلك الكمين جعل منه قائد الكتيبة الأوحد بلا منازع و الوريث الاوحد لحسابات تبرعات الجهاد .

بنهاية الحرب كان هناك عرب خارج كتيبة ابو المعالي اكثر من الموجودين داخلها كما كان الحال في نهاية حرب افغانستان الاولى عندما كان من يعترفون بامارة بن لادن للمتطوعين العرب اقلية مقارنة بمن لا يعترفون به كقائد او ممثل لهم. و الواقع ان سلوك قيادة الكتيبة المنفر و تهالكها على الدنيويات ادى لتشرذم المتطوعين في ساحة محاطة صغيرة بالاعداء كان يفترض بهم الترابط فيها ، فقد كان هناك مجموعة ابو الزبير الحائلي في تيشان/جليزنابولي و مجموعة الاتراك في زينتسا و مجموعة حنظلة و خلية ابو حمزة التونسي في كوتشا جورا و خلية في بيستريشاك قرب زينتسا و خلية في كونيتس، الا ان الكتيبة كانت اكبرهم و كما سلف كان الخلاف مظهريا لان اغلبهم قاتل في عمليات مشتركة تحت قيادة نفس الجيش و الراية.

اجتمع مجلس شورى الكتيبة و ابو الزبير الحائلي و غيرهم و قرروا ان حل التشكيلات "الجهادية" المسلحة هو افضل الخيارات و ان الكتيبة حضرت لرد العدوان على المسلمين (و ليس لبناء دولة اسلامية و تطبيق الشرع) و قد انتهت المهمة و بناء على ذلك اعلن ابو المعالي في احتفال حضره راسم ديليتش قائد الجيش بمقر الفيلق الثالث بمدينة زينتسا انه "يتفهم القرار السياسي" الذي اتخذه بيغوفيتش و انه قرر بالنيابة عن الكتيبة ان يضحي بمصلحة الكتيبة من اجل الشعب البوسني و افاد انه اصدر قرارا بطاعة الحكومة البوسنية و عدم اراقة اي دم في التصدي لقرار حل الكتيبة و طرد اعضائها خارج البوسنة حفاظا على مصلحة المسلمين من الفتن الداخلية و هو نفس موقفه قبلها بسنوات من احداث الجزائر عندما فر من هناك لإيطاليا واصفا ما يحدث بأنه فتنة. و طلب من الشعب البوسنوي "التسلح بالاسلام في الحرب القادمة التي لن تخاض بالسلاح" فيما يذكر بالحكام العرب الذين خدروا شعوبهم في الثمانينات و التسعينات بمقولة ان الحرب القادمة اقتصادية و ان الحروب التقليدية انتهت حتى دهي المسلمون باحتلال العراق و افغانستان و الصومال . في احتفال تسريح الكتيبة اعتذر قائد الجيش البوسني عن عدم حضور بيغوفيتش و شكر المتطوعين لدعمهم البوسنة في وقت حاجتها و شكرهم على تذكير البوسنويين بدينهم. و كما فعل عرب افغانستان و بن لادن عندما ارتحلوا من البلاد عقب صدور اوامر الشيخ الكبير لم يمضي ثلاثة ايام على صدور اوامر كلينتون الا و كان اغلب متطوعو البوسنة قد خرجوا من البلاد عبر معبر بيهاتش مع جمهورية كرواتيا .

عقب انتهاء الحرب كان يمكن للكتيبة ان تقاتل لعدة اشهر اذا ارادت بحسب تقدير احد مسؤوليها و قد اقسم ابو ايمن مسؤول ارتباط الكتيبة بالجيش البوسني في شهادته امام محكمة جرائم الحرب الدولية اثناء محاكمة راسم ديليتش قائد جيش البوسنة[١] قائلا: "اقسم بالله اننا وضعنا سلاحنا طوعا و لو اردنا لاستطعنا القتال لثلاثة اشهر متوالية" . لم تكن الكتيبة يومها اسوأ تجهيزا او اقل ناصرا من مجموعة يوكا و غيرها من المجموعات التي تصدت للجيش اليوغوسلافي في سراييفو في بداية الحرب كما لم يكن جيش البوسنة بنهاية الحرب اقوى من الجيش اليوغوسلافي الصربي في بدايتها . نوقش موضوع المقاومة المسلحة للاحتلال الأميركي الا ان احد منسوبي الكتيبة قام بعملية تخريبية ضدهم ثبطتهم عن الشروع في الفكرة. ثبت من شهادات ضباط قيادة الجيش البوسني امام محكمة جرائم الحرب الدولية ان الرئاسة البوسنية تشاورت حول اجراءات نزع سلاح الكتيبة و طرد افرادها عقب توقيع اتفاقات دايتون و توصلت الى عدة ترتيبات منها رشوة ابو المعالي و المقربين اليه. و لتسهيل مهمة حل الجماعة قرر بيغوفيتش و ديليتش و اماموفيتش اعطائهم بعض الاوسمة عديمة القيمة، ففيما يعني الوسام في اي دولة اخرى ان شعب و حكومة البلاد تعترف بجميل حامله و تتعهد بتكريمه كانت هذه الاوسمة مقدمة لطرد حامليها الى حيث يسجن بعضهم او يعدمون و يشتت شمل عائلات المتزوجين من بوسنيات منهم. كانت الاوسمة المقدمة لافراد الكتيبة العرب تشمل وسام الزنبقة الذهبية و لاخرين اقل قيمة وسام الدرع الفضي. كما كرم بيغوفيتش بعض افراد قوات مجلس الدفاع الكرواتي

---

[١] بنهاية ٢٠٠٨ حكمت محكمة جرائم الحرب الدولة على قائد الجيش البوسني السابق الجنرال راسم ديليتش بالسجن ثلاثة سنوات لعدم معاقبته افراد كتيبة المتطوعين على قتل بعض اسرى الجنود الكروات و قطع رؤوس ثلاثة من الجنود الصرب الاسرى.

التي قتلت وحي الدين و انور شعبان و اخرين غيرهم باعطائهم وسام الزنبقة الذهبية ايضا لشجاعتهم. و فيما قامت حكومة بيغوفيتش بطرد افراد الكتيبة الذين دافعوا عن البوسنة بعد تقليدهم الاوسمة وافقت على ضم افراد القوات الكرواتية الذين ارتكبوا مذابح ضد المسلمين للجيش البوسني الجديد . و شهد مدير قسم الاوسمة بالجيش البوسني عليا لونشاريش اثناء محاكمة قائد الجيش البوسني بلاهاي ان عليا عزت امر بالتعجيل بمنح اوسمة لبعض قادة الكتيبة عقب انتهاء العمليات بايام "لتسريع خروجهم من البوسنة." كما افادت سجلات تنصت المخابرات الحربية ان بعض المتطوعين فكروا في عدم تسليم اسلحتهم مما استدعى عقد بيغوفيتش لجلسات مشاورة مع سليمان فراني مدير شؤون الافراد بالجيش و قيادات اخرى بخصوص ما ينبغي عمله لنزع سلاحهم و طردهم خارج البلاد .

تم الاتفاق مع قيادة الكتيبة على التنازل عن اسلحتها بما فيها السلاح الفردي نظير اعطاء افراد الكتيبة رشاوى صرفتها الاستخبارات السعودية عن طريق جهاز الهيئة العليا للاغاثة السعودية المرتبط بها بالاضافة للسماح لهم بالاقامة في البيوت التي استولوا عليها في قرية بوتشينيا و مع وعد غامض بتمليكها لهم رسميا في المستقبل. كما سمح لابو المعالي و اثنين فقط من اقرب معاونيه بحيازة مسدسات مرخصة بصفتهم جنود متقاعدين في الجيش البوسني حيث احيل ابو المعالي الى التقاعد برتبة رائد في الجيش الحكومي. و لما كانت العقيدة العملياتية الحربية الاميركية تقضي بتأمين محيط

قواعدها ابتداء فقد فرض على سكان قرية المجاهدين نوعا من الاقامة الجبرية طبقتها ادارة القرية و على راسها ابو المعالي عن طريق سن قوانين تقضي بأن من يغيب خارج القرية اكثر من ثلاث ليال يفقد حقه في الاقامة بالقرية و مسكنه و ان كان ذا اسرة، كما فرضت قيود اخرى على حرية السفر و الحركة. تبين للمتطوعين انهم لن يتملكوا مساكن الصرب التي غنموها في القرية و انهم سيعتبروا مغتصبين لحين اخلائها، كما لن يسمح لاي منهم على الاخص او لأى مواطن بوسني عامة بالبناء في البوسنة الا بتصريح يكاد يكون الحصول عليه مستحيلا كما هو الحال في القدس الغربية المحتلة حيث يصدر تصريح لواحد من كل عشرة الاف طالب سكن او اكثر. كانت هناك حالة نادرة كحالة صهر ابو المعالي الذي منحته الامم المتحدة تصريح بناء نظير الادلاء بمعلومات هي في الاغلب عن مكان دفن الكتيبة لبعض قتلاهم من اسرى الصرب حتى تستخدم المعلومات لاحقا في محاكمات جرائم الحرب التي سيتهم بها المسلمون بالاضافة للشهادة في محكمة جرائم الحرب ضد الكتيبة و المسؤلين البوسنيين اذا تطلب ذلك.

تحولت الكتيبة بحسب اقتراح ابو المعالي الى جماعة اقتصادية. قبل موت انور شعبان كانت ترد للكتيبة صدقات بالملايين لنفقاتها و لتوجيهها للعمل الاغاثي تودع في حساب ذو توقيع مشترك بينه و بين ابو المعالي الا ان تلك الاموال سحبت بعد مقتل انور شعبان و تعهد ابو المعالي باستخدامها في نشاطات اقتصادية يتعيش منها المتطوعين في ظل الاحتلال الأميركي. انشأ محل بقالة و جزارة صغير بالاضافة لورشة لقطع الاشجار من الغابات المجاورة. بعد فترة اعلن ابو المعالي افلاس المشاريع و نفاد

الأموال .تميزت ادارة ابو المعالي لشؤون الكتيبة بالقمع لدرجة ان كثير منهم كانوا يدعون عليه و على ادارته في صلواتهم و ان لم يحفل هو بذلك ،و نوقش أمر عزله الا ان مساندة الحكومة له كممثل مطيع لها وسط الكتيبة كانت ستحبط ذلك الأمر.

استقبل كثير من فتيات البوسنة جنود الغزو الاميركي بالورود و القبلات، و صار من المألوف رؤية الفتيات المسلمات متحلقات حول جندي اميركي على متن مركبته الهمر لالتقاط صورة جماعية. على خلاف رد الفعل تجاه الغزو الصربي لم يقم بوسني واحد بإطلاق رصاصة على جندي اميركي عقب احتلالهم للبلاد بحسب إفادة وزيرة الخارجية الاميركية كوندوليزا رايس في معرض تدليلها على نجاح السياسة الخارجية الاميركية اذا ما طبقت وسط الشعوب "المتحضرة" كالبوسنيين على خلاف "الهمج" المتوحشين من سنة العراق الذين ما فتئوا يعارضون الغزو الاميركي. تحولت الحكومة البوسنية تحت بيغوفيتش الى سلطة حكم ذاتي بلدية تحت الاحتلال الاميركي لدرجة ان الرئيس الاميركي امر بيغوفيتش بفصل رئيس المخابرات البوسنية لأنه كذب على وزير خارجية اميركا اثناء احدى زياراته للبوسنة بخصوص وجود بضعة اجانب في احدى القرى.

في نهاية التسعينات اسقط البوسنيون حكومة حزب العمل الديمقراطي التي يرأسها بيغوفيتش و انتخبوا بدلا منه حكومة يرأسها المسؤول الشيوعي زلاتكو لاغوجيا من مدينة توزلا الوفية للشيوعية الا انه كان شيوعيا اميركي الهوى هذه المرة. كان الحزب الشيوعي الجديد يقيم مهرجانات دعائية في

مدينة تـوزلا ذات الاغلبيـة المسـلمة السـاحقة يقـوم اعضـاء الحـزب فيهـا باقامـة مهرجانـات شـواء و ولائـم يـاكلون فيهـا لحـم الخنزيـر المشـوي ليثبتـوا لادينيتـهم و تعـاطفهم مـع الصـرب و الكـروات. دعمـت الولايـات المتحـدة صـعود الحـزب الشـيوعي علنـا بغـرض القضـاء علـى الاحـزاب القوميـة المتطرفـة كمـا كانـت تسـمي حـزب بيغـوفيتش. دأب الـرئيس لاغومجيـا بعـد توليـه الحكـم المحلـي (تحـت اشـراف المنـدوب السـامي الاووربـي) علـى اذلال المتطـوعين و ترحيلـهم لـبلادهم مـع ان مدينتـه و قاعـدة حزبـه الانتخابيـة تـوزلا كانـت شـبه محاصـرة و يمكـن ان تسـقط في ايـدي الصـرب لـولا ان عمليـات فوزوتشـا الـتي قـام بهـا المتطـوعين وسـعت الممـر الـذي يربطهـا ببـاقي الـبلاد . لم يـوفر زلاتكـو لاغومجيـا الـرئيس السـابق بيغـوفيتش ابو البوسنة نفسه من الاذلال اذ منعه من المرور بصالة كبار الزوار في مطار سراييفو.

انتشـر البغـاء بـين المسـلمات اللاتـي صـرن يطـاردن الجنـود الاميركـيين ،كمـا ادارت القـوات الاميركيـة سـوق اريزونـا في منطقـة برتشـكو الـذي ضـم اكـبر مراكـز الاتجـار في الفتيـات و الاطفـال في اوروبـا، و هـو نفـس السـوق الـذي صـار يرتـاده مجاهـدو الأمـس ليشـتروا بضـائع يتجـرون بهـا في امـاكن اخـرى مـن البوسـنة. و اصـبح شـائعا مـن ضـمن صـور التعـايش السـلمي بـين الشـعوب رؤيـة الفتـاة الالبانيـة او البوسـنية الـداعرة و قوادهـا جنبـا الى جنـب مـع المجاهـد الملتحـي مـن رجـال ابـو المعـالي و الجنـدي الامريكـي امـا باحثـا عـن المتعـة او مـارا علـى القـوادين لجمـع الاتـاوات نظـير حمايـة السـوق. للترفيـه عـن الجنـود الاميركـيين سمحـت الحكومـة البوسـنية بفـتح بيـوت بغـاء علـني تـدر دخـلا بملايـين الـدولارات بجـوار القواعـد الاميركيـة حيـث

مارست نشاطها تحت اسماء اميركية مثل بيت بغاء اباتشي الشهير و بيت بغاء هارلي ديفيدسون.[1] كانت هذه البيوت التي تمتعت بحماية الامم المتحدة و الحكومة البوسنية توفر خدمة بيع و شراء النساء و الاطفال للاستعمال الجنسي للجنود الدوليين و كل من يستطيع الدفع.

تمركزت الدوريات الاميركية على مداخل قرية بوتشينيا التي تكرر تفتيشها بحثا عن الاسلحة. كان تفتيش القرية و الاجراءات التي تتخذ ضدها تنفيذا لاوامر القوات الاميركية كثيرا ما تنفذ بايدي جنود وحدات الجيش البوسني الذين دربتهم الكتيبة و قاتلوا تحت لواءها فيما مضى من "المجاهدين البوسنيين" الملتحين. في عام ٢٠٠٠ صدر قرار باخلاء المتطوعين بحجة اعادة المساكن المغتصبة لاصحابها مع ان المسلمين لم يستطعوا العودة لديارهم التي اغتصبها الصرب لدرجة ان مدن كبيرة ذات غالبية مسلمة قبل الحرب صارت شبه خالية من المسلمين بعد اتفاق دايتون بعشر سنوات. حاول بعض البوسنيين الذين عملوا مع الكتيبة و اقاموا في بوتشينيا اقامة تجربة مشابهة في قرية غورنياماو الشمالية الا ان قوات حلف الاطلنطي شتتهم و بذلك تسلمت اميركا لواء قمع الاسلام في البلاد من الصرب الشيوعيين و لكن بدعوة من بيغوفيتش و البوسنيين هذه المرة.

[1] هارلي ديفيدسون: اسم دراجة اميركية شهيرة ترمز للانطلاق و المتعة.

بقى ابو المعالي في البوسنة خمسة سنوات بعد قيامه بترحيل معظم افراد الكتيبة. بعد اخلاء قرية بوتشينيا و صدور اوامر اميركية جازمة بطرد المتطوعين من البوسنة في بداية ٢٠٠١ التقى ابو المعالي بمتبرع سعودي مشبوه يطمع في منافسة مكانة بن لادن في افغانستان وعده بتمويل مشاريع اغاثية في افغانستان اذا ما تولى ابو المعالي و مجموعته ادارة المشاريع بنفس طريقة ادارتهم للامور في البوسنة. وصل ابو المعالي و مجموعته لافغانستان في ٢٠٠١ حيث سبقتهم شائعات عن عشرات الملايين من الدولارات الموضوعة تحت تصرفهم وعن الملايين الأخرى التي نهبها ابو المعالي و ادارته من حساب المجاهدين و العمل الاغاثي في البوسنة. و رغم ان فكر ابو المعالي و منهجه لم يكن يؤهله للمرور من بوابة معسكر من معسكرات المبتدئين في القاعدة الا ان اشاعة حيازته للملايين في مستنقع الوصولية و الجوع الافغاني قلبت الامور رأسا على عقب، ففور وصوله صار ابو المعالي و رجاله ضيوف شرف دائمين على الولائم التي كان يدعوهم اليها ابو حفص المصري و سيف العدل المصري و خالد شيخ محمد و غيرهم من كبار رجال القاعدة ووزراء حكومة طالبان بل و ابو مصعب الزرقاوي.

عقب عملية سبتمبر في نيويورك قامت مجموعة ابو المعالي بتسفير اهلهم ثم تزيوا ببرقع النساء الافغاني و اجتازوا الحدود الايرانية حيث قبض عليهم و سجنوا لفترة ثم اطلق سراحهم و سافروا الى ماليزيا لما كان لابو المعالي من صلات بجهاز مخابراتها التي قبضت عليهم بعد وصولهم بأسابيع ورحلتهم

لسجون بلدانهم الا ابو المعالي الذي اختفى ليلة القبض على المجموعة و يقال انه يحظى بحماية احد اجهزة المخابرات التي استضافته في بلدها .

في البوسنة بعد ١١ سبتمبر وقف وزير الخارجية البوسني زلاتكو لاغومجيا ليصرح للصحافة العالمية بان العالم انقسم الى فسطاطين؛ "فسطاط المدنية الحديثة و فسطاط البربرية و الارهاب، و قد اختارت البوسنة ان تنضم الى العالم المتحضر و قررت ان تكون جزءا من الحل و ليست جزءا من المشكلة، من اجلنا . . .قمنا بهذا الخيار ."خرجت مظاهرات حزينة على اضواء الشموع تعزي اميركا و الشعب الاميركي الصديق و تلعن الارهاب، لذا لم يكن هناك رد فعل كبير عندما قررت حكومة البوسنة تسليم بعض المتطوعين الجزائريين للامريكيين الذين رحلوهم لجوانتانامو. كما اعلن محمد باسيش وزير الداخلية البوسني ان معلومات استخبارية وصلته باحتمال فرار اعضاء من القاعدة من افغانستان للبوسنة لتفادي الضربات الاميركية ووعد الوزير بالتصدي لكل من يحاول دخول البوسنة منهم. تم طرد اغلب من بقى من الكتيبة بمن فيهم حاملو الجنسية البوسني و قبض على نائب ابو المعالي في ادارة القرية المسؤول الشرعي للكتيبة عماد المصري الذي رحل لمصر حيث اعلن توبته للمباحث المصرية عن اعتناق الفكر الجهادي و صار داعية من دعاة التعاون مع المباحث المصرية في السجون المصرية .كان عماد المصري شخصية مشبوهة لا ترى خلط "الدين بالعسكرية (اي التخطيط الحربي)" كما انه باستثناء الاشتراك في عملية او اثنتان بعد وصوله عرف عنه عدم الاشتراك في اي

عمليــات عســكرية لاحقــة و اقتصــاره علــى ادارة الاتصــالات اللاســلكية ربمــا لســبب شــرعي يتعلــق بعــدم القتال تحت راية الكتيبة او لجبن فيه حيث عرف عنه قوله ان "العمليات جحيم" .

شــنت حملــة ضــخمة في الصــحف البوســنية علــى الارهــاب و الكتيبــة و مناصــريها لم تتوقــف عنــد حــد اتهــام عليــا عــزت بــايواء مقــاتلين مــن القاعــدة في البوســنة و لم يلبــث عليــا عــزت ان اســتقال مــن رئاســة حــزب العمــل الــديمقراطي اكــبر احــزاب البوســنة بعــد شــهر مــن هجمــات ســبتمبر و الحملــة الاعلاميــة الــتي تعــرض لهــا في نفــس التوقيــت الــذي كانــت الطــائرات الاميركيــة قــد بــدات فيــه قصــف افغانســتان. كــوفئ بيغــوفيتش علــى تعاونــه مــع اميركــا باعفائــه مــن الاتهــام و المحاكمــة عــن جــرائم حــرب كمــا حــدث لقــادة جيشــه اللــذين قبضــت علــيهم الحكومــة البوســنية و ســلمتهم لمحكمــة جــرائم الحــرب بلاهــاي حيــث صــدرت ضــدهم احكــام بالســجن، كمــا اتهــم بعــض اقــارب بيغــوفيتش بالفســاد مــن قبــل المنــدوب الســامي الاممــي و حوكمــوا .المــت الامــراض ببيغــوفيتش و مــات ثــم اقــيم علــى قــبره ضــريح و مــزار زاره فيــه صــديقه شــيخ الصحوة سلمان العودة مما اثار انتقاد بعض السلفيين.

في ٢٠٠٦ قــررت الحكومــة البوســنية الغــاء الجنســيات الــتي منحــت لاغلــب المتطــوعين فاصــدر ابــو حمــزة الســوري النــاطق باســم المتطــوعين بيانــا يطلــب فيــه باســم مــن تبقــى مــن المتطــوعين اللجــوء "لدولــة مــن دول الغــرب الــتي تحــترم الانســان". و رغــم ان المتطــوعين منــوا انفســهم عنــدما عــاد حــزب العمــل الــديمقراطي للحكــم بانــه ســيتعاطف معهــم الا انــه اســتمر في نفــس سياســة ســلفه مــع ان الــرئيس الجديــد ســليمان

تيهيتش كان في بداية الحرب احدى ضحايا معسكرات الحرب الصربية و كاد يهلك فيها . كما كان من اهم قراراته ارسال وحدة من الجيش البوسني تشارك في غزو العراق[١] اثباتا لالتزام البوسنة بمكافحة الارهاب.

في النهاية لم يبق من ولاية البوسنة التاريخية الا فتات حيث كان يقتطع جزء منها عقب كل حرب الى ان وصل الحال لانزوائها في مناطق الوسط الصخرية الجبلية مما سيؤدي لتقلص الموارد المتاحة لاعاشة السكان و يضع سقفا للنمو السكاني لشعب البوسنة .و في الاغلب ان هذه المنطقة هي التي كان متفق عليها سلفا في بداية الحرب بين الغرب و الصرب كمحمية لمسلمو البوسنة. على الارض اسفرت اتفاقية دايتون عن اقرار الحكومة المسلمة على ثلث مساحة البوسنة و هي الاراضي التي كانت تسيطر عليها الحكومة البوسنية بالفعل في نهاية الحرب بقوة السلاح، كما فرض على الحكومة البوسنية مشاركة الكروات في ذلك الثلث. اما الثلث الكرواتي و الثلث الصربي فلا يشاركهم فيه المسلمون. بالاضافة الى حض الجيش البوسني على استيعاب اعداؤه السابقين من ميليشيا كروات البوسنة و طرد حلفائه بكتيبة المجاهدين اجبرت الحكومة البوسنية على تخفيض الجيش، ثم تنفلت الحكومات البوسنية التالية في ٢٠٠٥ بدمج الجيش البوسني و الجيش الصربي عدو الامس في جيش فدرالي واحد سعيا وراء رضا الغرب و لتحقيق حلم الشعب البوسني بالانضمام الى حلف الاطلنطي و

---

[١] تمركزت القوة البوسنية في الفلوجة و في مفارز حراسة معسكرات الجيش الاميركي ببغداد.

الاتحاد الاوروبي. فضلا عن ذلك قامت الولايات المتحدة بفتح باب هجرة البوسنيين اليها مما ادى لهجرة اكثر من عشر شباب البوسنة[1] من مجموع شعب يتراوح عدده حول مليونين في خطوة تشبه ما اتبع مع مسلمو جيورجيا المسخيتيون عندما اصدرت لهم الالاف من تاشيرات الهجرة الاميركية حتى تتخلص اميركا بصفتها الحالية كشرطي العالم من تأثيرهم في التركيبة السكانية الجيورجية او الروسية الجنوبية ذات الغالبية النصرانية .

اختلف المحللون حول اهمية دور المتطوعين العرب و غيرهم ، لم يكن عددهم كبيرا و كانت مواقع تمركزهم محدودة، الا ان بعض المحللين و منهم السفير ريتشارد هولبروك مبعوث بيل كلينتون و مهندس اتفاقيات دايتون التي ادت لوقف الحرب و املت شكل البوسنة الحالي رأى ان الحكومة البوسنية لم تكن لتصمد الا بفضل المتطوعين. كما قيم بعض الخبراء العسكريون دورهم بالقول بان المتطوعين كانوا دائما في قلب اكثر جبهات القتال كثافة و حساسية و ان الجيش البوسني كان يضعهم في اكثر مفاصل خطته العملياتية حرجا . اما بيغوفيتش "حبيب المجاهدين" كما صورته قيادة الكتيبة فقد رأى في حديث له بعد الحرب ان "المتطوعين جلبوا من الضرر اجمالا اكثر مما جلبوا من النفع."[2]

---

[1] سقط كثيرا من اولئك اللاجئين الذين لم يكن لديهم اي مناعة عقائدية فريسة للهيئات الكنسية و التنصيرية الاميركية فيما اندمج آخرون من تلقاء انفسهم بهدوء في نمط الحياة الاميركية.

[2] الصحافي سند بيانين، لقاء مع عليا عزت، جريدة داني البوسنية، ١ مارس ٢٠٠٢ ص ١١

# اوزبكستان

تقع جمهورية اوزبكستان السوفيتية السابقة بين كازاخستان و تركمانستان و افغانستان و طاجكستان و قرغيزستان، و هي تاريخيا جزء من اقليم تركستان الكبير و تضم اراضيها اجزاء من امارات خوارزم و الشاش و بخارى و سمرقند ووادي فرغانة . كانت اوزبكستان و حواضرها خوارزم و بخارى و سمرقند و ترمذ منارة للعلوم الى ان اعتراها الضعف بسبب نزاعات سلاطين السلاجقة ثم اكتسحها المغول و ذبحوا الاهالي و دمروا المدن و لم تزل البلاد تتردى في الخراب بانواعه حتى يومنا . اعقب الغزو المغولي بقرن و نصف ظهور تيمور لنك المغولي الاوزبكي الذي عاث فسادا في ديار الاسلام و لم تنقضي دولته حتى انقسم العالم الاسلامي الى نصفين بسبب الدولة الصفوية التي حمى هو و ابناءه ولادتها . كانت عقيدة تيمور الذي يعتبره كثير من الاوزبك اللادينيين اهم ابطال تاريخهم خليطا من الصوفية المشعوذة و الرفض و عبادة النجوم و الوثنيات و الجهل الفادح و الرغبة في التخريب .

انحـدرت اوزبكسـتان مـا بعـد تيمـور في وهـدات التخلـف و انقسـمت الى دولتـان ضـعيفتان همـا امـارة بخـارى و خـوارزم(خيفـا ) و زاد في ضـعفهما قطـع الدولـة الصـفوية الرافضـية طريـق الاتصـال بينـهما و بـين العـالم الاسـلامي الغربـي. بعـد هزيمـة خانـات تتـار الفولجـا و القـرم المسـلمين بـدأت امـارة موسـكو في التمـدد شـرقا و جنوبـا الى الاراضـي الاسـلامية. انشـغلت امـارة موسـكو الناشـئة لمـا يقـرب مـن مئـة سـنة بالصـراع مـع الشيشـان و الداغسـتانيين حتـى اخضـعتهم و مـا لبثـت ان اسـتدارت بعـد انتـهاء تلـك المهمـة في ظـرف اشـهر لتبتلـع امـارة خـوارزم و مـن بعـدها امـارة بخـارى و كأنمـا كانـت الشيشـان مـع بعـدها الاف الكيلـومترات سـدا يحمـي تركسـتان. تعللـت روسـيا بحجـة وجـود عبيـد و امـاء روس في خـوارزم يـرفض الأمـير اطلاقهـم لغـزو الـبلاد . قاومـت طشـقند حاضـرة امـارة بخـارى حتـى قيـل ان شـوارعها اوحلـت بالـدماء. فـر آخـر امـراء بخـارى ليبـدأ حربـا ضـد الـروس مـع قواتـه المسـماة "باسمشـي" انطلاقـا مـن شمـال افغانستان و اطراف امارة خوجند المجاورة التي لم تكن سقطت بعد .

يلـغ تعـداد اوزبكسـتان في ٢٠٠٨ مـا يقـرب مـن ٢٥ مليـون نسـمة و هـي دولـة متخلفـة صـناعيا و اقتصـاديا مقارنـة بـدول العـالم الاول و الثـاني و يعتمـد اقتصـادها علـى زراعـة القطـن. مـع نهايـة الحقبـة السـوفيتية في ١٩٩٠ ظهـر في مدينـة نمنجـان احـد مـدن وادي فرغانـة الداعيـة الشـاب طـاهر يولـداش و زميلـه جمعـه بـاي قاسـم خوجـه و اسسـا جمعيـة اسـلامية اسمياهـا "عـدالت" (العدالـة) . كـان هـدف

الجمعية احياء حضارة الاسلام و القيم و الحكم الاسلامي في تلك المنطقة و باقي بلاد تركستان فيما بعد . اقامت الحركة ندوات و مجالس صلح او محكمة ابتدائية في المدينة الصغيرة ثم بدأت تسيطر على ادارتها . كان الرجل العشريني جمعة باي المسؤول العسكري لتلك الجماعة جنديا سوفيتيا سابقا قاتل مع الجيش الاحمر في افغانستان.

ادت صدامات مع الشرطة و تظاهرات نفذها اعضاء عدالت و المتعاطفين معهم و اعتصامات في المباني الحكومية الى زيارة الرئيس الاوزبكي كريموف شخصيا للمدينة عام ١٩٩٢للوقوف على الوضع حيث ادلى ببعض تصريحات محايدة مطمئنة لكسب الوقت حتى يقيم الحالة و افضل السبل للتعامل معها خاصة ان حالات التمرد الاسلامي اصبحت اشبه بمنجم ذهب لرؤساء الدول الاسلامية لما يجنونه من مساعدات عسكرية و مالية لمكافحة الارهاب و رأس مال سياسي ناتج من مخالطة قيادات الامن القومي الغربي و الشرقي. و ما ان اعد العدة حتى هاجم المدينة فقتل من قتل و اسر من اسر و فر طاهر و جمعة و كثير من جماعتهم و ذووهم الى طاجكستان و منها الى افغانستان.

في طاجكستان كانت العمليات العسكرية قد بدأت بين مناصري حزب النهضة و الحكومة الطاجكية فانضم الاوزبك الى النهضويون و صاروا جزءا اساسيا من المجهود العسكري و تمركزوا في منطقة طويل دارا بقرب الحدود الافغانية حيث ترابط قوات روسية.

مـع انتـهاء الحـرب في طاجكسـتان و توقيـع اتفاقيـة استسـلام النهضـة انتقـل الاوزبـك جماعـة الى شمـال افغانسـتان علـى مـرأى مـن الـروس و الطاجـك الـذين سـرهم الـتخلص مـن ذلـك العـدو العنيـد . في افغانسـتان تلقتـهم طالبـان بعـد وصـولها للمنـاطق الشـمالية بالترحـاب ووجـدت في فكـر الاوزبـك الـذين تحـول اسمهـم مـن عـدالت الى الحركـة الاسـلامية باوزبكسـتان الى الحركـة الاسـلامية لتركسـتان شـبها قريبـا مـن فكـر طالبـان القـائم علـى المـذهب الحنفـي. و فيمـا كـان العـرب و القاعـديون يسـمع لهـم انتقـادات لعقيـدة الطلبـة و تـرددا في القتـال معهـم وضـع الاوزبـك انفسـهم مباشـرة تحـت سـيطرة طالبـان و تطوعـوا للقتـال معهـا علـى خـلاف العـرب الـذين كونـوا سـرية صـغيرة علـى اسـتحياء ربمـا ذرا للرمـاد في العيـون. كـل ذلـك بالاضـافة لكـل مـا سـبق ادت قلـة مشـاكل الاوزبـك مقارنـة بـالعرب المطلـوبين دوليـا مـن جهـات عديـدة و علـى الاخـص زعـيمهم بـن لادن الى اختيـار المـلا عمـر امـير افغانسـتان جمعـه بـاي الاوزبكـي قائـدا عسـكريا لجميـع المتطـوعين مـن عـرب و عجـم، و قـد تـردد جمعـه بـاي في قبـول الترشـيح و لكنـه قبـل بعـد اصرار الملا عمر.

كانـت قيـادة الحركـة تحـتفظ بعلاقـات وديـة ظـاهرا مـع القاعـدة و ان كانـت تبـدي شـيئا مـن الحـذر تجـاه محـاولات جهـات متعـددة لاخـتراق الحركـة عـن طريـق العطايـا الماليـة كمـا كـان معروفـا عـن بـن لادن في احـداث الجبهـة الجزائريـة و غيرهـا . و في احـدى الحـالات امـرت احـد قادتهـا الـذين تلقـوا كميـة مـن المـال مـن احـد الاطـراف بـرد المـال اليـه. في حادثـة اخـرى فـر طاجكيـان مـن افـراد الحركـة الى معسـكرات

القاعدة و ذكرا ان الجماعة اضطهدتهم لاعتناقهم العقيدة السلفية المخالفة لعقيدة حركة تركستان. طالبت الحركة بتسليمهم ذاكرة انهم متهمين بالتجسس الا ان القاعدة رفضت فاقتحم افراد من الحركة موقع القاعدة و اصطحبوهم عنوة. اقسم قائد الموقع اليمني ان يقتل كل اوزبكي يمر به و سعت الحركة في الوساطة الا ان بن لادن اصر على الاحتكام لمحكمة شرعية، ايدت طالبان الحركة في موقفها و لم تجر اي محاكمات و انتهى الامر باختفاء الطاجكيان.

اضطلع اعضاء الحركة الاوزبكية بدور هام في قتال تحالف الشمال قبل و اثناء الغزو الاميركي و استمات مقاتلو الحركة في دفاعهم عن المدن الشمالية مقارنة بجند طالبان و عرب القاعدة حتى ان مقتل جمعة باي النمنجاني في الشمال اعتبر العلامة الفارقة في مسيرة الحرب على الجبهة الشمالية، لم يكتف الاوزبك بالقتال على الجبهات فحسب بل انهم شاركوا بدور كبير في انتفاضة الاسرى بقلعة جنغي. و بعد سقوط طالبان قاتل بعضهم في معارك غارديز ثم انكفئوا الى منطقة القبائل الباكستانية حيث انخرطوا في الحياة العامة لقربهم شبها و لغة من الافغان و مازالت سراياهم تنطلق لمواجهة الجيش الباكستاني او لقتال الاميركان و اعوانهم بداخل افغانستان.

في سنوات ما بعد الحرب انقسمت الحركة الى قسمين تسمى احدهما باتحاد الجهاد الاسلامي بقيادة ابو يحيى محمد الفاتح نجم الدين جلالوف و تبنى القسم الاخير شعارات سلفية في مواجهة الخلفية الحنفية الماتريدية للحركة الاسلامية لاوزبكستان بقيادة طاهر جان يولداش. تبنى الاتحاد دورا في احداث انتفاضة مدينة انديغان الاوزبكية في ٢٠٠٥ على الحدود مع قرغيزستان و يظهر بمظهر اكثر

عالمية من الحركة الاسلامية الاوزبكية الام. يعتبر ابو الليث الليبي[١] المقرب من بن لادن احد مؤسسو التوجه الجديد. في صيف ٢٠٠٩ وردت انباء بمقتل ابو يحيى جلالوف ثم مقتل طاهر جان في غارات جوية اميركية على منطقة القبائل.

[١] مسؤول باللجنة الشرعية للقاعدة، تولى بحسب بيانات القاعدة عملا قياديا في الدفاع عن قندهار اول ايام الغزو الاميركي. اعلن انضمام الجماعة الليبية المقاتلة للقاعدة في ٢٠٠٨. ارسلته قيادة الجماعة الى السعودية في التسعينيات لاستجداء دعم المخابرات السعودية (و بالتالي الاميركية) من خلال استصدار فتاوى من العلماء الحكوميين امثال بن باز و ابن العثيمين بقتال القذافي فرحبوا به و اصدروا الفتاوى المطلوبة. قتل في ٢٠٠٩.

# الشيشان

تقع الشيشان على السفوح الشمالية الشرقية لسلسلة جبال القوقاز و مساحتها حوالي ١٥ الف كيلومتر مربع اي انها اكبر من لبنان بمرة و نصف تقريبا و سكانها فوق المليون بقليل. القسم الشمالي منها سهلي خصب و الجنوبي جبلي شديد الوعورة تتوافر به الغابات و مصادر المياه، و يفصل بين القسمين نهر سونجا الذي تعتلي منتصفه العاصمة غروزني. برغم دخول الاسلام علي يد الصحابة و منهم ابن عمر و حذيفة الى داغستان (دربند او باب الابواب) المجاورة الا ان وعورة الشيشان و انعزال عشائرها في وديانهم الجبلية المنقطعة اخرت تحول اكثرهم للاسلام اكثر من عشرة قرون.

عندما بدأت روسيا توسعها في ديار الاسلام قامت بتوطين مجموعات من فرسان القوزاق النصارى الذين شاركوا في غزو خانية قازان المسلمة على الفولجا في رباطات على حدودها الجنوبية باطراف الشيشان و امارات القوقاز فيما يشبه جمعيات الفرسان الصليبيين امثال فرسان المعبد و الداوية و فرسان قلعة رباح و شنت ياقب بالاندلس. سمح لهؤلاء الفرسان بدءا من ١٥٧٧م، تاريخ انشاء رباط فرسان القوزاق على نهر التيريك، بالاغارة على اراضي المسلمين و نهبها . عومل هؤلاء الفرسان كمواطنين احرار على خلاف بقية افراد الشعب الروسي الذين كانوا مملوكين قانونا لاصحاب

الاراضي الزراعية لفترات تطول و تقصر يحظر عليهم فيها السفر او مغادرة اراضيهم و ان لم يكونوا ارقاء .

في ١٧٨٣ وقعت امارة كارطل كاخطي الجيورجية الشرقية اتفاقية جيورجوفسك مع روسيا لحمايتها من الغزاة الفرس و العثمانيين. كانت جيورجيا الشرقية تابعة للصفويين و القاجاريين ثم جلوا عنها . كانت الامارات الاسلامية بشمال القوقاز تفصل بين جيورجيا و روسيا مما حدا بروسيا الى التقدم جنوبا و مد طريق عسكري محفوف بالحاميات الى جيورجيا . اصطدم هذا التوغل بداية بقبيلة النوختشاي عند قرية تشيشن اول فسمى الروس سكان البلاد شيشانا نسبة الى تلك القرية فيما يسمون هم انفسهم بالنوخشاي او الفايناخ. قاد المقاومة التي استمرت من ١٧٨٥ الى ١٧٩١ شيخ منصور اشورما او منصور بيك الشيشاني الذي يقال انه كان شيخا لاحد فصائل الطريقة الصوفية النقشبندية الواسعة الانتشار بالبلاد . نادى منصور عشائر النوخشي الشيشانيون لنبذ تقاليد عبادة ارواح الاموات الوثنية و ترك التدخين و الوحدة تحت راية الجهاد و استبدال القانون العرفي العشائري بحكم الشريعة. سعى منصور لاقامة دولة اسلامية تطبق فيها الشريعة بطول القوقاز من تتار القرم على البحر الاسود الى داغستان على بحر قزوين. بعد قتال طويل لم تسانده فيه الدولة العثمانية كما كان يأمل استنفذت موارد العشائر الشيشانية و سقط منصور في الاسر بعد ان كبد الروس خسائر ضخمة. راودت الامبراطورة كاترين الامام منصور على الاستسلام و المهادنة الا انه رفض. قتل

الشيخ منصور في محبسه الروسي على ما قيل بعد ان انتزع سيف حارسه و قتله. شهدت تلك المرحلة اعتناق اقوام القوقاز الجبلية للاسلام بصورة نهائية.

في بداية القرن التاسع عشر تصدى الشيخ غازي ملا للتدخلات الروسية و اسس فرقا من المقاتلين اسماهم المريدين(صوفية) و جعل على رأس الفرق اثنى عشر نقيبا. قاتل غازي ملا الروس لسنوات متخذا من الشيشان مركزا للمقاتلين الذين انضموا اليه من كافة عشائر القوقاز المسلمة و ما ورائها حتى تركستان. دك الروس اخر معاقل غازي ملا في غمري الداغستانية و يروى انه قتل في مسجده مقر قيادته تحت القصف المدفعي. لم ينجو من نقباء غازي ملا الا اثنين احدهما شامل الافاري الذي اصيب بجروح خطيرة اثناء اقتحامه للحصار. تشتت الحركة لفترة قصيرة ثم اعادوا تجمعهم تحت قيادة حمزات بك احد نواب غازي ملا. برز في تلك المرحلة احد اكثر نواب غازي ملا اخلاصا و شجاعة و هو شامل الافاري الذي استلم القيادة في مرحلة لاحقة ليقاتل الروس انطلاقا من الشيشان .

وضعت روسيا في ذلك الوقت اسسا لحاميات على الطريق العسكري الرابط بين جنوبها و مملكة جيورجيا النصرانية المتحالفة. كان احد اهم النقاط المدافعة عن ذلك الطريق قلعة غروزني بقلب الشيشان. زاد من صعوبة الوضع قيام ايران بتسليم اذربيجان الى روسيا بمقتضى اتفاقيتي غولستان و

تركمانشـــاي مما حـــول داغســـتان و الشيشـــان الى جـــزر اســـلامية وســـط محـــيط نصـــراني. كبـــد الشيشـــانيون علـــى قلـــة اعـــدادهم الـــتي لم تتعـــدى مئـــات الالاف يومهـــا الـــروس خســـائر ضـــخمة بلغـــت مئـــات الالاف مـــن الجنـــود الـــروس القتلـــى علـــى مـــدار حـــرب الجمـــت القياصـــرة عـــن الانســـياح في ديـــار الاســـلام. و في تقـــدير آخـــر قـــادة الجـــيش الروســـي الـــذين قـــاتلوا الشيشـــان ان تلـــك الحـــرب اســـتنزفت مـــن المـــوارد و الارواح الروسية ما كان يكفي لاحتلال جميع الاراضي الممتدة من "القاهرة الى طوكيو."

قاتـــل العديـــد مـــن ابنـــاء العشـــائر القوقازيـــة و افـــراد مـــن التركســـتانيين و التتـــار تحـــت قيـــادة شـــامل الـــذي ســـعى لاقامـــة دولـــة اســـلامية في القوقـــاز و اشـــتهر بلقـــب الامـــام شـــامل. كمـــا كـــان الحـــال مـــع ســـابقيه كانـــت العشـــائر الشيشـــانية هـــي عمـــاد جيشـــه. فضـــلا عـــن الحصـــار الرافضـــي و الجيـــورجي جنوبـــا لم تمـــد الدولـــة العثمانيـــة يـــد العـــون لرجـــال شـــامل الـــذين صـــنعوا مـــن جـــذوع اشـــجار غابـــات الشيشـــان العملاقـــة مـــدافع خشـــبية لقصـــف الغـــزاة الـــروس. شـــهدت مســـيرة شـــامل انكســـارة في بدايتـــها عنـــدما اجتـــاح الـــروس الاراضـــي الشيشـــانية و طوقـــوا مقـــر قيادتـــه بعـــد انهـــزام كـــثير مـــن قواتـــه. عقـــد شـــامل يومهـــا هدنـــة و اتفاقيـــة عـــدم اعتداء مع ممثلو القيصر و تضمنت شروطها تسليمهم ابنه البكر الصبي رهينة لضمان الوفاء بتعهداته.

كـــبر الابـــن و صـــار ضـــابطا بـــالحرس القيصـــري و شـــارك في الحـــرب البولنديـــة. قبـــل انهيـــار امـــارة شـــامل تمكـــن مـــن خطـــف امـــيرة جيورجيـــة و اســـتبدلها بابنـــه الـــذي مـــا لبـــث ان مـــات بعـــد عودتـــه للشيشـــان بفـــترة قصـــيرة. اســـتمرت التـــوغلات الروســـية و اســـتؤنفت الحـــرب لأكثـــر مـــن عشـــرين ســـنة اخـــرى. في العشـــر

سـنوات الاخـيرة قاتـل تحـالف اوروبـي-تركـي روسـيا فيمـا عـرف بحـرب القـرم و اسـتطلعت بريطانيـا فكـرة التعـاون مـع الشيشـان و الشـركس لاشـغال الـروس مـن الشـرق الا ان ذلـك الاستشـراف لم يسـفر عـن اي دعـم فعلـي للشيشـان عـدا بعـض المراسـلات الوديـة و المقـالات المتعاطفـة في الصـحف البريطانيـة عـن اسـود القوقـاز. اسـفر انتـهاء حـرب القـرم بـين روسـيا و التحـالف الاوروبـي العثمـاني، و تفـرغ جـيش روسـيا لمشـكلة الشيشـان و طـول امـد القتـال عـن اسـتنزاف مـوارد القبائـل القوقازيـة الـتي بـدأت في الاستسـلام واحـدة تلـو الاخـرى. كانـت المعـارك النهائيـة هـي هجمـة مضـادة لشـامل علـى القـوات الروسـية المحتلـة لمدينـة نـزران في انغوشـيا بعـد ان اسـتنجد حلفـاءه مـن سـكانها بـه، فشـل الهجـوم و اعقبـه انكسـار سـريع لقـوات شـامل الى اخـر معاقلـها في فيـدينو حيـث استسـلم شـامل في ١٨٥٩ بعـد اربعـين سـنة مـن القتـال . اعقـب سـقوط الشيشـان سـقوط شركسـيا غربـا و هجـرة كـثير مـن سـكانها و سـقوط طشـقند في تركستان شرقا .

نقـل شـامل و اسـرته الى منفـى بروسـيا حيـث بقـى لسـنوات الى ان سمـح لـه القيصـر في شـيخوخته بالرحيـل للحـج. في طريقـه اسـتقبله السـلطان العثمـاني و اعتـذر لـه عـن خـذلان الدولـة لـه في السـنوات الماضـية. ولى السـلطان غـازي محمـد ابـن شـامل و قائـد اركانـه قيـادة جبهـة الروملـي الاوروبيـة للدولـة العثمانيـة في اخـر ايامهـا بينمـا انضـم اثنـان مـن ابنـاء شـامل الاصـغر سـنا كضـباط بـالجيش الروسـي. انتقـل شـامل للحـج و مـات اثنـاء زيارتـه المدينـة المنـورة فيمـا انخـرط افـراد اسـرته في جيـوش المنطقـة و اشـتهر

منهم محمد فاضل باشا الداغستاني قائد قوات المتطوعين في معركة كوت العمارة بين القوات البريطانية الغازية للعراق في الحرب العالمية و الجيش العثماني و التي تكبدت فيها بريطانيا اكثر من عشرين الف قتيل .

و قعت انتفاضات محلية اصغر في الشيشان بعد رحيل شامل . بعد عقود من قمع الحكم القيصري و محاولات التنصير نشبت الحرب العالمية الاولى مما شغل روسيا في جبهات اخرى اتاحت للشيشان و شعوب القوقاز هزيمة الجيش الابيض الروسي[١] و اعلان "امارة" قوقازية مستقلة بقيادة اوزون حاجي الذي دعا للعودة للخلافة في الاشهر التي تلت سقوط اسطنبول و آخر عمليات الجيش العثماني و تشكيلاته المخصوصة في اذربيجان و داغستان . ينقل عن اوزون حاجي انه دعا لمنع الكتابة بالاحرف غير العربية فلما ووجه بالقول بان الطلبة و المهندسين يحتاجون للكتابة بالاحرف الروسية و اللاتينية قال "اني انسج حبلا لاشنق به الطلبة و المهندسين و كل من يكتب من اليسار الى اليمين في بلادنا" . كما نقل عنه ايضا انه رفض نظام الحكم الجمهوري عندما دعا اليه بعض القادة المحليين و قال ان تبني النظام الجمهوري يعني نبذ الخلافة وبالتالي نبذ السنة و من ثم يعتبر كفرا .

لم يطل عمرالامارة الجديدة لاشهر ثم اطبق عليها البلاشفة الشيوعيون. انتفض الشيشان و الداغستان بقيادة بعض مشايخ الطريقة الصوفية النقشبندية انتفاضة لم تقمع نهائيا الا بالقبض على

---

[١] وحدات عسكرية من بقايا الجيش القيصري حاولت التصدي للثورة الشيوعية لسنوات و لكنها فشلت. حظى جيش الروس البيض بدعم من الحلفاء في الحرب العالمية الاولى.

اولئــك المشــايخ في ١٩٢٥ . قــام الشــيوعيون بنفــي العلمــاء و الائمــة و مدرســو اللغــة العربيــة و اغلقــوا المســاجد و صــادروا المصــاحف و بــدأوا في فــرض الثقافــة الروســية علــى الــبلاد . اتيحــت للشيشــانيين مــع اقتحــام الالمــان لجنــوب روســيا في الحــرب العالميــة الثانيــة فرصــة اخــرى للانتفــاض ممــا شــغل قطاعــات كــبيرة مــن الجــيش الروســي عــن مواجهــة الالمــان في ســتالينجراد، الا ان الــروس انتقمــوا بعــد هزيمــة الالمــان في ســتالينجراد و رحيلــهم مــن جنــوب روســيا بنفــي الشــعب الشيشــاني و الانغوشــي باكملــه بمــن فــيهم مــن قــاتلوا ضــد الالمــان علــى الجانــب الســوفييتي الى تركســتان و ســيبيريا حيــث مــات كــثير منــهم اثنــاء الترحيــل شتاءا في قطارات الشحن المتجمدة .

بعــد مــوت ســتالين بــدأ الشيشــان في العــودة الى اراضــيهم الــتي ورثهــا الــروس بمرســوم عفــو مــن الــرئيس الســوفييتي خروتشــوف في منتصــف الخمســينات بعــد ان قضــى الشــعب الشيشــاني الانغوشــي اكثــر مــن عشــر ســنوات مــن المعانــاة في المنــافي القاحلــة و المتجمــدة. لم يخضــع الشيشــان بالكامــل للترويــس و الشــيوعية و ظلــت اجهــزة الرقابــة الشــيوعية حتــى انهيــار الاتحــاد الســوفييتي تشــكو مــن ان الشيشــانيين بمــا فــيهم كــودار الحــزب الشــيوعي مــازالو يفضــلون اســتخدام اللغــة الشيشــانية و يمــارس بعضــهم التقاليــد الاســلامية مثــل تعــدد الزوجــات و ينخــرط الــبعض الاخــر في التنظيمــات الصــوفية. كمــا ادى اســتهتار الشيشــانيين بــالقيم الشــيوعية الى انخــراطهم في الاعمــال التجاريــة و الصــيرفة و بــروزهم فيهــا بمــا في ذلــك

داخل موسكو حيث سيطروا على حصة معتبرة من الحركة التجارية فيها حتى منتصف مرحلة الانهيار الشيوعي عندما بدأت روسيا تقيد تواجدهم فيها لدواعي الامن القومي.

في سنة ١٩٩٠ توالت الصراعات في موسكو بين فئات الحكم متزامنة مع حالة انهيار اقتصادي و تدخل مخابراتي اميركي ادى الى فك دول مجموعة الكومنترن (الكتلة الشيوعية) لارتباطها مع الاتحاد السوفييتي ثم ظهور نزعات استقلالية في جمهوريات البلطيق السوفيتية الاقرب لغرب اوروبا . ادى ذلك كله لاعلان روسيا حل الاتحاد السوفييتي و اعطاء مكوناته استقلالها . نالت دول البلطيق المدعومة غربيا استقلالها بيسر بعد مظاهرات واجهوا فيها القوات السوفيتّية التي تعاملت معهم بمنتهى الكياسة بالورود و الرقص، و في حالة مشهورة رفض الجنرال السوفييتي جوهر دودايف التصدي لمتظاهري استقلال استونيا و اغلاق برلمانهم و اذاعتهم بل و ارسل لهم مطبخا عسكريا متنقلا كي يوفر لهم الغذاء اثناء تظاهرهم. نتج عن ذلك استقلال بعض الجمهوريات بخسارة عشر افراد احدهم مات بنوبة قلبية. فيما ادت تظاهرات مشابهة في جمهوريات تركستان الاسيوية و اذربيجان الى قمع عسكري اعقبه تسليم الحكم الى نفس الحاكم الشيوعي المعين من قبل روسيا .

اما الشيشان و تارستان و غيرها من الجمهوريات التي اعتبرت جزءا من جمهورية روسيا الفدرالية فقد عوملت بطريقة مختلفة حيث وعدت الوحدات الاقرب الى موسكو مثل تارستان و بعدها

بشكورتستان بحكم ذاتي فيدرالي شبيه بالذي حصلت عليه تلك المقاطعات ابان فترة انهيار النظام القيصري و صعود الشيوعية و الحرب العالمية الاولى ريثما يتهيأ لروسيا التقاط انفاسها . لم يرضي هذا الامر الشيشانيون و طالبوا ،و هم اكثر شعوب الاتحاد حربا للروس على مر التاريخ الحديث، باستقلال حقيقي .

اسس الجنرال جوهر دودايف حزبا اسماه المؤتمر الوطني الشيشاني طالب باستقلال الشيشان و نجح في السيطرة على برلمان الشيشان في خريف ١٩٩١ عن طريق اقتحام اجتماع قيادة الحزب الشيوعي و ضرب الاعضاء كما قيل انه القى بقائد الحزب الشيوعي في غروزني الى حتفه من النافذة. قامت ايضا مجموعات مسلحة بالاستيلاء على اسلحة الحرس الوطني، خرج بعدها مؤيدو الاستقلال رجالا و نساء في تظاهرات اتجهت الى المطار للتصدي لهبوط قوات ارسلتها موسكو لاستعادة السيطرة على غروزني في نهاية ١٩٩١ . كانت موسكو وقتها تعاني من اثار الانقلاب الشيوعي الفاشل و انقلاب يلتسين على غورباتشوف فلم تعاود ارسال قوات للمدينة الصغيرة الواقعة في اقصى جنوب روسيا ، بالاضافة الى ذلك كان الحاكم الشيوعي للشيشان الذي اقصاه دودايف من اول مؤيدو الانقلاب الشيوعي الذي استهدف يلتسين فلم يحزن الكرملين لرحيله كثيرا .

في ربيع ١٩٩٢ حاولت مجموعة شيشانية موالية لموسكو القيام بانقلاب و لكنها فشلت.في منتصف ١٩٩٢ انقسمت جمهورية الشيشان انغوشيا الى قسمين اثناء النزاع بين انغوشيتيا و اوسيتيا الشمالية

المجـاورة، فانضـمت انغوشـيتيا ذات الغالبـة المسـلمة الى روسـيا بينمـا اعلنـت الشيشـان لاحقـا اسـتقلالها في ١٩٩٣ تحت اسم جمهورية اتشكيريا الشيشانية.

عمـل دودايـف في الاشـهر التاليـة علـى تـدعيم الاسـتقلال و كـون فرقـا مسـلحة كـان اكـبر قادتهـا بصـفة وزيـر دفـاع ضـابط مدفعيـة سـوفيتية سـابق هـو الكولونيـل اصـلان مسـخادوف كمـا كـان هنـاك مجموعـات اصـغر و لكنـها شـديدة الفعاليـة يشـرف علـى واحـدة منـها اسـلامي شـاب يـدعى شـامل باسـايف اشـترك قبلـها الى جانـب مقـاتلو الاقليـة الابخازيـة المسـلمة ذات الارتباطـات الروسـية في صـراعهم ضـد جمهوريـة جيورجيا كما قاتل في اذربيجان الرافضية ضد الارمن قبل ان يتطور وعيه العقائدي.

انشـغلت روسـيا لعـدة سـنوات عـن متابعـة الوضـع و ان لم يمنعهـا ذلـك مـن تشـجيع اطـراف داخليـة حليفـة علـى محاولـة التصـدي لمشـروع دودايـف الاسـتقلالي. كانـت القوميـة الشيشـانية و التـاريخ الشيشـاني الحـديث شـديدي الارتبـاط بالاسـلام فلـم تلبـث قضـايا اسـلمة المجتمـع و تطبيـق الشـريعة ان اثـيرت في سـنوات الحكـم الـذاتي تلـك. الا ان الامـر زاد عـن حـده بالنسـبة للغـرب فحـث روسـيا المنهكـة اقتصـاديا و عسـكريا عقـب عقـود مـن الفسـاد الشـيوعي علـى التـدخل. مـن ناحيـة اخـرى كـان الشيشـانيون بمـا جبلـوا عليـه مـن تقاليـد حربيـة مسـتعدين بوسـائل عـدة مـن ضـمنها ارسـال طلائـع للتـدريب في افغانسـتان مـن طـرف شـامل باسـايف و اسـلاميين اخـرين في ١٩٩٢ و كـان شـامل يؤهلـهم للقتـال في طاجكسـتان الا ان تسارع الامور في الشيشان ادى الى استدعاءهم لغروزني.

في نهاية ١٩٩٣ قامت مجموعة شيشانية موالية لموسكو بمحاولة انقلاب اخر و فشلت فطلبت المساعدة رسميا من روسيا و اعلنت تكوين حكومة مؤقتة. ثم قامت المجموعات الموالية لموسكو بالتجمع في شمال الشيشان و شن هجوم مولته روسيا و دعمته بالسلاح و المستشارين على اتشكيريا. كما قامت بتطويق الجمهورية و حصارها بقوات حرس الحدود فيما منع الدفاع الجوي الروسي الطيران المدني الى الشيشان و قامت طائرات روسية بدون علامات بقصف غروزني في خريف ١٩٩٤ . استطاعت قوات دودايف دحر هجوم الشيشانيين الموالين لموسكو و اسر بعض المستشارين و الجنود الروس المرافقين لهم.

اصدر الرئيس الروسي المخمور يلتسين امرا لجميع الطوائف في الشيشان بالقاء السلاح و الاستسلام، رفضت حكومة دودايف فبدأ القصف الجوي المكثف لغروزني و مواقع اخرى في الشيشان. التقى قائد الجيش الروسي و دودايف في ديسمبر و اتفقا على وقف القتال، الا ان الجيش الروسي اقتحم الحدود بعدها بايام من ثلاث جهات بحجة "استعادة النظام الدستوري و الحفاظ على وحدة الاراضي الروسية." توقف هجوم الطابور الرئيس في بدايته بناء على امر نائب قائد المشاة الروسي الذي ما لبث ان استقال احتجاجا على استعمال الجيش ضد " مواطنين روس". كما استقال نائب وزير الدفاع الجنرال بوريس جروموف قائد الحرب الافغانية لتوقعه ان تكون الحرب افغانستان ثانية و تلى ذلك امتناع مئات من الجنود و الضباط الروس عن المشاركة في القتال. قام المتظاهرون في

جمهوريـة انغوشـتيا القوقازيـة بتعطيـل الطـابور الغربـي للقـوات الروسـية المتجهـة للشيشـان و احرقـوا عشـرات المركبـات العسـكرية. و كـان عـوام الداغسـتانيون و علمـاءهم قبلـها في ١٩٩٢ قـد تصـدوا لمـرور قـوات روسية من اراضيهم الى الشيشان بنفس الطريقة.

في ١٩٩٤ اقتحمـت القـوات الروسـية الشيشـان و لكنـها اصـطدمت بحـائط شـديد مـن المقاومـة عنـد غروزنـي. تمكـن المـدافعون عـن القصـر الجمهـوري الشيشـاني حيـث ثبـت اصـلان مسـخادوف في مقـر قيادتـه كـرئيس للاركـان مـن ايقـاف القـوات الروسـية علـى بعـد امتـار منـه لثلاثـة اسـابيع تكومـت فيهـا جثـث مـا يقـرب مـن الـف جنـدي روسـي حـول المكـان حتـى ان الكـلاب كانـت تجرهـا باسـنانها فـلا تجـد مـن يمنعهـا. بعـد سـقوط انقـاض القصـر الجمهـوري اسـتمرت المعركـة في الاحيـاء الجنوبيـة لمدينـة غروزنـي لمـدة شـهرين. في النهايـة انسـحب الشيشـانيون جنـوب غروزنـي وسـط مقاومـة عنيفـة مـن مدينـة صـغيرة لاخـرى الى النصـف الجبلـي مـن الشيشـان حـول فيـدينو و دارغـو و بينـوي حيـث اداروا حـرب عصـابات فعالـة ضـد القـوات الروسـية فيمـا قـدرت خسـائر الـروس لاحـتلال مـدن الجمهوريـة في اول سـتة اشـهر بـاكثر مـن ثلاثـة الاف جنـدي و ضـابط. بـرز في تلـك الفـترة علـى سـبيل المثـال لا الحصـر شخصـيات شـامل باسـايف و زلـيم خـان يانـدربايف و مـولادي اديغـوف و اخـرين علـى الجانـب الاسـلامي، حتـى الاطـراف الاخـرى لم تكـن بعيـدة عـن الانتمـاء الاسـلامي بحكـم تكـوين الشخصـية الشيشـانية و خلفياتهـا العشـائرية الصوفية ذات التاريخ الطويل من الصراع ضد النصارى الروس.

استمر القتال لعام و نصف تقريبا كان للمقاتلين الشيشان اثناءه السيطرة في الجنوب و الليل في اغلب انحاء الجمهورية. في بداية الحرب وصل الشيخ فتحي الشيشاني و اسس الجماعة الاسلامية احد اول التشكيلات ذات الانتماء السلفي. كما وصل افراد ذوي انتماء اخواني و كونوا خلية مسلحة. وصل خطاب في منتصف الحرب قادما من افغانستان بعد فراره من طاجكستان بعد ان التقى في بيشاور بالشيخ فتحي الشيشاني الذي اقنعه بالعمل في الشيشان. بعد ان استبعد فكرة القتال في الجزائر و الصومال و البوسنة، فضلا عن نفور خطاب من قتال الانظمة العربية في الجزائر الشيوعية و غيرها فقد كان يريد ارضا بكرا لم يتبلور فيها زعيم و لا شيخ بحجم بن لادن او غيره. كانت سمعة خطاب في بيشاور قد صارت مثار الحديث و اتهمه البعض بالعمالة للشيخ الكبير و الاجهزة السعودية. كان الخيار الآخر المتاح لخطاب بعد الرحلة الطاجيكية وفقا لمستوى تعليمه المتدني و امكانياته العقلية هو ان يعود للمملكة ليعمل في محطة بترول او يعين كملاحظ عمال في ارامكو اذا سمح له بتصريح امني كان سيسحب منه غالبا بعد احداث سبتمبر ٢٠٠١. اصطحب خطاب معه من المرحلة الطاجيكية ابا الوليد الغامدي و ابا حفص الاردني و ابا بكر العقيدة و اخرين. كما حدث في طاجكستان وصل لخطاب ان بعض معارفه السابقين بافغانستان ينتقدونه لقتاله مع الشيشان الخارجين توا من شيوعية الحادية و الغالب على اهل الدين منهم الصوفية الحلولية الاتحادية الا ان خطاب نصح بالصبر حتى تؤتي الدعوة ثمارها و هو ما كان محقا فيه من منطلق مقولة حق اريد بها باطل فلو كانت هذه حقيقة نواياه لصبر على القتال الى جانب عشرات الالاف من السلفيين الجزائريين عندما استنصروه و فيهم

مئـات مـن رفاقـه السـابقين مـن افغانسـتان بـدلا مـن الانـدفاع للقتـال في بـلاد كـان المقـاتلون الاصـوليون السـلفيون فيهـا يومهـا يكـادوا يعـدون علـى الاصـابع. كانـت تلـك المرحلـة بالنسـبة لخطـاب مرحلـة سـطوع الـنجم السـينمائي "خطـاب في خدمـة الجهـاد" و افـلام "خطـاب و جحـيم الـروس"، حيـث عـين مصـورين يلاحقونـه باسـتمرار كالزعمـاء العـرب بـزعم ضـرورة العمـل الاعلامـي المصـور علـى خـلاف سياسـة المـلا عمـر و طالبـان و السـاحة الافغانيـة. طبقـا لسـيرته كمـا رواهـا اهلـه فقـد اعـرض الشـاب ذو التعلـيم الثـانوي عـن مسـتقبل بـاهر رغـد كـان ينتظـره كعامـل بـترول تحـت التمـرين في شـركة بـترول ارامكـو لـو انـه سـعى فيـه بجـد لحصـل علـى منحـة دراسـية يصـير بمقتضـاها عامـل فـني متخصـص في الـبترول و قـد يـتمكن بعـد سـنوات بمقتضـى سياسـة سـعودة الوظـائف مـن تـرؤس زمـلاءه العمـال الاجانـب و سـاعتها قـد يحصـل علـى راتـب قـدره خمسـين الـف دولار سـنويا و سـيارة دفـع ربـاعي يابانيـة. الا انـه فضـل التضـحية بكـل ذلـك و قنـع بـادارة و انفـاق ملايـين الـدولارات الـتي تصـله و توزيعهـا علـى قـادة الجبـهات و مخالطـة رؤسـاء الـدول و ان يكـون مجـرد نجـم سـينمائي يتبعـه طـاقم تصـوير متخصـص و تبـث قنـاة الجزيـرة شـرائطه و يتحدث بذكره رئيس روسيا و قيادات مجلس الامن الدولي.

في صـيف ١٩٩٥ تـراءى ان الشيشـان قـد يهزمـون فقـرروا اللجـوء للعمليـات غـير التقليديـة و منـها اقتحـام مدينـة بودوينوفسـك الروسـية الصـغيرة و احتجـاز المئـات مـن سـكانها داخـل مستشـفى المدينـة و المطالبـة

بجلاء الجيش الروسي عن الشيشان. استطاع الخاطفون و على رأسهم شامل و معه بعض المتطوعين الخروج من المدينة و العودة للشيشان تحت تهديد قتل الرهائن.

حاول سلمان رادويف ابن شقيق جوهر دودايف القيام بعملية مماثلة لعملية بودوينوفسك في بداية ١٩٩٦ في قيزليار بداغستان و اختطف مستشفى بشاغليها و لكن العملية كادت تفشل فتدخل الشيشانيون عبر الحدود و شاغلوا الجيش الروسي حتى تمكن من العودة برجاله مع بعض الخسائر. في ربيع ١٩٩٦ تمكن مئات من المقاتلين بقيادة رسلان غيلايف من اقتحام غروزني لمدة ثلاثة ايام و نهب ذخائر و اسلحة من مستودعات الجيش الروسي بالمدينة ثم انسحبوا.

في صيف ١٩٩٦ حدد احد اعضاء البرلمان الروسي موعدا لاتصال هاتفي مع جوهر دودايف على هاتف الاقمار الصناعية و فور تلقي دودايف المكالمة تعقب صاروخ موجه موجات الهاتف و قتل الرئيس الشيشاني. بعد مقتل دودايف عين زليم خان ياندربايف رئيسا للشيشان. كان زليم خان شاعرا شيشانيا و شخصية ادبية ذات اتجاه اسلامي قوي، لم يكن دودايف بدوره معاديا للاسلام بل انه اتخذ خطوات في اتجاه نشر الاسلام في بلاده على قدر تعليمه و خلفيته الشخصية و اصدر مرسوما في خريف ١٩٩٥ يدعو لتحكيم الشريعة. كما لم يكن دودايف بوصولية بيغوفيتش في البوسنة بل انه وعد بيغوفيتش في احد اللقاءات بارسال مسلحين و سلاح له- على قلة ذات يده (دودايف)- و لكن الحرب عاجلته، فيما لم يعرف وجود اي بوادر شبيهة للتضامن من قبل بيغوفيتش مع اي جهة

اسلامية بمن فيهم من قاتلوا الى جانبه داخل البوسنة. من اول القرارات التي اتخذها زليم خان بعد توليه الرئاسة تطبيق الشريعة طبقا لنصوص قانون عقوبات ١٩٨٣ السوداني بما ان السودان كان يدعي تطبيق قالشريعة وقتها، و اعلن اللغة العربية لغة الزامية في المدارس بجمهورية اتشكيريا . كما اعلن منع بيع الخمور و المخدرات و تم جلد المتعاطين علنا و راسل ابو عمر السيف للاشتراك في وضع دستور اسلامي للبلاد و اصدر مرسوما بتأسيس جهاز للحسبة اسماه حرس الشريعة.

في تلك الفترة بدأت اتصالات بين وزير الدفاع الشيشاني اصلان مسخادوف و الجيش الروسي لوقف اطلاق النار فيما كانت روسيا تعلن انتصارها . من ناحية اخرى اتجهت اغلب القوات الروسية الى الجنوب لتكمل احتلال الجمهورية في اغسطس ١٩٩٦ عندما فوجئت روسيا باكتساح حوالي الف من المقاتلين الشيشان بقيادة شامل باسايف و اصلان مسخادوف و رسلان غيلايف لمدينة غروزني برغم وجود اكثر من اثنى عشر الف جندي روسي داخل المدينة الصغيرة و حولها . في خلال بضعة ساعات احكم الشيشانيون سيطرتهم على المراكز الرئيسة في المدينة و حاصروا القوات الروسية الموجودة بداخلها و بدأوا بتصفيتها و نزع سلاحها و اسر افرادها و اعدام المتعاونين الشيشان معها . حاولت القوات الروسية الموجودة خارج المدينة لعدة ايام كسر الحصار و نجدة زملائهم في الداخل و لكن المحاولات فشلت و قضي على كثير من النجدات التي حاولت التقدم. يقدر عدد افراد القوات الروسية القتلى على مدار الايام الخمسة بالف جندي بحسب التقديرات الشيشانية.

اعلنت القيادة العسكرية الروسية انها ستبدأ قصفا جويا و ارضيا مكثفا لتسوية غروزني بالارض بمن فيها الاف الجنود الروس المحاصرين داخلها ان لم يغادر المقاتلين المدينة في ٤٨ ساعة. بدأ سكان المدينة بمغادرتها فورا بعد ان رفض المقاتلين الانذار. بالفعل بدأ القصف في الموعد الا انه توقف بعد ساعات ليعلن مستشار الامن القومي الروسي وقف اطلاق النار و بدأ مباحثات للهدنة و انسحاب الجيش الروسي.

في اقل من عشرة ايام انتهت الحرب الاولى باتفاقية خساف يورت التي نسقها من الجانب الروسي الجنرال الكسندر ليبيد مستشار الامن القومي الروسي، و حصل الشيشان بموجبها على حكم ذاتي لمدة خمس سنوات يعقبها مشاورات و انتخابات لتحديد مصير استقلال الجمهورية، و حضرت اطراف اوروبية و عربية رسمية كالسعودية و اميركا و غيرهم توقيع الاتفاقات. اسفرت الحرب عن مقتل حوالي ستة الاف جندي روسي و ما يقرب من اربعة الاف مقاتل شيشاني فضلا عن مائة الف من الاهالي تقريبا.

كانت لتلك الحرب خواصا مختلفة عن الساحات الاخرى. من ذلك اخلاص الشيشان الشديد في قتالهم حتى ان اسراهم كانوا يبادلون جنديا لجندي روسي لقلة اسراهم على خلاف الساحات الاخرى التي كان المعتاد فيها مبادلة الاسير بعشرة مسلمين و اكثر و في حالات مثل فلسطين كان يبادل

كل مائتي اسير فلسطيني و لبناني احيانا بجثة جندي اسرائيلي. كما لم تطغى على الساحة الشيشانية اساليب الحرب التسولية و الاتجار المزري بالاهداف العسكرية و السياسية من اجل المال و التبرعات او السلطة المنقوصة كما جرى في ساحات اخرى عديدة.

بعد الحرب اجريت انتخابات فاز بها اصلان مسخادوف بعدد كبير من الاصوات تلاه شامل باسايف بربع اصوات الناخبين و زليم خان ياندربايف الرئيس السابق بعدد اقل. عرض مسخادوف وزارة الدفاع و رئاسة الوزراء على شامل. منح خطاب رتبة جنرال ثم اتجه لاقامة معسكر تدريبي للشيشانيين. عاد الحديث عن شكل الدولة الجديدة و طرق تطبيق الشريعة و قد اقترح مسخادوف التدرج في ذلك. عاد كثير من المقاتلين الى مواطن عشائرهم الجبلية المنعزلة و كونوا ميليشيات رفضت التعاون مع السلطة المركزية بل و بدأت بعض تلك الفرق تتخذ من الخطف نظير فدية موردا لتمويلها. كان المخطوفين في اغلب الاحيان شيشانا من عشائر اخرى ضعيفة او من اهل المدن و في احيان اخرى من الاجانب. و في احد الحالات تم خطف اربعة مهندسي اتصالات اوروبيين و قتلوا على الرغم من نداءات مسخادوف باطلاقهم لحاجة البلاد لهم. اصدرت احد الجهات بيان "قتلناهم لانهم مخابرات"، اتهم مسخادوف عربي بارايف بتنفيذ العملية لصالح المخابرات الروسية. الى جانب الخطف كانت بعض العشائر تستخرج البترول من اراضيها و جماعات اخرى تثقب انابيب النفط

المارة بها و تستولي عليه مما افشل مشروع ضخ النفط الروسي عبر اراضي الجمهورية الى البحر الاسود .

لم تكن العقيدة السلفية موجودة في الشيشان عند بدأ الحرب و كان الموروث الشيشاني هو بقايا من الشعائر الصوفية تمكنت العشائر الجبلية من الابقاء عليها سرا بصفتها آخر ما يربطهم بالاسلام. مع تطور الحرب و تسلل الاعلام الحديث بعد انقضاء الشيوعية و دخول المتطوعين العرب بدأت بعض التيارات السلفية و الحركية الاخوانية تتسلل الى الساحة. يقال ان جوهر دودايف مؤسس الجمهورية الذي اعلن في بداية المطالبة بالاستقلال ان الدولة المرتجاة ستكون جمهورية علمانية تحول لاحقا ليطالب الشعب الشيشاني بالتمسك بالاسلام "و الصلاة ثلاث مرات يوميا كما يأمر الدين." و نقل عنه ايضا قوله "لقد دفعنا لتبني الاسلام كمنهاج مع اننا لم نكن مستعدين لذلك."و على حد علمه الضئيل قام اثناء حضوره احد مؤتمرات التضامن الاسلامي التي كان يعقدها صدام في بغداد بزيارة قبر عبد القادر الجيلاني المنسوب اليه الطريقة القادرية ذات الحضور الواسع في الشيشان الى جانب الطريقة النقشبندية. لم يكن دودايف الخارج من ظلام الشيوعية و الالحاد يعلم ان زيارة كهذه قد تقضي على مصداقية حركته لدى السلفيين. بالنسبة له هو الذي عاصر و سمع عن مصادرة المصاحف اثناء الحقبة السوفيتية و سجن او قتل المتهمين بالانتماء للطرق الصوفية بعد الثورة البلشفية كانت زيارة ذلك القبر تمثل قمة تحديه للماضي السوفييتي و اعلان ولائه للاسلام. اما مسخادوف

فقد اقام ما اسماه المحكمة العليا لتطبيق الشريعة و قرر بدءا من ١٩٩٨ تطبيق الشريعة بتدرج على مراحل تنتهي في خلال ثلاث سنوات، كما عرف عنه امامة جنده في الصلوات. كان تحركه ردا على قيام معارضوه بالاعلان عن قرب اقامة محكمة شرعية مستقلة عن الحكومة في اليوم التالي. من ضمن اول من اقاموا المحاكم الشرعية ابو عمر السيف الشهير بالقاضي و هو معيد بكلية الشريعة بالقصيم وصل للشيشان في نهاية الحرب الاولى و اسس معهدا للقضاء الشرعي في غوديرميس و ساهم في بناء محاكم شرعية. كان ابو عمر السيف من ابناء المؤسسة السعودية و كان يفخر بأنه تلميذ ابن العثيمين و بانه يستشيره تليفونيا في الحالات الحرجة. بلغ عدد المحاكم الشرعية التي كان الرئيس الشيشاني زليم خان ياندربايف اول من امر بانشائها اكثر من ثلاثين محكمة شرعية خمسة منها في غروزني.

انتشر الفكر السلفي بين بعض المجاهدين الشبان و قياداتهم و قام بعضهم بتخريب بعض الاضرحة و التصدي بالسلاح لمشايخ الصوفية القبورية التقليدية .كانت احد اول هذه الحوادث هي محاولة هدم ضريح ام كوتنا حاجي شيخ الطريقة القادرية في غوديرميس سنة ١٩٩٥ الا ان الصوفيين تصدوا للمحاولة. كان زليم خان ياندربايف الصوفي القادري السابق و موفلادي اديجوف و سلمان رادوييف من اقرب القادة للفكر الجديد كما اصبحت اوروش مارتان من مراكز تلك الدعوة. اشتدت وتيرة الصراع بين الصوفية القبورية و السلفية و الحركية الحديثة بعد الحرب الاولى و وقعت مصادمات في غوديرميس ثاني مدن الشيشان تدخلت فيها قوات الحرس الوطني التابع لمسخادوف اسفرت عن

مقتل عشرات معظمهم من الاسلاميين. كانت المعركة وقتها بين السلفيين الجدد و معهم عربي باريف و عبد الملك مجيدوف و بين الصوفية بقيادة سليم يامادييف الذي صار في الحرب الشيشانية الثانية قائدا لميليشيا موالية لروسيا . اعلن مسخادوف في خطب له يومها امتعاضه من التيارات الفكرية الجديدة التي ستفرق بين ابناء الشعب و تهدم بدلا من ان تبني و قرر تكوين قوة خاصة لمكافحة الارهاب و الخطف فقام بعض المعارضون و منهم عربي بارايف بالهجوم على تلك القوة و استهداف افرادها بالقتل. اما احمد قاديروف كبير المتصوفين القبورية فقد اقام مؤتمرات في غروزني للتصدي "للفهابية" و توضيح انحرافها عن الاسلام و طالب مسخادوف بطرد من اسماهم بالوزراء الوهابيين المحيطين به حيث كان قاديروف يعتبر كل اسلامي غير صوفي وهابيا . امر مسخادوف وقتها بطرد الاجانب الذين ينشرون "مذاهب هدامة" الا ان شامل باسايف و نائب مسخادوف واخا ارسانوف تدخلا و صرح شامل بان خطاب لا شأن له بتلك الاشتباكات و انه يتعايش بسلام مع الشيشانيين، فيما صرح خطاب نفسه بانه لا يتدخل في الشؤون الداخلية الشيشانية و ان عمله لا يتجاوز تدريب الشيشانيين عسكريا حسب المهمة الموكلة اليه من قادة شيشان و انه لا يبث ضمن منهجه التدريبي اي مذهب شرعي جديد . في مرحلة ما بعد الحرب كثر الحديث عن الوهابية و الارهاب كما حدث في ساحات اخرى كثيرة و امر مسخادوف العرب بالرحيل فرفضوا . ارسلت قوة لطردهم فانتقلوا الى ستاري اتاجي في جوار عشيرة زليم خان ياندربايف الذي رفض تسليمهم.

في نهاية ١٩٩٧ قامت مجموعات من اسلاميو داغستان بقيادة بهاء الدين محمدوف الافاري بالهجرة الى الشيشان فرارا من الاضطهاد الروسي حيث بدأوا بالتخطيط مع مجموعات شيشانية لتحرير داغستان. في وقت مقارب قامت خلايا من المتطوعين العرب و الداغستانيين بهجوم على مقر احد الوية الجيش الروسي بداغستان في منطقة بويناكسك بداغستان. كان خطاب المتزوج من داغستانية يقرب اليه الافار الداغستانيين طمعا في اكتساب شعبية هناك تؤهله حسب موارده العقلية و الاخلاقية المحدودة لاستلام امارة جزء من داغستان. تلى ذلك في بداية ١٩٩٨ اعلان سكان احد القرى الجبلية بغرب داغستان استقلالهم و تكوين امارة اسلامية.

في بداية ١٩٩٨ عين مسخادوف القائد شامل باسايف نائبا لرئيس الجمهورية و لاحقا رئيسا للوزراء. كان شامل قريبا من خطاب و كان المتطوعون العرب يشاركون في جهاز حراسة باسايف احيانا. بخلاف اغلب قادة الاحزاب الافغانية الذين كانوا يسرقون اموال التبرعات و يرسلون ابناءهم للغرب لاستثمارها فيما يدفعون بابناء الاخرين للقتل في مؤامرات سياسية يترجون منها كان القادة الشيشان بمعظمهم مباشرين للقتال و فقد بعضهم مثل شامل باسايف اسرهم في القصف مما اورثهم احتراما وولاء كبيرا لدى المقاتلين.

ارسل مسخادوف زليم خان ياندربايف على رأس وفد الى افغانستان حيث التقى الملا عمر و اتفقا على التعاون و اعتراف طالبان بامارة الشيشان الاسلامية فيما رفضت البلاد الاسلامية الاخرى الاعتراف بهم. اعلن مسخادوف تطبيق الشريعة الاسلامية ردا على من اتهموه بالكفر و الفشل في ضبط النظام بالجمهورية. الا ان اعلانه قوبل بتصريحات من البعض منهم شامل باسايف الذي اعلن انه بما ان النظام تغير الى نظام اسلامي فذلك يعني ضمنا اقالة مسخادوف و وجوب اختيار "امام" ليقود البلاد. كانت العشائرية و الجبال النائية التي تحصن بها الشيشان في وجه اعدائهم مانعا امام انخراطهم في دولة موحدة و اطاعة رئاسة موحدة. كما كان الحصار الاقتصادي الروسي على البلاد سببا في غضب الكثيرين و بحثهم عن منفذ من الازمة. تبنى شامل و آخرين فكرة تحرير القوقاز و اقامة امارة اسلامية من داغستان على بحر قزوين الى شبه جزيرة تتار القرم على البحر الاسود.

تنفيذا لتلك الخطة تم الاتصال بقيادات اسلامية في داغستان الجمهورية الاقرب جغرافيا للشيشان و تم تدريب العديد من اسلاميو داغستان في معسكرات شامل و خطاب و تسريب مواد دعوية و اسلحة لتخزن هناك. على الجانب الشيشاني كان بعض قادة الحرب ساخطا على سلطاته المحدودة و يرغب في التمدد جغرافيا. حتى بين العرب كان هناك من يريد حربا جديدة يكون فيها خطابا اخر. من هؤلاء ابو عمر السيف القاضي و ابو بكر العقيدة من الجماعة الصعيدية و ابو حفص الاردني. كما كان على الجانب الداغستاني من طمع في اقامة امارة اسلامية يكون له فيها السلطة. كان النشاط الاسلامي قد شهد نموا كبيرا في داغستان و لكن ليس بالحجم الذي يسمح بانتزاعها من

روسيا . و رغم ان داغستان من اكثر الجمهوريات الروسية انتماء للاسلام سكانيا و حضارة الا ان الشيوعية كانت ايضا راسخة فيها . كان مسخادوف مدركا لذلك على الاقل من وجهة نظر مادية عسكرية واقعية و لكن لم يستمع له القادة شبه المستقلين و ارجعوا تحذيراته الى ضعف انتماءه الاسلامي و تودده لروسيا و هو ما لم يكن صحيحا تماما .

في ربيع ١٩٩٨ تم تدمير طابور مسلح روسي في انغوشيتيا قرب الحدود الشيشانية مما اسفر عن قتل عدد من كبار الضباط الروس. اعلنت روسيا بناء على تلك الحوادث اغلاق الحدود البرية الروسية مع الشيشان لمنع تسلل الارهابيين و المجرمين. في ١٩٩٩ تم تكوين اتحاد شعوب اتشكيريا و داغستان برئاسة شامل باسايف الذي اعلن مناصرته لقضية داغستان الاسلامية.في بداية ١٩٩٩ بدأ خطاب في تكوين اللواء الاسلامي و اسندت اليه قيادة قوات حفظ السلام التابعة لمجلس اتشكيريا و داغستان.

في ربيع ١٩٩٩ طالب بهاء الدين محمدوف امير الجماعة الاسلامية بداغستان من مسلمو القوقاز النفير لتحرير داغستان و القوقاز من الاستعمار الروسي و الانضمام للجيش الاسلامي للقوقاز و مقره قرية كرماخي الجبلية بداغستان. في نفس الوقت كانت الفوضى و حالات الاختطاف قد طالت المئات من ابناء الشيشان على ايدي ميليشيات لم توفر حتى مبعوث روسيا الجنرال غينادي شبيغون

الذي اختطف من مطار غروزني فور وصوله ليعثر عليه قتيلا بعد سنة خلال الحرب الثانية. بعدها قامت طائرات روسية بقصف جزيرة في نهر تيريك الشيشاني بزعم وجود قواعد للارهابيين الذين يهاجمون داغستان فيها .

في صيف ١٩٩٩ قامت مجموعات من الداغستانيين يقود اكبرها بهاء الدين كيزيليورتوفسكي امير الجماعة الداغستانية بالسيطرة على بعض القرى الحدودية و اعلانها امارة اسلامية. اعقب ذلك عبور مئات من الداغستانيين الافار و الدارجينيين و الشيشان و العرب للحدود و احتلال بعض قرى مركزي بطليخ و تسومادي بداغستان بدون مقاومة. بعد عدة ايام في اغسطس اعلنوا قيام امارة داغستان الاسلامية و الحرب على جيش الاحتلال الروسي و حكومة داغستان العميلة.

على خلاف ما صور الداغستانيون الوضع لم يكن الشعب الداغستاني ينتظر الاسلاميين بالاحضان على الحدود ليقوم بثورة شعبية. استقبلت المجموعات الاولى التي ضمت ابو حفص و عمر السيف مقاومة شديدة و كمائن كادت تودي بهم استنجدوا بعدها بخطاب الذي احيط به بدوره و كاد يهلك فاستنجد بشامل الذي جلب قواته و اعلن نفسه اميرا لامارة داغستان الاسلامية. في خلال اسبوعين قام الروس و عملائهم الداغستانيين و الاهالي بطرد الاسلاميين من قرية بطليخ و تحول الصراع الى قرى كرماخي و شابانماخي الحدودية، حاول الشيشانيون القيام بهجوم تمويهي شمالا و لكن بلا جدوى.

اعلن مسخادوف متأخرا بعد تردد اداته لغزو داغستان و لو انه لم يكن يملك من القوات ما يمنعه به فضلا عن انعدام سيطرته خارج العاصمة و في غياب الضوابط الشرعية و الاخلاقية و غلبة العاطفة الدينية كانت اداته سينظر اليها من قبل القادة الاسلاميين الجدد كما لو كانت خيانة للاسلام و امتدادا لمساره العلماني السابق. كان الغزو نقضا جليا للميثاق مع الروس و كوفئ مرتكبوه بالخذلان ممن ذهبوا لينصروهم و بمشاهدة الامارة الشيشانية و هي تتسرب من ايديهم ليقضوا ما بقي من حياتهم مطاردين حتى الموت. اما الداغستانيين فقد تداعى كثير منهم بدوافع قومية اذكتها روسيا للتصدي لما اعتبروه غزوا عبر الحدود. على الرغم من اعتراض مسخادوف على عملية داغستان الا انه ارسل وحدات لنجدة لشامل و خطاب و الاخرين حتى استطاعوا الانسحاب الى داخل الشيشان بعد شهر و في اثرهم القوات الروسية.

في نفس الوقت من خريف ١٩٩٩ وقعت تفجيرات ضخمة في بنايات سكنية بموسكو و بناية تشغلها اسر القوات الروسية بداغستان اسفرت بمجموعها عن حوالي ثلاثمائة قتيل. اتهمت روسيا خطاب و شامل باسايف بالمسؤولية عن الهجمات و توعدت بالثأر. كعادة الاسلاميين الحركيين المعاصرين في التنصل من العمليات الفاشلة اعلن الشيشان و العرب براءتهم و نسبوا قصف البنايات السكنية بموسكو للمخابرات الروسية.

بدأت الحرب رسميا بتكثيف للقصف الجوي الروسي على الشيشان بحجة القضاء على العصابات التي اشتركت في غزو داغستان. توالت بعدها الغارات البرية و اوجدت القوات الروسية لها موطئ قدم داخل الشيشان. ثم اعلن رئيس وزراء روسيا الجديد ان روسيا ستتدخل لاحتلال الثلث السهلي من الشيشان حتى نهر تيريك لانشاء حزام امني يمنع تعديات الشيشانيين و اضاف ان مسخادوف و برلمانه سيعاملون كاطراف غير شرعية.

اعلن مسخادوف عن خطة سلام تتضمن اجراءات للتصدي للمجموعات الشيشانية المسلحة المنفلتة و هو ما رفضته روسيا، فدعا حلف الاطلنطي للتدخل لوقف الحرب. في منتصف اكتوبر عبرت القوات الروسية نهر تيريك على محورين لدخول غروزني فيما فر ما يقرب من نصف سكان الشيشان عبر الحدود لتتلقفهم القوات الروسية و تسكن كثيرا منهم فيما سمي معسكرات فلترة الارهابيين. اشترك في الغزو ما يقرب من مائة الف جندي روسي. بعد ان استولت روسيا على احد المرتفعات المطلة على غروزني اعلن مسخادوف غزوة (الجهاد) للتصدي للروس.

بعد شهر استسلمت غوديرميس ثاني مدن الشيشان بعد انضمام قادتها العسكريين الاخوة يامادیف للروس. كان الاخوة یامادیف احد اهم المجموعات التي قاتلت السلفيين في فترة ما بين الحربين تنفيذا لقانون مكافحة الارهاب الذي اصدره مسخادوف. في الايام التالية سقطت باموت و ارغون و اوروش مارتان و بقيت غروزني وحدها محاصرة حتى تم تكثيف الهجوم عليها في ديسمبر ١٩٩٩ بعد شهر و نصف من وصول القوات الروسية لمحيطها.

تمكن الشيشانيون من صد الهجوم على غروزني لما يقرب من اربعة اشهر في اضخم معارك حرب المدن الحديثة. الا ان حادثا وقع في بداية عام ٢٠٠٠ عجل بانسحابهم اذ خرج رسلان غيلاييف مع ما يقرب من ١٥٠٠ من المقاتلين بدون اذن القيادة مما فت في عضد المرابطين داخل المدينة. اتهمه مسخادوف بالعصيان و ترك مواقعه و تعريض جبهة غروزني لخطر جسيم و خفضت رتبته من جنرال الى جندي و نزعت عنه الاوسمة. كان في انتظار غيلاييف كمين خارج غروزني قضى على اغلب من خرجوا معه. اضطر مدافعو غروزني لاتخاذ قرار الانسحاب بعد شهر من خروج غيلاييف[١]. بعث المحاصرين بوحدات استطلاع لم ترجع اليهم فطلبوا متطوعين يتقدموا الصفوف خلال حقول الالغام. كان افراد الطليعة يصيحون بمن خلفهم "نراكم في الجنة" ثم ينطلقون عبر حقول الالغام الكثيفة فتمزقهم بعد ان يكونوا شقوا امتارا خلالها. اقترح البعض على شامل باسايف دفع الاسرى الروس الموجودين حوزته ليشقوا الطريق عبر الالغام فرفض. قام امراء الشيشانيين بتصدر ارتالهم المنسحبة عبر حقول الالغام جنوب غروزني و اندفعوا تحت قصف مدفعي روسي فقتل منهم عمدة غروزني ليشا دودايف و الجنرال خنكارباشا اسرابيلوف و قائد منطقة غروزني العسكرية الجنرال

---

[١] بعد خروج غيلاييف من غروزني ذهب مذاهب شتى. كان غيلاييف يأخذ على قيادة الشيشان غموض الراية و يتهمهم بالعلمانية و في وقت من الاوقات قرر ان ينتقل للقتال ضد الامريكان في العراق قبل ان يثنيه زملاؤه. انتقل بعد فترة للاقامة على الحدود الجيورجية، ثم كون بحسب مصادر الرئاسة الجيورجية النصرانية مجموعة قاتلت الى جانب الجيش الجيورجي ضد الروس و حلفاءهم الابخاز، ثم انتقل تحت الضغوط الدولية التي امرت جيورجيا بطرد الشيشان من غور بانكيسي الى داغستان حيث قتل على يد دورية روسية في ٢٠٠٥.

اسلم بيك اسماعيلوف و اصيب نائب رئيس الشيشان شامل باسايف و عبد الملك مجيدوف باصابات بالغة ادت لبتر اطرافهم كما قتل ما يقرب من ٤٠٠ مقاتل في سويعات قليلة. بنهاية ربيع ٢٠٠٠ سقطت جميع المراكز المأهولة في قبضة الروس و بدأت حملة تطهير المعاقل الجبلية.

انضمت اعداد متزايدة من المقاتلين الشيشان للروس و حدث استقطاب شديد في المجتمع الشيشاني و بدأت قطاعات منه تنبذ المقاتلين و انصارهم الوافدين بل و تطردهم من مناطقها و تبلغ الروس عنهم فيما ازداد التوجه الاسلامي لدى كثير من المقاتلين على الجانب الآخر. في هذه المرحلة اعلن خطاب و شامل عدم الحاجة لمقاتلين جدد و ان الحاجة ماسة اكثر للمال.م يكن هذا الاعلان صحيحا كما كان غير صحيح في ساحات اخرى فالمال و ما يتبعه من سلاح و الرجال هما وجهان لعملة واحدة يغني احدهما عن الاخر و بما ان البلاد لم تتحرر من الغزو و مازال النساء و الرجال يغتصبون يوميا على ايدي القوات الروسية فم يكن لمقولة عدم الحاجة لرجال معنى. و فيما كان مثل هذا الاعلان يصدر في الساحات الاخرى بغرض جمع المال للقائد الجهادي الذي يحوله بدوره الى حسابه السويسري فقد كانت دوافع شامل و خطاب مختلفة. في الاغلب كان شامل مدركا لصعوبة ايواء مقاتلين اغراب في الاماكن القليلة للغاية التي ظلت ترحب بهم خاصة في فصل الشتاء عندما يقيد الجليد التحركات. اما خطاب فكان في الاغلب يحتاج للمال ليشتري به لنفسه وجاهة اكثر لدى الشيشان بعدما لاحظه من انخفاض مستوى الترحيب به.

جنوبا فقد الشيشانيون حق استعمال غور بانكيسي كقاعدة تموين و استراحة خلفية بعد ان اعلنت اميركا انها تتقصى وجود معامل لانتاج اسلحة للدمار الشامل يديرها ارهابيون عرب و مولت حملة للجيش الجورجي للسيطرة على المنطقة و طرد المقاتلين منها .

بعد خراب البصرة لام بعض العلماء خطاب على الاشتراك في اشعال حرب داغستان التي ادت لضياع البلاد فغضب غضبا بشدة و زعم كما زعم بن لادن قبله في موضع اخر انه كان مطلعا على خطط المخابرات العامة الروسية لاعادة غزو الشيشان فاراد ان يستبقهم بنقض العهد و الميثاق.[1] و الغريب ان خطط المخابرات الروسية كانت بهذا الوضوح لشاب لم يتجاوز تعليمه الثانوية السعودية لو انزلوه في قلب موسكو لما استطاع العثور على مبنى الكى جي بي الضخم في احد اكبر ميادين العاصمة. كان اطلاع دهماء العرب و صغارهم على خطط اكبر اجهزة المخابرات الدولية فيما لا يستطيعون الاطلاع على ملف بمخفر شرطة ببلادهم امرا يبعث على العجب.

كان خطاب ذو اتجاهات مخالفة ضمنا لاتجاهات القاعدة. ففيما يخص موقفه من الحكم السعودي يروى ان احد كبار مشايخ السعودية الذين يجمعون له التبرعات اتصل به و قال له "الامراء يخيرونك بينهم و بين الجزيرة" و كان خطاب قد دأب على ارسال الشرائط المصورة لقناة الجزيرة التي اعتادت

---

[1] موقع مفكرة الاسلام.

انتقـاد السـعودية فارسـل يؤكـد انـه يختـار الامـراء . كمـا اعلـن خطـاب في احـدى لقاءاتـه الصـحفية المصـورة باللغـة الروسـية انـه لا يقاتـل الشـيوعيين لشـيوعيتهم او اليهـود ليهوديتـهم و انمـا يقاتـل فقـط لـرد العـدوان. كان هذا مخالفا لفلسفة الجبهة العالمية لقتال اليهود و الصليبيين بقيادة بن لادن.

و مـع ذلـك عنـدما سـأل خطـاب عـن بـن لادن اطنـب في المـديح كمـا فعـل بـن لادن لاحقـا بعـد مقتـل خطـاب و ان لم يكـن الامـر يتعـدى مجـاملات شـبيهة بـالتي يعلنـها الحكـام العـرب عـن العلاقـات الاخويـة بـين بلـدانهم و هـم يسـتعدون لتمزيـق بعضـهم الـبعض اربـا و ان لم تتطـور الامـور لهـذا الحـد بـين خطـاب و بـن لادن.الا انـه مـن المقطـوع بـه ان بـن لادن كـان يـدس رجـالا لـه طـوال سـنوات الحـرب لاقتنـاص الامـارة مـن خطـاب و السـيطرة علـى السـاحة الشيشـانية ان امكـن، و هـو الامـر الـذي كـان خطـاب واعيـا لـه عنـدما كـان يصـر علـى اسـتقبال الوافـدين و اسـتجوابهم بنفسـه ظاهريـا لكشـف مدسوسـي "المخـابرات" و باطنيـا لكشـف مبعـوث اي جهـة اسـلامية اخـرى مثـل القاعـدة تحـاول السـيطرة علـى السـاحة و الحلـول مكانه.

شـهدت السـنة الاخـيرة مـن حيـاة خطـاب تغـيرا طفيفـا في مسـلكه اذ بـدأت الامـوال الوافـدة اليـه تقـل حتـى انـه طلـب مليـون دولار مـن احـد المتصـدقين بالسـعودية كمـا اعتـاد ليـتمكن مـن الصـمود بضـعة اشـهر فـرفض طلبـه.ادلى خطـاب بتصـريحات صـحفية نعـت فيهـا الحـرب علـى طالبـان بأنهـا حـرب علـى الاسـلام بسـبب تطبيـق الشـريعة. كمـا نقـل عنـه ان حكـام المسـلمين مخطـئين و هـم احـد اسـباب بـلاء

الامـة. كانـت هـذه الاعـراض مشـابهة للـتغيرات الـتي المـت بـين لادن بعـد ان اسـتبعدته الحكومـة السـعودية من خطط تحرير الكويت.

في نهايـة ٢٠٠١ تـرك بهـاء الـدين كيزيليورتوفسـكي اميـر "جماعـة" داغسـتان مسـعر الحـرب الـبلاد و انتقـل للحيـاة في تركيـا .في ٢٠٠٢ دسـت المخـابرات الروسـية علـى خطـاب مراسـلا مـن ثقاتـه افـار داغسـتان الـذين كـان يطمـح ان يكـون منـهم جيشـا يسـيطر بـه علـى مملكتـه الخاصـة في داغسـتان سـلمه خطابـا مسـموما مـات علـى اثـر فتحـه. تـولى رفيـق دربـه ابـو الوليـد الغامـدي قيـادة المتطـوعين و حـرص ان يظهـر في شـريط مصـور جمعـه بشـامل باسـايف و اصـلان مسـخادوف تحـت رايـة سـوداء تحمـل الشـهادة، كـان مسخادوف قد عين ابو الوليد قائدا للجبهة الشرقية.

في ٢٠٠٢ هاجمـت وحـدة مختلطـة مـن النسـاء و الرجـال احـد مسـارح موسـكو و هـددت بـتفجيره و قتـل مئـات الـروس بداخلـه. كانـت المجموعـة بقيـادة موسـر بـارايف ابـن شـقيق عربـي بـارايف قائـد احـدى المجموعـات القريبـة الى السـلفية و الـتي نسـب اليهـا المسـؤولية عـن كـثير مـن عمليـات الخطـف في مرحلـة مـا قبـل الحـرب و عـم اول انتحاريـة شيشـانية حـواء بارايفـا. طالبـت المجموعـة بخـروج الجـيش الروسـي مـن الشيشـان. اعلنـت موسـكو ان قائـد القـوات الروسـية في الشيشـان سيصـل للتفـاوض بعـد سـاعات ثـم اطلقـت غـازا مخـدرا كثيفـا داخـل المسـرح خـدر الرهـائن و الخـاطفين، اعقـب ذلـك دخـول القـوات الروسـية للمسـرح حيـث قتلـت الشيشـانيين و هـم نـائمون كمـا ادت كثافـة المخـدر الى مـوت مـا يقـرب مـن

مــائتي رهينــة .اعلــن شــامل باســايف مســؤليته عــن التخطــيط للعمليــة بــدون اذن مســخادوف رئــيس الدولــة و اعتذر له.

في ٢٠٠٣ عنــدما قــررت اميركــا غــزو العــراق و تســابقت الــدول الصــغيرة لاثبــات ولاءهــا بارســال قــوات "لتحــالف الشــجعان" و كثــر الكــلام حــول خســائر اميركيــة فادحــة في حــرب المــدن و اقتحــام بغــداد خــرج اصــلان مســخادوف بتصــريحات نشــرت في الصــحف عــن اســتعداده لارســال قــوات للاشــتراك في معركــة بغــداد بمــا لهــا مــن خــبرة في قتــال المــدن. قيــل ان هــذا كــان ردا علــى تصــريحات لصــدام حســين ادلى بهــا صــدام ذو العلاقــات الوثيقــة بــالجيش الروســي و المعتمــد كليــا علــى الســلاح الروســي لصــحف روســية نعــت فيهــا جــوهر دودايــف و القيــادة الشيشــانية بالعمالــة للمخــابرات الاميركيــة و الاســرائيلية. كــان صــدام علــى معرفــة بــدودايف و استضــافه في مــؤتمرات اســلامية عقــدت في العــراق، و بحســب روايــة صــدام فــان دودايــف عــرض عليــه التوســط بينــه و بــين اميركــا بعــد حــرب الكويــت بمــا لــه مــن علاقــات مــع مســؤولين اميركــيين. لم ينشــر لابــو الوليــد اي رد بخصــوص هــذا الموضــوع حتــى موتــه خاصــة و قــد كــان فخــورا للغايــة بالشــريط الــذي ظهــر فيــه و هــو يعــانق مســخادوف. فيمــا يخــص العــراق نشــر موقــع اخبــار القوقــاز مقــالا نصــح فيــه ابــو الوليــد بصــفته خــبيرا اســتراتيجيا دوليــا المقــاتلين في العــراق بالانتحــار باعــداد كــبيرة لان في رأيــه الفــني التخصصــي و بحكــم معرفتــه بــالجنود الاميركــيين و البريطــانيين الــذين لم يــرهم مــن قبــل ان هــذه

العمليات ستؤثر فيهم بشدة، كما ذكر انهم في الشيشان استفادوا كثيرا من ترك بعض المقاتلين الشيشان للصفوف و تطوعهم في الشرطة و الجيش الروسي.

في مارس ٢٠٠٤ عرضت قناة الجزيرة شريطا لابو الوليد يهدد فيه الناخبين الروس بتلغيم شوارعهم اذا انتخبوا بوتين في انتخابات الشهر المقبل على طريقة بن لادن عندما هدد الاميركيين الا ينتخبوا بوش فارتفعت شعبية بوش. انتخب بوتين كما كان متوقعا و ما لبث ابو الوليد ان قتل في الشهر التالي و تولى بعده ابو حفص الاردني احد قيادات عملية داغستان الفاشلة و رفيق خطاب في الحرب الطاجيكية. في فترة ما بعد خطاب ظهر ابو مصعب الغامدي قائد وحدة سرايا بدر و بدأت بياناته تظهر تقاربا من فكر القاعدة و بعدا عن خط خطاب و المخابرات السعودية. بعد ظهور مصعب الغامدي قال الامير نايف وزير الداخلية السعودي المكلف ادارة الملف بعد اقالة الشيخ الكبير ان الشيشان العرب اتضح انهم اخبث من الافغان العرب. كان الغامدي قد اصدر بيانا ايد فيه عملية الرس التي قام بها افراد من القاعدة في المملكة. صدر بيان نسب الى ابو عمر السيف يبرأ فيه باسم مقاتلي الشيشان من تأييد اي عمليات ضد السعودية و ينصح مقاتلو القاعدة بقصر هجماتهم على القوات الاميركية بدلا من الحكومات الخليجية الا ان ردود الفعل العنيفة و التهديدات التي صدرت ضده بصفته عميلا سعوديا ادت به الى المسارعة بنفي مسؤوليته عن البيان المنشور على موقع انترنت اماراتي. صدر ايضا في وقت مقارب بيان شبيه يدعو مقاتلو جزيرة العرب للتركيز على الاميركيين و التوقف عن استهداف حكوماتهم لشخص يدعى ابو زيد الكويتي كان يطمح في ان يكون خطاب

جديد في يوم من الايام و لكن اجله ادركه و لم يلبث طويلا. علق مركز جيمس تاون للدراسات الاستراتيجية على اصدار قيادات عرب الشيشان بيانات موالية لحكوماتهم بخلاف "المتمردين" من مواطنيهم بجبهات اخرى بأن نقص التمويل الوارد من الخليج بعد سبتمبر ٢٠٠١ نال منهم كل منال و اضعف من تأيدهم في الشيشان.

في تلك المرحلة بدأت تظهر صعوبة قصر العمل على الجبهة الشيشانية فيما اتت خطة اعداد الكتائب القوقازية ثمارها حين قامت خلايا من اسلاميو القوقاز الذين تدرب كثير منهم في معسكرات شامل و خطاب بعمليات ضد القوات الروسية و الحكومات المحلية في انغوشيتيا و داغستان و كباردينو بلكاريا .

مع توالي مقتل القيادات و انهيار المقاومة الشيشانية خرج زليم خان ياندربايف في جولات على الدول الاسلامية لاستدرار الدعم المالي و السياسي الذي توقف بعد احداث سبتمبر و لكنه قوبل بالخذلان. في ٢٠٠٤ قامت المخابرات الروسية بتفجير سيارة زليم خان ياندربابيف بعد خروجه من صلاة الجمعة في الدوحة حيث كان لاجئا . قبضت الشرطة القطرية على المنفذين الروس و قدمتهم للمحاكمة و حكمت عليهم بالسجن المؤبد فيما كانت القيادة الروسية تعلن ضمنا ان المحاكمة تمثيلية متفق عليها سيجري اطلاق سراح ضباط المخابرات الروس بعدها، و بالفعل اطلق سراحهم بعد

صدور الحكم بحجة ان الحكم سينفذ في روسيا و رحلوا الى روسيا حيث استقبلوا استقبال الابطال و اعلنت القيادة الروسية ما مفاده ان احكام قطر لا قيمة لها و لا تسري في روسيا و راحت على من راح.

اعلن مسخادوف في بداية الحرب استعداده للتفاوض الا ان طلبه رفض و تحول الرفض الى استهزاء من جانب بوتين تزامنا مع هزائم الشيشانيين. في اخر سنة له اعلن مسخادوف ان تعنت الروس يدفعه دفعا للتحالف مع من تسميهم روسيا الارهابيين المتطرفين ضدها . كان دور مسخادوف محوريا في التخطيط العسكري في كل المعارك الكبرى للمرحلة السابقة. في بداية ٢٠٠٥ اعلن مسخادوف و وافقه باسايف انه اصدار امرا للقادة العسكريين بوقف جميع العمليات "الهجومية" من جانب الشيشانيين داخل و خارج الجمهورية لمدة شهر و نصف كبادرة حسن نية لبدأ التفاوض الا ان الروس رفضوا العرض. في خلال شهر كان مسخادوف قتيلا في مواجهة مع القوات الروسية. قيل انه استدرج بعد اتصالات و وساطة من دول خليجية قد تكون السعودية او قطر للقاء مسؤلين امنيين روس كبار لبدء مفاوضات الهدنة و في الطريق حوصر في كمين كان معدا له فأمر حراسه بالفرار بينما تصدى لقوة المخابرات الروسية التي كانت بانتظاره بمفرده حتى قتل.

في ٢٠٠٥ قامت مجموعة من المقاتلين القوقازيين من الشيشان و انغوشيتيا و غيرهم باحتجاز مئات من طلبة احدى المدارس في جمهورية اوسيتيا الشمالية المجاورة لانجوشيتيا . تعتبر اوسيتيا الشمالية هي

الجمهورية ذات الاغلبية النصرانية الوحيدة في شمال القوقاز، و اهلها خليط من المستوطنين الروس و القوزاق و الاوسيتيين الذين ارتد اسلافهم عن الاسلام منذ قرنين. بعد ان اعلنت القيادة الروسية انها ستتفاوض مع الخاطفين، و لو على الاقل لتركهم ينسحبون بسلام خارج المكان، قامت القوات الخاصة الروسية باقتحام المدرسة مما ادى لمقتل مئات الطلبة و اغلب الخاطفين ان لم يكن كلهم.

اعقب مسخادوف عبد الحليم سعداللايف "الشيخ سعيد" رئيس القضاة الشرعيين بالمحكمة الشرعية الشيشانية ذو الميول الصوفية الذي اعلن رفضه للعمليات الارهابية و استهداف "المدنيين" الا انه قتل في صيف ٢٠٠٦ . و في نهاية ٢٠٠٦ قتل ابو حفص الاردني في داغستان. بعد مقتل سعدلايف اعقبه نائبه ابو عثمان دوكا عمروف الذي اختار ابا ادريس عبدالله شامل باسايف نائبا لرئيس الشيشان اتشكيريا حتى مقتل شامل بعدها بايام في انفجار شاحنة محملة بالمتفجرات كانت متجهة الى انغوشيتيا و قتل معه اكثر امراء الخلايا المسلحة في غلغايشو (انغوشيتيا) . في ذلك الوقت صار مهند اميرا للمتطوعين خلفا لابو حفص الاردني. اعلن دوكا عمروف وقف اي مفاوضات مستقبلية مع الروس، كما اعلن مولادي ادوغوف المتحدث الرسمي باسم الشيشانيين ان هدفهم الحالي ليس الاستقلال و جمهورية على النمط الديمقراطي و لكن امارة اسلامية في شمال القوقاز. في خريف ٢٠٠٧ اعلن دوكا عمروف اقامة امارة القوقاز الاسلامية التي تعد ولاية نخشيشو ( الشيشان/ اتشكيريا) احدى مكوناتها و دعا المسلمين في كل مكان الى النفير العام و من تصريحاته ان "الشريعة

ينبغي ان تطبق في كل بقعة للمجاهدين فيها موطئ قدم. . . و ان الولايات المتحدة و بريطانيا و اسرائيل هم من الد اعداء الاسلام." كان هذا تطورا كبيرا في فكر الرجل الذي اتى من موسكو حسب قوله في بداية الحرب الاولى ليقاتل من اجل الاستقلال و هو يجهل اركان الصلاة ثم صار احد كبار ضباط رسلان غيلاييف و التزم الطريقة الصوفية القادرية ورد كونتا حاجي ثم ترك غيلاييف بعد خلافه مع مسخادوف و القيادة الشيشانية و صار من كبار جنرالات مسخادوف الى ان تحالف مع شامل باسايف و صار من المنادين بالخلافة.

طبقا للمصادر الشيشانية فقدت الشيشان خمس سكانها في الحربين، كما اصبحت الاراضي الشيشانية اكثر بقاع العالم كثافة في عدد الالغام المزروعة. ما زالت خلايا صغيرة تقوم بعمليات بسيطة في الشيشان التي اصبحت مقر قيادة عمليات الاسلاميين في القوقاز حيث انتشرت جماعات فرعية تهدف الى اقامة دولة اسلامية من البحر الاسود الى بحر قزوين و تعتبر كافة الاراضي الروسية ميدانا مشروعا لعملياتها . خسر الروس في الحرب الثانية اكثر من خمسة الاف جندي مما يجعل من خسائره في الحربين تقترب من خمسة عشر الف قتيل و هو رقم مساو لارقام خسائر الروس في افغانستان مع الفارق ان تعداد الافغان عشرين ضعف عدد الشيشان، و مسرح العمليات و العمق الاستراتيجي المتاح لهم اكبر حجما بستين مرة من الشيشان، و كم المساعدات المالية و العسكرية التي اتيحت لهم اكثر بمئات المرات مما اتيح للشيشانيين. على صعيد الدعم الدولي التقى ملك السعودية عبد الله بن عبد العزيز آل سعود في نهاية ٢٠٠٧ بمكة برمضان قاديروف قائد ميليشيات الشيشان

المتعـاونين مـع روسـيا و عميـد الطريقـة القادريـة و هنـأه علـى تصـديه للارهـاب و التطـرف و دخـل معـه الكعبـة ثـم اعلـن في زيـارة لاحقـة لموسـكو تخلـي السـعودية عـن دعـم الشيشـان و ان الحـرب شـأن روسـي داخلـي .لم تكـن السـعودية وحـدها فقـد اعلنـت منظمـات تـدعي انهـا اسـلامية جهاديـة مثـل حمـاس علـى لسـان قائـدها خالـد مشـعل ايضـا ان الشيشـيان شـأن روسـي داخلـي بعـد قـبض منحـة روسـية. مـن حـوالي مائـة الـف جنـدي روسـي في الشيشـان في ١٩٩٩ انسـحب النصـف بحلـول ٢٠٠٨ و تركـت مهمـة القتـال لميليشـيات الشيشـانيين المـوالين لموسـكو بقيـادة قـاديروف و يامـاديف حتـى مقتـل يامـاديف في نهاية السنة.

في مـارس ٢٠١٠ قتـل الامـير سـيف الله ابـو عمـران انـزور اسـتميروف الشركسـي قائـد قـاطع كبـاردينو بلكاريـا في امـارة القوقـاز و كـبير قضـاة الامـارة. بعـد مقتلـه رثـاه ابـو محمـد المقدسـي و نـوه بمـا كـان بينـهما مـن مراسـلات تـدل علـى حسـن دينـه و صـحة عقيدتـه.[١] كـان هـذا مؤشـرا علـى ان البيئـة الجهاديـة الشيشـانية بلغـت او تخطـت الجيـل الثالـث مـن الفكـر الجهـادي المعاصـر و بـدات تخـرج مـن طـوق السـيطرة الفكريـة للشـيخ الكـبير و المخـابرات السـعودية. بعـدها باسـابيع اسـر الامـير ماجـاس الانغوشـي القائـد العسـكري لقـوات امـارة القوقـاز عـن طريـق دس مخـدر لـه و نشـر موقـع صـوت القوقـاز انـه كـان يتمنطـق بحـزام ناسـف لـتفجير نفسـه اذا اقتضـى الامـر. تلـى ذلـك وضـع الخارجيـة الاميركيـة دوكـو عمـروف في منتصف نفس العام على قائمة الارهابيين المستهدفين و اعلنت نيتها القضاء على مجموعته.

---

[١] للمزيـد عـن دور الاميـر ابـي عمـران سـيف الله الشركسـي فـي تنقيـة الاطـر الشـرعية للحكـم فـي امـارة القوقـاز الاسـلامية انظـر ملحـق ٤ و ٥

# لبنان

يتألف لبنان من عدة اقضية وولايات صغيرة من ولايات الشام بضمنها ولايتي طرابلس و بيروت التاريخيتين. تمتد ارضه على مساحة عشرة الاف كيلومتر و يقطنها ما يقرب من اربعة ملايين نسمة. يضم الشعب اللبناني طوائف عديدة منها المسلمين السنة و هم اكبر الاقليات و يسكنون الشمال و المدن الكبرى يليهم الروافض و معقلهم الجنوب و البقاع ثم طائفة النصارى المارون المرتبطين تاريخيا بالغرب و يعتبرون انفسهم مواطنين فرنسيين لما كان لهم من قتال الى جانب الفرنسيين في الحروب الصليبية و بعدها و تركزهم في جبل لبنان، ويليهم عددا الدروز الباطنية و معقلهم الشوف. كان هذا الخليط و ما تبعه من دعم اوروبي لبعض الطوائف سببا في انتفاضات و ثورات على الحكم العثماني في القرن الثامن عشر و من اشهرها ثورة الامير بشير الشهابي الذي ارتد الى النصرانية و خرج على الدولة.

ظهرت بداية المشكلة اللبنانية مع نهايات التاريخ الوسيط بعد سقوط الحكم المملوكي في مصر و الشام، فقد سمح العثمانيون بتوافد بعثات تنصيرية غربية مثل الكبوشيين و الجزويت الى لبنان مباشرة

بعد تسلمهم لحكم البلاد و هو ما لم يكن المماليك الذين حرروا لبنان من الصليبيين ليسمحوا به. تزامن ذلك ايضا مع اعطاء امتيازات عسكرية و سياسية لآل المعني الدروز و حلفاءهم المارونيين نظير ما ابدوه من تعاون مع الحملة العثمانية ضد المماليك حيث صار فخر الدين المعني الدرزي حاكما للبنان يساعده قائد عسكري ماروني.

تعرض لبنان في بداية تاريخه الحديث لغزو محمد علي باشا انطلاقا من مصر حيث قام حاكم الشام ابراهيم باشا نائب محمد علي باشا بنزع سلاح المسلمين السنة بمؤازرة النصارى و الدروز. كان السنة مرتبطين عادة بالدولة العثمانية فضلا عن عدم رضاهم عن اسلوب محمد علي التسلطي في الحكم بما فيه من ضرائب فادحة و احتكار شيوعي لموارد و تجارات الدولة و تجنيد اجباري للرجال. و سمح ابراهيم باشا اثناء فترة حكمه للارساليات التنصيرية بالعمل في لبنان و فتح مدارس و مستشفيات[١] تحت ضغط المعاهدات التي ابرمتها الدولة العثمانية مع الدول الغربية نظير مؤازرتها ضد محمد علي ظنا منه انه بذلك يحافظ على ملكه. و مع ذلك لم يرضى النصارى عن محمد علي و انتفضوا ضده و يقال ان بطريرك المارون اصدر قرارا بحرمان اي ماروني لا يشارك في الثورة ضد الحكم المصري من دخول الجنة. بموجب مؤتمر لندن ارسلت قوات نمسوية و تركية و انكليزية الى

---

[١] اجبر محمد علي بموجب نصوص معاهدة كوتاهية على الالتزام بالقوانين العامة و المعاهدات العثمانية و الا اعتبر منشقا على الدولة و عرضة لتدخل حلفاء الدولة العثمانية من القوى الاوروبية الكبرى كلها ضده. و قد اسرفت الدولة العثمانية لما اعتراها من خوف في اعطاء التنازلات التجارية و الثقافية و القانونية لحماتها الاوروبيين. و في احيان كثيرة رضخ محمد علي لتلك التدخلات الجائرة و لو كانت تمس امن جيشه و من ذلك موافقته على مرور سفينة استكشاف بريطانية مسلحة في رحلة وافق عليها السلطان العثماني عبر الفرات من الغرب الى الشرق وصولا لبغداد لتقيس امكانيات الدفاع عن العراق ضد اي محاولة من محمد علي لغزوه. و قد شملت تنازلات السلطان عبد العزيز العثماني مقابل الدعم الاوروبي اصدار فرمان ١٨٤٤ الذي سمح لليهود بالاقامة في فلسطين بعد ان كان ذلك محظورا عليهم.

سواحل لبنان و الشام لطرد الجيش المصري الذي رفض الخروج في البداية بعدما كانت طلائعه قرب اسطنبول و فرضت حصارا بحريا على الشام لمنع انتقال المدد للجيش المصري. و نشب قتال عنيف بين قوات الحلفاء و بين ابراهيم باشا لمدة اسابيع اسفر عن هزيمته و خسارته جزء كبير من الجيش المصري اثناء انسحابه عبر الشام الذي انتفضت معظم طوائفه ضده.

بعد انسحاب محمد علي من الشام بسبب استنجاد الدولة العثمانية بالغرب و روسيا اعتبرت هذه الدول نفسها بما لها من يد على السلطان العثماني وصية على نصارى الدولة العثمانية و بالاخص نصارى لبنان. حدثت صدامات بين القرويين النصارى و الدروز في القرن التاسع عشر ادت الى ظهور البوارج الاوروبية اكثر من مرة على سواحل لبنان و تدخلها بمد المارونيين بالسلاح، كما احتضنت فرنسا لاحقا بعض المنادين بالقومية العربية و الانفصال عن الدولة العثمانية. راعت الدولة العثمانية الضعيفة خصوصية تلك الولاية و اهتمام النصارى بها و منحتها حكما شبه ذاتي يديره عشائر الموارنة و الدروز و غيرهم باشراف اوروبي في ١٨٦٤ و سمحت للارساليات التنصيرية و القناصل الاوروبيين بالعمل بحرية في النصف الاخير من القرن التاسع عشر و ما بعده. لم ترحل القوات الاجنبية التي غزت لبنان غزوا وجيزا وقتها الا بعد اجبار الدولة على اصدار فرمان يحدد الوضع الخاص لتلك الولاية و يجعل على راسها حاكم نصراني تعينه السلطات العثمانية بموافقة اوروبية. مع اندلاع الحرب العالمية الاولى الغت الحكومة العثمانية فرمان الحكم الذاتي و عزل الارمني اوهانيس قوجميان آخر والي نصراني للبنان و عين علي منيف بك بدلا منه في ١٩١٥.

برغم التدخل النصراني الكبير في لبنان الا ان قرب الولاية من مركز السلطنة لم يسمح للغرب باحتلالها احتلالا مباشرا كما حدث مع ولايات عثمانية اخرى. تاخر هذا الامر حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية عندما فرت الجيوش العثمانية بقيادة غازي باشا مصطفى كمال اتاتورك و مستشاروه الالمان تاركة ورائها فلسطين و لبنان و باقي الشام في ايدي الانكليز و الفرنسيين ليعود الغازي للاناضول متفرغا لقلب السلطنة و الاستيلاء على الحكم .اثناء اندفاع الجيش الفرنسي لاحتلال سوريا انضم اليه مارونيون لبنانيون سلحهم اليونانيون عبر قبرص البريطانية[1] بالاضافة لبعض اللبنانيين السنة[2] . حكم الفرنسيون لبنان حوالي اربعين سنة حاولوا فيها جاهدين اضعاف السنة و تقوية الاقليات الاخرى. ادى احتلال المانيا لفرنسا في الحرب العالمية الثانية و انشغالها بحرب الجزائر و السويس و صعود اميركا لصدارة القوى العظمى الى جلاء فرنسا من لبنان تلقائيا بدون ان تدفعها لذلك اي مقاومة مسلحة خاصة و قد حققت الغرض من غزوها للبلاد و هو فصلها عن الشام في دويلة مستقلة يحكمها النصارى .و كما تركت انكلترا دويلة يهودية في اسرائيل اقامت فرنسا دويلة نصيرية في سوريا و حاولت اقامة دويلة درزية في الجولان و اقيمت دويلة مارونية في جبل لبنان. كان ضمن تسويات انسحاب فرنسا تسليم الحكم و الجيش للنصارى المارون على وجه الخصوص مع اعطاء السنة بعض الصلاحيات المحلية التافهة و التاكيد على الطابع اللاديني لانظمة و تشريعات الدولة.

---

[1] نجدة فتحي صفوة،"الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"،ج١ ص ٤٩٧

[2] تجسست شخصيات سنية مثل رضا بك الصلح ابورئيس الوزراء رياض الصلح و عماه مختار الصلح و سامي الصلح لصالح فرنسا و بريطانيا ضد الدولة العثمانية اثناء الحرب التي اسفرت عن احتلال فرنسا للبنان و هم اصهار لآل سعود.

مـع وقـوع نكبـة فلسـطين تسـلل كـثير مـن الفلسـطينيين السـنة الى اراضـي لبنـان حيـث لم تكـن تقنيـات حراسـة الحـدود الحديثـة قـد ظهـرت بعـد . بعـد اتحـاد مصـر و سـوريا في عهـد جمـال عبـد الناصـر خشـي الغـرب ان تبتلـع الدولـة الجديـدة لبنـان بالتعـاون مـع السـنة فيهـا كمـا ارادت اميركـا ضـمان السـيطرة العسـكرية علـى تلـك الدولـة فارسـلت اسـطولها لوضـع حكومـة اكثـر تعاونـا و تخويـف عبـد الناصـر و تشـجيع الخـارجين عليـه. كـان مسـلمو لبنـان و علـى راسـهم رئـيس الـوزراء رشـيد كرامـي الطرابلسـي و الـدروز و قلـة مـن النصـارى القوميـون العـرب قـد حركتـهم وحـدة مصـر و سـوريا و انطلقـوا في مظـاهرات صـاخبة يطـالبون بالانضـمام للوحـدة فاصـطدموا بالاغلبيـة المارونيـة بقيـادة الـرئيس كميـل شمعـون.ادت الصـدامات بـين المسـلمين و النصـارى في ١٩٥٨ الى سـقوط اقـل مـن خمسـة آلاف قتيـل و عنـدما امـر شمعـون قائـد جيشـه فـؤاد شـهاب بـانزال الجـيش للتصـدي للحـوادث رفـض الاخـير مـدعيا الخـوف مـن تفتـت الجـيش الى اصـوله الطائفيـة و عصـيانه ليفسـح المجـال لكميـل شمعـون للاسـتنجاد بـالامم المتحـدة ثـم طلب تدخل الجيش الاميركي.

كـان ممـا اجـج حماسـة المسـلمين المنتفضـين سـقوط النظـام الملكـي العراقـي التـابع لبريطانيـا و مـا تـردد عـن انضـمام العـراق لنـواة وحـدة عربيـة جامعـة مـع مصـر و سـوريا .لم يسـكت الغـرب و نزلـت قـوات المـارينز الاميركيـة في بـيروت[١] و القـوات البريطانيـة في الاردن لحمايـة الـدولتين الانفصـاليتين مـن السـقوط في يـد الجمهوريـة العربيـة المتحـدة.فهـم عبـد الناصـر الرسـالة و لم يحـاول التـدخل في لبنـان بـرغم غيظـه الشـديد

---

[١] سـمى الـرئيس الاميركـي ايزنهـاور قـوة التـدخل الاميركيـة التـي ضـمت خمسـة عشـر الـف جنـدي عمليـة "الخفـاش الازرق". طبقـا للاحصاءات الاميركية قتل ثلاثة جنود اثناء المهمة في حوادث سيارات و جندي واحد برصاصة قناص.

من صحافتها و مثقفيها الذين اشبعوه انتقادا و هو امر لم يتعوده كحاكم اشتهر بحبس و تعذيب الالاف من معارضيه و اوشك ان يدعي الالوهية في مصر. انسحبت القوات الاميركية بعد ثلاثة اشهر بعد ان اتفقت مع الاطراف المحلية على حكومة مصالحة وطنية.

لفتت شعبية جمال عبد الناصر وسط الفلسطينيين في الستينات انظار الغرب الى وجود مشكلة سنية، و برغم ان حدود الدولة اللبنانية فصلت بحيث تضمن اكثرية نصرانية الا ان الميزان كان بدا يميل بانضمام الفلسطينيين السنة الى سنة لبنان لصالح اغلبية سنية او على اسوأ تقدير تحول السنة لأكبر الاقليات. من ضمن ما استخدم من وسائل لتحقيق ذلك الهدف كان تقوية الروافض الذين كانت اصواتهم الانتخابية تحسب حتى ذلك الوقت لصالح السياسيين السنة البارزين باعتبارهم طائفة مسلمة في الجدول الانتخابي. في سبيل ذلك تم منح الجنسية اللبنانية التي لا تمنح الا للنصارى و بموافقة النصارى لسياسي ايراني على قرابة بالخميني يدعى موسى الصدر.

في اطار جهود التصدي للتيار الناصري الداعي لوحدة البلاد العربية سمحت وزارة الداخلية اللبنانية في عهد كمال جنبلاط الدرزي بتأسيس الجماعة الاسلامية كجمعية سياسية عام ١٩٦٤ على اعتبار ان مؤسسوها ذوي الانتماء الاخواني سيكونوا جبهة فكرية معادية لأي تقارب مع جمال عبد الناصر او مصر. كان مؤسسو الجماعة البارزون هم الداعية فتحي يكن والشيخ فيصل المولوي والدكتور زهير العبيدي. وفي مراحلها الاولى اتخذت من طرابلس مركزا ثم امتدت الى بيروت وصيدا

والبقـــاع. ســـجلت الجماعـــة حضـــورا فعليـــا اثنـــاء الاجتيـــاح الاســـرائيلي لبنـــان عـــام ١٩٨٢، فشـــاركت في المقاومة عبر تنظيم عسكري تحت اسم المجاهدون لم يلبث ان اندثر.

تعتـبر مدينـة طـرابلس في شمـال لبنـان مهـد التيـار السـلفي العلمـي القاعـد الحـديث الـذي ظـل لعقـود محافظـا علـى نهـج تعليمـي دراسـي بعيـد عـن السياسـة. كانـت بـدايات ذلـك التيـار الاولى عـام ١٩٤٦ علـى يـد الشـيخ سـالم الشـهال والـذي أطلـق حركـة سماهـا شـباب محمـد وبايعـه أعضـاؤها امـيرا حـين قامـت بعمليـات امـر بـالمعروف و نهـي عـن المنكـر ضـد مظـاهر الانحـلال الاخلاقـي ثـم تغـير الاسـم الى "الجماعـة ــ مسـلمون" وانتشـرت في عكـار والمنيـة والضـنية وبعـض منـاطق الشـمال الاخـرى. وفي العـام ١٩٧٦ وسـعت حركـة الجماعـة ــ مسـلمون نشـاطها عـبر انشـاء تنظـيم عسـكري تحـت اسـم الجـيش الاسـلامي. فيمـا يرجـع الـبعض وجـود الجـيش الاسـلامي بشـكل غـير معلـن الى مـا قبـل ذلـك و يقـال ان تـاريخ صـدور أول بيان باسم (نواة الجيش الإسلامي) كان سنة ١٩٧٤.

حتـى ذلـك الوقـت كـان اللاعـب الابـرز علـى السـاحة السـنية هـي منظمـة التحريـر الـتي ازداد حضـورها مـع وفـود اعـداد مـن الفلسـطينيين في اعقـاب هزيمـة يونيـو و اشـتباكات ايلـول الاسـود مـع النظـام الاردنـي. لاسـباب تتعلـق بالخلفيـة اللادينيـة لمنظمـة التحريـر، و انخراطهـا في العمـل المسـلح في الجنـوب ذو التواجـد الرافضـي الكثيـف، و الحاجـة لحليـف لبنـاني محلـي في وجـه الموارنـة بـدأت المنظمـة في تـدريب و تجنيـد

الروافض في صفوفها . كان لعرفات علاقات مالية مع ايران و كان الروافض متحمسين للعب دور عسكري و سياسي على الساحة الشامية بعد خمول طويل. كان الروافض قد اصبحوا طائفة هامشية لا سياسية بعد قرون من الضربات المتوالية على ايدي الايوبيين و المماليك و الذين عاقبوهم على تآمرهم مع الصليبيين و المغول ضد المسلمين. لم يبال العثمانيين و استخدموا بعض الدروز و الروافض اللبنانيين في فرقهم العسكرية في طور انهيار الدولة و ان لم يسلموهم اي مناصب قيادية. و فيما كان المماليك يصرون على استتابتهم كل فترة قام العثمانيون في اواخر عهدهم باستخدامهم في الحملة ضد الدولة السعودية الاولى و قد ارخ الجبرتي للواقعة و وصف مرور جنود المتاولة(روافض لبنان) بشوارع القاهرة ضمن الجيش العثماني المتجه لقتال الموحدين.على خلاف حكام الماضي كان عرفات الشيوعي غافلا عن طموحات تلك الطائفة لدرجة ان احد حراسه الشخصيين كان شاب رافضي باسم عماد فايز مغنية اسهم فيما بعد في العمل على استئصال الوجود الفلسطيني و السني بلبنان عندما كان قائدا للجناح العسكري للحزب الرافضي بالاضافة لتدريب روافض العراق من طائفة مقتدى الصدر و آخرين على ذبح السنة فيها في مرحلة لاحقة. كما كان عرفات غافلا عن ان تصريحات السياسي الرافضي الناشئ موسى الصدر بخصوص التصدي "للوهابيين" تستهدف السنة خاصة المسلحين منهم و لو كانوا شيوعيين بمن فيهم عرفات نفسه. لم يكن هناك اي مغزى آخر للحديث عن وهابيين حيث لم يكن للتيار السلفي المسلح وجود بلبنان يومها .

بـدأت الحـرب الاهليـة اللبنانيـة بمعـارك بـين الفلسـطينيين السـنة و النصـارى الموارنـة في بـيروت. كانـت بـيروت اكـبر مدينـة سـنية لبنانيـة يومهـا . كـان المسـلمون ممثلـون بمنظمـة التحريـر علـى الجانـب الفلسـطيني و جـيش لبنـان العربـي بقيـادة احمـد الخطيـب علـى الجانـب اللبنـاني. لاحقـا ضـم الوجـود السـني الغـير عقائـدي المسـلح في بـيروت تنظيمـات شـعبية مثـل المـرابطين و تنظـيم كمـال شـاتيلا الناصـري. امـا الاسـلاميون فقـد مثلـهم تنظـيم المجاهـدون الجنـاح العسـكري للجماعـة الاسـلامية بقيـادة سـعيد شـعبان و فتحـي يكـن الـذي قـررت الجماعـة حلـه فيمـا بعـد عنـد دخـول القـوات السـورية لتفـادي الاصـطدام بهـا مـع ان هـذا لم يمنـع السـوريين مـن اعتقـال كـثيرا مـن افـراد الجماعـة. كـان للمجاهـدون وجـود في صـيدا و بـيروت. كمـا سـبق انشـاء المجاهـدون قيـام الشـيخ فـواز حسـين اغـا بالانشـقاق عـن الجماعـة في ١٩٧٤ لاعتراضـه علـى توجههـا السـلمي و قـام بتكـوين جماعـة جنـد الله الـتي عملـت اساسـا بطـرابلس مـع وجـود اقل ببيروت و البقاع. لاحقا انضمت جماعته الى جماعة التوحيد الطرابلسية بقيادة سعيد شعبان.

اسـهم الغـرب في خطـة اضـعاف المسـلمين بواسـطة الـروافض عنـدما اقـر الغـزو السـوري للبنـان و سمـح عـن طريـق مجلـس الامـن الـذي تحركـه اميركـا لقـوات طـوارئ ايرانيـة بـالتمركز في الجنـوب كـي تسـتطيع الاشـراف علـى تـدريب و تسـليح الـروافض . كانـت هـذه الفـترة مـن السـبعينات العصـر الـذهبي لتأسـيس القـوة الرافضية السابقة لحزب الله المسماة بحركة امل (اختصار افواج المقاومة اللبنانية) .

في ١٩٨٢ اسـتدعى بشـير الجميـل قائـد حـزب الكتائـب المـاروني اسـرائيل للبنـان لتخلصـه مـن السـنة الفلسـطينيين. ابـان اجتيـاح اسـرائيل للاراضـي اللبنانيـة سمحـت لفـرع ميليشـيات امـل الرافضـية في

الجنوب -المسمى بالجيش الشيعي- بالاحتفاظ بسلاحه ثم اعلن الدروز قرار عدم المقاومة و فتحوا الطريق لاسرائيل للوصول لهدفها في بيروت الغربية و هم السنة الفلسطينيين و اللبنانيين من ورائهم .قاومت منظمة التحرير و السنة اللبنانيين الحصار الاسرائيلي الماروني لاشهر و عملت خلايا الفجر التابعة للجماعة الاسلامية بقيادة جمال حبال في صيدا اثناء الاحتلال الاسرائيلي. انتهى القتال باتفاقية اجلي فيها عرفات و رجاله بضمانة قوات اميركية و اوروبية الى تونس. عقب خروج عرفات دخلت الكتائب النصرانية الى مخيمات الفلسطينيين في بيروت و قتلت منهم الالاف.

بعد سنة من خروجه عاد عرفات من تونس و استقر في طرابلس الى جانب حركة التوحيد .في ١٩٨٥ بعد طرد مقاتلي جبهة التحرير و مذابح عديدة لفلسطينيو المخيمات و لبنان على ايدي الكتائب المارونية و حركة امل الرافضية تمالأت كل قوى لبنان على آخر معاقل السنة بطرابلس. كانت المجموعة الاكبر من مسلحي السنة تنضوي تحت لواء حركة التوحيد بزعامة سعيد شعبان احد مؤسسي الجماعة الاسلامية ذي الاصول الاخوانية و العلاقة الوثيقة بايران و حزب الله.

كانت حركة التوحيد الاسلامي في تلك المرحلة مظلة لمعظم التيارات الاسلامية بمن فيها ثلاثة فصائل صغيرة سابقة لها هي المقاومة الشعبية و حركة لبنان العربي وجند الله. ومنذ نشأتها اعلنت رفضها للقعود و الحياد و تداعى اليها في ١٩٨٣ و١٩٨٤ اعداد من الشباب التواقين الى حمل السلاح وحولت طرابلس امارة اسلامية ومنعت كل المظاهر العصرية التي تناقض مبادئ الاسلام وأغلقت الملاهي

والمسابح. كون الشيخ شعبان علاقات وثيقة مع الايرانيين في ذروة ثورتهم و مرحلة "تصديرها" كما استفاد في الوقت ذاته من الدعم المالي والعسكري الذي حصل عليهما من منظمة التحرير الفلسطينية و ياسر عرفات.

كانت جماعة التوحيد اقرب الى كونها ميليشيا شعبية طرابلسية من ان تكون تنظيم سلفي مسلح، فقد ضمت صفوفها كثيرا من اليساريين و الناصريين التائبين حديثا. استمر قصف الجيش السوري للمدينة الصغيرة لمدة اسبوعين حتى نفدت منها المؤن. كانت طرابلس هدفا للنظام السوري كونها الامتداد اللبناني لمدينة حماة السنية السورية المتمردة التي دكها النظام النظام السوري في ١٩٨١. تم الاتفاق على استسلام الطرابلسيين بوساطة ايرانية. كان من ضمن من استسلموا يومها شاب صغير اسمه بسام الكنج عرف لاحقا باسم ابو عائشة اللبناني.

بعد عام ١٩٨٥م تمدد الفكر السلفي المنظم إلى العاصمة بيروت و إقليم الخروب، ومدينة صيدا، تحت مسمى "الجماعة والدعوة السلفية" المتولد من "نواة الجيش الإسلامي". كان أحد الأسباب هذا التوجه نحو العاصمة وجوارها هو دخول الجيش السوري في صيف ١٩٨٥ لمدينة طرابلس و مضايقته للسلفيين و تشجيع الجماعات المناوئة للفكر السلفي مثل جماعة الأحباش الصوفية المدعومة سوريا للاعتداء على الشخصيات السلفية العلمية البارزة بطرابلس مثل الشيخ أسامة القصاص.

انحسر نفوذ جماعة التوحيد بنهاية عام ١٩٨٥ بعد دخول السوريين الا في محيط منزل مؤسسها الذي توفي عام ١٩٩٨، ليقتصر حضورها على بعض المؤسسات التربوية والاجتماعية. ولم تلبث ان انقسمت بين المجلس الاعلى بقيادة الشيخ بلال شعبان الذي ورث الحركة عن والده وبين مجلس الأمناء بقيادة هاشم منقارة.[١] بعد سقوط امارة طرابلس بعامين قامت منظمة امل الرافضية بمساعدة الجيش السوري بمهاجمة المخيمات البيروتية و ذبح سكانها هم و من ناصرهم من اللبنانيين.اما في طرابلس فقد ورثت الجماعة الاسلامية لاحقا مكانة حركة التوحيد وشاركت في الانتخابات النيابية عام ١٩٩٢.

من ضمن تسويات ما بعد الحرب قام رجل اعمال سني صيداوي الاصل اسمه رفيق الحريري بتوزيع منح للدراسة في الخارج و على الاخص اميركا للشباب اللبناني. اشترطت هذه المنح على المنتسبين شروط من ضمنها عدم الزواج اثناء فترة المنحة. لم يكمل ابو عائشة برنامج الدراسة و عمل سائقا للتاكسي ببوسطن ليعول اسرته بعد ان تزوج. في نهاية الثمانينات كان فرع مكتب الخدمات باميركا ناشطا في استقطاب المتطوعين للعمل في افغانستان. ضمن من لبوا النداء كان ابو عائشة الذي اصطحب اسرته معه كمهاجرين الى ديار الاسلام. شارك ابو عائشة في العمليات القتالية و اصيب

---

[١] جريدة الرياض

اصـــابة ابقتـــه بالمستشـــفى لعـــدة اشـــهر ثـــم رحـــل بعـــدها مـــن افغانســـتان نظـــرا لمـــا عاينـــه مـــن اهمـــال و ســـوء ادارة و فساد. بعدها بفترة انتقل الى البوسنة فوجدها اشد فسادا، كما يقال انه زار الشيشان.

في هـــذا الوقـــت كانـــت صـــيدا تشـــهد تأســـيس الشـــيخ هشـــام الشـــريدي لعصـــبة النـــور بعـــد مواجهـــات مـــع اعـــداء الاســـلاميين علـــى اطـــراف المخـــيم. اغتيـــل الشـــيخ هشـــام الـــذي لم يعـــرف عنـــه الانتمـــاء العقائـــدي الســـلفي عـــام ١٩٩١ وحملـــت العصـــبة جهـــاز أمـــن حركـــة فـــتح مســـؤولية اغتيالـــه. وإثـــر عمليـــة اغتيـــال الشـــريدي تـــولى أبـــو محجـــن احمـــد عبـــد الكـــريم الســـعدي المقـــيم بمخـــيم عـــين الحلـــوة امـــارة المجموعـــة الـــتي كانـــت تغـــير اسمهـــا مـــن النـــور الى الانصـــار فيمـــا وجـــد لاحقـــا خليـــة اصـــغر باســـم النـــور ترأســـها ابـــن الشـــيخ الشـــريدي. كـــان ابـــو محجـــن مطلوبـــا مـــن الســـلطات اللبنانيـــة لاداتـــه غيابيـــاً بتهمـــة اغتيـــال رئـــيس جمعيـــة المشـــاريع الإســـلامية (الاحبـــاش) الشـــيخ نـــزار الحلـــبي. كانـــت صـــيدا قـــد صـــارت خـــط الحـــدود الجنـــوبي للســـنة بعـــد طـــردهم مـــن الجنـــوب و الحـــدود مـــع اســـرائيل طبقـــا لاتفاقـــات الحـــزب الرافضـــي مـــع اســـرائيل حيـــث تكونـــت حمايـــة الحـــدود الاســـرائيلية مـــن طبقـــتين اولهمـــا ميليشـــيا يقودهـــا ضـــابط نصـــراني يـــدعى انطـــون لحـــد و اغلـــب جنودهـــا مـــن الرافضـــة و النصـــارى ثـــم يليهـــا شمـــالا ميليشـــيا حـــزب الله الرافضـــي لمنـــع السنة من التسلل الى المناطق الحدودية.

قرر ابو عائشة في نهاية التسعينات الهجرة بدينه من اميركا و انتقل الى طرابلس حيث بدأ يؤسس لنواة ثقل سني متكامل في وجه الكتائب النصرانية و حزب الله الرافضي. كان هذا الوجود يبدأ بتكوين خلايا مسلحة عن طريق الدعوة السرية تحمي المشروع اثناء انطلاقه، مرورا بامتلاك محطة اذاعة و موارده المالية الخاصة، وصولا الى اقامة منطقة نفوذ فعلي للفكرة السنية السلفية الجهادية انطلاقا من طرابلس و ما حولها الى باقي مناطق السنة و لبنان كله ان امكن.

بدأ ابو عائشة مشروعه دعويا و اصدر بعض كتيبات احدها عن وجوب الهجرة لديار الاسلام كما اجرى تدريبات سرية لمجموعته الصغيرة على الاسلحة الخفيفة، بالاضافة الى ذلك بدأ اتصالات و اتفاقات تعاون مع بعض العناصر الجهادية الفلسطينية في مخيم عين الحلوة بصيدا و افراد في بيروت و البقاع كما ارسل عن طريق صلاته الجهادية السابقة في الساحات الاخرى من يدعو لفكرته في تلك الساحات و اوروبا . ذكرت مصادر مقربة منه ايضا انه تداول مع خطاب الشيشاني الذي زامله في افغانستان و الشيشان في ارسال افراد مدربين من المقاتلين في الشيشان للتسلل الى فلسطين عبر حدود لبنان الجنوبية.

بعد تشغيل الاذاعة بفترة قصيرة صدر امر من الحكومة اللبنانية و المخابرات السورية باغلاقها مع ان لبنان تعج باذاعات الطوائف الاخرى. لجأ ابو عائشة و مجموعته لمقر الاذاعة في محاولة على ما يبدو للاعتصام بها او منع اغلاقها و مصادرة معداتها و اصطحبوا معهم اسلحتهم البسيطة. تطور الامر الى اطلاق نار و مطاردات للمجموعة عبر مرتفعات جرود الضنية المجاورة. في نهاية عام ١٩٩٩

قامت القوات اللبنانية بانزال مروحي لمطاردة مجموعة ابو عائشة الذي لم يتعد تسليحه الاسلحة الفردية و بضعة قاذفات صاروخية و رشاشات متوسطة تعد على اصابع اليد . انتهت المعارك التي استمرت بضعة ايام في بداية ٢٠٠٠ بمقتل ابو عائشة و بضعة و ثلاثين من رفاقه بالاضافة لحوالي خمسة عشر جندي و ضابط من مغاوير الجيش اللبناني و اسر مجموعة من جماعة ابو عائشة و فرار مجموعة اخرى تفرقت بين طرابلس و مخيم عين الحلوة في صيدا .

كان ابو عائشة مدركا لصعوبة الطريق الذي ينتظره حيث لم يكن مسموحا باقامة افغانستان جديدة على البحر المتوسط مقابل الاتحاد الاوروبي في بداية القرن الواحد و العشرين و لكنه لم يجد بديلا مرضيا في الساحات الاخرى. من الناحية العقائدية كان ابو عائشة مستقلا عن تيار بن لادن و جماعته و اكثر اصرارا على التقيد بالنهج السلفي.

فيما يخص اسرى مجموعة ابو عائشة فقد سجنوا تحت التحقيق لمدة خمس سنوات في قضية عرفت بقضية مجموعة الضنية ثم حكم على بعضهم باحكام طويلة و الاعدام و لكن اطلق سراحهم عقب فرار القوات السورية من لبنان في ترضية رمزية للسنة بعد اطلاق الجنرال سمير جعجع قائد القوات اللبنانية المتهم بجرائم عديدة و مذابح ضد السنة و اغتيال رئيس الوزراء السني الطرابلسي رشيد كرامي.

انتقلت بعض بقايا مجموعة ابو عائشة الى مخيم عين الحلوة الخارج عن سلطة الجيش اللبناني. تجاورت المجموعة مع عصبة الانصار بقيادة ابو محجن و جماعة النور التي اسسها الشيخ الشريدي. لم يكن

جوار تلك الجماعات ركنا ركينا فقد سبق ان لجأ اليهم لبناني كان رافضيا و اسلم و انضم اليهم ثم واجه كمينا للجيش اللبناني حاول القبض عليه و قتل عددا من افراد المخابرات العسكرية اللبنانية فلما فر لداخل المخيم للاستجارة بالجماعتين اسلموه لقاتليه من السلطة اللبنانية و اشرف على التسليم الشيخ ماهر حمودة الشخصية السنية البارزة في صيدا . ناقشت السلطة اللبنانية بايعاز من اميركا و سوريا موضوع تسليم مجموعة الضنية و غيرهم من الاغراب المحتمين بالمخيم و اقتحامه الا ان الفكرة لم تثمر عن فعل .

ادى تميع موقف عصبة الانصار حيال الساحة اللبنانية الى نشوء تنظيم جند الشام. ويقال ان ظهور تنظيم جند الشام حدث في منتف التسعينيات مع وصول الفلسطيني محمد احمد شرقية ابو يوسف من مخيم نهر البارد ليلتحق بجماعة الشيخ الشريدي. وبعد اغتيال الأخير لم ينسجم كثيرا مع ابي محجن وجماعته فأسس تنظيمه الخاص الذي ضم بعض عناصر مجموعة ابو عائشة او جماعة الضنية وعناصر سابقة من حركة فتح ـ المجلس الثوري (جناح صبري البنا ابو نضال الذي قتل بصورة غامضة قد يكون النظام العراقي مسؤولا عنها في العراق عام ٢٠٠٢) .

من ناحية اخرى تكونت مجموعة صغيرة غير مسلحة و غير مترابطة تنظيميا في منطقة مجدل عنجر بالبقاع بعد حرب العراق من لبنانيين سافروا الى العراق و لكن السلطات اللبنانية داهمتهم ما ان

عرفت بوجودهم و قتلت من قتلت و سجنت من سجنت. و يغلب الظن ان فردا او اكثر من افراد تلك المجموعة كانوا سابقا على اتصال بمجموعة ابو عائشة.

في ٢٠٠٦ وقعت مطاردة بين الشرطة اللبنانية و اسلاميين من طرابلس فروا بعدها الى مخيم نهر البارد الفلسطيني الواقع على مشارف طرابلس. قيل ان ضمن الفارين او من اووهم بالمخيم طرابلسيين سبق ارتباطهم بمجموعة ابو عائشة. كان المخيم سابقا تحت سلطة مجموعة فتح الانتفاضة[١] الى ان تولى زمام الامور مجموعة على رأسها الشيخ شاكر العبسي و حولوا اسم المعسكر الى فتح الاسلام. كان شاكر العبسي قد اتهم سابقا في الاردن مع اخرين في اغتيال موظف اميركي بعمان ثم اطلق سراحه. تداعى الى المعسكر افراد من انحاء لبنان و المخيمات و عرب من خارج لبنان. لم يعرف عن تلك المجموعة في البداية الارتباط بالقاعدة و يبدو انها كانت اقرب لفكر ابو محمد المقدسي القديم الا انها طورت تلك العلاقات مع نمو حجمها و راسلت القاعدة في العراق. طلبت السلطات اللبنانية تسليم الهاربين الى داخل المخيم فرفضت ادارته، فقام الجيش اللبناني بحصار المخيم و قصفه بالمدافع و الطائرات لمدة اربعة اشهر بحجة ان الدولة لن تسمح بسلاح خارج الجيش و دولة خارج الدولة و ما شابه مع ان الحزب الرافضي والكتائب و الدروز كل له جيشه و هياكله المتأهبة للنفير.

[١] فتح الانتفاضة: مجموعة منشقة عن منظمة التحرير الفلسطينية دعمتها سوريا و قامت بقتال السنة في لبنان بمنتصف الثمانينات الى جانب حركة امل الرافضية فيما سمي بحرب المخيمات.

تـرأس سـعد الحريـري و رئـيس الـوزراء السـني فـؤاد السـنيورة و كتلتـه السياسـية السـنية حملـة اسـتعداء الغـرب علـى المجموعـة و اتهموهـا بأنهـا عميلـة لسـوريا و استصـرخوا اميركـا لنجـدتهم و امـداد الجـيش. تباطـأ الجـيش اللبنـاني في اقتحـام المعسـكر الـذي دافـع قـاطنوه مـن فـتح الاسـلام عنـه باسـتماتة و قـام بعـض المتعـاطفين خـارج المخـيم بـبيروت و صـيدا بـتفجير عبـوتين صـغيرتين احتجاجـا علـى مـا يحـدث مما دفـع الحكومـة الاميركيـة لحـث الجـيش اللبنـاني علـى الاسـراع قبـل ان يسـتنفر قطـاع مـن سـنة لبنـان و ارسـلت سـفن محملـة بالـذخيرة للجـيش اللبنـاني الا انهـا رفضـت امـداد الجـيش باسـلحة متطـورة و دبابـات، ممـا دعـا الامـارات العربيـة المتحـدة لارسـال طـائرات غازيـل للجـيش اللبنـاني بعـد ان تم نـزع الصـواريخ منـها طبقـا لاوامـر الولايـات المتحـدة . بعـد وقـوع ١٤٠ قتيـل مـن مجموعـة فـتح الاسـلام و اقـل مـن مـائتين مـن الجـيش اللبنـاني فضـلا عـن اهـل المخـيم طلـب بقيـة المرابطـون بداخلـه السـماح بـاخلاء النسـاء و الاطفـال فوافـق الجـيش ثـم احتجـزهم بعـد خـروجهم ليسـتنطقهم عـن احـوال المـدافعين عـن المخـيم. بعـدها باقـل مـن يـومين اقـتحم الجـيش المخـيم الـذي كـان اسـتحال ركامـا و قضـى علـى جـزء مـن المـدافعين فيمـا خرجـت مجموعـة مـن فـتح الاسـلام بضـمنها شـاكر العبسـي حميـة الى سـاحل البحـر و طـرابلس و منـها الى سـائر انحـاء لبنـان. تمكـن شـاكر العبسـي بعـدها مـن التسـلل الى سـورية في طريقـه الى العـراق او مـا وراء ذلـك الى افغانسـتان و لكنـه سـقط في كمـين اختفـى بعـده و يـرجح اتباعـه انـه قتـل مـع حراسـه في منطقـة جرمانـا السـورية في نهايـة ٢٠٠٨ فيمـا تقـول بينـات اخـرى انـه اسـير بسـوريا . بـايع مـن بقـى مـن

جماعته بعده ابو محمد عوض اميرا عليهم. عقائديا تعتبر مجموعة فتح الاسلام اقرب الى القاعدة و فكر بن لادن من مجموعة ابو عائشة.

فيما يخص الجماعة الاسلامية ابرز لاعب على الساحة الطرابلسية تقول الجماعة انها لا تتبنى فكرة الدولة الاسلامية في لبنان لاقتناعها ان تعدد الثقافات والطوائف والاحزاب يحول دون هذه الفكرة. كذلك تحرص على البقاء في موقع الوسط بين حزب الله و تيار الحريري اللذين يتقاسمان الساحة السياسية اللبنانية في حين تقترب في كثير من المواقف الى تيار المستقبل الذي يرأسه النائب سعد الحريري.لم تبق بنية الجماعة على حالها، فقد شهدت تغييرات اسفرت عن فصل فتحي يكن احد مؤسسيها الذي أنشأ جبهة العمل الاسلامي بعد فصله من الجماعة. وحاليا تصنف جبهة العمل الاسلامي وحركة التوحيد بشقيها بأنها سورية الهوى.

لم يمضي على حوادث نهر البارد بضعة اشهر حتى انشأ حزب الرافضة شبكة هاتف داخلية بمعزل عن الشبكة الحكومية و بث كاميرات مراقبة حول مطار بيروت لمراقبة الامدادت الواصلة للسنة و للجيش المدعوم اميركيا . احتج سياسيو السنة و اعتبروها اعمال عدائية و حاولوا تعطيل الشبكة فقامت قوات الحزب بالسيطرة على بيروت الغربية كلها و احياء السنة بينما فر رجال الحريري ووقف الجيش اللبناني الذي طالما سارع لضرب السنة "على الحياد" حتى استولى الروافض على المدينة و

احرقوا محطات الاذاعة و التلفزة المملوكة للحريري السني. في طرابلس استنفر السنة و قاموا بالهجوم على مكاتب الحزب النصيري في المدينة و حي بعل محسن ذي الاغلبية الرافضية و النصيرية و الحقوا بهم خسائر الا ان الجيش لم يتمكن من البقاء على الحياد في هذه الحالة فتدخل لضرب السنة كالمعتاد. بعدها بعشرة ايام اختير قائد الجيش رئيسا للجمهورية اللبنانية.

في نهاية ٢٠٠٨ ايدت عصبة الانصار الاسلامية في مخيم عين الحلوة بصيدا تسليم قيادات هاربة من مجموعة فتح الاسلام الى الجيش اللبناني، و اعلن ابو الشريف الناطق باسم العصبة في مؤتمر مشترك مع قيادات حماس و فتح ان الدخول في مواجهات مع الجيش اللبناني غير جائز شرعا و ان على العصبة ان تركز جهودها على فلسطين و غزة في مؤشر على تحول التنظيم الى جماعة قومية على غرار الصحوات العراقية.

# العراق

يقع العراق جغرافيا في جنوب غرب اسيا و هو مهد الحضارة الانسانية الحديثة التي نبتت في وديان دجلة و الفرات. اخرجت ارض العراق بعض اقدم الدول المعروفة للانسان مثل الدولتين السومرية و البابلية و مراكزهما مناطق وديان جنوب بغداد الخصبة، كما اشتهرت فيها الدولة الاشورية و مركزها نينوى الموصل احد اشد الحضارات القديمة بأسا في المجال العسكري. لاحقا اتخذت الامبراطورية الفارسية من المدائن-سلمان باك الحالية جنوب بغداد- عاصمة و فيها ايوان كسرى حتى انتزعها منهم المسلمون و دمروا نظامهم. كانت عراق العرب هي الجزء المكمل لعراق العجم كما كان العرب يسمون جزءا كبيرا من ايران الحالية. كانت ايران او فارس قوة اقليمية و لكن استحواذها على موارد العراق و ضمها اليها يؤدي عبر التاريخ الى تحويلها الى قوة عظمى قادرة على بلوغ شمال افريقيا و اليونان و جنوب اوروبا كما حدث ايام دارا و قمبيز و قورش بل و السيطرة ايضا على وسط اسيا و شمال الهند . استمر العراق ارض السواد مصدرا لقوة فارس الساسانية حتى عهد كسرى عندما ضمت الامبراطورية الشام و العراق و فارس و خراسان و اليمن و سواحل الخليج و افغانستان و تركستان و مصر و حاصرت فرقة من جيشها القسطنطينية.

بعد وصول الاسلام للبلاد على يد المثنى بن حارثة الشيباني و القعقاع بن عمرو في عهد ابو بكر الصديق و خالد بن الوليد و سعد بن و قاص من بعدهم ازدهرت في العراق حضارات مدينة البصرة و مدينة الكوفة عاصمة رابع الخلفاء الراشدين علي ابن ابي طالب. كان العراق في العهد الاموي قاعدة الفتوحات الشرقية في اسيا التي بلغت التبت والجزء التركستاني الشرقي من اراضي الصين الحالية. اضطلع بتلك الفتوحات ولاة العراق و نوابهم مثل الحجاج بن يوسف الثقفي و محمد بن القاسم و المهلب بن ابي صفرة و قتيبة بن مسلم الباهلي. من هناك نشأت في ارض العراق دولة الخلافة العباسية التي حكمت نصف العالم.

كان العراق بلا منازع اخصب الولايات العربية و بلغ خراجه في العصور الاموية و العباسية ثلاثة اضعاف خراج ولاية مصر بما فيها من نيل و زراعة. كما دعمت موارد العراق نهضة علمية حتى ليمكن القول ان نصف علماء الاسلام او اكثر خرجوا من تلك الولاية ففي العراق ظهر الامام احمد بن حنبل و الامام ابو حنيفة و الامام الشافعي و الامام البخاري و الحسن البصري و الطبري و غيرهم كثير. على الجانب العسكري صار العراق احد اهم مخازن القوة العسكرية في ديار الاسلام.

بعد تلك العصور الزاهرة استسلم مسلمو البلاد للترف و اللهو و استقدموا جنودا اتراكا مرتزقة لا يعرفون عن شريعة الاسلام شيئا ليدافعوا عنهم ثم ما لبثوا ان استولوا على الحكم. تلاهم اخرين من

الديلم اشد جهلا الى ان سيطر على البلاد جهال البويهية الروافض و غيرهم و تفتت الدولة العباسية. تمكن السلاجقة من السيطرة على انقاض الدولة العباسية و اعادتها للسنة و لكن الاساس العقائدي كان قد نخر مما اضعف من مناعة البلاد ضد الغزو المغولي. على خلاف الرائج من ان ابن العلقمي هو الذي مكن المغول من احتلال بغداد، كان الواقع اعمق من ذلك حيث كان اثنان من آخر اربع خلفاء عباسيين هم بدورهما روافض و نسب الى احدهما و هو الخليفة الناصر[١] مكاتبة جنكزخان ليستعديه على سلاطين الخوارزميون السنة عسى ان يستقل بحكم العراق . مكن هؤلاء الخلفاء لعدد من الوزراء الروافض منهم ابن العلقمي. يسر الروافض بقيادة ابن العلقمي بدورهم استيلاء المغول على بغداد و انضموا الى حاشية ملوكهم مما صبغ عقيدة خلفاء هولاكو المغول الايلخانيين عند تحولهم للاسلام بصبغة باطنية رافضية ظلت غالبة على فارس و العراق حتى فتحها العثمانيون في القرن السادس عشر الميلادي. قسم العراق الى ثلاث ولايات كبيرة هي ولاية الموصل في الشمال و البصرة في الجنوب و بغداد في الوسط. غلب الروافض على البصرة بينما غلب السنة على الموصل و على بغداد بنسبة اقل.

كانت احوال العراق مضطربة لوقوعها على تقاطع عدة خطوط صدع سياسية داخلية و خارجية. داخليا احتوى العراق على قبائل بني المشعشع الرافضية الباطنية جنوبا التي كانت مصدر غارات و تدمير لولاية البصرة بمفهومها الواسع حتى منتصف الطريق لبغداد . اما الشمال و الشرق فقد كانا

---

[١] كان الناصر بن المستضئ رافضيا قبوريا و كان يبني القباب على قبور آل البيت و من ذلك القبة التي بناها بالمدينة على قبر علي بن الحسين زين العابدين وابنه الباقر و جعل لقبر جعفر الصادق ابن الباقر قبة عالية البناء .

مسرحا لاضطرابات قبائل الأكراد الهمجية شبه الوثنية. كان اللاعبون المذكورون ردءا للقوتان الاقليميتان المجاورتان للعراق و هما الدولة العثمانية و الدولة الصفوية الرافضية بايران يميلان الى جانب القوى الغالبة و من يدفع اكثر و ان كان ولاء المشعشيين غالبا صفويا وولاء الأكراد[١] و العرب غالبا عثمانيا. اثناء الحكم العثماني الذي امتد قرابة اربعمائة سنة انتزع الصفويون حكم العراق عدة مرات لفترات بلغت في مجملها حوالي اربعون سنة. كان انتقال الحكم للصفويون يقترن عادة بذبح سكان بغداد السنة.

بعد ظهور الدعوة السلفية في نجد انطلق جيش الدولة السعودية الاولى بقيادة سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود في بدايات القرن التاسع عشر للاغارة على العراق و وصلت تلك الغارة الى المراقد الرافضية في كربلاء فدمرتها و حملت كنوزها غنيمة فامرت الدولة العثمانية قواتها المرابطة في العراق بغزو الدولة السعودية الاولى الا ان الحملة لم تنجح.

مع بداية الحرب العالمية الاولى تجمعت جيوش عثمانية ضخمة في العراق الذي كان احد اخر ولايات الدولة العثمانية سقوطا في يد الحلفاء و على رأسهم بريطانيا. قررت القوات العثمانية في البصرة التي كانت قبضتها ضعيفة على المدينة الانسحاب في ٢٠ نوفمبر ١٩١٤ فيما ترددت القوات الانكليزية في دخولها لثلاثة ايام و اباحتها لحلفائها الروافض و الاعراب لينهبوها. كان اهم المتعاونين مع بريطانيا في

---

[١] قام ملا برزاني و عبد الرزاق بدرخان اكبر قيادات عشائر الاكراد في ١٩١٢ بالاتصال بقيصر روسيا لطلب دعم الجيش القيصري ضد الدولة العثمانية الا ان اندلاع الحرب العالمية الاولى احبط المؤامرة.

دخول البصرة رجال خزعل خان[١] الكعبي الرافضي شيخ المحمرة و اتباع طالب النقيب[٢] نقيب الاشراف في المدينة و بدو الكويت كما كونت بريطانيا قوة ضخمة من قبائل البختيارية الروافض في ايران. بعد هبوط البريطانيين في البصرة قادمين من عبدان المحمرة و الكويت استنفر العثمانيون جيوشهم و متطوعين على راسهم اللواء فاضل باشا الداغستاني صهر شامل الشيشاني الافاري على رأس خليط من المتطوعين السنة[٣] و الرافضة و عقدت لقاءات مع ائمة الرافضة بالنجف لحثهم على اصدار فتوى لاتباعهم بالقتال ففعلوا ذلك و لكنهم فروا عند اول لقاء في معركة الشعيبة مما ادى لهزيمة الجيش العثماني و انتحار قائده سليمان بك العسكري احد المع قيادات الجيش العثماني. ليس ذلك فحسب بل ان عشائر الروافض بدات في قتل الجرحى العثمانيين في المستشفيات العسكرية حول العمارة عندما بدا ان النصر بات حليف الجيش البريطاني في طريقه لبغداد . كان مراجع الرافضة مستعدين للافتاء بما يرضي السلطات العثمانية تقية طالما كانت في الحكم، و الافتاء بقتالها في اليوم التالي ما ان يلوح ان الغلبة ستكون لبريطانيا .

استجمعت الجيوش العثمانية شتاتها بقيادة خليل باشا و على احسان باشا و هيئة قيادة تضم بعض الضباط الالمان. بعد هزيمة الشعيبة تمكنت هذه القوات من حصار جيش ضخم بقيادة الجنرال

[١] تثبت الوثائق البريطانية ان ان امراء المحمرة و الاحواز الكعبيين كانوا يحرضون القيادة البريطانية في الخليج على قتال الدولة العثمانية و والي بغداد و يبدون استعدادهم للقتال الى جانب بريطانيا منذ ١٨٠٧قبل بداية الحرب العالمية الاولى باكثر من قرن. مذكرات بومباي ٢١٠/١٨٠٧.

[٢] سياسي سني بارز من اهم رجال ولاية البصرة، لمح له البريطانيين في عهد الثورة الاعرابية الكبرى التي اجتاحت جزيرة العرب بامكانية تسليمه حكم العراق اذا تعاون مع بريطانيا في طرد الاتراك الا انهم نفوه بعد سقوط العراق الى الهند كما اسلموا امارة رفيقه في الخيانة خزعل خان الرافضي صاحب المحمرة الى شاه ايران.

[٣] منهم الشيخ محمد الامين الشتقيطي الذي كان يدعو لاصلاح الدولة العثمانية و تطبيق الشريعة و الحدود.

الانكليـزي تاونشـند بـين البصـرة و بغـداد حيـث دارت معـارك اسـتخدمت فيهـا الطـائرات البدائيـة مـن الطـرفين و اسـفرت عـن مقتـل مـا يقـرب مـن عشـرين الفـا علـى الجانـب البريطـاني جلـهم مـن الهنـود المسـلمين و الهنـدوس. حـاول البريطـانيون بعـد احكـام الخنـاق علـيهم رشـوة خليـل باشـا للسـماح للمحاصـرين بالهروب الا انه رفض مما ادى لاستسلام القوة البريطانية و اسر عشرة الاف جندي و ضابط منها .

تراجـع البريطـانيون و بـداوا يـدبرون لخطـة افضـل لغـزو العـراق بالتعـاون مـع الاطـراف المحليـة. افتـى اكـبر مراجـع الرافضـة الشـهير بآيـة الله العظمـى كـاظم اليـزدي بعـدم التعـرض للبريطـانيين و انـتفض روافـض النجـف ضـد العثمـانيين و سـلموا مدينتـهم للجـيش البريطـاني. اسـتغرقت مسـيرة القـوات البريطانيـة بـين البصـرة و بغـداد مـا يقـرب مـن سـنتين كانـت الدولـة العثمانيـة قـد اسـتنزفت فيهمـا علـى جبـهات اخـرى و ادى خلـل و فسـاد جهازهـا الاداري الى انهيارهـا فانسـحبت الجيـوش العثمانيـة شمـالا مـن بغـداد. بعـد احـتلال بغـداد في منتصـف ١٩١٦ ظـل الانكليـز يتقـدمون بـبطء و لم يفرضـوا سـيطرتهم علـى الـبلاد الا في ١٩١٨ عقـب توقيـع اتفاقيـة الموصـل. تقـول مصـادرالتاريخ العسـكري ان القـوات البريطانيـة خسـرت مـا يزيـد عـن تسـعين الـف جنـدي و ضـابط جلـهم مـن الهنـود اثنـاء سـنوات حملتـها علـى العـراق و اقتضـى السـيطرة علـى بعـض القـرى الصـغيرة مثـل العوجـة مـن ضـواحي تكريـت الـتي لم يبلـغ سـكانها ثلاثـة الاف نسمة مرابطة الف جندي بريطاني في محيطها .

شـهدت الـبلاد ثـورة عارمـة ضـد الانكليـز في عـام ١٩٢٠ امتـدت مـن الانبـار الى الفـرات الاوسـط انخرطـت فيهـا العشـائر الرافضـية لتضـمن حقهـا في مناصـب الحكـم المحلـي و شـارك فيهـا الى جانـب

البريطانيون و قواتهم الهندية بمسلميها و هندوسها و السيخ قوات من الأكراد الفيلية الروافض و اعراب عنزة. لتهدئة المسلمين السنة تم تنصيب الشريف فيصل من حكام الحجاز السابقين و احد قادة العشائر العربية التي قاتلت العثمانيين تحت راية بريطانيا ملكا صوريا على العراق المحتل يعاونه مجموعة من الضباط السنة الذين انتقلوا من خدمة الجيش العثماني لخدمة الجيش البريطاني.

في السنوات التالية مع نمو الدولة السعودية الثالثة شهدت البلاد غارات حدودية من الاخوان المسلمين من مطير بغرض منع الملك من مد يد المساعدة لابيه الشريف حسين الذي كان يتعرض لغزو من عبد العزيز السعودي. لم يتدخل الطيران البريطاني لوقف هذه الغارات حتى سقط الحجاز نهائيا و خرج الاخوان عن الطاعة عندها تحالف الانكليز و عبد العزيز ضدهم و هزموهم. تشتت الاخوان و ضاقت بهم الارض و حاول الملك فيصل ملك العراق جلبهم للبلاد ليدعموه في وجه اعداءه من عشائر الروافض و عدوه عبد العزيز آل سعود الا ان الانكليز رفضوا طلبه و منعوهم من دخول البلاد .

في ١٩٣٢ بعد خمسة عشر سنة من سقوط بغداد بيد بريطانيا ابرم البريطانيون اتفاقية منح العراق من خلالها استقلالا اسميا انسحبت القوات البريطانية بموجبه من الحياة العامة الى قواعد متفق عليها بالبصرة و بالحبانية بين الفلوجة و الرمادي كما سمحت الاتفاقية بحرية التنقل للقوات العسكرية البريطانية في انحاء العراق. بعدها بتسع سنوات اثناء الحرب العالمية الثانية قام وزير الخارجية العراقي

السني رشيد عالي الكيلاني ذو الميول الاسلامية بانقلاب ابقى على الملكية و لكنه استبدل عبد الاله الوصي على العرش. استدعى رشيد عالي الشيخ امين الحسيني مفتي فلسطين الذي كان يحبذ الاستعانة بالالمان لطرد البريطانيين. حاول الجيش العراقي بقيادة رشيد عالي السيطرة على القواعد البريطانية و طردهم من العراق انطلاقا من الفلوجة و بمعاونة جوية المانية ضئيلة و لكن القوة الجوية البريطانية تمكنت مع قوة ارضية ضمت فرق الليفي و الشبانة المكونة من اكراد و ايزيديين و اشوريين من هزيمة العراقيين كما اضطرت القوات البريطانية الى سحب بعض قطعاتها من فلسطين لتخمد الانتفاضة.

بعد خمس و عشرين سنة اثير موضوع قرب استقلال الكويت، قدم نوري السعيد[1] رئيس الوزراء العراقي بالتعاون مع الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق مشروع دولة موحدة مع الكويت و الاردن و بالفعل وقع الاردن و العراق اتفاق وحدة سمي الاتحاد العربي للعراق و الاردن كما انتقل امير الكويت يومها لزيارة العراق الا ان بريطانيا و اميركا لم يقبلوا بالفكرة. لم يكن خوف الغرب من اتحاد تلك الدول نابعا من قوتهم البترولية، فقد كانت اموال البترول في تلك المرحلة موجهة باكملها لاستهلاك سلع غربية و تودع في بنوك غربية، بقدر ما كان خشية من تكوين نواة دولة سنية قوية حيث كان

---

[1] رئيس وزراء عراقي و ضابط عثماني سابق سلم نفسه للانكليز في بداية الحرب العالمية الاولى تعاون هو و زميله جعفر العسكري ( ضابط عثماني سلم نفسه للقوات البريطانية اثناء قتاله الى جانب التشكيلات المخصوصة على الحدود الليبية المصرية و صار فيما بعد رئيسا لوزراء العراق) مع الجيش البريطاني و انتقلا للعمل ضد العثمانيين مع بريطانيا و لورانس العرب و الشريف حسين ضمن احداث الخيانة الاعرابية الكبرى. شارك في تسليم فلسطين و الاردن و سوريا للجيش البريطاني.

انضمام الكويتيين و الاردنيين ذوي الاغلبية السنية سيقلب موازين العراق التي خطط لها سايكس و بيكو ان تكون دولة ذات غالبية رافضية. انتهت تلك المحاولات بقيام الضابط الشيوعي عبد الكريم قاسم بالاستيلاء على الحكم و اعدام الملك فيصل الثاني و الوصي عليه و نوري السعيد في اقل من ستة اشهر من توقيع اتفاقية الاتحاد و القيت جثة نوري السعيد باحد شوارع بغداد حيث تناوبت حافلات النقل العام دهسها .

كان القائمون بالانقلاب مجموعة من الضباط البعثيين و القوميين السنة اسسوا تنظيما سريا و ضموا اليه عميدا شيوعيا اسمه عبد الكريم قاسم من اب سني قتل على ما يقال اثناء قتاله الى جانب الجيش العثماني ضد الغزو البريطاني في الحرب العالمية الاولى و ام رافضية. كان من اكبر قيادات المجموعة ضابط سني من الرمادي يدعى عبد السلام عارف له توجهات شبه اسلامية/عروبية. بدأت الفكرة الانقلابية قبل ذلك بعشر سنوات مع عودة ضابط يدعى رفعت الحاج سري من فلسطين حين اسس تنظيما اسماه الضباط الوطنيين. كان رفعت الحاج سري سنيا من انصار الجامعة الاسلامية. في السنوات التالية توسع تنظيم الضباط الوطنيين و ضم اليه خلايا اخرى من الجيش وصولا الى ضم عبد السلام عارف الذي اقترح ضم الضابط عبد الكريم قاسم. جاء انقلاب عبد الكريم قاسم و عبد السلام عارف في وقت متزامن مع قيام الوحدة المصرية السورية و خشى الغرب ان يبتلع العراق الكويت و الاردن و تبتلع سوريا لبنان فتقوم دولة عربية موحدة، فنزل الجيش الاميركي في بيروت و البريطاني في الاردن و بقت القوات مرابطة حتى اعلن عبد الكريم قاسم

انـه سـيحترم كافـة التعهـدات الـتي ارتـبط بهـا النظـام السـابق مـع بريطانيـا و اظهـر مـن الحـزم للغـرب مـا طمـانهم ان الجنـاح الشـيوعي الرافضـي التـابع لـه هـو المسـيطر داخـل الحركـة و لـيس الجنـاح السـني شـبه الاخـواني بقيـادة عبـد السـلام عـارف. ادى اعـتراض الضـباط السـنة و علـى راسـهم عبـد السـلام عـارف و رفعـت الحـاج سـري علـى توجهـات قاسـم الشـيوعية و تصـديه لمحـاولاتهم للاتحـاد مـع مصـر و دول عربيـة اخـرى بعبـد الكـريم الى الـتخلص منـهم تـدريجيا بسـجنهم و ابعـاد اخـرين و الحكـم بالاعـدام علـى عبـد السـلام عـارف في بدايـة ١٩٥٩. انسـحبت القـوات البريطانيـة المحتلـة للعـراق مـن قاعـدة الحبانيـة بعـدها بسـتة اشـهر في منتصـف ١٩٥٩ بعـد ان اكـد عبـد الكـريم قاسـم للغـرب عـداءه للاسـلام و توجهاتـه اللادينية.

حاولـت مجموعـة مـن ضـباط الجـيش السـنة بالموصـل التصـدي لعبـد الكـريم قاسـم الـذي نشـر الشـيوعية و سـن قـوانين منعـت تعـدد الزوجـات و سـاوت بـين الرجـل و المـراة في الارث و غـير ذلـك مـن التشـريعات اللادينيـة. جوبهـت توجهـات الضـباط الموصـليين القـوميين العـرب للتحـالف مـع الجمهوريـة العربيـة المتحـدة ذات الاغلبيـة السـنية باسـتدعاء العميـل الكـردي السـوفييتي (الاميركـي لاحقـا) مصـطفى برزانـي ليتصـدى لتمـرد الموصـليين ضـد عبـد الكـريم قاسـم. كمـا شـاركت فـرق البشـمركة الـتي عـادت مـن الاتحـاد السـوفييتي في التصـدي لانتفاضـة ضـباط الموصـل تحـت اشـراف مستشـارين اسـرائيليين. عقـب فشـل المحاولـة انتـهز عبـد الكـريم قاسـم الفرصـة و قـام باعـدام اعدائـه عبـد الوهـاب الشـواف و رفعـت الحـاج سـري و نـاظم الطبقجلـي. في الاشـهر التاليـة فكـر عبـد الكـريم قاسـم في احـتلال الكويـت بعـد ان اعلنـت

استقلالها فطلبت الحكومة الكويتية من الجيش البريطاني البقاء لحماية الكويت مما اخاف عبد الكريم قاسم و احبط تحركه. ارسل جمال عبد الناصر وقتها سرايا رمزية بالحجم الذي تسمح له به الولايات المتحدة ضمن قوات ردع عربية للكويت بدعوى عدم ترك المجال لعودة القوات البريطانية لاحتلال الامارة مرة اخرى و تلقى نظير تدخله معونات كويتية سخية.

اغضبت الاجراءات التي اتخذت ضد قيادات البعث و عبد السلام عارف كوادره فقام جهازه السري و على رأسه احمد حسن البكر و خير الله طلفاح احد المقاتلين القدامى ضد الانكليز في انتفاضة رشيد عالى الكيلاني بتنفيذ محاولة اغتيال لعبد السلام قاسم اشترك فيها الشاب التكريتي صدام حسين ابن اخت طلفاح. فشلت المحاولة و فر صدام حسين الى مصر حيث بقى لسنوات. في ١٩٦٣ تمكن الضباط البعثيون من السيطرة على الحكم و اعدام عبد الكريم قاسم في مخبئه بوزارة الحربية. كان على رأس الحكام الجدد العقيد عبد السلام عارف رئيسا للجمهورية و اللواء احمد حسن البكر البعثي التكريتي رئيسا للوزراء. بعد تسعة اشهر اقصى عبد السلام عارف البعثيين عن الحكم و انفرد بالحكم.

كانت المجموعة الحاكمة الجديدة بعثية اسما شبه سنية حركية (اخوانية/عكس سلفية) حقيقة. غلب على قيادة تلك المجموعة عدد من الضباط و الحزبيون السنة المنتمين لراوة و عانة بالانبار و سمراء و تكريت. على رأس هؤلاء كان العقيد عبد السلام عارف سليل اسرة عريقة من ضواحي الفلوجة و

خاله الشيخ ضاري بن محمود الزوبعي الشمري[١] احد اهم قادة ثورة ١٩٢٠ ضد الانكليز كما اشترك عبد السلام نفسه و هو ضابط صغير في ثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الانكليز. كان عبد السلام ذو ميول اخوانية و طموح لتوحيد الامة العربية كبداية و كان يرى ان الوحدة مع مصر و سوريا خطوة في ذلك الطريق. في ١٩٦٤ استغل عبد السلام عارف علاقته الوطيدة مع جمال عبد الناصر في التوسط لاطلاق سراح سيد قطب فاطلقه جمال عبد الناصر بمناسبة احدى زيارات عارف لمصر. ثم ندم عبد الناصر و اعتقله مرة اخرى لاحقا بعد اشهر و حكم عليه بالاعدام و لكن لم ينفذ الحكم الا بعد موت عبد السلام عارف.[٢]

اتخذت تلك المجموعة من حزب البعث العربي الذي اسسه ميشيل عفلق و اخرون ستارا لطموحاتهم التي انصبت على جني مصالحهم و مصالح من حولهم وصولا الى دعم سيطرة الاقلية السنية التي ينتمون اليها في بحر من الروافض و الشعوبيين الأكراد. لم يكن الحزب عفلقيا نصرانيا يعلي من شأن القومية الجاهلية على الاسلام كما صور مشايخ المؤسسات الرسمية الخليجية –الداعين لقوميات اصغر بدورهم– الامر لصغار الاصوليين. كان الامر قد تطور الى سيطرة مجموعة من اللادينيين السنة المنتمين

---

[١] قتل الشيخ ضاري الكولونيل ليجمان حاكم المنطقة الواقعة بين بغداد و الفلوجة بسيفه ردا على اهاناته التي تضمنت دعوة الشيخ للعمل مع البريطانيين و يعرف عن ليجمان انه كان "لورانس العراق" حيث كان يلبس لباس الاعراب و يتكلم العربية بطلاقة و كانت له رحلات وسط القبائل سبقت ظهور لورانس و فيلبي بسنوات اخذته الى نجد جنوبا حيث احتفى به عبد العزيز آل سعود و يعتبر اول ضابط بريطاني يلتقي عبد العزيز في الرياض علنا. كما اشترك ليجمان في معارك الى جانب الاعراب قبل سقوط العراق حيث قاتل في معركة الجميما سنة ١٩٠٩الى جانب عنزة البريطانية الولاء و معها بعض المعدان الروافض ضد شمر العثمانية دعما لعبد العزيز آل سعود الا ان شمر اسرته ، تم مكافأته بميدالية الاستطلاع من قبل الجيش البريطاني. كان اول حاكم بريطاني لشمال العراق و كان يدعو لابادة الثوار العراقيين في ثورة العشرين بالطائرات ما امكن.

[٢] كانت وساطة عارف نابعة من شعور اسلامي عميق بخلاف وساطة فيصل بن عبد العزيز بعدها بسنوات صبيحة اعدام سيد قطب. حيث كان ديدن فيصل ايواء خصوم جمال عبد الناصر لغرض في نفسه، كما ان فيصل كان يعلم بلا شك ان وساطته التي جاءت في احلك لحظات الصراع المصري السعودي مرفوضة قطعا بخلاف عبد السلام عارف حليف جمال عبد الناصر.

لاسر متدينة و الضباط السنة ذوي الاتجاهات شبه الاخوانية و الصوفية حتى انهم في عهد صدام حسين اقنعوا ميشيل عفلق نفسه باعلان اسلامه على مذهبهم. لم يكن قياديو البعث الجدد مخلصين تماما في تطبيق اي من شعارات البعث المنادية بالحرية و الاشتراكية و الوحدة ما خلا الوحدة التي حبذوا ان تكون تحت رايتهم و لكنهم تبنوا القومية العربية كمظلة لتوحيد العراق ذو الاقلية الرافضية الكبيرة و حث تلك الاقلية على فك ارتباطها بامتدادها العقائدي في ايران. قام عبد السلام عارف بتبني برنامج تنمية و تسلح مكثف كما اقصى البعثيين تدريجيا عن الحكم. في ربيع ١٩٦٦ قتل عبد السلام عارف في حادث مروحية مشبوه و خلفه اخوه اللواء عبد الرحمن عارف في رئاسة الجمهورية لسنتين حتى اطيح به و اجبر على التقاعد . كان لعبد الرحمن عارف نفس ميول اخيه الدينية حتى انه ظل بعد خروجه من الحكم لمدة ثلاثين سنة يعمل اماما للمسجد المجاور لمنزله لحين دخول الجيش الاميركي للبلاد . لم يغفر الرافضة توجهات عبد السلام عارف و قتلوا ابنته و زوجها في السنة التي تلت غزو الجيش الاميركي لبغداد .

في ١٩٦٨ قام البعثيون بانقلاب على عبد الرحمن عارف و تولى احمد حسن البكر الرئاسة مرة اخرى يعاونه فيها صدام حسين بصفته سكرتيرا عاما لحزب البعث و نائبا لرئيس الجمهورية. كان صدام في شبابه لادينيا على النمط المسمى تقدميا و ان لم يكن بدرجة حكام مصر و المغرب العربي و تركيا ، و كان كثيرا من عدائه موجها للروافض و مرجعياتهم التي يقال ان خاله السياسي البعثي البارز خير الله

طلفاح غرس فيه كراهيتهم. تزوج صدام من ساجدة ابنة خاله المذكور و استعان بشقيقها عدنان خير الله طلفاح قائدا للجيش في حرب ايران. فيما يخص النظام التشريعي الغى صدام المحاكم الشرعية شبه الصورية و طبق القانون الوضعي مما ادى ببعض الضباط السنة الى محاولة الانقلاب عليه. كما كان صدام بصفته محركا للبعث مسؤولا عن قرار حظر الاخوان المسلمين في ١٩٧١ (بعد ان استمال بعض قياداتهم لصفه في بداية امره) بالاضافة الى حظر التنظيمات الرافضية و ان لم يسعى في ابادة الاخوان و مطاردتهم كما وقع بمصر.

اثناء حكم البكر برز دور صدام كمحرك فعلي للامور. قام في بداية السبعينات بنزع ملكية صناعة البترول من الشركات الغربية لصالح الحكومة و استخدم عائدات النفط في برنامج تنموي تعليمي ارتكز على القطاع الحكومي كما تضمن معونات اجتماعية ضخمة للطبقات الافقر. كانت كل تلك العناصر قابلة للتطبيق على النمط شبه الشيوعي الاشتراكي طالما كانت اسعار النفط مرتفعة و لكنها صارت عبئا ثقيلا عندما تراجعت عجلة ارتفاع اسعار النفط و ان كان العراق على خلاف دول الخليج غنيا بموارده الاخرى. شجع صدام استقدام اكثر من مليون مصري و كثير من اللاجئين الفلسطينيين و السنة عموما و اغراهم بالمساكن و الاراضي و المنح الزراعية، كان غرضه في تعديل التركيبة السكانية التي يغلب عليها الروافض واضحا للكل الا للمصريين الجهال و كان العراقيون الروافض ينقضون على الوافدين الجدد و يشبعونهم ذبحا كلما اتيحت الفرصة.

في تلك السنوات الاولى من السبعينات دعم شاه ايران ميليشيات الشعوبيين الأكراد ضد العراق الا ان توقيع اتفاقية مع العراق في ١٩٧٥ ادى لتخلي الشاه عنهم و هزيمتهم. مع خروج البريطانيين من امارات الخليج عرض صدام على السعودية تقاسم الخليج بحيث يضم العراق الكويت و تضم السعودية الامارات الاخرى و قطر و البحرين الا ان السعوديين رفضوا. ارسل نظام الحكم العراقي في تلك الفترة طائرات عراقية تقاتل الى جانب الجيش المصري ضد اسرائيل في حرب ١٩٧٣ مما دعا اسرائيل لتكثيف دعمها العسكري للثوار الأكراد في شمال العراق. كما قام العراق بعدها بسنوات في الثمانينات بارسال اسراب من سلاح الجو العراقي لمنع سقوط الخرطوم في يد قوات جون قرنق. على الصعيد العربي العام خطط احمد حسن البكر في ١٩٧٩ لوحدة مع سوريا البعثية يكون الرئيس السوري حافظ الاسد نائبا للرئيس فيها الا ان الوحدة لم تتم لان صدام اقال البكر و تولى الرئاسة رسميا في نفس السنة.

كان ارتياب صدام في نوايا حافظ الاسد شديدا و انتهز فرصة قيام انتفاضة سنية في سوريا و بدأ يمد عناصرها بالسلاح و التدريب فضلا عن اقامة اذاعة لهم. بعد قمع الانتفاضة قام صدام بايواء الاخوان الفارين من سوريا و اعطائهم جوازات سفر و روي انه كان يستأنس بلقاء قائدهم العسكري مرارا و يعتبره رجلا مباركا. بالاضافة لذلك دعم صدام في الثمانينات جهات مناوئة لسوريا في لبنان ردا على تآمر الاسد ضده في الحرب ضد ايران حيث سمح للطائرات الحربية الايرانية بالالتفاف حول العراق و قصفه من الاجواء السورية.

كانت اسباب الحرب الايرانية مزيجا من هلع صدام من انتشار فكر الثورة الايرانية وسط الاغلبية الرافضية ببلاده و الرغبة في توسيع العمق الاستراتيجي بجنوب العراق لاغراض دفاعية بضم الاهواز مع ما قد يتاتى من ذلك من منافع يجلبها ذلك الاقليم العربي الايراني الغني بالنفط. حاول صدام بعد قيام الثورة الايرانية جس نبض الخميني برسالة تهنئة دبلوماسية فرد عليه الخميني برسالة مطلعها "السلام على من اتبع الهدى". مما لا شك فيه ان العراق بمراقده الرافضية و اغلبيتهم السكانية و ثروته و الاطماع التاريخية الفارسية فيه كان هو السوق الاول لمبدأ "تصدير الثورة" الرافضية الذي اعلنه الخوميني. من ناحيتهم كان رافضة العراق اكثر من مستعدين للتعاون مع ايران لو لمسوا ضعفا من صدام و بالفعل بدأت خلايا تخريبية من حزب الدعوة الرافضي و غيره تمهد الارض للانقلاب الرافضي. حاول صدام في البداية تبني اللادينية و القومية البعثية كحل حيادي في ظنه لمشكلة الطوائف الا ان ذلك لم ينطلي على الروافض و لا الأكراد الذين كان الغرب و روسيا و اسرائيل يدعمونهم لاقامة دولة انفصالية تقوم على مبادئ وثنية شيوعية شعوبية معادية لمحيطها الاسلامي و متحالفة مع الغرب.

انطلق صدام في حربه ضد نظام الخميني عازما على كسر الجيش الايراني- الذي تواترت الروايات عن ضعفه بعد انقطاع المعونات الاميركية- في حرب خاطفة بدأها بالاغارة على مطار طهران و حقق انتصارات برية سريعة في البداية حول شط العرب في الجنوب. كان سلاح الجو العراقي الحديث الذي

انفق عليه شطرا كبيرا من عائدات البترول في السبعينات قويا بما يكفي لازعاج سكان طهران معظم سنوات الحرب. انتقم الايرانيون لاحقا بعد دخول اميركا للعراق بخطف الطيارين العراقيين السابقين و ذبحهم. في نفس الوقت كان صدام يمضي في برامج تطوير عسكري نووية و صاروخية. باعت اميركا السلاح للطرفين؛ للعراق مباشرة، و لايران عن طريق اسرائيل و النظام السعودي فيما عرف بقضية ايران كونترا غيت[١]. كما ساعدت الدول الخليجية الخائفة من الغزو المباشر الايراني و غير المباشر عن طريق اقلياتها الرافضية بالمال و تجييش رجال الدين الرسميين لاصدار فتاوى بتكفير الرافضة.

اثبتت ايران انها ليست هدفا سهلا لحرب صدام الخاطفة و ساعدتها سوريا بتشتيت انتباه العراق غربا فيما قام سلاح الجو الاسرائيلي بالاغارة عبر الاردن و السعودية و تحطيم مفاعل العراق النووي في وقت كانت اسعار النفط مورد تمويل العراق الرئيس قد هبطت الى مستوى متدني جدا مما دفع العراق و ايران الى التفاوض ووقف الحرب و العودة الى خط الحدود القديم. اثناء الحرب انتهز الشعوبيون الأكراد الفرصة و انتفضوا على الحكومة العراقية رافضين الحكم الذاتي الممنوح لهم و مطالبين بالاستقلال الكامل. فضلا عن ذلك سمح جلال الطالباني الشيوعي لفرق التخريب الايرانية[٢]

---

[١] ايران كونترا غيت: فضيحة تورطت فيها المخابرات الاميركية لتحرير رهائن اميركيين في لبنان و التاثير على صنع القارا في ايران ما بعد الثورة. قامت السعودية في تلك العملية بتمويل شراء اسلحة اميركية من اسرائيل يتم بيعها لايران عبر من اعتبرتهم الولايات المتحدة جناح الحمائم في الحكومة الايرانية الخمينية لرفع اسهمهم داخل النظام. تم الافراج عن الرهائن و لكن بعض صقور النظام الايراني سربوا تفاصيل الصفقات فتم محاكمة مسؤولين في دوائر الحكم الاميركية العليا و المخابرات و عزل بعضهم و سجن بعضهم.

[٢] كان الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد وقتها يعمل بالحرس الثوري قائدا لاحدى تلك المجموعات التخريبية التي عملت في مناطق جلال طالباني الكردي بما فيها حلبجة وصولا الى كركوك.

باختراق مناطقه للقيام بعمليات تخريبية امتدت غربا حتى مدينة كركوك البترولية الهامة. و في حادثة شهيرة سمح جلال الطالباني للقوات الايرانية بشن هجمات انطلاقا من الاراضي التي يسيطر عليها في منطقة حلبجة الحدودية، كان دخول هذه القوات من السليمانية شمالا في اتجاه كركوك فيما كان الجيش العراقي مشغولا في الجنوب يعني احتمال الاستيلاء على حقول كركوك النفطية الضخمة التي تمثل نصف ثروة العراق النفطية او حدوث حركة التفاف باتجاه بغداد سيعقبه منطقيا -كما توقع صدام- فرار المجندين الروافض الذين هم اغلبية الجيش و بالتالي سقوط البلاد. بناء على ذلك قرر صدام التصدي باقصى درجات الحسم و ارسال رسالة مفادها ان الاختراق من تلك الجهة خط احمر وقام بقصف المنطقة الحدودية بالسلاح الكيماوي مما ردع الايرانيين عن التفكير باختراق تلك المنطقة التي لو استطاعوا الدخول منها لكان ذبح السنة بالعراق الجاري حاليا قد بدأ قبلها بعشرين سنة.

بعد انتهاء الحرب راجع صدام موارده و امكاناته و قرر ان العراق بوضعه المالي و تركيبته السكانية الحالية لا يكفي لتحقيق اهدافه فأعلن ارساء اسس مجلس تعاون مع مصر و اليمن و الاردن كما خطط سرا لضم الكويت. فضلا عن عقيدته الحزبية التي تدعو لتوحيد الاقطار العربية، اتهم صدام دول مجلس التعاون الخليجي و الكويت بالتسبب في ضرر فادح للاقتصاد العراقي عن طريق عدم الالتزام بحصص انتاج البترول المتفق عليها في منظمة الدول المصدرة للبترول اوبك و اغراق السوق

بـــالبترول تلبيـــة لاوامـــر الولايـــات المتحـــدة لتعـــويض نقـــص الـــبترول العراقـــي و الايرانـــي ممـــا تســـبب في نـــزول البرميـــل الى ٨ دولارات بـــدلا مـــن اربعـــين دولار في بدايـــة الحـــرب ممـــا ادى الى انكمـــاش حجـــم النـــاتج المحلـــي العراقـــي الى اقـــل مـــن النصـــف.و يقـــال انـــه قـــام كمـــا يفعـــل اغلـــب سياســـيو العـــالم قبـــل اتخـــاذ اي خطـــوة اســـتراتيجية باستشـــارة الســـفيرة الاميركيـــة في بغـــداد بخصـــوص القيـــام بـــاجراء لحســـم النـــزاع الحـــدودي مـــع الكويـــت فـــردت عليـــه بانـــه لـــيس مـــن شـــأن الولايـــات المتحـــدة التـــدخل في تلـــك التفاصـــيل الداخليـــة فاعتبرهـــا مباركة لما اعتزم القيام به و اجتاح جيشه الكويت في سويعات.

في الايـــام الـــتي تلـــت الغـــزو اعلنـــت اميركـــا انهـــا ان تســـمح بـــاحتلال الكويـــت و ان لم تتخـــذ خطـــوة عســـكرية ملموســـة في ذلـــك الاتجـــاه باســـتثناء البيانـــات الاعلاميـــة ممـــا شـــجع صـــدام علـــى التقـــدم باتجـــاه الحـــدود الســـعودية. بـــدأت حملـــة اعلاميـــة كـــبيرة تتحـــدث عـــن المـــذابح الجماعيـــة للكـــويتيين و تبـــارت دول اخـــرى في الحـــديث عـــن ذبـــح رعاياهـــا العـــاملين في الكويـــت و العـــراق و رويـــت قصـــص عـــن ســـفاح حلبجـــة و كـــان بدايـــة تعـــرف بـــن لادن و رفاقـــه علـــى المنطقـــة الكرديـــة عـــن طريـــق الروايـــات الـــتي حكاهـــا لهـــم قائـــد خليـــة اســـلامية كرديـــة يـــدعى المـــلا كريكـــار عـــن طاغيـــة بغـــداد اثنـــاء جمعـــه للتبرعـــات ببيشـــاور في تلـــك الفـــترة. تـــبين بعـــد الحـــرب ان العـــراقيين لم يقومـــوا بمـــا نســـب الـــيهم مـــن مـــذابح و هولوكســـتات نازيـــة بـــل و لم تحـــدث اي مـــذابح او دمـــار اصـــلا. بلـــغ الامـــر ان تنشـــر جامعـــة الكويـــت رســـالة علميـــة لاحـــد اكـــبر اســـاتذة التـــاريخ فيهـــا عنوانهـــا "احـــتلال العـــراقيين الكويـــت. . .و احـــتلال التتـــار بـــلاد الشـــام (دراســـة مقارنـــة)" [١] و عقـــدت فيـــه

---

[١] الدكتورة حياة ناصر الحجي. المجلة العربية للعلوم الانسانية-جامعة الكويت-العدد ٣٩- ربيع ١٩٩٢.

مقارنات بين الغزو التتري الذي ابيد فيه مئات الآلاف و دمرت مدن نهائيا باحتلال الكويت التي لم يبلغ مجمل سكانها الاصليين عدد سكان مدينة حمص الصغيرة. كما نشر لنفس الكاتبة رسالة "اوجه الشبه و الاختلاف بين موقف سلطنة المماليك من تيمور لنك و الكويت من صدام".[١] مقارنة بين تيمور لنك الذي اهلك الحرث و النسل على امتداد بلاد المسلمين بين الصين و سوريا وصولا الى اطراف اوكرانيا بحاكم ضعيف كصدام لم يحكم جزءا من عشرين من ملك تيمور و لم ينسب اليه اعدى اعدائه قتل اكثر من خمسمائة كويتي هذا ان لم يكن القصف الاميركي هو الذي اهلكهم.

كان سب صدام قد اضحى علامة على الايمان و صحة العقيدة حتى ان بعض اكثر مشايخ الاسلاميين الجهاديين سخونة مثل ابو قتادة الفلسطيني تساءل قائلا:"كان القدماء يضربون المثل ببطش التتار، و لكن هل يعادل بطش التتار دموية صدام حسين؟"[٢] مع ان اصغر طلبة العلم يعرف ان التتار قتلوا في مدينة بغداد وحدها ما يقرب من مليون مسلم و قبلهم مثل ذلك في كل من بخارى و سمرقند و خوارزم و الهند و فارس و خضبت رقعة الارض ما بين اليابان باقصى الشرق و تشيكسلوفاكيا بوسط اوروبا و غزة بفلسطين بدماء القتلى. و فيما تحدثت الاخبار عن اختطاف جزء كبير من الشعب الكويتي و دفنه تبين بنهاية الحرب ان مجموع المفقودين ستمائة فرد من كافة الجنسيات و الملل و قد يكون كثير منهم قتلوا اثناء ترحيلهم بسبب قصف الطيران الاميركي لارتال الجيش العراقي

[١] المرجع السابق، العدد ٤١.
[٢] "بين منهجين:٩١" ابو قتادة الفلسطيني، عمر ابن محمود ابو عمر.

المنسحبة على طريق البصرة و بعضهم من حزب الدعوة[١] الروافض فرع الكويت[٢] الذين انخرطوا في المقاومة.

قرأ رؤساء الدول الاسلامية و العرب اتجاه الريح و اعلنوا و اولهم حسني مبارك استعدادهم لارسال قوات تحارب لرد العدوان العراقي على الكويت فيما لم يرسلوا جنديا واحدا عندما احتلت اسرائيل بيروت الاقرب لهم و ذبح الفلسطينيين فيها بالالاف في ليلة واحدة قبلها بسنوات قليلة. و فيما كان مبارك يرسل قادة جيشه للعمل كمستشارين عسكريين الى جانب العراق في حرب ايران بدا الان مستعدا لارسال قوات كبيرة تقاتل الى جانب اميركا ضد حليف الامس. تسابقت دول كثيرة للانضمام لحزب اميركا بمن فيهم حكومة المجاهدين الافغانية المؤقتة قبل سقوط كابل التي ارسلت ثلاثمائة مقاتل كوحدة رمزية في دلالة على ان علاقة كثير من جماعات المجاهدين ضد الروس بالولايات المتحدة في الحرب الافغانية الاولى لم تكن تقاطع عابر للمصالح بل صلة موالاة و حلف متين. على الصعيد الدعائي امرت الجهات الدينية الرسمية بتفعيل حملة فتاوى تبارى فيها الجميع بمن فيهم الجهاديون و الصحويون في ذكر مساوئ النظام البعثي المرتد الزنديق و اصدر ابن باز مفتي السعودية فتوى بأن صدام كافر و ان صام و ان صلى و نطق الشهادتين كما افتى بجواز استقدام الجيش الاميركي للدفاع

---

[١] حزب الدعوة: جماعة رافضية عراقية ذات ارتباطات ايرانية قادها باقر الصدر عم مقتدى الصدر حتى اعدمه صدام. و يعتبر حزب الدعوة القضاء على السنة العراقيين (و غيرهم ان امكن) هو سبيل النجاة في الدنيا و الآخرة.و للجماعة وجود سري في الكويت المجاورة.

[٢] و لا شك ان صدام الذي امضى عمرا في مطاردة ذلك الحزب في العراق كان مسرورا بالعثور عليهم.

عن البلاد اذا كان يتم بصفة خادم او عبد مطيع للمسلمين بالقياس على كلب الصيد المدرب كما افتى بجواز عزل (سجن) العلماء المعترضين على فتواه.[١] و افتى ناصر الدين الالباني[٢] بأن توبة صدام لن تقبل حتى يخرج من الحدود الدولية للكويت[٣]. على الجهة المقابلة كثف صدام من حضور الصلوات امام الكاميرات و قام بخط شعار الله اكبر بدمه على العلم العراقي للتصدي لتلك الحملة و لم يجد من ينبهه لنجاسة الدم شرعا .

كان العراق قد راسل الجهاديين على اشكالهم منذ بداية الثمانينات بدءا من اخوان سوريا الذين اواهم- فيما رفض كثير من الدول العربية ذلك- الى جهادي مصر ابان ترأس العراق لجبهة الصمود و التحدي في مواجهة مصر بسبب توقيعها لاتفاقية صلح مع اسرائيل. بعد حرب الكويت اعاد صدام تلك الاتصالات الا ان ارتباط الجهاديين المصريين و بن لادن بالمخابرات السعودية و الخليجية و علاقاتهم الودية مع ايران نفرتهم من التعاون مع صدام بحجة كفره و كفر البعث على خلاف الانظمة الاخرى التي كانوا يتعاونون معها في الخليج و اليمن و السودان. فضلا عن ذلك سعى بن لادن الى جمع الجهاديين لقتال صدام ايامها بهدف تحرير الكويت انطلاقا من السعودية بموافقة و تحت راية الشيخ الكبير. كان نفور الجهاديين من صدام امتدادا لصراع قديم بين المال و الولاء السياسي اوجزه فيما يروى ندى بن نهير احد فرسان شمر اثناء صراع ابن سعود مع آل الرشيد الشمريين مبررا انضمامه الى

---

[١] ملحق ٣،" تقرير سري من بن باز مفتي السعودية لوزير الداخلية عن العلماء المعارضين".

[٢] مدرس حديث عمل بالتدريس بالسعودية، له تصنيفات كثيرة فاقت اعمال المستشرق بروكلمان، وشى به بعض زملاءه بانه مفتي جماعة جهيمان و ابعد لاحقا من وظيفته الجامعية السعودية الى الاردن. ظل لعقود بقيت من عمره ينفي التهمة و يهاجم "الجهيمانيين" و "التكفيريين" و "الخوارج" الا انه لم يعاد لوظيفته.

[٣] عبد المالك رمضاني، "مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية و الانفعالات الحماسية" ص ٣٧٥

ابن سعود قائلا " من هو الاصلح ابن سعود او ابن الرشيد ؟ابن سعود يدفع لنا في السنة خرجية قدرها ٤٠٠ جنيه ذهب اما ابن رشيد فيدفع ٤٠ جنيه ذهب في السنة، لا شك ان ابن سعود اصلح من سواه" . فلما دارت الايام صارت شمر مكونا رئيسيا لسنة العراق الحاكمين و على رأسهم صدام. و كما كان الحال ايام ابن سعود و الرشيد كان صدام مستنزفا بنفقات جيش مليوني و حروب ضخمة مع قوى عظمى كاميركا و اقليمية كايران و برنامج صناعات عسكرية و نووية و صاروخية ضخم فلم يكن عنده، مقارنة بورثة ابن سعود، من مليارات النقد السائل ما يوزعه على الحركات الجهادية مدمنة "الكاش" . كان جل ما يقدمه صدام المأوى و التدريب و جوازات السفر العراقية احيانا و لكن قيادات الحركات الجهادية ذات الفلسفة الجيمس بوندية مثل بن لادن و الظواهري و خطاب الشيشاني كانت لا تريد الاستقرار في مكان واحد و تفضل الملايين من النقد السائل في الحقائب يسهل الانتقال بها بين المطارات الاوروبية و توزيعها على بائعو الولاءات المؤقتة من قيادات الجبهات التي يزورونها لكي يحظوا عندهم بمكانة شرفية. في النهاية تغلبت اموال ابن سعود على اموال ورثة شمر للمرة الثانية في القرن العشرين و كان لسان حال امثال خطاب و ابن لادن و من شايعهما من سعوديين و مصريين و غيرهم يقول كما قال الفارس الشمري ايام الرشيد و ابن سعود " ٤٠٠ جنيه ذهب افضل من ٤٠ و خرجية ابن سعود خير و ابقى". لم يستثنى من نفور الاسلاميين من صدام الا بعض اعضاء جبهة الانقاذ الجزائرية الذين كونوا مجموعات من المتطوعين بقيادة علي

بلحـاج ذهبـت للعـراق عـن طريـق الاردن. دفعـت جبهـة الانقـاذ ثمـن تلـك الخطـوة همـزا و لمـزا في عقيـدتها[1] و منـهجها مـن شـيوخ الجبهـة الخليجيـة و مشـجعيهم مـن البنبازيـة و المدخليـة و العثيمينيـة و الجاميـة و الالبانية[2] الذين اتهموها بالانحراف العقائدي لرفضها الغزو النصراني للعراق.

باسـتثناء غـارة محـدودة داخـل الاراضـي السـعودية و هجمـات صـاروخية علـى القواعـد الاميركيـة و بعـض البنايـات الحكوميـة السـعودية في الريـاض و الظهـران و اطـلاق مجموعـة مـن صـواريخ سـكود علـى اسـرائيل لم يصـمد الجـيش العراقـي بغالبيتـه الرافضـية المتأهبـة للفـرار لضـربات الجـيش الاميركـي و بـدأ بالانسـحاب تحـت القصـف فيمـا كـان ايـة الله الخـوئي في النجـف و مراجـع الرافضـة ينفـذون خطـة الانتفاضـة المتفـق عليهـا مـع شـوارتزكوف قائـد الجـيش الاميركـي في الخلـيج. في وقـت واحـد تقريبـا انـتفض الأكـراد بالشـمال تحـت قيـادة مستشـاريهم الاسـرائيليين و الاميركـيين و الرافضـة في الجنـوب. بـدأ الرافضـة الـذين تركـوا خدمتـهم العسـكرية بضـرب المرافـق العامـة و الحكوميـة في مـدن الجنـوب و البصـرة كمـا سـيفعلون مـرة اخـرى في بغـداد بعـدها بثلاثـة عشـر عامـا عنـد دخـول الاميركـيين. كمـا قـاموا بقتـل كـثير مـن السـنة المقـيمين في الجنـوب بحجـة انهـم بعثيـون، و علـى خـلاف سـنة العـراق الـذين كـان لـدى الكـثير منـهم سـلاح شخصـي يـدافع بـه عـن نفسـه وجـد المصـريون السـنة العـاملون في الزراعـة و الحـرف البسـيطة في الجنـوب نفسـهم ضـحية لخنـاجر الـروافض. و الادهـى ان الاعـلام المصـري الحكـومي المنـدفع بغـل

---

[1] ضمت جبهة الانقاذ خليطا من العقائد غير السلفية و ان لم يكن هذا السبب الاول لغضب شيوخ الخليج منها.
[2] فرق عقائدية منحرفة تروج لمذهب الشيخ جاك فيلبي الكبير منتشرة في الجزيرة العربية و لها اتباع في في بلاد اخرى.

صليبي لدعم الحملة الاميركية كان ينقل اخبار القتلى العائدين من ضحايا انتفاضة الرافضة الممولة اميركيا على انهم قتلوا بالعراق بيد صدام مع ان شهود العيان المصريين بعيدا عن وسائل الاعلام نقلوا ان الجنود العراقيين في الكويت في خضم الحرب كانوا يعاملونهم بافضل مما تعاملهم به الشرطة المصرية في وقت السلم. و فيما كانت الشرطة المصرية تعتقل العشرات العائدين من العراق من على سلم الطائرة و تلفق لهم تهم التخابر مع العراق كي تجبر المصريين على الرحيل من بغداد، كان صدام يسبغ حمايته على المصريين الموجودين بمناطق سيطرته و يرفض اخذهم بجريرة حسني مبارك و جيشه.

على الصعيد العسكري لم يثبت تحت الحكم المركزي في تلك الفترة الا اربعة محافظات سنية تقريبا و هي الانبار و بغداد و صلاح الدين و ديالى و مدينة الموصل. استطاع ما بقي من الجيش العراقي التصدي للانتفاضة شمالا و جنوبا فبدأ ملايين الأكراد بالرحيل في اتجاه تركيا فيما لم يجد الروافض بالجنوب مكانا يلجأون له الا من نجح في التسلل لايران. تدخلت اميركا و اعلنت الجنوب و الشمال مناطق يحظر تحليق الطيران العراقي فيها لحماية الخوارج.

بعد الحرب بدأ صدام يوجه البعث اتجاها اكثر اسلامية و رسخت سيطرة السنة من ابناء المحافظات التي لم تنتفض عليه على الاجهزة الامنية و الحكم. على خلاف دول اخرى مثل مصر التي كانت سجونها تضم عشرات الالاف من السجناء الاسلاميين لم يكن بين صدام و الاقلية السلفية الصغيرة في

بـــلاده عـــداء كــبير خاصـــة و ان اقـــاربهم و افـــراد عشـــائرهم كـــانوا عمـــاد قـــوات حرســـه و اجهزتـــه الامنيـــة. و فيمـــا كانـــت الشـــرطة المصـــرية تنشـــر كتائـــب مـــن قـــوات مكافحـــة الارهـــاب حتـــى يســـتطيع الممثـــل عـــادل امـــام تقـــديم مســـرحياته الـــتي تســـتهزئ بالاســـلام في مـــدن الصـــعيد المنتفضـــة ضـــد الســـلطة كـــان صـــدام يتغاضـــى عـــن قيـــام اصـــولي مـــن الفلوجـــة بحـــرق دار الخيالـــة الوحيـــدة الـــتي اقيمـــت بمدينتـــهم ســـنة ١٩٩٦ و لم يقـــم باعتقـــال بقيـــة ابنـــاء المدينـــة و لا حاصـــرها لاشـــهر كمـــا تفعـــل الانظمـــة العلمانيـــة في بـــلاد عربيـــة اخـــرى عنـــد حـــدوث مثـــل تلـــك الاشـــتباكات، بـــل و لم يســـمح بترخـــيص ســـينما اخـــرى بالفلوجـــة حتـــى الغـــزو الاميركـــي و حـــول مكـــان الســـينما الى قاعـــة للاجتماعـــات و الاحتفـــالات الدينيـــة علـــى مـــا قيـــل كمـــا لم يســـمح بتراخـــيص لانديـــة فيـــديو او محـــلات بيـــع خمـــور بالفلوجـــة بنـــاء علـــى طلـــب مـــن الاهـــالي و المشـــايخ. كـــان مفجـــر الســـينما الشـــاب محمـــد الكبيســـي قـــد قـــام بالقـــاء قنابـــل علـــى محـــلات للخمـــور و مقـــر حـــزب البعـــث ثـــم رفـــض الاستســـلام بعـــد ان حوصـــر فقتلتـــه القـــوات المحاصـــرة . تعتـــبر تلـــك الواقعـــة العمليـــة الاســـلامية المســـلحة الوحيـــدة المعروفـــة في تـــاريخ العـــراق المعاصـــر باســـتثناء المنطقـــة الكرديـــة حيـــث كانـــت تجـــري نزاعات بين بعض الخلايا الاسلامية المحلية و بين الشيوعيين الشعوبيين الأكراد من الحزبين الحاكمين.

اعقـــب هزيمـــة صـــدام في الحـــرب و تفكـــك العـــراق و ظهـــور مـــا حـــاول قمعـــه مـــن تمـــرد للـــروافض و غيرهـــم فـــرض عقوبـــات اقتصـــادية علـــى الـــبلاد منعـــت التجـــارات عنـــها و تســـببت في عجـــز صـــناعاتها الناشـــئة. مـــن ناحيـــة اخـــرى بـــدأ النظـــام يعتمـــد اتجاهـــا اســـلاميا ســـنيا بـــدائيا تجلـــى فيمـــا اسمـــاه الحمـــلات الايمانيـــة في نهايـــة

التسعينات. و قد اشتكت المنظمات الحقوقية الغربية ان صدام يقوم بجملة اصولية تشمل اعدام العاهرات المحترفات فيما عرف بالحملات الايمانية التي يقودها ابنه عدي بناء مؤيدا بفتوى من مشايخ عراقيين. و في واقعة اخرى قيل ان صدام امر بالقاء ثلاثة من فدائيي صدام و هم نخبته و خاصة جنده من اعلى مبنى في مدينة البصرة عقابا لهم على جريمة اللواط، كما منع النظام بدءا من ١٩٩٤ تقديم الخمور في الاماكن العامة. و جاءت العلامة الفارقة عندما نشرت صحيفة الشباب التي يديرها عدي صدام حسين في اليوم التالي لتفجيرات نيويورك في صدرها صورا للابراج المتهاوية تحت عنوان "اولئك فتية الاسلام" مما كاد يعد اعترافا بارتكاب العملية فاضطر صدام لايقاف صدور الجريدة التي يصدرها ابنه ليوم. فضلا عن ذلك اقام حزب البعث في معاهده التدريسية دورات شرعية لافراده و قادته يكافأ مجتازوها كما قيل انه امر اعضاء الحزب بحضور الصلوات الخمس في المساجد . و على مايروي العراقيون فقد بدأت بعد حرب افغانستان تظهر منشورات تتحدث عن اخبار المجاهدين في العالم و تعلق في مساجد السنة فلا تغلق هذه المساجد و لا يعاقب معلقو النشرات. كما قيل ان صدام حاضر قيادات جيشه في بداية القصف الاميركي لافغانستان داعيا اياهم الى الاقتداء بصمود مجموعة المتطوعين العرب المصابين الذين حوصروا لاسابيع في احد مستشفيات قندهار بعد سقوط طالبان و لم يستسلموا حتى قتلتهم القوات الاميركية المحاصرة.

ادركت اميركا ما قد يحدث اذا توجهت امكانات العراق وجهة اسلامية جهادية فبدأت تلمح لشعبها و الرأي العام العالمي باحاديث عن روابط وهمية بين القاعدة و صدام كي يفهموا بالاشارة الحاجة لوأد تلك الظاهرة قبل ان تستفحل. بالنسبة لصدام لم تجدي اي محاولات للتواصل مع القاعدة لان بن لادن اختار اموال المتبرعين السعوديين و الخليجيين فوق اي مأوى او دعم يقدمه صدام و هو نفس اختيار خطاب عندما خير بين قناة الجزيرة و دعم الامراء السعوديين. في هذا الوقت كان ابو مصعب الزرقاوي قد استقر بعد فراره من افغانستان مع نفر من اخوانه في قرى تابعة لانصار الاسلام في جبل حلبجة مع زميله رائد خريسات (ابو عبد الرحمن الشامي) الذي سبقه للسليمانية و انضوى في جماعة جند الاسلام (نواة جماعة انصار الاسلام) بقيادة ابو عبيد الله الشافعي الكردي حيث كانوا يشتبكون احيانا مع قوات الحزب الوطني الكردستاني الشعوبي الشيوعي التابع لطالباني. كان طالباني الذي ستعينه اميركا رئيسا للعراق بعد الاحتلال شديد العداء للاسلام حتى ان الاسلاميون الأكراد نقلوا عنه مقولة تلفظ بها في احد المحافل العامة مفادها انه ود لو تمكن من الحكم ليجمع المصاحف و يضعها على الجمال و يعيدها الى جزيرة العرب. بقي انصار الاسلام و اصحاب ابو مصعب في تلك المنطقة الى بداية الغزو الاميركي حين اجتمعت عليهم الضربات الجوية الاميركية و هجمات حزب طالباني البرية فقتل منهم فئة و اسرت فئة و انضمت فئة الى جماعة على باير الاسلامية المتهادنة مع طالباني و فرت خلايا بضمنها ابو مصعب الزرقاوي الى وسط العراق.

ظلت الولايات المتحدة متوجسة من العراق بصفته اكبر قوة عسكرية اسلامية خارجة عن السيطرة الاميركية حتى اعطتها هجمات بن لادن في سبتمبر ذريعة لغزو العراق بتهمة انه يدعم القاعدة ضمن تهم اخرى مكذوبة. في ٢٠٠٣ اجتاح الجيش الاميركي العراق في ما يقرب من ثلاثة اسابيع. مهدت اميركا للغزو عن طريق دفع فرق تفتيش تابعة للامم المتحدة كي تتاكد من عدم وجود صواريخ متوسطة المدى او اسلحة كيماوية قد تحبط خطة الغزو لو استهدفت القوات الاميركية المتجمعة في الكويت في طريقها للعراق. وصل الحال بصدام ان سمح لهم بتفتيش ثلاجات اطعمة القصور الرئاسية في سعيه لاثبات براءته و طمعا في رفع العقوبات المفروضة على العراق او حتى دفع شبح الغزو عنه. في البداية بايع شيوخ العشائر الرافضية صدام على الصمود و اقسموا بشئ يسمونه خرقة العباس على الاخلاص ثم اخلوا الطريق للقوات الغازية، اما مراجعهم فقد همهموا بتأييد فاتر ثم اصدر كبيرهم السيستاني فتوى بعدم قتال الاميركان كما فعل الخوئي في حرب الخليج و الكاظمي عند دخول البريطانيين في الحرب العالمية الاولى و ابن العلقمي ايام التتار. كان صدام قد استنفر الامة و فتح الباب للمتطوعين من كل مكان و نادى بالجهاد و امر المساجد بالتكبير ليل نهار الا ان اللطمات اتته من كل مكان و صارت الصواريخ تطلق من السفن الراسية بالبحر الاحمر فتمر بالسعودية و تسقط عليه و الدبابات و الطائرات تنطلق من السعودية و الكويت قاعدة الغزو الرئيسية و قطر التي صارت مقر قيادة المنطقة المركزية للجيش الاميركي لتدك بغداد و سلاح الجو الاميركي يتمون من قواعده بتركيا و يطلق صواريخه من جنوبها و سفنه المرابطة بشواطئها، حتى ايران التي مل العالم سماع تهديداتها و

لعناتهـا للشـيطان الأكـبر اميركـا كانـت تنقـذ الطيـارين الاميركـان الـذين تسـقط طـائراتهم اثنـاء قصـفهم للعـراق و تعيـدهم معـززين مكـرمين ليعـاودوا القصـف كمـا فعلـت مـن قبـل في افغانسـتان و خرجـت مـن ارضـها ميليشـيات فيلـق بـدر و المجلـس الاعلـى للثـورة الاسـلامية الرافضـي للعمـل الى جانـب القـوات الاميركية.

اعلـن صـدام تكـوين مجموعـات مـن الانتحـاريين. تـردد كـثير مـن الاسـلاميين في الحضـور تعلـلا "بـالامن و الجهـادي" و "الرايـة" و هـي مبـادئ جهاديـة معتـبرة و لكـن المتطـوعين قلمـا كـانوا يحفلـون بهـا عنـدما كـان بعضـهم يعمـل مـع الشـيخ الكـبير. فيمـا اسـتبق صـدام مخـاوفهم و اعلـن كمـا اعلـن نائبـه طـه ياسـين رمضـان ان مـن شـاء ان يقاتـل فليقاتـل تحـت اي لـواء يـراه و انـه يعتـبر نفسـه مجاهـدا كالبـاقين تشـبها بالروايـة الشـائعة في الادبيـات الجهاديـة عـن السـلطان الـب ارسـلان السـلجوقي الـذي تكفـن للقـاء ملـك الـروم في موقعـة مـلاذ كـرد و قـال "اليـوم مـا هاهنـا سـلطان يـأمر انمـا انـا واحـد مـنكم" ثـم اقـتحم و هـو في قلـة فهـزم الـروم و اسـر ملكهـم. سمحـت بعـض الـبلاد كمصـر للمتطـوعين بتسـجيل اسمـاء الـراغبين في السـفر ثـم جمعـت القـوائم و اعتقلـت المـوقعين عليهـا و عذبتـهم بمقـار ادارة مكافحـة النشـاط المتطـرف و الارهـاب الـدولي. اسـتجاب لنـداء صـدام شـباب مـن خـارج الـدوائر الاصـولية المعتـادة و جماعاتهـا اكثـرهم مـن سـوريا لقربهـا مـن العـراق و تم تسـليحهم و الحـاقهم بوحـدات الجـيش فـور وصـولهم حيـث صـمدوا في معـارك الـدفاع عـن ام قصـر و البصـرة في موقـع الجامعـة و صـمد اخـرون بـالكوت الى ان انقلـب علـيهم الجنـود الرافضـة و قتلـوا

منـهم الكـثير. كـان ابـو مصـعب و مجموعتـه مـا زالـوا لم ينخرطـوا في قتـال و ان كـانوا انتقلـوا مـن حلبجـة الى الوسـط بعـد ان قصـف الطـيران الاميركـي المنطقـة الـتي هاجمهـا طالبـاني لاحقـا و اسـتولى عليهـا . وزع صـدام الاسـلحة الفرديـة و انشـأ مخـازن للعتـاد و الـذخيرة في المنـاطق السـنية الـتي لم تنـتفض ضـده اثنـاء حـرب الخلـيج. كـان لصـدام بـاع في وضـع الخطـط الاحتياطيـة منـذ ايـام انقلابـات البعـث عنـدما كـان يـتم اقصـاء قيـادات الحـزب و يوضـعون في السـجون، تم ايامهـا تفعيـل خطـة سميـت في سـجلات البعـث بخطـة "حـنين" -علـى اسـم الموقعـة المشـهورة عنـدما كـاد المسـلمون ان ينـهزموا في العصـر النبـوي- يـتم فيهـا تخـزين بعـض الاحتياطـات الماديـة تحسـبا لأي هزيمـة او انقـلاب. لم يكـن ممكنـا اعتبـار صـدام سـلفيا حتـى هـذه المرحلـة بـرغم ارتيـاده المسـاجد و اعتبـاره نفسـه مجاهـدا و تقربـه مـن العلمـاء علنـا فضـلا عـن ارسـاله نائبـه طـه ياسـين للقـاء المتطـوعين و سـؤالهم عـن احتياجـاتهم و تشـجيعه علـى الاستشـهاد، فقـد اختـار عـن جهـل منـه الـذهاب لمسـجد بشـر الحـافي، احـد ائمـة اهـل السـنة -الـذي يحتـوي علـى مرقـده- للصـلاة يـوم سـقوط بغـداد . و مـع ذلـك فقـد اختـار الجهـاديين حتـى هـذه المرحلـة النـأي عنـه بـل و دأب بعـض الجهـاديين بمـن فـيهم ابـو مصـعب الزرقـاوي علـى توشـيح خطابـاتهم بسـب صـدام و البعـث بسـبب و بـدون سـبب للحفـاظ علـى مـرور تبرعـات الخلـيج عـبر ايـدي خلفـاء الشـيخ الكـبير حتـى بعـد سـقوط صـدام و مقتله.

في بغداد فتح الرافضة الطريق عبر مدينة صدام التي صارت مدينة الصدر للدبابات الاميركية على خلاف المناطق السنية الغربية بابو غريب و المطار و العامرية حيث فنى الكثير من جنود الحرس الجمهوري و المتطوعين العرب و هم يحاولون منع التقدم من تلك الجهة الى ان غلبوا و معهم صدام الذي قيل انه حمل قاذفة صواريخ و حاول التصدي للدبابات الاميركية. بقي بعض المتطوعين العرب ينصبون اكمنة ببغداد في نفق الشرطة[1] و الاعظمية و ظلت خلايا منهم تقاتل و تنظم نقاط التفتيش و السيطرة في بغداد بعد سقوطها لايام بينما فر بعضهم الى خارج البلاد بمساعدة السنة العراقيين بعدما انقلب عليهم الرافضة و صاروا يذبحونهم و يسلمونهم للاميركيين و يسحبون جرحاهم من المستشفيات ببغداد و يسكبون عليهم الوقود و يحرقونهم احياء. بعد سقوط العاصمة انثال رافضة مدينة الصدر ينهبون بغداد حتى نهبوا ابسطة المصالح الحكومية و بعثروا السجلات الرسمية و اعتدوا على السنة و مساجدهم في طريقهم. لم يصمد الشمال و الغرب بعد سقوط بغداد و تم تسليم تلك المناطق تحت تأثير القصف الجوي و قبل وصول القوة الرئيسية الاميركية. اندفع الأكراد في الشمال للاستيلاء على الموصل فتم دحرهم ثم حاولوا ثانية بدعم اميركي و تم التوصل لحل وسط و تمركزوا في اجزاء من المدينة التي لم يدر بخلدهم يوما دخولها لكون كثير من ضباط الجيش العراقي من ابنائها . و في موقع اخر حاولت البشمركة الكردية اقتحام تكريت التي لم تكن اصلا من مناطقهم ليعاقبوا اهلها على انتماء صدام و قيادات حكمه اليهم فيما يشبه الدور الذي لعبته قوات تحالف

---

[1] روي ايضا ان صدام اطلق بنفسه قذائف على دبابات اميركية في نفق الشرطة و في اشتباكات جرت بحي المنصور عقب سقوط بغداد.

الشــمال في افغانســتان عقــب ســقوط كابــل عنــدما انــدفعت كمشــاة للقــوات الاميركيــة تــبطش بالبشــتون و ســكان المنــاطق المتعاطفــة مــع طالبــان، الا ان اهــل تكريــت ردوا الأكــراد لحــين وصــول الجــيش الاميركــي و سيطرته على الوضع.

دخلــت العــراق بتصــريح اميركــي مجموعــات مــن فيلــق بــدر الرافضــي و حــزب الــدعوة الرافضــي قادمــة مــن ايــران. ســارع هــؤلاء بتكــوين فــرق لقتــل اعيــان الســنة بحجــة انهــم صــداميون بعثيــون ثــم امتــد الامــر للاجــئين الفلســطينيين الــذين ذبــح بعضــهم و تم طــرد البــاقين مــن ديــارهم كمــا تم ذبــح بعــض العمــال البســطاء مــن المصــريين و غيرهــم و ثــم شــرعوا في احــتلال مســاجد الســنة و طــردهم مــن الجنــوب. علــى صــعيد اخــر بــدأ ائمــة مســاجد غــرب بغــداد و الفلوجــة و ابــو غريــب و الرمــادي اســتنفار الاهــالي للجهــاد فخرجــوا في مظــاهرات حاشــدة بالفلوجــة ردت عليهــا القــوات الاميركيــة بــاطلاق النــار فاشــتعل الوضــع و انــتفض الاهــالي ليطــردوا الجــيش الاميركــي خــارج المدينــة فانســحب الاميركيــون تحســبا لانتفاضــة تشــغل قــواتهم فيما لم تكمل تلك القوات سيطرتها التامة على مراكز العراق الحضرية الكبرى.

اقامــت القــوات الاميركيــة مجلــس حكــم مؤقــت غلــب عليــه الــروافض و الأكــراد و انضــم اليــه تنظــيم الاخــوان المســلمون المحلــي. كمــا بــدأت بعــدما دعــت الحاجــة لجــيش محلــي يقاتــل المجاهــدين بانشــاء جــيش مــن المشــاة بــلا طــيران و بــلا ســلاح ثقيــل حــديث ليــؤدي الغــرض المطلــوب منــه فحســب كقــوة امــن داخلــي. كانــت الشــرطة العراقيــة مــن اول الفئــات انضــماما الى الاميركــيين الى جانــب الميليشــيات الوافــدة مــن ايــران، و

كعادة اجهزة الشرطة العربية في عمق ولائها لولاة الامور بدأت الوحدات المنضمة للاميركيين في اول اسبوع بمطاردة قادة العراق السابقين بما في ذلك القبض على وزير الداخلية العراقي السابق نفسه.

لم يشترك ابو مصعب في مناوشات المرحلة الاولية و بدأت مجموعته تظهر بعد اربعة اشهر بعمليتين انتحاريتين احدهما ضد مبنى الامم المتحدة و الاخرى ضد السفارة الاردنية. كما نفذت عمليات ضد اي اهداف يمكن الوصول اليها بغض النظر عن قيمتها و من ذلك ضرب فندق اسمه لبنان بتفجير انتحاري ثم تلى التفجير بيان للجماعة يوضح انه مركز المخابرات الاميركية ببغداد .كان هذا قولا ظاهر الكذب لان اقل الجنود الاميركيين شأنا في حامية بغداد المركزية يتم تسكينه في المنطقة الخضراء، فضلا عن ان تترك قيادات المخابرات المركزية التي تعد الادارة الاميركية الواحد منهم بمئات الجنود في فندق مغمور خارج المنطقة الخضراء المحصنة. و سيستخدم الزرقاوي حجة المخابرات الاميركية لاحقا لارسال امرأة عراقية لتفجير فندق بعمان اثناء احد الاعراس بحجة ان الفندق مقر المخابرات الاميركية و الاسرائيلية في حادث يذكر بقيام بعض الجزائريين بقتل مجموعة من السائحين الاسبان في المغرب بحجة انهم مخابرات مما ادى بالمغرب لاغلاق حدودها[١] مع الجزائر منذ ١٩٩٤ حتى الان و قطع خطوط امدادهم. و مما يثير العجب ان الاسلاميين الجهاديين الذين لا يستطيع كثير

---

[١] كانت الحكومات المغربية على مر تاريخها متوجسة من التيارات الاسلامية القادمة اليها من المشرق و اقتنصت الفرصة لقطع العلاقات مع الشعب الجزائري الذي تعتبره شعبا مشاغبا منفلتا عن السيطرة بخلاف المواطنين المغاربة المستكينين. كما كانت الاوامر الاوروبية بقطع الطريق على تسلل اي خلايا مسلحة عبر الارضي المغربية الى الاتحاد الاوروبي عاملا اساسيا في اتخاذ القرار.

منهم التفرقة بين عريف و كولونيل في احد الجيوش الغربية يستطيعون من اول نظرة تمييز ضباط اجهزة المخابرات الذين يجهل ابناءهم احيانا طبيعة عملهم.

تلى عمليات الزرقاوي الاولى تفجيرات انتحارية ضد مراقد الروافض و رموزهم في بداية ٢٠٠٤ و قد سارعت القاعدة باعلان براءتها من تلك التفجيرات التي اسفرت عن قتل و جرح الالاف. على ما يبدو فقد واجه ابو مصعب، الذي كان يعمل وقتذاك تحت اسم جماعة التوحيد و الجهاد و هو اسم يرجع لمرحلة ارتباط الزرقاوي و المقدسي، مشاكل تتعلق ببسط نفوذ مجموعته و رأى ان الحل يكمن في جلب المزيد من المال ليمكن شراء هذا النفوذ. اعتبر ابو مصعب ان التبرعات الواردة له لا تكفي لتحقيق غاياته فكان السبيل هو الاتصال بالقاعدة حيث كان بن لادن بمثابة الوكيل الوحيد للتبرعات ذات المصدر السعودي المخصصة للجهاد. و فيما كان الزرقاوي مجهولا للمتبرعين بالمملكة و تثار شائعات حول تأثره بالمقدسي "التكفيري"[١] كان تيار بن لادن و فكره و اسلوبه معروفا و مفهوما لهم. كان بن لادن يمثل ما يعرف اعلاميا "بالمقاومة الشريفة"[٢] اذا ما قورن بالزرقاوي الذي امضى وقتا طويلا مع المقدسي و العجمي و ابو قتادة و ابو الوليد الفلسطينيين ائمة التيار المعروف اعلاميا "بالارهاب التكفيري المتطرف."

---

[١] بحسب المصطلح المباحثي الدارج.

[٢] المقاومة الشريفة: مصطلح دارج في الاعلام الامني العربي يقصد به الجماعات التي تقصر هجماتها على القوات الاجنبية المحتلة مقارنة بتلك التي تستهدف العملاء المحليين و المتعاونين.

كانت تزكية القاعدة للزرقاوي تعني وصول المال الذي يحتاجه و المتطوعون الخليجيون الذين سيقوم بتفجيرهم. عدا ذلك فقد امضى الزرقاوي سنوات في افغانستان بعيدا عن القاعدة مفضلا الالتزام بمنهجه النابع من تجربته و فكره المشابه لفكر ابو محمد المقدسي باستثناء تلقي بعض الدعم المالي لمعسكره المستقل بهراة من اسامة بن لادن في الاشهر الاخيرة من حكم طالبان. استغرقت المفاوضات ما يقرب من ثمانية اشهر تمحور جزء كبير من الخلاف فيها على اصرار الزرقاوي على ضرب الروافض "ابتداءا" و هو ما لم يكن الظواهري ذو التاريخ القديم معهم ليقبله و لم يكن بن لادن الذي تحتجز ايران ابنه ليقبله. كان رأي الظواهري عندما سأل في احدى اللقاءات عن سبل وقف القتال بين السنة و الشيعة ان الشيعة بدأوا بالعدوان و لولا العدوان الشيعي لاختلفت الامور، و قال انهم اذا اوقفوا تحالفهم مع الاميركيين فعندئذ يمكن التفاوض لوقف القتال. اما بن لادن فذكر ان الزرقاوي"كانت لديه تعليمات واضحة؛ بأن يركز قتاله على الغزاة المحتلين وعلى رأسهم الأمريكيين، وأن يُحَيد كل من رَغِبَ في الحياد، وأما من أبى إلا أن يقف يقاتل في خندق الصليبيين ضد المسلمين، فليقتله."[1]

شهدت الفترة السابقة على انضمام الزرقاوي للقاعدة تسارعا في العمليات و خسائر الاميركيين و الرافضة و انتشارا للفكر الجهادي في العراق و خاصة في مناطق الوسط و برز اسم الزرقاوي عالميا

[1] من خطبة "رثاء شهيد الامة و امير الاستشهاديين (ابي مصعب الزرقاوي)"، صالح الهامي أبوقدامة الاردني "فرسان الفريضة الغائبة، الزرقاوي و الجهاد الافغاني" الجزء الاول ص٤٤٢.

كـاكبر قائـد اسـلامي يتصـدى للجـيش الاميركـي حتـى كـاد يغطـي علـى اسـم بـن لادن مما كـان دافعـا للقبـول بقيادتـه لفـرع العـراق علـى مضـض مـع ان المعلـوم ان قيـادة القاعـدة لا تتنـازل عـن شـبر مـن حـق القيـادة طوعا .

تقـول الروايـة التاريخيـة ان الطاغيـة الشـيوعي السـوفييتي يوسـف سـتالين الـذي قتـل ملايـين الـروس و المسـلمين و الالمـان اثنـاء زحفـه علـى بـرلين رفـض مبادلـة ابنـه المـلازم في الجـيش الروسـي المأسـور لـدى الالمـان بالفيلـد ماريشـال فـون بـاولوس قائـد الجـيش الالمـاني المهـزوم بسـتالينجراد قـائلا "انـا لا نبـادل ماريشـالا بمـلازم" حتـى مـات ابنـه في الاسـر . امـا بـن لادن الـذي دفـع مئـات مـن ابنـاء المسـلمين الى تنفيـذ تفجـيرات انتحاريـة عبثيـة لم ينـتج قتيـل واحـد عـن كـثير منـها فقـد كـان مسـتعدا لتغـيير التـاريخ الاسـلامي و التغاضـي عـن ضـحايا الـروافض و ايـران في العـراق لانقـاذ ولـد نكـرة لـه مـن عشـرين ولـدا مـن اقامـة جبريـة مرفهـة بـايران و ان تطلـب الامـر ضـمنا تخطيـا كبـار علمـاء الاسـلام و منـهم ابـن تيميـة الـذي كـان يحـث سـلاطين المماليـك علـى قتـال الـروافض. في خريـف ٢٠٠٤ ابـرم الحلـف و غـير الزرقـاوي اسـم مجموعتـه الى القاعدة في بلاد الرافدين.

لم تكـن حادثـة سـتالين فريـدة فقـد تـداولت الصـحف ابـان حملـة انتخابـات الرئاسـة الاميركيـة لعـام ٢٠٠٤ خـبر المرشـح الجمهـوري جـون مـاكين الـذي كـان في شـبابه نقيبـا طيـارا اميركيـا يقصـف هـانوي عاصـمة فيتنـام الشـمالية و سـقطت بـه طائرتـه وسـط شـوارع العاصـمة بعـد غـارة قصـف فيهـا بطائرتـه اهـدافا

وسط المدينة فسحله الفيتناميون الغاضبون في الشوارع. و بالتحقيق معه تبين ان اباه الادميرال قائد اسطول المحيط الهادي الذي يقصف السواحل الفيتنامية. و تقول الرواية ان الفيتناميين عرضوا عليه بعد تعذيب شديد اصابه بما يشبه الشلل في ذراعيه ان يطلب من ابيه على التلفاز ان يوقف القصف نظير اطلاق سراحه فرفض. فعرضوا عليه ان يدلي ببيان علني يدين فيه الغزو الاميركي فيطلقوا سراحه فابى الا ان يطلقوا معه زملاءه من الجنود من اصغر الرتب. و ظل في سجنه لسنوات يتجرع سوء المعاملة حتى افرج عنه مع انتهاء الحرب. و مرت الايام ليكاد ذلك النقيب ان يحكم الامبراطورية التي سحقت جيش بن لادن و اذلته و رآه الناس ايام استجواب دونالد رمسفيلد وزير الدفاع الاميركي ابان فضيحة سجن ابو غريب يجلس على منصة عالية فوق قائد اكبر جيوش العالم الذي استحيى نساء و رجال المسلمين و ذبح ابناءهم و ينهره مهددا اياه ان لم ينطق بالصدق فيما يخص علمه بسلوك جنوده في السجن.

اما التاريخ الاسلامي فيحفظ قصة ابا الحسن الفرياني صاحب صفاقس لما تغلب النصارى على المهدية وملكها جرجي بن ميخايل قائد جيش رجار صاحب صقلية سنة ثلاث وأربعين ثم تغلبوا بعدها على صفاقس وأبقوا أهلها واستعملوا عمر بن أبي الحسن الفرياني لمكانه فيهم وكان ذلك مذهب رجار وديدنه فيما ملك من سواحل إفريقية يبقيهم ويستعمل عليهم منهم ويذهب إلى العدل فيهم. وحملوا أباه أبا الحسن و كان شيخا معهم إلى صقلية رهناً فقال لابنه- وهو يغادر تونس الى الاسر- انه قد تصدق بنفسه على المسلمين ، واوصاه ان يثور بالنورمان متى استطاع ، وان يحتسبه

شـهيدا عنـد ربـه الكـريم فبقـي عمـر بـن أبـي الحسـن عـاملاً لهـم في أهـل بلـده وأبـوه عنـدهم ثـم أن النصـارى السـاكنين بصـفاقس امتـدت أيـديهم إلى المسـلمين ولحقـوهم بالضـرر . وبلـغ الخـبر أبـا الحسـن وهـو بمكانـه مـن صـقلية فكتـب إلى ابنـه عمـر وأمـره بانتـهاز الفرصـة فـيهم والاستسـلام إلى الله في حـق المسـلمين و لـو كـان فيـه مقتلـه فثـار بهـم عمـر لوقتـه سـنة إحـدى وخمسـين وقتلـهم. وعنـدما ارسـل الملـك النورمـاني موفـدا الى الاميرالثـائر ليـذكره بانـه سـيعدم ابـاه الاسـير اذا لم يستسـلم ، شـاهد هـذا الموفـد لـدى وصـوله الى تـونس وهـو مـا يـزال في عـرض البحـر ، الامـير عمـر ورجـال دولتـه و اهـل البلـدة يقيمـون صـلاة الغائـب علـى شـيخهم الاسـير ، ويقيمـون لـه قـبرا علـى ارض تـونس ، وهـو مـا يـزال بعـد حيـا لـدى آسـريه ، ثـم ارسـل الامـير عمـر الى الموفـد النورمـاني رسـالة بانـه لا يسـتطيع اسـتقباله لانـه مشـغول باخـذ العـزاء لابـاه ، وفهـم الموفـد الرسـالة ، وعـاد خائبـا الى الملـك النورمـاني الـذي استشـاط غضـبا وامـر باعـدام الشـيخ ابـي الحسن في مدينة باليرمو وانتقضت عليهم بسبب ذلك سائر سواحل افريقية.[١]

مـن ناحيـة اخـرى بـدأ بعـض العـرب يتوافـدون للقتـال و كـان منـدوبو الزرقـاوي يسـتقبلونهم و يخيرونهـم بـين الانخـراط في عمليـات انتحاريـة او القتـال، الا انهـم في مرحلـة تاليـة بـدأوا يخـيرون الوافـدين بـين الاشـتراك في عمليـات انتحاريـة او العـودة ممـا نفـر كـثيرا مـن الوافـدين و اثـار ريبتـهم. فيمـا كانـت بعـض العمليـات الانتحاريـة تسـفر عـن بعـض القتلـى الا انـه مـن المحقـق احصـائيا ان الأكثـر مـن الـف انتحـاري الـذين تبـاهى

---

[١] تاريخ بن خلدون،"الخبر عن ثورة رافع بن مكن بن مطروح بطرابلس والفرياني بصفاقس"، الجزء الثالث ص١٨٨.

الظواهري بتفجيرهم في العراق لم يتسببوا في اي نكاية تذكر بالاميركيين و بالتاكيد لم ينتج عن عملياتهم الف قتيل اميركي. و المعروف ان اكثر من ثلثي قتلى الاميركيين يسقطون بسبب العبوات الناسفة البدائية التي توضع بجانب الطريق باجماع خبراء الجيش الاميركي الذي تنفق اجهزة ابحاثه عشرات الملايين من الدولارات لاختراع طرق لتعطيلها .

لم ينته المنحدر الذي انزلق اليه الزرقاوي بالانضمام للقاعدة التي ظل يتجنبها لأكثر من خمسة عشر سنة منذ ايام افغانستان فقد بدأ منهجه فيما يخص الرافضة يتغير بعد اتحاده مع القاعدة بل و دعا مقتدى الصدر قائد جيش المهدي الشهير بمذابحه ضد السنة للتحالف فرد عليه مقتدى بسباب فاحش. من ناحية اخرى بدأ تدخل قيادة القاعدة في افغانستان في شؤون التنظيم المحلي بالعراق يؤدي الى اتخاذه لمواقف ودية تجاه ايران من قبيل حادثة قيام ابو مصعب باطلاق سراح القنصل الايراني المختطف بزعم تعهد ايران بالتوقف عن التدخل في العراق[1] بعد ان احتلت بالفعل نصف البلاد من البصرة حتى بغداد بواسطة ميليشياتها او بعد خراب البصرة كما يقال و كان الامر في الواقع مراعاة لخاطر بن لادن و الحصول على معاملة حسنة لسجين واحد يخصه و ريالات التبرعات مع انه لم

---

[1] بل وبالغ بعض مفكرو القاعدة الاستراتيجيين الاكابر المدافعين عن سلوك ابي مصعب بالقول بان اطلاق سراح القنصل كان لتفادي فتح جبهة اضافية مع ايران مع انهم لم يكونوا بهذا الحذر عندما فتحوا جبهة مع اميركا و هي اقوى من ايران بآلاف المرات، و كان الاولى بهم تقليد الملا عبد السلام ضعيف سفير طالبان في باكستان عندما اخبروه اثناء مؤتمر صحفي عقده بانضمام استراليا الى التحالف الاميركي الضخم لقتال طالبان فقال "و لم؟ اليس في اميركا الكفاية؟" كما لو كان انضمام ايران او استراليا الى اميركا و معها نصف دول العالم سيفتح جبهة اخرى فكانوا كمن قيل في ذمهم انهم يبلعون الجمل و يغصون بالبعوضة. و تقول الرواية ان القنصل وقع في يد جماعة الجيش الاسلامي القومية القطرية التوجه فلما لم تجد ما تقوله لعدم علمها بوجود سنة مضطهدين في ايران او سجناء اسلاميين (او عدم مبالاتها اصلا) طلبت في وسائل الاعلام اطلاق سراح افراد الجيش العراقي الاسرى في ايران منذ الحرب العراقية، فلما اعلنت ايران انها اطلقتهم جميعا منذ مدة لم تدري الجماعة ما تصنع بالاسير و اهدته لابي مصعب الذي لم يكن له من حيث المبدأ حق في احتجازه بعد ان لبييت طلبات خاطفيه. عدا ذلك لم تكن ايران يوما هدفا رئيسا على قائمة القاعدة و في الاغلب انه لولا اعتداءات روافض العراق على السنة و شيوع الامر و تساؤل البعض عن سبب صمت القاعدة لسكتت القاعدة عن ايران و تسللها في السودان و لبنان و بلاد اخرى.

يراعـــي ســـجناء الافغـــان العـــرب في مصـــر و هـــم بالمئـــات عنـــدما قتـــل الســـفير المصـــري.و لم تكتفـــي القاعـــدة بالتذبـــذب في التعامـــل مـــع ايـــران في العـــراق و حســـب بـــل و يـــذكر انـــه بعـــد تلـــك الوقـــائع بســـنوات في ٢٠٠٩ نشـــر في وســـائل الاعـــلام الجهاديـــة بيانـــا لشـــخص يـــدعى "الشـــيخ عطيـــة الله الليـــبي" يوصـــف بانـــه ضـــابط ارتبـــاط القاعـــدة بـــين العـــراق و افغانســـتان (عـــبر ايـــران طبعـــا) ســـئل فيـــه عـــن العمليـــات الـــتي تقـــوم بهـــا جماعـــة جنـــد الله الســـنية[١] في بلوشســـتان ضـــد النظـــام الايرانـــي فاجـــاب ان "دخولهـــا في مواجهـــة وحـــرب معلنـــة مـــع النظـــام الإيرانـــي الآن يعتبَـــرُ مبكـــراً، ويحتـــاجون فيـــه إلى أن يكونـــوا منســـجمين مـــع ســـائر إخـــوانهم في الحركـــة الجهادية العالمية[٢] ، فإن لم يكن كذلك، فهو خطأ." [٣]

قبـــل مقتـــل الزرقـــاوي بســـنة تقريبـــا افـــرج عـــن شـــيخ ابـــو مصـــعب العقائـــدي و زميـــل ســـجنه ابـــو محمـــد المقدســـي مـــن ســـجنه الاردنـــي. ارســـل ابـــو محمـــد عقـــب خروجـــه رســـالة تضـــمنت تقييمـــا لمســـار الزرقـــاوي و عتابـــا لافراطـــه في العمليـــات الانتحاريـــة و لومـــا مبطنـــا علـــى انضـــمامه للقاعـــدة الـــتي امضـــيا ســـويا ســـنوات ينتقـــدانها و ينـــأون عنـــها[٤]و اتهمـــه بانـــه يتجنـــب تـــدريس كتبـــه ارضـــاء لـــبن لادن الـــذي يخشـــى مـــن تـــاثير ربـــط منـــاهج القاعـــدة بالمقدســـي المعـــروف عنـــه تكفـــيره للنظـــام الســـعودي و نقـــده لعلمـــاء المملكـــة الـــرسميين علـــى ســـيولة التبرعـــات الماليـــة مـــن داخـــل المملكـــة .فضـــلا عـــن ذلـــك انتقـــد المقدســـي اســـتهداف الزرقـــاوي لعمـــوم

---

[١] بعـد ان اتهمـت اميركـا الحركـة بالارهـاب غيـرت اسـمها الـى حركـة المقاومـة الشـعبية البلوشـية او الايرانيـة ثـم تـم تسـليم قائـدها العسكري الى ايران سنة ٢٠١٠ في صفقة اميركية ايرانية عبر الامارات.

[٢] اي ان يسلموا القيادة لبن لادن ليأمرهم بوقف العمليات ضد ايران-المؤلف.

[٣] د/اكرم حجازي،"نقاط على حروف المشهد الجهادي العالمي"،مركز المقريزي للدراسات التاريخية.

[٤] عـرف عـن ابـي مصـعب فـي سـنوات مـا قبـل العـراق فـي المرحلـة الاولـى قبـل سـجنه بـالاردن تـاثره بشخصـيات اكثـر تركيـزا علـى النقـاء العقائـدي فـي العمـل الجهـادي و اكثـر انتقـادا لـبعض سـلبياته (مقارنـة بتيـار بـن لادن) مثـل ابـو محمد المقدسـي و ابـو الوليـد الفلسطيني و ابو احمد محمد العجمي المصري.

الشيعة و تكفيرهم. رد عليه ابو مصعب ردا خشنا انكر فيه مساواة عوام الروافض بعوام اهل السنة في الاسلام و انكر ان يكون قد تحدث مع بن لادن فيما يخص تدريس كتب ابو محمد المقدسي في معسكرات القاعدة و قال فيه ان لديه مسؤولا شرعيا[١] غيره يفتيه بما يفعله ثم انقطع السجال بفعل اعتقال السلطات الاردنية لابو محمد في اليوم التالي. و حسب رواية ابو مصعب فقد كان يرى راي ابو محمد المقدسي بتحريم العمليات الانتحارية في التسعينيات الا انه غير رايه في آخر ايامه بافغانستان طالبان بعد ان التقى بشخص يدعى ابو عبد الله المهاجر اقنعه بجواز ما اسماه الانتحار في سبيل الله على طريقة روافض لبنان و التنظيمات الفلسطينية المتعاونة معهم.

استفزت تصريحات المقدسي المنطلقة من الاردن في ٢٠٠٥/٧ الزرقاوي بشدة فرد عليها بهجمة صاروخية نسبت اليه على ميناء العقبة في ٢٠٠٥/٨ و اتبعها بهجمات انتحارية على فنادق في عمان بتاريخ ٢٠٠٥/١١ و قال انها تستهدف فنادق تستخدمها المخابرات الغربية.

اصدر ابو مصعب بيانات كاذبة ادعى فيها ان اكثر من خمسة عشر الف جندي اميركي قتلوا و دفنهم الجيش الاميركي في قبور جماعية بصحراء العراق مما دعا رمسفيلد قائد الجيش الاميركي المشهور باكاذيبه الاعلامية و انعدام مصداقيته لوصمه بالكذوب. كان ظن الزرقاوي لجهله و استخفافه بسامعيه ان الجيش الاميركي يدفن ابطاله سرا و ينساهم مثلما تفعل الجيوش العربية التي

---

[١] كان مسؤول جماعة الزرقاوي الشرعي المنوه عنه هو المدعو ابو انس الشامي و هو زميل له منذ ايام هيرات يقال انه من نوع مدعي العلم المتاثرين بالعلماء الحكوميين السعوديين و على ما يبدو ان الزرقاوي كان يستخدمه كواجهة لقراراته.

عرفها الزرقاوي بجندها المسخر او كما يفجر هو المئات من جنوده ثم ينعاهم ان فعل بسطر في مقالة او كلمة في شريط مسجل. لم يعلم ان الجيش الاميركي المكون من متطوعين يحرص على حث الشعب الاميركي على التطوع عن طريق ابراز بطولات قتلاه الفردية و اقامة الجنائز المهيبة و المقابر و النصب التذكارية لكل واحد منهم في كل مناسبة.

في احد المراحل دخلت القاعدة في تحالف مع جماعات اخرى تحت اسم مجلس شورى المجاهدين اعلن ان رئيسه هو عبد الله رشيد البغدادي. لم ينضم الي المجلس جماعات كبيرة مثل جماعة الجيش الاسلامي و جماعة انصار السنة و ان اعلنت التنسيق معه احيانا . كما نأت عنه مجموعات ذات خلفية عشائرية او مناطقية مثل كائب ثورة العشرين و حماس العراق كان متوقعا من اسمها و بداياتها انها ستنضم ذات يوم الى الجانب الاميركي.

بخلاف الجيش الاسلامي بالعراق المشبوه عقائديا لا يعرف فارق عقائدي كبير بين جماعة انصار السنة و القاعدة يمنعهم من الاتحاد . بالاضافة للجماعات المذكورة توجد جماعات سلفية اصغر انضوى بعضها تحت مظلة مجلس شورى المجاهدين مثل جيش الطائفة المنصورة و جماعة الغرباء و جيش اهل السنة و الجماعة .تطور مجلس شورى المجاهدين ليصبح دولة العراق الاسلامية بقيادة ابو عمر البغدادي. مع طول امد القتال و استقرار معدل الخسائر الاميركية عند حوالي جنديين يوميا بدأ كثير من الانصار يتململون. كان ابو مصعب في رسالته الشهيرة لبن لادن في اول الحرب قد بين للامريكيين ان

اخطـر مـا يهـدده هـو انقـلاب الانصـار المحلـيين عليـه فأخـذت المخـابرات الاميركيـة بنصـيحته و بـدأت تعمـل في هذا الاتجاه و تجند شيوخ العشائر لمقاومة دولته الاسلامية.

كـان اول العشـائر انتفاضـا عليـه بعـض عشـائر الرمـادي و تطـور الامـر الى طـرد تنظيمـه تـدريجيا منـها . انفـق الاميركيـون علـى تجنيـد ابنـاء القبائـل في مجموعـات تسـمى الصـحوة تعمـل علـى قتـال المتطـوعين في مناطقهـا نظـير مائـة دولار شـهري للفـرد و مبـالغ اكـبر لشـيوخ العشـائر . كانـت هـذه الصـحوات حـرة في التحـرك فقـط في منـاطق السـنة فيمـا الجـيش و الشـرطة و فـرق القتـل الرافضـية يسـمح لهـا بـدخول كـل منـاطق العـراق و ان كانـت تنسـق مـع الصـحوات في بعـض الامـاكن اثنـاء اقتحامهـا لضـمان اسـتمرار تعاونهم ، لم يتعدى تسليح تلك الصحوات السلاح الفردي.

بـدأت بعـض الجماعـات المسـلحة العراقيـة تطـور روابـط خارجيـة فقـد سمـح لبعضـها بجمـع التبرعـات في دول الجـوار و سمـح للجـيش الاسـلامي بتواجـد تمثيلـي في الاردن و ربمـا قطـر و تركيـا و الكويـت فيمـا اعلنـت القاعـدة ان السـعودية اتصـلت بهـا و لكـن القاعـدة رفضـت الحـوار . و يوجـد تمثيـل لكتائـب ثـورة العشـرين الاخوانيـة في الاردن فيمـا يقـال ان سـوريا تـدعم تنظيمـا يسـمى جـيش الطريقـة النقشـبندية (الصـوفية) البعثـي المنبـت.كمـا اسـتقبل ملـك السـعودية مقتـدى الصـدر الـذي كـان قبـل اشـهر شـابا مغمـورا يـدعي الخبـل خوفـا مـن اجهـزة صـدام الـتي قتلـت ابـاه و عمـه اسـتقبال كبـار الرؤسـاء . في فـترة تاليـة عنـدما كانـت مـذابح السـنة علـى اوجهـا اعلـن المستشـار الامـني للشـيخ تركـي الكبـير، الـذي عـزل مـن

المخـــابرات ثـــم نقـــل بعـــد مـــدة مـــن التقاعـــد الى ســـفارة لنـــدن و منـــها الى ســـفارة اميركـــا ان الســـعودية لـــن تســـكت عـــن مـــذابح الســـنة في بغـــداد و عنـــدما ســـأله مراســـل الصـــحيفة عمـــا ســـتفعله الســـعودية اذا اســـتمرت المـــذابح ذكـــر انهـــا قـــد تضـــطر لإمـــداد المقـــاتلين الســـنة بمـــا يلـــزمهم (علـــى الطريقـــة الافغانيـــة) . نظـــرا للانزعـــاج الشـــديد الـــذي ســـاد الـــدوائر الاميركيـــة اعلـــن الشـــيخ تركـــي الكـــبير تنصـــله مـــن تصـــريحات مستشـــاره الامـــني في اليـــوم التـــالي بـــل و اقالـــه مـــن وظيفتـــه، و بعـــدها بســـاعات اعلـــن الشـــيخ الكـــبير نفســـه تركـــه لمنصـــبه كســـفير لـــدى اميركـــا و تقاعـــده للتفـــرغ للانشـــطة الخيريـــة فيمـــا تظـــل الاجهـــزة الامنيـــة الســـعودية علـــى اتصـــال بـــبعض الجماعـــات المســـلحة المناهضـــة للقاعـــدة في العـــراق.و قـــد علـــق اســـامة بـــن لادن علـــى تلـــك العلاقـــات بقولـــه:" وكمـــا أغـــوى حُكَّـــام الريـــاض قـــادةَ حمـــاس فكـــذلك يســـعون لإغـــواء الجماعـــات المجاهـــدة في العـــراق، فيغضـــوا طـــرفهم عـــن أعضـــاء بعـــض الجماعـــات لتتحـــرك في دول الخلـــيج باطمئنـــان لتأخـــذ الـــدعم ولكـــن لـــيس بشـــكل رسمـــي فهـــذا مـــا ترفضـــه الجماعـــات ، وإنمـــا يـــتم تمريـــر الـــدعم باســـم جمـــع التبرعـــات مـــن بعـــض العلمـــاء و الـــدعاة غـــير الـــرسميين ، وكـــثير منـــهم في حقيقتـــهم رجـــال موالـــون للدولـــة يســـعون في تحقيـــق سياســـتها في العـــراق ، بســـحب البســـاط مـــن تحـــت أقـــدام المجاهـــدين الصـــادقين ، فمهمـــةُ هـــؤلاء العلمـــاء و الـــدعاة إقنـــاع قـــادة هـــذه الجماعـــات بـــنفس الشـــرط الســـابق ، وهـــو الرضـــا بحكومـــة وحـــدة وطنيـــة ، فضـــلاً عـــن حـــثهم لبـــث الـــدعايات المغرضـــة ضـــد دولـــة العـــراق الإســـلامية وقتالهـــا إن أمكـــن ، وهـــذا مـــن أســـرار الحملـــة الشرســـة عليهـــا عســـكرياً وإعلاميـــاً . وإن المـــرء ليعجـــب أشـــد العجـــب كيـــف ضـــيعت هـــذه الزعامـــات الأمانـــة الـــتي في أعناقهـــا ، وذهبـــت تضـــع يـــدها في يـــد أحـــد ألَـــدِّ أعـــدائها حـــاكمِ الريـــاض ، وهـــو الـــذي ثبتـــت

نصـرته وتواطـؤه مـع أمريكـا لغـزو العـراق ، وهـل يخفـي اليـوم علـى فتيـان المسـلمين فضـلاً عـن علمـائهم وشـيوخهم وقـادة المجاهـدين أن هـذا الحـاكم هـو كـبير وكـلاء أمريكـا في المنطقـة ، وقـد أخـذ علـى عاتقـه مراودة وترويض كل حُرٍّ عفيف أمين شريف بجره إلى سبيل الغي و الغواية ؟"[1]

في آخـر ايـام الزرقـاوي اصـدر بيانـا يشـيد فيـه ببطولـة اهـل مدينـة "تـل عفـر" الشـمالية "اعزهـا الله بالجهـاد" فمـا لبثـت القـوات الاميركيـة و اتباعهـا الـروافض ان اجتـاحوا المدينـة و ارتكبـوا فيهـا مـن الموبقـات و المخـازي بحـق اهـل السـنة الكـثير نكايـة فيـه. اصـدر الزرقـاوي وقتـها بيانـا بقتـال عمـوم الـروافض في جميـع انحـاء العـراق، الا ان جهـازا يـدعى الهيئـة الشـرعية لتنظـيم القاعـدة في بـلاد الرافـدين تـدارك الامـر و اصـدر بيانـا قـال فيـه ان تنظـيم القاعـدة في بـلاد الرافـدين لا يسـتهدف عمـوم "الشـيعة" و انمـا يسـتهدف فقـط "الميليشـيات العميلـة مثـل فيلـق بـدر" و هـو التصـريح الـذي نـوه بـه ايمـن الظـواهري بصـفته احـدى علامات الاعتدال العقائدي.[2]

قتـل الزرقـاوي في غـارة جويـة علـى بهـرز محافظـة ديـالى في صـيف ٢٠٠٦ و اعلـن ان خليفتـه علـى رأس تنظـيم القاعـدة في بـلاد الرافـدين هـو ابـو ايـوب المهـاجر المصـري. اعلـن الظـواهري في شـريط نعـي المـلا داد الله ان مقتـل الزرقـاوي هـو بدايـة "الانكسـار المهـول للامـريكيين"[3]. تلـى ذلـك ببضـعة اشـهر اعـلان قيـام

---

[1] دولة العراق الاسلامية حقيقة لا اوهام و واقع لا احلام، ص٤٧

[2] ايمن الظواهري، "التبرئة"، ص ١٦٥

[3] عندما لم ياتي "الانكسار المهول" بعد ثلاث سنوات عرض الظواهري على الرئيس الاميركي الجديد و العالم هدنة بالشروط التي سبق ان اعلنها بن لادن فرفض الناطق باسم الخارجية الاميركية العرض و قال انهم لا يتفاوضون مع ارهابيين.

الدولة الاسلامية في العراق بقيادة ابو عمر البغدادي و ابو ايوب المهاجر المصري وزيرا للحرب كما اعلن انضمام جماعة جيش الفاتحين الى صفوفها الا ان الجماعة نفت ذلك و اعلنت انضمامها لجبهة الجهاد و الاصلاح المنافسة التي كونها الجيش الاسلامي في العراق لتضم جماعات مثل جيش المجاهدين و جيش الراشدين و الوية الناصر صلاح الدين الايوبي شبه الاخوانية. اسست الجبهة على يد الحكومة القطرية. كان واضحا من بيانات الجبهة التي حظي تأسيسها بمباركة اميركية ان هدفها الرئيس هو ضرب القاعدة في العراق. بعد مقتل الزرقاوي ببضعة اشهر صبيحة يوم عيد النحر سلمت القوات الاميركية اسيرها صدام حسين للروافض و يرجح ان مقتدى الصدر شارك في شنقه، قتل صدام و هو يردد الشهادة فيما كان قاتلوه يهتفون باسماء مراجع الرافضة.

وجه ابو عمر البغدادي في ٢٠٠٧ انذارا هزليا للقوات الاميركية بالانسحاب من العراق نظير تركهم يمرون بسلام بشرط تسليم اسلحتهم الثقيلة و طائراتهم و قواعدهم العسكرية الى دولة العراق الاسلامية. رد الاميركيون برفع عدد قواتهم في العراق الى ما تحت المائتي الف بقليل كما شرعوا في تجنيد المزيد من مقاتلو العشائر و الصحوات و الجماعات المسلحة السنية الاخرى لقتال الدولة الاسلامية. بنهاية ٢٠٠٧ كانت الصحوات العاملة مع الاميركيين قد نجحت في طرد مقاتلي الدولة الاسلامية من غرب العراق و بغداد و اجزاء من ديالى و كشفت عن اماكن تمركز كثيرا من المتطوعين

العرب مما ادى لاسرهم. بلغت قوات تلك الصحوات تقديرا ما يقرب من ثمانين الف مقاتل سني بعضهم او نصفهم من المقاتلين السابقين ضد الجيش الاميركي.

في ٢٠٠٨ بلغ مجموع خسائر الاميركيين منذ بداية الحرب اربعة الاف قتيل فيما اضطلعت الكتائب الرافضية بالدور الأكبر في التصدي لمقاتلو السنة. خفضت اميركا في ٢٠٠٨ مكافأة القبض على ابو ايوب المهاجر امير القاعدة في العراق الى ١٠٠ الف دولار بدلا من ٢٥ مليون لابو مصعب الزرقاوي استهانة منها بدوره. في يوليو ٢٠٠٨ وصلت خسائر القوات الاميركية الى ادنى معدل لها منذ خمسة سنوات و هو خمسة جنود بالشهر مما يعد مؤشرا الى هزيمة القاعدة.ادى ارتفاع عدد القوات الاميركية الى قمع القاعدة و حلفاءها و استيلاء الروافض على اغلب احياء بغداد فضلا عن نصف العراق الجنوبي الذي اعطته اميركا لهم مكافأة على تعاونهم مع الاحتلال.

اثارت ردود قادة القاعدة المهادنة لايران شكوك بعض الجماعات المشبوهة المنافسة لدولة العراق الاسلامية فبدأت تصدر بيانات تتهمها بالتعاون مع ايران. اضطر الظواهري لرفع حدة تصريحاته ضد ايران لدرأ الشبهة عن قيادة القاعدة و ان ظل بن لادن صامتا حتى يحظى ولده بمعاملة جيدة في السجن. جاء رد الظواهري الذي قال فيه ان "ايران طعنت الامة الاسلامية في ظهرها و سجلت على نفسها و على عموم الشيعة الذين يتبعونها عارا تاريخيا . . .وورطت نفسها فقد صارت محاصرة من الشرق و الغرب" معبرا عن مكنون صدره و حداثة عداءه للرافضة و معرفته باهدافهم؛

فالصحيح ان ايران لم تفاجأ او تتقع في ورطة بسبب الغزو الاميركي بل كانت شريكة في صنع القرار عن طريق ممثلي ميليشيات بدر و حزب الدعوة في مجالس المعارضة العراقية التي دخلت العراق مع طليعة القوات الاميركية فليست ايران "قاعدة" حتى "تفاجأ" و "تتورط" و "يغدر بها" ثم "تنحاز" كما يحدث للقاعدة. كانت قيادة النظام الايراني مدركة يوم تعاونت عسكريا مع اميركا لاحتلال العراق و افغانستان انها بذلك تفك الحصار الاخطر على حدودها و هو حصار سنة طالبان و النظام العراقي بما فيه من حمية عشائرية للسنة و عداء للروافض، و استبدلت تلك الانظمة بما لها من امتدادات خطيرة داخل ايران بخصم اقل عداوة يمكن التفاوض معه هم النصارى الذين تحالفت معهم الانظمة الرافضية بايران تاريخيا ضد العثمانيين و الاوزبك السنة، و اعتمدت عليهم هم و اسرائيل في ذروة ما سمي بالثورة الاسلامية لامدادها بالسلاح في حربها ضد العراق فيما عرف بفضيحة ايران غيت.

و فيما كانت فتاوى علماء الجزيرة شبه مجمعة على وجوب الجهاد لاعيان الناس في على الجبهة الافغانية بما فيها بدخشان على الحدود الصينية لانها جزء من المجال الاستراتيجي للمملكة كانت اغلب فتاوى "علماء الجزيرة" بنهاية ٢٠٠٨ تحرم الانضمام للقتال في العراق المتاخم لنجد و ترى ان الوجوب لا يتحقق للاعيان الا اذا دخل الغزاة غرف نومهم في الرياض ثم امر الشيخ الكبير بالنفير. انقسمت الحركات المسلحة الموجودة بالعراق بنهاية ٢٠٠٨ اعلاميا الى "مقاومة شريفة" تقوم بعمليات مسرحية ضد القوات الاميركية لا ينتج عنها خسائر بالاضافة لعمليات ضد بعض المجموعات

الرافضية ذات الدعم الايراني المغضوب عليها من اميركا و تتعاون مع الحكومات العربية و تسعى لنيل كرسي في اي بادرة مفاوضات تعلنها اميركا لكسب الوقت؛ و قسم آخر هو "المقاومة غير الشريفة الارهابية التكفيرية" التي تقاتل الاميركيين و طوائف الرافضة المحلية و المستوردة و كافة المتعاونين مع الحكومة العراقية من سنة و روافض و تسب حكام الدول العربية المتعاونين مع الغرب.

بعد موت الزرقاوي باكثر من سنتين لم ياتي "الانكسار الاميركي المهول" الذي تنبأ به الظواهري في رثاء الزرقاوي. لا شك ان الزرقاوي استورد الى العراق احد احدث اتاجات الفكر الجهادي العالمي و عمل بجد لنشر دعوته في العراق فقفز بالعمل المسلح هناك الى مرحلة من النضج لم تبلغها جبهات اخرى، و لكنه جلب معه الداء الذي سيقضي على (او يضعف) مشروعه و هو العمليات الانتحارية و ما ينم عنه تنفيذها من اخضاع تطبيق النصوص الشرعية لمتطلبات الغايات الدعائية و العسكرية بدلا من العكس المفترض في مثل هذا التنظيم العقائدي. في ٢٠٠٩ اعلن ابو عمر البغدادي تشكيلة حكومة الدولة الاسلامية بالعراق و تتكون من تسع وزارات هي الحرب، وزارة الهيئات الشرعية، العلاقات العامة، شؤون الاسرى و الشهداء، الامن، الصحة، الاعلام، النفط و المالية.

في ابريل ٢٠١٠ اعلنت الحكومة الرافضية قتل ابي عمر البغدادي و ابي حمزة المهاجر المصري في وقت واحد فيما امتنعت مصادر الدولة الاسلامية عن التعليق لايام. و بعد فترة من الصمت صدر بيان باسم دولة العراق الاسلامية معترفا بمقتل القائدين و ان القيادة انتقلت لايد امينة و قالت انهما كانا يتزنران باحزمة ناسفة لتفجير انفسهما بدلا من ان يأسرا و لا يعلم ان كانا قد قتلا بتفجير نفسيهما او

مـن اثـر القصـف الجـوي. تلـى ذلـك بعـد اسـبوعان مـن الصـمت اعـلان اختيـار أبـي بكـر البغـداديّ الحُسـينيّ القرشـيّ أمـيراً للمـؤمنين بدولـة العـراق الإسـلاميّة، وتوليـة أبـي عبـد الله الحَسـنيّ القُرشـيّ وزيـراً أوّلا ونائبـاً لـــــه و النّاصـــــرُ لـــــدين الله أبـــــو سُـــــليمان وزيـرا للحـرب. في النهايـة يمكـن القـول انـه مـا لم تنسـحب الولايـات المتحـدة مـن تلقـاء نفسـها لاسـباب خاصـة بهـا و في غيـاب اي نقلـة نوعيـة عقائديـة او تسـليحية في صـفوف الجماعـات المسـلحة بـالعراق فسيبقى الوضع كما هو عليه.

# السعودية

بعد القضاء على الاخوان بقيت بالسعودية معارضة شكلية كانت تطل برأسها على استحياء فيما يخص توافه الامور كما حدث في سنة ١٩٣٠ و ١٩٥٠ و في عهد فيصل عندما اعلن عن الاحتفال بعيد الجلوس على العرش و هو ما استنكره بعض العلماء الرسميين بصفته بدعة فتتراجع الملك عن احيائها علنا و ان ظلت القنصليات و السفارات الاجنبية تهنئ حكام الدولة و تقدم لهم الهدايا . في الستينات و السبعينات بدأت تظهر ملامح الجهر بعلمنة القوانين السعودية بما اصبح لا يدع مجالا للانكار الا لأكثر علماء الدولة مكابرة. و قد تعددت المراسلات المتبادلة بين مفتي المملكة محمد ابراهيم ال الشيخ[١] ووزارات الدولة التي امعنت في تجاهل اعتراضاته الشكلية على الحكم بالقوانين الغربية .فضلا عن ذلك بدأت المملكة تتبني عقيدة قومية ترتكز الى تفوق الجنس النجدي خاصة العشائر المنتمية الى وادي المرتدين وادي حنيفة على كل الاجناس الاخرى باستثناء الاوروبية و اليهودية .لا يعلم مصدرالتفوق المزعوم خاصة و قد كان سكان تلك المناطق قبل خمسين سنة عندما

---

[١] كان محمد بن ابراهيم آل الشيخ مستشارا شرعيا سابقا للشركة الاميركية العربية للبترول ارامكو الممثل الرئيس للمصالح الاميركية في المملكة قبل تأميمها من قبل الحكومة السعودية مما يشكك في صدق توجهاته و يحتمل انها كانت وسيلة ضغط منه للحصول على مزيد من النفوذ و المال حيث لا يعقل انه كان غافلا عن الاسس التي بنيت عليها الامارة السعودية الانفصالية.

اكتشف البترول اكثر اهل الارض تخلفا و فقرا لا يدانيهم في ذلك الا الهمج العراة الوثنيون من سكان الغابات يعيشون على صدقات مسلمو العراق و مصر و الشام لاثنى عشر قرنا ، الا ان ذلك كان متسقا مع عصبيتهم الجاهلية الموروثة التي دفعتهم لبغض صحابة الرسول عليه الصلام و السلام لانتمائهم لمضر و الانحياز لمسيلمة لانه من ربيعة.

كانت الحملة الاعلامية القومية السعودية شديدة حتى ان القائمين عليها لما ووجهوا بالاحاديث الصحيحة التي تذكر رفض الرسول عليه الصلاة و السلام الدعاء لأهل نجد و شرق الجزيرة واصفا اياهم بالقسوة و الجفاء و غلظ القلوب و وصفه لارضهم بانها ارض زلازل و فتن و مطلع قرن الشيطان نفوا ان تكون نجد الجزيرة هي المقصودة و افتى بعضهم بأن نجد هي العراق.[1] و لو استطاع لقال ان "نجد" المقصودة تقع في بلجيكا او كندا .فضلا عن ذلك بدأت الاجهزة الاعلامية تروج لنقاء العقيدة النجدية على مر الزمان و تبرئة اهل نجد من تهم الشرك و عبادة الحجارة التي وصمهم بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب[2] على ما يبدو وصولا لنفي دورهم التاريخي في حروب الردة و حركة القرامطة في المرحلة القادمة.

---

[1] كان الحاضرون يسالون الرسول صلى الله عليه و سلم ان يدعو الله: يبارك لنا في "نجدنا"و لم يكن الاسلام دخل العراق وقتها و لا كان بالمدينة عراقيين ليسألوا البركة لبلادهم.فضلا عن ذلك ادى جهل علماء السعودية بالجغرافيا و استخفافهم بسامعيهم الى القول بأن الواقف بمكة او المدينة يرى الشمس تطلع من العراق باقصى الشمال الشرقي و ليس الرياض المقابلة شرقا على نفس خط العرض من المدينة. و قد اشترك في هذه الاكذوبة بعض موظفي الجامعات السعودية الحكومية مثل الالباني و السهسواني و حمود التويجري و ناصر العقل و استخرجوا لدعم ذلك مقولة شاذة اوردها ابن حجر عن الخطابي.

[2] راشد عساكر،"خدعوك فقالوا نجد و الشرك"، جريدة الرياض١٤٢٨/٢/٥ عدد ١١٤١٢٣

تضمنت العقيدة القومية السعودية المستحدثة مقولة مفادها ان الرخاء النسبي الذي تعيشه المملكة و الامارات المحيطة بها عائد الى الرضا الالهي الكبير عنها كونها منارة نشر العقيدة السلفية في العالم فيما ينسب فقر دول مراكز الحضارة الاسلامية التاريخية كالعراق و مصر و الشام الى تبنيها لنظم جمهورية و شرك اهلها . و لم يكن هذا صحيحا من الناحية العقائدية فلا يعلم فضل و لا كرامة في ميزان الشرع لاتباع ابو كيم اللوطي و كابتن وليم شكسبير و لورانس على اتباع ميشيل عفلق و جمال عبد الناصر .و جل ما في الامر هو ان التزام دول منطقة الخليج بالحياد خلال حروب التحرر من الاستعمار و قبولها بالاستعمار النصراني البريطاني و عدم قيامها بثورات ضده، و عدم اشتراكها في الحروب العربية الاسرائيلية، و تجارتها في امداد النصارى بالبترول اثناء حروبهم للمسلمين اديا الى توافر فائض مالي كبير انعكس على دخل تلك الدول كما حدث لليابان و المانيا عملا بنظرية "التيس المخصي" عندما تم نزع سلاحهما بعد الحرب العالمية الثانية و تولت الولايات المتحدة الانفاق الدفاعي عليهما فارتفع دخل مواطنيهما الفردي و زاد عن دخل اسيادهم الاميركيين ، حتى صارت الصحف الاميركية تصرخ ان اليابانيون على وشك شراء الولايات المتحدة مع ان كل موارد اليابان الطبيعية لم تتعدى موارد ولايتين من ولايات اميركا الخمسين اللاتي تصدر لليابان احتياجاتها الضرورية من الارز و اللحوم لعدم كفاية الاراضي الزراعية في اليابان لاطعام اهلها . كما لم يكن الرخاء النسبي الذي تتمتع به مناطق الأكراد و الروافض العراقيين التي استسلمت للاحتلال الاميركي بدون مقاومة مقارنة بمناطق اهل السنة المدمرة دليلا على التفضيل الالهي لعقيدة الروافض و اشباه الوثنيين ، و لا يعد ارتفاع

مستوى دخل عرب ١٩٤٨ بفلسطين الذين دخلوا في طاعة اليهود اضعاف مستوى دخل فلسطينيو الضفة و غزة المستمرين في مقاومتهم للمحتلين دليلا على ان الدخول في طاعة اليهود يجلب البركة و رضا الله.

لقد حصل سكان دويلات مثل امارة ليختنشتاين و اندورا و سان مارينو و لوكسمبورج و جزر كايمان اعلى معدلات دخل الفرد العالمية في الثلاثين عاما الماضية و كلها امارات لا جيش لها و لا يزيد سكانها عن المليون و لا تزيد مساحة بعضها عن عدة كيلومترات و يتكسب بعضها من تاجير عناوين بالامارة كمركز للبنوك و الحسابات السرية المعفاة من الضرائب، و ان كان هذا الوضع يصلح في دول يحيطها الاتحاد الاوروبي و تحميها ضمنا منظومة حلف الاطلنطي في مجال حمايته للدول المحيطة بتلك الامارات فان هذا الامر لا يستقيم في الشرق الاوسط المشهور بحروبه و اطماع اعداءه فيه و حيث لاقيمة لاعلان الحياد، كما ان رفاه دويلة سان مارينو المجاورة للفاتيكان لا يعني رضى الرب عن عقيدتها السلفية. و فيما اضطر مليون مجند جامعي مصري في الستينات للمرابطة على شاطئ قناة السويس مقابل اسرائيل لمدة سبع سنوات بين ١٩٦٧ و ١٩٧٤ حتى لا ياتي زمان يتحدث فيه اهل جدة و بيروت و القاهرة و دمشق العبرية او الانكليزية كان المخلفين من من اعراب اهل قطر[١] على سبيل المثال و جيشها يومئذ قوامه اكثر من خمسمائة جندي بقليل يتعلمون كيف يربطون الغترة

---

[١] بعد ان اصبحت قرية قطر مقرا للقيادة المركزية الاميركية تنطلق منها الغارات لضرب الدول الاسلامية المجاورة رد وزير خارجيتها بان قطر بحاجة للوجود الاميركي لحمايتها لانها دولة صغيرة و لكنه لم يشرح سبب كونها صغيرة في الاصل و رفضها الانضمام لاي دولة مجاورة و استعانتها ببريطانيا و من بعدها الولايات المتحدة للبقاء كدويلة انفصالية قزمة.

الاعرابية على رؤوسهم تحت حماية البوارج البريطانية و ينطقون اسم قريتهم "غاطار" بزهو كما لو كانت امبراطورية جنكز خان العظمى فيما يذكر برواية الشيخ عبد الله عزام الفلسطيني امير العرب في افغانستان عن تباهي المرأة الفلسطينية في اول القرن العشرين باجادتها صناعة عشرين نوعا من القهوة فيما كان ابناء المرأة البريطانية و اليهودية التي بالكاد تعرف صناعة نوع من الشاي يحتلون فلسطين و دول العرب من حولها و يذبحون ابناء صانعة القهوة المحترفة.

كان تفرغ المليون مجند السوري او المصري او العراقي للعمل في البنوك و ادارة شركات السياحة و المطاعم و انفاق دخولهم على السيارات بدلا من الطائرات المقاتلة[١] و الدبابات و ترك الدفاع عن ديار الاسلام للولايات المتحدة سيؤدي الى امتلاء تلك البلاد بمطاعم الوجبات الاميركية السريعة و سيارات الدفع الرباعي اليابانية الرخيصة و القصور الفاخرة و لكن تحت الاحتلال النصراني او اليهودي. كما منعت مرابطة مليون جندي عراقي من الذين تزدريهم اعين اهل الخليج اليوم على الحدود الايرانية من اقامة مواكب عاشوراء في الحرم و المدينة و تحويل الكعبة الى حسينية كما كانت في عهد القرامطة. و رغم ان بعض الحكومات اقرض العراق عدة مليارات اثناء الحرب فقد كانت تلك المليارات جزءا صغيرا من حصيلة تضاعف اسعار النفط بسبب اندلاع تلك الحرب التي كان العراقيون وقودها فلم تعرف اسعار النفط ارتفاعا كما عرفته اثناء حرب السوريين و المصريين ضد

---

[١] يساوي ثمن الطائرة المقاتلة الواحدة ثمن الف سيارة دفع رباعي او يزيد.

اسرائيل في ١٩٧٣ و اثناء حرب العراق ضد الثورة الرافضية في ١٩٨٠ و الفورة الحالية على جثث العراقيين السنة بعد سقوط بغداد .

لم يكن لانفاق بعض الدويلات الصغيرة على اقتناء الاسلحة الباهظة الثمن بعد توافر الفوائض[١] في السنوات القليلة الماضية قيمة فعلية حيث لا يوجد في عالم الحقائق العسكرية "بصلة المحب خروف" و "الجودة بالموجودة" فدولة تعداد جيشها خمسة آلاف جندي لابد ان تخضع لارادة اي دولة عظمى طامعة فيها حتى لو انفقت خمسين مليار دولار على التسلح (المسموح به) سنويا و لبس جنودها احدث الازياء العسكرية الغربية و قادوا سيارات الجيب الهمر الاميركية المكيفة. كما ان اعلان دويلة متناهية في الصغر كقطر او البحرين للحياد و لو اقسمت عليه امام الكعبة لن يقلل من الاطماع الايرانية فيها و لن يؤخر اجتياحها في دقائق لو غفلت عنها اعين الاسطول الاميركي. و لا شك ان جيشا فقيرا مثل الجيش الصيني ذو المليوني مقاتل و الميزانية الدفاعية السنوية المتواضعة اقوى فعليا بملايين المرات من الجيش السعودى ذو الخمسين الف مقاتل و ميزانية دفاع تساوت في التسعينات مع ميزانية الجيش الصين النووي الذي تجوب صواريخه الفضاء رغم انف ابن باز[٢]. و السبب في ذلك هو

---

[١] بلغت المشتروات السعودية من السلاح الاميركي المورد الاول للسعودية في ١٩٦٧ حوالي ١٠ مليون دولار فيما كانت ميزانية الجيش المصري ما يقرب من مليار دولار و كان الفارق ان القوات الجوية الاميركية تحمي السعودية و تتحمل نفقات الدفاع عنها فيما ينفق عبد الناصر من جيبه على قتال اسرائيل و بريطانيا في عدن و فيصل في اليمن . عدديا لم يزد قوام الجيش السعودي اكبر جيوش دول مجلس التعاون الستة عام ١٩٧٣ بكثير عن حجم فرقة واحدة من فرق الجيش الاسرائيلي مع التفوق السكاني الضخم لعدد سكان الجزيرة مقارنة باسرائيل.

[٢] ابن باز: مفتي السعودية السابق الاعمى. كان ينكر استدارة الارض و صعود الصواريخ و الاقمار الصناعية للفضاء اعتمادا على تأويل خاطئ للقران و قلة علم بالطبيعيات من مستوى الصف الثالث الابتدائي حتى يخفي عن اهل البلاد مقدار التخلف الذي يعيشونه مقارنة بباقي بلاد العالم. استدل الرجل على فتواه بمنطق معوج قال فيه" ولو كانت الشمس تدور كما يزعمون لكانت البلدان والجبال و الأشجار و الأنهار والبحار لا قرار لها و لشاهد الناس البلدان المغربية في المشرق والمشرقية في المغرب ولتغيرت القبلة على الناس حتى لا يقرّ لها قرار." "الأدلة النقلية و الحسية على جريان الشمس و سكون الأرض و إمكان الصعود إلى الكواكب"، مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٥ هجرية، ص٢٣.

ان الانفاق الصيني الضئيل موجه بالفعل لتلبية احتياجاتها الدفاعية الحقيقية اما انفاق الجيش السعودي مهما بلغ فهو لا يشتري -بامر البائعين- سلاحا يمكنها من التصدي لدويلة اسرائيل الواقعة على بعد بضعة كيلومترات من الحدود السعودية و التي يخترق طيرانها المجال الجوي السعودي في عملياته احيانا كما فعل وقت ضرب المفاعل النووي العراقي و هي العملية التي لاقت استحسانا سعوديا، و قد كانت السعودية دوما مطمئنة لاسباب لا علاقة للشريعة و لا لآل الشيخ بها لعدم وجود تهديد من جهة اسرائيل التي كانت السياسة السعودية دائما غامضة تجاهها و تجاه نشاتها منذ ايام منع الاخوان من الاغارة على الاردن و العقبة باستثناء بعض تصريحات علنية تمويهية من قبيل رغبة الملك فيصل في الصلاة في القدس. كما لا يمكن التسليح الحالي من التصدي لهجوم ايراني عبر الخليج الذي تسرح و تمرح فيه قطع البحرية الصاروخية الايرانية و تستطيع صواريخها قصف كافة المدن السعودية الكبرى. مما يدعو للتساؤل ان كان ذلك التسليح الباهظ التكلفة لا يصلح الا للتصدي للدول السنية الضعيفة المجاورة ذات الميول الاتحادية (بعكس توجه المملكة و دويلات الخليج الانفصالي) مثل العراق و سوريا و مصر اذا ما تغير الوضع السياسي في اي منها فجأة قبل وصول النجدة الاميركية.

---

وفاته ان الناس على الارض يصلون الى نقطة ثابتة في موقعها بالنسبة لهم على ارضهم و هي مكة بغض النظر عن دوران الارض او الشمس من عدمه اي ان ساكن المدينة سيظل دوما يصلي في اتجاه الجنوب و ساكن نجد يصلي في اتجاه الغرب دارت الارض ام لم تدور. ظل المفتي على رايه و تسفيه المخالفين له و تكفيرهم حتى صعد احد امراء الاسرة الحاكمة في مركبة فضائية اميركية فسكت و قيل انه غير فتواه حتى لا يكذب الامير ابن اخو الملك. و يفترض طبقا لعلوم اولياء الامورالباطنية في العغيدة النيو نجدية ان هذا الرجل و اقرانه لهم القول الفصل او على الاقل يستشارون فيما يخص جلب الجيوش النصرانية للجزيرة بما معها من صواريخ عابرة للطائرات و اقمار صناعية مع انه لا يعترف بوجود هذه الاشياء لان الارض غير مستديرة على حد علمه. كان هذا المفتي متمرسا في التلون و تغيير فتواه بما يوافق هوى اسياده حيث افتى في الستينات بحرمة استقدام خبراء عسكريين و ليس مقاتلين اجانب (روس) في مصر وقت نزاع فيصل و جمال عبد الناصر و اتهم عبد الناصر بالكفر ثم افتى للملك فهد بعدها بعشرين سنة باستقدام نصف مليون مقاتل اميركي للدفاع عن جزيرة العرب زمان حرب الكويت. كتب المفتي المذكور كتابا في زمن خصومة فيصل و عبد الناصر اسماه "في نقد القومية العربية" يدحض فيه فلسفة حكم عبد الناصر فيما كان هو نفسه من اكبر دعاة القومية القطرية الانفصالية السعودية.

بررت العقيدة المستحدثة وجود الجيوش العربية الضخمة التي تتقاتل على اطراف الجزيرة شرقا و غربا بكونها تخبطات شعوب حمقاء يحركها قادة ثوريون كفار تنقصهم حكمة توحيد الشيخ عبد الله فيلبي و ان الالتزام بالعقيدة القومية الجديدة المسماة "بالعقيدة النجدية" في الذات و الصفات (بدون الولاء و البراء) و خشية الانكليز من البدو السلفيين المدججين بالسلاح الانكليزي[١] هو السبب في احجام القوات البريطانية المحيطة بالجزيرة كالسوار بالمعصم في اليمن و الاردن و عمان و سواحل الخليج عن دخولها، فيما لم يصب الانكليز نفس الذعر و هم يقارعون الجيش العثماني المسلح بالطائرات الذي قتل من الجيش البريطاني في حصار كوت العمارة وحدها ما يقرب من ثلاثين الف جندي و ضابط بريطاني و هندي منهم جنرالات لو دخل احدهم نجد التي كان يديرها نقيب في الجيش البريطاني لخضعت له اعناق الاخوان و ربما خر بعضهم له ساجدين. و فيما كان الصوماليون و السودانيون المسلحين بالحراب و المصريون يقطعون اعناق اكابر جنرالات الجيش الانكليزي كالجنرال كورنفيلد قائد حامية الصومال و الجنرال غوردون بطل الامبراطورية البريطانية الاثير لقلب الملكة فيكتوريا في الخرطوم و السردار جنرال لي ستاك في القاهرة و يعلن ضباط الجيش الانكليزي اسلامهم مع وحداتهم لتفادي القتل كان حلم امراء قرى نجد و قطر و امثالهما من الخرائب ان يجلسوا عند قدمي ملازم بريطاني لم ينبت عارضاه ليتلقوا منه "علم ولاة الامور". و فيما كان عوام المصريين و الاخوان المسلمين يغيرون

---

[١] و قد عترف ديكسون (المقيم السياسي البريطاني بالكويت) الذي استقبل الدويش و سجنه بعد فراره من ابن سعود في كتابه الشهير (الكويت و جيرانها) بان اشاعات القسوة و اساطير الاخوان من "تدبير الاجهزة فقال: رغم ان الكثير قد كتب عن قسوة الاخوان و ارهابهمن الا انني يجب ان اقول اليوم؛ ان هذه الصورة قد بولغ فيها عن قصد و تصميم لخدمة اهداف سياسية في ذلك الوقت." محمد جلال كشك، "السعوديون و الحل الاسلامي" ص٥٨١.

على المعسكرات البريطانية في قناة السويس في سبيلهم لطردها كان الامير فيصل بن عبد العزيز نائب الملك في الحجاز الذي سيصير ملكا فيما بعد يرى ان تلك الاعمال ليست من الحكمة[١] في شئ و ان اللجوء الى المقاومة السلبية على طريقة غاندي في الهند هو انجح السبل لطرد الاحتلال و هي ملاحظات لم يغفرها له من قاموا بثورة يوليو بعدها ببضعة اشهر و ظلت القيادة المصرية تتعامل معه لأكثر من عشرين سنة بعدها على انه عميل صغير من مخلفات الاستعمار البريطاني ينبغي العمل على ازالته. كانت نصيحة فيصل باتباع مذهب غاندي امتدادا لسياسة ابيه عبد العزيز الذي رفض قبلها باشهر طلب ملك مصر منه التوسط للصلح بينه وبين بريطانيا طالما استمرت المقاومة المصرية المسلحة للاحتلال البريطاني في قناة السويس. كانت نصيحة فيصل امرا مستغربا من رجل طالما تباهى اباه على الملأ بان "الارض اخذناها بسيوفنا و ليس لاحد فضل علينا."

بلغت المؤسسة الدينية الحكومية في نجد في تلك الحقبة احد اشد مراحل الفكر الانفصالي المعادي للاسلام و المسلمين في ولائها لاتفاقية سايكس بيكو و الدول العظمى كما تبين رسالة مفتي السعودية في نهاية القرن العشرين عبد العزيز بن باز التي وجهها للمحدث احمد شاكر المصري سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٠م بمناسبة فتوى احمد شاكر بقتل رعايا بريطانيا في ذروة ثورة المصريين ضد الاحتلال البريطاني حيث اباح ابن باز تقسيم ديار الاسلام و اجاز لحكام الدويلات الانفصالية ابرام معاهدات صلح منفردة مع النصارى و حرم على مسلمو الجزيرة نصرة غيرهم من المسلمين المقهورين من

---

[١] د/خالد بن عبد الرحمن الجريسي،"من وثائق العلاقات المصرية السعودية في عهد الملك عبد العزيز" ص١٨١١.

البريطانيين في الولايات الاخرى بقوله:"من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ في الله والمحبوب فيه الشيخ الفاضل العلامة أحمد شاكر زاده الله من العلم والإيمان.

قرأت كلمة الحق (عنوان المقال) المنشورة في مجلة الهدى الصادرة في ربيع أول سنة ١٣٧١ وجدت فيها مواضع لم تظهر لي حجة ما اعتمده فضيلتكم فيها وأحببت مذاكرتكم في ذلك ؛ ليظهرالصواب للجميع؛ أداءاً لواجب التناصح ، والإخوة الإيمانية جعلني الله وإياكم من الذين يهدون بالحق وبه يعملون وهذا بيان المواضع:

الأول :قلتم في صفحة ١٣ "يجب على كل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يحاربهم وأن يقتلهم حيثما وجدوا مدنيين كانوا أو عسكريين" الخ .أقول هذا التعميم والإطلاق فيه نظر ؛ لأنه يشمل المسلمين الموجودين في مصر وغيرهم .والصواب أن يستثنى من ذلك من كان من المسلمين رعية لدولة أخرى من الدول المنتسبة للإسلام التي بينها وبين الانجليز مهادنة ؛ لأن محاربة الإنجليز لمصر لاتوجب انتقاض الهدنة التي بينها وبين دولة أخرى من الدول الإسلامية ، ولا يجوز لأي مسلم من رعية الدولة المهادنة محاربة الإنجليز لعدوانهم على مصر وعدم جلائهم عنها. "[1]

ارتكز جزء من التنشئة العقائدية في تلك العقيدة المستحدثة على سب و تبديع جميع علماء المسلمين و سلاطينهم الذين سبقوا الدولة السعودية بغرض ابراز محاسن عبد العزيز آل سعود و رجال الدين

[1] الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء ص٥٩٣-٥٩٥

الحكـوميين مـن آل الشـيخ. كـان انتقـاد اخطـاء السـابقين و انحرافـاتهم العقائديـة عمـلا جلـيلا بـلا شـك لـو لم يكـن المسـتهدف بالتعـديل بعـد جـرح مـن سـبقوه هـو حـاكم خاضـع للنصـارى. كانـت كـثيرا مـن الانتقـادات الموجهـة لصـلاح الـدين الايـوبي و بيـبرس و قطـز و كـونهم اشـاعرة قبوريـون حقيقيـة و لكنـهم حمـوا البيضـة و زادوا عـن الـديار بمـا فيهـا الجزيـرة لكـي يسـتطيع امثـال ابـن تيميـة و ابـن القـيم و ابـن رجـب مـن بعـدهم ان يقفـوا في مسـاجد مصـر و الشـام المملوكيـة و يخطبـوا في النـاس، و قـد يكـون اهـل نجـد و الحجـاز مـن اتبـاع لـورنس اللـوطي و ابـو كـيم اللـوطي حـافظين لكتيـب الورقـات في الاسمـاء و الـذات و الصـفات و لكنـهم سـلموا الجزيـرة للنصـارى و جعلوهـا منطلقـا في قلـب الامـة ينفـذون منـه لأخـذ بغـداد و بيـت المقـدس و الشـام (منـذ الحـرب العالميـة الاولى حتـى اليـوم) ليـذبحوا ابنـاء المسـلمين و يسـتحيوا نسـاءهم و ليقـف قساوسـة كنـائس التنصـير في شـوارعهم فيمـا تقصـف مسـاجد بغـداد و القـدس بالمـدافع و يسـجن ائمتـها، فكـان عمـل اهـل الجزيـرة وبـالا علـى الامـة بـاكثر مـا فعـل العبيـديين الفـاطميين و ابـن العلقمـي مجـتمعين. و بـلا شـك ان الجنـرال شـوارتزكوف و رمسـفيلد الـذين حكمـا جزيـرة العـرب لفـترة في عهـد ابنـاء عبـد العزيـز آل سـعود لم يكونـا بافضـل لاهـل الاسـلام مـن النـووي الاشـعري او ابـن حجـر العسـقلاني المـؤول لـبعض الصـفات مهمـا ادعـى مروجـو "العقيـدة النجديـة" و لا شـك ايضـا ان ابـا الحسـن الاشـعري و الجـويني[1] كانـا -علـى اخطائهمـا العقديـة- اقـرب للاسـلام مـن بيرسـي كـوكس و ابـي كـيم اللـوطي مؤسسـا الدولـة السـعودية الثالثـة. مـن ناحيـة اخـرى كـان ادعـاء اعـراب نجـد و تمسـكهم بـانهم هـم وحـدهم

[1] الاشـعري و الجـويني: مـن كبـار علمـاء القـرون الخمسـة الاول، اخـذ علـيهم تأويـل الصـفات الالهيـة علـى غيـر ظاهرهـا مـن الكتـاب و السنة بالمخالفة للعقيدة الصحيحة.

الموحـــدون و غيرهـــم مـــن مســـلمو العـــالم كفـــار فيمـــا هـــم يعملـــون بـــامرة بريطانيـــا لتفتيـــت الامـــة الاســـلامية و طعنـها في قلبـها طعنــة قــد لا تفيــق منــها لقــرون دلــيلا علــى عظمــة القــرآن الــذي وصــفهم قبلــها باربعــة عشــر قرنــا بــانهم" اشــد كفــرا و نفاقــا" (النفــاق شــرعا هــو اضــمار الكفــر مــع ادعــاء الاســلام) . و لا يظــن ان اي جماعــة في تــاريخ الاســلام اضــمرت كــل هــذا الــبغض و الحقــد علــى الاســلام و اهلــه مــع علــو صــوتها بادعــاء التوحيد و السلفية و الايمان مثلما فعل اهل نجد .

تــولى ســعود بــن عبــد العزيــز الحكــم بعــد ابيــه و بــدأ عهــده بجلــب الحمايــة و التمويــل لدولتــه الفقــيرة الناشــئة عــن طريــق تجديــد عقــد اتفاقيــة القاعــدة الاميركيــة في الظهــران لمــدة خمــس ســنوات مقابــل خمســمائة مليــون دولار[١] و تصــدى اثنــاء حكمــه لمحــاولات الوحــدة بــين مصــر و ســوريا و دعــم دعــاة الانفصــال في ســوريا كمــا شــجع قبلــهم الانفصــاليين العنصــريين الســودانيين في ســعيهم للانفصــال عــن مصــر و اســتقدم عــددا مــن ضــباطهم لتــدريب جيشــه حتــى يــتمكن مــن رشــوتهم و تكــوين راي عــام معــادي لمصــر في الجــيش الســوداني الــوهمي الــذي سيتســلم الحكــم بعــد خــروج بريطانيــا .كــان المســلمون العــرب الســنة الخــارجين عــن الســيطرة التامــة للغــرب هــم المســتهدف الاول بالعــداء الســعودي في عهــد ســعود كمــا كــانوا في عهــد ابيــه و بمــا ان مصــر حــوت الثقــل الســكاني و العســكري للعــرب الســنة في ذلــك الزمــان فقــد حظيــت بالنصــيب الأكــبر مــن المــؤامرات الســعودية بغــض النظــر عــن المجــاملات العلنيــة و "العلاقــات الاخويــة الشــقيقة" . و عنــدما ارســل

---

[١] الامير طلال بن عبد العزيز آل سعود،"شاهد على العصر"، قناة الجزيرة.

جمال عبد الناصر[١] قوات لتغيير النظام الامامي في صنعاء و طرد البريطانيين من عدن تصدى له سعود و رئيس وزراءه الحاكم من وراء الستار فيصل بن عبد العزيز لانه "قومي عربي[٢] كافر" يؤيد الخوارج على اولياء الامور الشرعيين الشيعة باليمن و قاما بتمويل النظام الامامي المتعاون مع بريطانيا و اميركا في حرب جهادية ممتدة على طريقة "هبت رياح الجنة" ايام عبد العزيز و اخوان الانكليز. و كما حدث اثناء الحرب الافغانية بعدها بسنوات تم تجنيد الآلاف من اليمنيين العاملين بالمملكة بدعوى الجهاد تحت راية الامام اليمني الزيدي ضد جمال عبد الناصر الكافر و تبارى علماء الحكومة السعودية في اصدار الفتاوى المؤيدة لتلك التوجهات فيما كانت طائرات اهل الكتاب الاميركيين تحلق في سماء جدة لحماية اراضي الحرمين من المصريين المشركين لئلا تتكرر وقائع سقوط الامارة السعودية الاولى.

تآمر نظام سعود/ فيصل المزدوج و الاردن[٣] و بريطانيا على خطة تقوم بموجبها طائرات اردنية بعبور الاجواء السعودية و ضرب القوات المصرية في اليمن و تهبط في القاعدة البريطانية في عدن لعدم وجود امكانات تقنية تتيح التزود بالوقود جوا للعودة للاردن في تلك الايام من الستينات، الا ان سهل حمزة

---

[١] تغير حال عبد الناصر بعد بداياته المشبوهة كما حدث مع الشريف حسين في نهاية حكمه حيث بدأ جمال يخرج عن الاطر المرسومة له قليلا لما رآه من شعبية عارمة وسط جماهير العرب السنة و غيرهم من المسلمين اقنعته بوجود مصادر للقوة غير المحسوبة لدى الامة العربية و المسلمين من ورائها في مواجهة دول الغرب النصرانية فبدأ يلعب دور الزعيم التحرري الكبير.

[٢] افتى علماء السعودية بان الدعوة للقومية العربية كفر و صنفوا في ذلك التصانيف فيما تغاضوا عن الدعوة للقومية العصبية النجدية او "السعودية" التي حمل لواءها عبد العزيز و اعقابه.

[٣] قام فيصل و سعود فور تدخل مصر ضد بريطانيا و الاماميين في اليمن بتناسي خلافاتهما التاريخية مع الهاشميين بالاردن و ابرموا اتفاق قيادة الاركان المشتركة المعروف باتفاق الطائف ١٩٦٢. كما اعادت السعودية علاقاتها مع بريطانيا و التي كانت قد قطعت عقب النزاع الحدودي على واحة البريمي . و كان عبد العزيز قد شب على الطوق و تمرد على بريطانيا اعتمادا على حماية القوى العظمى العالمية الجديدة (اميركا) له و وعدهم ببيع بترول منطقة البريمي المحتلة بريطانيا في عمان لشركاتهم ان استطاع استخلاصها من قبضة بريطانيا عن طريق رشوة شيوخ قبائلها.

قائد سلاح الجو الاردني اضمر في نفسه رفض الخطة و فر قبل التنفيذ بيوم و لجأ لمصر كاشفا المؤامرة في مؤتمر صحفي بعد هبوطه بمطار القاهرة فقامت الطائرات و البحرية المصرية بضرب جيزان و جنوب المملكة بالنابالم عقابا لها مما دفع سعود و فيصل لجلب طيارين مرتزقة بريطانيين[١] كونوا نواة القوات الجوية السعودية لحراسة اجواء الحرمين كما حلقت طائرات اميركية في استعراضات جوية ضخمة فوق الرياض و جدة و بعث الرئيس الاميركي كينيدي برسائل تؤكد حرص الولايات المتحدة على "وحدة اراضي المملكة". كان تدخل كينيدي بصفته حامي الحرمين الشريفين خلفا لبريطانيا و حاجة الدويلة السعودية الانفصالية لمن يحميها بصفة دائمة توكيدا للمبدأ الذي ارساه الاحتلال البريطاني القديم على لسان رونالد ستورز السكرتير الشرقي(رئيس المخابرات) لحاكم مصر البريطاني اثناء تدبيره لتسليم الحجاز للشريف حسين عندما قال "ان وضع اهم السلطات و المرجعيات و المقدسات الاسلامية في يد اضعف امارة من الناحية المادية (بعد طرد العثمانيين) هو امر يصب في مصلحتنا بلا شك".[٢] في اعقاب تلك الحوادث تدنت سمعة سعود لدرجة ان اطفال المدن المصرية استبدلوا اغاني سب الانكليز و اليهود القديمة التي كانوا يرددونها اثناء لهوهم باغنية "يا سعود يا سعود . . .ياعدو العرب يا حبيب اليهود."

---

[١] كان جلب البريطانيين ردا من فيصل على قيام اربعة من الطيارين السعوديين المكلفين بنقل سلاح اميركي للحكم الامامي المتحالف مع بريطانيا في اليمن بتحويل طائراتهم بحمولتها الى مطار اسوان بمصر.

[2] Ronald Storrs,"Orientations, the memoirs of Sir Ronald Storrs" P.167

كان سعود في بداية حكمه قد طمع في واحة البريمي الحدودية مع عمان لما عرف عن احتوائها على احتياطي ضخم من البترول و حاول الاستيلاء عليها لبيعها لشركات النفط الاميركية رغم وقوعها تحت الحماية البريطانية، و ادى به عجزه عن اخذها الى القيام بعدة مغامرات اغضبت الولايات المتحدة منه. كانت اولى تلك المناورات ابرام معاهدة دفاع مشترك صورية مع جمال عبد الناصر و استقدام بعثات تدريب عسكرية مصرية كما هدد بشراء سلاح روسي ان لم يلب الغرب طلباته. فضلا عن ذلك قام سعود لفترة وجيزة بارسال سلاح لثوار جنوب اليمن في عدن كيدا في بريطانيا التي حرمته من بترول البريمي. تم تهميشه وقتها في ١٩٥٨ و نزع صلاحياته و اختير ولي عهده فيصل رئيسا للوزراء و ملكا فعليا. لم يكن سعود بن عبد العزيز بالكفاءة المطلوبة للعب دوره في خطة الولايات المتحدة للتصدي لمصر و الوحدويين العرب و يبدو ان بعض "الوساوس" كانت تنتابه احيانا بشأن دوره كملك مستقل فامرت الولايات المتحدة رئيس وزرائه فيصل بعزله نهائيا، فقام في ١٩٦٤ عقب عودة سعود من مصر حيث كان يحضر اجتماعا ابدى فيه توافقا مع جمال عبد الناصر[١] باستصدار قرار بصم عليه آل الشيخ و كبار العلماء بوجوب نزع سلطات الملك و بقاءه ملكا صوريا "لاسباب شرعية". لم تعلن الاسباب الحقيقية لتنحية سعود و لكنه انتقل بعد خروجه من المملكة للاقامة بمصر لفترة ثم استقر باليونان حيث مات.

---

[١] ربما املا في التخلص من سطوة ولي عهده الحاكم الفعلي فيصل و اخوانه و سيطرتهم على الحكم.

في بداية يناير ١٩٦٣ قصف الطيران المصري نجران ردا على المؤامرات السعودية الاميركية المنطلقة من جنوب المملكة ضد اليمن فقامت الطائرات الاميركية باستعراض جوي فوق جدة في ١٥ يناير و ظهرت مدمرة اميركية في ميناء جدة لتحذير جمال عبد الناصر و ارسل الرئيس الاميركي كينيدي لفيصل يتعهد بحماية المملكة و الحرمين. قام فيصل بمد شبكة طرق عاجلة الى جنوب عسير على مقربة من الحدود اليمنية لامداد الاماميين بالمؤن و السلاح و خوفا من امتداد العمليات الى الاراضي السعودية، كما قامت القوات الجوية الاميركية بارسال سرب من المقاتلات و القاذفات الى قاعدة الظهران و انشاء قاعدة جوية في خميس مشيط جنوب المملكة لتدير منها الدعم للقبائل اليمنية الحليفة. تولى مقاول من اصل يمني مقرب من فيصل يدعى محمد بن لادن تنفيذ الطرق المحاذية للحدود اليمنية و بعض المقاولات بالقاعدة الاميركية حتى سبتمبر١٩٦٧حين احترقت به طائرته[1] في منطقة عسران الجبلية[2] على بعد حوالي سبعين كيلومترا من الحدود اليمنية اثناء اشرافه على انشاء احد تلك الطرق.

[1] مات محمد بن لادن في اللحظات الختامية للحرب المصرية البريطانية على اراضي اليمن و السعودية و تحررت حضرموت مسقط راسه من الاحتلال الانكليزي بعد موته بثلاثة اشهر و لم تجدي الطرق و القواعد التي بناها لا في اطالة عمر الاحتلال البريطاني و لا الحكم الامامي في شمال اليمن و لو ان رشاوى فيصل نجحت في تحييد الجناح القومي الوحدوي العربي المؤيد من مصر في جنوب اليمن و دعمت استيلاء الشيوعيين الانفصاليين على الحكم كما دعمتهم لاحقا في حرب الانفصال اليمني سنة ١٩٩٤ عقابا لصنعاء على تاييدها لصدام حسين عملا بمبدأ "عدو عدوي صديقي" و لو كان شيوعيا.
[2] كانت تلك المنطقة من جنوب المملكة ساحة امداد و تجمع خلفية للقبائل الامامية كما كانت بيشاور الباكستانية للافغان.

سمحت المملكة اثناء الحرب بمرور سلاح من شاه ايران و من باكستان[1] و بريطانيا للاسرة الحاكمة الزيدية كما سمحت بمرور خبراء مرتزقة اوروبيين من فرنسا و بريطانيا و روديسيا و بلجيكا من الذين سبق لهم القتال في الجزائر و ماليزيا و الكونغو لتدريب قوات القبائل الامامية. و قد اعترف شاباتاي شافيت رئيس الموساد الاسرائيلي و اريل شارون بقيام طائرات شحن تابعة للقوات الجوية الاسرائيلية المقلعة من قاعدة تل نوف باسقاط مؤن و ذخائر للقبائل الامامية بعد المرور بالسعودية في طلعات عديدة على مدار عامين فيما اعلنت السعودية انها لم تكن تعلم.[2] من ناحية اخرى قام عبد الناصر بزيارة اليمن في ربيع ١٩٦٤ و تعهد باخراج الانكليز من الجنوب. في يونيو ١٩٦٦ حذرت روسيا الشيوعية[3] جمال عبد الناصر من عدم رضاها عن انتقال الحرب الى الاراضي السعودية. لم يهتم جمال عبد الناصر كثيرا و دعم تفجيرات قامت بها جماعة اتحاد شعب الجزيرة في الرياض و الدمام في الاشهر التالية.في فبراير ١٩٦٧ اعلن الامير حسين بن احمد (الامامي) استعداده للقتال "لخمسين سنة ضد عبد الناصر (السني اسما) كما قاتلنا العثمانيين[4] الاتراك"[1](السنة اسما ايضا) و فاته ان يقول "و

---

[1] كان الجنرال ايوب خان حاكم باكستان اثناء احداث حرب اليمن ضابطا امضى عمره في الجيش البريطاني و كان معاديا بشدة للاسلام و حكم الشرع في باكستان على الطريقة الاتاتوركية لدرجة انه منع تعدد الزوجات الا بإذن الزوجة الاولى و اجر قاعدتي بيشاور و بادابر لاقلاع طائرات التجسس الاميركية ضد الاتحاد السوفيتي.

[2] قبضت المخابرات المصرية باليمن على جواسيس اسرائيليين من اصل يمني عادوا لليمن لتدريب جيش الامام و ادعوا ان ما دفعهم للعودة هو "حبهم لليمن" و اعترفوا انهم دخلوا البلاد بتسهيلات عبر الاردن ثم السعودية. تم محاكمة احدهم (باروخ مزراحي ذو الاصل المصري) بالقاهرة عقب اعتقاله في صنعاء و حكم عليه بالسجن بعد محاكمة شهيرة و ظل سجينا لسنوات الى ان بادله السادات باسرى فلسطينيين بعد حرب اكتوبر.

[3] لم تكن هذه اول مرة تدعم روسيا فيها المملكة فقد كانت روسيا الشيوعية من اول الدول التي اعترفت بقيام المملكة العربية السعودية بعد هزيمة الشريف حسين. و فيما كانت روسيا من اول الدول التي اعترفت بقيام اسرائيل لما بين شيوعيو اسرائيل و روسيا من روابط، و اعترفت بمصر و الجزائر لوجود شيوعيون في مجالس قيادة الحركات الثورية لتلك الدول، لم يكن مفهوما مسارعة روسيا الشيوعية الثورية الملحدة بالاعتراف بدولة ملكية تدعو لتطبيق شريعة معادية لكل ما تنادي به الشيوعية مع العلم ان المملكة يومها كانت احدى افقر دول العالم حيث لم يكن البترول الذي تعد روسيا دولة مصدرة له قد اكتشف في اراضي المملكة بغزارة.

[4] قاتل الائمة الزيديون الدولة العثمانية قبل الحرب العلمية الاولى بالتعاون مع ايطاليا التي سلحت ائمة صنعاء و اهل عسير لفتح جبهة ضد العثمانيين و اشغالهم عن التصدي لمحاولات ايطاليا احتلال ليبيا و البانيا.و قاتل عدد من اليمنيين و اهل عسير في صفوف الجيش الايطالي في ليبيا ضد العثمانيين و اهل ليبيا ثم عادوا لقتال العثمانيين في اليمن. بعدما عجزامام صنعاء عن

كما قاتل اجدادي حملة صلاح الدين الايوبي " . في نفس السنة نجح اليمنيين الذين سلحهم الجيش المصري في دفع الانكليز للرحيل بعد قرن و نصف[٢] من الاحتلال رغم انف فيصل. انتهت مخاوف فيصل في تلك السنة بعد اندلاع حرب ١٩٦٧ بين مصر و اسرائيل و التي كان من نتائجها احتلال سيناء و ابعاد الجيش المصري عن اقرب نقاط التماس مع المملكة عبر خليج العقبة و منعه من دخول سيناء باي اعداد ذات قيمة بعد خروج اسرائيل.

تلقي ملابسات حرب يونيو شكوكا كثيرة حول دوافعها فقد بدات ارهاصاتها بطرد جمال عبد الناصر لقوات الطوارئ الدولية من سيناء و اعلانه وقف مرور السفن الاسرائيلية من خليج العقبة و هو الامر الذي كان متوقفا بالفعل لسنوات مضت. تضمنت اجراءات منع الملاحة الاسرائيلية ارسال قوات مصرية لحراسة مضيق تيران على بعد عشرة كيلومترات من الاراضي السعودية. لم تكن القوات التي ارسلها جمال عبد الناصر لسيناء (١٠٠ الف جندي و الف دبابة) كافية لالقاء اسرائيل في البحر كما كان يردد و لكن ما صاحب ذلك التحرك من تواجد قوات مصرية في الاردن و تسليم قيادة الجيش الاردني للواء المصري عبد المنعم رياض ،و وجود قوات مصرية في اليمن تغير احيانا على الاراضي السعودية في عسير، و اعلان الكويت لحالة الطوارئ في جيشها في نفس التوقيت-تحسبا لاي

---

هزيمة العثمانيين وقع معهم ما عرف بصلح دعان تركوا له بمقتضاه الشؤون الداخلية و القضاء المحلي و تولى العثمانيون الشؤون الخارجية و الجيش حتى اجلاهم الجيش البريطاني بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى. و كانت تلك الثورة في البداية احد اهم اسباب اشغال الدولة عن الدفاع عن ليبيا و مناطق اخرى في البلقان.

[١] كانت انتفاضات ائمة الشيعة الزيدية المتالية في اليمن ضد العثمانيين مثار انتباه الغرب حتى ان البابا بيوس الثاني بابا الفاتيكان راسل امام الزيدية و شاه الروافض الصفويين في ١٥٧٢ للانتفاض ضد الدولة العثمانية لاشغالها عن تجهيز حملة ضخمة ضد ايطاليا للانتقام من هزيمة ليبانتو.

[٢] كان سلطان لحج صاحب عدن قد باع المدينة للبريطانيين و دخل تحت حمايتهم خوفا من استيلاء الجيش المصري عليها في منتصف القرن التاسع عشر، و ظل هو و خلفاءه يتلقون راتبا شهريا بلغ خمسمائة ريال نمساوي لاكثر من خمسين سنة ثمنا لعدن بعد بيعها.

تحركات عراقية في اتجاه الجنوب- بالنظر للعلاقة القوية التي ربطت الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف بجمال عبد الناصر كلها امور توحي بشبكة واسعة تستهدف الامارة السعودية الانفصالية اكثر منها اسرائيل، و هو ما يقوي الظن بان الضربة الاسرائيلية في ١٩٦٧ كانت لحماية السعودية اكثر مما كانت لوقاية اسرائيل. و يعضد هذا الراي ان حشدا مماثلا للقوات المصرية حول مضيق تيران مقابل السواحل السعودية في ١٩٥٦ اعقبه غزو بريطاني فرنسي اسرائيلي لمصر.[١] كان هذا منطقيا بالنظر لان جيوش الدويلات التافهة مثل الجيش السعودي او الجيش الاردني لم تكن قادرة على التصدي لاي غزو جدي لاكثر من ساعة مما كان سيحتم تدخل الولايات المتحدة او بريطانيا مباشرة. كانت تصريحات الصحافيين المقربين من جمال عبد الناصر التي تقول ان الطريق لفلسطين يبدا من الرياض تلقي ظلالا من الريبة في اعين الولايات المتحدة على اهداف القيادة المصرية من حشد لتلك القوات على بعد بضعة خمسة كيلومترات من الحجاز.

---

[١] في الاغلب ان تهديد شمال الحجاز كان سبب حرب السويس و ليس تاميم قناة السويس التي كان عقد امتيازها على وشك الانتهاء، كذلك لم يكن الجيش المصري قادرا في هذا الزمان على هزيمة الجيش الاسرائيلي في اي مواجهة و لم تكن اسرائيل تعتمد على منفذها الجنوبي عبر مضيق تيران لاي مرور بحري ذي قيمة. كان الفريق عزيز باشا المصري القائد السابق لجيش الشريف حسين و قيادي التشكيلات المخصوصة السابق احد اهم المستشارين العسكريين لجمال عبد الناصر في تلك الفترة و ينسب اليه وضع خطة انسحاب الجيش المصري من سيناء. و يبدو ان تلك السياسة هي امتداد لخطة اوروبية قديمة لعزل الجزيرة و جعلها اسفينا بين شطري الامة الاسلامية؛ فقد ادى مرور السفن العسكرية العثمانية الى الحجاز لاول مرة بعد افتتاح قناة السويس الى احتلال بريطانيا لمصر بعد ما يقرب من عشر سنوات للتحكم في ذلك المرور، ثم ادى مد خطة سكة حديد الحجاز الى المدينة الى تمويل بريطانيا لحركات تمرد واسعة بين عرب الجزيرة للقضاء على الوجود العثماني هناك ثم اتبعتها بانهاء ذلك الوجود و القضاء على الدولة باكملها قبل الانتهاء من الخط و بعد ما يقرب من عشر سنوات ايضا من البدء في العمل في الخط الحديدي. و فضلا عن العامل العسكري الجغرافي فان سيطرة اي دولة قوية غير خاضعة للنصرانية الغربية على مكة و المدينة يحيي شعارات الخلافة و وحدة الامة و هو الامر الذي حاربه الغرب لقرون. و يمكن النظر لقيام بريطانيا باخلاء السودان من الجيش المصري نفس سنة وصول عبد العزيز السعودي لحكم الحجاز ١٩٢٤ من نفس منطلق حماية الدويلة السعودية من جيش مصري متمركز على طول السواحل المقابلة للحجاز لم تكن ميليشيا دراويش عبد العزيز قادرة على التصدي له لو عبر الاميال القليلة التي تفصله عن جدة.بل و ربما كان افتعال السودان لازمة مثلث حلايب المقابل لجدة على البحر الاحمر محاولة مدفوعة من الولايات المتحدة او الرياض لزحزحة الجيش المصري او صواريخه متوسطة المدى بعيدا عن العمق الاستراتيجي للحجاز في وقت اشتدت فيه هجمات الاسلاميين ضد النظام المصري.

يقال ان فيصل كان احد من حرضوا الادارة الاميركية لتسمح لاسرائيل بخوض الحرب ضد مصر وقتها[1] كما سيحرض خلفاؤه الولايات المتحدة على شن الحرب ضد العراق في السنوات التالية خاصة ان سلوكه كان مريبا وقت احتدام الازمة. و فيما اعلنت الكويت البعيدة و السودان التعبئة العامة سافر فيصل الى بريطانيا و لم يعد الى الرياض الا بعد القضاء على سلاح الطيران المصري مما يلقي ظلالا من الشك على علمه بتوقيت الضربة الاسرائيلية و هربه الى بريطانيا خوفا من ضربة جوية مصرية انتقامية على قصره.[2] يومها اعلن جمال عبد الناصر ان اساطيل الولايات المتحدة "تتحرك ببترول عربي و تنطلق من قواعد عربية"[3] مشيرا الى السعودية. قام فيصل ردا على الاتهامات التي كيلت له من الراي العام الاسلامي و العربي بالعمالة للغرب باعلان مسرحي للجهاد ضد اطراف غير معلومة في خطبة علنية اعقبت الغارات الاسرائيلية و ارسل كتيبة رمزية الى الاردن وصلت بعد انتهاء الحرب، فيما طلب السفير الاميركي في المملكة هيرمان ايليتس من وزارة الخارجية الاميركية تفادي اي مظاهر في الاسابيع القادمة توحي "بعمق العلاقات التي تربط الملك فيصل بالولايات المتحدة، و يفضل التنويه بان صداقة الملك فيصل للولايات المتحدة في الماضي كانت دائما تخدم المصالح العربية،

---

[1] لم يقتصر تحريض فيصل لاميركا لحرب مصر على سنة ١٩٦٧ بل و ينقل كبار ضباط المخابرات الاميركية ان "السعوديين حذرونا (قبل حرب ١٩٧٣ مباشرة) بعد عودتهم من القاهرة ان السادات مجنون و سيقوم بعمل خطير ان لم تتغير الامور" (ربما بتصفيته).

Richard Bordeaux Parker," The October war: A retrospective",p.127

[2] لعله شك في احتمال صحة امتلاك مصر لصواريخ قادرة على بلوغ الرياض من قبيل صواريخ "ظافر" و "قادر" الوهمية التي كان يروج لها جمال عبد الناصر خاصة ان المشير السلال رئيس اليمن حليف جمال عبد الناصر كان يتباهى بان اليمن لديها صواريخ قادرة على بلوغ القصور الملكية في الرياض.

[3] "خطاب التنحي"، جمال عبد الناصر ١٩٦٧/٦/٩.

وبلا شك انه من مصلحتنا في الوقت الحالي ان ندعم فيصل و اشباهه من الاطراف المعتدلة في الشرق الاوسط"[١].

استمر فيصل في سياسته العامة على النهج القديم و تحالف اثناء حكمه مع كثير من الاطراف المضادة للمسلمين بمن فيها الكتائب اللبنانية و اسس في ١٩٦٥ تحالفا مريبا مع شاه ايران و حسين الاردني دعاه "الحلف الاسلامي" كما تصدى خفية لمحاولات توحيد البلاد العربية تحت اي راية. ساعد اضطلاع بريطانيا و من بعدها اميركا بتكلفة الدفاع الحقيقية عن المملكة فيصل على تحصيل فائض نقدي استخدمه في تشجيع العمليات المخابراتية الدعائية[٢] في المنطقة و اشتهر ربيبه كمال ادهم رئيس المخابرات السعودية كرجل المخابرات الاميركية الاول في الشرق الاوسط. كان فيصل في صباه ربيب[٣] الحاج جاك فيلبي الاثير الى قلبه "ولذلك اشار فيلبي على الملك عبد العزيز في ١٩١٩ ان يرسل فيصل في مهمة رسمية تستمر بضعة اشهر في لندن دعته بريطانيا اليها و ان يكون فيلبي مستشارا لفيصل اثناء تلك الزيارة. حمل فيصل يومها تهانئ ابيه للعرش البريطاني بانتصاره على العثمانيين و استعادته للقدس و احتلال بريطانيا للعراق و فلسطين و الاردن. لم تكن سن فيصل تؤهله

---

[1] Telegram From the Embassy in Saudi Arabia to the Department of State," 13 June 1967, in *FRUS, 1964-1968*, vol. XXI, p. 564

[٢] كانت جهود فيصل موجهة في المقام الاول و الثاني و الثالث ضد قادة الدول السنية الكبيرة المجاورة، كما مولت حملات دعاية عبر العالم الاسلامي للملكة بصفتها حاملة راية التوحيد بقية السلف الصالح و للملك فيصل الخليفة الراشدي السادس او امام المسلمين كما سماه آل الشيخ (عنوان المجد ج٢،ص٥٨هـ، ط٤ ،تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ)، كما مولت بموافقة اميركية جهود نشر العقيدة النيوسلفية النجدية المهادنة للغرب في الدول العربية المجاورة.

[٣] اصطحب (الحاج) جاك فيلبي الامير فيصل الصغير الى رحلة في بريطانيا تلقى خلالها جولة في ساحات اجهزة المخابرات البريطانية و ربما تم تعريفه على العلوم الخاصة بولاة الامور (النصارى) مثل عمليات "الكنترول". و قد اورد الحاج جاك فيلبي صورا له تجمعه بفيصل امام مركز المخابرات البريطانية في كتابه "اليوبيل العربي" الطبعة الاولى.

لان يتحمل اي مهام سياسية اذ لم يكن آنذاك قد تجاوز الرابعة عشر من عمره و هو عمر تلميذ في الصف الثاني المتوسط، و قد استمر نفوذ فيلبي في السياسة الخارجية السعودية بعد تأسيس وزارة الخارجية السعودية عام ١٩٣١ و اختيار فيصل ذو الست و عشرين سنة وزيرا لها بتزكية من فيلبي نفسه". [١]

اثناء حكم فيصل للبلاد كرئيس وزراء للملك سعود المهمش في آخر ايامه تسارعت وتيرة العلمنة و نزع ما بقي من اقنعة ادعاء الحكم الاسلامي و اتخذ قرارا بتشغيل محطة تليفزيونية تابعة للدولة مما اثار استياء بعض السلفيين. ضمن من عارضوا التوجهات الجديدة بشدة امير من ابناء اخوة الملك اسمه خالد بن مساعد بن عبد العزيز ال سعود .كان الامير خالد خطيبا من اهل العلم و زميلا لمن صار لاحقا مفتي الدولة بن باز . اثارت انتقادات خالد بن مساعد غضب وزير الداخلية فهد بن عبد العزيز فاستصدر امرا من فيصل بالتعامل معه و ارسل من قتله في منزله سنة ١٩٦٥ بعد سنة من تولي فيصل للحكم. بعدها بعشر سنوات في ١٩٧٥ قام الامير فيصل بن مساعد بن عبدالعزيز الاخ الاصغر للقتيل و ابن اخو الملك فيصل بقتل الملك قصاصا لأخيه و جده[٢]. اعلنت اجهزة الاعلام السعودية ان القاتل امير فاسد موتور مختل عقليا ارسله الاميركيون لقتل الامام العادل قبل ان يحرر

---

[١] ناصر الفرج، "قيام العرش السعودي: دراسة تاريخية للعلاقات السعودية البريطانية"، ص٥٢، الصفا للنشر و التوزيع، لندن.

[٢] الامير فيصل بن مساعد بن عبد العزيز هو ابن وطفا بنت محمد بن طلال الرشيد آخر حكام شمر الذين تصدوا للانكليز و اعوانهم في الجزيرة و قتل في الرياض سنة ١٩٥٤ (كما حدث في حالات اخرى غامضة لامراء آل الرشيد اثناء الحكم السعودي) و نسب قتله الى سعود و فيصل ابني عبد العزيز.

القدس و عرضت صورة قديمة للامير فيصل جالسا في مكان عام مع طالبة اميركية اثناء دراسته باميركا كدليل على انه عميل للمخابرات الاميركية. اذيع بعد قتل الامير فيصل بن مساعد بيان من الديوان الملكي قيل فيه : ان القاتل اعترف و اصر على اعترافه في المحاكمة السرية التي اقيمت في القصر "و اصر على مبادراته المنحرفة، و على رفضه للدين الاسلامي الحنيف و شريعته الغراء، و اعترافه ان الدافع لجريمته هو اعتقاده بان الفقيد الشهيد فيصل بن عبد العزيز كان هو الزعامة العالمية التي تدعو لاستمرار الدين الاسلامي و نشره في العالم، و انه يفضل انهاء الدين الاسلامي تماما لانه يساعد على الاتكالية و يعطل عجلة التطور و انه اقدم على قتل الملك الشهيد من اجل تغيير الدين الحنيف، و انه لا يرى داعيا لاقامة الشعائر الاسلامية مثل الصلاة و الصيام و الحج، و يعتقد ان على الدولة ان تمنع الناس من الصلاة في المساجد، لكل ذلك اصدرت المحكمة الشرعية حكمها باعدامه حدا اذ وجدته باعترافاته التي اصر عليها محاربا للاسلام، و ان الجريمة التي نفذها هي جزء من اهدافه لمحاربة الاسلام و القضاء عليه، و انه لذلك يكون من اعظم المفسدين في الارض المحاربين لله و رسوله، و اعتقاداته هذه تخرجه من الاسلام و تبيح دمه."[١]

قيل الكثير عن توجه المملكة الاسلامي في عهد فيصل و استعداده لفتح القدس[٢] و ما الى ذلك من الدعايات الموجهة و الاوهام. لم يكن للملكة منذ تأسيسها اهتمام حقيقي بفلسطين و القدس الا من

---

[١] جريدة السياسة ١٩٧٥/٦/١٩، جريدة اليمامة ١٩٧٥/٦/٢٠.عبد الرحمن ناصر الشمراني،"فيصل القاتل و القتيل"، ص ٦٧، دار الانسان- بيروت، الطبعة الاولى.

[٢] لا تبعد ايلات الاسرائيلية عن المملكة الا بعشرين كيلومترا و لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة.

قبيل الدعاية السمجة المبالغ فيها خاصة و قد كان قيام المملكة بشقيها النجدي و الحجازي ثمنه تدمير الحكم العثماني في العراق و الشام و شمال الجزيرة و بالتالي تسليم فلسطين للانكليز و يمكن القول ان عبد العزيز هو المسؤول الاول عن ضياع فلسطين لما بدأه من حوادث مفضية الى تلك النهاية. كانت العقيدة النيو نجدية التي اسسها عبد العزيز و ابو كيم فيلبي و آل الشيخ تعتبر اهل فلسطين كفارا كما هو الحال مع بقية اهل الارض باستثناء اهل نجد العاملين مع بريطانيا و بالتالي لا يجوز القتال معهم و لا مساندتهم خاصة ضد الانتداب البريطاني و ورثته اليهود و لم يتحرك عبد العزيز و ينضم لبعض اللجان العربية التي اسست لتحرير فلسطين ايام حرب ١٩٤٨ الا بما يكفي للسماح لمبعوثيه بحضور اجتماعات اللجان العسكرية و الاطلاع على قراراتها ثم ابلاغ ما خفي منها الى الولايات المتحدة و بريطانيا قبل ان يتخذ قائد عربي آخر قرارا "متسرعا" ربما يؤذي الدولة اليهودية و المصالح الغربية و لاحباط ما امكن من تلك الخطط. اما فيصل فقد كان على الاخص مطلعا و مشرفا على سماح عبد العزيز ليهود نجران بالهجرة لاسرائيل[١] حيث سمح اثناء ولايته للحجاز بين ١٩٤٤ و ١٩٤٩ بناء على اوامر عبد العزيز بانتقال بضعة آلاف من يهود نجران و غيرهم من يهود اليمن عبر الحجاز الى الاردن فيما انتقل اخرون عبر اليمن و عدن الى اسرائيل بحرا، ثم عاد فيصل عندما صار ملكا و

---

[١] و ان قيل ان مصر و العراق و ليبيا سمحوا ليهودهم بالهجرة فقد كانت تلك الدول تحت الاحتلال البريطاني و سلطاته و عملاءها هم الذين سمحوا بينما كان عبد العزيز يدعي انه حاكم مستقل لا يقبل تدخلا من احد. كما انه لا يمكن اعتبار الحكم العراقي او الليبي او المصري مسؤلا عن اخراج العثمانيين من فلسطين و هو السبب الاهم لضياعها.

سمح بعودة بعض اليهود ذوي الاصول اليمنية عبر الحجاز لقتال اليمنيين و المصريين بعدما تدربوا في الجيش الاسرائيلي[١] و تم اسرهم لاحقا في معركة صرواح و اعترفوا بذلك.

لم يجرؤ فيصل على تفعيل حملة "امير المؤمنين فيصل فاتح القدس"الدعائية الا بعد موت جمال عبد الناصر سنة ١٩٧٠ حيث دأب جمال عبد الناصر في خطاباته على الاستهزاء بفيصل قائلا:"فيصل قاعد في الرياض على بعد خمسة آلاف كيلو و بيتكلم على فلسطين." كان عبد الناصر محقا من جهة انه خاض ثلاثة حروب على الاراضي الفلسطينية[٢] فيما لم يعرف عن فيصل دخول الاراضي الفلسطينية الا وسيطا اثناء ثورة ١٩٣٦ لاقناع الثوار العرب بطاعة بريطانيا بصفتها ولي الامر و ايقاف ثورتهم في انتظار ما تجود به بريطانيا من حلول. اما ادعاء امارة المؤمنين فقد خصص جمال عبد الناصر لدحضه برنامج اذاعي دوري يصل بثه للمملكة السعودية و يشرف عليه معارض شمري اسماه "اولياء الشيطان و اولياء الرحمن" اعتاد فيه وصف فيصل بولي الشيطان و تذكير المستمعين بالعلاقات التاريخية التي ربطت بين فيصل و ابيه و بريطانيا. كما اطلقت الصحافة المصرية المقربة من الحكم حملة تدعو الى تخليص بلاد العرب من الخونة المحليين قبل التصدي للعدو الغريب و اتخذت شعارا لها "الطريق لفلسطين يبدأ من الرياض". كان آل الشيخ من اشد الناس حماسا في الدعاية لفيصل و وصفه بالامام بقية الخلفاء لما له من قرابة بهم حيث كانت امه امراة من آل الشيخ.

---

[١] "تاريخ آل سعود"، ناصر السعيد الحائلي، ج١٨، ص ٢١٣.
[٢] جرت عمليات في قطاع غزة و ايلات و جنوب النقب في حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧.

اشيع ايضا ان فتح القدس كان سيتم باستخدام سلاح البترول الذي استخدم في ١٩٧٣. و الحقيقة ان قرار مجلس الجامعة العربية بشأن البترول لم يتحدث عن قطع البترول و ما كان لمثل هذه الجامعة ان تتخذ قرارا مثل هذا و لو همسا في المنام. كان جل ما اتفق عليه هو خفض صادرات البترول بمقدار خمسة بالمائة شهريا بعد شهر عن الدول التي تدعم اسرائيل فيما تستمر الصادرات الى اوروبا. و لم يطبق [١]حظر بيع البترول لاميركا الا بعد توقف العمليات الكبرى و تراجع الجيشين المصري و السوري، بما يعني انه كان قرارا لا قيمة له من الناحية العسكرية و المقصود منه كان رفع الاسعار و هو ما كانت السعودية و شاه ايران –رجل اميركا الاول في المنطقة الذي لا يمكن اعتباره عدوا لاميركا– و غيرهما ينادي به بحرارة قبل الحرب. حاول فيصل منع عقد مؤتمر مناقشة حظر النفط في الكويت اثناء الحرب، الا انه انعقد ثم قامت ابوظبي منفردة بقطع النفط عن الولايات المتحدة و هولندا و تبعتها الكويت فاضطر فيصل لمسايرتهما حتى لا ينكشف امره ثم لم يلبث ان اعاد تصدير النفط بقوة بعد عدة اشهر مع انه كان يروج لتصريحات عن قطع النفط حتى تتحرر القدس و ما شابه ذلك لتضليل العوام. لم يمثل قرار الحظر اكثر من ازعاج مؤقت لاميركا ثالث اكبر منتج للبترول في العالم بعد السعودية و روسيا و التي فاق انتاجها في ٢٠٠٧ انتاج الكويت و الامارات العربية المتحدة و العراق و قطر مجتمعين. و جل ما حدث هو ان اميركا اضطرت للاعتماد على انتاجها البترولي الضخم بدلا من سياسة انفاق بترول الآخرين و ادخار ثروتها البترولية "لليوم الاسود". كما تدنى دخل الفرد

---

[١] اصدر الملك فيصل امر وقف صادرات النفط لاميركا في ٢٠ اكتوبر بعد يوم من بدأ مصر و اسرائيل و اميركا مفاوضات علنية نقلتها وكالات الانباء لوقف اطلاق النار و انهاء العمليات.

الاميركي من المرتبة الثامنة عشر على مستوى العالم الى الثانية و العشرين من حوالي ١٥٠ دولة عضو في الامم المتحدة فيما كان الدخل الفردي السعودي في المرتبة الواحدة و الستين بين دول العالم و ارتفع الى المرتبة السابعة و العشرين، و فقدت السيارات الاميركية الشهيرة سنتيمترات من طولها الذي كان يبلغ ثلاثة امتار و نصف للسيارة و اضطر فقراؤهم لقيادة السيارات اليابانية و الالمانية لبضعة سنوات فيما كان كثير من العرب مازالوا يستعملون الحمير و النوق ان استطاعوا شراءها .

تولى خالد بن عبد العزيز الحكم بعد فيصل يعضده اخوه فهد . بعد سنتين من توليهما الحكم قيل ان خلية انقلابية من بعض طياري و ضباط قاعدة تبوك الجوية لم يبلغوا العشرين ضابطا خططوا لقصف القصور الملكية في الرياض و جدة و اقامة دولة اسلامية الا ان المحاولة احبطت في ١٩٧٧ .

بعد قتل فيصل بخمس سنوات في نهاية موسم الحج و بداية القرن الهجري الجديد قام مجموعة من طلبة العلم الشرعي المسلحين بالتحصن داخل الحرم و منعوا الشرطة السعودية من الدخول. كان بعض اعضاء المجموعة ينتمون سابقا لجماعة دينية شبه رسمية تدعى الدعوة المحتسبة و يترأسها الشيخ الحكومي بن باز مدير جامعة ابن سعود بالمدينة و يعاونه ابو بكر جابر الجزائري. كان على رأس المجموعة جندي سابق في الحرس الوطني يدعى جهيمان العتيبي ترك الحرس و تفرغ لطلب العلوم الشرعية و كتب مجموعة من الرسائل عرفت برسائل جهيمان السبعة تكلم فيها عن فساد الحكم و فساد علماء السلاطين و تخلي المملكة عن تطبيق الشرع. كان جهيمان يدعو لترك الوظائف الحكومية

و ان لم يكفر اصحابها . في وقت سابق كانت الشرطة قد قبضت على افراد من المجموعة لترويجهم تلك الافكار ثم سلمتهم لهيئة نصيحة يرأسها ابن باز الذي هاله تركيز جهيمان على انتقاد الوضع بالمملكة و نصحه بالتركيز على البلاد الاخرى و حكامها ، و البعد عن انتقاد "مملكة الخير و التوحيد التي تقف سدا امام الشيوعية" .

روى شهود العيان ان اعضاء المجموعة التي عرفت عن نفسها باسم "الاخوان" نسبة الى اخوان ابن سعود خيروا الحجاج من الجنسيات الاخرى بين الخروج او الاعتصام معهم، كان ذلك على خلاف ما اعلنته القيادة السعودية من انها ستضطر لقصف الحرم و تدميره اذا اقتضى الامر لاطلاق سراح من اسمتهم "الرهائن" . بل و روى شهود اخرون انهم طلبوا من افراد المجموعة ملأ آنيتهم من ماء زمزم قبل الخروج من الحرم فوافقوا و ساعدوهم. اذاع المعتصمون مطالبهم و تتلخص في وجوب خلع ال سعود و المطالبة بطرد اليهود و النصارى من الجزيرة و قطع العلاقات مع الولايات المتحدة و تطبيق الشرع و عرضوا –و ان لم يفرضوا– مبايعة واحد منهم اسمه محمد بن عبد الله القحطاني بديلا عن الملك خالد بصفته المهدي معتمدين في ادعاء المهدية على عدة اشياء بضمنها بعض رؤى رآها بعض افراد الجماعة في منامهم و تأولوها .

في اول الامر قطعت الحكومة السعودية الاتصالات مع العالم و اغلقت المطارات حتى اذاع صوت اميركا النبأ للعالم بعد عشرين ساعة فاضطرت المملكة للاعتراف بما وقع. في الداخل امر جهيمان رجاله بعدم البدء بالهجوم حتى يعتدى عليهم. اسفرت اولى محاولات الاقتحام عن قتل المظليين

برصاص قناصة جهيمان المتحصنين في المآذن كما تم ذبح بعض المظليين الذين سقطوا جرحى داخل الحرم خاصة الحليقين منهم . كان صحبة جهيمان و اتباعه نساءهم و اطفالهم.

بعد اعلان بيان جهيمان انضم اليهم العشرات من الاسلاميين الموجودين بالحرم من جنسيات اخرى[١] .من الواضح ان حصارهم كان يمكن ان يأتي بنتائج اقل فداحة من الهجوم عليهم، كما لم تكن تلك المجموعة ستشكل خطرا عسكريا يؤبه له لو تركت في الحرم لاشهر و لو بايع لها اهل مكة كلهم .بعد ايام من الحصار و قصف مآذن الحرم استطاعت القوات السعودية اقتحام الحرم فتراجع المعتصمون الى سراديب الانشاءات السفلى التي مالبثت السلطات ان اغرقتها بالماء فاستسلم المعتصمون. تم اعدام ٦١ شخصا تقريبا من جنسيات مختلفة[٢] و على رأسهم جهيمان. وزع المحكوم عليهم على مدن المملكة لتضرب اعناقهم و يكونوا عبرة. علق مشعل بن عبد العزيز وزير الدفاع السعودي وقتها بأن "حادث الحرم هو امتداد للحرب ضد الاسلام منذ الحروب الصليبية حتى الان."

[١] يقول مقبل بن هادي الوادعي في كتابه "المخرج من الفتنة" ان ضمن المجموعة كان اعضاء سابقين من "التكفير و الهجرة" المصرية (التسمية المباحثية لجماعة المسلمين) و آخرين من جماعة "التوقف و التبين" و هي عناصر كان ينسب اليها الكتاب "الحكوميين" كل بلاء في العمل الاسلامي المعاصر قبل ظهور القاعدة فيما نفى وزير الداخلية السعودي وجود تلك العناصر ضمن مجموعة جهيمان. و مقبل كان حارس بناية بمكة قبل ان يذهب لنجران و يتمركز لنحو عامين مع مجموعات المرنزقة الشيعة الزيدية الذين جندتهم المخابرات الاميركية و تابعتها السعودية لقتال الجيش المصري و اهل السنة باليمن حتى اكتشف ان " الحرب بين الجمهورية(السنة) والملكية (الشيعة) لأجل الدنيا" على قوله فارتحل الى داخل الحجاز حيث دخل الجامعة ثم عمل واعظا بالسعودية الى ان اتهم بانه احد مفتو جهيمان و سجن ثم طرد في اعقاب حادث جهيمان و ظل بقية عمره يعتذر و يتبرا من جهيمان حتى يسمح له الملك بالعودة للمملكة و دبج رسالة في مدح الحكومة السعودية فقامت بعلاجه على نفقتها في كندا و اميركا الى ان مات بجدة في ٢٠٠١.

[٢] ضمت المجموعة التي ضربت اعناقها ٣٩ من اهل البلاد و عشرة مصريين و ستة يمنيين جنوبيين و واحد شمالي و ثلاثة كويتيين و عراقي و سوداني.

مرت البلاد بحالة من الركود لسنوات لم يتعد الامر فيها التعليق همسا بين الاقرباء بشأن ما حدث و الاشارة الى رأس الذئب الطائر. تنبهت السلطات السعودية و امرت هيئة كبار العلماء و على رأسها ابن باز بتفعيل عقيدة الارجاء فيما يخص السياسة و شؤون الحكم للتصدي "للخوارج" و خطر "التكفير". نبه انخراط حجاج من دول اخرى مع جهيمان في حركته الحكومة السعودية للآثار السلبية لتوافد اعداد كبيرة من جنسيات غير مسيطر عليها فكريا الى البلاد على امن النظام فبدأت في اتخاذ تدابير للحد من اعداد الحجيج و المعتمرين عن طريق وضع حصص للتأشيرات بحجة ضيق مكة[1] عن استيعاب كل من يريد الحج. كما منع المشايخ غير الحائزين لجنسية ال سعود من القاء الدروس بالحرم لاول مرة في تاريخ الاسلام وصولا لمنعهم من تدريس القرآن و تحفيظه في مساجد مكة و جدة في مرحلة لاحقة.

لم تطبق حصص تأشيرات الحج الا على" المشركين" من البلاد الاسلامية الاخرى فيما اعفي منها حجاج دول حلف الاطلنطي و اميركا باعتبارهم من ارحام ابو كيم اللوطي مؤسس المملكة.[2] لم يتغير الوضع حتى بدأ صرف تذاكر السفر في منتصف الثمانينات للشباب السعودي للذهاب لافغانستان لحماية العمق الاستراتيجي للمملكة من المد الشيوعي المنطلق من افغانستان و اوشك (على قول

[1] حدد نظام التاشيرات عدد الحجاج المسموح بدخولهم من كل دولة اسلامية بحجة ضيق المكان فلما تمكنت بعض شركات السياحة في الدول العربية ذات الاقبال الكثيف على الحج مثل مصر من شراء التاشيرات الفائضة من دول اوروبا التي لا تستعمل حصتها قامت السلطات السعودية باعادة الحجاج مع ان مكان تلك التاشيرات خالي و محجوز مسبقا بحسب منطق الحصص، و لم يعلم اولئك الحجاج ان نظام الحصص موضوع لهم لصدهم خصيصا عن المسجد الحرام و ليس لضيق المكان. "اين الجريمة؟" علية الجعار، بريد الاهرام، جريدة الاهرام المصرية، ١٢ مارس ٢٠٠٢، سنة ١٢٦، العدد ٤٢٠٩٩.

[2] لا يشابه ذلك التضييق على دخول العرب السنة الا التوسعة في اصدار تاشيرات "سياحة" للروم النصارى ارحام الحاج ابو كيم و الكولونيل بيل ايدي خليفته.

المسؤلين) ان يجتاح المملكة حتى تبوك و حدود اليمن و صارت حشود الشباب السعودي تنطلق و عليها الزي الافغاني وسط تكبير ضباط الجوازات و المخابرات من المطارات السعودية الكبرى في طريقها الى باكستان.

في افغانستان كان اكثر المتطوعين السعوديين من النوعية اللاسياسية المنتمية للسلفية العلمية و السلفية الحكومية الذين اتوا ليرفعوا علم "مملكة التوحيد" على ربى الهندوكوش بعد ان رفعوه في ملاعب كرة القدم، كما كانت هناك قلة مخالفة تنفس عما يدور ببالها بالهمس باشاعات عن الاسرة المالكة و الفساد شبيهة بالموجود في كتب الاثارة الصفراء التي تباع على ارصفة مكتبات الصحف العربية بلندن تحت اسم "الكتب الممنوعة" لجذب السياح العرب المقهورين. لم يكن هناك اي جهد او تخطيط منظم و كانت سياسات منظمي الجبهات و المعسكرات و على رأسهم بن لادن تقوم بوأد مثل هذه التوجهات في مهدها فضلا عن وجود عدد كبير من ضباط الجيش السعودي و الشرطة ضمن المتطوعين. حاولت بعض "الفئات المندسة"[١] مثل ابو محمد المقدسي العتيبي صاحب "الكواشف الجلية" بث افكار مضادة للعقيدة القومية السعودية الا ان محاولاته تحطمت على صخرة عصبية المتطوعين وولائهم "لعلماء الجزيرة" من تلامذة المجموعة التي اعتمدها الملك عبد العزيز رسميا في بداية الدولة لإفتاء اهل الهجر ايام الانكليز.

---

[١] فئات مندسة: مصطلح اعلامي مباحثي عربي من حقبة الستينات يرد احيانا في سياق وصف المعرضين او المنتقدين بانهم "فئات مندسة تمولها جهات اجنبية موتورة حاقدة تسعى لضرب امن الوطن و الاستقرار و النيل من منجزات الوطن تحت قيادة الزعيم فلان قائد الثورة او موحد المملكة ..الخ الخ."

ظل الوضع على ما هو عليه حتى حرب الخليج. كان بن لادن وقتها اهم الشخصيات المعروفة على الساحة الجهادية الحكومية و كانت معسكراته تعد امتدادا للنفوذ السعودي بالخارج حيث كانت قوات الحرس الوطني بالمملكة تضم تاريخيا وحدات شبيهة اسمها "المجاهدون" يطلق جنودها لحاهم. بعد خروج الروس في ١٩٨٩ ترك بن لادن افغانستان عائدا الى المملكة بعد ان امرت السعودية بالانسحاب من افغانستان. في الايام الاولى من التخبط التي اعقبت الغزو التقى بن لادن بشخصيات رسمية عالية المستوى و قيل انه راسل و تلقى مكالمات من الملك و ولي العهد وزير الدفاع تعهد فيها بالدفاع عن الوطن ووضع امكانيات المجاهدين في خدمته و خدمة الاسلام ضد صدام "الشيوعي الملحد الزنديق". بناء على ذلك رتبت له رحلة بمروحية عسكرية تابعة للجيش السعودي الى منطقة حفر الباطن كي يعاين الاستراتيجيست الكبير الجبهة على الطبيعة و المواقع التي ستنطلق منها قواته التي سيجلبها من افغانستان و غيرها ثم قام باصدار امر الى "ابناء الجزيرة" بترك افغانستان و الحضور الى الجزيرة للدفاع عنها .

تمهيدا للعمل جاب بن لادن البلاد يرافقه حرس مسلحون بالاسلحة الآلية باعتباره من الشخصيات الهامة للامن القومي للجزيرة العربية التي قد يستهدفها صدام و صار يلقي المحاضرات في الشباب المتحمس للاستعداد للقتال دفاعا عن ديار الاسلام ضد البعث الصدامي الشيطاني الذي سيأتي لهتك الاعراض و اهلاك الحرث و النسل من صحاري الجزيرة الجرداء. استخرجت في تلك الفترة

فظائع صدام ضد اكراد قرية حلبجة المتحالفين مع طالباني و ايران بدون ذكر الظروف المحيطة بالوقائع و وقف امير الكويت في مؤتمر جدة ليعلن ان اول ما سيفعله اذا ما عادت البلاد هو تطبيق الشريعة.

تدافع الشباب السعودي للالتفاف حول بن لادن لنيل سبق الالتحاق بالساحة الجديدة التي ستكون رايتها حتما سلفية ناصعة لقيادة ابو عبد الله لها و تزكية علماء السلفية الحكومية بالمملكة لها. كما تسابق بعض الاجانب للالتحاق به لنيل سبق التربح من الجبهة كما سمعوا عن تربح اوائل الملتحقين بالساحة الافغانية سابقا سواء كان ذلك صحيحا او باطلا. قام بن لادن باسكان بعضهم في مزرعته على اطراف جدة و طال السامر بينهم حول فتح الكويت و الجوازات الكويتية التي سينعم بها الفاتحون بدلا من الجوازات الافغانية عديمة الشأن التي نالوها في الحرب الاخيرة كما دار الحديث حول حصص المجاهدين من البترول الكويتي تحت امارة بن لادن.

لم تستمر تلك الاوهام طويلا اذ قررت الولايات المتحدة ارسال قواتها لردع صدام مما اقتضى تأمين الساحة من العناصر المشبوهة الولاء تمهيدا لوصول القوات الاميركية كما تقضي العقيدة العملياتية العسكرية الاميركية. قامت الشرطة السعودية بنزع سلاح المهرجين المحيطين بن لادن و الاغارة على مزرعته و التنبيه عليه بعدم التمادي. حاول بن لادن مراجعة القيادة و لكن تم صده. اعقب ذلك مداولات و احتجاجات من شيوخ الصحوة و بن لادن من جانب و المشايخ الرسميين من الجانب الاخر لم تسفر عن اي تغيير للوضع باستثناء زيادة اعداد المعارضين للنظام السعودي. بحث بعض اولئك المعارضين عن راية تضمهم فوجد بعضهم مكانه تحت راية جمعية الاصلاح

التابعة للمسعري و اعتبر اخرون انفسهم اسميا من رجال بن لادن. كانت رؤية الجنود الاميركيات و هن يتجولن بسلاحهن في مواطن فرسان نجد الوهميين و كماتها، اهل الفخر و الخيلاء، قد استفزت البعض بمن فيهم اعضاء هيئة الامر بالمعروف و النهي عن المنكر الحكومية و بدأ بعضهم في ابداء غضبهم بالصياح و ما شابه و ان لم يتعدوا اكثر من ذلك كما كان اجدادهم يغطون وجوههم لدى رؤية الضباط الانكليز ايام عبد العزيز. قيل ان رئيس الهيئة الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ عبر عن استنكاره من تجاوزات الاميركيين والاميركيات ثم أصدر أوامره للمطاوعة والدوريات بملاحقة تلك المظاهر و هي رواية مشكوك فيها، و من ناحية اخرى قيل انها كانت فلتات فردية من بعض افراد الهيئة او افراد غير نظاميين متشبهين بهم لم يكبحها و يسلم مرتكبيها للسجون مما ادى لعزله و خلفه بأمر ملكي الدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد رئيساً عاماً لهيئات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمرتبة وزير. اعتقد بعض المراقبين ان لتعيين السعيد مغزى باطنيا بالنظر لأنه كان اول ازهري يتولى رئاسة الهيئة فيما يحتمل انه كان اشارة الى انه ان لم يكن في استطاعة آل الشيخ و الدعاة المحليين ادارة الشؤون الدينية على الوجه المطلوب فإن في مصر الآلاف من حملة الدكتوراه في الشريعة الذين لا يعصون الملك فهد ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون.

كان بن لادن قد حاول في بداية التسعينيات فيما بين اخر ايامه بافغانستان و بين بداية حرب الخليج تفعيل جبهة جهادية في اليمن ضد شيوعيو الجنوب يكون هو اميرها بصفته حضرمي الاصل و على اساس ان يرضى بحكم اليمن مؤقتا لحين الزحف على السعودية الا ان الفكرة كانت وهما على ما

يبدو حيث لم تكن المملكة و لا الولايات المتحدة تسعى لتقويض نظام الجنوب الشيوعي. في السنوات التي تلت وحدة اليمن كانت هناك اشارات عن استعداد الشيخ الكبير و دول مجلس التعاون لتمويل انقلاب في اليمن عقابا لحكومته على موقفها المؤيد للعراق في حرب الكويت الا ان المناقصة رست على علي سالم البيض الشيوعي ليقوم بحرب الانفصال بتمويل خليجي و موافقة اميركية. عندما نظر ابو عبد الله جهة اليمن وعده كثير من المقاتلين اليمنيين بالدعم و النصرة ثم انضم كبيرهم الزنداني لحكومة علي عبد الله صالح و تبعه كثير من افغان اليمن في القتال ضمن الجيش الحكومي ثم ارضاهم الرئيس اليمني بوظائف حكومية في نهاية الحرب و اغلق الملف. ارسل ابو عبد الله بن لادن ايضا بعض رجاله الى الصومال في مهمة استكشافية بقيادة ابو حفص المصري لقتال الاميركيين ثم اعادهم بعد فترة قصيرة. كان بن لادن يرفض في تلك الفترة قتال الحكومات العربية و يفضل اذا اضطر بعد ازدياد الشائعات حول عمالته للمخابرات السعودية ان يقاتل الاميركيين كما لو كان من لا يستطيع قتال دويلة مثل السعودية يستطيع هزيمة الامبراطورية الاميركية. فضلا عن ذلك كان بن لادن مقيدا برغبات داعميه بالسعودية الذين كانت حقائب دعمهم المالي تمر تحت انظار و بموافقة مخابرات الشيخ الكبير في كثير من الاحيان. كان بن لادن يرى حتى هذا الوقت مناصحة ولاة الامر في بعض "الكبائر" التي لم تستدعي الخروج او القتال. و يقول في ٢٠٠٤ واصفا مذهبه في الفترة بين ١٩٨٥ و ١٩٩٠:" و لقد ناصحت الحكومة قبل عقدين من الزمن بواسطة كبار العلماء، الا ان الاوضاع لم تتغيير . ثم قبل عقد و نصف توجهت بالنصح مباشرة لنائب وزير الداخلية، و اخبرته عن الكبائر العظام

التي ينبغي على الدولة ان تزيلها، و عن خطورة بقائها، و لكن دون جدوى. ثم التقيت بنائب وكيل الوزارة للشؤون الامنية، فعاتبني بشدة لانني نصحت نائب وزير الداخلية، و اخذ يردد على مسامعي الكبائر التي اخبرت الامير بها، ثم يقول:" هذا معروف ما نبي[١] حد يعلمنا."[٢]

في هذه المرحلة بدأ بن لادن الذي حرمته المؤامرات الاميركية من تحرير الجزيرة في اعتبار نفسه معارضا للنظام السعودي. استاذن بن لادن من نائب وزير الداخلية السعودي في رفع منع السفر المفروض عليه طبقا لاوامر الولايات المتحدة بوقف تمويل و تسليح الاحزاب الافغانية ثم سافر الى افغانستان في اطار المساعي الرسمية لمنع اقامة حكم اسلامي حيث حاول اقناع حكمتيار ان يرضخ لمسعود المعادي للاسلام و لتطبيق الشريعة الا ان حكمتيار تجاهله. بعدما سلم ما كان لديه من سلاح لمسعود استدعى بن لادن الرجال من افغانستان و غيرها و انتقل للاقامة بالخرطوم. في تلك المرحلة اصبح لبن لادن "المعارض" جمهور في المملكة. و فيما كان للمصريين و السوريين و الاردنيين و التونسيين و الجزائريين خلفيات في المعارضة المسلحة كان السعوديين يعانون من نقص فيما يخص ذلك الجانب. عندما كان اعضاء الجماعات الاخرى يتساءلون عن سبب عدم وجود معارضة مسلحة للنظام السعودي بخلاف حال الاسلاميين في باقي انحاء الوطن العربي كان رد المتطوعين السعوديون مع

---

[١] نبي: نبغي.

[٢] "الرسالة الاولى الى اهل بلاد الحرمين خاصة و المسلمين عامة: الخلاف و النزاع بين حكام الرياض و اهل البلاد، و السبيل الى حله." اسامة بن محمد بن لادن، ٤ ذو القعدة ١٦/١٤٢٥ ديسمبر كانون اول ٢٠٠٤.

كثير من الحذر و التلفت و الهمس على الطريقة الخليجية"ان الاف المسلحين بانتظار اشارة ابو عبد الله." تبين لاحقا ان الالاف المشار اليهم كانوا مع ابو عبد الله عندما كان الجهاد حلوا سهلا في العطلة الصيفية باجازة ستة اشهر بدون راتب من جهة العمل الحكومية في مملكة "الخير و التوحيد" و يقوم المجاهدين فيه باسقاط المقاتلات الروسية كالعاب الفيديو باحدث صواريخ ستنجر الاميركية المضادة للطائرات و ليس عندما اتضح ان الجهاد كما يعرفه السوريون و الاردنيون و المصريون و الجزائريون هو التعرض للشنق و السحل في شوارع المدن العربية و التعذيب و احتجاز الاهالي كرهائن و السجن لعشرات السنوات و اعلان عشائرهم البراءة منهم و من افعالهم على التلفاز، عندها لم يبقى رهن اشارة ابو عبد الله داخل المملكة الا العشرات كما كان متوقعا .

لم تأت الاشارة لسنوات لأن فكر بن لادن كان لا يسمح له بمهاجمة الدولة. بدلا من ذلك كان بن لادن يشبط اتباعه بمقولات عن استهداف رأس الافعى و اسرائيل على طريقة الزعماء الثوريين العرب في الستينات و الذين اتضح لاحقا ان بعضهم كان يتعاون مع المخابرات الاميركية سرا[١] فتسمح لهم بدورها "بطق الحنك" للاغراض الدعائية و رفع شعبيتهم طالما لا ينتج عنهم ضرر حقيقي و لا مانع من الدعوة لاغراق اميركا و اسرائيل في البحر او قذفهم الى الفضاء الخارجي على متن صواريخ سويوز السوفيتية او الظافر و القاهر المصرية .

---

[١] ليس هذا تلميحا لعمالة بن لادن للمخابرات الاميركية "في الوقت الحالي" كما يدعي بعض غلاة العلمانيين و ان كانت بعض افعاله تخدم اغراضها بصورة غير مباشرة. كما يمكن الجزم بان بن لادن لم يعمل "مباشرة" مع الاجهزة الاميركية في الماضي اثناء الحقبة الافغانية.

في ١٩٩٥ تم تفجير مكتب لتدريب الحرس الوطني السعودي يعمل فيه بعض الجنود الاميركيين و ادين اربعة سعوديين بعضهم من العائدين من افغانستان و اعدموا و افتى بن باز مفتي السعودية بانهم خوارج يستحقون القتل.

في مرحلة لاحقة عندما اشتد اتهامه بالارجاء و حاول البعض قتله في السودان بتهمة العمل لتخريب الساحات الجهادية لصالح السعودية اضطر بن لادن الى القيام بعملية ضد السفارتان الاميركيتان في تنزانيا و كينيا لانهما كانتا ايسر الاهداف المتاحة. حتى هذا الوقت في ١٩٩٨ لم يبدر من بن لادن اي توجه لعمل مسلح ضد النظام السعودي. و حتى عندما نطق كان ذلك في شكل اعلان الجبهة الدولية العظمى لقتال الصليبيين و اليهود. تلى ذلك بسنة و نصف هجوم انتحاري باليمن على مدمرة اميركية لم تزد الخسائر فيها عن عشرين اميركي.

في سبتمبر ٢٠٠١ اعلن الامير بندر بن سلطان ابن ولي العهد الفعلي و مستشار مجلس الامن القومي لاحقا تعاطف السعودية مع الولايات المتحدة في محنتها و كفر بن لادن و صحبه قائلا في حديث لمحطة سي ان ان الاميركية:"كيف يسمون انفسهم مسلمين" و مع ذلك لم يعترض مجلس كبار العلماء السعودي على الامير و يطالبه بعرض اعضاء القاعدة على عوارض الاهلية المانعة للتكفير.

برغم سيل البيانات المنددة بالنظام السعودي التي اطلقها بن لادن خلال ما يقرب من عشر سنوات، لم تنفذ اي عمليات بالمملكة الا بعد سقوط طالبان و تفرق رجال ابو عبد الله. نفذت بضعة عمليات ركز في اكثرها حسب منهج بن لادن الذي يقضي بقتال العدو البعيد قبل القريب و اولوية قتال الكافر الاصلي عن المرتد على مساكن الغربيين الذين كانت قيادة العمليات "بقاعدة الجهاد في جزيرة العرب" تعلم يقينا "كالعادة" انهم من ضباط المخابرات الاميركية.[1] كان ذلك متوافقا مع علو الانتماء القبائلي فوق اي انتماء شرعي لدى كثير من رجال بن لادن في المملكة مما يمنعهم من قتال حكومتهم و قبائلهم. و قد لخص الشيخ سعيد المصري الذي نعتته بعض وسائل الاعلام بالرجل الثالث في القاعدة سياسة التنظيم تجاه المملكة بقوله:"للسعودية منزلة عظيمة في قلب كل مسلم. . .و منذ البداية كان هدفنا الاميركان و النفط."[2]

لم يمنع هذا من حدوث مصادمات فردية مع كمائن الشرطة على الطرق و اثناء المداهمات و تنفيذ عملية واحدة ضد مبنى المباحث الرئيس بالرياض تم الاعلان عنها باسم تنظيم مغاير لتنظيم القاعدة هو كتائب الحرمين لنفي صلة القاعدة بعمليات ينجم عنها سقوط مواطنين سعوديين لخوف القيادات من الاثر السيئ لمثل هذا النوع من العمليات على التعاطف الشعبي مع التنظيم في مجتمع يعد من اعلى انواع التزكية فيه لشخص ان يقال انه "قبايلي" .اسفرت تلك العمليات التي امتدت على مدار سنتين

---

[1] و لو ان الطعن في صحة معلومات القاعدة لا ينفي تعاون بعض او احد سكان هذه المجمعات بالفعل.حيث لا يمكن نفي هذا احصائيا بيقين وسط اي مجموعة من المغتربين و الغربيين.

[2] مصطفى حامد ابو الوليد المصري،" السائرون نياما"،ص٨٤، نقلا عن لقاء بقناة الجزيرة يونيو ٢٠٠٩.

تقريبا عن مقتل حوالي خمسمائة شخص من الجانبين. تبنى ثوار تلك المرحلة شعارات اخوان عبد العزيز آل سعود كما فعل جهيمان ظنا منهم انهم كانوا على الحق و انتحلوا كناهم بل و كان من قياديهم من اسمه بالفعل سلطان بن بجاد العتيبي على اسم القائد الاخواني القديم. و كما حدث لاجدادهم اخوان السبلة الذين هزموا عندما انقطع عنهم سيل السلاح و الذهب البريطاني لم يصمد اخوان بن لادن طويلا بدون صواريخ ستينجر الاميركية و الايغلا الروسية و غيرها من الاسلحة المتطورة التي اعتادوا استعمالها ايام الجهاد المحمول على الفيديو.

رويدا رويدا ظهرت العلاقات السعودية النصرانية الى العلن بدءا من لبس الملك فهد بن عبد العزيز لصليب الملكة فيكتوريا في لندن الى شد خليفته الملك عبد الله الرحال الى كنيسة الفاتيكان للقاء بابا النصارى و اصدار تعليمات بمنع مهاجمة اليهود و النصارى في الوسائل الاعلامية و الكتب المدرسية. كانت السعودية قد الغت في ٢٠٠٥ مقاطعتها التجارية لاسرائيل و قدمت خطة للسلام مع اسرائيل فيما كانت خطة سابقة قد حظيت بدعم ابن باز مفتي الدولة مما استفز بن لادن و عبر عن ذلك في بيانات استنكار. اعقب ذلك هدوء لم يعكره الا بيانات ابو عبد الله تنادي مجاهدو الجزيرة باستهداف الغربيين و الاميركان. قامت الداخلية السعودية بحملة اعتقالات واسعة اخضعت خلالها المئات من مشجعي بن لادن لعمليات "تهذيب و اصلاح" نتج عنها خروج بعضهم "بمراجعات" تنبذ العنف على نفس نمط الجماعة الصعيدية في مصر. على صعيد جهود منع الحج اقرت السعودية في ٢٠٠٨ قوانين تمنع الحج بدون تصريح من الشرطة السعودية يطبق على الجميع بمن فيهم اهل مكة.

قبلـها في ٢٠٠٥ اصـدر عبـد اللطيـف آل الشـيخ مفـتي السـعودية الرسمـي فتـوى بـان السـعودي النجـدي الـذي يسـكن علـى بعـد امتـار مـن العـراق عـبر سـلك حـدود سـايكس بيكـو لـيس عليـه اي تكليـف قتـالي شـرعي تجـاه العـراق حتـى لـو راى الجـيش الاميركـي يـذبح العـراقيين عـبر السـلك الشـائك و واجبـه فقـط هـو الـدعاء لهـم. كمـا اصـدر الشـيخ العبيكـان مستشـار الملـك للشـؤون الاسـلامية فتـوى تحـرم قتـال القـوات الاميركيـة بـالعراق و توجـب طاعـة الحكومـة العراقيـة المكلفـة مـن قبـل جـيش الاحـتلال . و علـى صـعيد الحكـام اكـد الاميرسـعود الفيصـل وزيـر الخارجيـة ان السـعودية لا تسـمح لاحـد بالجهـاد في العـراق او الـدعوة لـه و ان المملكـة قامـت مـن جهتـها بضـبط الحـدود مـع العـراق". وأضـاف أن "السـعودية لـن تسـمح لأي كـان بإصـدار فتـوى بالتوجـه للعـراق للجهـاد، وكمـا أعلـن خـادم الحـرمين الشـريفين وكافـة المسـؤولين السـعوديين وكافـة مؤسسـات الدولـة سـتتعامل بحـزم مـع كـل مـن يـدعو أو يشـجع علـى ذلـك."[١]
لم يكـن في تلـك الفتـاوى و التصـريحات اي اخـتلاف عـن سـلوك اهـل نجـد و علمائـه و امرائـه قبـل مـائتي سـنة عنـدما هـادنوا القـوات البريطانيـة في الخلـيج و البحـر الاحمـر فيمـا كانـت تـذبح المسـلمين حـولهم يمنـة و يسرة.

في بدايـة ٢٠٠٩ و مـع عمليـات اقتحـام غـزة الـتي بلغـت نتيجتـها اكثـر مـن الـف قتيـل غـزي خـرج الشـيخ الكـبير تركـي الفيصـل عـن الصـمت الـذي التزمـه منـذ احالتـه للتقاعـد و قـال : "كلنـا اليـوم فلسـطينيون نتـوق إلى الاستشـهاد في سـبيل الله وفي سـبيل فلسـطين غـير مبـالين لأي تبعـات وفي خطـى مـن استشـهد

[١] الوطن السعودية-عدد الخميس: ٦-٥-١٤٢٥

مـــــــــــــن أطفـــــــــــــال ونســـــــــــــاء وشـــــــــــــيوخ في غـــــــــــــزة" .

وتوجـــه الأمـــير تركـــي إلى الـــرئيس الامريكـــي المنتخـــب بـــاراك أوبامـــا بـــالقول: "إن إدارة بـــوش ورطتـــك وتورطـك في إرث تشـمئز لـه الـنفس الزكيـة وفي موقـف أرعـن لمـا يحصـل في غـزة مـن مجـازر وسـفك لـدماء الأبريـاء . . .كفـى كفـى لقـد بلـغ السـيل الزبـى" . كـان السـفير الأمريكـي لـدى المملكـة فـورد فريكـر جالسـا الى جانب الشيخ الكبير عندما القى خطابه.[١]

بنهاية ٢٠١٤ مع اشتداد الحملة ضد الدولة الاسلامية في العراق و الشام اصدر وزير الخارجية الامريكي تصريحا رسميا قال فيه" نحن نقوم بحملة لنزع الشرعية عن دولة الخلافة الاسلامية في العراق و الشام يساعدنا فيها مفتي السعودية(عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب) و هيئات اخرى مثل اللجنة الدائمة للافتاء في السعودية و يعاونا كثير من الخطباء و الائمة و آيات الله الشيعة على امتداد ديار الاسلام"[٢]

---

[١] تركـي الفيصـل ، محاضـرة بعنـوان "العلاقـات الخليجيـة الأمريكيـة بعـد الانتخابـات الرئاسـية"،افتتـاح جلسـات "منتـدى الخلـيج ٢٠٠٩"- ٢٠٠٩/١/٨.صحيفة سبق الالكترونية.

[2] John Kerry,Secretary of State.Washington, DC.Interview With Al Hunt of Bloomberg News on the Charlie Rose Show.October 31, 2014

# الملاحق

## دستور امارة افغانستان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمـة

في أي بلد و حكومـة للقانـون الأسـاسي أو بعبـارة أخرى ( الأصول الأساسية )، ( الرسالة الأساسية ) أو ( الدستور ) له أهمية كبيرة وعظيمة ويتم التأكيد في تطبيقه.
لكن في دولة وحكومة إسلامية حقيقية يجب أن يتطابق القانون الأساسي وبقية القوانين والقرارات مع الشريعة الإسلامية كاملة.
بناءً قال سماحة أمير المؤمنين بتـاريخ : ٢٥ /١٤١٩/٢هـ ق في القرار الثامن عشر: لأجل تحكيم النظم الشرعي في البلاد، ينظر العلماء تحت إشراف المحكمة العليا في جميع القوانين والقرارات في البلاد، وتحذف منها المواد الغير الشرعية والغير المذهبية.
وعليه تم إحضار العلماء الجيدون من جميع انحاء أفغانستان إلى مدينة كابل- ويوجد أسماءهم وتوقيعاتهم في نهاية هذا الدستور- وتشكل شورى العلماء الجيدين برئاسة الحاج المولوي نورمحمد ( ثاقب ) قاضي القضاة ورئيس المحكمة العليا لأجل إتمام العمل في قصر الحكم.
وقد شرع في العمل هذا المجلس بتاريخ :١٤١٩/٣/٨ هـ ق الموافق ١٣٧٧/٤/١١ الهجري الشمسي والموافق:١٩٩٨/٧/٢ الميلادي، وتم العمل في الأيام الأولى على القانون الأساسي، حيث عرضت القوانين الأساسية لأفغانستان في الأدوار المختلفة والحكومات ا لمتعددة أمام العلماء الكرام، وتم بحث جميع المواد مادة مادة في اطار الأصول والأحكام للشريعة الإسلامية المطهرة بشكل دقيق وشامل، وتم اقرار تلك المواد التي تتطابق مع الشريعة الإسلامية، وما كانت فيها نوع من المغايرة مع الشريعة أو المذهب تم تعديلها اوحذفت كاملة، وفي بعض الموارد ادرجت مواد شرعية جديدة، ما دعت الحاجة إليها.
وبعد اجتماعات متتالية خلال عدة أيام تم هذا العمل بشكل جيد ونجاح كامل. وتم ترتيب وإقرار القانون الأساسي لإمارة أفغانستان الإسلامية باسم دستور إمارة أفغانستان الإسلامية، مطابقاً و موا فقاً مع الشريعة والمذهب الحنفي.
ومرة أخرى أيّد وأقّرمجلس الشورى العالي لإمارة أفغانستان الإسلامية هذا

الدستور( القانون الأساسي ) بتاريخ:١٧ / ٥ /١٤٢٦هـ ق الموافق : ١٣٨٤/٤/٢الهجري الشمسي والموافق : ٢٣ /٢٠٠٥/٦ الميلادي .

## الفصل الأول الأساسات الكلية

**المادة الأولى**: أفغانستان إمارة إسلامية، حرة، مستقلة، واحدة غير قابلة للتجزئة.
**المادة الثانية**: يستقر نظام الحكم في إمارة أفغانستان الإسلامية على النص القرآني: ( إن الحكمُ إلاّ لله ).
**المادة الثالثة**: الإسلام، دين الأمة الأفغانية.
**المادة الرابعة**: المذهب الحنفي، مذهب رسمي لأفغانستان.
**المادة الخامسة**: الشريعة الإسلامية مصدر تقنيني وحيد في البلاد، تنظم جميع جوانب الحياة الفردية و الإجتماعية للناس في ضوء تعاليم الإسلام البنّاءة للحياة، وبأي وجه لن تضع القوانين والمقررات مخالفة للأساسات والأصول الشرعية.
**المادة السادسة**: تشكلت إمارة أفغانستان الإسلامية على أسس السياسة والإجتماع والثقافة والإقتصاد وحسب الأصول والموازين الإسلامية.
تعد طريقة صناعة القانون للمجتمع، واعادة تنظيم الحياة على أساس أحكام القرآن والسنة وفق الفقه الحنفي.
**المادة السابعة**: تسلم إمارة أفغانستان الإسلامية العمل إلى أهله، والتقوى الشرط الأول للأهلية.
**المادة الثامنة**: يتم تعيين التوجه السياسي، والإجتماعي، والثقافي، والإقتصادي في ضوء موازين الشريعة الإسلامية.
**المادة التاسعة**: تعتبر إمارة أفغانستان الإسلامية الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤلية جميع المسلمين، وأنها وجيبة متقابلة بين الإمارة والشعب، وتنظم شروطها وحدودها بواسطة القانون الشرعي.
**المادة العاشرة**: تربية الفرد المسلم والأسرة المسلمة، وإيجاد مجتمع إسلامي متكامل، والمساعي لأجل وحدة الأمة الإسلامية، وتوسعة التعليمات الإسلامية إلى حد الإمكان النهائي، من أهم واجبات إمارة أفغانستان الإسلامية.
**المادة الحادية عشرة**: البشتو والفارسية لغتان رسميتان لأفغانستان.
إن القوانين، والمقررات، والوثائق، والمكاتب، والكتب، والمواد الدراسية، ووسائل الاتصال الجماعي، وتدريس اللغات والآداب، يستفاد من كل واحدة من هذه في محلها، وتسعى الإمارة في أمر تنميتها.
**المادة الثانية عشرة**: تنمي إمارة أفغانستان الإسلامية عن طريق طرح وتطبيق البرامج الإختصاصية تدريس اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم والعلوم والمعارف الإسلامية.
**المادة الثالثة عشرة**: تقوى إمارة أفغانستان الإسلامية تدريس الكتب العربية ( الدينية ) في المدارس الحكومية والأهلية، في ضوء الطريقة القديمة لكبار العلماء الأحناف في البلاد.
**المادة الرابعة عشر**: مبداء التقويم في البلاد، مبني على هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فالتقويم الهجري القمري سائد في دوائر الإمارة الإسلامية. يوم الجمعة يوم العطلة العامة، وبقية العطلات تنظم حسب القانون.
**المادة الخامسة عشرة**: إدارة إمارة أفغانستان الإسلامية مستقرة على أصل المركزية ( المحورية ) وعاصمتها مدينة كابل.
**المادة السادسة عشرة**: عَلَمُ إمارة أفغانستان الإسلامية شكله مستطيل ولونه أبيض، وطوله يعادل واحد و نصف للعرض، تعريف و حجم العلم والشعار ينظم بواسطة القانون.
**المادة السابعة عشرة**: تشكل الأسرة، الوحدة الأساسية للمجتمع الإسلامي.

تنظم الإمارة القوانين والمقررات والبرامج اللازمة على أساس الحقوق والأخلاق الإسلامية، في سبيل تسهيل الأمور المرتبطة بالأسرة، وتشكيلها والحفاظ على بقاء الروابط الأسرية، واستحكامها.

## الفصل الثاني الحقوق والواجبات الأساسية للناس

المادة الثامنة عشرة: لجميع أتباع أفغانستان دون تفاوت وتفاضل حقوق وواجبات متساوية أمام القانون مع مراعات الموازين الإسلامية.
المادة التاسعة عشرة: الحرية حق طبيعي للإنسان، على ألا تضرّ بحرية وكرامة الآخرين أو المنافع العامة والأمن العام والمصالح العامة، أو الأصول والمقررات الإسلامية.
هذا الحق ينظم بواسطة القانون.
المادة العشرون: براءة الذمة هي الأصل، والمتهم برئ ما لم تحكم عليه المحكمة ذات الصلاحية بحكم قطعي.
المادة الحادية والعشرون: لا يعد أي عمل جريمة إلاّ بموجب أحكام الشريعة الإسلامية، والقوانين التي نفذت قبل إرتكابه.
المادة الثانية والعشرون: لا يجازي أحد إلا وفق حكم المحكمة ذات الصلاحية.
لايجازي أحد إلاّ بموجب أحكام الشريعة الإسلامية، والقوانين التي تم تنفيذها قبل ارتكاب الفعل المتهم به.
المادة الثالثة والعشرون: لا يراقب أحد ولا يلقى القبض عليه إلا وفق أحكام القانون.
المادة الرابعة والعشرون: لا يمكن توقيف أحد إلا بإذن المحكمة ذات الصلاحية ووفق أحكام القانون.
المادة الخامسة والعشرون: الجريمة أمر شخصي، وبارتكابها لايعاقب، ولا يلقى القبض، ولايوقف، ولايجازي شخص آخر.
المادة السادسة والعشرون: يمنع أخذ الإعتراف أو الشهادة أو الإظهار من المتهم أو شخص آخر بواسطة الإكراه أوالتهديد أو التعذيب أوالتطميع.
لا اعتبار للإظهار أو الشهادة التي تؤخذ من المتهم أوشخص آخر بالإستفادة من الوسائل المذكورة.
المادة السابعة والعشرون: إذا قام الموظف بتعذيب المتهم أوشخص آخر لأجل حصول الشهادة، أو الإظهار، أو الإقرار أو أنه أمر بإعمال التعذيب، يجازي وفق أحكام القانون.
المادة الثامنة والعشرون: يحق للمتهم أن يدافع عن نفسه، بنفسه أو عن طريق وكيل، وفق أحكام القانون.
المادة التاسعة والعشرون: لا يسلم أي أفغاني بعلة الإتهام بجريمة إلى أي دولة أجنبية.
المادة الثلاثون: أي شخص يتضرر من قبل الإدارة دون سبب، يستحق لجبران الخسارة، ويمكنه أن يقيم الدعوى في المحكمة لأجل حصوله، لا يمكن للإمارة أن تقدم على تحصيل حقوقها دون حكم المحكمة ذات الصلاحية، إلا في الحالات التي يصرح بها القانون.
المادة الحادية والثلاثون: لا يحكم على أي أفغاني بسحب الجنسية إلا وفق أحكام القانون.
لا يمكن لأي أفغاني أن يحمل تابعيّتين. وضع قبائل الحدود ينظم بواسطة القانون.

المادة الثانية والثلاثون: الحرية وحرمة اتصالات الأشخاص سواء كانت بشكل الكتابة، أو بواسطة الهاتف والبرقية، أووسائل أخرى مصونة من التعدي. لا يحق للإمارة تفتيش الإتصالات، إلا بإذن من المحكمة ذات الصلاحية ووفق أحكام القانون.
المادة الثالثة والثلاثون: سكن الشخص مصون من التعدي، لايستطيع أي أحد بمن فيهم موظفي الإمارة أن يدخل إلى سكن شخص، أو يفتّشه دون إذن صاحب السكن، أوحكم من المحكمة ذات الصلاحية أو الموارد التي تنبأها القانون.
المادة الرابعة والثلاثون: حرية الفكر والبيان في حدود الشريعة الإسلامية مصونة من التعدي، يحق لأي أفغاني إظهار فكره عن طريق الحديث، أوالكتابة أو وسائل أخرى وفق أحكام القانون.
المادة الخامسة والثلاثون: يحق لأتباع أفغانستان أن يجتمعوا لأجل تأمين المقاصد المشروعة، دون حمل السلاح بشكل سلمي مع التجنب من إيزاء الناس، وفق أحكام القانون.
المادة السادسة والثلاثون: الملكية مصونة من التعدي.
لا يمكن استملاك ملكية أي شخص بالجبر، إلا بحكم القانون وحكم المحكمة ذات الصلاحية.
تبحث المحكمة ذات الصلاحية في الشكاوي بخصوص انتقالات الملكيات الإجبارية.
المادة السابعة والثلاثون: العمل حق لكل أفغاني إذا يملك الأهلية الشرعية لإجراءه.
تنظم العلاقات بين العمال وأصحاب العمل بشكل عادل بواسطة القانون.
لا يجوز العمل الإجباري، وإن كان للإمارة.
منع العمل الإجباري، لا يمانع تطبيق القوانين التي وضعت لأجل تنظيم النشاطات الجماعية لتأمين المنافع العامة.
المادة الثامنة والثلاثون: تعميم التعليم الإبتدائي الإجباري، وتوسعة وتنمية التعليم التخصصي، و الثانوي العالي العام من وظائف الإمارة، ويسعى تأمينه بشكل مجاني.
المادة التاسعة والثلاثون: ينظم تعليم البنات في حدود الشريعة الإسلامية، بواسطة قانون خاص.
المادة الأربعون: لا يمكن لأي أحد بالإستفادة من الحق، أن يجعل نفسه وسيلة التجاوز للغير على المنافع العامة.
المادة الحادية والأربعون: المحافظة على مكتسبات الجهاد، والدفاع عن حدود الإمارة الإسلامية، والمحافظة على نواميس الشعب واجب على كل فرد مسلم.
جميع أتباع أفغانستان مكلفون بأداء الخدمة العسكرية وفق أحكام القانون.
المادة الثانية والأربعون:
١- مراعات القوانين الإسلامية بشكل كامل في الحياة الفردية والعائلية والإجتماعية، واتباع أحكام هذا الدستور وجميع قوانين الإمارة، ومراعات النظم والأمن العام، وصيانة منافع الإمارة الإسلامية، واجب جميع الناس في أفغانستان.
٢- الدعوة إلى أفكار غير إسلامية ممنوعة، والمتخلفين الخارجين والداخلين يحاكمون بالمجازات الشرعية.
المادة الثالثة والأربعون: الحجاب الشرعي واجب الرعاية.
المادة الرابعة والأربعون: يحق للشعب الأفغاني تأسيس المدارس الدينية الخصوصية.
المادة الخامسة والأربعون: تأسيس المدارس العامة، والدورات التخصوصية، وخاصة ايجاد المدارس الغير المذهبية، مرتبط بإستئذان الحكومة.

## الفصل الثالث الشورى الإسلامي

المادة السادسة والأربعون: الشورى الإسلامي هي القوة المقننة التي يتشكل اعضاءها على الحد الأكثر من الولايات الدرجة الأولي ثلاثة أشخاص، ومن الولايات الدرجة الثانية شخصان، ومن الولايات الدرجة الثالثة شخص واحد، الذين يتم انتصابهم من قبل أمير المؤمنين.
المادة السابعة والأربعون: اعضاء الشورى الإسلامي أصحاب صفات أهل الحل والعقد.
المادة الثامنة والأربعون: ينظم طرز العمل ونشاط هذا الشورى بواسطة لائحة داخلية.
المادة التاسعة والأربعون: يكون للشورى الإسلامي رئيس، ونائب وأمين عام.
ويتم تعيين رئيس هذا الشورى من قبل أمير المؤمنين من بين اعضاء الشورى.
المادة الخمسون: وظائف وصلاحيات الشورى الإسلامي عبارة عن :
١- مصادقة القوانين.
٢- مراقبة مدى قانونية اجراءات إدارات الإمارة.
٣- اتخاذ تصاميم في المسائل التي فيها التنازع.
٤- مصادقة التخطيطات، والتشكلات، والميزانية العادية والإنمائية للإمارة.
٥- إتخاذ القرار بخصوص الصلح والحرب بالمشاركة مع الشورى العالي للمحكمة العليا، ومجلس الوزراء تحت رئاسة أمير المؤمنين.
٦- مصادقة المعاهدات بين الدول على مستوى الدول، بمشاركة الشورى العالي للمحكمة العليا و مجلس الوزراء.
٧- المصادقة على خط سير (سياسة) الحكومة.
٨- الإستيضاح والإستجواب من الحكومة.
٩- حراسة قيم وأهداف ومقاصد الجهاد.
١٠- مصادقة منح وأخذ الديون والمساعدات بلا عوض من الدول والمؤسسات الدُولية.
١١- متى ما أراد أمير المؤمنين الإستعفاء من منصبه فيطلع المجلس المتشكل من قاضي القضاة، ورئيس الوزراء، ورئيس الشورى الإسلامي. ثم تنعقد بلا تأخير جلسة الشورى الإسلامي بمشاركة قاضي القضاة، ورئيس مجلس الوزراء، ويتخذون القرار.
١٢- بعد وفاة أو استعفاء الأمير في حالة عدم وصيته، إلى تعيين أمير جديد يقوم قاضي القضاة بشؤون الإمارة.
١٣- المصادقة على إعطاء حق الإمتياز للأجانب لتأسيس شركات صنائع كبيرة، وثقيلة وفق القانون.
المادة الحادية والخمسون: متى ما أتهم عضو مجلس الشورى الإسلامي، أواعضاء مجلس الوزراء ومساعدوا المجلسين، أو القضاة بجريمة، يُطلع الموظف المسئوول الرئيس المختص عن الموضوع، وبعد أن يأذن الرئيس المختص يؤخذ المتهم تحت مراقبة عدلية.

في حالة الجريمة المشهودة يقدر الموظف المسؤول أن يأخذ المتهم تحت مراقبة عدلية، وأن يقبض عليه دون إذن الرئيس المختص.

## الفصل الرابع أمير المؤمنين

المادة الثانية والخمسون: أمير المؤمنين له مكانة على رأس إمارة أفغانستان الإسلامية، ويؤدي صلاحياته وفق أحكام هذا الدستور وقوانين أخرى في أمور تقنينية، وتنفيذية، وقضائية.

المادة الثالثة والخمسون: يكون أمير المؤمنين رجلا مسلماً ويتبع المذهب الفقهي الحنفي، ويملك الجنسية الأفغانية ويكون قد وُلِدَ من الأبوين أفغانيي الأصل.

المادة الرابعة والخمسون: أمير المؤمنين هوالآمر الأول في الإمارة الإسلامية، في حدود الصلاحيات القانونية.

المادة الخامسة والخمسون: صلاحيات، ووظائف أمير المؤمنين عبارة عن :

١- القيادة العليا لجيش أفغانستان الإسلامي.
٢- تعيين رئيس مجلس الوزراء، والوزراء وعزلهم.
٣- لأمير المؤمنين أن يفوض بعض صلاحياته إلى شخص آخر.
٤- الموافقة على تعيين الوزراء الذين قد أيّدهم مجلس الشورى الإسلامي بعد أن رشحهم رئيس مجلس الوزراء، وإعلانهم.
٥- تعيين رئيس المحكمة العليا.
٦- تعيين اعضاء المحكمة العليا بالتشاور مع رئيس المحكمة العليا.
٧- الموافقة على تعيين وعزل القضاة.
٨- الموافقة على إرتقاء، وتقاعد كبار الموظفين من المدنيين والعسكريين، وفق أحكام القانون.
٩- تعيين السفراء في الخارج والمندوبين في الهيئات الدُولية، وقبول رسائل الإعتماد.
١٠- منح الألقاب الفخمة ( المفتخرة ) والميداليات والنياشين، وفق أحكام القانون.
١١- إعلان الحرب والصلح بعد تأييد مجلس الشورى الإسلامي.
١٢- تمثيل إمارة أفغانستان الإسلامية على مستوى رؤساء الدول في المجامع الدُولية.
١٣- توشيح القوانين وإصدار الأحكام التقنينية.
١٤- توقيع العقود والإتفاقيات بين الدول، بعد إتخاذ القرارات فيها من قبل مجلس الشورى الإسلامي.
١٥- إعفاء العقوبات، أو تخفيفها، أو تأجيلها، وفق الأحكام الشرعية.
١٦- توشيح الميزانية العادية، والإنمائية للإمارة.
١٧- تشكيل جلسة الوزراء الغيرالإعتيادية.
١٨- منح الجنسية الأفغانية، وفق أحكام القانون.
١٩- إعطاء الإذن الرسمي لطبع، وتوزيع، ونشر الأوراق النقدية بإقتراح وزارة المالية.
٢٠- إعلان حالة الطوارئ و إنهائها حسب أحكام القانون بعد إتخاذ قرار مجلس الشورى الإسلامي.

المادة السادسة والخمسون: يتم تعيين راتب أمير المؤمنين، وتصرفاته في الممتلكات

العامة، والمكافات، بواسطة القانون.
المادة السابعة والخمسون: لايستطيع أميرالمؤمنين شراء الأموال الحكومية، والممتلكات العامة لنفسه، وأقاربه أو أن يعامل مع الإمارة معاملة انتفاعية.
المادة الثامنة والخمسون: في غياب أميرالمؤمنين يشرف على أمور الإمارة الشخص الذي يفوض إليه الصلاحيات.
المادة التاسعة والخمسون: لأمير المؤمنين مسؤليات أمام القانون كما هي لبقية افراد البلاد.
المادة الستون: تُقرأ الخطبة بإسم أمير المؤمنين.

## الفصل الخامس الحكومة

المادة الحادية والستون: الحكومة هي القوة الإجرائية والإدارية العليا للإمارة، تتشكل من رئيس الوزراء والوزراء.
عدد الوزراء ووظائف الوزراء تنظم بواسطة القانون.
المادة الثانية والستون: رئيس الوزراء يكون رجلا مسلماً ويتبع المذهب الفقهي الحنفي ويكون قد ولد من الأبوين المسلمين.
المادة الثالثة والستون: يعين لرئيس وأعضاء الحكومة راتب مناسب بواسطة القانون.
المادة الرابعة والستون: رئيس الوزراء بصفة رئيس الحكومة له وظائف وصلاحيات آتية:
١- ممثل الحكومة.
٢- الآمر الأول في الإعطاء على مستوى الحكومة، وفق أحكام القانون.
٣- يعمل مجلس الوزراء تحت رئاسة رئيس الوزراء بصفة هيئة متحدة.
٤- نقل بعض من الصلاحيات إلى أحد الوزراء.
٥- توقيع الاتفاقيات والمعاهدات على مستوى الحكومة.
٦- الإشراف على الإدارة وتنظيم أمور واجراءات الوزارات، والوحدات الإدارية المستقلة في اطار الحكومة.
٧- قبول تعيين، وإعطاء الرتبة، وتقاعد، وعزل موظفي الحكومة، وفق أحكام القانون.
المادة الخامسة والستون: وظائف وصلاحيات الحكومة عبارة عن:
١- إعمال السياسة الداخلية والخارجية للبلاد وفق أحكام القانون.
٢- تنظيم اجراءات الوزارات، والوحدات الإدارية المستقلة والدوائر المرتبطة.
٣- اتخاذ التدابير اللازمة في الأمور الإجرائية والإدارية على أساس القوانين، والمقررات، وتصويبات الشورى الإسلامي.
٤- تهيئة وتسويد قوانين ومقررات الحكومة.
٥- طرح، وتنظيم، وتعديلات ميزانية الإمارة وتقديمها إلى الشورى الإسلامي.
٦- طرح، وتطبيق برامج التنمية الإقتصادية والإجتماعية، واتخاذ تدابير الإعمار المجدد.
٧- المراقبة، والإشراف على أمور البنوك، والتأمينات الحكومية ومنع التضخم المالي.
٨- تنظيم أمور الإستقراض الداخلي والخارجي بتصويب من الشورى الإسلامي.
٩- تأمين الأمن والنظم العام في أرجاء البلاد.
١٠- عقد الإتفاقيات والمعاهدات مع الدول والمؤسسات الدُولية وفق القانون.
١١- اتخاذ التدابير اللازمة بخصوص محو الفساد الأخلاقي والإداري.
١٢- إعمال الحجاب على الصبغة الشرعية.
١٣- إيجاد فرص مواطنية لأجل تنمية الشخصية المعنوية، والعلمية والثقافية لاتباع البلاد، في ضوء توجيهات وقيم الإسلام العالية.

١٤- تحكيم وتعميم الأخوة الإسلامية والوحدة الوطنية، وتقوية روح التعاون والمساندة بين الناس.
١٥- إيجاد الجيش الإسلامي، وتقويته، وتربيته، ونموه، وتنظيمه بشكل سالم وفق ارشاد مقام الإمارة.
١٦- تنظيم الشؤون الخاصة بورثة الشهداء، والمعلولين والمعيوبين والأيتام والأرامل.
١٧- تنظيم شؤون عودة المهاجرين، وإيجاد التسهيلات لأجل اسكان ومعيشتهم الإبتدائية.
١٨- الحكومة بصفة القوة الإجرائية للإمارة مسؤولة عن اجراءاتها أمام الشورى الإسلامي وأمير المؤمنين.
١٩- الحكومة مكلفة بتطبيق الأحكام القطعية الصادرة من المحاكم.
٢٠- طرح، وتنظيم، وتطبيق النصاب التعليمي لجميع مؤسسات التعليم وفق موازين الإسلام.
٢١- حماية أملاك الإمارة والأملاك الشخصية من التصرفات الغير الجائزة.
٢٢- جلب مساعدات الدول، والمؤسسات الدُولية دون قيد وشرط لإعمار أفغانستان المجدد.
٢٣- بسط، وتطوير الطب الوقائي، والعلاجي بهدف حفظ وتحسين الصحة العامة.
٢٤- الموافقة على استخدام المتخصصين الأجانب.

المادة السادسة والستون: يتم تعيين، وعزل الوزراء بترشيح رئيس الوزراء وموافقة أمير المؤمنين.

المادة السابعة والستون: لا يمكن لأعضاء الحكومة حين فترة الوظيفة أن يعملوا في التصديات ( المراكز الانتفاعية ) الإمارتية، أوأن يعاملوا مع الإمارة معاملة انتفاعية.

المادة الثامنة والستون: تنظم حقوق وواجبات مؤظفين وعمال الإمارة بواسطة القانون.

المادة التاسعة والستون: كشف الجرائم والقبض على المتهمين هي وظيفة الشرطة، يتم التحقيق والمراقبة وإقامة الدعوى من قبل الإدارة المرتبطة وفق أحكام القانون.

## الفصل السادس القضاء

المادة السبعون :القضاء ركن مستقل لإمارة أفغانستان الإسلامية متشكل من المحكمة العليا وبقية المحاكم.
تنظم تشكيل وصلاحيات المحاكم بواسطة القانون.
المادة الحادية والسبعون :المحاكم مستقلة في قضاءها ( حكمها ) ومكلفة بتأمين العدالة وإصدار حكم مستند شرعي.
المادة الثانية والسبعون: الأحكام القطعية الصادرة من المحاكم واجبة الإعمال، باستثناء حكم الإعدام الذي تنفيذه منوط بتوشيح أمير المؤمنين.
المادة الثالثة والسبعون: يتم المحاكمة في محاكم إمارة أفغانستان الإسلامية علنا.
الحالات التي يجب بحث المحاكمة فيها في جلسات سرية تُعيَّن بواسطة القانون.
إبلاغ حكم المحكمة يكون علنا في جميع الحالات.
المحاكم مكلفة أن تذكر أسباب الحكم في حكمها الذي تصدره.
المادة الرابعة والسبعون: يتم تعيين رئيس القوة القضائية من قبل أمير المؤمنين مع أخذ في الإعتبار الأهلية الكاملة للمذكور.
يتم تعيين المعاونين، ورؤساء الدواوين بالتشاور مع رئيس المحكمة العليا من قبل أمير المؤمنين مع أخذ في الإعتبار معايير التدين، والعلم، والتقوى، والمعرفة التامة بأمور قضائية وحقوقية للبلاد.
المادة الخامسة والسبعون: يتم تعيين القضاة باقتراح من رئيس المحكمة العليا، وموافقة أمير المؤمنين.
المادة السادسة والسبعون: متى ما يرتكب قاض جريمة، تبحث المحكمة العليا حالته، وبعد استماع دفاعه يمكنها تقديم اقتراح عزله إلى أمير المؤمنين.
وإذا تم تأييد اقتراح عزله من قبل أمير المؤمنين، يعزل القاضي من الوظيفة.
المادة السابعة والسبعون: لا يقدر لأي قانون أو مقام أن يخرج قضية أو ساحة من دائرة صلاحيات القوة القضائية، ويفوضها إلى مرجع آخر.
المادة الثامنة والسبعون: يتم ترتيب ميزانية المحكمة العليا من قبل المجلس العالي للمحكمة، وعن طريق الحكومة تقدم إلى الشورى الإسلامي وتؤخذ موافقته.
المادة التاسعة والسبعون: القوانين الخاصة بالموظفين وكافة العاملين الإداريين للإمارة، قابلة التطبيق في حق موظفي وعاملي ادارة القوة القضائية.
المادة الثمانون: صلاحية القضاء علاوة على الوصول إلى القضايا المرتبطة به، تشمل الحل والفصل في جميع الدعاوي التي فيها أشخاص حقيقيون أو حكميون بشمول الإمارة بصفة المدعي والمدعي عليه، وتقام أمام المحكمة وفق أحكام القانون.
المادة الحادية والثمانون: يتم استبدال، وإعطاء الرتبة، وتقاعد، وقبول الإستعفاء، ومحاكمة القضاة بواسطة المحكمة العليا وفق أحكام القانون.

## الفصل السابع الإدارة

المادة الثالثة والثمانون :امارة أفغانستان الإسلامية من حيث الإدارة تنقسم إلى الوحدات الإدارية: الولايات، والمديريات، والضواحيات، والمخافر المدنية التي تُدار وتُموّل بواسطة الحكومة.
المادة الرابعة والثمانون :يتم تشكيل الوحدات الإدارية باقتراح من الحكومة وبعد تصويب الشورى الإسلامي بموافقة من قبل أمير المؤمنين.

المادة الثانية والثمانون: لا يمكن لرئيس وأعضاء المحكمة العليا حين فترة الوظيفة انجاز أي نوع من المعاملة الإنتفاعية مع الإمارة.

## الفصل الثامن النظام الإقتصادي والشؤون المالية

المادة الخامسة والثمانون :يعتمد النظام الإقتصادي لإمارة أفغانستان الإسلامية على أسس الملكية الشخصية والملكية الإمارتية.
الإمارة تقود وتشجع وتحمي نمو اقتصاد البلاد في القسمين ببرامج منظمة في القانون.
المادة السادسة والثمانون:
١- الإمارة مكلفة برعاية الأصول الإسلامية في نمو وتقوية بيت المال، وصرفه.
٢- ينظم جمع وتوزيع الزكاة والعشر وفق أحكام الشريعة بواسطة لائحة مستقلة.
٣- الغاء وانهاء جميع المعاملات الربوية، والمرابحة بلا عوض وظيفة الإمارة.
المادة السابعة والثمانون: تستعمل الإمارة جميع منابع البلاد للتأمين الاقتصادي والاتكاء على النفس لأجل امحاء التأخر، وفي سبيل رفع مستوى معيشة الناس في دائرة برامج التنمية الإقتصادية والإجتماعية وفق الأصول الشرعية.
المادة الثامنة والثمانون: تنظم في أفغانستان الشؤون المربوطة بالمنابع تحت الأرض، والمعادن، والغابات، والمراعي التي لا مالك لها، والمنابع الأساسية للطاقة، والآثار التاريخية، والتأسيسات الإتصالية، والسدود الكبيرة، والمداخل الحدودية، وخطوط المواصلات، والصنائع الكبيرة، والمحطات الإذاعية، والمطارات وغيرها، بواسطة قانون خاص مع أخذ في الاعتبار المصالح العليا للبلاد ورعاية الأصول الشرعية.
تعطى إجازة وحق تأسيس المطابع العامة ونشر المطبوعات، فقط لأتباع أفغانستان وإمارة أفغانستان الإسلامية وفق أحكام القانون.
ينظم استثمار رأس مال القسم الخصوصي لأجل الإستفادة من الغابات والمراعي، ومنابع الطاقة، وفي مجال بيع وشراء وسائل المخابرات، بواسطة القانون.
المادة التاسعة والثمانون: ينظم في أفغانستان نشاط فروع البنوك والمؤسسات الأجنبية في اطار القانون وفق الأصول الإسلامية.
المادة التسعون: اصلاح الطرق، والشؤون البنكية والتغيرات فيها وفق الأحكام الإقتصادية للإسلام، وظيفة الإمارة.
المادة الحادية والتسعون: توسع الإمارة وتقوي نشاط المؤسسات التعاونية أوالانتاجية والتوزيعية في اطار الضوابط الاسلامية عن طريق الادارات المرتبطة.
المادة الثانية والتسعون: تهيئ الإمارة المساعدات المالية والفنية للدهاقين والمزارعين وأصحاب المواشي لأجل إعادة احياء وتوسعة الزراعة وازدياد أنواع انتاجات الزراعة والمواشي، وتساعد في ايجاد الزراعة المختلطة والخصوصية العصرية واحياء الأراضي الموات وتوسعة طرق، وشؤون الري من قبل إداراتها المسؤولة، وفق احكام القانون.
المادة الثالثة والتسعون: تشجع الإمارة وتدافع عن الاستثمارات الخصوصية الداخلية، والخارجية في مجال الصناعة، والتجارة، والبناء، والطيران، والحمل والنقل،

والزراعة، والخدمات، بقصد تنمية الإقتصاد الوطني، وفق القانون.
المادة الرابعة والتسعون: تنظم كيفية بيع العقارات على الأشخاص والممثليات السياسية بواسطة القانون.
المادة الخامسة والتسعون: تدافع الإمارة عن جميع أنواع الأملاك القانونية العامة و الخاصة.
كل فرد مالك قانوني لمحصول كسبه وعمله الحلال.
الملكية القانونية للفرد مصونة عن الإعتداء.
أخذ الملكية جبراً يتم وفق أحكام القانون وحسب حكم المحكمة ذات الصلاحية.
يتم الإستملاك بشكل عادل مقابل دفع قيمة مقدمة، فقط بقصد تأمين المنافع العامة، وفق القانون.
المادة السادسة والتسعون: في إمارة أفغانستان الإسلامية تتعين معايير الرسوم، والمحصول، ومقدارهما، وأنواعهما حسب القانون الشرعي و العدالة الإجتماعية.
يدفع أتباع إمارة أفغانستان الإسلامية، والأفراد الأجانب، الرسوم، والمحصول للحكومة، وفق القانون.
المادة السابعة والتسعون: تتخذ الإمارة التدابير اللازمة عن طريق الإدارات المسئولة بقصد حفظ الثروة الطبيعية، والإستفادة المعقولة من منابعها، وتمنع عن تلوث بيئة الحياة إلى حد ممكن.

## الفصل التاسع السياسة الخارجية

المادة الثامنة والتسعون :السياسة الخارجية لإمارة أفغانستان الإسلامية في ضوء التعاليم الإسلامية القيمة، متكية على أساس اجراء الدور المؤثر، والبناء، لتأمين القيم الإنسانية، والمصالح الإجتماعية، والحرية السياسية، والتمامية الأرضية، والأمن العالمي، والتعاون الدولي.
المادة التاسعة والتسعون: تدافع إمارة أفغانستان الإسلامية عن منشور منظمة الأمم المتحدة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والحركة المحايدة، ونشرة حقوق البشر، وغيرها من الأصول والمقررات المقبولة ما لا تتعارض مع الأصول الإسلامية ومصالح البلاد.
المادة المئة: إمارة أفغانستان الإسلامية على أساس رعاية الحقوق المتبادلة والإحترام المتقابل في ضوء الشريعة الإسلامية، تريد تحكيم العلاقات الجيدة، ونموها، وتوسعتها، وتقدم المناسبات مع جميع دول العالم و خاصة الدولة التي ساندت الشعب الأفغاني المظلوم إبان الجهاد في كفاحه المشروع.
المادة الحادية والمئة: إمارة أفغانستان الإسلامية حسب حق الجيران، تريد مزيداً من المساعدة و التعاون بين الدول المجاورة وتسعى جاهدة في مجال تحكيم الأخوة الإسلامية، واتصال العالم الإسلامي، وتوحيد الأمة المسلمة.
المادة الثانية والمئة: تحترم إمارة أفغانستان الإسلامية في اطار الشريعة الإسلامية حقوق جميع شعوب العالم، وتستنكر أي نوع من التجاوز على حقوقهم، وسلب الحرية.
المادة الثالثة والمئة: إمارة أفغانستان الإسلامية بهدف حفظ وتأمين الحقوق الإنسانية لجميع أفراد المجتمع الإنساني، في سبيل حرية هؤلاء، تدافع عن الدعاوي المشروعة للشعوب المحكومة، و تطالب حل وفصل المنازعات المنطقوية عن الطرق المعقولة والمسالمة في ضوء الأصول الإسلامية، وموازين الإنصاف، و تستنكر إعمال أي نوع من الضغط والقوة.
المادة الرابعة والمئة: تدافع إمارة أفغانستان الإسلامية عن برامج خلع سلاح القوات العالمية المقتدرة الحالية، وإزالة اسلحة الدمار الشاملة.
المادة الخامسة والمئة: أتباع إمارة أفغانستان الإسلامية في الخارج تحت حماية الإمارة، وتدافع عن منافع وحقوقهم الشرعية.

## الفصل العاشر الأحكام المتفرقة

المادة السادسة و المئة :يتم أي نوع من التعديل، والتنقيص، والزيادة في هذا الدستور بإقتراح من أمير المؤمنين، و مجلس الوزراء، ومجلس الشورى العالي للمحكمة العليا، أومن قبل عدد من أعضاء الشورى الإسلامي، ويتم المصادقة عليه بإشتراك الشورى الإسلامي، ومجلس الشورى العالي للمحكمة العليا، ومجلس الوزراء.
المادة السابعة و المئة :بتنفيذ هذا الدستور، القوانين الأساسية للأنظمة السابقة ملغاة بالكامل و ساقطة عن الإعتبار.
المادة الثامنة والمئة: تفسير هذا الدستور من اختصاصيات الشورى الإسلامي.
المادة التاسعة والمئة: أحكام تلك القوانين التي صدرت قبل تنفيذ هذا الدستور، تعد نافذة بشرط ألا تكون ضد أحكام الدين الإسلامي المبين، وقيم هذا الدستور.
المادة العاشرة والمئة: هذا الدستور الذي تم ترتيبه في عشرة (١٠) فصول، ومئة وعشر (١١٠) مواد يعلن تنفيذه من تاريخ توشيحه، وينشر في الجريدة الرسمية.





**قائمة باسماء اعضاء شورى علماء افغانستان الجيدين، بخصوص عرض قوانين ومقررات البلاد ، على أصول الدين الإسلامي المبين**

1- الحاج المولوي نورمحمد ( ثاقب ) قاضي القضاة ورئيس المحكمة العليا في إمارة افغانستان الاسلامية ، ورئيس شورى علماء افغانستان الجيدين ، بخصوص عرض قوانين ومقررات البلاد ،على اصول الدين الاسلامي المبين .

2- الحاج ملا نورالدين ( ترابي ) بن حاجي المولوي محمد قاسم – من ولاية قندهار –

وزير العدل بالنيابة .
3- الحاج المولوي عبدالعلي ( ديوبندي ) بن مولانا شيرمحمد – من ولاية قندهار – مدرس مدرسة اميرالمؤمنين الجهادية في قندهار .
4- الحاج المولوي عنايت الله غيركى اخندزاده بن مولانا عبدالرزاق - من ولاية زابل – مدرس مدرسة امير المؤمنين الجهادية في قندهار .
5- الحاج مولانا سيد محمد ( سدوزى ) والد الشهيد لا لا ملنك ابن سيدمحمد حسن – من ولاية قندهار – مدرس .
6- المولوي محمد شفيع ( ميلوي ) بن غلام دستجير – من ولاية قندهار – مدرس .
7- المولوي عبدالقيوم مولوي ملنك بن الملا محمد عارف – من ولاية باميان – مدرس .
8- المولوي جليل الله ( مولوي زاده ) بن مولانا رحمت الله – من ولاية هرات - المعاون القضائي للمحكمة العليا .
9- المولوي محمدحسن ( سروري ) بن الملا محمد سرور – من ولاية كندز – مدرس .
10- المولوي نعمت الله ( شجاع ) بن المولوي محمد ابراهيم – من ولاية تخار – مدرس .
11- المولوي سراج الدين ( مبارز ) بن الملا عبدالقادر – من ولاية بغلان – مجاهد لواء الحادي عشر .
12- المولوي كمال الدين بن محمد ايوب – من ولاية بغلان – مدرس .
13- المولوي عبدالرحمن اخندزاده بن الملا فيض محمد اخند – من ولاية قندهار – مدرس .
14- المولوي سيد بلال طوره بن سيد برهان الدين استاد الثقافة الاسلامية في الجامعة .
15- المولوي سيد يعقوب بن محمد شيرين – من ولاية لغمان – مدرس المدرسة الهاشمية .
16- المولوي عبدالقدير ( وارث ) بن قربان محمد – من ولاية بدخشان – رئيس افتاء المحكمة العليا .
17- المولوي عبدالرزاق بن جان محمد – من ولاية قندهار – مدرس .
18- المولوي عبدالودود ( بنوري ) بن الحاج محمد ابراهيم – من ولاية قندهار – كفيل الشورى المركزى للعلماء .
19- المولوي عبدالسلام بن الحاج قيام الدين – من ولاية قندهار – رئيس شورى علماء بولدك ومدرس .
20- المولوي لاجورد بن تاج مير – من ولاية قندهار – عضوشورى علماء بولدك ومدرس .
21- المولوي عبداللطيف بن الملا صالح محمد – من ولاية قندهار – مدرس .
22- الحاج المولوي عبدالرحمن ( حنفي ) بن حاجي خير محمد – من ولاية بغلان – مدرس .
23- المولوي موسى جان بن الحاج ميراجان – من ولاية لوجر – مدرس الجامعة

الصديقيه في جلال آباد .
24- المولوي محمد سعيد ( هاشمي ) بن حاجي حق مراد – من ولاية جوزجان – مدرس .
25- المولوي محمد يعقوب ( متوكل ) بن حاجي احمد جان – من ولاية بغلان – مدرس .
26- الحاج المولوي عبدالبر بن الحاج المولوي محمد يونس – من ولاية لغمان – رئيس الادعاء العام في القوات المسلحة .
27- المولوي عبدالله ( حقاني ) بن الحاج محمد شاه – من ولاية سمنكان – مدرس .
28- المولوي نظر محمد آمين بن حاجي قلم الدين – من ولاية لوجر – مدرس .
29- الشيخ عبدالقادر ( اسعدابادي ) بن محمد يوسف – من ولاية كنر – رئيس ديوان الجزاء للمحكمة العليا .
30- المولوي محمد ابصر ( ابو اسحاق ) بن خليفة غلام نقشبند – من ولاية غزني – رئيس ديوان الشؤون المدنية والحقوق العامة للمحكمة العليا.
31- الحاج المولوي سيد عبدالستار باجا بن ميراحمد باجا – من ولاية ننجرهار – عميد الجامعة الهاشمية .
32- المولوي محمد اسلم بن الملا محمد عمر – من ولاية ننجرهار – مدرس .
33- المولوي عبدالغني ( حقاني ) بن المولوي عبيد الله – من ولاية قندهار – مدرس .
34- المولوي ميرمحمد حبيب بن سيد محبوب - من ولاية لوجر – مستشار مقام رئاسة المحكمة العليا.
35- المولوي عبدالستار ( صديقي ) بن مرحوم شيرجان –- من ولاية غزني – المعاون الاداري سابقاً للمحكمة العليا .
36- المولوي محمد عمر ( حنيف ) بن شين كل – من ولاية بكتيكا – رئيس دارالانشاء للمحكمة العليا والامين العام لهذا الشورى .
37- المولوي جلال الدين ( شينواري ) بن المولوي فضل الرحمن – من ولاية ننجرهار – مساعد وزير العدل .
38- المولوي مخدوم حيات الله ( حبيبي ) بن المولوي حبيب الله – من ولاية تخار – القائد الجهادي .
39- الحافظ عبدالله ( عندليب ) بن سيدنياز – من ولاية كندز – استاذ دارالحفاظ .
40- المولوي عبدالوارث ( حقاني ) بن الملا عبدالواحد- من ولاية لغمان – رئيس الحج والاوقاف .
41- المولوي سفير فضل هادي – من ولاية لغمان – مدرس .
42- المولوي احمد بن محمد روزي – من ولاية سمنكان – مدرس .
43- المولوي الحافظ حبيب الله ( سمنكاني ) بن الملا دولت – من ولاية سمنكان – مدرس .
44- المولوي عبدالديان ، مدرس .

45- المولوي فيض محمد ، مدرس.
46- المولوي سيد حفيظ الله – من ولاية غزني – رئيس الاستيناف المركزى .
47- المولوي عبدالحى ( زعفراني ) – من ولاية كندز – الرئيس العام لدار الافتاء للمحكمة العليا .
48- المولوي امام الدين ( نيازى ) – من ولاية بغلان – مدرس .
49- المولوي احمد الله – من ولاية كابل – رئيس محكمة الاسر والاموال المنقولة لمدينة كابل .
50- المولوي محب الله بن حاجي محمد باز – من ولاية لغمان – قاضي ديوان الامن العام للمحكمة العليا.
51- المولوي محمد امين ، مدرس .
52- المولوي محمد عظيم ،مدرس .

# ملحق ٢

## الجماعة الإسلامية المسلحة

# هداية رب العالمين
# في تبيين أصول السلفيّين
# وما يجب من العهد
# على المجاهدين

*أمير الجماعة الإسلامية المسلحة*

*أبو عبد الرحمن أمين*

**الفهرسة الموضوعية:**

*بسم الله الرحمن الرحيم*

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله عز وجل وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

أيها الإخوة المجاهدون خاصة والمسلمون عامة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، جعلنا الله وإياكم ممن يحبهم لأنهم يقاتلون في سبيله صفّاً كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤] ولقوله: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" وشبك بين أصابعه [١]

ولما كان من خصائص أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية، ذم الفرقة والاختلاف والحث على الاجتماع والائتلاف، ومن خصائصهم أيضا ترك الخصام والجدال والمراء وكثرة الكلام حتى قال بعض السلف: "إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الجدل، وإذا أراد بعبد

---

[١] - رواه الشيخان والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

شراً أغلق عليه باب العمل وفتح له باب الجدل" وحفاظاً عل سلامة المنهج وتبيين الحق وأهله، كان هذا الكتاب بادرة خير لتحقيق هذه الخاصية نسأل الله تعالى أن يحقق بها المقصود، وأن تكون خالصة لوجه الواحد المعبود وقد سميتها بفضل الله تعالى: **"هداية ربّ العالمين في تبيين أصول السلفيين وما يجب من العهد على المجاهدين"**. وقد طالعها كل أعضاء اللجنة الشرعية وفرحوا بها. وراجع الأصول المذكورة فيها وكذا المادة التاريخية كلّ من الإخوة: "أبو طلحة عنتر الزوابري"، "أبو أحمد عبد الحليم شلالة"، "أبو نوح عبد الغني" من القصبة، وكل هؤلاء من الإخوة الأوائل الذين أكرمهم الله بفضل الأسبقية والبلاء الحسن.

فعلى كل من يصله كتابي هذا أن يقرأه بتمعن وفقه، وأن يلتزم بالصدق في طلب الحق وأن يعمل بما فيه من الصواب الذي لا يخالف نصّا ولا إجماعاً، ونسأل الله رب العالمين أن يكون قد هدانا ووفقنا في تبيين بعض أصول منهجنا –أصول السلفيين – وكذا ما يجب على المجاهدين من البيعة والعهد، ونسأله أن يلهمنا الصواب والسداد في كل أمورنا وأن يغفر لنا أخطائنا وزلاّتنا، وأن ينصرنا على المرتدين والكفار الأصليين وأن يجعلنا سيفاً مضروبا على رقاب الفتانين والمبتدعين وأن يجعلنا من الطائفة المنصورة التي جعلها باقية في هذه الأمة بقاء الدنيا وأن يوفقنا إلى ما فيه خير هذه الأمة وصلاح دينها ودنياها إنه قريب مجيب.

**أخوكم في الله: أبو عبد الرحمن أمين**

**أمير الجماعة الإسلامية المسلحة**

**الجمعة. . شعبان ١٤١٦ هـ**

# فصل

## حال الأمة الإسلامية اليوم وواجبها

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ρ قال: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلّط الله عليكم ذلاّ لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » [١].

وعن ثوبان قال قال رسول الله: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها [وفي رواية: يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها» . فقال قائل: ومن قلّة منا يؤمئذ ؟ قال: « بل أنتم يؤمئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنّ في قلوبكم الوهن [وفي رواية: أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء، كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن] » .

قال قائل يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»[٢].

لاشكّ أن هذين الحديثين قد تحققا –وذلك من علامات النبوة – فقد تداعى على الأمة أعداؤها من كل جانب وتسلّطوا عليها وساموها الذل والهوان، وإنما ذلك بابتعادها عن الدين وعدولها عن الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة إلى غيره من الأديان وعبادة الأوثان والأنظمة والأحكام التي ما أنزل الله بها من سلطان، وتركها للجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ والركون إلى الدنيا وحطامها والرضى بالزرع، فسلّط الله عزّ وجلّ عليها ذلاّ، وهذا ما دلّ عليه القرآن كما في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التوبة:٣٩]، ومن العذاب في الدنيا استيلاء العدو وتسليط الذّل كما في الحديث أعلاه.

ولا طريق إلى رفع هذا الذّل، والخلاص من تسلّط الأعداء إلاّ بما جاء في الحديث الأول: « لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » ومن ذلك الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ. ومصداق هذا قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[الأنفال: ٣٩].

---

[١] - صحيح رواه أبو داود وغيره انظر صحيح الجامع الصغير رقم ٤٣٢

[٢] - رواه الإمام أحمد وأبو داود وصححه الألباني في المشكاة والصحيحة وانظر صحيح الجامع رقم ٨١٨٣

فمتى كانت الفتنة وهي الشرك – أي نوع من الشرك كان، سواء في العبادة أو الدعاء أو القصد أو الطاعة أو الحكم. . . – وجب القتال ﴿حَتَّى لا تَكُون﴾ . ومتى كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ .

لذلك فإن الأعزة بالإيمان والذين استجابوا لله وللرسول إذ دعاهم لما يحييهم، قد عرفوا سبيل النّجاة واتخذوه سبيلا، وسلكوه طريقاً إلى الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت:٦٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله وإقامة حدوده وقتال أعدائه والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر رادّ ولا يصدّهم عن ذلك صادّ، ولا يحيك فيهم لوم لائم ولاعذل عاذل فهم يسعون إلى نصرة دين الله ونشر توحيده وإقامة شريعته[١]

وأما الأذلة المهزومون فقد عرفوا هذا السبيل ولم يتخذوه سبيلا، ورضوا بالذل والوهن واختاروا المداهنة والمداورة، بل ومنهم من أراد الخروج من الردّة بالردّة، فكان حالهم كحال الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾[محمد: ٢٦].

---

[١] - راجع تفسير ابن كثير ٥٩٤/٢ ـ ٥٩٨

# فصل

## أحكام عامة في الجهاد

وبعد هذا فإن الجماعة الإسلامية المسلّحة تؤمن بالأحكام الآتية:

**أولا**: الجهاد ماض إلى قيام الساعة مع كل برّ وفاجر لا يبطله شيء، قال رسول الله: « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى قيام الساعة، الأجر والمغنم »[١].

**ثانيا**: الجهاد في سبيل الله يكون على نهج النبوة وفق فهم السلف الصالح – سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان – بالكتاب الهادي والحديد الناصر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحديد: ٢٥]، وعن معاوية قال: قال رسول الله: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة»[٢] في رواية «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله »[٣].

**ثالثا**: الأمة المسلمة أمة مجاهدة، لأن الجهاد فرض عليها في جميع أحوالها إما على الكفاية وإما على الأعيان ولأن الله قال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال: ٦٠] وهو ذروة سنام الإسلام وعلى هذا الأصل يجب أن تصاغ سياستها.

**رابعا**: الجماعة الإسلامية المسلحة تعتبر الجزائر داراً مركبة فيها المعنيان: فهي دار حرب ودار إسلام، يعامل الناس فيه بحسب إسلامهم أو كفرهم وولائهم أو براءهم، فيعاملون بما يستحقونه بحسب ذلك، فالمسلم منهم معصوم الدم والمال إلا بحق الإسلام، والخارج عن شريعة الإسلام يقاتل بما يستحقه.

---

[١] - رواه أحمد والبخاري
[٢] - رواه مسلم
[٣] - رواه البخاري

**خامسا**: المقصود بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إعلاء كلمة الله وإظهار الدين كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٩]، وهداية العباد لمصالح المعاش والمعاد بحسب الإمكان، فمن هداه الله سعد في الدنيا والآخرة ومن لم يهتد كفّ الله ضرره عن غيره بذلك، قال صلى الله عليه و سلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله »[١] .

**سادسا**: الجهاد في هذه الأزمان فرض على الأعيان بالنفس والمال واللسان والقلب في كافة الديار التي كانت يوما ما إسلامية.

**سابعا**: لا استئذان في فروض الأعيان.

**ثامنا**: أحق الناس بالمال المجاهدون في سبيل الله حتى تتحقق الكفاية ولو مات الرضع والأطفال والجيّع، لأن حفظ الدين أولى من حفظ النفس قال الله تعالى: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧] .

**تاسعا**: الأعذار المعتبرة شرعاً من مرض وعمى وعرج وفقر وعجز لا تُسقط واجب النصرة والنصح والإحسان للجهاد والمجاهدين، وكذلك الأسر قال تعالى: ﴿ لَيسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة ٩١] .

**عاشراً**: انعدام الإمام على المسلمين لا يُسقط وجوب الجهاد، بل يكفي تأمير أحدهم.

**حادي عشر**: لا يمنع من الجهاد وجود فجور ومعاصي في معسكرات المسلمين وصفوف المجاهدين، إذا لم يمكن ذلك إلا معهم، لقوله: « أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[٢] وقال: «إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم »[٣] .

**ثاني عشر**: تعدد الرايات في الجهاد حرام، إلا أن هذا لا يبرر القعود عنه.

**ثالث عشر**: وضوح الراية واجب لقوله : «من قتل تحت راية عميّة، يدعو عصبية، فقتلة جاهلية»[٤]

---

[١] - رواه البخاري
[٢] - متفق عليه عن أبي هريرة
[٣]- صحيح رواه النسائي وابن حبان عن أنس، وأحمد والطبراني في الكبير عن أبي بكرة انظر صحيح الجامع ١٨٩٩
[٤] - رواه مسلم عن جندب بن عبد الله

**رابع عشر:** قتّال المرتدين مقدم على قتال غيرهم من الكفار الأصليين من وجوه:

أ –إجماع الصحابة على البدء بقتال المرتدين.. فالصديق وسائر الصحابة بدؤوا جهادهم قبل جهاد الكفار الأصليين من أهل الكتاب والمشركين.

ب –جهادهم من باب قتال الدّفع المتعيّن .. وهو من أشدّ دفع الصّائل عن الحرمة والدّين.

ج –لأنهم أقرب إلى المسلمين وأشد خطراً وفتنة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾[التوبة: ١٢٣].

د –عقوبة المرتدين أشد من عقوبة الكافرين الأصليين في الدنيا وكذا في الآخرة. فلا تعقد لهم ذمة ولا أمان ولا عهد ولا صلح ولا هدنة ولا يُقبل منهم إلاّ التوبة أو السيف.

**خامس عشر:** لا يمنع من القتال عدم انفصال الدارين (أي دار الكفار ودار المسلمين) ولا اختلاط المسلمين بالكافرين كوجود المستضعفين أو المكرهين من المسلمين في صفوفهم.

**سادس عشر:** جهاد الكفار الأصليين من أهل الكتاب والمشركين واجب على المسلمين وهو على ضربين:

أ –إما ابتداءً – وهو جهاد الطلب – وهذا فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وكان الفضل لمن قام به كما قال الله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾[النساء: ٩٥]، وإذا قعدوا عنه ولم يقوموا به أثموا جميعاً.

ب –وإما دفعاً – وهو جهاد الدفع – وهذا فرض على الأعيان من المسلمين بالمال والنفس مع القلة والكثرة والمشي والركوب، وتسقط فيه كل الشروط المعتبرة شرعاً غير البلوغ والإسلام والعقل والسلامة من الضرر والذكورية – وهذه على خلاف – .

**سابع عشر:** وأصل هذا هو جهاد الكفار أعداء الله ورسوله لكل من بلغته دعوة رسول الله إلى دين الله الذي بُعث به فلم يستجب له فإنه يجب قتاله ﴿حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[الأنفال: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾[التوبة:٥]، وقال تعالى

لنبيه كما في الحديث القدسي: « إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك – إلى قوله – استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نُغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك »[١]، فمن أسلم فقد اهتدى ومن امتنع وقبل الذمّة –الجزية والصغار – قُبل منه، ومن رفض ذلك قُوتل كما قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

**ثامن عشر:** إذا تعين الجهاد يحرم تركه إلا لعذر شرعي لأن ذلك من الكبائر للوعيد الوارد فيه، لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩]، ولقوله: « من مات ولم يغزُ ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق »[٢].

**تاسع عشر:** عقد العهود من صلح وهدنة وتحالف وذمّة ونسخها من حق الأمير بحسب ما يراه من مصلحة الإسلام والمسلمين.

**عشرين:** أمان الأفراد من الكفار الأصليين يصحّ من الأمير كما يصح من أحاد المسلمين لقوله: « ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يتقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً »[٣].

**أحد وعشرين:** والرسل لا تُقتل لقوله لرسولي مسيلمة الكذاب: « . . .لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما»[٤].

---

[١]- رواه مسلم عن عياض بن حمار
[٢]- رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة
[٣] - رواه البخاري ومسلم من حديث عليّ ورواه مسلم عن أبي هريرة
[٤]-صحيح أخرجه الإمام أحمد وأبو داود مطولا والنسائي مختصرا والطبراني في الكبير عن نعيم بن مسعود الأشجعي وله شاهد عند أبي داود والحاكم بسند حسن عن أبي مسعود وفيه، قال ابن مسعود: (فمضت السنة أن الرسل لا تُقتل) .

# فصل

## نشأة الجماعة في سطور

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله : «لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»[١]. وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله يقول: «لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صلّ لنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»[٢].

إن الله قد عهد لهذه الأمة أن يجعل عليها طائفة تقاتل دونها باقية فيها بقاء الدنيا ويظل ناس ممن أنعم الله عليهم بالإيمان والتصديق بهذه الأحاديث يحاولون دائماً التعرف على أوصاف هذه الطائفة للالتزام بها وحتى يكونوا أحق بها وأهلها . وممن نحسبهم كذلك ولا نزكّي على الله أحداً:

الأخ بويعلي مصطفى رحمه الله ومن ثبت معه فقضى نحبه أو لا يزال ينتظر وما بدّل تبديلا .

ثم الإخوة الذين حاولوا أن يحيوا فريضة الجهاد في أمتهم ببدء القتال مبكراً وبوسائل بسيطة وإيمان قوي وشجاعة نادرة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر فإنه لا يعلم جنود ربّك إلاّ هو:

- المجموعة التي قامت بعملية محكمة البليدة تحت إمارة الأخ نصر الدين كُحيل رحمه الله وذلك سنة ١٩٨٩ .

- المجموعة التي قامت بعملية المتفجرات سنة ١٩٩٠ نذكر منهم عبد الرحيم غرزول (القارئ)، توفيق بن طبيش وفرطاس علي عليهم رحمة الله جميعاً .

- جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحت إمارة الأخ محمد خير رحمه الله بـ"القصبة" .

- جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحت إمارة الأخ على الزوابري رحمه الله بـ"بوفاريك" سنة ١٩٩١ .

---

[١] - رواه مسلم
[٢] - رواه مسلم

- جماعات أخرى كجماعة "براقي" مثلا.

هذه المجموعات التي توحّدت في أوت من سنة ١٩٩١ تحت إمارة الأخ نور الدين سلامنة رحمه الله ثم خلفه بعد مقتله في فبراير ١٩٩٢ الأخ محمد علاّل رحمه الله. وكانت هذه هي النواة الأولى للجماعة وقد نشطت عمليات كثيرة منها عملية مقر الدرك ببني مراد "البليدة" في ديسمبر ١٩٩١.

- مجموعة الأخ عبد الرحمان دهان أو سهام، والأخ الطيب الأفغاني، رحمهما الله، التي قامت بعملية تمار في نوفنبر ١٩٩١.

- مجموعة الأخ منصوري الملياني رحمه الله التي قامت بعملة البحرية في فبراير ١٩٩٢.

وبعد أسر الأخ الملياني خلفه الأخ أحمد الودّ على إمارة مجموعته، كما خلف الأخ أبو عدلان عبد الحق لعيايدة –أطلق الله سراحه – الأخ محمد علال بعد مقتله – وقد . . (حذف في الأصل بمقدار ثلاث كلمات)

* وفي أكتوبر سنة ١٩٩٢ عُقد لقاء حضره عن جماعة الملياني تحت إمارة أحمد الودّ الإخوة منير وسيد أحمد لحراني وفتحي وقرروا الانضمام إلى جماعة الأخ أبي عدلان عبد الحق لعيايدة. ويومها سميت الجماعة بـ"الجماعة الإسلامية المسلحة" وأصدر الأخ عبد الحق لعيايدة بيانا تبنى فيه مجموعة كبيرة من العمليات على مستوى البلاد، كما أصدر القانون الأساسي للجماعة.

ومن هنا بدأ العالم يتعرف على الجماعة الإسلامية المسلحة فيلتحق بها من المؤمنين المقاتلون، ويسأل عن أخبارها المثبطون والمذبذبون، ويبغضها المرجفون والمنافقون ويرهبها الكفار والمرتدون. قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

* وبعد أسر الأخ عبد الحق لعيايدة بالمغرب تولى الإمارة بعده الأخ عيسى بن عمار رحمه الله في جويلية سنة ١٩٩٣ والذي قاد معركة الشرشار الشهيرة التي قتل فيها ما لا يقل عن (٥٩) مرتداً وغنم فيها الإخوة:

(٠٢) اربيجي مع قذائفها.

(٠٤) رشاشات ثقيلة من نوع (إف. إم . بي. كا)

(٤٣) رشاش من نوع (كلاش) .

(٠٢) جهاز اتصال لا سلكي.

وقتل فيها مجاهد واحد نحسبه عند الله من الشهداء ولا نزكي على الله أحداً .

* وبعد مقتل عيسى بن عمّار رحمه الله حمل الراية الأخ جعفر سيف الله وذلك في أوت سنة ١٩٩٣ الذي أرعب أعداء الله بشهادة العالم أجمع وقد كان نائبه الأخ أبو يونس السايح عطية أمير منطقة ولاية المديّة الذي قتل في معركة بوعيشون في ٠٣ رمضان ١٤١٤هـ من سنة ١٩٩٤ وغنم فيه الإخوة :

(٠١) رشاش ثقيل من نوع (إف. إم. بي. كا)

(٣٢) رشاش من نوع كلاش ودخيرة.

* وبعد مقتل الأخ جعفر يوم ١٦ رمضان ١٤١٤هـ من سنة ١٩٩٤ تولى الإمارة الشيخ أبو عبد الله أحمد رحمه الله وهو الذي أثرى القانون الأساسي وسماه: "القواعد الأساسية المفلحة في الجماعة الإسلامية المسلحة". كما تم انضمام الجبهة الإسلامية للإنقاذ وحركة الدولة الإسلامية على يده وبايعه الجميع على السمع والطاعة تحت راية الجماعة الإسلامية المسلحة ومنهجها السلفي وذلك بشرط التوبة من الجبهة ومسارها الديمقراطي وكان هذا بتاريخ ١٤ ماي ١٩٩٤.

* ولما قتل الشيخ أبو عبد الله أحمد يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٩٤ خلفه الأخ أبو عبد الرحمن أمين أميراً على الجماعة الإسلامية المسلحة.

والآن والحمد لله لم يبق للجماعة حرج في أن تعلن جازمة أنه لا يوجد راية واضحة للقتال شرعية على منهاج النبوة في هذه الديار غيرها قال الله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٦]، والله ولي التوفيق وهو يهدي السبيل.

# فصل

## من أصول منهج الجماعة الإسلامية المسلحة

عن معاوية قال سمعت رسول الله يقول: « لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»[١] . إن معرفة الطائفة المنصورة وأصولها وصفاتها وعلاماتها والالتزام بها – وخاصة عند الافتراق ووجود الاختلاف – هو من الواجبات كما هو معلوم فهي التي تحفظ العبد بإذن الله من الزلل وتعصمه من الضلال. وعن أبي هريرة أن رسول الله قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة»[٢] وفي رواية: « . . . وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة – يعني الأهواء – كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»[٣].

ولئلاّ ينخدع المسلمون بكل من يرفع راية الجهاد وإن سماها إسلامية أو سلفية، حتى ينظروا في عقيدتها ومنهجها وسلوكها، والعمل على ذلك، لأن المطلوب هو الاعتصام بالكتاب والسنة وهدي سلف هذه الأمة – الذي يحفظ هذا الدين ثابتاً على أصوله المستقرة – لا الاعتصام مطلقا بأي حبل كان لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾[آل عمران:١٠٣] – ولقوله لما سئل عن الجماعة «قال: ما أنا عليه وأصحابي»[٤] وسنذكر إن شاء الله في هذه السطور بعض المبادئ التي تعتقدها الجماعة وتسير عليها، وهي من أصول وخصائص أهل السنة والجماعة، وسنكتفي هنا بذكر ما له علاقة بهذه الوثيقة فقط، فنقول وبالله التوفيق:

١ – الجماعة الإسلامية المسلحة: سنية، سلفية: عقيدة، ومنهجاً، وسلوكاً .

٢ – الجماعة الإسلامية المسلحة هي الراية المبصرة، الشرعية والوحيدة في هذه الديار .

٣ – تعتقد الجماعة الإسلامية المسلحة عقيدة أهل السنة والجماعة – الفرقة الناجية – عقيدة القرون الثلاثة الفاضلة، وهي وسط بين الفِرق كلّها، ففي الأسماء والصفات بين المشبهة والمعطلة، وفي القدر بين الجبرية والقدرية، وفي أسماء الإيمان بين المرجئة والجهمية والخوارج والمعتزلة

---

[١] - متفق عليه واللفظ لمسلم

[٢] - رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة .

[٣] - رواه أبو داود وصححه الألباني في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (٥٧٨)

[٤] - رواه الترمذي واللفظ له والحاكم وأبي عساكر عن عبد الله بن عمرو وهو حسن باعتبار شواهده انظر السلسلة الصحيحة برقم ١٣٤٨.

وفي أصحاب رسول الله  بين الرافضة والخوارج. ذلك لأن الله قال: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾[البقرة:١٣٧]، وقال النبي عن الفرقة الناجية: «ما أنا عليه وأصحابي»[١].

الإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح. وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأهله متفاوتون، ولا نكفّر أحداً من أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج.

من الإيمان بالله توحيده في ألوهيته ويسمى بالتوحيد الطلبي القصدي الإرادي وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وتجريد المحبة والإخلاص له والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له والتوكل عليه. والنوع الثاني التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، وهو تفرّد الله عز وجل بالربوبية واتصافه بصفات الكمال التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسول الله  في الإحاديث المتواترة منها الآحاد وصفا حقيقيا لا مجازاً.

– ومن الإيمان بالله توحيده في أسمائه وصفاته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل نؤمن بأن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، إثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل.

– ونؤمن بملائكته الكرام إجمالا وتفصيلا وكتبه التي أنزلها وأنها جميعا كلامه سبحانه وتعالى حقيقة لا مجازاً غير مخلوق. ونؤمن بالأنبياء والرسل جميعاً ولا نفرق بين أحد منهم وأنهم درجات عند ربّهم (فاتخذ إبراهيم خليلاً وكلّم موسى تكليماً ورفع إدريس مكاناً عليّاً) وجمع كل ذلك لخاتمهم وأفضلهم محمد بن عبد الله  وأن شريعته ناسخة لكل الشرائع، وأنه مبعوث للجن والإنس عامّة.

– ونؤمن بكل ما أخبر به النبي  وصحّ عنه ولو كان آحاداً، مما شهدناه أو غاب عنّا، عقلناه أو جهلناه، أدركناه أو لم نطّلع على حقيقة معناه أنه صدق وحق، كالإسراء والمعراج وأنه كان بالروح والجسد وانشقاق القمر وأشراط الساعة كخروج الدجال الأعور ونزول عيسى عليه السلام وظهور المهدي... وأشباه ذلك مّما صح به النقل، ولا نثبت عقيدة ولا حكماً شرعياً برؤيا ولا ذوق ولا كشف ولا عقل.

– ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به الكتّاب والسنة ممّا يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر ونشر الصحف ونصب الموازين والصراط... والإيمان بالحوض والشفاعة وإخراج أهل التوحيد من النار، وأحوال الجنة والنار وما أعدّه الله لأهلها.

---

[١] - حسن سبق تخريجه في التعليق رقم ٢١

– نؤمن بأن المؤمنين يرون ربّهم يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس صحواً والقمر ليلة البدر، في الجنة وفي عرصات القيامة كما يشاء ربُّنا عز وجل، ولن يراه أحد في الحياة الدنيا . ونؤمن أن الله تبارك وتعالى يكلم العباد يوم القيامة بحرف وصوت ليس بينه وبينهم ترجمان.

– نؤمن بالقضاء والقدر حلوه ومرّه، خيره وشره من الله، وأنه فعّال لما يريد ولا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج عن مشيئته وتقديره وتدبيره وهو بكل شيء عليم.

– نؤمن أنه خالق العباد وخالق قدرتهم وأفعالهم خيرها وشرّها وأنّهم هم الفاعلون لها حقيقة وهي من كسبهم، ومع ذلك أمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته. والكلام في القدر مكروه لا يكون صاحبه من أهل السنة والجماعة وإن أصاب، حتى يدل الجدل فيه ويسلّم.

**٤** – الجماعة الإسلامية المسلحة، تلتزم منهاج النبي علما وعملا، باطناً وظاهراً، وتتبع منهاج السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومن جاء بعدهم، وسار على طريقتهم واتبع سبيلهم.

فاتباعهم هدى وخلافهم ضلال. قال الله تعالى:﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾[النساء:١١٥].

وهي متبعة في ذلك وصية رسول الله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجد، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»[١] – الحديث.

فالأصل عندنا الاتباع لا الابتداع كما قال عبد الله بن مسعود . فالاتباع يكون في كل صغيرة وكبيرة كما يكون الابتداع في الدين في كل صغيرة وكبيرة لأن كل بدعة ضلالة. والابتداع لا ينحصر في العقائد والعبادات فحسب، بل ويشمل الذوق والفكر كذلك بل الابتداع الكفري أخطر بكثير منه في العبادة، لأنه سبب الضلال والزيغ عن المنهج والطريق وإذا كان السابقون من المبتدعة من أمثال الصوفية قد ابتدعوا في السير والسلوك، والخوارج والمعتزلة والأشاعرة قد ابتدعوا في العقائد، فإن أحفادهم المتأخرين قد ابتدعوا في المنهج والسبيل بدعوى الفكر والمصلحة والتجديد .

---

[١] - صحيح رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان والدارمي والحاكم وابن أبي عاصم، عن العرباض بن سارية.

٥ – الجماعة الإسلامية المسلحة لا تقدّم كلام أحد كائنا من كان على كلام الله وكلام رسوله عملا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١] وتعود إليهما عند الاختلاف والتنازع لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء:٥٩]. وتزن جميع ما عليه الناس من أقوال وأفعال وماهب وآراء باطنة وظاهرة مما له تعلق بالدين بالأصول الثلاثة وهي: الكتاب والسنة الثابتة وإجماع سلف الأمة[١].

٦ – تعتقد الجماعة الإسلامية المسلحة أن حكم الوسائل حكم الغايات والمقاصد (في العادة أو الدعوة أو السلوك) فهي توقيقية لا مجال للاجتهاد فيها، فالذي تعبدنا بالغايات تعبدنا بالوسائل أيضا، والذي شرع الغاية لم ينس الوسيلة كذلك، فنحن نعتقد أن التقرب إلى الله وعبادته وتحكيم شرعه لا ينال إلا بفعل ما شرع الله وعلى الوجه الذي شرعه. أما ما لم يشرعه من وسائل التقرب إليه والدعوة إلى دينه فإنه تعالى لا يقبله ولا يرضاه ومن ذلك مثلا لا حصرا: التوسل البدعي أو الشركي في الدعاء والعبادة أو الطرق الانتخابية والبرلمانية في الدعوة السعي إلى تحكيم شرع الله – وغير ذلك.. ومن نظر في هدي السلف الصالح وتطبيقهم وفهمهم رأى أنهم – أجمعين – كانوا يدققون في أمور العبادات كلها تدقيقا بالغا، دون النظر في التفريق الحادث بين ما يسمى بـ: (الوسائل) أو (الغايات). وتعتقد أن القاعدة القائلة "الغاية تبرر الوسيلة" هي قاعدة خبيثة ضالة. وقد ثبت عن نبينا أنه قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»[٢] وفي رواية: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ»[٣].

٧ –الجماعة الإسلامية المسلحة لا تقدم على أي عمل مهما كان حتى ترى فيه حكم الله ورسوله ولا تعارضه لا بعقل ولا قياس ولا ذوق ولا كشف ولا فهم لغوي ولا قول شيخ أو إمام أو مذهب قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، وقال: ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه[٤][٥]

---

[١] - السنة الثابتة تشمل الصحيح والصحيح لغيره والحسن والحسن لغيره ولو كانت آحاداً وهي حجة في العقائد والأحكام. وقلنا إجماع سلف الأمة لأن الإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشر في الأمة ولم يوجد إجماع على حدّه ولذا أنكره الإمام أحمد وغيره من أهل التحقيق، وهذا لا يعني انعدام الإجماع وعدم وقوعه في الأمة. كما أننا نعتقد بقاء الاجتهاد.

[٢] - متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها

[٣] - صحيح رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها

[٤] - متفق عليه من حديث أبي هريرة

[٥] -

وهي لا تتعصب إلا لكلام الله وكلام رسوله المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، ففيهما النجاة لقوله: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتى ولن يفترقا حتى يردا على الحوض »[١]. وأما غيره من البشر فمهما علت رتبته فإنه معرض للخطأ ولا يؤمن عليه الزلل، وكل أحد بعد النبي يؤخذ من كلامه ويردّ.

٨ –غاية الجماعة الإسلامية المسلحة هي تحقيق العبادة لله وحده، الجامعة لمعرفته والإنابة إليه وإخلاص الدين له وهو التوحيد تماماً كما تحويه كلمة (لا إله إلا الله) من نفي وإثبات، قال النبي : «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجُعل رزقي تحت ظل رمحي وجُعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم»[٢] ونفي الشرك كله (إن في المحبة أو القصد أو الدعاء أو الطاعة أو الحكم. . .)، والكفر بالطواغيت والآلهة والأرباب والأنداد جميعا – أحياءهم وأمواتهم– والبراءة منهم، وهي الغاية من خلق الجن والإنس وبعثة الرسل وإنزال الكتب وأصل الدين كله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

٩ –تعمل الجماعة الإسلامية المسلحة لإعلاء كلمة الله عن طريق الدعوة لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨] وعن طريق القتال لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[الأنفال: من الآية ٣٩] وقد جمع النبي بين ذلك في قوله: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »[٣].

١٠ –الجماعة الإسلامية المسلحة تسعى لإقامة خلافة على منهاج النبوة، لحراسة الدين وسياسة الدنيا، فالمقصود من الولاية: إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا. وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر الدنيا. ولذا كان من الواجب على الأمة إقامتها.

١١ – الجماعة الإسلامية المسلحة تهدف إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله في جميع الأمور: العقائدية والدعوية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وكذا جميع شؤون الناس قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٣] وقال النبي : «وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم »[٤]،

---

[١] - صحيح رواه الحاكم عن أبي هريرة τ، انظر صحيح جامع الصغير ٢٩٣٧
[٢] - صحيح رواه أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو في صحيح الجامع رقم ٢٨٣١
[٣] - صحيح رواه أبو داود عن أنس τ.
[٤] - حسن رواه ابن ماجه وأبو نعيم في الحلية والحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن ابن عمر τ، السلسة الصحيحة رقم ١٠٦

كما تهدف إلى نبذ كل ما يخالف ذلك من أهواء وآراء وسياسات ومناهج وعقائد ومذاهب وأفكار. قال الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[النساء:٦٥] وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] .

**١٢** – تنصيب أمير على الجماعة الإسلامية المسلحة واجب لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩] ولقوله : «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم »[١].

**١٣** – إمارة الجماعة الإسلامية المسلحة إمارة عامة، وليست إمارة حرب خاصة، يقوم فيها الأمير بمهام الإمام الشرعية والقضائية والعسكرية والسياسية والمالية وغيرها .

**١٤** – إمارة الجماعة الإسلامية المسلحة إمارة فردية وليست جماعية، كما جاء في الحديث أعلاه، ولقوله: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الأخير منهما »[٢]، وعلى هذا دلّ الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

**١٥** –الشورى عند الجماعة الإسلامية المسلحة مُعلمة غير مُلزمة، وهي من سنة النبي وهديه وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، مندوبة مستحبّة وليست واجبة، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران:١٥٩] . وتكون في المسائل المباحة والاجتهادية التي لا نصّ فيها عملاً بالقاعدة: "لا اجتهاد مع نص"، قال البخاري: "وكانت الأئمة بعد النبي يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضع الكتاب أو السنة لم يتعدّوه إلى غيره اقتداء بالنبي "[٣].

**١٦** – الجماعة الإسلامية المسلحة: تشترط البيعة لأميرها على السمع والطاعة في المنشط والمكره، والعسر واليسر وعلى إقامة أحكام الكتاب والسنة والالتزام بالمنهج السلفي.

---

[١] - صحيح رواه ابو داود وغيره عن أبي سعيد، وله عن أبي هريرة نحوه، انظر صحيح رقم ٥٠٠

[٢] - رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري τ.

[٣] - فتح الباري: (كتاب الاعتصام، باب ٢٨).

١٧ – الجماعة الإسلامية المسلحة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، على ما توجبه الشريعة. لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤]، ولقوله : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[١].

١٨ – الجماعة الإسلامية المسلحة تقيم الحدود والتعازير لقوله : «حدّ يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يُمطروا أربعين صباحاً »[٢]. وتقيم فرائض الإسلام وتجري أحكامه – [ومن ذلك: الجهاد بقتال الكفار والمرتدين، وكذا المحاربين والبغاة والخوارج، وكذا القيام على المنافقين وعلى أهل البدع والأهواء والإنكار عليهم ومنابذتهم بحسب حالهم وحال بدعتهم، وغير ذلك. . .].

١٩ – من خرج على الجماعة أو شق عصا الطاعة، فحكمه القتل لما رواه مسلم في صحيحه عن عرفجة الأشجعي قال: سمعت رسول الله يقول: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»، ولأن الذي لا ينقطع شرّه إلا بالقتل قُتل.

٢٠ – الجماعة الإسلامية المسلحة تقاتل حكّام الجزائر على أساس الردّة لا غير، وذلك بعدولهم عن شريعة ربّ البريّة وتحكيمهم القوانين الوضعية لحديث عبادة بن الصامت مرفوعا وفيه: «وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان»[٣]. وتعتقد أن القوانين والدساتير والمناهج الوضعية المخالفة للشرع والحكم بها كفر بواح صراح، ولا ينكر ذلك إلا من طمس الله على قلبه وأعمى بصيرته.

٢١ – الجماعة الإسلامية المسلحة تعتبر مؤسسات الدولة من حكومات ووزارات ومحاكم ومجالس شعبية وشورية وبرلمانية وجيش ودرك وشرطة، مؤسسات ردة وجب تكفيرها وتسفيهها والبراءة منها ومن أهلها والكفر بهم وإظهار بغضهم ومعاداتهم.

٢٢ – حكام الجزائر وغيرها من بلاد المسلمين – ملوكا وأمراء وحكاما ورؤساء – مرتدون، وكذا رؤساء حكوماتها ووزراؤها وأعضاء المجالس التشريعية والبرلمانية، وهم كفار كفراً عينياً.

---

[١] - رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري τ.
[٢] - رواه النسائي وابن ماجة وهو في صحيح الجامع رقم ٣١٢٥
[٣] - متفق عليه واللفظ لمسلم

**٢٣** – أعوان الحكام وأولياؤهم من جيش وشرطة ودرك وحرس وكذا سدنتهم وعلماؤهم المضلّون وغيرهم، ومن يقاتل دونهم كفار مثلهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم﴾[المائدة:٥١] وقال أيضا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾[النساء: ٧٦].

**٢٤** – الأصل في أمتنا الإسلام ولا نحكم عليها بالكفر. فالمسلم معصوم الدم والمال والعرض حيثما كان وأينما وجد ولو تلبس بالمعاصي –سواء كانت صغائر أم كبائر– إلا إذا أتى بما يقتضي إحلال الدم والمال، كأن يُظهر الشرك أو الكفر من قول أو فعل.

**٢٥** –الجماعة الإسلامية المسلحة تعتمد الأعذار الشرعية من تأويل وجهل وإكراه.

**٢٦** –الجماعة الإسلامية المسلحة لا تفرق بين من حاربها بالسلاح أو بالمال أو بالسان، وكذا من والى أو ناصر المرتدين والمشركين أو ظاهرهم إن بالفعل أو القول.

**٢٧** – تعتقد الجماعة الإسلامية المسلحة أنه: لا حوار، لاهدنة، لا مصالحة، ولا عقد ذمة مع المرتدين، قال رسول الله: « من بدل دينه فاقتلوه»[١].

**٢٨** –الجماعة الإسلامية المسلحة: تتبرأ من كل طائفة اجتمعت على دين غير الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥] وتعتقد أنها طوائف كفر وردة وحكمها حكم الطاغوت المرتد: كالشيوعية والرأسمالية والوطنية والبعثية والديمراطية والعلمانية وما شابهها من دعاوي الجاهلية.

**٢٩** –الجماعة الإسلامية المسلحة: تتبرأ وتكفر بكل الحركات والجمعيات الضالة والأحزاب التي تدعو إلى تحكيم القوانين الوضعية المخالفة للشرع وتعتبرها أحزاباً كفرية، فهي تعاديهم وتبغضهم وتنابذهم وتكفر بهم أسوة بإبراهيم عليه السلام والذين معه حيث قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة:٤].

---

[١]- رواه البخاري عن عبد الله بن عباس.

٣٠ – الجماعة الإسلامية المسلحة: تهجر أهل البدع وتنابذهم وتباينهم ولا تجتمع معهم، فتترك النظر في كتبهم والإصغاء إلى كلامهم إن في أصول الدين أو فروعه سواء . فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة فهي تتبرأ من ضلالات وبدع الطوائف المنحرفة عن نهج النبوة جميعاً: كالخوارج والمعتزلة والرافضة والجهمية والقدرية والمرجئة والأشاعرة والماتردية والكرامية والصوفية وغيرها من فرق الضلالة وطرق البدعة، وتعاملهم الجماعة بحسب حال بدعتهم من كونها كفرية أو عظيمة المفسدة في الدين أو غير ذلك.

٣١ – الجماعة الإسلامية المسلحة تتبرأ من كل طوائف الشيعة وطرقها، وتعتقد أن منها من هم أكفر من اليهود والنصارى كالرافضة والتي منها الإمامية المتسلطة على إيران والنُّصيرية المتسلطة على سورية. كما تعتقد أن دعاتها كالخميني وغيره كفار. وكل من سار على طريقتهم واعتقد مذهبهم.

٣٢ – تعمل الجماعة الإسلامية المسلحة في الخوارج بقول النبي : « . . .أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة، لئن أدركتُهم لأقتلنّهم قتل عاد. . »، وقد وصفهم : «أنهم شر الخلق والخليقة. . » وقال عنهم: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»[١]، وهم طوائف متعددة.

٣٣ – الجماعة الإسلامية المسلحة: لاتجتمع ولا تتحالف مع كل المناهج العقدية أو العصبيات المذهبية أو الحزبية أو الجماعات الدعوية والسياسية والجهادية أو طوائف الصوفية ما دامت مخالفة للكتاب والسنة وهدي سلف الأمة لأنه لا يمكن أن يجتمع منهجان متضادان، ومن ذلك: الإخوان المسلمون، حزب التحرير، الجزأرة، القطبية، الدعوة والتبليغ، الطرقية، الحزبية، وأذناب الخوارج وأذناب المرجئة وغيرها[٢].

---

[١] - أحاديث الأمر بقتل الخوارج متواثرة عند أهل العلم بالحديث، مروية في الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات من أوجه وطرق متعددة.

[٢] - تعريفات:

الجزأرة: تنظيم تأسس سنة ١٩٦٨ على يد عبد الحميد بن شيكو الطرقي بتوجيه من مالك بن نبي، وأصل منهجهم تقديس العقل وتقديمه على النقل وهو نفس منهج محمد عبده الضال ومدرسته من العقليين. ومما عُرف به أهل هذا التنظيم: الزهد في السنة ومحاربة المنهج السلفي، ولهم قواعد وأصول تخالف منهج أهل السنة والجماعة، وهم يتعصبون لكل ما هو جزائري، لذلك سماهم أحد الزنادقة المرتدين بهذا الإسم (الجزأرة)، وقد صدق وهو كذوب. ومن أجنحة هذا التنظيم: الجمعية الإسلامية للبناء الحضاري وجمعية الأدب الإسلامي وغيرهما...وأساس سياستهم: التوغل والاحتواء والاستغلال والاستفادة...وغير ذلك.

القطبية: تنظيم يتعصب أهله لفكر سيد قطب رحمه الله وأخيه محمد قطب، ومن أصول منهجهم اهتمامهم بشرك القصور (الحاكمية) وإهمالهم أنواع الشرك الأخرى. وهم يزهدون في السنة ويرون المصلحة والمرحلية في العمل (التغيير) سواء في الدعوة أو القتال. ويعتمدون على الفكر عموماً.

أذناب الخوارج: يقصد بهم جماع التكفير (ويسمّون الهجرة والتكفير) الذين يذهبون إلى تكفير عامة المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ويزعمون أن جماعتهم هي الجماعة المسلمة (الموحّدة) الوحيدة، وأن ما دونهم مشركون، حتى وصل بهم الأمر إلى تكفير كل قرون التاريخ الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري، فهم على مذهب الخواج الأوائل ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، ومذهبهم ومعتقدهم معروف مشهور.

**٣٤** – الجماعة الإسلامية المسلحة: تعتقد أن بعض الجماعات الدعوية تحمل الكفر والشرك في منهجها ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: الإخوان المسلمين الذين يدعون إلى الديمقراطية ويتخذونها سبيلا لتحكيم الشريعة في زعمهم وهم بذلك يتّبعون سبيل غير سبيل المؤمنين ويدعون إلى "تقارب الأديان"، والجزأرة الذين يقولون: "الجهاد وسيلة غير حضارية" وينادون "بالتعايش السلمي" وهم بذلك يعقّبون على حكم الله بتحقيرهم شريعة الجهاد . وغير هاتين من الجماعات والأحزاب.

**٣٥** – أما بالنسبة للجماعات الأخرى من أهل السنة والجماعة فلهم حقوق الأخوة. فنواليهم بقدر التزامهم بالكتاب والسنة وهدي السلف، ونحذرهم من المحدثات والبدع ونبرأ إلى الله من انحرافاتهم ومخالفاتهم الشرعية، وبيننا وبينهم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وهدي السلف الصالح.

**٣٦** – الجماعة الإسلامية المسلحة توالي كل الجماعات الإسلامية من أهل السنة والجماعة، التي تنتهج المنهج السلفي، ورفعت راية الجهاد واضحة. ولهم علينا حق النصرة والمساعدة بقدر الاستطاعة والقدرة، ونحن وإياهم يد واحدة على الأعداء الطواغيت مرتدين كانوا أو كافرين أصليين.

**٣٧** – الجماعة الإسلامية المسلحة تذمّ الاختلاف والفُرقة، وتحثُّ على الائتلاف والاجتماع – لأن الخلاف كله شرّ – وبالخصوص تعدد الجماعات المقاتلة، إن في القطر الواحد أو في الأقطار المتعددة، إذ هي لا تُقر الحدود والجنسيات التي وضعها أعداء الإسلام، وتعدّ هذا من الجاهلية لأن كل ما خرج عن دعوى التوحيد والمنهاج من بلد أو جنس أو نسب أو غيرها فهو من دعاوى الجاهلية. لذلك لما اختصم المهاجر والأنصاري قال رسول الله : «دعوها فإنها منتنة»[١]

**********************

أذناب المرجئة: وهم طائفة ممن يعتقدون ببعض أصول المرجئة، كقولهم: لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ويرون أن ليس في الأعمال كفر أكبر، وترتب على هذا مخالفات شرعية ومفاسد كثيرة لا تخفى، ومع هذا يزعمون أنهم أهل التصفية والتربية

[١] - رواه البخاري عن جابر بن عبد الله.

## فصل

### في جواز التعاقد والتواثق بين المسلمين

لا خلاف بين المسلمين أن التعاقد والتعاهد والتواثق جائز على أمور غير محرمة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[المائدة:١] قال الإمام القرطبي في تفسيرها: (قال الزجاج: المعنى أوفوا بعقد الله عليكم وبعقد بعضكم لبعض وهذا كله راجع إلى القول بالعموم وهو الصحيح في الباب. قال : «المؤمنون عند شروطهم» وقال: «كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط. .، فبيّن أن الشرط أو العقد الذي يجب الوفاء به ما وافق كتاب الله – أي دينه – فإن ظهر فيها ما يخالف رُدَّ كما قال النبي : «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والذي يوجبه الله على العبد قد يوجبه ابتداء كإيجاب الإيمان والتوحيد على كل أحد وقد يوجبه لأن العبد التزمه وأوجبه على نفسه، ولولا ذلك لم يوجبه كالوفاء بالنذر للمستحبات وبما التزمه في العقود المباحة كالبيع والنكاح والطلاق ونحو ذلك إذا لم يكن واجباً . .وقد يوجبه للأمرين كمبايعة الرسول على السمع والطاعة له وكذلك مبايعة أئمة المسلمين وكتعاقد الناس على العمل بما أمر الله ورسوله) اهـ[٢].

وقال أيضا: (لكن يحسن أن يقول لتلميذه: عليك عهد الله وميثاقه أن توالي من والى الله ورسوله وتعادي من عادى الله ورسوله، وتعاون على البر والتقوى ولا تعاون على الإثم والعدوان، وإذا كان الحق معي نصرتَ الحق وإن كنتُ على الباطل لم تنصر الباطل. فمن التزم هذا كان من المجاهدين في سبيل الله الذين يريدون أن يكون الدين كله لله وتكون كلمة الله هي العليا)[٣].

فيجوز إذاً التعاهد والتعاقد على الأمور المباحة وكذا المستحبة، بل وحتى الواجبة كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وغير ذلك، ولا نظن أنه يخالف هذا إلا جاهل أو معاند .

وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في الأمر بالوفاء بالعقود والعهود وبيان أن هذه صفة المؤمنين كقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[الإسراء:٣٤] وقوله: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾[البقرة: ١٧٧].

---

[١] - تفسير القرطبي: ٢٤/٦
[٢] - مجموع الفتاوى (٣٥٤/٢٩-٣١٦)
[٣] - نفس المرجع (٢١/٢٨)

وفي المقابل وردت آيات وأحاديث أخرى في النهي عن نقض العهد والغدر فيه وبيان أن هذه صفة المنافقين.

ولا شك أن العهود المذكورة في الآيات يدخل فيها العهود بين الناس على الطاعة كما قال الله تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف:٦٦]. والأدلة في هذا مستفيضة ليس المكان يتّسع لذكرها.

ومن العهود والعقود التي يجوز إجراؤها ويجب الوفاء بها إن وقعت، معاهدة طائفة المسلمين أخذهم على إقامة بعض أحكام الإسلام كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، أو على إقامة كل أحكامه في حالة انعدام الإمام -كما هو حال المسلمين هذا الزمان- وهذا من جنس ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كلامه السابق بل يجب عليهم ذلك لأنه لا يجوز تعطيل أحكام الإسلام، خاصة ما كان في تأخيره مفسدة أو فوات مصلحة كالجهاد في سبيل الله تعالى.

ويجوز تسمية هذا النوع من العقود والعهود بيعة، وهذا ما دلت عليه أقوال الصحابة والسلف الصالح أجمعين. فقد روى الحافظ ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية": (أن عكرمة بن أبي جهل قال يوم اليرموك: قاتلت رسول الله في مواطن أوفر منكم اليوم. ثم نادى: من يبايع على الموت فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في اربعمائة من وجوه المسلمين . . فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعا جرحا . وقُتِل منهم خلق: منهم ضرار الأزور أجمعين – ثم قال ابن كثير – قال سيف بن عمر إسناده عن. . أنهم قالوا: كان في ذلك الجمع – جيش اليرموك – ألف رجل من الصحابة منهم مائة أهل بدر) اهـ[١]. فهذا نصّ صريح في تسمية هذا النوع من العهود بيعة، فإن عكرمة لم يكن لا أمير المؤمنين ولا أمير الجيش ولكن مع هذا طلب البيعة و على ذلك جمهور الصحابة كما تقدم.

هذا، والسمع والطاعة للأمير في المنشط والمكره والعسر واليسر في غير ما معصية حسب الاستطاعة، واجب وإن لم يعاهده المجاهدون على ذلك فكيف إذا عاهدوا عليه؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب على الإنسان وإن لم يعاهدهم عليه، وإن لم يحلف لهم الإيمان المؤكدة، كما يجب عليه الصلوات الخمسة والزكاة والصيام وحج البيت وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله من الطاعة فإذا حلف على

---

[١] - البداية والنهاية (٩/٧)

ذلك كان ذلك توكيداً وتثبيتاً لما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم، فالحالف على هذه الأمور لا يحلّ له أن يفعل خلاف المحلوف عليه، سواء حلف بالله أو غير ذلك من الأيمان التي يحلف بها المسلمون، فإن ما أوجبه الله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب وإن لم يحلف عليه فكيف إذا حلف عليه. وما نهى الله ورسوله عن معصيتهم وغشهم محرم وإن لم يحلف على ذلك) اهـ[١]

**********************

[١]- مجموع الفتاوى (٣٥/٩-١٠).

# فصل

## في التحذير من نكث البيعة والعهد والتّشديد فيه

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[الرعد:٢٥]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:٣]. فمن عاهد ولم يفِ بالعهد فهو من الذين يقولون ما لا يفعلون والآيات والأحاديث كثيرة في النهي عن نقض العهد والغدر فيه وبيان أن هذه صفة المنافقين. منها قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[البقرة:٢٧]، وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله : « أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر».

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله في شرح هذا الحديث: (والغدر حرام في كل عهد بين المسلم وغيره ولو كان المعاهد كافراً، ولهذا في حديث عبد الله بن عمرو عن النبي: «من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً» خرجه البخاري. وقد أمر الله تعالى في كتابه بالوفاء بعهود المشركين إذا أقاموا على عهودهم ولم ينقضوا منها شيئاً، وأما عهود المسلمين فيما بينهم فالوفاء بها أشد ونقضها أعظم إثما. ومن أعظمها عهد الإمام على من تابعه ورضي به. وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي قال: «ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم... فذكر منهم ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه ما يريد وفّى له وإلا لم يف له»، ويدخل في العهود التي يجب الوفاء بها ويحرم الغدر، جميع عقود المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها من المبايعات والمناكحات وغيرها من العقود اللازمة التي يجب الوفاء بها وكذلك ما يجب الوفاء به لله عز وجل مما عاهد العبدُ ربَّه عليه من نذر التبرر ونحوه) اهـ[1].

والمؤمن قد يُطبع على الخِلال كلها إلا الخيانة والكذب وهذا ما أدركه قيصر الروم عند حواره لأبي سفيان حين قال: "وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أن لا. وكذلك الرسل لا يغدرون"[2]. ولما سئل النبي أيكون المؤمن كذابا ؟ قال:"لا"[1]

---

[1] - جامع العلم والحكم (٢٧٦-٢٧٧)
[2] - رواه البخاري من حديث أبي سفيان.

فهل يليق بأتباع خير الرسل والحاملين لرياة الجهاد أن يوصفوا بالغدر والخيانة ؟ فإذا كانت هذه الصفة قبيحة من عامة الناس فهي من المجاهدين أقبح ومن الأمير أشد قُبحاً لأن ذلك يكون منفراً عن الدخول في الدين وموجبا لذم أئمة المسلمين.

ومن أعظم الغدر أن يقاتل الرجل إمامه ذا البيعة الشرعية، يقول ابن عمر رضي الله عنهما (وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن يبايع رجل على بيعة الله ورسوله ثم ينصب له للقتال)[٢]. ويكفي في الزجر عن نكث العهد والبيعات أن جعله النبي  من خصال النفاق والعياذ بالله وكما ذكره المولى عز وجل في كتابه[٣]. هذا في ناكث العهد والبيعة، فكيف بمن يفتي بذلك ويحرض عليه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ولهذا كان الحالف على ما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم أو الصلاة أو الزكاة أو صوم رمضان أو أداء الأمانة والعدل ونحو ذلك: لا يجوز لأحد أن يفتيه بمخالفة ما حلف عليه والحنث في يمينة ولا يجوز لـه أن يستفتي في ذلك، ومن أفتى مثل هؤلاء بمخالفة ما حلف عليه والحنث في أيمانهم فهو مفتر على الله الكذب مفت بغير دين الإسلام، بل لو أفتى آحاد العامة بأن يفعل خلاف ما حلف عليه من الوفاء في عقد بيع أو نكاح أو إجارة أو غير ذلك مما يجب عليه الوفاء به وإن لم يحلف عليها، فإذا حلف كان أوكد . .فمن أفتى مثل هذا بجواز نقض هذه العقود والحنث في يمينه كان مفتريا على الله الكذب مفتيا بغير دين الإسلام، فكيف إذا كان ذلك في معاقدة ولاة الأمور التي هي أعظم العقود التي أمر الله بالوفاء بها) اهـ[٤]
هذا والله أعلم.

*******************

---

[١] - الحديث صحيح
[٢] - رواه البخاري
[٣] - راجع فتح الباري لابن حجر (٢٧٦/٦-٢٨٣)
[٤] - مجموع الفتاوى(١٠/٣٥-١١)

## فصل

### حكم ناقض البيعة

من المعلوم أن الحفاظ على وحدة الصف واجتماع الكلمة من أعظم مهام الأمير المنوطة به، وهي كذلك مقصد كبير من مقاصد الشريعة. فمن أجل ذلك شرع قتال البغاة والخوارج والمرتدين وغيرهم ممن يتسببون في افتراق الأمة واختلاف الكلمة، حتى قال النبي: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»[١]، وقال أيضا: «إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان»[٢].

فعلى أمير الجماعة أن يتخذ كل السبل الشرعية للحفاظ على هذا الأصل العظيم الذي لا تنقطع فتنة وفساد الكافرين إلا به كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٣].

وقد يقول قائل: هذه الأحكام لا تتنزل إلا على جماعة المسلمين وإمامهم، فمن خرج عن جماعة ونقض بيعة أميرها لا يكون باغياً بأي حال من الأحوال إلا أن تكون جماعة المسلمين. والجواب على هذا من وجهين اثنين:

**الوجه الأول**: إذا سلّمنا أن هذه الأحكام لا تتنزل على الجماعة الإسلامية المسلحة، فإننا نقول إن الخارج عن الجماعة وناقض بيعة أميرها لا يخلو من إحدى أربع حالات وهي:

* **الأولى**: أن يخرج منها نادماً على جهاده عائداً إلى الركون إلى الحاكم المرتد داخلا تحت حكمه بعد ثبوت ردّته عنده. فهذا مرتد يجب قتله بلا خلاف نعلمه. وقد قال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله: "التوبة من التوبة كفر"[٣].

* **الثانية**: أن ينضمَّ إلى تنظيم بدعي أو شركي لا يقاتل في سبيل الله ولكن يقاتل لتحقيق غاية غير شرعية٤. فهذا لا شك أنه يقوّي شوكتهم ويكثّر سوادهم وقد قال رسول الله: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار

---

[١] - رواه مسلم عن عرفجة الأشجعي.
[٢] - رواه مسلم عن عرفجة الأشجعي.
[٣] – مدارج السالكين (٢٠٣/١).
[٤] - كالجيش الإسلامي للإنقاذ الذي يقاتل في سبيل الرجوع إلى الديمقراطية والانتخابات.

الأرض »[١]. وعن عبد الله بن مسعود  مرفوعاً: « . . من كثّر سواد قوم فهو منهم ومن رضي بعمل قوم كان شريك من عمل به »[٢]، وقد بوّب البخاري في صحيحه، باب من كره أن يكثر سواد الفتن (انظر الحديث رقم: ٧٠٨٥)، وعن أبي قلابة τ قال: "ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف" –راجع الاعتصام للشاطبي –. ويكون بهذا حكمه حكمهم.

*** الثالثة:** أن يخرج عن الجماعة لينشئ جماعة أخرى حبّاً في الرئاسة أو بغضا لبعض أفراد الجماعة أو لشبهة يدّعيها بلا مستند شرعيّ، فيفرق بذلك الصفوف ويشتت الجموع، وفي هذا تمكين للأعداء على المسلمين. وهو شرّ بالاتفاق فإن لم يمكن درء شره وإخماد فتنته إلا بالقتل تعيّن قتله.

*** الرابعة:** أن يخرج عن الجماعة ويرجع إلى عوائده في الحياة قبل أن يلتحق بصفوف المجاهدين عن غير ركون إلى المرتدين، فهو بهذا لا يكفر ولكن يجوز قتله سياسة، مخافة أن يتسبب في هلاك المجاهدين وإفساد خطط الجماعة فلا تقوم للدين قائمة، وسداً أيضا لهذا الباب الذي يصعب سدّه إن فتح، فتكون المفسدة في قتله أهون من المفاسد التي قد تنجرّ عن تركه حيّاً، والله أعلم.

**الوجه الثاني:** إن تعدد الجماعات لا يجوز لقوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾[آل عمران:١٠٣] وقال أيضا: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[آل عمران:١٠٥]، وهذا ما قرّره أهل العلم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد والباقون نوّابه، فإذا فرض أن الأمة خرجت عن ذلك لمعصية من بعضها أو عجز من الباقين أو غير ذلك، فكان لها عدّة أئمة: لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود ويستوفي الحقوق"[٣]. فالتعدد لا يجوز فإن وقع فإما لمعصية أو عجز، فالواجب علينا تغييره والاجتهاد في ذلك لما في التعدد من مفاسد لا تخفى على أحد من تشتيت المسلمين وذهاب قوّتهم وإثارة العداوة والبغضاء بينهم وتحزيبهم فرقا وشيعاً. وهذا سواء في البلد الواحد أو إذا تعددت البلدان. وأما من أجاز تعدد الجماعات بتعدد البلدان فهو قول ضعيف، وغاية ما قيل فيه هو جواز تفرق الطائفة المنصورة في أقطار الأرض لا تعدد الجماعات وتفرّقها. كما قال الإمام النووي رحمه الله (انظر شرح صحيح مسلم (٧٦/١٣): "ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرّقين في أقطار الأرض"، لأنه يتكلم عن الطائفة المنصورة وأهلها القائمين عليها.

---

[١] - رواه أحمد ومسلم عن علي.
[٢] - قال الحافظ في الفتح (١/١٢) :أخرجه أبو يعلى وله شاهد من حديث أب ذر في الزهد لابن السباك غير مرفوع.
[٣] - مجموع الفتاوى (١٧٥/٣٤-١٧٦)

وهذا هو الحال في هذه الديار، فإن الجماعة الإسلامية المسلحة هي الجماعة الوحيدة التي تقوم بفرضية الجهاد على منهج سلفي صحيح سليم تقاتل الحكام الممتنعين ومن ولاهم على أساس الردّة، الذي هو من أعظم واجبات الطائفة المنصورة، وتجري أحكام الإسلام وتقيم فرائضه.

ومعلوم أن أحكام الدين يجب إقامتها قدر المستطاع ولو لم يوجد إمام المسلمين ومن أهمّ أحكام الدين تعيين أمير يقوم مقامه لما روى البخاري بسنده عن أنس رضي عنه قال: خطب رسول ρ فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم خالد بن الوليد، من غير إمرة ففتح الله عليه، وما يسرنا أنهم عندنا » قال أنس: "وإن عينيه لتذرفان" وفي رواية أخرى:" حتى أخذ الراية سيف الله حتى فتح الله عليه".

قال ابن حجر رحمه الله: (قال الطحاوي: هذا أصل يؤخذ منه على المسلمين أن يقدموا رجلا إذا غاب الإمام يقوم مقامه إلى أن يحضر)[١].

وبهذا قال ابن حجر وابن قدامة وهكذا قال الإمام الجويني رحمه الله حين افترض خلو الزمان من الإمام: (وإذا لم يصادف الناس قوّاما بأمورهم يلوذون به فيستحيل أن يؤمروا بالقعود عما يقتدرون عليه من دفع الفساد، فإنهم لو تقاعدوا عن المنكر عمّ الفساد البلاد والعباد... وقد قال بعض العلماء: لو خلى الزمان عن السلطان فحق على [أصحاب] كل قرية أن يقدموا من ذوي الأحلام والنهى وذوي العقول والحجا يلتزمون امتثال إشارته وأوامره وينتهون عند نواهيه ومزاجره، فإنهم لو لم يفعلوا ذلك ترددوا عند إلمام المهمات وتبلّدوا عند إظلال الواقعات)[٢].

وبهذا قال ابن تيمية رحمه الله كذلك كما حكاه عنه ابن كثير في البداية والنهاية حين قال للسلطان في زمانه: (إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطانا يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن)[٣].

وهذا الأمير هو الذي يتولى إقامة باقي أحكام الدين وإقامة فرائضه ومن ذلك دفع التظالم وفصل الخصومات وإقامة الحدود... التي لا تسقط أصلا عند غياب الإمام فهي ترجع إلى الخطاب الأصلي للشارع كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (خاطب الله المؤمنين بالحدود والحقوق خطابا مطلقا كقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا ﴾[المائدة:٣٨] وقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا ﴾[النور:٢] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ﴾[النور:٤] وكذلك قوله: ﴿وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً ﴾[النور: ٤] ولكن قد علم أن المُخاطب بالفعل

---

[١] - فتح الباري: ٥١٣/٧
[٢] - غياث الأمم: ٣٨٥-٣٩١.
[٣] - البداية والنهاية: ١٥/١٤.

لابد أن يكون قادرا عليه والعاجزون لا يجب عليهم، وقد عُلِم أن هذا فرض على الكفاية وهو مثل الجهاد بل هو نوع من الجهاد فقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾[البقرة: ٢١٦] وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[البقرة:١٩٠] وقوله: ﴿إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ ﴾[التوبة:٣٩] ونحو ذلك هو فرض على الكفاية من القادرين، والقدرة هي السلطان فلهذا وجب إقامة الحدود على ذي السلطان ونوابه)[١] .ويقول الإمام الجويني أيضا: (وقد حان الآن أن أفرض خلو الزمان عن الكفاة ذوي الصرامة، خلوّه عمن يستحق الإمامة. . . أما ما يسوغ استقلال الناس فيه بأنفسهم ولكن يقتضي فيه مطالعة ذوي الأمر ومراجعة مرموق العصر، كعقد الجمع وجرّ العساكر إلى الجهاد واستيفاء القصاص في النفس والطرف، فيتولاه الناس عند خلو الدهر. . . )[٢].

فإذا قامت جماعة –عند غياب الإمام وخلو السلطان ذي النجدة والكفاية والدراية، كما هو حال جميع ديار المسلمين اليوم– وبايعت أميرا لها وأعلنت عن إقامة أحكام الكتاب والسنة قدر المستطاع لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:١٦] ولقوله : «وما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم »[٣]، وخاصة إذا ما اجتمعت عليه الكلمة وتوحدت الصفوف كما هو الحال عندنا والتي من أهم ميزاتها أنها تقاتل المرتدين وكافة المعتدين فإنه من الواجب عليها أن تقطع السبيل لكل من تسول له نفسه بالخروج عليها ونقض بيعة أميرها وذلك عملا بقوله : «لا ضرر ولا ضرار » وفي رواية: من ضار ضره الله، ومن شاقّ شقّ الله عيه»[٤] وعملا بالقاعدة الفقهية: (يُتحمّل الضرر الخاص لدفع الضرر العام) وقاعدة: (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخفّ) وغيرهما من القواعد الفقهية.

وذلك حفاظا على كلمة المسلمين ووحدتهم وبذلك قوّتهم، وهذا من أعظم مقاصد الشريعة وأعظم أحكام الدين كما سبق والله أعلم.

---

[١] - مجموع الفتاوى: ١٧٥/٢٤-١٧٩.
[٢] - غياث الأمم: ٣٨٥-٣٩١
[٣] - سبق تخريجه في الهامش رقم ٢٧
[٤] - رواه الدارقطني عن أبي سعيد الخدري والحاكم عنه والزيادة له وهو صحيح من مجموع طرقه، انظر إرواء الغليل رقم ٨٩٦

# فصل

## في شروط الالتحاق بصفوف المجاهدين في الجماعة الإسلامية المسلحة

مقدمة هامة: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وكل بني آدم لا تتم مصلحته لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر فالتعاون على جلب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع. فإذا اجتمعوا فلابد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة وأمور يجتنبونها لما فيه من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد والناهي عن تلك المفاسد فجميع بني آدم لابد لهم من طاعة آمر وناه)[١]. وقال أيضا: (يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها. فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولابد لهم عند الاجتماع من رأس)[٢].

وقد تقدم كلام الإمام الجويني رحمه الله في أنه إن لم يقدموا أحدا –عند غياب الإمام– ترددوا عند إلمام المهمات وتبلدوا عند إظلال الواقعات.

فالناس كلهم داخلون تحت ولاية ولي أمر إما أن يكون كافراً وإما أن يكون مسلما، ولا مفرّ لهم من هذا. ومعلوم من ديننا أنه لا يجوز لمسلم أن يبقى تحت ولاية كافر، لأجل ذلك كان الرجل إذا ارتدّ انفسخ عقد نكاحه على المسلمة– إذا لم يتب قبل انقضاء العدّة وفُرّق بينهما، ولأجله أيضا وجب على المسلمين القيام على الحاكم إذا ارتد وخلعه والخروج عليه كما في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت: «وأن لا تنازع الأمر أهله، قال: .. إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان» قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وإنه ينعزل بالكفر إجماعا فيجب على كل مسلم القيام في ذلك، فمن قوي في ذلك فله الثواب ومن داهن فعليه الإثم ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض)[٣] وقد نقل هذا الإجماع أيضا القاضي عياض كما حكاه النووي عنه[٤]، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩] ذكر القرطبي رحمه الله في الوجه الرابع من تفسير هذه الآية أنه لا يجوز أن يُمكن الكافر من الولاية على المسلمين وذلك لأنه ليس منهم والله إنما أمر بطاعة أولي الأمر منهم. وأما تفسير منكم بفيكم هو قول البابية والبهائية الكفار الذين أجازوا ولاية الكافر وسلطة الكفار على المسلمين وأوجبوا طاعتهم بذلك.

---

[١] - مجموع الفتاوى: ٦٢/٢٨

[٢] - نفس المرجع: ٣٩٠/٢٨

[٣] - فتح الباري: ١٢-١٢٢

[٤] - شرح صحيح مسلم ٢٢٩/١٢

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٩] والإمارة تقتضي الطاعة هذه لا تجوز بنص الآية وقال تعالى أيضا: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[النساء:١٤١] وتأمير الكافر على المسلمين من أعظم السُّبل، أضف إلى ذلك أن في توليته أمور المسلمين إعلاء لكلمة الكفر وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:٤٠] وقال النبي : «الإسلام يعلو ولا يُعلى »[١]، فإذا كان الناس لابد لهم من ولي أمر يدخلون تحت ولايته، ولا يجوز لهم أن يدخلوا تحت ولاية كافر مرتدّ، فإنه واجب على المسلمين في هذه الديار أن يسمعوا ويطيعوا لأمير الجماعة الإسلامية المسلحة، إذ أن هذه الجماعة هي الوحيدة التي تقيم أحكام الدين وتجري فرائضه –قدر المستطاع– ومن أعظم ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى.

قال ابن حجر: (قال ابن المير: يؤخذ من حديث الباب –أي غزوة مؤتة– أن من تعيّن لولاية وتعذر مراجعة الإمام أن الولاية تثبت بذلك شرعا وتجب طاعته حكما)[٢]، وتعذر مراجعة إمام المسلمين إما لغيابه أو عدمه، لأن إجراء الأحكام الشرعية يجب استمراره ولو انعدم الإمام كما سبق بيانه.

وعلى هذا فإن الجماعة الإسلامية المسلحة تُلزم المسلمين في كافة الديار التي يقاتل فيه تحت رايتها بالسمع والطاعة لأميرها إذ هو الولي الشرعي لهم حتى يُنصب إمام المسلمين إن شاء الله. وبذلك يكون المسلمون – في هذه الديار– بالنسبة للجماعة الإسلامية المسلحة على ضربين:

**الأول:** هم الداخلون تحت الولاية العامة لأميرها وهم عامة الناس. وهؤلاء ملزمون بالسمع والطاعة للأمير ولو لم يبايعو ويعاهدوه على ذلك كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٣]. وهم أيضا معنيون بتقديم البيعة الشرعية للأمير في حين ليسوا ملزمين بأن تتوفر الشروط التي سنذكرها إن شاء الله.

**الثاني:** هم الداخلون في صفوف المجاهدين الذين قدموا البيعة لأمير الجماعة الإسلامية المسلحة وعاهدو على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإجراء أحكام الله وإقامة فرائضه، فهم خاصة الناس القائمون على هذا الدين بالدعوة والقتال، وهو أكثر إلزاما من الصنف الأول كما سبق ذكره في الفصول المتقدمة، وهم المعنيون بالشروط التي سنذكرها –العامة والخاصة–.

---

[١] - حسن رواه الدارقطني عن عائد بن عمرو، انظر إرواء الغليل رقم ١٢٦٨
[٢] - فتح الباري:١٨٠/٦
[٣] - مجموع الفتاوى: ٢٥/؟؟١. راجع كلامه في الصفحة ٣٥ من هذه الرسالة

وقد اشترطنا ما اشترطناه تحقيقا لشروط النصر، فإن مما يؤخره: انتشار [الفساد] والمنكرات في معسكرات المجاهدين، وكذلك مخالفة النبي وهديه كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:٦٣] والله أعلم.

## أولا: جواز اشتراط ما يوافق الكتاب والسنة

يقول المولى عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾[المائدة: ١]، وقال: «المسلمون عند شروطهم ما وافق الحق من ذلك »[١].

والأصل في الاشتراط -كما قال العلماء- الصحة، إلا ما دلّ الدليل على بطلانه، ذلك لأنه يدخل في المعاملات التي الأصل فيها الإباحة إلا ما جاء النص بتحريمه. والاشتراط جائز بين المسلمين وغايته إما توكيد لواجب أو إيجاب لمباح ثم هذه الشروط تردّ إلى كتاب الله وسنة رسوله: «أيما شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ولو كان مائة شرط كتاب الله أحق وشرطه أوثق»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وبالجملة فجميع ما يقع بين الناس من شروط والعقود والمحالفات في الأخوة وغيرها تردّ إلى كتاب الله وسنة رسوله فكل شرط وافق الكتاب والسنة يوفّى به "ومن اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فهو باطل ولو كان مائة شرط كتاب الله أحق وشرطه أوثق" فمتى كان الشرط يخالف شرط الله ورسوله كان باطلاً -إلى قوله- وكذا في شروط البيوع والهبات والوقوف والنذور عقود البيعة للأئمة وعقود المشايخ وعقود المتآخين وعقود الأنساب والقبائل وأمثال ذلك) اهـ[٣].

فالأصل في الشروط الصحة واللزوم، إلا ما دل الدليل على خلافه، وعليه فإنه على كل من ينضم إلى صفوف المجاهدين في الجماعة الإسلامية المسلحة أن يكون عالماً بمنهجها وضوابطها، عارفا بحقوقه وواجباته، وما قد يتعرض له من عقوبات.

ويلتحق بصفوف مجاهدي الجماعة الإسلامية المسلحة كل من يؤمن برسالتها ويلتزم كل أوامرها وضوابطها وينتهج نهجها وسلوكها ما لم تكن معصية أو مخالفة لأمر الله أو رسوله أو لهدي السلف الصالح. وتتوفر فيه الشروط التالية:

## ثانيا : الشروط العامة:

١ – الإسلام: لا يقبل في الجماعة الإسلامية المسلحة إلا المسلمون.

---

[١] - رواه البخاري معلقا ووصله الحاكم عن أنس وعائشة، ورواه الطبراني في الكبير عن رافع بن خديج بلفظ "المسلمون عند شروطهم فيما أحل" انظر صحيح الجامع برقم: ٦٧١٥، ٦٧١٦

[٢] - رواه الستة عن عائشة رضي الله عنها واللفظ للبخاري

[٣] - مجموع الفتاوى: ٣٥/٩٧-٩٨

٢ – سلامة العقيدة والمنهج: لا يقبل في الجماعة الإسلامية المسلحة صاحب هوى أو بدعة اتفق علماء أهل السنة والجماعة على أنها بدعة.

٣ – الالتزام بالمنهج السفي: الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة.

٤ – البيعة: لا يقبل في الجماعة إلا من بايع أميرها على السمع والطاعة في النشط والمكره والعسر واليسر في المعروف وعلى إقامة أحكام الكتاب والسنة والالتزام بالمنهج السلفي.

٥ – التزكية: لا يقبل في الجماعة الإسلامية المسلحة إلا من زكاه عدلان اثنان على الأقل ممن يعرفه جيداً.

٦ – البراءة من كل عون من أعوان الطواغيت – وخاصة إذا كان من أقاربه وقطع الصلة به وتقديم كل معلومة عنده عنه.

### ثالثا: الشروط الخاصة:

وهذه الشروط الخاصة هي لكل من يلتحق بصفوف مجاهدي الجماعة الإسلامية المسلحة ممن كان في هيئة من الهيئات أو طائفة من الطوائف التالية أو كانت له علاقة معها. مع تحقيق شروط قبلو التوبة وهي الاعتراف بالذنب، والإقلاع عنه، والندم والعزم على عدم الرجوع إلى ما كان عليه، وكذلك الإصلاح والتبيين لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠].

#### ١ – الطائفة المرتدة المحاربة

فكل من كان في صفوف الطاغوت المرتد أو كانت له علاقة به، وأراد الالتحاق بالجماعة –وذلك قبل القدرة عليه –فعليه بـ:

١ –أن يعلن توبته والعودة إلى الإسلام أمام جمع من المجاهدين.

٢ –أن يعلن أن قتلى الجماعة في الجنة وقتلى الطاغوت المرتد في النار.

٣ –أن يقدم كل ما عنده من معلومات عن الطاغوت المرتدّ.

٤ –أن يكون مستعداً وقابلا للاختبار حسب وضعيته.

٥ –أن يصرّح بأن حكام الجزائر وسائر أمصار المسلمين مرتدّون، وكل من يقاتل دونهم أو يناصرهم فهو مثلهم مهما أظهروا من شرائع الإسلام كالصلاة والصيام والزكاة والحج، وبأي اسم من الأسماء تسمّوا، وأن ردتهم تتمثل في تبديل شريعة الله وتحكيم قوانين الكفر، والإتيان بمختلف أنواع الكفر والشرك الأكبرين، وموالاة الكفار ومعاداة المسلمين.

٦ –أن يقدّم ملفا مفصلا عن حياته كما في الملحق.

### ٢ –جبهة وجيش الإنقاذ

كل من كان في جبهة الإنقاذ أو جيشها فعليه بـ:

١ –الإقرار أن راية الإنقاذ راية ديمقراطية شركية.

٢ –إعلان التوبة من العمل الحزبي الانتخابي الديمقراطي.

٣ –إعلان البراءة من كل دعوة إلى الحوار مع الطاغوت المرتد .

٤ –التصريح بأن حكام الجزائر وسائر ديار المسلمين مرتدون هم وطوائفهم.

٥ –التصريح بوجوب قتال هؤلاء المرتدين.

٦ –قطع الصلة بجبهة وجيش الإنقاذ .

٧ –تبني موقف الجماعة الشرعي من الجبهة والجيش.

٨ –تقديم كل المعلومات عن الإنقاذ .

٩ –تقديم ملف مفصل عن حياته كما في الملحق.

### ٣ –جماعة التكفير –أذناب الخوارج:

١ –التوبة من هذه البدعة وإعلان البراءة من دعاتها .

٢ –قطع الصلة بأفرادها .

٣ –تبني موقف الجماعة الشرعي من أهل هذه البدعة.

٤ –تقديم كل مساعدة ومعلومة للقضاء على هذه البدعة وأهلها .

٥ – الاستعداد للاختبار في هذا المجال.

٦ –تقديم ملف مفصل عن حياته كما في الملحق.

### ٤ –الهيئات المختلفة الأخرى:

– أحزاب علمانية ولائكية وشيوعية وغيرها من دعاوي الجاهلية.

– أحزاب تدعي الإسلام كالنهضة وحماس.

– جماعات دعوية وفكرية وجهادية منحرفة عن منهاج النبوة كالإخوان والجزأرة والقطبية والدعوة والتبليغ وأذناب المرجئة.

– فرق إسلامية ضالة: كالطرقية والصوفية وغيرهما .

فمن كان في هيئة من هذه الهيئات أو جماعة من هذه الجماعات فعليه بـ:

١ –البراءة من هذه الهيئات والجماعات ودعاتها، حسب كفرها أو ضلالها أو فسقها . . . والتوبة من ذلك تصريحاً .

٢ –تبني موقف الجماعة الشرعي منها .

٣ –تقديم كل المساعدات والمعلومات عنها وعن أتباعها ودعاتها .

٤ –الاستعداد للاختبار في هذا المجال.

٥ – تقديم ملف مفصل عن حياته كما في الملحق.

### ٥ –غير الجزائريين:

١ – إعلان البراءة من الجنسيات والحدود .

٢ –الاستعداد للاختبار في هذا المجال

٣ –أن يخلع عن رقبته كل بيعة أخرى.

٤ –تبني موقف الجماعة الشرعي من بلاده وحكامها .

٥ –تبنى موقف الجماعة الشرعي من تنظيمه الذي كان فيه.

٦ –تقديم ملف مفصل عن حياته كما في الملحق.

### ٦ –الدعاة الذين قعدوا أول مرة عن الجهاد:

ومنهم الذين ارتقوا كرسي الدرس أو منبر الجمعة، أو تخرجوا من جامعة وغير ذلك :

١ –ذكر سبب التأخر عن الجهاد .

٢ –إعلان التوبة عن التخلف إن لم يكن له عذر شرعي.

٣ –تسجيل شريط يوضح فيه رأيه وموقفه من المسائل التالية:

❊ الكلام حول العقيدة والتوحيد والمنهج.

❊ حكم الأنظمة في ديار المسلمين، والحاكمين وأعوانهم بما فيهم الجنود الاحتياطيين.

❊ حكم الأحزاب.

❊ الردّ على الشبهات التي يرمي بها المثبطون –من الدعاة وغيرهم– الجماعة الإسلامية المسلحة ويتعللون بها للقعود عن الجهاد .

❊ المسائل التي يخالف فيها الجماعة.

٤ –الاستعداد للاختبار في هذا المجال حسب وضعيته.

٥ –تقديم ملف مفصل حول حياته كما في الملحق.

### ٧ –العلماء الذين ينهجون المنهج السلفي:

١ –تحقيق عقيدة الولاء والبراء قولا وعملاً.

٢ –الاستعداد لكتابة رسالة عن الجماعة وأحكام الجهاد.

٣ –التحريض على الجهاد وتبيين الحق للأمة.

# فصل

## أحكام عامة

وفي ختام هذا الكتاب نقدم هذه الأحكام وهي أحكام عامة عملية تطبيقية متعلقة بوثيقة التعهد حتى يكون العمل مجديا ولا يذهب سدى وتبلغ –بإذن الله تعالى– المقصود:

١ –كل مسلم بالغ عاقل فهو معني بهذه الوثيقة –ذكراً كان أو أنثى– داخل الجزائر وخارجها .

٢ – كل من يلتحق بصفوف الجماعة فإنه ينضم فرداً لا جماعة، وجنديا لا أميراً حتى يرى أمير الجماعة الإسلامية المسلحة أو من يكلفه فيه رأيه وينزله منزلته، دون أي شرط مسبق.

٣ –كل رافض لأي شرط من الشروط فهو لا يعد جنديا في صفوف المجاهدين في الجماعة الإسلامية المسلحة.

٤ –كل من كتم شهادة على فرد أو هيئة فإنه يعزر على قدر أهمية المعلومة وخطورتها، وقد يصل التعزير إلى القتل.

٥ – تكون البيعة لأمير الجماعة الإسلامية المسلحة.

٦ –لا فرق بين مطارد وغير مطارد في تقديم البيعة، فالكل في حكم واحد .

٧ –للأمير أن يطلب تجديد البيعة متى شاء وممن شاء بالصيغة التي يشاء ما لم يخالف الكتاب والسنة.

٨ –تصح البيعة عن طريق المراسلة بشرط التوثيق.

٩ – الفاكس من المراسلة الموثوقة بخلاف الهاتف، والشريط المسموع وحده لا يكفي.

١٠ – إذا روعي الجانب الأمني فلا بأس بتسجيل الأشرطة السمعية للبيعة.

١١ – يحضر البيعة شاهدان عدلان على الأقل.

١٢ –نبذ كل بيعة قديمة وردّها إلى صاحبها من أي هيئة أخرى شرطٌ، ومن كتم بيعته فهو خائن.

١٣ –لا يكتفي أحد ببيعة غيره، إلا أن يكون وكّله على ذلك بإشهاد .

١٤ –تتجدد البيعة لكل أمير جديد يتأمر على الجماعة.

١٥ –لا يجمع البيعة إلا من فوضه أمير الجماعة لذلك.

١٦ –على كل مبايع أن يملأ وثيقة التعهد .

١٧ – من زكى شخصاً للالتحاق بصفوف المجاهدين في الجماعة أو أخذ منه البيعة دون استيفاء الشروط، والإجراءات التنظيمية يتعرض للمتابعة والمعاقبة.

١٨ –لا يقبل تزكية كل من فيه إحدى هذه الأمور .

* من لم تمر عليه سنة في الجماعة على الأقل.

* من سقطت عدالته كأن يأتي كبيرة من الكبائر أو مقدماتها أو يصر على الصغائر، ومن ردّ الشرع شهادته كالقاذف والكاذب وشاهد الزور، إلا من تاب وأصلح بعد ذلك، ورأى الأمير قبول التزكية منه.

* من طعن في الجماعة أو أعيانها بغير حق.

* من تحوم حوله شبهات (بدعية كانت أو غيرها) .

* نقص العقل ومنه من عرف ببلادته ووسوسته وخلطه.

* من عُرف بتساهله في التزكية دون تثبيت أو تبيّن.

* من لم يعش مع المزكّى أو يعامله أو يسافر معه.

* من لم يبلغ الحلم.

* من كتم عن قريب له في صفوف الطاغوت عمداً .

* من غادر البلاد دون إذن الأمير المباشر له، وكذا من كرّر تنقّله بين المناطق بغير إذن.

* من سبق له أن سلّم نفسه للطاغوت.

* من لم يدخل ميدان القتال في سبيل الله.

* من عُرف بالتثبيط والتخذيل، وبمواقفه المخزية عند النوازل.

***********

# الملحق

## الملف المفصل عن الشخص

المحاور الأساسية في الملف المقصل عن حياة الشخص:

١ –ميلاده، اسمه، كنيته، (اسم أبيه) .

٢ –مقر سكناه (عنوان مسكنه) .

٣ –دراسته وتعليمه (المراحل الدراسية) .

٤ –العلوم الشرعية التي درسها وشيوخه.

٥ –وظائفه ومهنه التي قام بها .

٦ –أسفاره وتنقلاته.

٧ –التزامه ونشاطه.

٨ –انتماؤه: الدعوي، الفكري، الحزبي، . . . وعلاقته بكل ذلك.

٩ –إن كان متزوجاً ذكر حالة أصهاره (ملف حولهم ما له علاقة بالموضوع) .

١٠ –إن سبقت له علاقة بمؤسسات الطاغوت: التشريعية، المسلحة وغيرها . ما هي ومتى كان ذلك ؟ بالتفصيل.

## الخاتمة

أيها الإخوة المسلمون في ختام هذا الكتاب نود أن نشير إلى أن ما جاء فيه من مسائل، فإنما هو جزء من مبادئ وأصول منهج الجماعة الإسلامية المسلحة، وقد اقتصرنا فيها على ما يتعلق بجانب معين يخص بالجهاد والقتال وبعض ما يميزها عن غيرها .

وقد اجتنبنا التفصيل والأخذ والردّ، إذ ليس هذا موضعه، وكان مقصودنا من هذا، تعريف الناس عامة والمجاهدين خاصة بالجماعة، حتى يكونوا على بينة من أمرهم ويكونوا متبعين على علم وبصيرة لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨] وليكن في علم كل من ينضم إلى الجماعة الإسلامية المسلحة ممن كان في طائفة أو تنظيم مما ذُكر من قبل، فإنه ملزم بكتابة تقرير شخصي مفصل يذكر فيه كل ما يتعلق بحياته، كما يذكر في تخلصه من الطائفة أو التنظيم والبراءة منها بقدر ما تستحقه من [..] مع ملئ "وثيقة التعهد" وإمضائها، وهما طبعاً أمران مختلفان. ومن كان ملزما بتسجيل شريط سمعي فعليه ذلك أيضا . وبالجملة فعلى كل واحد أن يوفر الشروط المذكورة (الخاصة والعامة) المذكورة في أثناء الكتاب.

أوصي المجاهدين خاصة والمسلمين عامة أن يلتزموا بالمنهج السلفي السليم كاملاً غير منقوص فإنه سبيل النجاة الموصل إلى الله عز وجل، وأن غيره من السبل – مهما كثرت وتعددت وتزينت – مسدودة منقطعة لا يوصل أي منها إلا إلى النار والعياذ بالله. وقد قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] .

بســــــــــــم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصل اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم

الجماعة الإسلامية المسلحة

رقم: . . . . . . . . .                المنطقة. . . . . . .

الجند . . . . . . . . .

الكتيبة. . . . . . .

**وثيقة التعهد**

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة:١]

أخوكم:

من مدينة: . . . . . . . . . . . . . . . .حي . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

بدأت العمل مع المجاهدين في. . . . . . . . . . . . . . . .ب: . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

مع الإخوة: . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .و. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .و. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

والتحقت بهم بتاريخ: . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .تحت إمارة: . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

أول بيعة أقمتها كانت في إمارة الأخ: . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

وها أنا أبايع الأخ: . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

(على السمع والطاعة في المنشط والمكره واليسر والعسر في المعروف، وعلى إقامة أحكام الكتاب والسنة. . واعاهد الله على الالتزام بالمنهج السلفي ظاهرا وباطنا . كما أتعهد أن لا آوي محدثا ولا أن أقوي شوكة المبتدعة أو الخارجين على الجماعة الشاقين لعصا الطاعة. . وأن ألتزم بموقف الجماعة ما لم تكن معصية ما استطعت، وأنا أتحمل في ذلك تبعات مخالفاتي كما تنص عليه أحكام العقوبات والتعازير. والله على ما أقول شهيد):

اسم وإمضاء المعني   اسم وإمضاء المفوّض لأخذ البيعة  اسم وإمضاء الشهود

. . . . . . . . . . . . . . . .   . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .   . . . . . . . . . . . . . . . . .

....................

....................

حرر يوم: ..................هـ

الموافق ل:...................م

# ملحق ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
دار الإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم : ٢/٩٥١
التاريخ : ٣/٤/١٤١٤هـ
المرفقات : ١٨٠ + محاضرة كتاب

« ســــرى »

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير المكرم نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية . وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وبعد :

فأشير الى كتاب سموكم الكريم رقم(م/ب/٤/١٩٢/م ص) وتاريخ ٢١ . ١٤١٤/٣/٢٢هـ. المتضمن توجيه خادم الحرمين الشريفين حفظه الله بعرض تجاوزات كل من/سفر بن عبدالرحمن الحوالي وسلمان بن فهد العوده ، في بعض المحاضرات والدروس على مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الحادية والأربعين المنعقدة بالطائف إبتداء من تاريخ ١٤١٤/٣/١٨هـ. ضمن ماهو مدرج في جدول أعماله .

وأفيد سموكم أن مجلس هيئة كبار العلماء إطلع على كتاب سموكم المشار اليه ومشفوعه ملخص لمجالس ودروس المذكورين من أول محرم ١٤١٤هـ. ونسخة من كتاب/سفر الحوالي « وعد كيسنجر » وناقش الموضوع من جميع جوانبه واطلع كذلك على بعض التسجيلات لهما ، وبعد الدراسة والمناقشه رأى المجلس بالاجماع :« مواجهة المذكورين بالأخطاء التي عرضت على المجلس - وغيرها من الأخطاء التي تقدمها الحكومة - بواسطة لجنة تشكلها الحكومة ويشترك فيها شخصان من أهل العلم يختارهما معالي وزير الشئون الإسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد ، فإن إعتذرا عن تلك التجاوزات والتزما بعدم العود الى شئ منها وأمثالها فالحمدلله ويكفي ، وإن لم يمتثلا مُنعا من المحاضرات والندوات والخطب والدروس العامة والتسجيلات حماية للمجتمع من أخطائهما هداهما الله والهمهما رشدهما ». إهـ .

وقد طلب اليَّ المجلس ابلاغ سموكم.رأيه هذا . . وأعيد لسموكم برفقه كتابكم المشار اليه ومشفوعاته .

وأسأل الله أن يوفق خادم الحرمين الشريفين وسموكم لما يحبه ويرضاه وأن يعين الجميع على كل خير انه سميع قريب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . . ،

مفتى عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وادارة البحوث العلمية والإفتاء

*ابي ابراهيم ابن سلطان العدناني(اسم مستعار يحتمل انه لتراحيب الدوسري)،" القطبية هي الفتنة فاعرفوها"، ص ١٩٠

# ملحق ٤

# المقالات الشيشانية

## مقال الأمير سيف الله حول كيف تم الإعداد لإعلان إمارة القوقاز

فترة الاصدار: ٢١ أبريل ٢٠٠٨، الساعة ٢٠و٧مساءا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، رب العالمين، و الصلاة و السلامك على خاتم الأنبياء و المرسلين، محمد، و على آله، و صحبه أجمعين. من يهده الله فلا مضل له، و من يضلل فلن تجد له هاديا . و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، صلى الله عليه و سلم.

أما بعد...

يقول الله سبحانه و تعالى في القرآن:

(قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) سورة سبأ49 -

## المقدمة

أصدر أمير المجاهدين أبو عثمان دوكو عمروف بيانا رفض فيه أي مظهر شركي و أسس لتابعيه نظاما إسلاميا للحكم. لذلك هو يعلن رسميا أنه ليس له صلة بحكم الطاغوت، دستور جمهورية إيشكريا الشيشانية لعام ١٩٩٢م، الذي قال في فصله الثاني:

" *إن شعب جمهورية إيشكريا الشيشانية هم المصدر الوحيد للسلطات في الدولة .يمارس الشعب سلطة السيادة، العائدة لهم، مباشرة و من خلال مؤسسات السلطات التشريعية و التنفيذية و القضائية المشكلة منهم، و كذلك من مؤسسات الحكم الذاتي."

و بيان أميرنا يعني أنه يعتبر الله، سبحانه و تعالى، الذي أنزل لنا أفضل قانون و هداية من خلال رسوله محمد، صلى الله عليه و سلم، المصدر الوحيد للسلطات و ليس الشعب. و هو كذلك تبرأ من المصطلحات التي تتناقض مع الإسلام مثل: الجمهورية، و البرلمان، و الرئيس، إلخ . و بيانه رفض للنظام الديمقراطي في الحكم و المعتقدات و المبادئ المتصلة به. لم يعد لمجاهدي القوقاز أي صلة بجميع المصطلحات التي لا توافق مع ديننا، كحقوق الإنسان، و القانون الدولي، الميثاق، حرية الكلام، حرية الدين، و حرية إرادة الناس.

اليوم بعض الناس يحاولون أن يقنعونا أن هذا القرار أتخذ من قبل الأمير دوكو عفويا و على نحو فجائي. و أحدهم حتى جاء برواية حول مؤامرة أجهزة الامن السرية الروسية، التي تمكنت من ان ترسل للأمير منومهم المغناطيسي الذي دفعه "للتبرأ من الدولة الشيشانية" . التي تذكرني بكلام مشركي مكة، الذين وقفوا ضد نبينا صلى الله عليه و سلم. لمعرفتهم لأخلاقه و أمانته، لم يكن يمكن أن يتهموه بالكذب، لذلك إستنتجوا أنه كان مسحورا . حتى أنهم سموا الساحر الذي إدعوا أنه أخضع الرسول صلى الله عليه و سلم، ليواجه قومه.

(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) سورة سبأ – ٤٣

بالطبع لم يكن للسحر أي صلة بذلك. الأجهزة السرية للكفار أرادت العكس تماما . إن الشيطان يتحكم بهم، الذي يعلم أن الشرط الأساسي لإنتصار المسلمين و هو الإلتزام الصارم و الكامل بالتوحيد . التوحيد هو الغاية من حياتنا ، نحن نقاتل من أجله و مستعدون لموت من أجله. و

هدف الكفار و المنافقين أن يبعدونا عن الإيمان الصحيح و جعلنا مشركين.

(وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا) سورة النساء89 –

(وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ) سورة البقرة – ٢١٧

من المعروف أن نظام الحكم جزء لا يتجزأ من ديننا . و من المعروف كذلك أن رفض أي جزء من الدين هو رفض للإسلام ككل. و هو بالضبط ما يسعى إليه الكفار اليوم. إنهم يحاولون دفعنا لرفض نظام لحكم الإسلامي و ينشرون نظام حكمهم، و بذلك يدفعوننا إلى الكفر. و نحن وقفنا للدفاع عن إيماننا و جهادنا تحول من مرحلة الدفاع عن حياتنا و ممتلكاتنا إلى مرحلة إعلاء كلمة الله. و كنا بحاجة فقط لإعلان ذلك بوضوح.

(لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ) سورة الأنفال42 –

المجاهدون قد وصلوا لهذا القرار منذ زمن بعيد . في ما سيأتي سأخبركم كيف تكشفت الأحداث و كيف كان لكاتب هذه السطور دور في إتخاذ هذا القرار.

## مقدمة تاريخية

الحرب مع روسيا مستمرة منذ ١٣ عاما . بعد الإنتصار في الحرب الأولى حدث النزاع، و التي دخان نيرانها لا يزال مستمرا حتى الآن. و قليل من المشاركين الأحياء في ذلك النزاع لا يزال يخفي عداء متبادلا. و عمليا من المستحيل تحديد من كان على صواب و من كان على خطأ حينها . شيء واحد واضح اليوم: إذا لم نقم بالإستنتاجات الصحيحة من الأحداث السابقة، سيتكرر كل شيء مرة أخرى.

مسألة كيف يجب على الدولة الشيشانية أن تكون رفعت أكثر من مرة. كان بين صفوف المقاتلين مؤيدين لنظام سلطة علماني (مزيج بين الإسلام و التقاليد الوطنية القائمة على الديمقراطي) و مؤيدي الشريعة. مجلس ٢٠٠٢م كان محاولة لإنهاء الخلافات بين أعضاء المقاومة، و لكنها أدت إلى وحدة شكلية للمجاهدين في القوقاز.

بعض الإخوة إعترفوا بأخطائهم السابقة، و لكنهم فشلوا في الوصول إلى رأي مشترك في العديد من المسائل. نحن وجدنا أنفسنا في وضع وجدنا أنفسنا أمام خيارين، و كلاهما يؤدي إلى كارثة وشيكة. الأول كان قطع الرباط فورا، دون الإنتظار نهاية الحرب. لم يتمكن أحد من إتخاذ القرار، لأن كان من الواضح أن ذلك سيؤدي إلى إنقسام في صفوف المجاهدين و سيكون سببا في الهزيمة.

الخيار البديل أن نؤجل حل المسائل المختلف عليها حتى نهاية الحرب أو حدوث هدنة، لكن الجميع كانوا يدركون أنه حتى الحرب و العدو المشترك لم تستطع أن توحد المجاهدين. الوضع كان متفاقما لعدم وجود رجل، بين المشاركين في الجهاد، سيعترف به كحكم غير منحاز من قبل جميع المجاهدين، لأنه قل أو كثر الأمراء أصحاب السلطة و المتعلمين (المختصين في الشريعة) شاركوا في الفتنة التي حدثت بعد الحرب.

و نتيجة لذلك، وصل مؤيدي الديمقراطية و مؤيدي الشريعة إلى إتفاق حول الإعتراف بسلطة رئيس جمهورية إيشكريا الشيشانية و أدخلوا ما سموه تعديلات شرعية لدستور الجمهورية. أدرك الجميع أن الإتفاق كان شكليا و إضطراريا . الديمقراطيون، الذين يقيم معظمهم في الخارج، إدعوا أن التعديلات الشرعية لم تكن سارية المفعول، لأن الدستور تبني بالإستفتاء العام، و يمكن تغييره فقط عن طريق إستفتاء عام. و قالوا كذلك أن المجلس أعطي حق إعادة إنتخاب الرئيس، فبعد الحرب فقط "نائب منتخب من الشعب" يمكن أن يكون رئيسا شرعيا للدولة.

مؤيدي الشريعة كذلك لم يعتبروا رئيس جمهورية إيشكريا الشيشانية حاكما إسلاميا شرعيا للدولة. كانوا فقط يعتبرونه منسقا عاما للعمل العسكري. العديد من الأشخاص أملوا في مفاوضات مع روسيا و إعتقدوا أنه كان من الضروري الحفاظ على منصب الرئيس لعقد هدنة .و حقيقة أن كل جماعة كان لها مصادر تمويلها المستقلة كان مؤشرا على أن الوحدة كانت شكلية فقط. فسر بعض الأمراء ذلك بأنه ضرورة عسكرية، لكن السبب الحقيقي كان عدم الثقة المتبادلة و فقدان الثقة في السلطات. حتى بعد وصول الشيخ عبدالحليم إلى السلطة، لم يبايعه جميع المجاهدين كقائد إسلامي.

مسألة السلطة في الشيشان رفعت مرة أخرى بعد توحد المجاهدين في ٢٠٠٥م و فتح جبهة القوقاز. أنا شخصيا كنت موجودا في المجلس العسكري في نالتشك في صيف ٢٠٠٥م. أبو إدريس عبدالله باساييف (رحمه الله)، حنيف خورشخانوف (رحمه الله) و أبو محمد موسى موكوزهييف كانوا يتناقشون حول مسألة إنضمام جماعة إنغوشيا و جماعة كبردينو – بلكاريا إلى الجبهة القوقازية. أعلن أبو إدريس أن النزاع إنتهى و أن خطر الإنقسام لم يعد موجودا . إتضحت العديد من الأمور خلال السنوات الماضية.

العديد ممن شارك في النزاع كشفوا عن وجوههم الحقيقية، بإ نضمامهم إلى الأعداء . و بقي بين المجاهدين فقط مؤيدي الشريعة، و لم يتبقى من الديمقراطية سوى المصطلحات و الألقاب. زال خطر الإنقسام و أصبح قرار التحول إلى نظام الشريعة في الحكم مسألة وقت فقط. عبدالله باساييف عرض علينا أن نكون مواطنين في دولة إيشكريا الإسلامية و نصبح جزء من المجلس العسكري لمجاهدي القوقاز، الذي كان سيتخذ قرار رفض جميع الرموز الكفرية في نظام الدولة.

و أصبحنا خاضعين لعبدالحليم على شرط أن تحل مسألة شرعية الشريعة في سلطة الدولة في الشيشان في القريب العاجل.

بسبب الوضع الصعب في جبهات القتال لم يجتمع المجلس. و بعد رحيل عبدالحليم و أبو إدريس باساييف (رحمهما الله)، فقدنا الإتصال مع القيادة لمدة طويلة.

## مراسلة الأمير دوكو عمروف

عند أول فرصة كتبت للأمير أبو عثمان (دوكو عمروف)، داعيا إياه التبرؤ من الديمقراطية و حكم الطاغوت، و رفع راية إسلامية صافية، خالية من الشرك. و كذلك كتبت له أم مثل هذا القرار ليس بحاجة لدعوة المجلس، لأن ذلك مسؤوليته وحده. فهو مسؤول أولا عن نفسه و إنقاذها يوم القيامة، و بعدها هو مسئول عن أرواح تابعيه و التخطيط العسكري. سيكون عليه أن يجب عن ذلك أمام الله سبحانه و تعالى.

أصول دين الله يمكن فهمها بسهولة من قبل أي إنسان. أرسل القرآن على أناس لم يستطيعوا القراءة و الكتابة. لذلك إذا رأينا أدلة واضحة من القرآن و السنة، ليس لنا أن نستشهد بالذين يحاولون حجب الحقيقة، و يتلاعبون بنصوص الشريعة و يغيرون تفسير معانيها لمصلحة خيالية. في يوم القيامة، لن يستطيع الأمير أن يبرر قائلا: "يا رب، أردت أن أحكم بأحكامك، و لكن العلماء منعوني من القيام بذلك."

بالطبع نحن نحترم أهل العلم، التي تتطابق أفعالهم مع أقوالهم، و لكن في قضايا العقيدة الأساسية (أصول الدين) لا يسمح بتقليد العلماء. قبل قبول أو رفض قول أحدهم في قضايا العقيدة، يجب أن نطلب دليلا واضحا( دليلا حقيقيا من مصادر الشريعة) .اما فيما يتعلق بفروع (تفاصيل) الشريعة، في هذه الحالة نتبع آراء أهل العلم و ليس من واجبنا أن نطلب دليلا عن كل قضية.

و كذلك ذُكر في الرسالة، أن التصويت على هذا الموضوع مستحيل، حتى لو كان مؤكدا أن الجميع سيصوتون للشريعة.

يقول تعالى:

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) سورة الأحزاب.36 -

كذلك لفت إنتباه الأمير إلى حقيقة مبدأ "أن للأمير صوتا واحدا في الشورى" الذي كان أساس دولتنا في ٢٠٠٢م، يتناقض مع الإسلام و هي بدعة مأخوذة من الكفار. و إذا لم نضع حدا لهذا و غيرها من الإنحرافات، فلن يعطينا الله، سبحانه و تعالى، النصر على العدو في هذه الحياة، و يمكن أن يحرمنا من الأجر و يعرضنا للعقاب. نعم، هناك خطر أن تؤدي مثل هذه الخطوة لنزاع و إنقسام، و لكن الله، سبحانه و تعالى، بالتأكيد سيجعلنا نقع في النزاع و الإنقسام، إذا كنا نخاف من البشر، و نتجاوز حدود الأحكام، التي وضعتها الشريعة.

و مذكور في القرآن الكريم:

(لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) سورة النور.63 -

عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:

*"وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سلط اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ . وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ " (جزء من الحديث الصحيح، المروي عن إبن ماجة. راجع: الألباني،" السلسلة الصحيحة" ١٠٦

رد الأمير أبو عثمان في رسالة، أن هذه القضية واضحة بالنسبة له و أنه ليس لديه شكوك بخصوص كيف يجب أن يكون نظام دولتنا .في الرسائل السابقة أكد كذلك أنه يقاتل في سبيل الله، و من أجل الإسلام فقط، من أجل الشريعة فقط. قال الأمير دوكو أنه إتخذ قرارا بالفعل و سيصدر خطابا حول هذه القضية .قال إنه فقط يتوقع وصول أحد المجاهدين القدماء الذي سيساعده في كتابة نص الخطاب.

## مسألة الراية

بالرغم من تصميم الأمير أبو عثمان لإقامة الشريعة بشكل كامل، كان لبعض المجاهدين شكوك حول ضرورة و توقيت هذه الخطوة. في بداية أكتوبر ٢٠٠٧م تلقيت رسالة من الأمير مهند(امير العرب)، نائب أبو عثمان. أراد أن يعلم رأيي حول قضية القتال تحت راية غير إسلامية. و أشار أن في إحدى مقالاتي قرأ أنه لا يجوز القتال تحت راية غير إسلامية (غير متميزة) . و قال أن هناك فتوى للشيخ إبن عثيمين، تسمح بالجهاد تحت الراية الجاهلية في جهاد الدفع. تحت هذه الرايات شنت الحروب في البوسنة و الهرسك، و قبل جميع العلماء أن القتال إلى جانب المسلمين كان جهادا في سبيل الله.

فأجبته، في الواقع، أنه حتى الآن الجهاد في الشيشان يشن تحت رايات الديمقراطية و حرب التحرير الوطنية. مع ذلك، فالعلماء في جميع أنحاء العالم يعتبرون هذه الحرب جهادا، هدفها حماية الشعب الشيشاني من الإبادة.

هناك لحظة لا جدل فيها حول هذه القضية :بالفعل، خلال جهاد الدفع يجوز بالقتال الرايات الوطنية و حتى كعضو في عصابة من قطاع الطرق. و لكن هناك لحظات مشكوك فيها . مثلا، هل يجوز القتال تحت رايات الكفر؟ بعض العلماء يرى أن ذلك جائز إن كان هناك ضرورة لذلك إذا لم يكن هناك خيار آخر لإنقاذ المسلمين من الإبادة.

يرى آخرون أن المغامرة تحت راية كفرية يعني السقوط في الكفرعن طريق الولاء للكفر، كأن تصبح كافرا بإظهار الولاء لكفر. بعض المجاهدين أخذوا بالرأي الأول و قاتلوا الصرب تحت رايات كرواتية، عليها الصلبان. و كذلك قاتلوا تحت الرايات البوسنية الوطنية و كانوا تابعين للرئيس علي عزت بيغوفتش.

و هناك مجموعة أخرى من المجاهدين في البوسنة، و لم يخضعوا للحكومة البوسنية و قاتلوا فقط تحت الراية الإسلامية.

مع ذلك، في قضيتنا ليس مهما أي من الرأيين نأخذ، لأن هذا الخلاف ليس له علاقة بنا . المهم أن العلماء الذين تكلموا حول جواز أو تحريم الجهاد تحت الراية الكفرية، عنوا حالات كأن يكون قائد الجيش أو الدولة، رئيس دولة ديمقراطية،أو ديمقراطيا مسيحيا، لا يريد أن يقبل بالحق و يصر على كفره. أو ليس هناك إحتمال أن ندعوه للدرب الحق. و لكننا نتكلم هنا عن أخينا ! كيف يمكن أن نقول للأمير دوكو: "يا أخانا، يجب أن

تصبح كافرا لبعض الوقت. و إلا سيكون من الصعب هزيمة العدو؟!

يمكن لأحد أن يعترض و يقول إننا مضطرين لذلك، دفعتنا الظروف، و الحاجة لتضليل الكفار. و أنا أرد:

لا تلعبوا بدين الله! لو برر الجميع الكفر بحجة الحاجة العسكرية و السياسية، عندها لن يتبقى شيء من ديننا. جميع علماء أهل السنة مجمعين أن أي شخص يتعمد التلفظ بالكفر و هو ليس تحت الإكراه، يصبح كافرا، حتى لو كره هذا الكفر في قلبه(راجع: القحطاني، " الولاء و البراء" المجلد الأول، صفحة ٦٠). و من المعلوم كذلك، أن ليس كل تهديد يعتبر إكراها في الشريعة. الإمام إبن حجر يحدد أربع حالات تلزم جعل التهديد إكراها:

1. المهدد الذي يجبر على القيام بأمر محرم، يجب أن يكون قادرا على تنفيذ تهديده. و يكون الشخص المهدد غير قادر على حماية نفسه أو هروب.

2. يجب أن يكون المهدد متأكدا أنه إذا رفض الإذعان، فسينفذ التهديد.

3. يجب أن يكون تنفيذ التهديد فوريا أو يقع في المستقبل القريب. مثلا، لو هدد شخص: "إذا لم تقم بذلك غدا ستضرب"، لا يعتبر ذلك إكراها.

4. الشخص الذي تحت الإكراه يجب أن لا يظهر أي سلوك أنه يقوم بذلك بملء إرادته. (إبن حجر العسقلاني، "فتح الباري"، المجلد ١٢، الصفحات من ٣١١-٣١٢)

هذه الظروف تنطبق على اي نوع من الإكراه، بما في ذلك، مثلا، الإجبار على عقد صفقة تجارية. في ما يتعلق بالإكراه على الكفر، يقول العلماء يمكن للشخص أن يتلفظ بالكفر إذا كان لا يتحمل الألم. مثلا، لو كان الأعداء سيقتلونه، يضربونه بقسوة، يسببون له ألما شديدا بالنارأو شيئا مشابها. و هناك إجماع بين العلماء، على أن الشخص الذي يجبر عل التلفظ بالكفر يجب عليه أن يجنب كلمات الكفر الصريح، و أن يحاول إستعمال تعابير بمعاني غامضة. (راجع: الخازن، تفسير "لباب الطويل"، المجلد ٤، صفحة ١١٧)

و كذلك معلوم أن المستطلع (جامع المعلومات الإستخباراتية) يعتبر تحت الإكراه، إنه يخفي إسلامه و يعمل خلف خطوط العدو في مهمة من الأمير العسكري. فحاله مشابه للشخص الذي تحت الإكراه، لأنه إذا كشف، فإنه حتما سيقتل أو يعذب.

ليس هناك من يقول أنه يحق للأمير، كإستثناء، أن يقوم بأعمال تجعله خارج جماعة المسلمين، لمصلحة عامة.

## مخططات أعدائنا

في اللمحة الأولى، يبدو إعلان إمارة القوقاز في مصلحة روسيا . و لكن في الواقع أعدائنا منذ زمن بعيد توقفوا عن القلق حول عودة المؤسسات الديمقراطية في الجمهورية الشيشانية و إنبثاق إيشكريا مستقلة. بعد مقتل أصلان مسخادوف رحمه الله، أغلقت مسألة الإعتراف الدولي بجمهورية إيشكريا الشيشانية .عبر الغرب عن بعض السخط و تحول إلى السكوت. لذلك كانت مسألتان تقلقان الكفار الروس، و حل هذه المسألتين ستقرر لصالح من ستنتهي هذه الحرب: و هو حرمان الجهاد تماما من التمويل و تقويض قاعدته الأيديولوجية.

علم الكفار أن تبرعات المسلمين في جزيرة العرب هي المصدر الرئيسي لتمويل الجهاد في الشيشان. و إعتقد أعدائنا أنه سيكون كافيا ترتيب إتفاقية مع السلطات في المملكة حول تعطيل سيل المساعدات، و ستحل المشكلة الشيشانية. في البداية عقدت روسيا إتفاقية مع الولايات المتحدة حول محاربة الإرهاب معا . عندها، جاء الملك عبدالله إلى موسكو (الذي كان حينها وليا للعهد، و لكن في الحقيقة هو من كان يحكم البلاد) و وقع إتفاقية مع روسيا . وعد عبدالله بوتن بقطع القنوات التي تستخدم لتمويل الجهاد الشيشاني. و لكن قلة الدعم الخارجي لم توقف المجاهدين. وجدت العديد من الوحدات مصادرها الخاصة للتمويل و أصبحت مستقلة عن الدعم الأجنبي.

أدرك الكفار أنهم لا يستطيعون هزيمة المسلمين بقوتهم فقط، و بشكل مشابه لما فعلوه خلال زمن الصليبيين، بدءوا بتقويض القاعدة الأيديولوجية للمجاهدين. فهموا أن الداعمين الأساسيين للجهاد هم الشباب المؤمن، الذين يتزايد عددهم كل يوم رغم القمع. حلل المستشرقون و غيرهم من المتخصصين في الإسلام المعلومات التي عندهم و لاحظوا أن قادة الجهاد في خطاباتهم و مناشداتهم يوردون آراء علماء المسلمين المشاهير.

المجاهدون يسألونهم للفتوى و لرأيهم تأثير حاسم. لم تستطع السلطات الروسية أن تأثر مباشرة على العلماء الأجانب، لذلك إلتمست الدعم من دول في العالم الإسلامي، بمساندة أمريكية. و إدعت روسيا أنها مدافعة عن العالم الإسلامي. و أدانت روسيا غزو التحالف الغربي للعراق، و

أظهرت رغبتها في أن تكون عضوا في منظمة المؤتمر الإسلامي.

حتى أن السلطات في الكرملين دعت قادة حماس إلى موسكو. و أدخلت كذلك تغييرات في السياسة الداخلية، من أجل إحداث ظروف إيجابية لخداع المسلمين. قبل ذلك، كانت الأدوات الرئيسية التي تقاتل ضد الإسلام كانت "السلطات الدينية" و الإرهاب، و الآن سمح بتشكيل جماعات مسالمة تنشط تحت السلطة المشتركة لأجهزة الإستخبارات الروسية. و ظهر للعالم صور للحياة المسالمة في الشيشان، حيث أصبح مجاهد و مفت سابق قائدا.

بعد تفاقم الوضع في داغستان و كباردينو – بلكاريا ألان الكفار موقفهم تجاه المسلمين في هذه المناطق. حتى الآن إنهم يحاولون أن يوحوا إلى الناس أن القمع في داغستان و جمهورية كباردينو – بلكاريا يقوم بها بشكل حصري بمبادرة من القيادة السابقة لهذه الجمهوريات، متذرعة بعدم علم موسكو.

في الواقع، إضطهاد المؤمنين كان نتيجة لضغط الواقع على السلطات المحلية من إدارة الكرملين. إتهمت إدارة بوتن الرؤساء السابقين بترتيب الإتفاقيات مع المجاهدين. أغلقت المساجد في نالتشك بضغط من موسكو. الوزير شوغينوف كان منفذا فقط لإدارة أسياده. و وفقا لخطة أجهزة الإستخبارات الروسية، كان عليه أن يلعب دور "الشرطي السيء"، و الرئيس الروسي الجديد، الذي جاء "ليساعد" مسلمي كباردا و بلكاريا أصبح، وفقا لذلك، "شرطيا جيدا."

الرؤساء الجدد لجمهوريات القوقاز، المعينين من قبل الأسياد الروس، فتحوا المساجد، و أعلنوا أنفسهم مدافعين عن مصالح المسلمين .دعي وفد من العلماء من الشرق الأوسط إلى نالتشك، و فورا أصدروا فتوى جعلت من الرئيس المحلي أمير المسلمين في كباردا و بلكاريا . لا أعرف إذا كانت إجراءات مماثلة إتخذت في داغستان، و لكنني أعتقد أن نفس سيناريو إستخدم هناك.

كل هذه الخطوات التي إتخذتها روسيا، بالطبع، بالتأكيد لها تأثير، و لكنها لم تكن كافية لحرمان المجاهدين من الحافز الديني. كان من الضروري إيقاف الجهاد بحجج شرعية. و هذه الحجج يجب أن لا تقال من العلماء و المفتين الموالين للحكومة، و لكن من علماء محترمين. يجب أن يكونوا مقتنعين أن المقاومة لا فائدة منها، و أنها فقط تؤذي المسلمين.

المحللون و المستشرقون الروس لاحظوا أنه بالرغم من إستمرار الجهاد في العراق، حرم العديد من العلماء المسلمين من القيام بعمليات العسكرية في الأقاليم المجاورة للعراق. و هذا بالرغم من حقيقة، بأن هناك قواعد عسكرية للتحالف الغربي في هذه الأقاليم. لذلك من الممكن جعل وضع مشابه في روسيا كذلك. و هذا يعني أنه ممكن تركيز الحرب في إقليم الشيشان و إفشال مخططات قيادة المجاهدين التي تهدف إلى تشكيل الجبهات في القوقاز و غيرها من المناطق.

من المعلوم أنه مع زيادة طموحات الولايات المتحدة، يأمل العالم الإسلامي في إستعادة روسيا لقوتها السابقة. و المشكلة الوحيدة للعالم الإسلامي هي فلسطين، و العديد من المسلمين يأملون بسذاجة بمساعدة روسيا في حل القضية الفلسطينية. معظم العلماء المعروفين في جزيرة العرب هم معادون لإسرائيل و أمريكا . و هو يدعون لمساعدة المجاهدين في فلسطين و العراق، و أفغانستان. و لكن العديد منهم يعتقد أن المشكلة الشيشانية عائق لحل القضية الفلسطينية. هم على الأقل يدعون لتركيز الجهاد في إقليم إيشكريا.

مرتين خلال الحج، بمبادرة من طلاب يدرسون في المؤسسات التعليمية في العربية السعودية، جمع العلماء الحجاج من مختلف مناطق القوقاز و روسيا . في كل منها حاولوا إقناع المؤمنين الذين جاءوا إلى الحج، أن القيام بالأنشطة العسكرية ضد روسيا في هذه المناطق غير شرعي. من خلال الحجاج ناشد العلماء المسلمين الذين يعيشون في كباردينو – بلكاريا، و كرشاي – شركسيا، و شمال أوسيتا، و تتارستان، و غيرها من المناطق، وقف فتح الجبهات في هذه المناطق، و في الوقت نفسه قالوا أنهم قلقون حول الإخوة الذين يشلون الجهاد في الشيشان.

و كذلك قالوا أنه "يجب مساعدة الشيشان، و لكن بشرط عدم الإضرار بعملية الدعوة السلمية للإسلام في الجمهوريات الإسلامية في روسيا" . في الواقع، هذا يعني الرفض التام لمساعدة المجاهدين، لأن مثل هذه المساعدة تعتبر مشاركة في الإرهاب.

المشكلة مع هؤلاء العلماء أنهم يصدقون الطواغيت الذين لديهم السلطة في بلادهم، بدلا من التبرأ منهم كما سبق أن فعل العديد من العلماء الصالحين. الطواغيت يؤكدون للعلماء أنهم مشغولون بمفاوضات سرية مع روسيا، التي قريبا ستنال قريبا القوة و ستصبح قوة موازية لأمريكا . في الأسفل سأستشهد بحوار كمثال ستوضح الحقيقة التي توجه بعض العلماء لإتخاذ قرارت بخصوص الجهاد في روسيا . التاريخ الحديث يعرف حادثة مماثلة :الفتوى بخصوص الجهاد في البوسنة و الهرسك. و فيها تقريبا نفس التوجه نحو وضعنا.

**سؤال :ماذا حدث في الشيشان؟ و ماذا كان سبب الجهاد؟ أو أكثر تحديدا، لماذا إعترف بالحرب في الشيشان كجهاد؟*

الإجابة :كانت الشيشان دولة ديمقراطية، جمهورية رغبت في الإنفصال عن روسيا . و لم توافق روسيا على ذلك و حاولت إسقاط حكومة إيشكريا . عندما لم تنجح المحاولة، غزتها روسيا بقواتها و بدأت بقتل و نهب المسلمين في الشيشان. و وقف المسلمين لحماية أرواحهم و ممتلكاتهم .كان ذلك جهادا .

سؤال :ما هو الوضع في الشيشان اليوم؟

الإجابة :إنتهى خطر الإبادة الجسدية للأمة . الحكومة الجديدة التي شكلتها روسيا تتكون في معظمها من الشيشان، و من بينهم مجاهدون سابقون. يمكن للمسلمين زيارة المسلمين بكل حرية، و تربية اللحى و القيام بالحج. و الدعوة للإسلام بحرية كما في العربية السعودية. و لكنه لا يزال أشخاص يقاتلون ضد حكومة الشيشان الحالية . هناك قليل من المجاهدين في الجبال و سياسيين شيشان وجدوا ملاذا في الدول الأوروبية.

سؤال :إلى ماذا تهدف المقاومة الشيشانية و تقاتل من أجله؟ و ما هي القوى السياسية التي تقف وارئهم؟

الإجابة :المقاومة الشيشانية تهدف للإعتراف الدولي للجمهورية الديمقراطية (جمهورية إيشكريا الشيشانية)، التي أعلنت خلال حكم الجنرال دودايف. يدعمهم الغرب و في روسيا القوى التي تريد إسقاط بوتن و وضع روسيا تحت السيطرة الغربية مرة أخرى. الختام (الفتوى :(تغير الوضع في الشيشان للأفضل. و حياة معظم المسلمين لم تعد مهددة بعد الآن. و يمكن ممارسة الدين في الشيشان بحرية. في مثل هذه الحالات يجب إيقاف الجهاد . و لكن لا يمكننا أن نحرم قتال المجاهدين الذين يختبئون في الغابات، لأنه ليس لديهم خيار آخر.

ليس من المعقول و الصواب فصل الشيشان عن روسيا من أجل تأسيس جمهورية ديمقراطية فيها ، التي ستكون في الواقع تحت تأثير عدونا الرئيسي، الولايات المتحدة. نحن سنستمر بنصيحة المجاهدين بعدم تنفيذ أنشطة عسكرية في الجمهوريات الإسلامية في روسيا ، من أجل عدم إستفزاز السلطات لإضطهاد المؤمنين.

سؤال :تلقينا معلومات مزعجة من الجمهوريات القوقازية و تتارستان حول ظهور قادة ميدانيين هناك، الذين أعلنوا هذه الجمهوريات جبهات عسكرية . إنهم تابعين للرئيس جمهورية الشيشان غير المعترف بها . في مقالاتهم المنشورة على الإنترنت، إنهم يناشدون جميع المسلمين الذين يعيشون في القوقاز، تتارستان و روسيا أن يحملوا السلاح و تشكيل الجماعات السرية أو الإنضمام لوحدات المجاهدين في الجبال. أمراء هذه

*الجبهات يدعون أن المسلمين الذين يرفضون الإنضمام لصفوف رجال العصابات غير ورعين و فساق . إنهم يؤسسون ذلك على الرأي الذي يقول أن الحرب ضد روسيا هي جهاد فرض عين، تم تشكيل الجبهات بأمر من الرئيس الشيشاني، الذين يعتبرونه أميرهم. ما هو الحكم بخصوص هذه الجبهات؟*

*الإجابة :الجمهوريات الإسلامية (بإستثناء الشيشان) ليست ساحة حرب . إنها مناطق معاهدات السلام و التعايش السلمي. سابقا ، السلطات المحلية في بعض هذه المناطق كانت تضطهد المسلمين. كان السبب في ذلك الوضع المتوتر في الشيشان .اليوم، و الوضع في الشيشان قد إستقر، و السلطات الروسية ألانت في سياستها إلى حد كبير نحو المسلمين الذين يعيشون في هذه الجمهوريات . عدم الإستقرار في هذه المناطق يمكن أن يؤذي الدعوة السلمية بشكل كبير. بالطبع، على المسلمين الذين يعيشون في روسيا أن يساعدوا المجاهدين الشيشان، و لكن ليس بهذا الشكل، كما إقترح بعض الإخوة.*

*إذا كان عدد الرجال (المجاهدين) في الشيشان غير كافيا لمواجهة الروس، عندها سيكون واجب على كل مسلم أن يسافر إلى هناك و يقاتل. و لكن على حد علمنا ، هناك العدد الكافي من المتطوعين في الشيشان، و ينقصهم السلاح و المال فقط . نعم، يمكن أن يواجهوا الصعوبات، و لكن الإخوة الشيشان ليس لديهم الحق في مطالبة المسلمين في روسيا فتح الجبهات هناك، لأن هذا يؤدي إلى إضطهاد المسلمين المستضعفين. بخصوص أوامر رئيس الشيشان، يجب أن نوضح، أنه ليس واجبا على الإخوة خارج الشيشان أن يطيعوا هذه الأوامر، لسببين.*

*أولا ، لان سلطته ليست شرعية وفقا للشريعة، لأنه زعيم ديمقراطي و لا يعتبر ولي أمر .ثانيا ، يمكن إعتباره قائدا عسكريا ينسق تنفيذ الأنشطة العسكرية، و لكن سلطته محدودة بإقليم محدد . يمكن طاعته في الإقليم المحدد، حيث يشن الجهاد، من أجل تحقيق التقدم العسكري، بالرغم من قتاله تحت راية غير إسلامية بالكامل. إكمالا لما ذكر آنفا ، نحن نعتقد أنه لا يجوز فتح أي جبهات خارج الشيشان.*

**البعض من علماؤنا لديه موقف مثير مثل هذا . بالطبع، ليس لهؤلاء القول الحاسم .هناك غيرهم، و رجال ليسوا أقل علما بعقيدة صحيحة، و ليسوا مصابين بالروح الإنهزامية. إنهم لا يلعبون السياسة بقوانين الكفار و لا يعتبرونه نصرا للإسلام عندما يستعاد نظام ديمقراطي في الشيشان أو فوز حماس في الإنتخابات. إنهم ملتزمون بصرامة بالتوحيد و لا يبيعون دينهم من أجل مكاسب سياسية خيالية.**

**يجب أن نتبع من يقدمون أدلة واضحة من القرآن و السنة، الذين يتكلون على الله و يتبعون سبيل الفئة الناجية و الطائفة المنصورة. عندها**

ستفشل مكائد الكفار و لن تتحقق مخططاتهم.

## خيارنا

و بذلك، فهمنا أننا نواجه خيارا: إما أن نوقف الجهاد بإتباع فتاوى بعض العلماء أو إعلان الهدف الحقيقي لجهادنا . كما ترون، إذا كان هدفنا في الحرب أن ننقذ الشعب الشيشاني من الإبادة، إذا فقد تحقق الهدف مسبقا . و إذا كان هدفنا حماية الناس من الكفر و إبعاد الكفر عن السلطة، فدعوا الجميع يعلم بذلك. على كل مجاهد أن يعلم ما الذي يقاتل من أجله. عندها خطة الكفار التي تهدف إلى تدمير ما يسمونه "القاعدة الأيديولوجية" أو "الحافز الديني" للجهاد، ستفقد معناها.

سأذكر مثالا من الجهاد الأفغاني، عندما هاجمت أمريكا و بريطانيا أفغانستان، لاقوا مقاومة شرسة من المجاهدين. حصن الأفغان أحد أهم القواطع على خط الجبهة، التي لم يستطع الكفار أن يكسروها حتى بإستخدام الأسلحة الأكثر تطورا . فوصل جنرالات الجيش إلى المواقع.

لم يستطيعوا فهم ما يحدث، لأنه وفقا لجميع قوانين العلم العسكري، يجب أن يكون عدوهم ميتا أو فارا . بدأ القادة يتساءلون ما كان حافز الأفغان، على ماذا يقاتلون؟ أجاب المتخصصون أن لدى هؤلاء حافز ديني. ينص الإسلام على حماية النفس، و أرواح من تحب، و حماية ممتلكاتك.

هذا الدفاع عن النفس واجب مقدس عند المسلمين. تساءل الجنرالات إذا كان للناس الذين يدافعون عن هذا القاطع من الجبهة حوافز أخرى؟ و أجابوا "لا" هذا القاطع كان يشغله مجموعة من السكان من عدة قرى أفغانية، يدافعون عن منازلهم. أعطى الأمريكيون الأفغان إنذارا: "أنتم تقاتلون من أجل بيوتكم و عائلاتكم .إذا أوقفتم مقاومتكم، لن نؤذيكم و قراكم. و إلا، سنحرمكم مما تقاتلون من أجله."

رد الأفغان بأنهم سيقاتلون حتى النهاية. عندها قصف الكفار إحدى القرى و طلبوا من المسلمين مرة أخرى الإستسلام. و لكن ذلك جعل الأفغان أشد غضبا . عندها مسح الكفار عن وجه الأرض قرية أخرى، و قالوا أنهم لن يقاتلوا المجاهدين، و لكنهم سيقتلون نسائهم و أطفالهم. الشعب الأفغاني شجاع جدا، و لكنهم الآن أدركوا أن مقاومتهم لم يعد لها معنى. لأن هدفهم كان الدفاع عن منازلهم، و لكن ما كان يحدث هو العكس تماما.

اليوم في الشيشان يقوم الكفار بنفس الشيء تماما . في البداية كانوا ببساطة يقتلون الجميع، و يوم يحاولون أن يبتزوا المجاهدين، بخطف و قتل أقربائهم. الذين قاتلوا من أجل الوطن و حماية الأمة إستسلموا لهذا الإبتزاز و ذهبوا إلى العدو. لأن العائلة أعز من العشيرة و الأمة. بالنسبة للذين يقاتلون في سبيل الله، من أجل رفع كلمته فوق الجميع، إنقاذ الإيمان أهم من إنقاذ حياتنا و حياة من نحب.

نبذ الطاغوت وضع نهاية للشك الذي كان لدينا في كل شيء . في الإستراتيجية، في السياسة، من نحن حقيقة، و ماذا كنا نحاول أن نحقق. العديد من الكفار في الغرب مستعدون لمساعدة المقاومة الشيشانية، و لكنهم كذلك طالبونا أن نحدد موقعنا، على أي جانب نحن في المواجهة العالمية بين الكفر و الإسلام. الذين هدفوا إلى مجرد الرفاهية المادية للشعب، إقترحوا على الأمير أبو عثمان أن يخضع للكفار و يتخلى عن إظهار ولائه للإسلام و المسلمين. قدم مجلس علماء القوقاز للأمير تصورهم بعنوان "خطة و برنامج عمل من قبل قيادة جمهورية إيشكريا الشيشانية ."
هنا الخيار الذي قدمه كتاب هذا التصور لرئيس الدولة:

" *بذلك، نحن إقتربنا من وضع، حيث يجب نحتاج أن نجد نهائيا هدفنا الإستراتيجي، بعد أن نجده يمكن أن تحول إلى الخطة الإستراتيجية. آخذين بالإعتبار المقومات الأساسية، و نحن إستنتجنا الصيغة النهائية لهدفنا في هذه المرحلة:

نريد أن ننشئ دولة شيشانية مستقلة بثقافتها، و تقاليدها، و دينها . قبل الإكمال، لنحاول أن نجيب على هذا السؤال للمرة الأولى و الأخيرة:"هل يجب على الشعوب الشيشانية و القوقازية أن تكون لها دولتها، و إذا كان نعم، عندها يجب أن نحافظ على الدولة التي أعلنها الشعب الشيشاني و مؤسستاها ؟

بالنسبة للأشخاص العقلاء و الذين يفكرون بواقعية أن الإجابة واضحة: "نعم بدون شك."

هنا بعض الوسائل التي إقترحها مجلس العلماء للإستعمال في قتال ضد الغزاة:

" *الدولة بكل خواصها (العلم، النشيد، الدستور، الرئيس، البرلمان، الحكومة، المحكمة، إلخ) شرعية مؤسسات الدولة و توافقها مع متطلبات القانون الدولي، الإعتراف الكتابي بشرعية دولتنا من قبل المؤسسات الشرعية الدولية و روسيا، و الإحتفاظ في الخارج برجال جمهورية إيشكريا الشيشانية الخبراء في العمل العسكري و بناء الدولة."

يفكر العلماء بسذاجة أن الجهاد إنتشر في سائر القوقاز لأن الشعب المسلم بسبب عدم رضا من سلطة الكرملين. هنا إقتباس من التصور:

" *شعوب القوقاز نفسها تحت أوضاع من أقسى الإرهاب، و الإضطهاد، و العنف. أي ظهور للدين لا يقره رجال الدين العملاء تقمع"."

أريد أن أعلم كتّاب التصور أن شعب القوقاز لا يشعرون بإرهاب أو إضطهاد أو العنف. رجال الدين العملاء يوافقون على أي شكل من الدين لا يدعو للجهاد ضد روسيا.

الدعوة للجهاد ضد أمريكا أو بريطانيا ليس محرما. حتى نائب المفتي الحكومي في نالتشك يدعو الشباب في الجمع للجهاد ضد الغزاة الأميركيين.

يعتقد الناس أن المجاهدين في أكتوبر ٢٠٠٥م هاجموا مدينة مسالمة .عندما نقول أننا نساند إخواننا في الشيشان و نقاتل من أجل هدف مشترك، كان الناس مرتبكين: "ما علاقة الشيشان بالأمر؟ ما علاقتنا بما يحصل بالشيشان؟ هذا لا يهمنا .لا أحد يضطهدنا أو يقتلنا، و هؤلاء الوهابيين يريدون أن يشنوا حربا هنا . و هذا مفيد لأمريكا."

العديد من الناس يخافون بأننا سنحرم شرب الخمر و الفسوق، و سنمنعهم من المتع. فيما يتعلق بالقوقازيين في الشتات، فهم راضين بالأوضاع الحالية في أوطانهم التاريخية. في أي قضية، القادة الوطنيون يدعون ذلك. دعونا أكثر من مرة لأن نوقف الحرب في غرب القوقاز و أن لا نمنع السكان المحليين العملاء من العمل لرفاهية شعوب الأديجي (الشركسيين) و الآلان (كاراشاي و البلكار)

نحن يدعمنا اليوم فقط من قبل الذين إقتنعوا لضرورة القتال ضد الكفر و ثماره. الأشخاص الأذكياء يرون ماذا ستقود إليه الإباحية و الثقافة الغربية. حرية الأديان، التي يدعوا إليها الكفار، هي حرية الكفر. منذ الطفولة الباكرة، الفسوق و عدم الحياء تغرس في أطلفالنا، الديمقراطية، و المسيحية، و الداروينية، و غيرها من العلوم الخبيثة تنشر في المجالس. أقل شيء يحاولون أن يعلمونه للمسلمين أن يتسامحوا مع الشر و الكفر. ماذا سيفعل العلماء لو صوت أغلبية الناس على إجازة بيع الكحول، الفسوق، إدمان المخدرات؟ العديد من الأشخاص في أوروبا لا يحبون الفسوق و شرب الكحول كذلك، و لكنهم مجبرون على الخضوع للأغلبية.

يمكن للعلماء أن يدعوا أنهم يدعمون إدخالا تدريجيا للشريعة، و لكنهم ينسون أن الشريعة هي التوحيد في المقام الأول، ثم من بعدها الحدود، و المعاملات، إلخ. ليس هناك معنى في تطبيق إنتقال تدريجي إلى نظام عقوبات شرعي، بينما تسمح (إنسجاما مع إعلان حقوق الإنسان) في البلاد

بالدعوة للكفر و الإستهزاء بدين الله.

بينما تحكم البلاد بالنظام الديمقراطي، التي تعطي الجموع حق عمل القوانين و تجعل الكفار و المسلمين متساوين في الحقوق، و إعطاؤهم حقوق تصويت متساوية، من غير الجدي أن نتكلم حول إدخال تدريجي للشريعة. أولا نقول "لا" للكفر، و بعدها "نعم "للشريعة.

## ماذا خسرنا و ماذا كسبنا

بعض الناس يدعون أنه بالتصريح العلني حول تشكيل إمارة القوقاز، أننا فقدنا الكثير. (و بالقول "أننا"، أعني المجاهدين الذين يقاتلون في سبيل الله، من أجل رفع كلمته فوق الجميع. فيما يتعلق بأنصار الديمقراطية، كل شيء واضح بالنسبة لهم، إنهم خسروا كل شيء) . عند أول نظرة، إتخاذ قرار مثل ذلك، نحن نضع أنفسنا في وضع مختلف. و لكن لو كان التطبيق العملي للكلمات "لا إله إلا الله" بسهولة نطقها، كان أغلبية الناس سيدخلون الجنة. و لكن نحن نعلم أن الأغلبية سيدخلون النار، وقانا الله من عذاب النار.

التوحيد مسئولية كبيرة و حمل ثقيل، الذي يقول عنه الله سبحانه و تعالى في القرآن:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) سورة الأحزاب – **72**

إن هذا الهدف من حياتنا و إمتحاننا . في حديث معروف رواه الحاكم و إبن حبان ، أن رسول الله، صلى الله عليه و سلم، أخبرنا قصة النبي موسى عليه السلام.

*قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئًا أذكرك به وأدعوك به؟ قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله .قال: كل عبادك يقول هذا . قال تعالى: قل لا إله إلا الله، قال موسى: لا إله إلا أنت إنما أريد شيئًا تخصني به، قال تعالى: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله".

نحن نعتقد أننا كسبنا أهم شيء: التوحيد و العون من الله، سبحانه و تعالى. بمساعدته سنجتاز جميع الصعاب، و سنخدمه هو فقط و نعتمد

عليه هو فقط.

أولا، دعونا نتأمل ماذا خسرنا:

1.مساندة الغرب

تظهر لنا عدد من الأسئلة بهذا الخصوص. أولا :هل كان هذا الدعم موجودا أصلا؟ و إذا كان ذلك، عندها كان غير مهم جدا و شكلي . ثانيا: إذا كان الغرب في الحقيقة في خلاف مع روسيا و يريد أن يضغط عليها، عندها خطابنا حول إعلان إمارة القوقاز يجب أن لا يمنعهم من دعم المجاهدين. حتى لو هددنا أمريكا و أوروبا كل يوم، فسيكون واضحا للجميع الذين يعرفون السياسة، ليست لدينا حقيقة تصادم مصالح.

البيت الأبيض يعلم جيدا أننا الآن لا نهتم بأمريكا . و لو أن السياسيين الأوروبيين مثلا مهتمين فعلا بإزاحة بوتن، كانوا سيستخدمون جميع الوسائل المتوفرة، بما فيها القوى "غير الديمقراطية" . جميع العالم يتحدث عن سياسة المعايير المزدوجة، التي تستعملها الولايات المتحدة و بعض الدول الأوروبية. الولايات المتحدة، مثلا، لا تخفي دعمها للمجاهدين في تركستان الشرقية ضد الصين.

عندما جند الموجهون الأمريكيون في قاعدة جوانتاناموا الإخوة الإيغور الذين قبض عليهم في أفغانستان، أخبروهم أنهم لن يبقوهم في السجن. على النقيض، عرضوا عليهم أن يخضعوا لتدريب خاص و يعيدونهم لوطنهم لإعلان الجهاد على الصين. قال الأمريكيون أنه لم يهمهم ما هي الراية التي يختار الإيغور أن يقاتلوا تحتها . "أنشئوا هناك خلافة، شريعة، أي شيء تختارونه، فقط قاتلوا ضد الصين، نحن سنساعدكم."

نفس الولايات المتحدة هي التي تحافظ على علاقات طيبة مع العربية السعودية، بالرغم من غياب أي شيء مشابه للديمقراطية هناك (لا إنتخابات، المجرمين يعاقبون بأحكام الشريعة، مثلا، تقطع يد اللصوص علنا) . في الواقع، الغرب لا يتهم للديمقراطية. إنهم يهتمون بشكل أساسي بتنصيب نظام عميل في البلاد، و وضع قواعدهم العسكرية في هناك، و السيطرة على الموارد.

و أخيرا، أي دعم أهم بالنسبة لنا، دعم الغرب أو دعم الله؟ أعتقد أن الإجابة واضحة.

2.الدولة و الشرعية الدولة و الشرعية في أعين المجتمع الدولي و من وجهة نظر القانون الدولي. إنه سيحرمنا من إمكانية إيقاف الحرب و

للتفاوض بوساطة المنظمات الدولية كالأمم المتحدة و منظمة الأمن و التعاون في أوروبا.

أولا :لم يكن لدينا الكثير لنختاره: إما الشرعية وفق قانون الطاغوت المسمى "القانون الدولي"، أو الشرعية وفق قانون الله، الشريعة. نحن إخترنا الثاني.

ثانيا :نحن لم نفقد الدولة، و لكننا تخلصنا من التناقض، نحن أعدنا إكتسابه و أحيينا السلطة الإسلامية الشرعية. الدولة، التي يأسف الديمقراطيين على خسارتها، كانت تقوم على أساس قانون الطاغوت، دستور جمهورية إيشكريا الشيشانية لعام ١٩٩٢م. لا أحد من المسلمين الذين يؤمنون بالله وحده، سيندم على خسارة دولة مثل تلك.

ثالثا :أي شخص عاقل يفهم أن جميع الذين يتكلمون حول الدولة و الشرعية هي فقط سؤال للمصالح الروسية و الغربية. إنهم يلعبون سياستهم و يريدوننا أن نلعب معهم بقوانينهم. الفرق الوحيد بين الإيشكريين الديمقراطيين الذين يعيشون في أوروبا و عملاء اليوم في الكرملين في الشيشان هي أن الأوائل يريدون العيش تحت حماية الغرب، و الأخيرين يريدون أن يعيشوا تحت حماية روسيا . كلاهما يحاولان بنشاط أن يستغلوا ما يسمى العامل الإسلامي.

بمعنى آخر، يحاولون أن يستخدموا المسلمين في لعبتهم القذرة. كلاهما يدعي الإهتمام برفاهية الناس، مع أنه في الواقع إنهم يهتمون فقط برفاهيتهم.

.3دعم بعض الممثلين في الخارج

نحن فقدنا دعمهم، على أقل تقدير. بالأحرى، نحن إكتسبنا أعداء جدد في شخصياتهم. إنهم تمردوا بشكل علني ضد الأمير الشرعي و أعلنوا رغبتهم عن إزاحته عن السلطة.

يقول الله:

{يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ} سورة المنافقين.8 –

في الواقع نحن لم نخسر هؤلاء الأشخاص، نحن تخلصنا منهم. عدد قليل منهم يشاركون في الحرب يوم. و إذا كانوا سيشاركون، فإنهم فقط

سيسببون المزيد من المشاكل.

يقول الله:

(لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ -٤٧- لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ -٤٨-) سورة الأحزاب

و إذا كانت هدنة ستعلن بيننا و بين الكفار، عندها سيأتون بسرعة و سيتحدثون حول إنجازاتهم.

يقول الله:

(الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً) سورة النساء - ١٤١

إنهم سيلقون الخطب الجميلة و يظهرون علمهم بالقانون الدولي و السياسة الدولية. إنهم سيحضرون إلى القوقاز أصدقائهم الأوروبيون و الأميركيين و سيتفاخرون بصلاتهم "الحماة الأقوياء في الغرب". و سيقولون للمجاهدين: "أنتم لا تفهمون شيئًا في السياسة! إنها شيء معقد جدا. نحن لم نتدخل في عملياتكم العسكرية عندما كنتم تقاتلون. أنتم تعلمون ما يصلح في الحروب، و نحن نعلم ما يصلح في السياسة، يجب على كل شخص أن يكون مفيدا في المجال الذي هو مؤهلا فيه.

و سيقيمون بسرعة علاقات بالعلماء في الدول العربية، و هؤلاء سيصدرون فتوى، مفيدة سياسيا للمسلمين. شبيهة لتلك التي أصدروها للمسلمين في أمريكا، بدعوتهم لتصويت لبوش، من أجل "منع جور، اليهودي، من الوصول للسلطة."

و لكن الحمدلله، نحن تخلصنا من هؤلاء المنافقين.

هذا ما فقدناه، و الآن لننظر ما الذي كسبناه.

.1شرعية أعمالنا وفقا للشريعة

سبق أن تحدثنا عن هذا سابقا و ليست هناك حاجة للتكرار .

**2.هدف واضح و معروف**

حتى لو فكرنا بعقلانية فقط، بدون أن نأخذ بالإعتبار عامل الكرامة من الله، يجب أن نعلم أن الحرب مستحيلة بدون أشياء مثل التحريض و الإنضباط.

ألاعيب الديمقراطية كادت أن تؤدي إلى إيقاف الجهاد في القوقاز. نحن فقط لم يكن لدينا إجابة للمجاهدين العاديين. و نحن فقط وعدناهم بأن مسألة راية الجهاد ستحل قريبا . و لكنه لم يمكن أن تستمر للأبد.

إذا لم نهتم تحت أي راية نقاتل، لما كنا قبلنا عرض عبدالحليم، و لكنا قبلنا عرضا من أشخاص آخرين، الذين عرضوا علينا الكثير من المال و الدعم الدولي، إذا إستنهضنا الناس تحت رايات الثورة الديمقراطية البرتقالية مع عناصر من الوطنية الأيديغية. و لكننا لا نبيع ديننا.

و لم يكن لدينا إنضباط أيضا . حتى الآن العديد من المجاهدين يقولون: "من هذا الرئيس؟ أنا أعرف فقط أمير جماعتي" . لم يكن هناك إحترام للقوانين و لا إنضباط. الآن، عندما أصبحت سلطة الأمير شرعية تماما، لدينا الحق في أن نحمل المسئولية أي شخص سيعصي أمرا.

الخاتمة

المسألة التي طرحناها مهمة جدا و تحتاج لدراسة أعمق. و أحد إخوتنا الذي إستشهد في هذا العام، حضر مقالة جيدة حول هذا الموضوع. و ننوي نشرها مع بعض الزيادات.

جميع الإخوة، الذين يعملون في سبيل الله في إقليم ولايتنا، كانوا مسرورين جدا عندما سمعوا خطاب الأمير أبو عثمان (دوكو عمروف) و نحن كنا ننتظر هذا الحدث منذ زمن بعيد، و الله سبحانه و تعالى أعطانا هذا النصر.و أحمد الله الذي أعطى أميرنا الثبات، و جعله حازما و ألهمه بالثقة في هذا الخيار الحازم.

الأمير سيف الله، مدينة نالتشك، ١١ نوفمبر2007 م

# ملحق ٥

## كلمة القائد سيف الله (أنزور استميروف) حول كيف تم الإعداد لإعلان إمارة القوقاز

فترة الاصدار: ١٧ يناير ٢٠٠٨، ١٣:٠٥

في الكلمة التالية يتحدث سيف الله (أنزور استميروف) أمير المجاهدين في قاطع كبردا – بلكاريا عن كيف تم الإعداد لإعلان إمارة القوقاز منذ ٢٠٠٥م و يرد على بعض الشبهات التي أثيرت حول إعلان إمارة القوقاز. و قد سجلت المادة التالية في نهاية شهر أكتوبر**2007** م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين. و الصلاة و السلام على نبينا محمد و على جميع آله و صحبه. أما بعد:

إخوتي الأعزاء، السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

طلب مني الإخوة التعليق حول الأحداث الأخيرة التي حصلت هنا، و التعليق حول مختلف النشرات في الإنترنت فيما يخص كلمة أميرنا دوكو عمروف، حفظه الله وأيده، و جميع المجاهدين الذين يقاتلون في سبيل الله .

في ما يتعلق بالخطاب منذ حوالي عام من الآن و أنا أتعامل بشكل مباشر مع هذه المسألة. أنا أعددت الخطاب، إضافة إلى ذلك، كتبت العديد من المقالات التي نشرت على الشبكة. هذه المقالات تناولت هذا الموضوع، و موضوع الخضوع للأمير، و موضوع الدولة الإسلامية، و موضوع الجهاد في شمال القوقاز، في الشيشان و غيرها من الأماكن، لذلك موقفي كان واضحا من هذه القضية منذ زمن بعيد .

سأبدأ بإخباركم متى أثرنا هذه المسألة للمرة الأولى. أثرنا هذه المسألة للمرة الأولى مع القيادة الشيشانية، مع القائد أبو إدريس (شامل باسايف) رحمه الله، عندما جاء لمقابلتنا، بعد أن أصبح عبدالحليم سعيدولايف، رحمه الله، أميرا للمجاهدين في الشيشان. خلال محادثتنا مع أبو إدريس عبرنا عن رغبتنا في المشاركة في الحرب ضد روسيا . مبدئيا، كنا نشارك قبل ذلك أيضا، كانت لدينا بعض المجموعات التي شاركت في أعمال تخريبية في مناطق الكفار، و لكننا قلنا أننا نريد أن نشارك بمستوى أكبر، أردنا أن نفتح جبهة منفصلة في أرضنا .

أبو إدريس قال إن القيادة الشيشانية في فكرة كهذه، و أن الجبهة الجديدة يمكن أن نعتبرها مفتوحة مسبقا . نحن أجبناه بإخباره بأننا أردنا توضيح بعض الأسئلة بخصوص العقيدة و بخصوص ديننا و شرعية أفعالنا هنا، في هذا الإقليم و الأقاليم الأخرى، و شرعية جهادنا من وجهة نظر إسلامية .

قلنا في البداية بأننا نريد توضيح الأسئلة بخصوص القيادة. لماذا عبدالحليم مثلا، يشار إليه كرئيس، لماذا إعترف بالدستور، لماذا الدولة الشيشانية سميت بالجمهورية، بينما جميع ذلك يتناقض مع الشريعة؟ لماذا هناك برلمان، و تساوي الأصوات في الإنتخابات الرئاسية، المساواة لجميع الناس، لماذا وجد كل هذا الذي يتناقض مع الإسلام، و الذي هو كفر، و لا يتوافق مع الإسلام بأي طريقة؟

رد أبو إدريس بأن، أولا، أنهم لم يكونوا يعطون أولوية للقضايا وطنية، و لا أحد طرح قضية وطنية، الجميع طرحوا قضية إسلامية خالصة، و قال: "و نحن نقاتل في سبيل الله، على درب الله". ثانيا، في ما يخص هيكل الدولة، قال أنه لم يؤيد هذا النوع من أنظمة الدول، و أنه كان ضدها و العديد من المجاهدين كانوا ضدها، و هذه المسألة يجب التعامل معها، و الناس يجب أن يدعو على الحق، و قيادتنا يجب أن تصحح. و قال: "يجب أن تنضموا إلينا، و نخضع لعبدالحليم، و بيعته كحاكم مسلم و بعد ذلك يجب تصحيح هذه العيوب و الأخطاء من الداخل ."

نحن أصرينا أن بيعتنا، و خضوعنا عبدالحليم يجب أن يكون فقط في الجانب العسكري مثلا، مع إستمرار الحرب و عدم وجود إمكانية للجلوس و الكلام، و مناقشة جميع هذه القضايا، في كل مرة كان هناك مشكلة مع الإتصالات، و في المكان الذي نستطيع أن نلتقي فيه، بمناقشة هذه القضايا، يمضي الوقت، و يصبح الإخوة شهداء، ليس لنا حق القعود عاطلين نشاهد كيف يقتل المسلمين و ننتظر حل هذه المسألة، يجب أن ننظم للقتال فورا . و هذه المسألة تسمى مسألة الراية في الإسلام .

سواء كانت لدينا راية إسلامية أو إسلامية غير صافية، في وقت يهاجم العدو المسلمين و يقتلهم، خلال هذا الوقت لا إمكانية لمناقشة هذه المسألة، لا إمكانية لحل هذه المسألة، للإجتماع، و اللقاء، و الحديث. حتى لو تكن الراية إسلامية صافية، و هناك حاكم يرتكب هذه الأخطاء، يجب أن يصحح، و يجب أن تقدم له المعلومات الصحيحة، يجب أن يخبر بذلك و يشرح له، و المسلمون ليس لهم دائما هذه الوسائل .

لذلك قلنا أننا سنعطي بيعة عسكرية و سنقاتل طالما الحرب مستمرة. مثلا لو قرر عبدالحليم التفاوض مع روسيا، و تصورنا أن روسيا وافقت على إعطاء الإستقلال لإشكريا و أصبحت إشكريا دولة مستقلة، إذا كانت ستكون دولة إسلامية، خالية من الديمقراطية، خالية من المسيحية، خالية من البوذية، خالية من الشيوعية، و خالية من غيرها من الإضافات، خالية من الشرك و الكفر، عندها سنهاجر إلى هناك، و سنطيعه .

و إذا شكلت دولة ديمقراطية، بدستور و برلمان، أو شيوعية، أو مسيحية، أو بوذية، و الله أعلم أي دولة ستكون، أي دولة غير إسلامية أو مختلطة، "إسلام إشتراكي"، "إسلام شيوعي"، "إسلام ديمقراطي"، ليس ضروري ما سيشكل هناك، و لكن إذا كانت أي من هذا القبيل، عندها سنستمر في القتال، سنستمر في الجهاد في سبيل الله. و مثالا لو أراد عبدالحليم أن يعقد هدنة مع روسيا، لن نشارك في هذه الهدنة. بينما هو يقاتل، فنحن سنقاتل، و لكنه إذا توقف عن القتال، أو وقع إتفاقا، فإننا لن نشارك في هذا الإتفاق .

و لكن أبو إدريس أصر قال: "الآن ليس هناك سؤال حول وقف الحرب"، و أكد لنا "الجميع في الشيشان يريد أن يعيش بالإنسجام مع الشريعة، جميع المجاهدين يريدون أن يقيموا الشريعة، ليس هناك أحد يريد أن يعيش بالديمقراطية أو أي نظام كفري آخر، لكن إذا طرحنا هذه المسألة

الآن، خلال الحرب، و سيعيق الإخوة في الخارج، و ربما هذه المسألة ستكون صعبة جدا علينا في الساحة الدولية، و لكن مهما يكن يجب أن نعتمد على الله، و ليس على إنجلترا، و ليس على أمريكا، و ليس على الغرب، ليس على أحد سوى الله و يجب أن نتخلص من جميع هذه الأضاليل ."

قال: "أنت لديك ثقافة إسلامية، لذلك إعمل على هذه المسألة، و لكن يجب علينا أن نخضع لعبدالحليم تماما . لماذ ؟ لأنه إذا أرادت روسيا الدخول في المفاوضات، يجب عليه أن يتحدث بإسم جميع المجاهدين في القوقاز و أن يعطي روسيا ضمانة أنه بأمر منه، جميع المجاهدين في القوقاز، و ليس فقط الذين في الشيشان" و لكن هناك أيضا جبهة فولغا و جبهة الأورال، "أن المجاهدين في جميع الأقاليم التي تسيطر عليها روسيا حاليا سيوقفون مقاومتهم" . لذلك عبدالحليم كانت لديه رغبة لإيقاف الحرب. قال أنهم بحاجة توقف مؤقت للحرب للحصول على راحة .

إختلفنا حول هذه المسألة، ثم أعطانا إنذارا قائلا: "إما أن تستمروا بالجهاد مجتمعين معنا ، أو لن تكونوا منا" و أنه "إذا لم توافقوا على هذا الشرط، فلست بحاجة لبيعة عسكرية منكم"، خشينا ان يحصل إنقسام بين المسلمين، بين المجاهدين، و قد تكون مشكلة كبيرة، لذلك بايعنا عبدالحليم كحاكم مسلم، مدركين مع أنه يسمى رئيس، في الواقع فهو لم يكن رئيسا بالفعل، لأنه طبقا للأنظمة الديمقراطية، كما يقال، لأنه طبقا لنظامهم الكافر، الرئيس يختار من عن طريق إنتخابات شعبية أو إنتخابات برلمانية، و لكن على النقيض من هذا، عبدالحليم كأنما ورث هذا المنصب من مسخادوف .

و مدركين في الواقع أن جميع المجاهدين، و من بينهم عبدالحليم (و كان في المحكمة الشرعية)، يفضلون الشريعة، مدركين ذلك، وافقنا على ذلك، و لكننا إشترطنا أنه في أقصر مدة جميع الأشياء التي تتناقض مع الشريعة ستزال من مصطلحاتنا ، لا الرئيس، و لا الجمهورية، و لا أي شيء آخر ستذكر في أي مكان .

في ما يتعلق بإسم دولتنا قال لي" أنتم الآن مواطنين في دولتنا"، قلنا له: "ماذا ستسمى؟ هذا لا يهمنا لتسمى الدولة الشيشانية، لتسمى الدولة القوقازية، الإسم لا يزعجنا بشرط أن لا تسمى جمهورية، أو دولة شيوعية، أو ديمقراطية، أو أي شيء آخر ."

هذا أولا، بما يتعلق بالإنضمام للدولة، و كيف أصبحنا مواطنين في هذه الدولة الإسلامية .

أخبرنا أبو إدريس أن جوهر دودايف في ١٩٩٥م أعلن في مسجد في شالي أن الشيشان دولة إسلامية و ستعيش وفقا للقانون الإسلامي، ثم من بعده جاء زليم خان يندربايف، رحمه الله، أقام الشريعة كالقانون الوحيد، و منعت المحاكم العلمانية. ماذا حصل بعد ذلك، تلك الفتنة، ذلك التراجع الذي حصل، قال أنه في ٢٠٠٢ في مجلس إجتماع تاب مسخادوف و أنكر الموقف ذلك الكفر الذي كان يتفوه به و ينادي به قبل ذلك، و بدؤوا بالإتجاه لإقامة دولة إسلامية .

آخذين جميع ذلك في الإعتبار، و بعد أن أصبح عبدالحليم شهيدا، و أبو إدريس شهيدا، للأسف لم نتمكن من تدبير إجتماع مع عبدالحليم، و عندما أصبح دوكو أميرا، تمكنا من إرسال رسائل إلى دوكو و كان هناك عدد من الإخوة العلماء، الذين درسوا في الخارج حوله، قريبين منه، و هم نصحوه و تحدثوا إليه بوضوح. عندما تبادلنا الرسائل مع الأمير دوكو، أنا كتبت إليه، أن هذه الأشياء الشائنة الموجودة، الرئاسة، و الجمهورية إلخ . . . كل شيء يتناقض مع الإسلام، كل شيء يعيقنا على درب الله، كل ذلك يجب أن يوقف، يجب أن نخاف الله .

الأمير دوكو رد كتابة أنه يفهم كل هذا، و انه يدرك كل ذلك و هو نفسه أراد إنكار كل هذا، إنه فقط كان في حاجة ليضعه في شكل صحيح من وجهة شرعية و كذلك صحيح سياسيا، و أنه سيصدر بيانا شديدا حول هذه القضية، و أنه لا يعترف بأي قانون سوى قانون الله، و أنه لا يسعى لرضا أحد سوى رضا الله، و قال أن المسألة مسألة وقت فقط. الحمدلله، لقد قام بإصدار البيان مؤخرا، و أنا أرسلت إليه بعض المسودات سابقا، أنا أعلم أن إخوة آخرين راسلوه كذلك، و نصحوه و عبدالحليم قبله. لذلك هذه المسألة لم تحدث اليوم و حتى ليس الأمس، هذه المسألة تناقش منذ زمن بعيد .

لذلك أنا مسرور كثيرا، و أعتبر ذلك نصرا كبيرا، ما الذي حصل، إنكاره لهذه الأشكال من الكفر، و كل شيء من هذه المسميات في الماضي، هذا المتبقي من طريقة كفرية في التفكير، الذي للأسف، التي لا تزال موجودة عند كثير من المسلمين بسبب التقصير. منذ زمن بعيد و نحن نقاتل في سبيل الله، منذ زمن بعيد و نحن نوصف بالإرهابيين، و المتطرفين، أيا كان، و لكن مع ذلك، لا نزال نحن متشبثين بهذه الديمقراطيات، بهذه الأسماء، معتقدين بأن ذلك سينقذنا أو يساعدنا، أو الكفار في الغرب سيساعدوننا، أو غيرهم من الكفار سيساعدوننا بسبب ذلك .

نحن نرى، و الله يظهر لنا بكل وضوح، أن القوة و القدرة عند الله وحده، و هؤلاء الذين يقاتلون هنا، نرى في كل يوم الكرامات، علامات من الله، الحمدلله، و نحن نرى أن أي مساعدة تأتي من الله وحده، ربما البعيدين عن ساحة القتال و الذين لا يعرضون أنفسهم للخطر في كل يوم، و لا يشهدون موت أشخاص أعزاء كل يوم، لا يشاهدون كيف يعاقب الله غير المتقين، و كيف يعاقب الله الكفار كل يوم، و كيف يساند و ينقذ المجاهدين كل يوم، ربما يفشلون في إدراك ذلك و لا يفهمون أن التوكل يكن على الله وحده، و هؤلاء الذين هنا، هم يفهمون، بل إنهم يجدون أنه من السخف عندما يعتمد شخص على أحد بجانب الله، على بعض الكفار مثلا. نحن نرى هنا أن الكفار كلهم مجتمعون، و يعملون على فريق واحد، و إذا كان بينهم إختلاف في الرأي و نزاعات بين بعضهم البعض، فإنهم يستطيعون حل هذه النزاعات بسرعة، و عندما يأتي تهديد من المسلمين، يستطيعون بسرعة التوصل لإتفاقية .

العديد من الكفار يعتبروننا حمقى، متعجرفين، إلخ . . . و المنافقين يعتبروننا كذلك أيضا، و لكن حدث نفس الشيء في زمن النبي صلى الله عليه و سلم، و الكثير من ذلك مذكور في القرآن. كان المنافقون يقولون إن المسلمين غرهم دينهم، و أنهم كانوا متدينين و إعتقدوا أن النصر سينزل عليهم فجأة من السماء، و أنهم يقاتلون ضد حشود كبيرة من الناس، و يعلنون الحرب على الجميع و إعتقدوا أن الله سيعطيهم النصر. و مذكور في القرآن أن المنافقين كانوا يقولون ذلك .و يقول تعالى: "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ"، لم يكونوا قادرين على فهم ذلك .

و محمد صلى الله عليه و سلم، بهذه الطريقة أعلن الحرب على إمبراطوريتين قويتين، فارس و بيزنطة، في الواقع لقد أعطاهم تحذيرا، و عمليا لم تكن لديه أي سلطة، سوى عدد من القبائل الموحدة، التي لم يكن لديها كمية كبيرة من المال أو القوة، و هؤلاء الكفار كان لديهم مئات الآلاف من المقاتلين، و أي نوع من الأسلحة، القلاع، الفرسان، القادة المحنكين، أي شيء تتمنونه، مع هذا تمكن المسلمون منهم .

محمد صلى الله عليه و سلم، لم يحاول أن يطلب من الفرس أن يحموه من البيزنطيين، و لم يحاول أن يطلب من البيزنطيين أن يحموه من الفرس، هو لم يقل . . . هو لم يرسل رسولا إلى بيزنطيين و قال لهم "نحن سندرس "إسلاما مسيحيا" أو "مسيحية مسلمة"، و لكن فقط ساعدونا ضد الفرس". و لم يقل للفرس "سنعبد النار يوما، و نعبد الله في اليوم الذي يليه، فقط ساعدونا ضد البيزنطيين". لم تحدث مثل هذه الأشياء، لأنه إعتمد على الله فقط و أن المساندة و النصر تأتي من الله وحده .

و لو نظرنا اليوم، جميع المجاهدين في القوقاز، الذين يقاتلون هنا، لو سألنا أيا منهم، و نحن نقابل مجاهدين عاديين كل يوم، "لماذا هكذا ؟"، "لماذا حتى الآن مكتوب أننا نعيش في جمهورية و أميرنا رئيس؟"،" لماذا نحتاج إلى هذا ؟"، إنهم لا يفهمون ذلك. ليس لأنهم جهلاء في السياسة أو أنهم حمقى إلخ . . .، إنهم ليسوا رعاة عاديين، العديد منهم أشخاص متعلمين، و ليسوا مجاهدين فقط، العديد منهم الذين لديهم بعض الخبرة في الحياة، و الأشخاص الكبار، متعلمون، أطباء ، و بروفسورات، الذين لديهم بعض الفهم للإسلام، حتى هم يقولون أن كل ذلك حماقة، إنه من غير الضروري، أن نحاول أن نثبت أي شيء للغرب، أو أن نحاول على أن نحظى بأي شيء منه .

الغرب يعلم جيدا من نحن و ماذا نحن. و محاولة خداعهم فإننا نخدع أنفسنا . إنهم يعلمون جيدا أننا نفضل الشريعة. و لو قلنا بين بعضنا البعض "نحن نفضل الشريعة"، بينما في نفس الوقت نصدر البيانات العامة نقول فيها "لا، نحن نفضل الديمقراطية"، نحن لن نخدع أحدا بذلك. أولا، هذا محرم في الشريعة، ثانيا، هذا ببساطة غباء .

لذلك هذه القضايا واضحة، فقط بعض الأشخاص يبقون متعلقين بهذه الحياة، و يأملون أن يحصلوا على فائدة من هؤلاء الكفار الذين يمولونهم، و يدعمونهم، و يقومون بتخبئتهم، و تغطيتهم. في الواقع، لن يحصلوا على أي فائدة من الكفار، ربما يحصلون على منفعة دنيوية، مال، منصب، حماية من الكفار الآخرين، و لكنهم لن يجدوا أي مخبأ او ملجأ من الله سبحانه و تعالى، و الله سريع الحساب. نحن، إن شاء الله، خلال حياتنا، ربما خلال حياتنا سنشهد نهاية هؤلاء الأشخاص، حين يتخلى عنهم الجميع، مناصروهم، و المنافقون، و غيرهم، لذلك نهاية هؤلاء الأشخاص واضحة و جلية .

في ما يتعلق بالإدعاء أن إعلان دولة إسلامية في القوقاز و التخلي عن الديمقراطية في روسيا. إذا أخذنا بالإعتبار الوضع السياسي إلخ . . . عندها ربما يكون هذا مفيدا لروسيا، لا أحد ينكر ذلك. هؤلاء الذين ضد الدولة الإسلامية يدعوننا للمنطق، و لكن يجب أن نعلم، بالإضافة إلى المنطق البسيط، بالإضافو لكوننا بشرا، نحن مسلمون في المقام الأول، يجب أن نعلم أن القوة و القدرة هي لله وحده. و دعونا نتصور، أن الغرب سيتخلى عنا، و في الواقع إنه قد تخلى عنا منذ زمن بعيد، حتى لو كان هذا سيعطي روسيا بعض الحجج و مسوغات تقولها ضد المجاهدين في القوقاز، إنهم يقولون كل ما أمكنهم منذ زمن بعيد، كل يوم يتكلمون حول" الإرهابيين الدوليين" و "القاعدة" إلخ . . . أنا لا أعلم ماذا يمكن أن يتغير بعد هذا، ماذا يمكن أن يحدث أسوأ من هذا. إنهم يخطفون الناس، و يقتلونهم، يختطفون الأقارب، إنهم تجاوزوا كل الحدود، و الذين هنا يرون ذلك.

الشيء الوحيد الذي يمكن أن يتغير، الخطر الحقيقي الذي قد نواجهه، هو إخواننا في الخارج، الذين في الدول الغربية و الدول التي تحت النفوذ الغربي، قد يكونوا معرضين للخطر. هذا الخطر موجود، و لكننا نعتمد على الله وحده و أن الحماية و المساندة هي من الله وحده.

إن الحرب مستمرة، و هذا ليس مريحا لأحد، الجميع يجب أن يظهروا بعض الصبر. نحن الذين نعمل فعليا هنا، نعتبر أن هؤلاء الذين في الخارج و يساعدون المجاهدين، نحن نعتبرهم من المجاهدين أيضا. مثلنا تماما .إنهم في خطر أيضا، إنهم كذلك يخاطرون بأرواحهم، و عوائلهم، لذلك هم مجاهدون. إنهم يخاطرون، لذلك يحصلون على الأجر. و لكن إذا كانوا يعيشون هناك في سلام، في مأمن .دون المخاطرة بأي شيء، هؤلاء لن نعتبرهم مجاهدين. نحن نخاطر هنا، و إخواننا يخاطرون هناك في الخارج، و نسأل الله أن يكتب لهم الأجر و يزيدهم.

في ما يتعلق بعائلات المجاهدين التي تعيش في الخارج. إنهم كذلك في خطر حقيقي أو وضعهم قد يصبح في خطر، و لكن اليوم عائلاتنا هنا، عدد قليل من المجاهدين فقط تمكن من إرسال عائلاته إلى الخارج، و هم كذلك يخاطرون و في أي لحظة يمكن أن يختطفوا، يعذبوا، و يمكن أن يختفوا، إلخ . . . و لكن من أجل ذلك نحن لا نوقف جهادنا، و لا نستسلم لشروط الكفار من أجل ذلك، الحمدلله، نحن نعتمد على الله و تركنا عائلاتنا تحت حماية الله، و لم نأمل بأي أحد آخر. و حتى هؤلاء الإخوة، الإخوة القليلون الذين تمكنوا من إخراج عائلاتهم إلى الخارج، يعلمون جيدا أنه

في أي لحظة غدا قد يتغير الوضع في الخارج و ربما سيكون ذلك أصعب على عائلاتهم. نحن نفهم كل ذلك، و نعلم كل ذلك. هذا قد يكون المشكلة الوحيدة .

الحمدلله، من المهم بالنسبة لنا أن ندرك أننا جميعا، الأمة الإسلامية، أمة واحدة، عندما تقوم حماس التي تحارب اليهود، بالمجيء إلى موسكو و مناقشة و إستنكار، عندما يقولون أن الشيشان قضية روسية داخلية، هؤلاء الديمقراطيين المحليين في القوقاز يشعرون بالإهانة، و يقولون: "كيف لهم أن يتفاوضوا مع روسيا ؟" فتبرر حماس أفعالها بقولها: "نحن متأسفون نحن في موقف حرج و نحن تحت الضغط الأمريكي، لذلك نحن مضطرون أن نلتمس حماية روسية ."

نفس الشيء حين خطف المجاهدين في العراق الدبلوماسيون الروس و طالبوا روسيا سحب قواتها من الشيشان، بدأ هؤلاء الديمقراطيين المحليين هنا بإصدار بيان يقولون فيه: "لا، نحن لا علاقة لنا بذلك، نحن ليس لنا علاقة بالإرهاب الدولي" إلخ . . . إذا سألتموهم يمكن أن يجيبوكم "نحن فقط نخدعهم، في الواقع نحن نؤيد المجاهدين في العراق، و لكن يجب علينا أن نخرج مثل هذه البيانات". إلخ . . . لذلك يظهر لنا أن الجميع أحرار في إصدار أي بيانات مثل تلك و تبريرها بأي شيء. إذا دعنا نضع الصلبان على رقابكم، و إرتدوا الكوساك (ثياب الرهبان)، لتكونوا مثل الرهبان، و أعلنوا أننا "مسيحيون مسلمون" أو "مسلمون مسيحيون"، و ربما عندها المسيحيون الأرثيدوكس أو غيرهم من الكفار سيشفقون عليكم و يساعدوننا . أو لنلبس ثياب اليهود، لنظهر كاليهود و نقول بأننا "مسلمون يهود" أو يهود، أو بوذيين، او شيوعيين، أو أي شي. لنعلن أننا شيوعيين لنحصل على دعم الشيوعيين في كل أنحاء العالم. لو سمح لنا القيام بكل ذلك، لكان أول شخص يقوم بذلك هو النبي صلى الله عليه و سلم، و لكن بهذه القضية لن يتبقى شيء من ديننا . لو كنا مسلمين يجب علينا نقف بثبات على إسلامنا .

فيما يتعلق بالدهاء العسكري، فهذا ليس شيء يجب أن يعلمنا إياه الديمقراطيين. نحن هنا، خلال الحرب، كل يوم نمارس الدهاء السياسي، خداع الأعداء، لو لم نقم بذلك، لكنا إستشهدنا منذ زمن بعيد، و لكننا كذلك لا نضع أنفسنا يائسين في طريق الخطر. "الحرب خدعة" كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم، و نحن نستخدم الخداع، و لدينا العديد من الإمكانيات لشن هذه الحرب .

الشي الوحيد الذي كنا في حاجة له هو التحديد النهائي لسياستنا و رايتنا، و الآن قام أميرنا بذلك، و الحمدلله، و هو شيء كان ينقصنا لتحقيق النصر، لأنه لو أحرزنا النصر بوضعنا السابق، لعدنا إلى نفس المشكلة التي بدأنا فيها، لكنا بدأنا ببناء دولة ديمقراطية أو الديمقراطية في القوقاز .

ما الفرق بين بناء الديمقراطية بمساندة أو قيادة روسيا، الديمقراطية الروسية، و بناء الديمقراطية الإنجليزية مثلا؟ لماذا نستبدل الكفر بالكفر؟ لماذا قاتل الناس إذا؟ لماذا إستشهد العديد إذا؟ لماذا مات العديد من الناس؟ لماذا كل هذا المجهود؟ لماذا كل هذه الأشياء؟ لأجل إستبدال ديمقراطية بديمقراطية أخرى؟ هذا ما يعرضونه علينا، الإنتخابات مجددا، و إنتخابات رئاسية على مستوى البلاد إلخ . . . ما الفرق، من الذي سيصبح رئيسا، ديمقراطي روسي، أو ديمقراطي شيشاني، أو كبرديني، أو داغستاني؟ كل هؤلاء الديمقراطيين، إنهم جميعا عصابة واحدة، و يشتركون في دين واحد، إنهم جميعا كفار .

أي من هؤلاء الديمقراطيين، حتى و لو أدى الصلاة و الصيام، هو كافر، و لا صلة له بالإسلام بتاتا، و الشخص الذي يدعو جهارا للضلالة، و قد دعي إلى الحق من قبل و قيل له أن يتوقف، و لكنه يستمر بالدعوة للضلالة، هذا الشخص يجب أن يقتل. حتى لو لم يثبت ذلك في المحكمة بأنه كافر، فإن الضرر الذي يسببه هذا الشخص كبير، لذلك يجب أن يقتل في أقرب فرصة، أي مسلم يلقاه يجب عليه أن يصفيه .

الكفار، عدو خارجي لا يستطيع أن يؤذينا، برحمة الله، سبحانه و تعالى، لأنه وعد النبي صلى الله عليه و سلم، بأن المسلمين لن يهزموا بسبب قلة عددهم. لذلك، الله سبحانه وتعالى، لم يمنحنا النصر برحمته، لما إستطعنا أن نستفيد من النصر بعد أن نحرزه. لو كنا إنتصرنا في وضعنا السابق، لكنا إستخدمناه بطريقة خاطئة و سيبدأ قتال داخلي، و ستحصل أعمال عدائية بيننا، كما حصل للأسف بعد الحرب الأولى. في ذلك الوقت وصلت لدرجة جعلت المسلمين المجاهدين يبدءون بإطلا ق النار على بعضهم البعض، و يقتلون بعضهم البعض .

لماذا حصل ذلك؟ لأننا إبتعدنا عن حكم الله، إبتعدنا عن الشريعة، و نظمنا إنتخابات، و إنتخبنا رئيسا، و كان ذلك أكبر ظلم. كان ذلك يشبه كأن الله سبحانه و تعالى، يقول لنا كيف نأدي الصلاة، متى نرفع أيدينا، كيف نسجد و نركع، و متى نسلم، و لكننا نأتي و نقول "قرر الناس أن الصلاة ستأدى بطريقة مختلفة، بتنظيمنا الإنتخابات، و قرر الناس أنه من الآن يجب أن نقوم بذلك بشكل مختلف."

ليس هناك فرق، كما فرض الله علينا أداء الصلاة بطريقة معينة، أنزل القوانين و أمرنا أن نعيش وفقا لها، و لكننا نأتي و نقول: "الناس يقولون أنه يجب علينا أن نقوم بذلك بطريقة مختلفة". قال الله و النبي صلى الله عليه و سلم، و بين لنا كيف للأمير أن يعين، كيف يجب أن يختار، إلخ . . . و لم نخبر بأن جميع الناس لهم الحق في مساواة الأصوات، رجالا و نساء، الشخص الذكي و الأحمق، السكير و التقي، و هذا التصور لمساواة الأصوات هو أكبر ظلم، و ليس له مكان في الإسلام، و هو محرم في الإسلام. هذا دين المشركين، الإغريق، الذين إخترعوا الديمقراطية، و هي غير مقتصرة عليهم، فقد كانت موجودة عند أمم أخرى كذلك. إنها دينهم. الدين لا يقتصر على شعائر و طقوس، الدين منهج كامل للحياة. الأحكام كذلك دين. و لو تبنى أحد أحكام أخرى إلى جانب حكم الله، فهو قد إختار دينا آخر، و لم يعد مسلما .

سأعود لنقاش هل كان مفيدا لروسيا أو لا. ذكرت مسبقا أنه منذ أكثر من عام بدأنا بكتابة مقالات حول هذا الموضوع .موقفنا معروف، موقفي الشخصي معروف، و موقف الأخ الذي كان معي، الذي إستشهد، داود .لقد سجن في جوانتاناموا من قبل الكفار. لقد قاتل مع الطالبان، ثم قاتل الأمريكيين، و جرح عدة مرات، و أخذ أسيرا، ثم برحمة الله، نقل إلى روسيا، و روسيا أخلت سبيله بعد أن أعطوا الأمريكيين ضمانا بأنه سيعاد إعتقاله عاجلا أم آجلا، و لكنه برحمة الله، إختفى في فترة قصيرة من الوقت، و لم يستطع الكفار الإمساك به .

عندما بدأنا العمل، نفذنا عملية نالتشك و قبل ذلك الهجوم على وكالة المخدرات، و عندما أصدرنا بيان الدعوة إلى الجهاد، بالطبع بدأت روسيا بالكتابة عنا بأننا عملاء غربيين، كتبوا عن داود أنه 100% عميل إنجليزي، جميعهم تحدثوا حول ذلك فيما بينهم، و كانوا متأكدين أنه تم تجنيده في جوانتاناموا من قبل الإنجليز أو الأمريكيين. كانوا كذلك يقولون عني إني عميل، و عملت لأمريكا، و أن هدفنا هو تفكيك روسيا إلخ . . . كتبوا و قالوا مثل هذه الأمور و تحت هذا الإتهام أرسلوا كلابهم ضدنا .

و عندما كتبنا هذه المقالات دعونا إلى التخلي عن حظوة الغرب، و دعونا إلى رفع راية إسلامية صافية، إلخ . . . كان موقفنا معروفا للكفار. لو كان الامر كما يقول الديمقراطيين، أنهم بالفعل إستثمروا ٥٠٠ مليون دولار في مشروع بناء هذه الإمارة، أو تحت أي حجة، و كما قيل: "الحرمان الشيشان من الديمقراطية"، أو حرمان الشيشان من الدولة الديمقراطية أو التوجه الموالي للغرب إلخ.. ، إذا لماذا لم يتصلوا بنا، عندما كان لهم، الروس، هذه الفرصة؟ يمكنهم أن يقولوا، و ليس بالضرورة بشكل مباشر، ولكن من خلال شخص آخر: "يعجبنا موقفكم، و موقفكم جيد، دعونا ندعمكم، إبدأوا بالتأثير على دوكو أو أي شخص آخر إلخ . . . لكنهم لم يقوموا بذلك، على النقيض من ذلك إستمروا بملاحقتنا بشدة و و عن قصد. حاولوا مرات عديدة قتلي، و لاحقوا داود بكل جهد، و إستشهد داود في الصيف الماضي. و توقعت أن أزور ذلك المكان كذلك، و بعدها قاموا بعدة محاولات لإغتيالي، واحدة بعد الأخرى. إذا كان موقفنا يعجبهم أو ما ندعو له، لماذا قاموا بذلك؟

لذلك ما يقولونه ليس منطقيا .لماذا قد تعطي روسيا أموالا لشخص ما في الخارج لجهوداته في التأثير على قيادة المجاهدين، بينما نحن قريبون، و لدينا مصادر و إتصالات، سيكون من السهل علينا أن ندعم او نروج هذه الفكرة، بدون أي مشاكل. و مع ذلك، نحن نرى، مع علمهم لموقفنا، مع علمهم أننا نكافح من أجل ذلك، مع ذلك، إستمر الروس بمطاردتنا و إستمروا بملاحقتنا .

في الواقع الكفار أمة واحدة، إنهم أنفسهم لا يدركون ما يفعلون في بعض القضايا، لأنه ليس دائما يساقون بالمنطق، إنهم يساقون بالشيطان. إنهم لا يعرفون أنفسهم، عندما يرون أننا نكافح من أجل تصحيح وضعنا، و لنجعل الجهاد إسلاميا نقيا لإرضاء الله و إغضاب الشيطان، و الشيطان يحرضهم على القتال ضد ذلك. مفيدا كان أو غير مفيد، إنهم لا يفكرون في ذلك، الشيطان يستطيع يزخرف لهم ذلك بأي طريقة .

لذلك الإعتقاد أن الكفار بالمنطق فقط، ليس صحيحا . إنهم يستخدمون السحرة، و يحاولون ممارسة السحر، و يتأثرون بقساوستهم، لديهم العديد من الأشياء، إلى جانب العوامل المرئية و المادية التي يستعملونها في سياستهم إلخ . . . لديهم العديد من الأشياء غير المرئية، التي لا تعرض على شاشة التلفاز، و التي تعرض بشكل عابر فقط. لديهم كلاب سود، و لديهم السحرة، و كما قال أحدهم، العالم يحكمه المنجمون. الشيطان يملي عليهم معظم ما يفعلون، و ليس ما يقوله المنطق. لو وزنوا بدقة جميعهم تحركاتهم، لو انهم كانوا منطقيين، لما قاموا بتلك الأفعال الغبية تجاه المسلمين، لما غزوا العراق مثلا .

لذلك الله سبحانه وتعالى، صاغ ديننا و سهلا و مفهوما لكل إنسان، حتّى للرعاة، أعني العقيدة. ماذا هو الصحيح و ما هو الخطأ، ما هو الحق و ما هو الباطل، ما هو الأبيض و ما هو الأسود، كل هذا واضح و دليل لأي إنسان. لا داعي لأن تتفلسف هنا و لا تحتاج أن تكون سياسيا حاذقا، أو شخصا ذكيا جدا إلخ . . . يكفي ببساطة أن ننفذ إرادة الله سبحانه و تعالى، من أجل أن ننجو. و إذا حاولت أن تخدع الكفار بإستعمال عقلك، أو تعتقد أنك ذكي بما فيه الكفاية لتخدعهم، و انك قد تفوز عليهم بهذه الطريقة، في الواقع هذا خداع من الشيطان و وسواس .

نحن نقاتل فقط برحمة الله، فقط معه، بدونه نحن لا نملك القوة، و لا قدرة، لا شيء، و نحن نرى ذلك كل يوم. لو أننا إتبعنا المنطق فقط، لكان من الحماقة القتّال ضد الروس منذ البداية، لأنهم يتفوقون علينا في العديد من الأشياء، في القوة العسكرية، و العدة إلخ . . . لو فسر كل شيء بإستخدام المنطق، لكنا جميعا ميتّين منذ زمن بعيد. إننا نشهد ذلك في كل يوم .

إذا نجونا من رصاصهم، إذا فررنا منهم عندما يلاحقوننا ، فإن ذلك فقط كرامة. خلال الشهر الماضي حدث ذلك عدة مرات، رأيت ذلك بعيني، كيف أعمى الله أبصارهم، كيف أن الله أعمى أبصارهم، كيف أن رجالا كانوا على بعد ثلاثين مترا منهم، تمكنوا من الخروج من طوق حصار . و الله، شاهدت بعيني، كيف أن الكفار حاصروا أحد الإخوة، وقف عدد من الرجال على بعد نصف متر منه، مصوبين بنادقهم إتجاهه، قام بالجري من بينهم، و مضى بعيدا، الحمدلله على عيني. لا زلت أحتفظ بهذه الصورة أمام عيني. بالرغم من إطلاق النار، و تبادل إطلاق النار، و التفجيرات التي تحصل هناك، حاصروه و وقف بينهم، و حرفيا قام بدفعهم جانبا، و جرى بعيدا، إنهم حتّى لم يقوموا بملاحقته، كانوا مشوشين و وقفوا يشاهدونه بأعينهم. و العديد غيرها تحصل كل يوم و نحن لا نتفاجأ منها و نحن نرى أن الله وحده يساندنا .

لذلك أدعوا نفسي أولا، ثم أنتم، إخوتي، بالإعتماد على الله وحده، و نرجو من الله وحده. أقول مرة أخرى أن الدين واضح و بسيط، و أنتم لا تحتاجون للتخرج من الجامعات لفهم هذه الأشياء . هذه الأشياء واضحة و بسيطة و يمكن أن يفهمها أي شخص. أرسل الله هذا الدين للبدو الذين يرعون الجمال و الخراف، و لم يعرفوا شيئًا آخر، إنهم حتّى لم يستطيعوا القراءة و الكتابة، سبحان الله. بما يتعلق بالمعلومات الأكثر تفصيلا، الفقه، و الشريعة إلخ . . . بالطبع عندنا القليل من العلم حول هذه القضايا ، لذلك نحن نتصل بأهل العلم، نقرأ الكتب، و التفاسير، و مؤلفات

العلماء، إلخ . . . هذه التفاصيل فسرت من قبلهم، يعطوننا التوجيهات و العلم بما يتعلق بهذه القضايا . في هذه القضية، بالطبع نحن لا نضع نسبة كبيرة من المسؤولية على عاتقنا، و لكن في يتعلق بالعقيدة، فهي بسيطة و واضحة. أي شخص يفهم أين الحقيقة و أين الكذب. لو سألتم أي راع، أي مسلم "ما يجب أن نفعل، ما قال الله أو ما قرره البرلمان؟"، بالطبع هو سيقول لكم "ما قال الله"، إذا كان لديه على الأقل ذرة من الإيمان في قلبه .

بإتخاذ هذا القرار، جعل أميرنا جهادنا، قتالنا شرعيا بالكامل من وجهة نظر الشريعة. و الآن لدينا كل الشروط و الوسائل لإحراز هذا الإنتصار على الكفار. إذا كان الله سبحانه و تعالى لم يعطنا النصر حتى الآن برحمته، لأننا لم نكن مستعدين لهذا النصر، و الآن قمنا بخطوة في إتجاه هذا النصر. ٩٩,٩% من الجاهدين الذين يقاتلون في سبيل الله سيلقون هذا القرار بالرضا . ليس بين المجاهدين أشخاص لا يفهمون أو لا يعلمون هذه الأشياء . إنهم جميعا يعلمون، الحمدلله، كما قال الأمير دوكو، الإخوة لا يؤدون الصلاة فقط، و لكن أي مجاهد أن يشرحوا لكم التفسير، و يستشهدون بالأحاديث، الجميع قد حفظوا على الأقل جزء واحدا من القرآن، و العديد منهم يتكلمون العربية، و الحمدلله .

لذلك النصر من الله سبحانه و تعالى، أصبح قريبا، و لا تعتقدوا بأننا بحاجة لمساندة الناس، سواء أراد الناس مساندتنا أو لا إلخ . . . حتى الكفار يقولون ذلك إن هذا هراء، أنه لم شيء إعتمد و يعتمد على الناس( الرأي العام الشعبي) . في أي دولة، في أي مجتمع، كل شيء دائما يقرره مجموعة صغيرة من الناس، نسبة بالغة الصغر منهم. و الناس ينظرون لهم و يقلدونهم .

يكفي هؤلاء الذين يمتلكون السلطة في أيديهم، هؤلاء الرجال الأقوياء، الذين يشكلون ٥% من الشعب، كما يقول علم الكفار .أخبرنا أحد عملاء FSB (جهاز المخابرات الفيدرالي الروسي) الذي حقق معنا: "نسبة المسلمين الذين يحملون العقيدة الصحيحة كما يقولون، تصل إلى ٥% من المجتمع، و مكتوب في دروس كي جي بي (جهاز المخابرات في العهد السوفييتي) أنه إذا وصلت أي مجموعة لنسبة ٥% من المجتمع، يمكن لتلك المجموعة أن تحكم المجتمع بأكمله. أنتم على وشك إخضاع كبردينو- بلكاريا بالكامل. و يتم ذلك بكل بساطة، يمكنكم إستلام المال من رجال الأعمال، كما تقوم بذلك عصابات المافيا التي تحكم مختلف المقاطعات، و يمكنكم رشوة السياسيين، و ترهيبهم إلخ . . . و بسرعة، و بشكل غير رسمي، ستصبح السلطة في أيديكم ."بالطبع، لم يذكر أحد الناس، لأن الناس يخضعون لمن يرون أن السلطة لديهم .

رأينا و سمعنا ذلك عندها، عندما كنا أنصاف شرعيين، عندما وضعنا في السجون و خرجنا منها، و اليوم نراها بكل وضوح كذلك. كلما قتلوا أكثر من الكفار و المنافقين، زادت مساندة الناس للمجاهدين. يدرك الناس و يفهمون أنه إذا إنتصر المجاهدون، فإنهم سيعيشون بالشريعة. إنهم يتكلمون حول ذلك، نحن نعرف جيدا كيف هو مزاج الناس .

أقول مرة أخرى أن النصر و المساندة تأتي من الله وحده، ليس من الناس، و ليس من إنجلترا، و ليس من أمريكا، و ليس من روسيا، و ليس من أي أحد آخر. لدينا ثقة تامة في ذلك و نحن نقاتل في هذا السبيل، و لا نريد أن نضحي بأرواحنا في سبيل أي شيء سوى في سبيل الله، سبحانه و تعالى .

جزاكم الله خيرا

بارك الله فيكم

سبحان الله، و الحمدلله، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك و أستهديك.

*أخوكم في الله، سيف الله كبردينو – بلكاريا، نالشك السلام عليكم و رحمة الله و بركاته*

# خطاب ابو عثمان دوكو عمروف امير امارة القوقاز

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

الحمدلله نستعينه و نستغفره و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له إلا هو، و من يضل الله فلن تجد له وليا مرشدا . و أشهد أن لا إله إلا الله و حده لا شريك له و أم محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه و سلم .

أما بعد،

فإني أناشد المجاهدين الذين يجاهدون في القوقاز و المسلمين المستضعفين في أيدل —يورال، و سيبيريا، و غيرها من المناطق المحتلة في روسيا . أود أن أذكر أن الحقيقة التي يميل المسلمين إلى نسيانها: أن الكفار الروس قد إحتلوا أرضنا و أن الحياة المخزية تفرض علينا منذ زمن بعيد . و هذا عقاب من الله لأننا إبتعدنا عن دربه القويم لأن لا شيء يمكن أن يحصل بهذا العالم ضد إرادته في هذا العالم سبحانه و تعالى.

، فقط تخيلوا مدى غضب الله علينا أخذا بالإعتبار الحقيقة أنه سلط علينا هذه الأمة. الأمة التي تعتبر الأخس و الأفقر بين الكفار.

كان أجدادنا الأماجد يعلنون الجهاد ضد هؤلاء الأعداء، و اليوم إن الله يختبر هذا الجيل كما إختبر آبائنا . كل شيء يتكرر، الجهاد يكشف الإيمان و الكفر. اليوم كما في الأزمان الماضية، ينقسم الناس إلى مجاهدين، و منافقين، و مرتدين.

أنا لا أتكلم على الكفار الأصليين، فهذا كذب صريح و القذارة التي على، الإنسان تظهر. فهم كلاب، كلاب جهنم الذين يسلطهم الله على المسلمين عندما يبتعدون عن دينهم. نحن المجاهدين خرجنا لقتال الكفار ليس من أجل القتال فحسب بل لإعادة شريعة الله على أرضنا . و الله يقول أنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

و اليوم كما حدث خلال التاريخ، لن يتغير حالنا إلا و السلاح في اليد . و لو أمكن التمكين لدين الله في الأرض بطريقة أخرى لما دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم في ثلاث و عشرين معركة.

ليس هناك سلطة أو إكتساب للسلطة إلا من خلال الله. و في نفس الوقت يأمرنا الله بالإنتباه إلى قضيتنا و إعداد قواتنا بقدر استطاعتنا لشن الحرب.

و هذا لا يعني انه يجب علينا أن نحوز وسائل مساوية للتي عند الكفار. هذا مستحيل في هذا الزمن، و لكن لا تكونوا مخطئين، نصر المسلمين قادم، إن شاء الله، ليس بسبب عدد المقاتلين و وفرة السلاح، و لكنه سيأتي بسبب خوفنا من الله. و الخوف من الله يأتي للنفس و يغير السلوك عندما يخاف المسلم من تعدي الحدود التي شرعها الله. إن أهم محرم موجود في صيغة الإيمان نفسها، "لا إله إلا الله."

.

تكرار هذه الكلمات العظيمة هو سهل و بسيط، و لكن تطبيقها ليس سهلا و بسيطا و الوصول إلى الجنة ليس سهلا و بسيطا . إن الله سبحانه و تعالى يحذرنا في القرآن أنه لن يغفر الشرك، و لكنه قد يغفر أي شيء ما عدا هذا إن شاء.

يجب على المسلمين أن يخافوا من الشرك دائما خلال حياتهم. لذلك، نحن المجاهدون لا نفرض أي قوانين أو أحكام، أو تشريعات لا تأتي من الله.

الجهاد ضد الكفار الروس لم يتوقف قط لقد تم إحياؤه في الشيشان منذ ستة عشر عاما عندما أصبح جوهر دودايف رحمه الله بمشيئة الله زعيما . للشعب الشيشاني. و منذ ذلك الوقت خدم العديد من القادة. نسال الله أن يتقبل جهادهم و جميع الإخوة الذين سبقونا.

مهما رفعنا من شعارات سياسية و إستعملنا من كلمات لوصفها ، فالذين خرجوا لقتال الروس الكفار تحدثوا فقط عن الجهاد و الشهادة في سبيله، و سيثاب كل بحسب نيته إن شاء الله.

كل قائد في الجهاد تحدث و عمل بحسب فهمه للدين و الواقع. و نحن إن شاء الله، لا ندينهم أو ننتقدهم، و لكن نسأل الله أن يرحمنا و يرحمهم.

بمشيئة الله و حمده سبحانه و تعالى، كان من قدري أن أقود هذا الجهاد . و يعلم سبحانه و تعالى أني لم أرغب في هذا و لم أطلب المسؤولية فلم أفكر. قط أنني قد أتحمل هذا العبء و لكن بما أن هذا قدري، فإنني سأقود و أنظم هذا الجهاد بحسب الفهم التي يعطينا إياه الله سبحانه و تعالى.

أنا أعلن لكل المسلمين أنني أعلن الحرب على الكفار تحت راية "لا إله إلا الله"

و هذا يعني أنني كأمير للمجاهدين في القوقاز أرفض أي شيء مقرون بالطاغوت. و أرفض كل القوانين الكافرة التي شرعت في العالم

أنا أرفض كل القوانين و الأنظمة التي شرعت من قبل الكفار في أرض القوقاز.

أنا أرفض كل الأسماء التي يستعلمها الكفار لتقسيم المسلمين.

أنا أعلن أن الكيانات الإثنية و الإقليمية و الإستعمارية المسماة بـ"جمهوريات شمال القوقاز" أو "جمهوريات جنوب القوقاز"و غيرها من الأسماء غير قانونية.

و أعلن رسميا إنشاء إمارة القوقاز في كل أراضي القوقاز

حيث بايعني المجاهدون لإعلان الجهاد . أعلن ولايات إمارة القوقاز التي تضم داغستان، و الشيشان، و إنغوشيا، و أوستيا، و سهل نوغاي، و المناطق المجتمعة من كبرداي و بلكار و كاراشاي.

و لا أعتقد أنه من الضروري أن ترسم حدود إمارة القوقاز

أولا بسبب أن القوقاز محتل من قبل الكفار و المرتدين و هي دار حرب. و أول واجباتنا أن نجعل القوقاز دار إسلام بتحكيم الشريعة في كل الأرض و طرد الكفار.

ثانيا، بعد طرد الكفار يجب علينا إستعادة كل الأراضي التاريخية للمسلمين، و هذه الحدود تتعدى تخوم القوقاز.

أنا أتوقع أن جميع المنافقين المتعلمين و غير المتعلمين سيزعمون أننا نؤسس دولة مثالية غير واقعية. فأقول لهم، إن شاء الله إن إمارة القوقاز أكثر واقعية من جميع الكيانات الإستعمارية المصطنعة الموجودة اليوم.،

نحن سنقوم شرعيا و نظاميا، خطوة بخطوة بتقديم و إنفاذ حكم الشريعة في أرضنا.

إن تحكيم الشريعة تطبيق لكلام الله:

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ – (111) سورة التوبة

نحن سنشن حربا لا مداهنة فيها مع الذي سيرفض تحكيم الشريعة، إن شاء الله. و لا يحسبن أن الذين يجاهرون بمخالفة أحكام الله، متحدين دين الله أنهم سيفلتون من العقوبة. إن الذين يقعدون و يتحايلون على الجهاد لديهم مجموعة من الحجج. إحداها أن "الديمقراطية" التي سبق أن تركناها سليمة و لم تتمسك بها بالقدر الكافي نتيجة لعدم الفهم. أنا أقبل هذه الحجة و لكني أرفض هذه الأسماء و الألقاب.

حان الوقت لتنسيق نياتنا و كلماتنا و أعمالنا . في ذلك اليوم العصيب، سنقف أمام خالقنا لا أريد أن أكون متهما عندما يبحث المرء عن الأعذار. أنا أخاف عقاب الله و لذلك سأرفع مرة أخرى الراية التي ذهبنا للجهاد تحتها.

نحن ذهبنا للجهاد لتحكيم شرع الله

و سنجاهد في سبيله و الثمرة هي لله.

لقد قلتها من قبل و أعيدها مرة أخرى،

نحن جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية.

و أنا يحزنني موقف أولئك المسلمين الذين يعلنون العداوة للكفار الذين يهاجمونهم مباشرة فقط. و في نفس الوقت يسعون لدعم و تعاطف الكفار الآخرين متناسين إن الكفر ملة واحدة.

إخواننا يقاتلون اليوم في أفغانستان و العراق و الصومال

وفلسطين.

إن الذين يهاجمون المسلمين هم أعداء أيا كانوا.

عدوتنا ليست روسيا فقط، بل كل من شن الحرب على الإسلام و المسلمين. هم أعدائنا لأنهم أعداء الله.

مرة أخرى إنني أتوقع إدانة هذا الموقف من المنافقين و الفزع من ضعاف المسلمين و لكن ليس من المسلمين الحازمين. من الحجج النموذجية في القضايا المماثلة أن هذه سياسة حمقاء و ستجمع العالم كله ضدنا.

سبحان الله! و كأن كل العالم من كفار و مرتدين لا يشنون حربا ضد المسلمين. بهذا الخصوص،

أقول للمخالفين أن السياسة الواقعية و الحكيمة هي المبنية على القرآن و السنة.

السياسة الحمقاء هي المبنية على التوقعات الفارغة و الأماني المبهمة و الخوف من القوة الواضحة.

يقول القرآن في سورة آل عمران:

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)

—سورة آل عمران

قال الله: "أنا عند ظن عبدي بي" . إذا آمن المسلمون أن الله جعلهم ضعفاء و منكسرين فعندها سيكونون ضعفاء . و إذا آمن المسلمون أن الله جعلهم أقوياء و آمنوا بحمايته و عونه فعندها سيكونون أقوياء . و نحن نرى هذه العلامات في كل خطوة في كل يوم.

لذلك أدعي بأننا مجاهدي القوقاز قوة. و نؤمن أننا إن شاء الله بأيدينا سيقهر و يذل الله الكفار و المرتدين.

إن قوتنا بإيماننا و خوفنا من الله.

و أذكر المجاهدين الذين يقاتلون في سبيل الله و دفاعا عن المستضعفين و المسلمين المذلين أنني كأمير المجاهدين في القوقاز السلطة الشرعية الوحيدة في جميع المناطق التي بايعتني كقائد للجهاد.

واجب على جميع المسلمين مساعدة المجاهدين بكل طريقة يستطيعونها . و تذكروا أن الكفار و المرتدين بين المتعاونين المحليين هم أهداف للتصفية و ليسوا رعايا السلطة.

أسأل الله سبحانه و تعالى أن يهديني إلى الصراط المستقيم و أعواني و جميع المسلمين الذين يؤمنون بالله و رسوله صلى الله عليه و سلم و في يوم القيامة الواقع لا محالة.

الله أكبر الله أكبر الله اكبر

25رمضان ١٤٢٨ هـ

أمير إمارة القوقاز

دوكو عمروف

# دوكو عمروف:تفاصيل مفاوضات اعلان امارة القوقاز الاسلامية

## شامل باسايف سألني: "إذا أصبحت أميرا، هل ستعلن الإمارة؟"

فترة الاصدار: ٣٠ أغسطس ٢٠١١، ١٠:٠٠

محرر قفقاس سنتر تلقى رسالة من الأمير دوكو أبو عثمان، بخصوص الذكرى الرابعة لإعلان إمارة القوقاز في رمضان ١٤٢٨ هـ (٧ أكتوبر ٢٠٠٨م) . هذا التاريخ هو معلم أساسي في التاريخ الحديث لشعوب القوقاز.

كذلك ٢٥ رمضان ١٤٢٨ هـ هو تاريخ للفرقان، حيث كشف المسلمين الصادقين، الذين كرسوا أنفسهم لنشر كلمة الله، والمنافقين، الذين أخفوا لسنوات نفاقهم تحت زخرف الكلام حول الحرية والإستقلال.

في رسالته، الأمير دوكو أبو عثمان كشف القليل من التفاصيل حول الإعداد لإعلان إمارة القوقاز، التي لم تعلن بشكل فردي، كما يدعي معارضي الشريعة، ولكن نتيجة نقاش شديد إستمر لعدة سنوات.

إن العلامة الأساسية للتغيير الرئيسي على الطريق نحو إستعادة الدولة الإسلامية التاريخية للمسلمين في القوقاز هو حقيقة أن الجهاد الإسلامي جذب الشباب الذي ضحوا بأرواحهم ليس من أجل شعارات وأهداف عابرة، ولكن من أجل إقامة أحكام الله وحيازة الجنة.

****

**شامل باسايف سألني: "إذا أصبحت أميرا، هل ستعلن الإمارة؟"**

بسم الله الرحمن الرحيم!

الحمدلله، رب العالمين، الذي خلقنا المسلمين، وأنعم علينا بالجهاد، فأعطانا فرصة لنفوز بالجنة.

والصلاة والسلام على قائد جميع المجاهدين، النبي محمد، وآله وصحبه، وجميع من تبعه إلى يوم الدين. أما بعد،

لأولئك الذين إستشهدوا في الجهاد، للمجاهدين، للمسلمين الذين يمرون بالصعاب، نحن ندعو لكم، إن شاء الله. ونحن نسعى ولا ندخر وسعا وسنواظب لتخفيف حملكم الذي تمرون به.

أحمد الله على التطورات التي تجري اليوم في العالم الإسلامي. المسلمون يستيقظون، والناس يقومون ضد الدكتاتوريين والطغاة. والعديد منهم يعانون كضحايا. وإذا قاموا لإقامة شرع الله، فسيجازون على ذلك. أولئك الذين سقطوا في هذا الصراع سيذهبون للجنة، إن شاء الله!

ولكن، إذا إتبعوا تصريحات أحد العبيد القذرين للكفار، ويأتي آخر للسلطة، سواء كان عمرو موسى أو محمد البرادعي، فليس للموتى سوى الندم، ونسأل الله أن يغفر لهم. وأولئك الذين قادوا أولئك الأشخاص وجعلوهم يتعرضون لإطلاق النار، فلن ينجو من العقاب في يوم القيامة، إن شاء الله.

نحن ندعو أولئك الذين ماتوا في سبيل الله، أن تقام الشريعة في بلادهم وأن يدرك المسلمون الحق ويتبعوه.

هذه ليست أول مرة في التاريخ تمر فيها الأمة الإسلامية بالصعاب. إن ذلك دائما يجري عندما يكون المسلمون منقسمين. في زمن المغول، كان أول من يسقط هو خوارم شاه. ولم تقدم الخلافة العباسية أو مصر عليه المساعدة.

ودمر المغول الخلافة. وقتلوا الخليفة نفسه. أصاب المسلمين الهلع. وعلماء والملالي الفاسدين في ذلك الوقت، كما يحصل اليوم، قاموا بعملهم الخسيس. إدعو أن المغول هم يأجوج ومأجوج. ولا يمكن القتال ضدهم، ويجب أن ننتظر لقدوم النبي عيسى عليه السلام وندعو الله بأن يستجيب ويدمر يأجوج ومأجوج. عند سماع مثل هذه الآراء، العديد من جيوش المسلمين فرت فقط من أجل أن لا تدخل في معركة في المغول.

كان عدد الجيش المغولي ١٠٠٠٠٠، وأقصى عدد وصلوا إليه كان ١٥٠٠٠٠. ولكنهم قتلوا ١٠ مليون مسلم.

في ذلك الوقت الصعب، المسلمون في مصر، الذين كانت أعدادهم قليلة بحيث لو ماتوا، لإختفى دين الإسلام، أظهروا الإيمان، وبمشيئة الله، المرونة والشجاعة. وقاتلوا ضد المغول، وهزموهم وأنقذوا دين الله.

إن الأعداء يحاولون أن يشوهوا هذه الحقيقة (أنا أذكر هذا خصيصا لإخواننا في مصر حتى لا ينسوا تاريخهم البطولي الحقيقي) وفنشروا عبادة الفراعنة المصريين الأخساء بين المسلمين.

إن الفتنة، وجدت في الماضي، وهي موجودة كذلك اليوم. ولكن، نحن مستمرون في الجهاد، بمشيئة الله، لأنه واجب علينا من الله.

وهؤلاء المسلمون الذين لا يجاهدون (نعوذ بالله من ذلك)، أو لا يسعون لذلك سيموتون النفاق.

اليوم، نحن نشن الجهاد بقدر إستطاعتنا. لو كان لدينا قوة أكثر، لقمنا بالمزيد. في جهادنا، أعداؤنا هم الكفار والمرتدين. عندما نوجه ضربة أخرى إلى الكفار، فالمنافقين، والمرتدين يردون ضدنا بقوة أكثر من الكفار أنفسهم.

نحن وجهنا لهم ضربة في موسكو. وشاء الله، أن يحدد المشركين بدقة هوية الأخ الإستشهادي (منفذ عملية مطار دوموديدوفو في موسكو). نحن علمنا بذلك قبل أن نرسل التسجيل ليتم نشره. فقط بعد أن حدد الغزاة هوية أخينا، نشرنا التسجيل.

تناقش الروس بشدة لماذا لم ننشر التسجيل قبل ذلك، من أجل إعطاء هذا بعض الأهمية. نحن نعرف أساليب الكفار الروس ولذلك حاولنا أن نبقي أقارب وأصدقاء أخينا بعيدا عن طغيانهم. ولكن العدو سيظل يفسر الأحداث بطريقته الملتوية.

هذا العام بدأ جيدا بالنسبة لنا، الحمدلله. بالصبر، كذلك تخطينا الفتنة هذا العام. لذلك، أرجوكم ادعوا لنا. فبالتأكيد، نحن كذلك نواجه الصعاب. ولا يهم كم حاولنا أن نحبط كل التفاصيل، ولكننا لا ننجح في كل مرة.

إن العدو لا ينام وهو كذلك يتآمر ضدنا، ويحاولون أن يردوا على أفعالنا. وبعض خططنا أحبطت، بمشيئة الله، وقد قمنا بكل ما نستطيعه، والنتيجة هي من عند الله.

الآن أريد أن أشير إلى إعلان إمارة القوقاز. لقد بلغ أذني العديد من الأشياء مؤخرا. لذلك، أعتقد أنه سيكون مفيدا أن أسلط الضوء على بعض النقاط غير المعروفة.

إن الله برحمته قد أعطانا فهما لما يجري في هذا العالم. كما نعرف من الحديث، أن المسلمون هم كالجسد الواحد في توادهم، وتعاطفهم وتراحمهم. ولو تأذى عضو في الجسد، فكل الجسد يتأذى. هذا الحديث يخبرنا بأن نتمسك بوحدتنا وأن ندعم بعضنا.

إن الجهاد يستمر في كل العالم، وجاء الوقت لنصحح الأخطاء. وإذا لم نصححها، فستطرح مسألة عقيدتنا. وبعدها، عندما طرحت هذه المسألة، أعلنا الإمارة.

نحن ننبه الذين يتصلون بالمنافقين الذين ينشرون الأكاذيب ضد الإمارة. دعوني أنقل لكم الحديث الذي جاء فيه أنه في يوم القيامة، بأن كل واحد منا سيبعث مع من يحب في هذه الدنيا.

وقاديروف، الذي لا يمكن إصلاحه، يقول: "أنا أحترم السيد بوتن، أنا أحب السيد بوتن". هذا يعني، في يوم القيامة، سيبعث مع بوتن، عن شاء الله.

والآخر يمضي الوقت مع بيريزوفسكي. نحن يجب أن نتذكر أنه لا بيريزوفسكي أو أي شخص آخر في موسكو يمكنه أن يجني المال، إذا لم يكن تحت مظلةKGB ، ولا يمكنه أن ينفق ما يجنيه بدون إذن من "المكتب". نحن كذلك نعلم أنKGB ،وFSB ، الأشخاص المرتبطون بهم لا يتقاعدون أبدا. إنهم يمكنهم فقط أن يغيروا غطاء أنشطتهم بحسب حاجة منظمتهم. ومال بيريزوفسكي من صندوقKGB ، الذي يتجدد على من تجارته في روسيا.

زكاييف كذلك يسحب المال من ذلك الصندوق ليعيش، ويعلم أطفاله ويعيل أسرته، سوف كذلك يجمع كذلك في يوم القيامة مع من يحب في هذه الدنيا، إن شاء الله.

لذلك، أي شيء قاله هؤلاء الأشخاص، يقولونه، وسيقولونه حول الإمارة – هو كذب. إنه ليس فيها حتى ذرة من الحق في كلامهم.

أنا إنضممت للجهاد لإعلاء كلمة الله، وتأدية الفرض، لأنني أحب الله، وأحب دينه، وأحب النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فقط تعالوا معي ومع إخوتي في الإسلام، إن شاء الله.

أصلان مسخادوف، الذي كان رهينة للنظام الجيوسياسي العالمي، لأسباب سياسية، ولإعطاء الشعب فسحة واستراحة ليجمع قوته، ويلعب بقوانينهم، ليواجه أولئك المصرين بشدة للتوجه نحو الموقف الإسلامي.

بالحفاظ على هذا الموقف والسياسة، أعطى الأمل بأن الغرب بالفعل سوف يطبق إعلاناته متوقعا نوعا من العدالة منهم.

لقد تعاملت معهم كثيرا. وكان أصلان يعرف في قلبه ثمن جميع أولئك الرؤساء الغربيين. ويمكنني أن أشهد بأن كان مسلما عبقريا وكان يحب الإسلام.

في ٢٠٠٢م، أصلان إختار عبدالحليم نائبا له. وفي حال موت عبدالحليم، سيذهب منصبه إلى أبو عثمان (دوكو عمروف.(

لماذا إختارني أنا؟ لماذا وضع هذه السلسلة؟ لأني آرائي لم تترسخ بعد، بالرغم من أنني كنت أعلم ثمن الكفار. أصلان عرف علاقتي بزكاييف ولذلك تمنيت أنه، من خلال تلك القنوات، ستظل الآراء مفتوحة للحصول على نوع من الوساطة الغربية من أجل تسهيل وضع الشعب. من أجل هذا السبب تم إختياري نائبا لعبدالحليم.

في الحقيقة، سوء الفهم كان يسود بين الناس. في ٢٠٠٢م، أرسانوف، حمزة غيلاييف وعبدالملك مجيدوف رفضوا إعطاء البيعة لأصلان.

نحن إلتقينا بهم. وسألناهم أن يوضحوا سبب رفضهم البيعة، وكانت حجتهم الأولى بأنه كان يزعم أنهم عملاء للFSB ، وكان هناك شتائم، وما إلى ذلك...

وحضر الإجتماع شامل وعدد من آخر من القادة. نحن سألناهم: "هل قال لهم مسخادوف أن يتركوا الدين؟"، فكانت الإجابة: "كلا"، عندها قلنا لهم: "هل قال لهم بأن لا يجاهدوا؟"، وكانت الإجابة بالنفي.

وقال لهم شامل بأن معظم الحاضرين لم يكونوا يحبون مسخادوف. ولكن، ولكنه لن يسوي علاقته مع أصلان في زمن الجهاد، لأن ذلك سيكون جريمة.

قال شامل: "عندما ينتهي الجهاد، وأضطررت، فسأرفع القضية إلى المحكمة الشرعية والمحكمة ستنظر في ذلك."

وأصر شامل بأنه يجب أن يبايعوا أصلان. وبهذا إنتهت "عملية المفاوضات."

في اليوم الثاني، جاءوا بحجج جديدة. إدعو أن هذا ليس جهادا لأن الحرب تشن تحت عقيدة خاطئة.

المتحدث الرئيسي حمزة غيلاييف، اتهمهم بأنهم يقاتلون من أجل الجمهورية، ومن أجل إيشكريا، وليس من أجل الشريعة، والدولة الإسلامية.

في ذلك الوقت، أنا لم أكن أبحث في مثل هذه الأمور. لذلك إستمعت إليهم كأمير للجبهة الجنوب غربية، وعضو في المجلس. كان ذلك مهما جدا بالنسبة لي.

كذلك تمكن شامل من إقناعهم. بأن هذا جهاد، ولكنه من الصعب تغيير كل شيء في ليلة وضحاها، وأن هذا يتطلب بعض الجهد. وهو قال بأنه قد طلب من أصلان أن يتخذ القرار الحاسم في دوبا – يورت في ٢٠٠٢م.

ولكن إتخاذ القرار حول المسألة تم تأجيلها، خوفا أن يتخلى بعض المقاتلين عن الحرب ويرحلوا للإنضمام لصفوف المنافقين. لذلك تم إقتراح أن يتم إجراء التحولات في البلاد إلى الموقف الإسلامي بشكل تدريجي.

لو نظرنا لهذا اليوم، هذا التوجه خطأ بشكل واضح. ولو قررنا في ذلك الوقت بأن نعلن الدولة الإسلامية، لأدى للمزيد من الفتن، فاليوم ربما نكون أنقياء، ولكان الوضع مختلفا عما هو عليه اليوم.

بعد نقاش طويل، أعلنوا بأنهم سوف يبايعون دوكو. ولكن لماذا دوكو؟ دوكو فقط أمير لجبهة. يجب أن تكون البيعة لمسخادوف. وقبل أن يكون شامل أميرا عسكريا.

بعد ذلك، بايعوا شامل وقمنا بصرفهم.

في ذلك الوقت تم التخطيط لعملية في أوسيتيا الجنوبية ولكنها لم تحصل. نحن لن نخوض في تفسير الأسباب التي منعت تنفيذها. فتلك مشيئة الله. وفشلت العملية. بعد ذلك، قال حمزة بأنه سوف يغادر. فلحقت به وأدركته قرب نهر غيكي.

فسألت حمزة، إلى أين هو ذاهب. فأجاب بأنه ذاهب للعراق.

فسألته: لماذا تذهب إلى العراق؟ من سمح لك بالعراق؟

بأنه ليس في حاجة لإذن من أحد. وقال حمزة بأنه ليس هناك أساس إسلامي لحربنا.

-أنتم تقاتلون من أجل إيشكريا، تحت راية إيشكريا. إن الجهاد الحقيقي يجري في العراق، وهناك إمارة معلنة.

في ذلك الوقت، كنت مندهشا للغاية من ذلك. فسألته حول رأيه، لماذا يعتقد بأننا لا نقاتل في سبيل الله، وأننا فقط مرتزقة وهو وحده المجاهد الحقيقي؟

وكنا بيننا نقاش شديد مع حمزة. والعديد منهم الذين كانوا متواجدون في النقاش لا يزالون أحياء اليوم. بعض من رجال غيلاييف والجزائري أبو عمرو، مقطوع الساقين.

نحن إجتمعنا وجلسنا. وكان معي سيف الإسلام، وكان يرافق حمزة عدد من العلماء، والعديد من العرب.

خلال نقاشنا، منصور، الذي قتل لاحقا، وقف إلى جانبي، قال:

"أبو عثمان محق، الجهاد مستمر، بالرغم من أننا نتحدث لغات مختلفة. على أية حال، إذا تعهد مسخادوف بأنه سوف يعلن الإمارة في يوم ما، فلا يمكنك اليوم أن ترحل، بناء على أننا نظهر هذا مخادعة.

وكان منصور يقف إلى جانبي. وقال حمزة:

-في هذه الحالة، سأبقى معكم.

الذي جرى بعد ذلك نعرفه جيدا. دعونا نتركه لله، ولن نتحدث عنه.

هكذا دخلت في مسألة الإمارة. وبعدها بدأت تشغلني. وإذا بدأ العقل يفكر في شيء، عندها تبدأ الأفكار في العمل. ولكن بعد هذا، وأن لم أجد وقتا للحديث في هذا مع أصلان، لأسأله عن كل شيء، وقضى أصلان، وأسأل الله أن يجازيه بالشهادة.

بعدها إلتقيت بشامل. وأبلغته بأن عبدالحليم إختارني كنائب له ومباشرة قال لي بأنه يحتاج لأن يغادر فورا، على الرغم من أنه حضر بالأمس. وحاولت أن أثنيه، ولكنه أصر.

بعد يومين، عاد شامل بشكل مفاجئ. وإقترب مني وسلم علي، وطلب مني أن أغفر له، وهنئني على تولي المنصب.

وسألت شامل ما الذي جرى؟

قال لي شامل بأنه إتفق مع عبدالحليم بأنه سيعلن الإمارة، وسيعينه نائبا له. وبعد ذلك، نظم شامل العمل حتى يبايع كل من في القوقاز عبدالحليم.

وصف شامل الوضع وما يدور في خلد باقي المجاهدين في باقي مناطق القوقاز، الذين لم يريدوا أن يبايعوا حتى عبدالحليم.

فقلت لشامل بأنه في هذه الحالة بأنني لست الأمير، وأرفض منصب النائب وسأكون مجاهدا بسيطا تحت قيادته.

قال شامل: كلا، لقد تم الأمر.

وقال لي بأنه إلتقى عبدالحليم وإتفق معه على كل شيء.

وقال عبدالحليم لشامل بأنه نفذ وصية مسخادوف.

ووعد عبدالحليم بإعلان الإمارة وتنفيذ التحولات في الدولة.

بعد ذلك، حصلت عملية كباردينو – بلكاريا (نالتشك). وعاد منها شامل. وإلتقينا معه وبينما كنا جلوسا، ناقشنا الوضع، شرح شامل أنه بصعوبة كبيرة تمكن من أن يقنع سيف الله، أمير كباردينو – بلكاريا، ومجاهديه بأن يبايعوا عبدالحليم.

فسألت شامل ما الذي يعنيه بالتغييرات.

فقال شامل:

-الإمارة. في عهد مسخادوف، أبو عمر، وأبو الوليد وجميعنا إتفقنا على إعلان الإمارة، وأن ننبذ الطاغوت بشكل تام، وأن ننبذ جميع القوانين العلمانية، وأن نقيم الشريعة بشكل كامل في كل شيء، وكان هناك هذا الإتفاق. والمجاهدون قلقون من هذا الموقف."

فقلت له بأنني لم أفهم من هذا شيئًا، ولكنني أعرف شيئًا واحدا، أنني أثق في عبدالحليم، وأنه سيقوم بالأشياء الضرورية للإسلام أفضل من كلينا، ولا شك عندي في هذا.

حتى أنني قلت لشامل بأنه إذا أفسد العلاقات مع عبدالحليم، سوف تفسد علاقتي معه.

وكنت مستاء جدا من هذا، وأرسلت تسجيل صوتي لعبدالحليم مع سؤال. فرد علي بتسجيل صوتي.

في ذلك الوقت كنا متفقين مع شامل.

وأجابني عبدالحليم:

"أبو عثمان، إنهم محقون، وأخونا أبو إدريس على حق أيضا، ولكن اليوم ليس لدينا القوة واليوم على الأقل من الضروري أن نأخذ القليل من الراحة. ونحن يجب أن نخزن السلاح وغيرها من الضروريات، وعلى الناس أن يدعو لنا، ونحثهم على ذلك. أنا لدي الآن عملية مفاوضات مع إسلام حليموف، وزكاييف، (وأتذكر بالتحديد أنه ذكر هاذين الإسمين). حتى تصبح نتيجة هذه المفاوضات واضحة، إطلب من أبو إدريس أن ينتظر. إذا لم تحدث أي نتائج، عندها سوف نقوم بالتغييرات، ونعلن الإمارة."

إستمعت أنا وشامل لشريط عبدالحليم، وأنا شاهد على هذا. عندما وصل لمسألة عملية المفاوضات، قفز شامل، بالرغم من انه لم يكن يضع رجله الصناعية.

آها . . . هو أيضا يستعد للموت، هو أيضا سوف يقتلونه، لا شك في ذلك.

وتوجه شامل نحوي وسألني:

"عندما تصبح الأمير، هل ستعلن الإمارة؟"

فأجبته:

الأمير سيكون أنا سوف أبايعك.

فأجاب شامل:

ليس هناك مشكلة بيننا في من يكون الأمير، أنت أو أنا، نحن يجب أن نعمل معا.

فقلت:

ليس هناك شك، إذا كنت أنت إلى جانبي، يتم تصحيح هذه المسألة، وإذا كان الله راضيا عن هذا، فعندها سوف نعلنها.

قال شامل:

-سوف أرس لك رجلا، أخونا، الذي هو الآن في نالتشك، وهو سوف يساعدك في الإعلان.

بعد هذا، بفترة قصيرة، قضى عبدالحليم. بعد هذا، وأصبحت الأمير، وبعد ذلك بفترة قصيرة، قضى شامل. (أسأل الله أن يجازيهم بالشهادة(

ويجب أن تتذكر الوضع عندما وصلت القيادة لي، بعد كل هذا. ما هو وضعنا في الشيشان، كم تبقى لنا من السلاح، كم بقي من الأفراد لدينا، وما الوضع الذي أصبحنا فيه.

يمكنني أن أقول بالتحديد، وأؤكد تحت القسم، لم يكن في الجبهة الجنوب غربية ٣٠ مجاهدا.

وعندما أحضرت لي الأوراق والوثائق، التي بقيت بعد شامل، وكان من بينها ختم إمارة القوقاز، وختم الأمير الأعلى للقوقاز، وختم الأمير العسكري للقوقاز الذي إنتهى منها، كلها أعدها شامل بنفسه.

تم إعداد الأوراق. وحررناها، ودعمناها بالحديث وأعلنت الإمارة.

لماذا قمت بذلك؟ في ذلك الوقت، أرسل لي الأمير سيف الله شريطا من نالتشك. قال فيه:

"يا أخي نحن قد ناقشنا مع أخونا أبو إدريس، أنه في هذا العام، عندما يحل، سوف نعلن الإمارة. لقد تناقش أبو إدريس مع أخونا عبدالحليم، وأنت، اليوم، لم تطبق على هذا الإتفاق، والمسألة متعلقة بصحة العقيدة. فإذا لم تقم بإعلان الإمارة، فأنا مجبر على إعلانها بنفسي، ودعوة الإخوة، الذين يقاتلون في القوقاز، أن يقوموا ببيعتي."

هذا كان سيزيد من الخلاف. وعلى أية حال، كنت أعرف أن الداغستان سيبايعونه، والإنغوش سوف يبايعونه، ونحن سنبقى لوحدنا.

وكان هناك أدلة على أن الناس لن يتبعونا، ولن يتم الإلتحاق بصفوفنا تحت راية إيشكريا، لأنه بالنسبة لهم أصبحت إيشكريا سببا مزرعة خاصة للإعتياش كزكاييف وغيره من المقيمين في الخارج. والآخرين الذين يخدمون تحت العميل قاديروف قد يتزوجونه في يوم ما.

نحن نرى أولئك الذين يتسولون في البلاد، أولئك الطفيليين الذي يعيشون في الديار أو الذين إستقروا في الخارج. في هذا الوضع، الشباب، الذين لم يسمعوا شيئًا عن إيشكريا، لم يريدوا أن يجاهدوا تحت راية إيشكريا – هذا الذي رأيته.

لقد تغير الوضع. أولئك، الذين نفروا من أجل الإنتقام لمقتل الأب، والأخ، وإختطاف الأخت، والحالمين، ومن أجل إظهار الشجاعة الشخصية، أمثال هؤلاء من "المجاهدين" – لم نكن في حاجة لهم. نحن نحتاج فقط من ينفر بنية صافية، لله، حبا لدينه، وبعقيدة صحيحة، أن ينفر لإقامة حكم الله، وحبا لرسوله (صلى الله عليه وسلم)، وحبا للجنة. فقط أولئك الشباب، فقط أولئك الرجال يمكنهم أن يدعوا للجهاد، الله أكبر.

لذلك الزمن والجيل الجديد من الشباب المسلمين هو الذي أجبرنا على إعلان الإمارة.

الحمدلله، وأنا لست متأسفا على هذا، وأنا فخور بهذا القرار.

الحمدلله، اليوم نحن نشهد كيف ينشر الله البركات من هذا القرار. نحن نرى الجهاد ودين الله ينتشر ونحوز على القوة، إن شاء الله، سيكون هناك نتائج أفضل ، ولا شك في هذا.

اليوم، لا أحد منا يعرف أين ومتى يغادر هذه الحياة. الحمدلله، أنا مستعد للموت في أي لحظة، هادئ وبدون قلق. أنا مستعد للموت في أي مكان، حتى وراء شاحنة "كاماز" محملة بالمتفجرات.

إلى جانبي المجاهدين النبلاء، بالإيمان الجيد . الذين يعملون بإخلاص، وصدق، وأعتقد بأنهم أنقياء.

مضت أربع سنوات على إعلان الإمارة – ٢٥ رمضان ١٤٢٨ هـ. وشاء الله أن نعلنها في رمضان. إن ذلك لنا عيدين.

أهنئ جميع المسلمين بمناسبة رمضان، وأهنئهم بعيد الفطر وأذكر جميع المسلمين بأن جميع المجاهدين، الذين يضحون بأرواحهم في سبيل الله، يستحقون دعمكم. وهو واجب عليكم أمام الله أن تساعدوا المجاهدين وستسألون على ذلك في يوم القيامة، ونحن سوف نشهد معكم أو ضدكم.

أذكر المسلمين بالتقوى والمسئولية، وأن يدركوا أهمية النظر وتسوية قضاياهم من القلب قبل أن يأتي اليوم القضاء الحق.

وأسأل الله أن ينصر عباده المخلصين على صراطه المستقيم.

الله أكبر!

**أمير إمارة القوقاز**

**دوكو أبو عثمان**

# ملحق ٦

## كيف حاربت الجماعة الإسلامية فكر التكفير والتوقف*




بقلم / سمير العركي

بدت الصورة في قلب مشهد المراجعات وكأن الجماعة الإسلامية المصرية قد غسلت يديها من كل فكرها القديم ولم يعد إلا إرثا تاريخيا تحاول الجماعة أن تتجاوزه إلى ما خطته حديثا من أفكار ورؤى مثلت مجمل أفكارها التي ستعيد بها تقديم نفسها للرأي العام.

ولم تكن هذه الصورة بعيدة في مجملها عن لب الحقيقة وإن كانت لم تستطع أن تستجمع كل تفاصيل المشهد ففي الإرث الفكري للجماعة الإسلامية كان يوجد ما تفتخر به الجماعة دوماً ولم يلتفت إليه الكثيرون رغم الجهد المبذول على مستوى الفكر وعلى مستوى الحركة.

فمنذ نشأتها الأولى في سبعينيات القرن الماضي أخذت الجماعة الإسلامية على عاتقها مواجهة الفكر التكفيري بكل حزم وحسم.. بل إن الصدام الذي خاضته الجماعة بعد ذلك مع الدولة المصرية لم يثنها عن القيام بدورها الذي خطته لنفسها سابقاً في مواجهة الفكر التكفيري.

والملاحظ هنا أن المنهج الذي رسمته الجماعة لنفسها في معالجة ومواجهة الفكر التكفيري كان يتميز بعدة سمات منها:

عدم التعامل مع الفكر التكفيري كحزمة فكرية واحدة بل عمدت الجماعة إلى تفكيكه عبر عدة أبحاث وهى "العذر بالجهل" و "الحد الأدنى" و "تكفير المعين" وهى الأبحاث التي سنعود إليها لاحقا بالدراسة والتحليل.

ولعل السبب الذي دفع إلى جماعة إلى ذلك هو عدم الانسجام الفكري بين الفصائل التكفيرية في مصر والذي أدى إلى وجود خلافات حادة فيما بينها مما أدى إلى تكفير هذه الفصائل لبعضها البعض. . كما هو حادث بين جماعة التكفير والهجرة التي أسسها شكري مصطفى ويتولى إمرتها الآن محمود فهمي، وبين جماعة التوقف والتبيين والتي كان يرأسها في وقت سابق شوقي الشيخ. . والذي قتّل في بداية التسعينات في إحدى قرى محافظة الفيوم والتي يتركز فيها القسم الأكبر لجماعة التوقف.

فكان لابد من تنوع الأبحاث في هذا الشأن حتى تتمكن من الإحاطة بجميع جوانب الظاهرة وعدم التوقف بالرد والتفنيد عند حدود فصيل معين.

لم تتوقف الجماعة في مشروعها النقدي لفكر التكفير عند حدود التحريم والتجريم للفكر ، بل عمدت إلى بناء منهج علمي يتكفل بتحصين أعضائها ضد فتنة التكفير ، لذلك خرجت أبحاثها في مسألة التكفير معتمدة على الكتاب والسنة بفهم علماء الأمة الثقات سواء من سلفها أو خلفها، ولم تنس الجماعة مناقشة شبهات التكفريين وإيراد أقوالهم لنقضها حتى يعتاد أعضائها ممارسة الجدل مع مخالفيهم.

وقفت الجماعة الإسلامية موقفاً صلباً حيال قضية العذر بالجهل وكانت تأخذ بالرأي القائل إن العذر بالجهل يعتبر من الموانع التي تمنع من إطلاق أحكام الكفر، حتى إن قضية العذر بالجهل وقفت كحجر عثرة أمام تعاون مع جماعة الجهاد عقب أحداث ٨١ رغم أن جماعة الجهاد لا يمكن تصنيفها ضمن فصائل التكفير إلا أن الجماعة رفعت آنذاك شعار أن الاجتماع لا يكون إلا "تحت راية فكرية واحدة" ومن هنا فقد رفضت الجماعة أي تعاون قبل الأخذ بالعذر بالجهل قبل الحكم على آحاد الناس .

وتفرعاً على هذا فقد رفضت الجماعة الإسلامية –وهي التي خاضت صداماً ضد الدولة المصرية –وبشدة تكفير أي من العاملين في أجهزة

الشرطة والجيش.. ولعل هذه المسألة تعتبر من المسائل التي سهلت على الجماعة إجراء مراجعاتها بعد ذلك لأنها اعتبرت حينها أن الصدام برمته لم يكن إلا فتنة بين المسلمين بعضهم البعض.. وكان موقف الجماعة هنا متسقاً مع منهجها الفكري من ذي قبل في الحكم على آحاد الناس........

وبعد..

فليس الغرض من هذه المقالة استقصاء كل ما ورد في مشروع الجماعة الإسلامية الفكري لتفكيك الفكر التكفيري.. ولكن الغرض هو إضاءة زاوية هامة في تراث الجماعة الفكري والذي لم ينتبه إليه أحد في غمرة الحديث عن صدام الجماعة مع الدولة.. ثم تحول دفة الحديث إلى المراجعات وما تحويه.

لذا فمن الملاحظ هنا أن الجماعة الإسلامية رغم شدة محنتها في السجون.. والتي ربما فاقت كل المحن التي تعرضت لها الحركة الإسلامية من ذي قبل إلا أن الجماعة لم تتعرض لأي انقسامات فكرية تكفيرية في السجون رغم شدتها وقسوتها غير المسبوقة.. وظل أعضاء الجماعة ينظرون إلى القائمين على شئون سجونهم على أنهم مسلمون.

فهل ستعيد الجماعة الإسلامية إعادة نشر هذه المشاريع الفكرية الهامة والتي قد تسهم في محاصرة ظاهرة التكفير في المستقبل؟

*موقع الجماعة الاسلامية

http://www.egyig.com/Public/articles/scholars/11/50326281.shtml

# ملحق ٧

المملكة العربية السعودية
وزارة الثقافة والإعلام
مكتب الوزير

١٤٢٥/١/١هـ

سري وعاجل

صاحب السمو الملكي مساعد وزير الثقافة والإعلام سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

أرفق لسموكم برقية معالي وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد رقم ١/٢/٢٦٦٠س وتاريخ ١٤٢٤/١٢/٢٦هـ المبنية على التوجيه السامي بأن تكون هذه الوزارة مقرا لاجتماع اللجنة المشكلة للدراسة الشاملة لجميع الكتب والمطبوعات والمنشورات الدعوية والمدرسية والمواقع ذات العلاقة علي شبكة الإنترنت وإزالة المواد التي تحمل تهجما على أصحاب الديانات السماوية المسيحية واليهودية .

وإفادة معاليه بأن ممثل وزارة الشئون الإسلامية هو الدكتور / توفيق السديري وكيل الوزارة للشئون الإسلامية وينوب عنه الشيخ / عبدالمحسن آل الشيخ ، وحيث أن ممثل هذه الوزارة هو سعادة الأستاذ / مسفر سعد المسفر المستشار المشرف على الإعلام الداخلي .

عليه نأمل من سموكم تعميده باتخاذ اللازم وموافاتي بنسخة من المحضر قبل توقيعه كالمتبع.

ولسموكم أطيب تحياتي ،،

وزير الثقافة والإعلام

د. فؤاد بن عبدالسلام الفارسي

٢٤/١٢/٢٩–N185

١٦
١٤٢٥/١/١١هـ

# ملحق ٨

## فتوى اعلان الجهاد الصادرة من الدولة العثمانية في ١٣٣٢هـ/١٩١٤م

إذا هوجم الاسلام من قبل أعدائه هجوماً ما ، يهدد كيانه ، ويجعل البلاد الاسلامية عرضة لغضبهم وغارتهم ، حتى خيف على النفوس الآمنة بها أن تقع فى ذل الأسر والاستعباد ، ودعا الخليفة إزاء هذه الحالة جميع المسلمين فى مختلف الأقطار للذود عن حوزة الاسلام ، والدفاع عن عرينه . فهل يفرض عليهم أجمعين ، شباناً كانوا أو شيوخا ، مشاة أو فرسانا ، المبادرة إلى إجابته بأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ؟ عملا بقوله تعالى « انفروا خفافاً وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم » . الجواب : الله أعلم ، يفرض عليهم ذلك فرض عين

كتبه الفقير اليه تعالى

خيرى بن عونى الأركوبي

عفى عنهما

هل يفرض والحالة هذه على المسلمين القاطنين فى البلاد التابعة للدولة الانجليزية والفرنسية والروسية وغيرها من الحكومات التى قد أظهرت الآن عداءها الكامن نحو الخلافة الاسلامية ، وأرادت أن تطفىء نور الاسلام ـ لا قدر الله ـ بأن هاجمت مقر الخلافة ، وسائر بلادها بخيلها ورجلها وأساطيلها ، أن يشقوا عصا طاعتها ويبادروا إلى قتالها ؟ الجواب الله أعلم ، يكون ذلك فرضاً عليهم .

كتبه الفقير إليه تعالى

خيرى بن عوني الاركوبي

عفى عنهما

وإذا تخلف ، والحالة هذه ، بعض المسلمين عن أداء واجبه ؛ فى حين أن الفرض لا يتم إلا بتلبية الكل لنداء : « انفروا جميعاً » . هل يقترف بتخلفه هذا إثماً عظيما ، يجلب غضب الله عليه ، ويستحق العقاب ؟ الجواب : الله أعلم ، يستحق ذلك .

كتبه الفقير إليه تعالى

خيرى بن عونى الأركوبي

عفى عنهما

وإن قاتل ، والحالة هذه ، المسلمون القاطنون فى البلاد التابعة للحكومات المحاربة جيوش الدولة الاسلامية ، ولو كان ذلك باكراه من الحكومة المذكورة ، بأن تقتلهم أنفسهم أو أقاربهم ؛ هل يحرم ذلك عليهم قطعاً ، ويعتبرون قتلة يستحقون نار الجحيم ؟
الجواب : الله أعلم ، يكونون مستحقين له . كتبه الفقير إليه تعالى

خيرى بن عونى الأركوبى
عفى عنهما

ولو حارب ، والحالة هذه ، المسلمون الذين تحت إدارة الحكومات المعادية للدولة الاسلامية وحليفتيها ألمانيا والنمسا ؛ وهى انجلترا وفرنسا وروسيا والصرب (يوغسلافيا الآن ) وقره طاغ الموالية لها ؛ هل يأثمون بذلك وينالون أليم العذاب ؟ الجواب . الله أعلم . يأثمون لأن الدولة تتضرر من عملهم هذا . كتبه الفقير إليه تعالى

خيرى بن عون الأركوبى
عفى عنهما

فتوى الشيخ خيري مفتي الدولة العثمانية مترجم عن التركية،احمد شفيق باشا،"مذكراتي في نصف قرن"، ج٣ ص٤١٧

# آخر خطبة لاسامة بن لادن بمناسبة ثورتي مصر و تونس

ان الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نعوذ بالله من شرور انفسنا و سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له و اشهد أن لا اله إلا الله و اشهد أن محمدا عبده و رسوله

أما بعد أمتي المسلمة نراقب معك هذا الحدث التاريخي العظيم

و نشاركك الفرحة و السرور و البهجة و الحبور نفرح لفرحك و نترح لترحك

فهنيئًا لك انتصاراتك و رحم الله شهداءك و عافى جرحاك و فرج عن أسراك

و بعد

هلت بمجد بني الإسلام أيام *** واختفى عن بلاد العرب حكام

طوت عروشا حتى جاءنا خبر*** فيه مخايل للبشرى و إعلام

طالما يممت الأمة وجهها ترقب النصر الذي لاحت بشائره من المشرق فإذا بشمس الثورة تطلع من المغرب فضاءت الثورة من تونس فأنست بها الأمة و أشرقت وجوه الشعوب و شرقت حناجر الحكام و ارتاعت يهود لقرب الوعود فبإسقاط الطاغية سقطت معاني الذلة و الخنوع و الخوف و الإحجام و نهضت معاني الحرية و العزة و الجرأة و الإقدام فهبت رياح التغيير رغبة في التحرير وكان لتونس قصب السبق وبسرعة البرق أخذ فرسان الكنانة قبسا من تونس إلى ميدان التحرير فانطلقت ثورة عظيمة و أي ثورة ثورة مصيرية لمصر كلها و للأمة بأسرها إن اعتصمت بحبل ربها و لم تكن هاته الثورة ثورة طعام و كساء و إنما ثورة عز و إباء و بذل و عطاء أضاءت حواضر النيل و قراها من أدناه إلى أعلاه فتراءت

لفتية الإسلام أمجادهم و حنت نفوسهم لعهد أجدادهم فاقتبسوا من ميدان التحرير في القاهرة شعلا ليقهروا بها الأنظمة الجائرة ووقفوا في وجه الباطل ورفعوا قبضاتهم ضده و لم يهابوا جنده فتعاهدوا فوفقوا المعاهدة فالهمم صاعدة و السواعد مساعدة و الثورة واعدة فالي أولئك الثوار الأحرار في جميع الأقطار تمسكوا بزمام المبادرة و احذروا المحاورة فلا التقاء في منتصف السبيل بين أهل الحق و أهل التضليل حاشا و كلا و تذكروا أن الله قد من عليكم بأيام لها ما بعدها انتم فرسانها و قاداتها و بأيديكم لجامها وريادتها ادخرتكم الأمة لهذا الحدث الجلل فأتموا المسير و لا تهابوا العسير

بدا المسير الى الهدف و الحر في عزم زحف . . .و الحر أن بدا المسير فلن يكل أو يقف

فلن يقف حتى تتحقق الأهداف المنشودة و الآمال المعقودة باذن الله تعالى فثورتكم هي قطب الرحى و موضع أمال المكلومين و الجرحى فقد فرجتم عن الأمة كربا عظيمة فرج الله كربكم و حققتم أمالا كبيرة حقق الله أمالكم

وقف السبيل بكم كوقفة طارق. . . . . . . . .اليأس خلف و الرجاء امام

و ترد بالدم عزة أخذت به . . . . . . .و يموت دون عرينه الضرغام

من يبذل الروح الكريم لربه . . . . . . . . . . .دفعا لباطلهم فكيف يلام

فيا ابناء أمتي المسلمة أمامكم مفترق طرق خطيرو فرصة تاريخية عظيمة نادرة للنهوض بالأمة التحرر من العبودية لأهواء الحكام و القوانين الوضعية و الهيمنة الغربية فمن الإثم العظيم و الجهل الكبير أن تضيع هاته الفرصة التي تنتظرها الأمة منذ عقود بعيدة فاغتنموها و حطموا الأصنام و الأوثان و أقيموا العدل و الإيمان و في هذا المقام اذكر الصادقين بان تأسيس مجلس لتقديم الرأي و المشورة للشعوب المسلمة في جميع المحاور المهمة واجب شرعي و أكد ما يكون على بعض الغيورين الذين قد نصحوا مبكرا بضرورة استئصال هاته الأنظمة الظالمة و لهم ثقة واسعة بين جماهير المسلمين فعليهم البدء بهذا المشروع و الإعلان عنه سريعا بعيدا عن هيمنة الحكام المستبدين و إنشاء غرفة عمليات مواكبة للأحداث للعمل بخطوط متوازية تشمل جميع حاجات الأمة مع الاستفادة من مقترحات أولي النهى في هذه الأمة و الاستعانة بمراكز

الأبحاث المؤهلة و أولي الألباب من أهل المعرفة في إنقاذ الشعوب التي تكافح لإسقاط طغاتها و يتعرض أبناءها للقتل و توجيه الشعوب التي أسقطت الحاكم وبعض أركانه بالخطوات المطلوبة لحماية الثورة و تحقيق أهدافها و كذلك التعاون مع الشعوب التي لم تنطق ثوراتها بعد لتحديد ساعة الصفر و مايلزم قبلها فالتأخر يعرض الفرصة للضياع و التقدم قبل أوانه يزيد من عدد الضحايا و احسب ان رياح التغيير ستعم العالم الإسلامي بأسره بإذن الله فينبغي على الشباب ألا

يقطعوا أمرا قبل مشورة أهل الخبرة الصادقين المبتعدين عن أنصاف الحلول و مداهنة الظالمين و قد قيل

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول و هي المحل الثان

أمتي المسلمة لقد شهدت قبل عقود ثورات عديدة فرح الناس بها ثم مالبثوا ان ذاقوا ويلاتها فالسبيل لحفظ الأمة و ثوراتها اليوم من الضلال و الظلم هو بالانطلاق في ثورة الوعي و تصحيح المفاهيم في شتى المجالات و لا سيما الأساسية و أهمها ركن الإسلام الأول و من خير ما كتب في ذلك كتاب مفاهيم ينبغي ان تصحح للشيخ محمد قطب فضعف الوعي عند كثير من أبناء الأمة الناتج عن الثقافة الخاطئة التي يبثها الحكام منذ عقود بعيدة هو المصيبة الكبرى و ما مصائب الأمة إلا ثمرة من ثمراتها المرة فثقافة الذل و الهوان و الخنوع و تكريس الطاعة المطلقة للحكام و تلك عبادة لهم من دون الله و التنازل عن أهم الحقوق الدينية و الدنيوية لهم و جعل القيم و المبادئ و الأشخاص تدور في فلكهم فافقد

الإنسان إنسانيته و تجعله يركض وراء الحاكم و إرادته و دون إدراك او تبصر فيصبح إمعة إن أحسن الناس أحسن و إن اساؤوا اساء مما يجعله كسلعة من سقط المتاع يفعل بها الحاكم ما يشاء و هؤلاء هم ضحايا الظلم و الاستبداد في بلادنا الذين اخرجهم الحكام ليهتفوا باسمهم و يقفوا في خندقهم .و قد سعى الحكام لان يتخلى الناس عن أهم حقوقهم التي أتاهم الله اياها فعطلوا عقول الأمة وهمشوا دورها في الشؤون الهامة عبر تضافر جهود مؤسسات الدولة الدينية والإعلامية لإضفاء الشرعية عليهم فسحروا الناس و إراداتهم و عقولهم وروجوا لصنمية الحاكم وأسسوا لها زورا و بهتانا باسم الدين و كذلك باسم الوطن ليحترمها الناس و ليغرسوها في النفوس ليقدسها الكبار و لم يسلم منها الصغار الذين هم أمانة في أعناقنا فقد ولدوا على الفطرة فاغتالوا فطرتهم بلا ضمير و لا رحمة فهرم على ذلك الكبير و شب عليها الصغير فزاد الطغاة طغيانا و المستضعفين استضعافا

فماذا تنتظرون فانقذوا أنفسكم و أطفالكم فالفرصة سانحة خاصة بعدما تحمل فتيان الأمة عبأ الثورات و مصابها و رصاص الطغاة و عذابها فمهدوا الطريق بتضحياتهم و أقاموا جسر الحرية بدمائهم فتية في مقتبل العمر طلقوا دنيا الذل و القهر و خطبوا العزة او القطر فهل يعي الحكام ان الشعب قد خرج و لن يعود حتى يحقق الوعود بإذن الله تعالى و ختاما إن الظلم العظيم

قد بلغ مبلغا كبيرا و تأخرنا كثيرا في انكساره و تغييره فمن بدا فليتم نصره الله ومن لم يبدأ فليعد للآمر عدته و تدبروا الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث قال ما من نبي بعثه الله في امة قبلي إلا كان له من أمته حواريون و أصحاب يأخذون بسنته و يتقيدون بأمره ثم خلف من بعده خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن

ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن و ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل و قال أيضا سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره و نهاه فقتله فهنيئا لمن خرج بهذه النية العظيمة فان قتل فسيد الشهداء و ان عاش فبعز وإباء فانصروا الحق و لا تبالوا فقول الحق للطاغي هو العزهو البشرى هو الدرب في الدنيا هو الدرب إلى الأخرى

فان شئت فمت عبدا و إن شئت فمت حرا

اللهم افتح على القائمين لنصرة دينك فتحا مبينا و ارزقهم صبرا و سدادا و يقنيا

اللهم ابرم لهذ الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك و يذل فيه أهل معصيتك و يؤمر فيه بالمعروف و ينهى فيه عن المنكر

ربنا أتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار اللهم قوي ضعفنا و اجبر كسرنا و ثبت إقدامنا

اللهم عليك بائمة الظلم المحليين و الدوليين و انصرنا على القوم الكافرين

و أخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

# المراجع

Abu abdulaziz Mahmud Bahathek. . August ، 1992 . Andrew Hog for The Times UK

Alia Ezzat Begovic . March، 2002 . (Interview with Alia Ezzat for BH Dani . Senad Bijanin

Aubrey Herbert . (١٩١٦) . *Mons،Anzac and Kut* . Basra.

Bart. Sir Harford Jones Brydges . (١٨٣٤) . *An account of the transactions of his majetsy's mission to the court of Persia in the years 1807-11، to which is appended a brief history of the Wahauby* . London: James Bohn.

British East India Company . *Bombay Diaries* . Exeter ،UK: Exeter University Press.

Burkhardt، J. L. (1831). *Notes on the Bedouins and the Wahabys.* London: Colburn and Bently.

C.S.Jarvis . (١٩٣٦) . *Three deserts* . Lodnon.

C.U.Aitchison . *A collection of Treaties،Engagements And Sanads realating to India and neighbouring countries:Turkish Arabia،Perisan Gulf،Arabias and Africa* .

Evan Kohlman . *AlQaeda's Jihad in Europe* .

H.B.Paksoy) . June، 1995 . (Basmachi Movement From Within:Account of Zeki Velidi Togan. الصفحات ٣٧٣-٣٩٩ .

Morrier، J. (1816). *A journey through Persia، Armenia and Asia minor to Constantinople.* London.

Philip Stoddard . (١٩٦٢) . *The Ottoman government and thr Arabs* . Princeton،New Jersey: Princeton press.

R.O.Christiansen . (١٩٨٧) . *Conflict and change among the Khyber Afridis;a study of British policy and tribal society on the North-West frontier 1839-1947* . Leicester: University of Leicester.

Randall Baker . *King Hussein and the kingdom of Hijaz* .

Richard Bourdeaux Parker . *The October War: A Retropsective* .

Ronald Storrs . (١٩٤٣) . *Orientations* . London.

Sadlier، C. G. *Diary of a journey across Arabia.*

United States vs .Lynn Stewart. (٢٠٠٦)

١.د . عبد الله يوسف الغنيم. *اخبار الكويت:رسائل علي بن غلوم رضا .الوكيل الاخباري لبريطانيا في الكويت ١٨٩٩-١٩٠٤* . الكويت.

ابن الاثير. *الكامل في التاريخ*.

ابن بشر الحنبلي. (١٤٠٢/١٩٨٢). *عنوان المجد في تاريخ نجد*. الرياض: مطبوعات دارة الملك عبد العزيز.

ابن حبان. صحيح *بن حبان*.

ابوزياد المكي. *من مذكراتي في الجهاد*.

ابومحمد المقدسي. *الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية*.

ابي ابراهيم بن سلطان العدناني. *القطبية هي الفتنة فاعرفوها*.

احمد البديري الحلاق. (١٩٩٧). *حوادث دمشق اليومية ١١٥٤-١١٥٧هـ/١٧٤١-١٧٦٢م*". دمشق: دار سعد للطباعة و النشر

احمد بن تيمية. *مجموع الفتاوى*.

احمد شفيق باشا. (١٩٩٨). *مذكراتي في نصف قرن*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

احمد شوقي. (بلا تاريخ). ديوان الاندلس الجديدة. القاهرة، مصر.

اسامة بن لادن. (اكتوبر، ٢٠٠١). (تيسير علوني،مراسل قناة الجزيرة، المحاور)

الدكتور جمال زكريا قاسم. (١٤١٤هـ/١٩٩٧م). *تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر*. القاهرة: دار الفكر العربي.

الدكتور رحيم كاظم محمد الهاشمي. *تجارة الاسلحة في الخليج العربي ١٨٨١-١٩١٤*.

الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. *محمد علي و شبه الجزيرة العربية*.

الدكتور/محمد محمد حسين. *الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر*.

الدكتورة حياة ناصر الحجي. (ربيع ١٩٩٢). "احتلال العراقيين الكويت. . .و احتلال التتار بلاد الشام (دراسة مقارنة)" . *المجلة العربية للعلوم الانسانية–جامعة الكويت* .

*الرسائل المتبادلة بين الشيخ بن باز و العلماء* .

الشيخ ايمن الظواهري. *التبرئة* .

الشيخ عبد الله عزام. *عملاق الفكر الاسلامي: الشهيد سيد قطب*.

اللواء جمال حماد . *المعارك الحربيةعلى الجبهة المصرية في حرب اكتوبر ١٩٧٣* .

المستشار حسن بك الهضيبي. *دعاة لا قضاة*.

اليكسي فاسلييف. (١٩٩٧) . *تاريخ العربية السعودية*. موسكو.

امين سعيد . *تاريخ الدولة السعودية*.

ايجيرو ناكانو. (١٤١٩هـ) . *الرحلة اليابانية الى الجزيرة العربية*. الرياض: دارة الملك عبد العزيز.

بيان العلم العربي. (١٩١٧) . جريدة *القبلة* .

جمال زيتوني ابو عبد الرحمن امين. هداية *رب العالمين في تبيين اصول السلفيين و ما يجب من العهد على المجاهدين*.

جون لودفيج بوركهارت. *مواد لتاريخ الوهابيين*.

حامد الفقي. (١٩٣٥) . *اثر الدعوة الوهابية في الاصلاح الديني و العمراني في جزيرة العرب و غيرها* .

حسين حسني. (٢٠٠١) . *مذكرات ضابط عثماني في نجد* . الرياض.

حماد الانصاري. *المجموع*.

حمد الجاسر. (١٤١٩هـ/١٩٩٩) . *تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لابراهيم بن صالح بن عيسى*. الرياض: دارة الملك عبد العزيز.

خالد صافي. (يونيو، ٢٠٠٥) . حسين باشا مكي. *مجلة الجامعة الاسلامية بغزة، سلسلة الدراسات الانسانية* ، الصفحات ٣٥-٥٩.

خلف بن صغير الشمري. (٢٠٠٦) . *المستودع و الفي اسباب النزاع بين مبارك الصباح و يوسف الابراهيم(رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود)* . الرياض.

د. عبد اللطيف بن محمد الحميد. (١٩ اغسطس، ٢٠٠٥) . مواجهة موضوعية مع طروحات هيكل. جريدة *الرياض* .

د.محمد عبد الرحمن برج. (١٩٩٠) . *محب الدين الخطيب و دوره في الحركة العربية١٩٠٦-١٩٢٠* . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب .

د/ايمن صبري فرج. *ذكريات عربي افغاني: ابو جعفر المصري القندهاري*.

د/خالد بن عبد الرحمن الجريسي. *من وثائق العلاقات المصرية السعودية في عهد الملك عبد العزيز*.

د/ستانلي مايلريا. (١٩٩٧) . *الكويت قبل عصر النفط*. الكويت: دار قرطاس للنشر.

د/سعد بدير الحلواني. *العلاقات بين مصر و الحجاز و نجد في القرن* ١٩ .

د/علي الصلابي. *العالم العابد المجاهد: احمد الشريف السنوسي، الزعيم الثالث للحركة السنوسية*.

د/علي محمد محمد الصلابي. *صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الافريقي، الحركة السنوسية*.

د/محمد بن عبد الهادي الشيباني. بيرتون و صورة المدينة في رحلته عام ١٢٦٩هـ/١٨٥٣م. *مجلة مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة* .

د/محمود جامع. *عرفت السادات*.

د/منير العجلاني. *تاريخ البلاد العربية السعودية*.

دكتور محمد مورو. *تنظيم الجهاد، الفكر. . .الجذور. . . .السياسة*. .

سعيد بن منصور. *سنن سعيد بن منصور*.

سليمان ابن سحمان. *منهاج اهل الحق*.

سنت جون فيلبي. *بعثة الى نجد*. الرياض: العبيكان.

سنن ابي داود. (بلا تاريخ). ابو داود السجستاني.

سيف العدل. *تحت ظلال الرمح*.

صالح الهامي ابوقدامة الاردني. *فرسان الفريضة الغائبة،الزرقاوي و الجهاد الافغاني*.

صبري ابو المجد. *عزيز علي المصري و صحبه:بناة الوحدة العربية و الاسلامية*.

عايض بن خزام الروقي. *حروب محمد علي في الشام و اثرها في شبه الجزيرة العربية*.

عبد الرحمن الجبرتي. *عجائب الآثار في التراجم و الاخبار*. القاهرة: مكتبة الاسرة.

عبد الرحمن بن خلدون. *المبتدأ و الخبر*.

عبد الرحمن بن محمد بن علي الهرفي. *اخبار الشيخ الزاهد عبد الكريم درويش*.

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي. *الدرر السنية في الاجوبة النجدية*.

عبد الرحمن ناصر الشمراني. *فيصل القاتل و القتيل*. بيروت: دار الانسان .

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. *الدولة السعودية الاولى*.

عبد العزيز التويجري. *لسراة الليل هتف الصباح*.

عبد الفتاح حسن ابو علية. *تاريخ الدولة السعودية الثانية*.

عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ. *مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الامام و نسبه الى تكفير اهل الايمان و الاسلام*.

عبد الله انس. *ولادة الافغان العرب*.

عبد المالك رمضاني الجزائري. *مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية و الانفعالات الحماسية*.

عبد المنعم جمال الدين. (٢٠٠٩) . *دليل الحركات الاسلامية المصرية*. القاهرة.

عمر ابن محمود ابو عمر ابو قتادة الفلسطيني. . بين منهجين ٩١. *نشرة الانصار* .

لوتاننت كولونل لويس بلي. *رحلة الى الرياض*.

لويس دوكورانسي. *الوهابيون،تاريخ ما اهمله التاريخ*. الرياض: رياض الريس للنشر .

لويس ر. سكادار. *قصة بعثة التنصير العربية*.

محمد بن اسماعيل البخاري. (بلا تاريخ) . صحيح البخاري.

محمد جلال كشك. *السعوديون و الحل الاسلامي*.

محمد علي سعيد . (١٩٨٢) . *بريطانيا و ابن سعود، العلاقات السياسية و تأثيرها على المشكلة الفلسطينية* . دار الجزيرة للنشر .

مريم فريح المهوس. *حامية المدينة المنورة و ثورة الشريف حسين*.

مصطفى حامد "ابو الوليد المصري" . *صليب في سماء قندهار* .

مصطفى حامد ابو الوليد المصري. *السائرون نياما* .

مصطفى حامد "ابو الوليد المصري" . *١٥ طلقة في سبيل الله* .

مصطفى حامد "ابو الوليد المصري" . *مطار ٩٠* .

مقبل بن هادي الوادعي. *المخرج من الفتنة* .

ملف وثائق فلسطين. (١٩٦٩) . *الهيئة العامة للاستعلامات، وزارة الارشاد القومي بمصر* ، ١٦٧ .

منتصر الزيات المحامي. *الجماعات الاسلامية:رؤية من الداخل*. القاهرة.

منير العجلاني. *تاريخ الدولة السعودية الاولى*.

*موسوعة مقاتل من الصحراء* .

ناجي كاشف كجمان. (بلا تاريخ) . فخري باشا و الدفاع عن المدينة. *مجلة مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة* ، صفحة ص٩٧ .

ناصر السعيد الحائلي. *تاريخ آل سعود* .

ناصر الفرج. *قيام العرش السعودي،دراسة تاريخية للعلاقات السعودية البريطانية*. لندن: الصفا للنشر و التوزيع.

نجدة فتحي صفوة. *الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية*.

نجدة فتحي صفوة. (٢٦ ٩، ٢٠٠٣). شخصيات غربية حول عبد العزيز. جريدة *الشرق الاوسط* .

هارولد .ر.ب.ديكسون. *الكويت و جاراتها* .

هاري سنت جون فيلبي. (١٩٥٥). *السعودية العربية*. لندن: ارنست بن.

وليم جيفورد بالجريف. *وسط الجزيرة العربية و شرقها* .

يوسف حتاتة. (٢٠٠٢/١٤٢٤). مدحت *باشا، حياته، مذكراته، محاكمته*. بيروت: الدار العربية للموسوعات.

كميل الطويل.١٩٩٨"الحركة الاسلامية المسلحة بالجزائر"،بيروت، دار النهار.

مواقع شبكة الانترنت

عبد المنعم جمال الدين، موقع نحو التجديد .

اخوان اونلاين

موسوعة ويكيبيديا

مركز المقريزي للدراسات التاريخية

موقع مفكرة الاسلام

# المحتويات:

الملاحق: